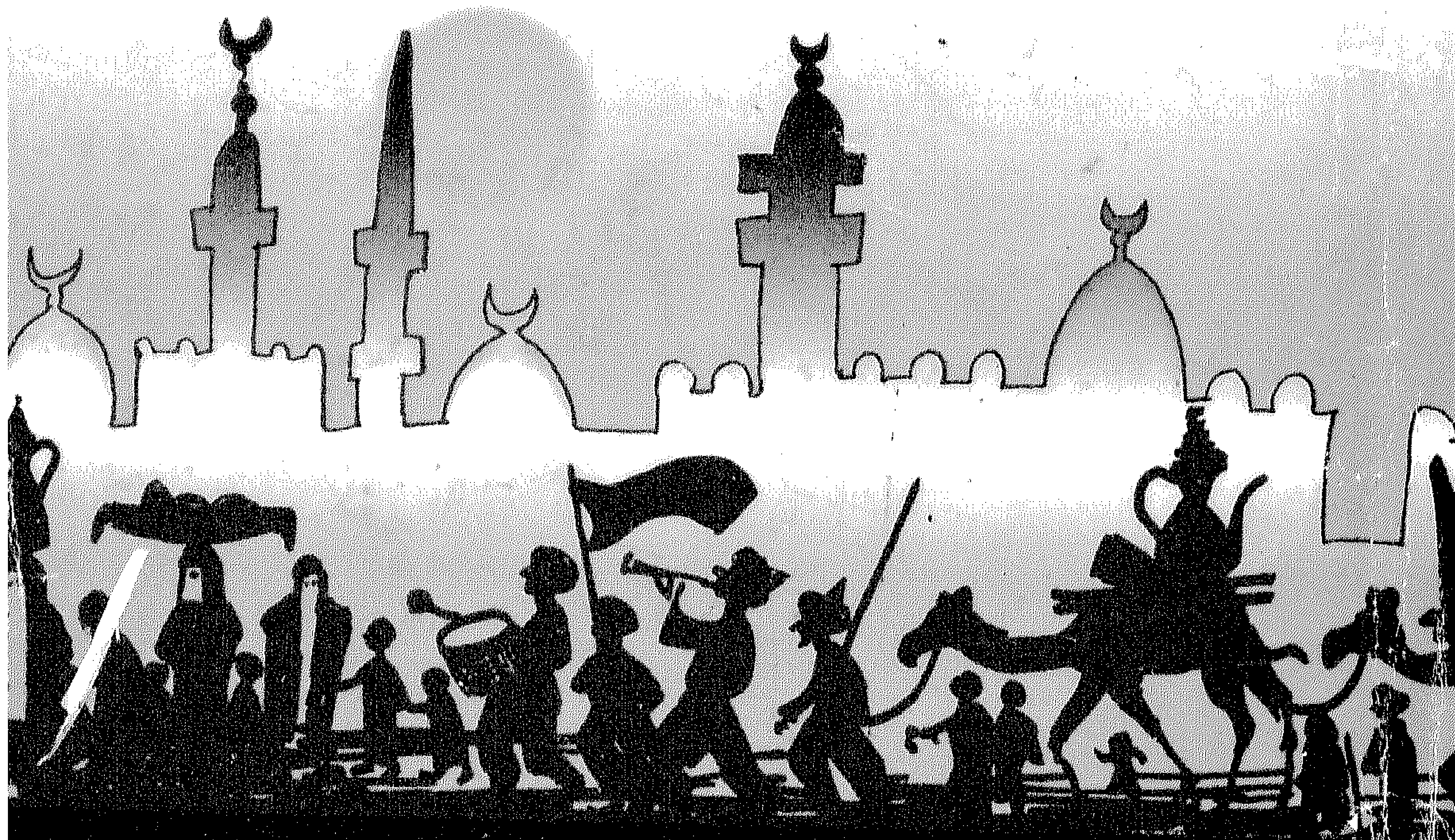
الشوار

جهاز العروس في مصر
في عصر سلاطين المماليك



دكتورة فايزة الوكيل

كلية الآثار / جامعة القاهرة

دار الوفاء

دار نهضة الشرق

الشـــوار

(جهاز العروس فى مصر)

فى عصر سلاطين المماليك

الدكتورة

فايزة محمود عبد الخالق الوكيل

كلية الآثار - جامعة القاهرة

النـاشـــر

.ار نـهضة الشرق   دار الـوفـــاء

الكتـــــاب : **الشوار (جهاز العروس فى مصر) فى عصر سلاطين المماليك**
المــؤلـــف : دكتورة فايزة محمود عبد الخالق الوكيل
رقم الطبعـة : الطبعة الأولى
تاريخ الإصدار : يناير – ٢٠٠١ م

الناشران : **دار نهضة الشرق** ٣٢ شارع طلعت حرب (سليمان باشا سابقا) تقـاطع طلعت حرب مع عبـد الخـالق ثـروت – الـدور الثـاني شـقة (٨) ت : ٠١٢٢٢٥٩٧٨٨ / ٠١٢٢٤٦٢٤١٩

دار الـوفـاء : المكتبة : المنصورة – أمام كلية الطب .
ت : ٠٥٠٣٤٧٤٢٣
الإدارة : المنصورة – شارع الإمام محمـد عبـده المواجه لكلية الآداب .
ت : ٠٥٠٣٤٢٧٧١ / ٠٥٠٣٥٦٢٢٠

رقم الإيداع : 2001/3110
الترقيم الدولى : 977/245/145/X

بسم الله الرحمن الرحيم

ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا

لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة

صدق الله العظيم

سورة الروم : الآية ٢١

جهاز العروس « الشوار »

إهـــــداء

« إلى عرائسى الصغيرات - بناتى الحبيبـات اللاتى أتمنى مـن الله أن أشـورهن بعـد إتمـام دراستهن » .

« وإلى كل عروس مصرية وعربيـــة فــى سبيلها إلى إعداد عش الزوجية » .

التمهيد

تمهيد

يعتبر إعداد جهاز العروس من أهم ما يشغل بال كل أسرة ، وكثيرا ما يؤدى التنافس بين الأسر إلى إرهاق أنفسهم وبذل كل ما لديهم من أجل جلب النفيس والغالى لفتياتهم حتى تذهب إلى منزل عريسها بأجمل جهاز يكون مفخرة لهم بين الناس .

وقد اعتاد سلاطين المماليك وأمراؤهم المغالاة فى تجهيز بناتهم وساعدهم على ذلك عوامل كثيرة منها ثراؤهم والرخاء الاقتصادى والتجارى وازدهار الفنون والصناعات فى ذلك العصر بالإضافة إلى تصميم منازلهم (قصورهم) من عدة طوابق وكل طابق من عدد كبير من الحجرات والردهات الواسعة بشكل يسمح باستيعاب ما يحمل إليها من جهاز ثير ومتنوع ولما كانت دراسة جهاز العروس فى مصر فى عصر سلاطين المماليك هى بالفعل دراسة كل ما يحتويه المنزل فى ذلك العصر بالإضافة إلى حلى العروس وأدوات تجميلها وملابسها ، فقد استحقت أن تخصص لها هذه الدراسة ولا سيما وأنه لم يسبق أن أفردت لها دراسة دقيقة متخصصة .

ويبدو أن السبب فى عدم تناول هذا الموضوع بالدراسة مرجعة إلى صعوبته التى تركزت فى عدة نقاط :

١ - ضآلة المعلومات المباشرة التى تخص أجزاء هامة من موضوع الدراسة ولا سيما ما يختص منها بمكونات الجهاز وطرق صناعته وصناعه ، ونساء هذا العصر وطريقة تجملهن ولبسهن فى المصادر المختلفة ومن ثم كان من الصعب تحديد أبعاد الموضوع .

٢ - نضيف إلى ما سبق أن التاريخ فى العصور الوسطى كان تاريخ قصور وسلاطين ولذا كان الكتاب فى ذلك الوقت يطنبون فى أخبار السلاطين والأمراء وعليه القوم فى حين يتجاهلون كلية أخبار عامة الشعب ، وكانت أسماء مصادرهم تؤكد ذلك مثال ذلك :

أبو المحاسن : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة .

، مورد اللطافة فيمن ولى السلطنة والخلافة .

المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك .

ابن خلكان : وفيات الأعيان .

ابن حجر : الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة .

ولكن رغم الأطناب فى حياة السلاطين والأمراء من نواحى معينة كالناحية السياسية مثلاً نجد أن الكتاب لم يعنوا كثيرًا بتسجيل الحياة الاجتماعية بنفس أطنابهم فى الحياة السياسية والاقتصادية ويبدو أن مرد ذلك يرجع إلى أن البحث فى الحياة الاجتماعية فى أى عصر من العصور المصرية الإسلامية يرتبط إلى حد كبير بالتقاليد الشرقية وما تتصف به هذه التقاليد من محافظة شديدة لا سيما فيما يتعلق بالأحوال العائلية والمنزلية .

٣ – ندرة التحف التى ترجع إلى عصر المماليك المؤكدة النسبة إلى السيدات – أى التى تحمل كتابة تنص على أنها صنعت برسم سيدة ما أو من أجل سيدة ما – والتى ربما كانت ضمن جهاز هؤلاء السيدات .

٤ – وترتب على ما ذكر أن قمت بالإطلاع على العديد من المصادر والمراجع التى تؤرخ لعصر المماليك فى مصر لا قتطف منها المعلومات التى تفيد هذه الدراسة وكانت متناثرة وبسيطة .

فكان من الضرورى الإطلاع على بعض كتب التصوير الإسلامى ودراسة بعض التحف الموجودة بمتاحف القاهرة وهى متحف الفن الإسلامى ومتحف جاير اندرسون ومتحف كلية الآثار والمتحف القبطى والمتحف الزراعى ، والتى كانت مستعملة فى المنازل فى عصر المماليك والتى يمكن أن تندرج تحت جهاز العروس فكلنا نعلم أن كل ما يوجد بالمنزل – فى الغالب – هو من جهاز سيدته لكى نكون صورة عن جهاز العروس فى ذلك العصر .

ولكن كان هناك بعض النقص فى هذه التحف وذلك نظرًا لاندثـار أثـاث المـنزل المملوكى وعدم وصول شئ يذكر منه لنا فكان علينا أن نكمل هـذا النقـص مـن تحـف العصر العثمانى فى مصر كالأسرة والصناديق والكراسى وفرش المنزل بصفـة عامـة ، وذلك حتى نكون الهيكل المطلوب للموضوعات بصورة ولوحاته فيكون شرحًا وتوضيحًا للمتن ، فالمعروف أن التغيرات الحضارية تحتاج إلى وقت طويل كى تتبلـور ملامحـها ومن ثم يمكننا القول أن الملامح الحضارية للعصر العثمانى - كما تعكسها التحـف التـى وصلت إلينا منه - تعتبر امتدادًا للملامح الحضارية التى رسخت فـى العصـور السـابقة وخصوصًا العصر المماليكى ويؤكد ذلك مثلاً رسوم الأسرة التى جـاءت فـى تصـاوير العصر المملوكى (لوحة رقم ١) فهى منخفضة وصغيرة تأخذ شـكل الكنبـة الشـعبية المنتشرة في ريفنا المصرى إلى اليوم وصغرها يوحى بأنها كانت لشخص واحـد فقـط - فهى تشبه إلى حد كبير سرير يرجع إلى العصر العثمانى موجود بحجرة الحريم بمتحـف جاير اندرسون برقم ٦٧٧ (انظر لوحة رقم ٧) وهنا كان من الضرورى أن أصف هـذه التحف وصفًا فنيًا الأمر الذى جعلنى أطلع على بعض كتب الفنون فى العصـر العثمـانى ولكن بدون توسع وذلك حتى لا ادخل فى متاهات لكثرة فروع الموضوع وما دخل فيه مـن فنون متعددة أو حتى لا يؤخذ على النقل وتكرار ما سبقنى .

وقد أقبلت على هذا الموضوع لخلو مجال البحث فيه ولطرافته ولكى أكمل بدراسـة أثاث المنزل فى عصر المماليك ما بدأته فى رسـالتى للماجسـتير مـن دراسـة لأثـاث المصحف الشريف فى مصر فى عصر المماليك أيضًا من كرسى المصحف (الرحـل) ودكة المصحف والقارئ وصندوق حفظ المصحف والربعات الشريفة والخزانـات الثابتـة والمتنقلة الخاصة بحفظ المصحف .

ويجـب أن أنوه هنـا إلى أن هـذا الموضوع فى بدايـة التسـجيل كان عنوانـه « الشوار فى مصر الإسلامية » وقد رأى بعض الأساتذة فى مجلس الكلية تغيير العنـوان إلى « جهاز العروس فى مصر الإسلامية » لأن كلمة جهاز هى الدارجة والمعروفة .

وبعد سنوات من التجميع والدراسة فى هذا الموضوع وعرض المادة العلمية والصور الفوتوغرافية بأكملها على الأستاذين المشرفين رأى سيادتهما تحديد هذا الموضوع إلى « جهاز العروس فى مصر فى عصر المماليك والعثمانيين » وذلك لكبر المادة العلمية وطول الفترة التاريخية التى يتناولها الموضوع الأول .

وبعد فترة من الخوض فى هذا الموضوع بعد تحديده وعرض المادة العلمية على الأستاذين المشرفين وجد سيادتهما تحديد الموضوع للمرة الثانية - ذلك لاتساعه - إلى « جهاز العروس فى مصر فى عصر سلاطين المماليك » .

ومن أجل القيام بهذه الدراسة فقد قسمتها إلى مقدمة وخمسة فصول تناولت فى المقدمة الزواج وجهاز العروس حتى عصر المماليك ، وفى الفصل الأول الخاص « بمكونات جهاز العروس فى مصر فى عصر سلاطين المماليك » فقد تناولت فيه الأثاث المنزلى من السرير والمرتبة واللحاف والناموسية والدكة والأريكة والكرسى وصندوق العروسة والدولاب والمخاد والمساند والمساور والنمارق والمدورات والحشايا والستائر .

وأدوات المطبخ من الطشت والإبريق والصدرية والصينية والصحن والسلطانية والملعقة والمغرفة والمصفاة والهاون وعمود الطعام والمشنة والغربال والرحى والمائدة .

ومفارش الأرض من بسط وسجاد ومقاعد وأنخاخ وأنطاع وحصير .

وأدوات الإضاءة من سرج ومناير وقناديل وشماعد وتنانير وأدوات التجميل وشملت الأمشاط والمكاحل ومراودها والمرايا وقنينات العط وقماقم ماء السورد وإحقاق الادهان وإحقاق الاشنان وحجر الخفاف وكرسى الحمام والمبخرة والزهرية والحلى وشملت حلى اليدين من الأساور والخواتم والرجلين (الخلخال) وحلى الأذن (الأقراط) وحلى الرقبة والصدر العقود والأطواق واللبة وحلى الرأس والشعر .

والملابس وضمت ملابس لداخل المنزل وملابس لخارجه وغطاءات للرأس والحجب .

وفى الفصل الثانى الذى خصص للفنون والصناعات المرتبطة بالجهاز فى ضوء الحياة الاقتصادية فد تناولت فيه الصناعات التى دخلت فى عمل جهاز العروس من صناعة الخشب وما يرتبط بها من فنون زخرفية صناعية من حفر أويمة وتطعيم وتعشيق وتلوين وخرط . وصناعة الخزف وصناعة الفخار ومنها القلل وصناعة الزجاج والبللور الصخرى وصناعة المعادن وصياغة الحلى وصناعة النسيج والخياطة وصناعة السجاد والتنجيد وصناعة الجلود والحصير وصناعة السلال والقفف والغرابيل .

وفى الفصل الثالث المخصص لدراسة جهاز العروس فى ضوء الحياة الاجتماعية فقد بدأته بلمحة عن طبقات المجتمع فى مصر فى عصر المماليك ثم العادات التى تسبق إعداد الجهاز وهى الخطبة ودفع المهر وعقد النكاح - ثم الجهاز فى ضوء الطبقات من جهاز بنت السلطات وجهاز بنت الأمير وجهاز بنت التاجر وجهاز بنت من الطبقة المتوسطة وجهاز بنت من الطبقة السفلى ، جهاز بنت الفلاح ، ثم العادة التى تلى نقل الجهاز إلى منزل الزوجية ، وهى الاحتفال بالعرس وما به من زفة الحمام وزفة العرس .

وفى الفصل الرابع الخاص بالزخارف فقد خصصته لدراسة أهم الزخارف التى وردت على بعض التحف التى تندرج تحت جهاز العروس وكان أهمها بالفعل هى التحف التى تنشر لأول مرة وذلك حتى لا أضع نفسى فى متاهات لأن دراسة زخارف جهاز العروس بالقطع زخارف جميع التحف المنقولة من عصر المماليك وذلك لتنوع الجهاز من خشب ومعادن وزجاج وغيرها كما سبق أن أوضحت وتناولت فى هذه الزخارف الزخارف الكتابية والهندسية وزخارف الكائنات الحية والزخارف النباتية والرنوك .

وفى الفصل الخامس الذى خصصته للدراسة الوصفية لبعض التحف المحفوظة بمتاحف القاهرة والتى من الممكن أن تندرج تحت جهاز العروس ثم قمت بوصف تفصيلى - كلما أمكن - لهذه التحف من ناحية مكان الحفظ والمقاس ومادة الصنع والشكل والزخارف .

وفى الخاتمة أوردت أهم النتائج التى توصلت إليها الدراسة . كما زودت بحثى بالصور الفوتوغرافية الموضحة اللازمة لجميع الفصول بالإضافة إلى الرسوم والأشكال .

وقد كانت محاولة القيام بالدراسة على النحو السابق الإشارة إليه دافعًا للاستفادة من مصادر مختلفة تنوعت ما بين مخطوطة ومطبوعة بالإضافة إلى المراجع الحديثة العربية والأجنبية .

أولاً : المخطوطات :

اعتمدت فى دراستى على بعض المخطوطات المحفوظة بدار الكتب المصرية منها مخطوط الوصلة إلى الحبيب فى وصف الطيبات والطيب لم يعلم مؤلفه ، ومخطوط نخب الذخائر فى أحوال الجواهر تأليف محمد بن إبراهيم بن ساعد الانصارى ، ومخطوط تشريف الأيام والعصور بسيرة الملك المنصور قلاوون لم يعلم مؤلفه ، ومخطوط طيف الخيال لابن دانيال الموصلى .

ثانيا : المصادر العربية المطبوعة :

اعتمدت الدراسة على الكثير منها وقد تنوعت لتشمل على : مؤلفات فى تاريخ مصر الإسلامية ومن أهمها كتابات المقريزى مثل إغاثة الأمة بكشف الغمة ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، وكتاب ابن تغرى بردى النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة وكتاب ابن اياس بدائع الزهور فى وقائع الدهور .

ومؤلفات فى الأحكام والحسبة ومن أهمها كتاب الشيزرى نهاية الرتبة فى طلب الحسبة وابن الأخوة معالم القربة فى أحكام الحسبة والسبكى معيد النعم ومبيد النقم وابن الحاج . والمدخل ومؤلفات فى النظم مثل كتاب ابن خلدون : المقدمة والقلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء ومؤلفات فى الجغرافيا والرحلات ومن أهمها كتاب ناصر خسرو سفر نامه ومعجم البلدان لياقوت وكتاب عبد اللطيف البغدادى : الإفادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر وابن شاهين الظاهرى زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ومؤلفات فى التراجم والطبقات ومن أهمها ابن خلكان وفيات الأعيان وابن تغرى بردى : المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى .

بالإضافة إلى مؤلفات فى موضوعات أخرى متنوعة من أهمها المعاجم اللغوية مثل لسان العرب لابن منظور وتاج اللغة وصحاح العربية للجوهرى والقاموس المحيط للفيروز أبادى والمخصص لابن سيدة وفرهنك فارس لمحمد معين وفرهنك طلائى لمحمد التونجى .

هذا إلى جانب المراجع العربية الحديثة التى جاء ذكرها فى ثبت المراجع .

وفى النهاية اذكر أننى بذلت ما استطعت من جهد مستعينة فى ذلك بالله تعالى وبالتشجيع الدائم والمستمر من أستاذى الفاضلين الأستاذ الدكتور صلاح الدين البحيرى والأستاذ الدكتور حسنين ربيع اللذين يعجز قلبى ولسانى عن أن أوفيها حقهما فى الشكر والثناء واللذين كان لتشجيع سيادتهما وملاحظاتهما القيمة الفضل الأول والأخير فى أنجازى هذا البحث .

كما أجد لزامًا على أن أتقدم بالشكر إلى كل من مد لى يد العون وأخص بالذكر هيئة المتحف الإسلامى ومتحف جاير اندرسون ومتحف قصر المنيل والمتحف القبطى وقسم الزراعة القديم وقسم التصوير بالمتحف الزراعى بالدقى ودار الكتب المصرية ، كما اتقدم بالشكر إلى المكتبة العامة بجامعة القاهرة . وأتقدم بالشكر والعرفان إلى الأستاذ الدكتور على رضوان عميد كلية الآثار وإلى جميع أساتذتى وزملائى وجميع العاملين بكلية الآثار .

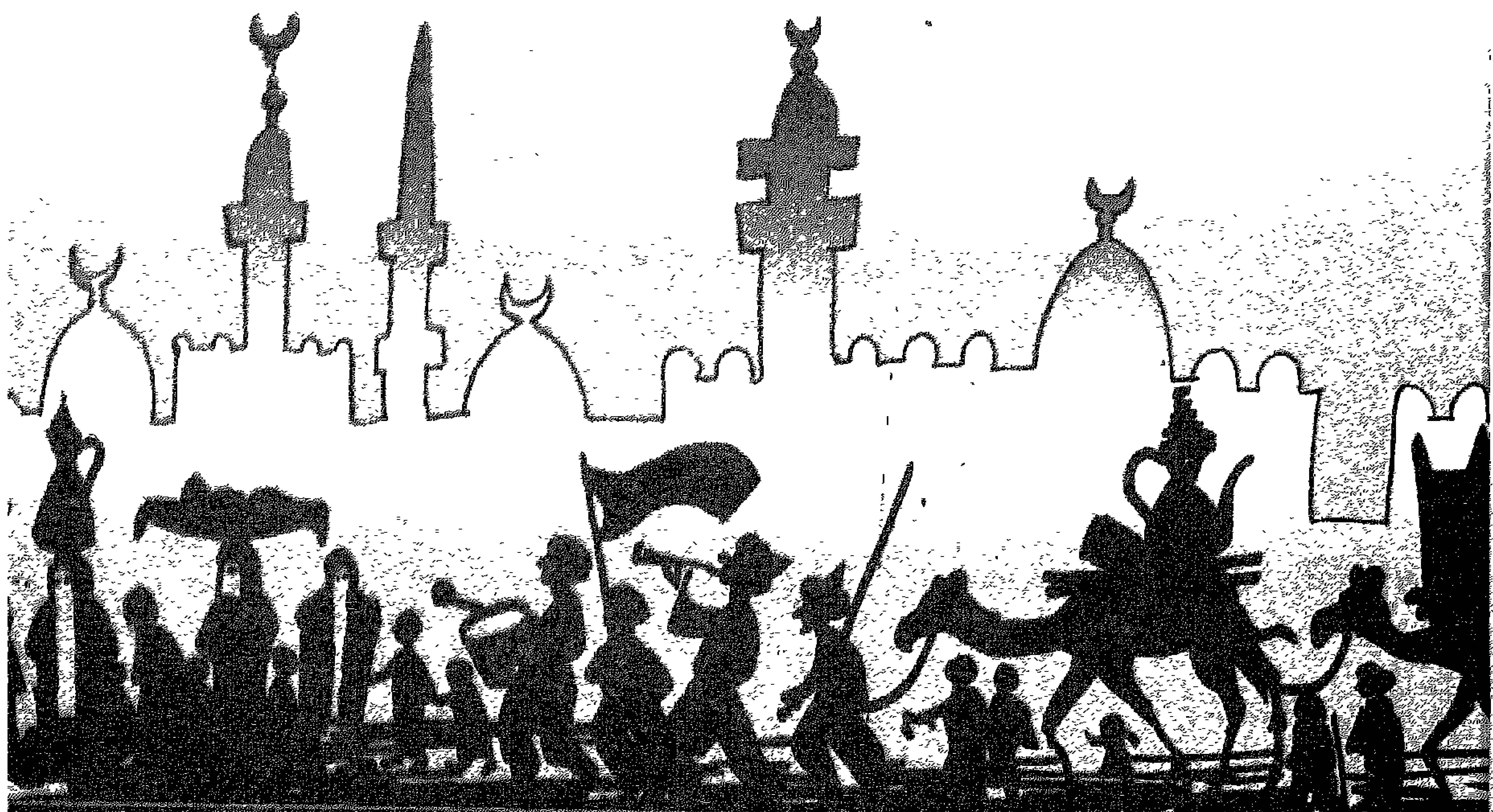
كما اتقدم بالشكر إلى الأستاذ الدكتور إبراهيم الدسوقى شتا أستاذ اللغة الفارسية بكلية الآداب جامعة القاهرة ، وأقدم خالص تقديرى إلى الدكتور هنرى أمين عوض الذى قدم لى لوحات لبعض التحف من مجموعته الأثرية الخاصة ، كما أقدم شكرى إلى السيدة مايسة عمرو ، واذكر بكل العرفان هنا أبى وأمى فكم قدما لى الكثير .. منحهما الله الصحة وطول العمر جزاء ما قدما .

كما أقدم شكرى إلى زوجى دكتور محمد سلامه بالمركز القومى للبحوث وإلى فلذتى كبدى الأعزاء دينا وباكينام .

والله ولى التوفيق ،،،

الشوار

جهاز العروس في مصر
في عصر سلاطين المماليك



دكتورة فايزة الوكيل

كلية الآثار / جامعة القاهرة

دار الوفاء   دار نهضة الشرق

المقدمة

مقدمة

الزواج والجهاز حتى عصر المماليك

شرع الله تعالى الزواج منذ خلق آدم عليه السلام ، للتوالد والتناسل وعمارة الكون ، وقد جاءت الأديان السماوية تدعو إليه وتحث عليه ، كي يتحقق بقاء النوع الإنساني الذى جعله الله خليفته فى الأرض ، بل إن الفطرة نفسها لتدعو إليه ، فالزواج ينظم هذه الفطرة ، وهو إذا ما روعيت أحكامه ، يضفى على الزوجين حياة سعيدة تسودها الألفة والمحبة(1) . ويشير إلى هذا القرآن الكريم بقوله تعالى : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وَجعل بينكم مودة ورحمة » .

وجاء الترغيب فى النكاح بقوله تعالى : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء » كما حث الرسول الكريم الشباب على الزواج بقوله : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج »(2) .

ومن المعروف أن الرسول ﷺ قد تزوج عدة زيجات أولها زواجه من السيدة خديجة بنت خويلد(3) رضى الله عنها التى أرسلت لخطبته لأمانته وصدق

---

(1) سعاد ماهر : عقود الزواج على المنسوجات الأثرية ، مجلة كلية الآثار ، جامعة القاهرة – الجزء الأول ، القاهرة ١٩٧٨ ، ص٣٩

(2) ابن حجر العسقلانى : (٧٧٣ – ٨٥٢هـ) : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، دار الريان للتراث ، القاهرة ١٩٨٧م الطبعة الأولى ، الجزء ١٠ ، ص٥

(3) كانت خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب تاجرة ذات شرف ومال وكانت قريش قوما تجارا فلما بلغها صدق رسول الله ﷺ وأمانته عرضت عليه الخروج فى تجارتها إلى الشام مع غلام لها يسمى ميسرة فأجابها رسول الله وخرج حتى قدم الشام ومعه ميسرة وباع ما كان معه واشترى عوضه ثم أقبل قافلا إلى مكة وعندما ذكر ميسرة للسيدة خديجة ما شاهده من كرامات النبى وأنه كان يشاهد ملكين يظلانه وقت الحر فعرضت خديجة نفسها على النبى فتزوجها وكان عمر النبى لما تزوجها خمسا وعشرين سنة وكان عمرها يومئذ أربعين سنة وكانت أيما ولم يتزوج غيرها حتى ماتت ، وخديجة أول من آمن برسول الله ﷺ وبقيت معه بعد مبعثه عشر سنين وتوفيت قبل الهجرة بثلاث سنين .

أبو الفداء : تاريخ أبى الفداء ، طبع القسطنطينية ١٢٨٦هـ ، الجزء الأول ص١٢٠ .

حديثه وحسن خلقه . وقد أجابه أبو طالب وحمزة فى طلبه لخطبة السيدة خديجة وخرجوا معه فى حشد من بنى هاشم إلى منزلها للخطبة والأملاك[1] . فمن الجدير بالذكر أنه كان للزواج عند العرب يومان يوم الأملاك .. وهو يوم العقد - ويوم البناء - وهو يوم الدخول .

ففى منزل خديجة تم العقد (الأملاك) - وكانت صيغته عندهم أن يقول الزوج : خطب فيقول ولى الزوجة : نكح[2] - وذلك بمداولة الخطابة بين أبى طالب بن عبد المطلب سيد قريش وأمامها ، وورقة بن نوفل ابن عم خديجة .. حبر قريش وعالمها .

وفيما يلى نص الخطبتين :

خطبة[3] أبى طالب :

الحمد لله الذى جعلنا من ذرية إبراهيم ، وزرع إسماعيل وضئضئى معد وعنصر مضر . وجعلنا حضنة بيته ، وسواس حرمه ، وجعل لنا بيتا محجوجاً ، وحرما آمنا ، وجعلنا حكام الناس ثم أن ابن أخى هذا ، محمد بن عبد الله ، لأيوزن به رجل إلا رجح به شرفا ونبلا ، وفضلا وعقلا . وأن كان فى المال قل ، فإن المال ظل زائل وأمر حائل ، وعارية مسترجعة ، وهو والله بعد له نبأ عظيم ، وخطر جليل وله فى خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك . وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما آجله وعاجله من مالى[4] .

---

(١) سعيد هارون عاشور : فقه سيرة نساء النبى ﷺ ، مطبعة القاهرة الحديثة ، ص٢١ ، ٢٢

(٢) عبد الله عفيفى : المرأة العربية فى جاهليتها وإسلامها ، القاهرة ، ١٩٢١م ، الجزء الأول ، ص١٥٦

(٣) تسمى هذه الخطبة خطبة الأملاك ، وكان من سنة العرب إذا خطب الرجل قومه ، أن ينهض واقفا ، أو يعتلى شرفا من الأرض ، أو يتبوأ ظهر راحلته ، إلا فى خطبة الأملاك فإنه يخطبها وهو جالس مطمئن . وذلك لأن المقام مقام دعة وتبسط ولا حاجة فيه إلى الثورة .

انظر : عبد الله عفيفى : المرجع السابق ، جـ١ ، ص١٥٨

(٤) ابن الجوزى : صفة الصفوة ، الدكن الهند ١٣٥٥هـ ، الطبعة الأولى ، الجزء الأول ، ص٢٥

خطبة ورقة بن نوفل :

« الحمد لله الذى جعلنا كما ذكرت ، وفضلنا على ما عددت فنحن سادة العرب وقادتها . وأنتم أهل ذلك كله . لا ينكر العرب فضلكم ، ولا يرد أحد من الناس . فخركم وشرفكم . فاشهدوا على معاشر قريش ، أنى قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبد الله » . وكان ورقة هنا ينطق بلسان عمرو بن أسد عم خديجة الذى نهض فقال اشهدوا على معاشر قريش أنى قد انكحت محمدًا بن عبد الله خديجة بنت خويلد[1] .

وبعد ذلك قدم سيدنا محمد الصداق[2] إلى السيدة خديجة ، وقد انقسمت الآراء بشأن هذا المهر إلى قسمين الأول يذكر أنه عشرون بكرة (ناقة شابة) والثانى يذكر أنه اثنتا عشرة أوقية ذهبا[3] . أو اثنتى عشر أوقية ونصف أوقية

---

(١) عبد الله عفيفى : المرجع السابق ، جـ١ ، ص١٥٧ ، ١٥٨

(٢) مما يجب ذكره فى هذا المقام أن سيدنا محمد ﷺ كان متقشفا بسيطا فيما يقدمه من مهور لزوجاته أو متاع بيت فذلك لم يكن من ماله الخاص بل دفعه عنه الغير ، فكان مهره عليه أفضل الصلاة والسلام إلى السيدة خديجة هبة من عمه أبى طالب وهو من أكابر قريش وكان مهره إلى رملة (أم حبيبة ٢٥ق. هـ - ٤٤هـ) (٥٩٦ - ٦٦٤م) بنت أبى سفيان بن حرب بن أمية - التى كانت زوجة لعبد الله بن جحش وهاجر بها إلى الحبشة فى الهجرة الثانية ثم ارتد عن الإسلام وتنصر ومات هناك بينما ثبتت أم حبيبة على دينها فبعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية العمرى إلى النجاشى ليخطبها له وليدعوا المسلمين بالحبشة للعودة إلى المدينة بعد إن قوى شأن الإسلام هناك- هبة من النجاشى وقدره أربعمائة دينار ويقال إن معها نزل قوله تعالى : « عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتهم منهم مودة » .

وتم هذا الزواج سنة ٧هـ وكان لأم حبيبة من العمر بضع وثلاثين سنة . وكان مهره ﷺ إلى ميمونة بنت الحارث — وهى أم الفضل زوجة العباس بن عبد المطلب وكانت ميمونة قد جعلت أمرها لأختها أم الفضل ، فجعلت أم الفضل أمر ميمونة إلى العباس فزوجها رسول الله بمكة — أربعمائة درهم أصدقها عنه العباس . انظر : ابن الجوزى : المصدر السابق جـ١ ص٢٢ ، ٢٥ . خير الدين الزركلى : الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء ، جـ١ ، ص٣٢٦ . أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الإسلامى ، مكتبة النهضة ١٩٨١م ، الطبعة العاشرة ، الجزء الأول ، ص٣٢٢ - ٣٢٤

(٣) سعيد هارون عاشور : المرجع السابق ، ص٢٢

وجاء بتاريخ أبى الفداء أن صداق خديجة كان عشرين بكرة .

أبو الفداء : المصدر السابق ، جـ١ ، ص١٢٠

وهى أربعون درهمًا شـــرعيًا[1].

وبعد ذلك نحر سيدنا محمد جزورين[2] وأمرت خديجة نســـاءها فرقصـــن وغنيـــن وتسمي وليمة ذلك اليوم بالنقيعة[3] . وتذكر المراجع عن يوم البناء عند العرب أنـــه كـــان يومًا بهيجًا فيه يتبارى الفتيان فيلعبون بالرماح وينتضلون بالصفاح ويستبقون على متـــون الخيل[4] .

وفى ليلة البناء (ليـــلة العرس) تجلى[5] الفتاة ، ويفرغ عليها الحلـــى ممـــا تملـــك ومالاً تملك لأن قومها يستعيرون لها أمتع ما فى الحى من حلى بل ربما تجـــاوزوا حبـــهم إلى ما سواه .

---

(١) الشبلنجى : إسعاف الراغبين فى سيرة المصطفى وفضائل أهل بيته الطاهرين ، المطبعـــة المليجيـــة بالقاهرة ١٣٢٣هـــ ، الطبعة الأولى ، ص١١

(٢) الجزور الناقة المجزورة والجمع جزائر وجزر وجزرات جمع الجمع كطرق وطرقات والجزور تقـــع على الذكر والأنثى والجزر كل شئ مباح للذبح والمواحدة جزرة ، وإذا قلت أعطيته جزرة فهى شـــاة ذكرًا كان أو أنثى لأن الشاة ليست إلا للذبيح خاصة ولا تقع الجزرة على الناقة والجمل لأنهما لســـائر العمل . انظر :
ابن منظور : لسان العرب ، طبعة مصورة عن طبعة بولاق ، الدار المصرية للتأليف والترجمـــــة ، جـــ٥ ، ٢٠٤

(٣) عبد الله عفيفى : المرجع السابق جـــ١ ، ص١٥٥ – ١٥٧

(٤) المرجع نفسه ، ص١٦٠

(٥) جليت عن الشئ أظهرته وجلوت العروس جلوة وجلوة أبرزتها وتجليته نظرت إليه .
البلوى (أبو الحجاج يوسف بن محمد) ألف با ، طبع المطبعة الوهبية بالقاهرة ، ١٢٨٧هـــ ، الجزء الأول ص٥٢٤
وتكتحل العروس وتحتفل أى تتزين وتحتشد للزينة يقال حفلت الشئ إذا جلوته .
ابن الأثير : النهاية فى غريب الحديث والأثر ، القاهرة ، الجزء الأول ، ص٢٧٤
وقد جاء على لسان أعرابية كانت تخدم نساء النبى ﷺ أنها شهدت عروسًا لنا تجلى ودخلت مغتســـلاً وعليها وشاح » أنظر :
السيوطى : (جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن) ت سنة ٩١١هـــ) :
الأرج فى الفرج ، وقف على طبعه أحمد عبيد ، مطبعة الترقى بدمشق ١٣٥٠هـــ ، الطبعة الثانية ص١٢
ونستشف من هذه العبارة أن العروس العربية كانت تستحم فى (مغتسل) ربما مكان كالحمام اعتادوا أن يزينوا العرائس فيه ، كما يبدو أن العروس كانت ترتدى الوشاح .

ومما يجب أن يسجل هنا بساطة الرسول الكريم فى زواجه وفى مقدار ما وهبه من متاع لبعض زوجاته نذكر مثالا لذلك المتاع الذى وهبه لام سلمة هند بنت أبى أمية - فى العام السابع للهجرة - ١٣م - فكان عبارة عن جرتين تضع فيهما حاجتها ورحى ووسادة من آدم حشوها ليف . كما تزوج السيدة عائشة - ق٢هـ/١٤م - على متاع بيت قيمته خمسون درهما .

فقد كان عليه الصلاة والسلام متقشفا زاهدا يأكل على الأرض ويجلس على الأرض ويلبس العباء ويجالس المساكين ويمشى فى الأسواق ويتوسد يده الشريفة[1] كى يقتدى به جميع المسلمين ولا تشغلهم الحياة وزخرفها عن عبادة الله سبحانه وتعالى . كذلك كان الرسول الكريم بسيطا فى حفلات زواجه ، مثال ذلك ما حدث فى حفلة زفاف السيدة عائشة - فى الشهر الثامن من الهجرة - التى قالت فى حديث لها : « تزوجنى النبى ﷺ فأتتنى أمى وأنى لفى أرجوحة فأوقفتنى على باب الدار ، فإذا نسوة من الأنصار فى البيت فقلن : على الخير والبركة وعلى خير طائر : فاسلمتنى إليهن فأصلحن من شأنى ، فلم يرعنى إلا رسول الله ﷺ فأسلمتنى إليه وأنا يومئذ بنت تسع سنين » ، وكان معها فى الحجرة « أسماء بنت عمر » فحدثت تقول » لم يكن فى وليمة السيدة عائشة من الطعام سوى قليل من اللبن شرب الرسول بعضه ثم مد يده الكريمة بالإناء إلى عائشة فخجلت ولم تتناوله ، فقلت لها : لا تردى ما يعطيه لك النبى ﷺ ، وشربت أسماء ما تبقى . وعلى هذا النحو من البساطة والصفاء وقلة الكلفة تم زواج النبى صلوات الله وسلامه عليه من السيدة عائشة الصديقة رضى الله عنها[2] .

تلك البساطة نلمسها أيضا فى زواج ابنته فاطمة الزهراء من ابن عمه على بن أبى طالب الذى حضر إليه يخطبها منه ، فسأله الرسول الكريم على ما عنده ؟ فقال على رضى الله عنه : عندى درعى وفرسى وناضحى (بعيرى)

---

(١) الجاحظ : البيان والتبيين ، الطبعة الأولى ، المطبعة العلمية ١٣١٣هـ ، الجزء الأول ، ص٩٦٣

(٢) قدرية حسين : شهيرات النساء فى العالم الإسلامى ، دار الكاتب العربى (لا يوجد به تاريخ الطبع) تعريب عبد العزيز أمين الخانجى) ، ص٣٨

فطلب منه الرسول أن يمهرها الدرع فباعه على إلى عثمان بن عفان بأربعمائه وسبعين درهما ثم أحضر المبلغ معقودا فى طرف ثوبه ووضعه أمام الرسول قائلا : « ها هو بدل الدرع يا رسول الله » ، فتناوله الرسول بيده الكريمة ثم دفعه إلى بلال ليشترى ببعضه طيبا وعطرا ثم يعطى الباقى إلى أم سلمة « لتشترى جهاز العروسين »[1] .

ودعا الرسول صحابته فأشهدهم أنه زوج ابنته فاطمة من على بن أبى طالب على أربعمائه مثقال من فضة ، على السنة القائمة والفريضة الواجبة وختم خطبة الزواج بمباركة العروسين الهاشميين والدعاء لهما بالذرية الصالحة . ثم قدم إلى الضيوف وعاء تمر .

بهذه البساطة تمت خطبة الزهراء بنت النبى للإمام على وعقدت أخطر مصاهرة عرفها الإسلام فى تاريخه الحافل الطويل[2] .

وتم عقد النكاح فى شهر رجب من السنة الأولى للهجرة ، وبنى بها فى السنة الثانية[3] ، وفى زواج فاطمة صنع الرسول طعامًا وكان بلال هو الذى يطعم الناس طائفة بعد طائفة[4] . أما عن جهاز خيرة عرائس الإسلام كريمة أشرف خلق الله وفخر الأنبياء فكان يشمل سريرًا مشروطًا ووسادة من آدم حشوها ليف وتور من آدم وقربة ومنخل ومنشفه وقدح وأهدت بعض النساء إليها بردين من برود الأول ، عليها دملوجات من فضة مصفرات بزعفران[5] .

---

(١) بنت الشاطئ : بنات النبى ، القاهرة ١٩٥٩م ، الطبعة الثانية ، ص٢١٨

د. صلاح الدين المنجد : تزويج فاطمة بنت الرسول – رسائل ونصوص – بيروت لا يوجد به تاريخ الطبع ، ص٥٣ ، ٥٤

(٢) د. بنت الشاطئ : المرجع السابق ، ص٢١٩

(٣) ابن الجوزى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٣

(٤) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص١٣٦

(٥) د. حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٣م ، الطبعة الثالثة ، الجزء الأول ، ص٥٩١

وجاء في كتاب صفة الصفوة أن عليا رضى الله عنه قال : أن رسول الله ﷺ لما زوجه فاطمة بعث معها بخميلة[1] ووسادة آدم حشوها ليف ورحائين وسقاء وجرتين[2] . هذا إلى جانب سوار من الفضة وطاقية[3] .

وقد قال على رضى الله عنه لقد تزوجت فاطمة ومالى ولها فراش غير جلد كبش ننام عليه بالليل ونعلف عليه الناضح بالنهار ومالى ولها خادم وغيرها[4] .

أما فى العصر الأموى فنجد المغالاة فى المهور من قبل الأغنياء منهم ، كما نجدهم يفرشون منازلهم - التى كانت تتألف فى الغالب من طابقين ، كما كانت تشتمل على أبهاء عديدة عن يمينها وشمالها أبواب عديدة ذات ستائر كثيفة تفتح على غرف الاستقبال والسكنى - بالطنافس الفاخرة فى الشتاء وبالحصر الغالية فى الصيف ، كذلك كانوا يجعلون حذوا الحيطان رفوفا مصفوفة عليها اثمن التحف وأجملها .

أما السقوف فكانت مزخرفة بالنقوش العربية المطلية بماء الذهب . وفى الشتاء كانت المواقد تستعمل لتدفئة الغرف ، فى حين كانت الفوارات والنوافذ تساعد على تلطيف حرارة الجو فى فصل الصيف[5] . وكانت أدوات مائدتهم من الذهب والبللور[6] والجزع[7] ، الأمر الذى يجعلنا نجزم بأن جهاز العروس فى العصر الأموى كان فخمًا وذا قيمة كبيرة .

---

(١) ابن الجوزى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٣ ، ٤

(٢) الخميلة القطيفة وهى كل ثوب له خمل من أى شئ كان وقيل الخميل الأسود من الثياب .
انظر : ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٣ ، ٤

(٣) قدرية حسين : المرجع السابق ، ص٦٦

(٤) ابن الجوزى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٣ ، ٤

(٥) سيد أمير على : مختصر تاريخ العرب ، ترجمة رياض رأفت ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٣٨م ، ص١٧٠

(٦) مما يذكر أن نساء الأسرة المالكة الأموية أولعن باحتساء نوع من الشراب المبرد بالثلج « الجلاب » وكن يتساقينه فى كؤوس من الذهب والبللور .
انظر : سيد أمير على : المرجع السابق ، ص١٧٣

(٧) وجد بنو العباس فى خزائن مروان بن محمد حين ظفر به بمصر مائدة جزع أرضها بيضاء ، وفيها خطوط سود وحمر ، سعتها ثلاثة أشبار ، وغلظها إصبعان وأرجلها من ذهب .
انظر : الرشيد بن الزبير : كتاب الذخائر والتحف .
الجزع بالجزع : واحدته « جزعة » خرز فيه سواد وبياض ، كرم البستانى ، وآخرون : المنجد فى اللغة ، دار المشرق ، بيروت ١٩٨٤م ، الطبعة السابعة والعشرون ، ص٩٠

وعن مقدار بعض المهور فى ذلك العصر نذكر على سبيل المثال مهر يزيد بن عبد الملك الذى قدم المدينة فى خلافة سليمان فتزوج إلى سعدة بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان على عشرين ألف دينار ، وتزوج ربيحة بنت محمد بن على بن عبد الله بن جعفر على مثل ذلك[1] .

ومن الجدير بالذكر أن حفلات عقد النكاح وحفلات الزفاف كان يحضرها الشعراء فينشدون فى ذلك أشعار تمدح العروسين فى حسبهما ونسبهما وجمالهما ، فيغدق عليهم أهل العرس بالمكافآت المالية الكبيرة ، ومثال ذلك الاحتفال بعقد نكاح أم حكيم على عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك فى مجلس جده عبد الملك الذى أمر بإدخال الشعراء الذين اختير منهم جرير وعدى بن الرقاع ، فبدأ عدى قائلا :

قمر السماء وشمسها اجتمعا ... بالسعد ما غابا وما طلعا

ما ورأت الأستار مثلهما ... من ذا رأى هذا ومن سمعا

وقال جرير :

جمع الأمير إليه أكرم حرة ... فى كل ما حال من الأحوال

حكمته علت الروابى كلها ... بمفاخر الأعمام والأخوال

وإذا النساء تفاخرت ببعولة ... فخرتهم بالسيد المفضال

عبد العزيز ومن يكلف نفسه ... أخلاقه يلبث بألف بال

هنأتكم بمودة ونصيحة ... وصدقت فى نفسى لكم ومقالى

فأمر لهما عبد الملك بعشرين ألف درهم ، وقضى لأهله ومواليه يومئذ مائة حاجة ، وأمر لجميع من حضر من الحرس والكتاب بعشرة دنانير[2] .

(١) ابن منظور : مختار الأغانى فى الأخبار والتهانى ، القاهرة ، ١٩٦٥م ، الجزء الثانى ، ص٥٥٠
(٢) ابن منظور : المرجع السابق ، الجزء الأول ، ص٣٨٨ ، ٣٨٩

ومن حفلات الزفاف التى حضرها الشعراء حفل زفاف فاطمة بنت الحسين عليهما السلام إلى عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان فقال موسى شهوات فى ذلك :

طلحة الخير جدكم ولخير الفواطم

أنت للطاهرات من فرع تيم وهاشم

ارتجيكم لنفعكم ولدفع المظالم[1]

ومن المعروف أن تاريخ العصر العباسى حافل بزيجات - سواء فى موطن الخلافة أو فى مصر - انفق عليها أصحابها أموالاً طائلة صارت مضرب الأمثال على مر الأجيال .

وقد تجلى إسراف خلفاء العصر العباسى الأول فى حفلات الزواج مما فعله الخليفة المهدى عند زواج ابنه هارون الرشيد [2] بالسيدة زبيدة[3] فقد أقام يوم زفافها

---

(١) زينب فواز : الدر المنثور فى طبقات ربات الخدور ، ص٣٦٢

(٢) تولى هارون الرشيد الخلافة من سنة ١٣٨٤ - ١٤٠٦م/٧٨٦ - ٨٠٩هـ ويتفق التاريخ والأساطير على أن أبهى عصور بغداد كان فى أثناء خلافته ، ورغم أنه لم يكن قد مضى على تأسيس مدينة السلام سوى نصف قرن فنراها تمثل المقام الأول فى الثروة وأصبحت منافسة بيزنطة ، د. فيليب حتى وآخرون تاريخ العرب ١٩٥٠م ، الجزء الثانى ، ص٣٧٤

(٣) هى زبيدة بنت جعفر بن أبى جعفر المنصور وابنة عم الرشيد أخى أبيه تزوجها سنة ١٦٥هـ/٧٨٢م. وهى تفاخر بنسبها الهاشمى سائر نساء الرشيد لأنهن من أمهات الأولاد ، وكذلك كانت عنده فى المنزلة الأولى . وكانت جميلة الصورة واسمها الأصلى أمة العزيز ، فلقبها جدها المنصور زبيدة لبضاضتها ونضارتها . وهى أول من اتخذ الآلة من الذهب والفضة المكللة بالجواهر وصنع لها الوشى الرفيع حتى بلغ ثمن الثوب من الوشى الذى اتخذ لها ٥٠,٠٠٠ دينار . وأول من اطنع القبقاب من الفضة والأبنوس والصندل وكلاليبها من الذهب والفضة ملبسة بالوشى والسمور والديباج وأنواع الحرير من الأحمر والأخضر والأصفر والأزرق .
واتخذت الخفاف المرصعة بالجواهر وأضاءت شمع العنبر على منائر من الذهب . وقد تشبه الناس بها فى سائر أحوالهم ومما يذكر أنها لم تكن تقتنى من آنيه المائدة غير المصنوع من الذهب والفضة المرصعة بالجواهر .
انظر :
المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر فى التاريخ ، القاهرة ١٣٤٦هـ، ص١٥٦ ، ١٥٧
فيليب حتى وآخرون : المرجع السابق ، الجزء الثانى ، ص٣٧٤ ، ٣٧٥
جرجى زيدان : العباسة أخت الرشيد ، دار الهلال ، ص١٥٥ - ١٥٧

وليمة لم يسبقه إليها أحد فى الإسلام ، ووهب للناس فى هذا اليوم أوانى الذهب مملوءة بالفضة وأوانى الفضة مملوءة بالذهب والمسك والعنبر ، وزين العروس بكثير من الحلى والجواهر .

وبلغت نفقات الزواج من مال الخليفة المهدى ١,٣٨٨,٠٠٠ دينار عدا مبلغ كبير أنفقه الرشيد نفسه . وقد أكدت السيدة زبيدة لأبى عبد الله المأمون ، أخى الأمين ابن السيدة زبيدة من أبيه الرشيد أن نفقات هذا الزواج كانت تتراوح بين خمسة وثلاثين مليون درهم وسبعة وثلاثين مليون درهم[١] .

ويذكر الرشيد بن الزبير أن هارون الرشيد استعد لزوجته ما لم يستعد لامرأة قبلها من الآلة وأصناف الجوهر والحلى والتيجان والأكاليل وقباب الفضة والذهب والطيب والكسوة والخدم[٢] .

وقد عقد الرشيد قرانه على زبيدة عام ١٦٥هـ/٧٨٢م وهى فى السابعة عشرة من عمرها ، وتمت حفلة قرآنها بابهة خارقة للعادة لا يتسع لها مجال الخيال ، فكانت من أبدع الحوادث التى يرويها التاريخ بإسهاب وإطناب . وقد انهالت عليها الهدايا وضروب المجوهرات وصنوف الطيب وأدوات الزينة من كثير من كبراء المسلمين وأمرائهم المنتشرين فى أصقاع العالم . وألقى عليها فى حفلة زفافها من غوالى الآلئ ما أثقل سيرها فنشر اللؤلؤ فى جنبات طريقها على البسط الموشاة بأسلاك الذهب وهى تتهادى فى الثياب المزخرفة التى بالغوا فى تطريزها وتزيينها بأنواع الجواهر[٣] .

---

(١) د. على إبراهيم حسن : نساء لهن فى التاريخ الإسلامى نصيب ، مكتبة النهضة ١٩٥٠م ، ص٨٣

(٢) المرجع نفسه ، ص٩١ ، ٩٢

(٣) قدرية حسن : المرجع السابق ، ص١٩٩ ، ٢٠٠

ونذكر من زيجات العصر العباسي الشهيرة أيضًا زواج بوران[1] بنت الحسن[2] ابن سهل والخليفة المأمون (١٩٨ - ٢١٨هـ/٨١٣ - ٨٣٣م)[3] الذى أطنب فى ذكره كثير من المؤرخين . فيذكر ابن الساعى[4] إنه تم زواج المأمون وبوران فى سنة اثنتين ومائتين (٨١٨م) وبنى بها فى شهر رمضان من سنة عشر ومائتين (٨٢٦م) .

فلما دخل عليها نثرت عليها جدتها ألف درة كانت فى صينية ذهب . فأمر المأمون أن تجمع ، فجمعت كما كانت فى الطبق ، ووضعها فى حجر بوران وقال هذه نحلتك ، وابتنى بها من ليلته . وأوقد فى تلك الليلة شمعة عنبر فيها أربعون منا[5] فى تور[6] ذهب .

---

(١) بوران (١٩١ - ٢٧١هـ/٨٠٧ - ٨٨٤م) زوجة المأمون العباسى من أكمل النساء أدبًا وأخلاقًا . وليس فى تاريخ العرب زفاف أنفق عليه ما أنفق فى زفافها على المأمون ، وللشعراء فى وصف تلك الليلة شعر غير قليل ، وفى القاموس البورانية (بضم الباء) طعام ينسب إلى بوران بنت الحسن .
انظر خير الدين الزركلى : المرجع السابق ، جـ١ ، ص١٥٩
وقيل أن اسمها خديجة .
ابن الساعى : نساء الخلفاء ، حققه وعلق عليه مصطفى جواد ، دار المعارف بمصر ، ص٦٧
توفيت فى ربيع الأول من سنة ٢٧١هـ وقد بلغت ثمانين سنة .
ابن الجوزى : المنتظم ، حيدر آباد ١٣٥٧هـ ، الطبعة الأولى ، الجزء الخامس القسم الثانى ، ص٨٢

(٢) الحسن بن سهل وزير عباسى ، وهو أبو محمد الحسن ابن سهل بن عبد الله السرخسى ، ولد عام ١٦٦هـ/٧٨٢م وبرز اسمه إبان خلافة المأمون ، تولى على ديوان الخراج عام ١٩٦هـ/٨١١م ثم تولى إمارة العراق والجزيرة من عام ١٩٨هـ ، وفى عهده نشبت ثورة أبى السرايا التى قضى عليها بمعاونة هرثمة بن أعين ثم استوزره المأمون وقربه إليه فقضى على الفتنة التى اهاجها حميد الطوسى ببغداد كما قضى على حكم الغوغاء عام ٢٠٢هـ/٨١٨م ، وأصيب الحسن بمرض السويداء وعوفى منه قبيل زواج المأمون من أبنته بوران عام ٢١٠هـ/٨٢٥م والحسن هو أخو الوزير الفضل بن سهل ، وكلاهما كان من الصائبة ثم اعتنق الإسلام ، واشتهر الحسن خاصة بالأدب وجودة التوقيعات وللشعراء منه مدائح مروية فى كتب الأدب ، توفى بسرخس عام ٢٣٦هـ/٨٥١م .
أحمد عطيه الله : القاموس الإسلامى ، المجلد الثانى ، دار النهضة العربية ١٩٦٦م ص٨٦

(٣) حسن إبراهيم حسن : المرجع السابق ، الجزء الثانى (العصر العباسى الأول) ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٥م ، ص٦٧

(٤) ابن الساعى : المرجع السابق ، ص٦٩

(٥) المن ج امنان : كيل أو ميزان وهو شرعا : ١٨٠ مثقالاً وعرفًا ٢٨٠ مثقالاً . كرم البستانى وآخرون : المرجع السابق ، ص٧٧٦

(٦) التور : إناء صغير ، انظر : كرم البستانى وآخرون : المرجع السابق ، ص٦٦
، التور : قال الأزهرى : إناء معروف تذكره العرب والجمع (أتوار) .
، المقرى (أحمد بن محمد بن على) المصباح المنير - المكتبة العلمية ، بيروت - لبنان ، المجلد الأول ، الجزء الأول ، ص٧٨

وذكر سيد أمير على بشأن ذلك : أن جدتها حصلت فى ليلة الزفاف صينية ذهبية وأخذت تنثر منها على الخليفة وعروسه ألف حصاة من الياقوت بمختلف الأحجام والأشكال ، فأمر الخليفة بجمعها ونظمها عقدًا واحدًا ثم قدمه بنفسه هدية إلى الملكة الشابة.

أما غرفة العرس فقد أضيئت بشمعةمن العنبر زنتها ٨٠رطلاً فىشمعدان من الذهب(١).

وذكر ابن خلدون « أن المأمون أعطاها فى مهرها ليلة زفافها ألف حصاة من الياقوت وأوقد شموع العنبر فى كل واحدة مائة من وهو رطل وثلثان وبسط لها فرشا كان الحصير منها منسوجًا بالذهب مكللاً بالدر والياقوت ، وقال المأمون حين رآه قاتل الله أبا نواس كأنه أبصر هذا حيث يقول فى صفة الخمر :

كأن صغرى وكبرى من فواقعها حصباء در على أرض من الذهب

وأعد بدار الطبخ من الحطب لليلة الوليمة نقل مائة وأربعين بغلا مدة عام كامل ثلاث مرات فى كل يوم وفنى الحطب لليلتين وأوقدوا الجريد يصبون عليه الزيت(٢) » . كما حرقوا الخيش عندما احتاجوا إلى وقود(٣) .

ومما يذكر أن أم جعفر زبيدة زوجة هارون الرشيد كانت من أكابر الرؤوس التى حضرت ذلك الزفاف بفم الصلح(٤) وظهرت فيه بمظاهر الأبهة والجلال ، وقدمت إلى

---

(١) سيد أمير على : المرجع السابق ، ص٢٣٢

(٢) ابن خلدون: (عبد الرحمن بن محمد): مقدمة ابن خلدون ، تحقيق د. على عبدالواحد وافى ، لجنة البيان العربى ١٩٥٨م ، الطبعة الأولى ، الجزء الثانى ، ص٤٩٠

(٣) ابن أيبك الدوادارى (أبو بكر بن عبد الله) : كنز الدرر ، القاهرة ١٩٦٠م ، الجزء التاسع ، ص٣٣٨ ، بدرى محمد فهد : القاضى التنوخى وكتاب النشوار ، بغداد ١٩٦٦م ، ص٤٩

(٤) فم الصلح : نهر كبير فوق واسط بينها وبين جبل عليه عدة قرى ، وفيه كانت دار الحسن بن سهل وزير المأمون ، وفيه بنى المأمون ببوران ، ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله) : معجم البلدان ، دار صادر للطباعة والنشر ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٨٤م ، ص٢٧٦

وفم الصلح على بعد عدة أميال من نهر دجلة جنوب بغداد

G. Le Strange: Baghdad during the Abbasid Caliphate, Oxford University press, London, First Edition 1900, P. 246.

بوران هدايا قيمتها ٣٥ مليون من الدراهم ، البستها من هذه الـهدايا « البدنـة الأمويـة » وهى من الثياب الغالية جدًا ، استولى عليها بنو العباس من بنى أميـة ، واعطتـها نـهر الصلح وكان ملكًا لزبيدة أو إقطاعًا لها[١] .

ويذكر ابن أيبك الدوادارى بشأن ليلة البناء : « ولما كانت ليلة البناء وجليت بوران على المأمون ، فرش لها حصير من ذهب وجئ بمكيل مرصع بالجواهر فيـه در كبـار ، فنثرت على تلك النساء اللاتى حضرن وفيهن زبيدة أم جعفر وحمدونه بنت الرشـيد فمـا مس من حضر من الدر شيا . فقال المأمون : شرفن أبا محمد وأكرمنه . فمدت كل واحـدة منهن يدها ، فتناولت درة . وعاد ذلك الدر يلوح على تلك الحصير الذهب »[٢] .

ويذكر مؤرخ الإسلام الحافظ الذهبى بشأن هذا العرس أنه « كان عرسًا لم يسـمع بنظيره »[٣] وذكر الذهبى فى كتابه العبر أيضًا أنه « كان عرسا لـم يسـمع بمثلـه فـى الدنيا »[٤] .

ويذكر الرشيد بن الزبير : أن الناس كانوا « يستعظمون ما أنفق الحسن بن سـهل فى عرس ابنته بوران مع عبد الله المأمون ، حتى أرخ ذلك فى الكتـب وسـميت دعـوة الإسلام »[٥] .

هذا وكانت مناسبة بناء المأمون ببوران حافزا لبعض الشعراء المقربين مـن والـد العروس فى نظم الشعر فى مديحه ، وقد كافأهم بالإغداق عليهم[٦] . وقد تبارى الناس فـى

---

(١) ابن الساعى : المرجع السابق ، ص٦٧
(٢) ابن أيبك الدوادارى : المصدر السابق ، ص٩ ، ص٣٣٨
(٣) الحافظ شمس الدين الذهبى : كتاب دول الإسلام ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م ، تحقيـق فهيم محمد شلتوت ، محمد مصطفى إبراهيم ، جـ١ ، ص١٢٩
(٤) الذهبى (٧٤٨هـ/١٣٤٧هـ) : العبر فى خبر من غبر – تحقيق د. صلاح الدين المنجد الكويت – ١٩٦٠م ، جـ١ ، ص٣٥٨
(٥) الرشيد بن الزبير : المرجع السابق ، ص١١٩
(٦) منهم إبراهيم بن العباس وجاء ذكر إنشاده فى : ابن منظور : مختار الأغانى جـ ص٢٨٦ . ومنـهم أيضًا على بن جبلة وجاء بعض شعره فى : مصطفى جواد : سيدات البلاط العباسى ، دار الكشـاف للنشر والطباعة والتوزيع ، ص٥٥ ، بيروت لبنان ١٩٥٠م

تقديم الهدايا النفسية لوالد العروس بمناسبة زواج ابنته وكان بالقرب منهم رجل من الأدباء فأهدى إليه مزودا فيه ملح وطيب ومزوداً فيه أشنان وكتب إليه معهما أنى كرهت أن تطوى صحيفة أهل البر ولا ذكر لى فيها فوجهت إليه بالمبدأ به ليمنه وبركته وبالمختوم به لطيبه ونظافته ومع ذلك .

بضاعتى تقصر عن همتى وهمتى تقصر عن مالى

فالملح والاشنان يا سيدى أحسن ما يهديه أمثالى(١)

ومن الجدير بالذكر أنه سبق الاحتفال بزفاف بوران على المأمون - وما تم فيه من مبالغة ومغالاة فى الأنفاق - بثمان سنوات الاحتفال بليلة الأملاك وفيها نثر الحسن بن سهل والمأمون على الحاضرين فيذكر ابن خلدون « إن الحسن بن سهل نثر يوم الأملاك فى الصنيع الذى حضره حاشية المأمون فنثر على الطبقة الأولى منهم بنادق المسك ملتوتة على الرقاع بالضياع والعقار مسوغة لمن حصلت فى يده بقع لكل واحد منهم أداة إليه الاتفاق ، وفرق على الطبقة الثانية بدر الدنانير فى كل بدرة عشرة آلاف وفرق على الطبقة الثالثة بدر الدراهم كذلك بعد أن انفق على مقامه المأمون بداره أضعاف ذلك »(٢).

ويذكر الرشيد بن الزبير أن المأمون نثر يوم الأملاك كل شئ له قدر يجرى على مثله ملك ، من الكراع ، والرقيق ، والبزاة ، والكساء ، والصياغات ، والطيب ، والضياع ، والعقار ، والجوهر ، والدنانير والدراهم ، وكان جميع ذكر هذه الأصناف مثبتاً فى رقاع . فكان من التقط رقعة وصنف ، صار إلى خازن ذلك الصنف فقبضه منه »(٣) .

---

(١) الغزولى : مطالع البدور فى منازل السرور ، مطبعة إدارة الوطن ١٢٩٩ - ١٣٠٠هـ - الطبعة الأولى ، الجزء الثانى ، ص٦٥

(٢) ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٤٨٩ ، ١٧٣

اللت الشد والإيثاق ، والمعنى أن بنادق المسك مشدودة على الرقاع ومثبتة عليها ، فى صورة يتكون منها فى كل رقعة جملة تهب من وقعت فى يده ضيعة أو عقاراً من أملاك الحسن بن سهل ، البدرة عشرة آلاف درهم وجمعه بدر وبدور .

(٣) ابن الزبير : المرجع السابق ، ص١٠٠

هذا عن أمثلة لزيجات شهيرة فى موطن الخلافة العباسية أما عن أشهر الزيجات فى العصر العباسى - فى مصر - فإنه يتبادر إلى الذهن عنها ولأول وهلة زواج قطر الندى[١] ابنه خمارويه بن أحمد بن طولون والخليفة المعتضد[٢] الذى أفاض المؤرخون فى ذكره حتى لا تكون مبالغين إذا قلنا أنه ما من مؤرخ تناول تلك الفترة إلا وذكر زواج قطر الندى والمعتضد وما تم من عرس ونقل جهاز لم يسمع بمثله ، فيذكر المسعودى أنه فى عام ٢٧٩هـ/٨٩٣م « قدم الحسن بن عبد الله المعروف بابن الجصاص رسولاً من مصر لخمارويه بن أحمد ومعه هدايا كثيرة . وأموال جليلة فوصل إلى المعتضد يوم الاثنين لثلاث خلون من شوال وخلع عليه وعلى سبعة نفر معه ثم سعى فى تزويج ابنه خمارويه من على المكتفى فقال المعتضد إنما أراد أن يتشرف بنا وأنا أزيد فى تشريفه أنا اتزوجها فتزوجها »[٣] .

وكان عمر البنت فى ذلك الوقت عشر سنوات فقط ولكن أجل حفل العرس إلى عام ٢٨٢هـ/٨٩٥م حتى يصل سنها حوالى اثنا عشر سنة[٤] .

---

(١) هى أسماء بنت خمارويه بن أحمد بن طولون من شهيرات النساء عقلاً وجمالاً وأدبًا تزوجها المعتضد العباسى وجهزها بجهاز لم يعمل مثله . توفيت ببغداد سنة ٢٩٧هـ/٩٠٠م . ودفنت فى قصر الرصافة .

انظر : خير الدين الزركلى : المرجع السابق ، جـ١ ص١٠٢ ، جـ٢ ص٧٩٦

(٢) بويع أبو العباس أحمد بن طلحة المعتضد بالله فى اليوم الذى مات فيه المعتمد على الله عمه وهو يوم الثلاثاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ٢٧٩هـ/٨٩٣م وأمه أم ولد رومية ويقال لها مسرار وكانت وفاته يوم الأحد لسبع بقين من شهر ربيع الآخر سنة ٢٨٩هـ/٩٢٠م فكانت خلافته تسع سنين وتسعة أشهر ويومين وتوفى بمدينة السلام وله سبع وأربعون سنة وقيل أنه ولى الخلافة وهو ابن إحدى وثلاثين سنة وتوفى سنة تسع وثمانين على ما ذكر وله أربعون سنة وأشهر على تباين أصحاب التواريخ فى كتبهم وما أرخوه فى أيامهم .

المسعودى : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص٤٦٢

(٣) المسعودى : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص٤٦٣

(4) Stanley Lane-Poole: A History of Egypt in the Middle ===es, Fourth Edition, London 1925, P. 74.

ويبدو أن تزويج خمارويه لابنته من الخليفة المعتضد كان زواجًا ذا مغزى سياسيًا فعندما فرغ بنو العباس من أمر على بن محمد صاحب الزنج الثائر فى البصرة ونواحيها المدعى أنه الإمام القائم بالحق الموعود به ، وجهوا جيوشهم نحو الأطراف العاصية كمصر وغيرها فخشى خمارويه أن تطول الحروب والكروب بينه وبين العباس ، فبادر إلى المعتضد بالله أبى العباس أحمد الخليفة الجديد بالهدايا والتحف العظيمة ، التى أرسل بها مع تاجر من تجار بغداد - وهو ابن الجصاص - الذى عرض على الخليفة المعتضد رغبة خمارويه فى تزويج ابنته قطر الندى من ابنه المكتفى ، فكان رده بأن يتزوجها هو.

وعن الهدايا التى أرسلها أبو الجيش خمارويه إلى الخليفة المعتضد فكانت تشمل عشرين حملاً من أحمال البغال محملة مالا ، وعشرة خدم بدوابهم وصندوقين كبيرين مملوءين بالثياب الفاخرة وعشرين فارسا ومعهم خيولهم وعليها السروج المحلاة بالفضة وسبع عشرة دابة منها خمسة دواب عليها سروج من ذهب والباقية عليها سروج فضية ، وسبعة وثلاثين دابة بجلال ديباج وبراقع ديباج وخمسة أبغل مصرية بسروجها ولجمها[1]. وكان مهر الخليفة المعتضد لعروسه قطر الندى مليون درهم وعطر وطيب من الصين والهند وأشياء ثمينة مختلفة[2].

وعن جهاز قطر الندى يذكر المقريزى أن خمارويه : « أخذ فى تجهيز ابنته جهازًا ضاهى به نعم الخلافة فلم يبق خطيرة ولا طرفة من كل لون وجنس إلا حمله معها فكان من جملته دكة أربع قطع من ذهب عليها قبة من ذهب مشبك فى كل عين فى التشبيك قرط معلق فيه حبة جوهر لا يعرف لها قيمة ومائة هون من ذهب »[3]. وقد جاء بأحد المراجع أن عدد هذه الاهوان كان ألفا وهى خاصة بسحق الطيب الخاص بزينة قطر الندى[4].

(١) الرشيد بن الزبير : المرجع السابق ، ص٤١

، مصطفى طه بدر : مصر الإسلامية ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٤م ، ص١٢٤

(2) Stanley Lane-Poole: Op. Cit., P. 74.

(٣) المقريزى : الخطط ، جـ١ ، ص٣١٩

(4) Lane-Pool, S.: Op. Cit., P. 74.

كما شمل الجهاز من أدوات الثياب « ألف تكة الثمن عنها عشرة آلاف دينار »[1].

كما ضم الجهاز حلى قطر الندى وجواهرها وكانت فى عشرة صناديق كبيرة كان فيها أربعة آلاف حزام مجوهر وألف أناء من الذهب الإبريز أودعت فيها الروائح الذكية»[2] .

ولم يكتف خمارويه بكل ذلك بل أنه أعطى ابنته على ما يقال مائة ألف دينار لتشترى بها من العراق ما قد تحتاج إليه مما لا يتهيأ مثله بالديار المصرية[3] .

ونستدل على الأموال الطائلة التى أنفقها أمير مصر فى تجهيز ابنته مما جاء فى الخطط المقريزية وهو أن خمارويه سأل عبد الله بن الجصاص عندما تم الجهاز وتهيأت العروس وجهازها للسفر - قائلاً : « هل بقى بينى وبينك حساب فقال لا ، فقال ، انظر حسابك فقال كسر بقى من الجهاز ، فقال أحضروه فأخرج ربع طومار فيه سبت ذكر النفقة فإذا هى أربعمائة ألف دينار »[4] .

فإذا كان الكسر اليسير الذى تبقى من الجهاز يبلغ أربعمائة ألف دينار فما بالنا بثمن الجهاز كله الذى لم ير مثله ولا يسمع به »[5] .

والواقع أن أبهة الجهاز الذى جهز به أمير مصر ابنته أذهلت بلاط بغداد ، الذى اعتاد منذ فترة غير قصيرة حالاً هى أقرب إلى الضيق منها إلى السعة ، ودعت إلى رواج إشاعة تقول بأن الخليفة لم يقبل على هذه المصاهرة مع خمارويه إلا ابتغاء إفقاره[6] . فلا يستطيع أن يبنى دولة قوية ، على أن المعتضد اشترط على خمارويه أن

---

(١) المقريزى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٣١٩

(٢) هند اسكندرعمون : تاريخ مصر ، مطبعة المعارف ١٩١٣م ، الطبعة الثانية ، ص١٣٤ ، ١٣٥

(٣) مصطفى طه بدر : المرجع السابق ، جـ١ ، ص١٢٥

(٤) المقريزى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٣١٩

(٥) المصدر نفسه ، نفس الصفحة .

(٦) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية - الإمبراطورية الإسلامية وإنحلالها - نقله إلى العربية د. نبيه أمين فارس ومنير البعلبكى - دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٦١ ، الطبعة الثالثة - ٢ - ص٦٧

يحمل إليه من خراج مصر مائتى ألف دينار فى كل سنة ، وهذا مقدار قليل على من تولى مصر فأنها معدن الأموال[1] .

وعلى أية حال فقد بذل خمارويه الأموال الطائلة من بيت مال مصر فى تجهيز ابنته - الذى كان عامرًا فى ذلك الوقت - مما أدى به وببيت مال مصر إلى الإفلاس[2] .

وإن كان مما يذكر أيضًا أن جملة ما أنفقه خمارويه على زواج ابنته مليون دينار . ولكن الخليفة شاء أن يعيضه عنها فأعاد إليه السيادة من الفرات إلى برقة بالإضافة إلى خفض الجزية السنوية[3] .

وقد أقيمت الحفلات والمآدب بمناسبة الزفاف فكانت مملوءة بمظاهر الأبهة والبذخ، فأسمطة فاخرة ، وصحاف من الذهب ، وألوان مختلفة من الطعام وكانت الأميرة تجلس فى صدر السماط وقد أثقلها الحرير والماس ، فكانت تحمل على رأسها إكليلاً من الذهب ، وعلى رأسها طرحة مرصعة بالجوهر ، وفى أذنيها قرط تنوء بها الأذنان ، وفى معصميها الأساور النادرة ، وتحلى أصابعها خواتم فريدة[4] ، وكانت أمها عن يمينها وجدتها مياس عن يسارها[5] . ولم يكتف خمارويه بما أعده لابنته « قطر الندى » من جهاز بل أمر أن يبنى لها على رأس كل مرحلة المسافة بين القطائع عاصمة الطولونيين فى مصر وبين بغداد عاصمة العباسيين قصر تنزل فيه . وأصبحت هذه القصور كأنها مدينة واحدة تمتد ما بين شاطئ النيل وشاطئ دجلة ، فإذا وافت المنزل وجدت قصرًا قد فرش فيه جميع ما يحتاج إليه وعلقت فيه الستور وأعدت فيه المخادع ، وهيئت الموائد والخدم والحشم والجوارى ، وأعد فيه كل ما يصلح لمثلها فى حالة الإقامة فكانت فى مسيرها من مصر إلى بغداد على بعد الشقة كأنها فى قصر أبيها تنقل من مجلس إلى مجلس مستمتعة بكل وسائل الراحة[6] .

---

(١) مصطفى جواد : المرجع السابق ، ص٩٧

(٢) د. على إبراهيم حسن : الأيوبيين والمماليك ، ص٦٢

(٣) هند اسكندرعمون : المرجع السابق ، ص١٣٥

(٤) أحمد شلبى : المرجع السابق ، ط.٧ ، جـ٣ ، ص٤١٢

(٥) د. حسن إبراهيم حسن : المرجع السابق ، ط.٣ ، جـ٣ ، ص٤٥٨

(٦) المقريزى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٣١٩

، د. على إبراهيم حسن : نساء لهن فى التاريخ الإسلامى نصيب ، ص١٠٥

Lane-Poole, S.: Op. Cit., P. 74.

وقد حملت عروس مصر إلى خليفة بغداد فى هودج وكان معها عمها شـيبان بـن أحمد بن طولون ، وخرجت تودعها من الفسطاط عمتها العباسة بنت أحمد بن طولـون ، فلما بلغت آخر الأعمال المصرية من جهة الشام ودعتها ورجعت إلى مصر[1] .

وكان يسير فى المواكب أيضًا صفى أبيها أو عبد الله بن الجصاص وجماعـة مـن الأمراء والأعيان وقادة الجند ، على جيادهم المطهمة وبين أيديهم غلمـان ومـن ورائـهم غلمان ، وعلى جانبى الطريق حراس من جند خمارويه قد لبسوا الديباج وعقدوا المنـاطق المحلاة وشرعوا سيوفًا بارقة ، وقد جلست العروس فى هودجها بين النمـارق والحشـايا ناعمة كأن لم تبرح مجلسها من قصر الأمير وجلست بين يديها ماشتطها أم آسـية تقـص عليها من أنبائها كل طريفة تبهج القلب وتسر النفس[2] .

ودخل موكب قطر الندى بغداد يـوم الأحـد لليلتيـن خلتـا مـن المحـرم سـنة ٢٨٢هـ/٨٩٥م وأنزلت هى فى دار صاعد بن مخلد وأقيمت الحفلات ودعيت النساء مـن علية القوم ، وكن يرتدين أفخر الثياب ، ويتزين بأنفس الحلى ، ومدت الأسـمطة وعليـها ألوان الطعام ، على النحو الذى مدت فى مصر ، وأحضرت القيان والمغنيات[3] .

وكان الخليفة المعتضد يومذاك غائبًا أيضًا بالموصل . ولا ربع ليال خلون من شـهر ربيع الآخر ، نقلت قطر الندى من دار صاعد إلى قصر المعتضد بالله ، وكان انتقالها فـى سفينة كانت معروفة إذ ذاك الحراقة ، ومعها عدة حراقات وشـذوات والشـذوات السـفن الصغيرة[4] .

وفى العصر الفاطمى نلاحظ أن طبقته الخاصة كانت تغالى فى إعداد جهاز بناتـها كنوع من المباهاة وإظهار النفوذ ، ومن الأمثلة على ذلك ، أنه فى جمـادى الآخـر سـنة ٣٨١هـ/٩٩١م زفت أخت كاتب السيدة العزيزية « إلى زوجها بلتكين التركى ، وحملـت

(١) هند اسكندرعمون : المرجع السابق ، ص١٣٤
(٢) محمد سعيد العريان : قطر الندى ، ص٢١٥ ، ٢١٦
(٣) د. حسن إبراهيم حسن : المرجع السابق ، ط.٣ ، جـ٣ ، ص٤٥٨
(٤) مصطفى جواد : المرجع السابق ، ص٩٧ ، ٩٨

معها جهازاً قيمته مائة ألف دينار ، سوى صناديق محملة على ثلاثين بغلا تحمل الملابس والتحف الثمينة ، وعملت له مائدة ذبح فيها عشرون ألف حيوان وطائر ما بين كبش وخروف وأوزة ودجاجة .

وعند زواج الخليفة العاضد من أخت الوزير العادل رزيك ، حمل معها جهاز فخم يليق بالخليفة بالإضافة إلى عدد من الصناديق التى تحوى قناطير من الذهب . وكانت الموائد الفاخرة جزءًا من الاحتفال بالزواج ، ولدينا مثال على ذلك لطبقته الخاصة فى مائدة بلتكين التركى ، وإن كانت المصادر لم تذكر شيئًا عن الموائد التى تقام فى احتفالات العامة بالزواج إلا أنه من المسلم به أن الطعام والحلوى والشراب كانوا يمثلون مظهرًا رئيسيًا للاحتفال بهذه المناسبة .

وكانت توجد فى الدولة الفاطمية دوراً مخصصة لإقامة حفلات الزفاف تستأجر من أصحابها لهذا الغرض ، وكان على ملاك هذه الدور التزام جانب الأخلاق الحميدة والمحافظة على حرمة أصحاب الحفل .

وكانت العروس تجلس فى مكان الاحتفال على دكة عالية بمفردها بحيث تصل إليها أنظار الحاضرات وهى فى أكمل زينة وأفخر ثياب ، وقد التف حولها أفراد أسرتها والمدعوات ، وكان هذا الحفل قاصرًا على النساء ، ومن جهة أخرى يخصص مكان آخر للزوج ومعه أصدقاؤه والمدعوون من الرجال للاحتفال به على غرار ما يحدث فى مجلس العروس ، وكانت مظاهر البهجة والسرور تعم الاحتفال فتغنى المغنيات وتعمل فيه أنواع الملاهى والمضحكات والرقص وتوزع أنواع الحلوى والأطعمة على الحاضرين حسب مكانة صاحب الحفل وشرائه .

وكانت احتفالات طبقة الخاصة بمناسبة الزواج ، تكون على درجة كبيرة من الفخامة وتتميز بمظاهر الثراء ، فتوزع فيها الهبات الثمينة وتنثر خلالها الأموال على العامة ، ومن أمثلة ذلك قول الشاعر ظافر الحداد يمدح أمير الجيوش بدر الجمالى ويهنئه بزواج ولده .

فتحت للناس أبواب السرور به — فالعرس فى كل قلب غير مختصر

لله ملك وأملاك قد اقترنا — إلى السعادة فى أمن من الغير

نثرت للناس من عين ومن ورق — فيه فلم يبق من لم يحظ بالبدر

أما قيمة ما يمهره الخلفاء والأمراء وكبار رجال الدولة فى العصر الفاطمى فكان ضخمًا ، فعندما عقد العزيز قرآنه على ابنة عمه سنة ٣٦٩هـ/٩٧٩م أمهرها مائتى ألف دينار ذهبًا ، كما أن الآمر عندما تزوج السيدة « علم الأمرية » سنة ٥٢٦هـ/١١٣١م كتب صداقها ، وجعل المقدم منه أربعة عشر ألف دينار . وعقد زواج ابنتى قائد القواد الحسين بن جوهر سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م ، فى القصر ، وخلع الحاكم على الزوجين ودفع عنها المهر ومقداره ألف دينار .

ومن الجدير بالذكر أن نص العقد فى العصر الفاطمى كان - غالبًا - ما يحتوى على الدعاء للخليفة وآبائه الطاهرين ، ونلاحظ هذا الأمر فى عقد زواج مؤرخ فى ١٥ جمادى الأولى سنة ٤١٩هـ/١٠٢٨م فى عهد الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله وكان الخليفة يسجل بعض العبارات بخطه فى عقد قرآن أبناء كبار رجال الدولة والأمراء ، ومثال ذلك ما كتبه الخليفة الحاكم فى سجل زواج ابنتى الحسين بن جوهر « يعقد هذا النكاح بمشيئة الله وعونه ، والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل » [1] .

ويبدو مما خلفته بعض سيدات الفواطم من تركات مبلغ ما كن عليه من ثراء بالإضافة إلى ما توضحه هذه التركات - التى ربما كانت من بقايا جهازهن - مبلغ ما كن يتجهزون به من ثراء وتنوع وفخامة .

فقد وجد لعبدة بنت المعز الكبرى - وهى المولودة بجيزة مصر عند ورود أبيها المعز إليها فى سنة اثنتين وستين وثلاث مئة هجرية (٩٧٠م) - متاع كثير ، ويؤكد ذلك ما ذكره خزان القصر بالقاهرة من أن خزائن السيدة عبدة ومقاصيرها وصناديقها وما

---

(١) د. عبد المنعم سلطان : المجتمع المصرى فى العصر الفاطمى ، دار المعارف بمصر ١٩٨٥م ، ص١٨٩ - ١٩٣

يجب أن يختم عليه من موجودها استخدم فيه من الشمع أربعون رطلاً بالمصرى . وأن بطائق المتاع الموجود لها كتبت فى ثلاثين رزمة ورقا[1] .

كما وجد للسيدة راشدة بنت المعز لدين الله حين ماتت فى سنة اثنتين وأربعين وأربع مئة للهجرة (١٠٥١م) ما قيمته ألف ألف وسبع مئة ألف دينار ، وكان فى جملة ما وجد فى خزائن كسوتها ثلاثون ألف ثوب خز مقطوع ، واثنا عشر ألفا من الثياب المصمته ألوانًا ، ومئة قطر ميز مملوءة كافورًا[2] .

كذلك خلفت السيدة ست مصر بنت الحاكم بأمر الله حين مات فى مستهل جمادى الآخرة من سنة خمس وخمسين وأربع مئة للهجرة (١٠٦٣م) مالا يحصى كثرة ووجد لها ثمانية آلاف جارية ، وكان فى جملة موجودها نيف وثلاثون زيرًا صينيًا مملوءًا جميعها مسكا مسحوقا . ووجد لها جوهر نفيس من جملته قطعة ياقوت فيها عشرة مثاقيل[3] .

وفى العصر الأيوبى تمت بعض الزيجات التى نقلت فيها العروس من مصر إلى الشام توطيدا لأواصر الصلات بين أطراف المملكة الأيوبية مثال ذلك زواج بنتى الملك الكامل فاطمة خاتون وغازية خاتون فقد تزوجت الأولى من الملك العزيز صاحب حلب والثانية من الملك المظفر صاحب حماه ابن عمتها . وحملت كل منهما إلى بعلها واحتفل لدخولهما بحماه وحلب وقد خرجت العروستان بصحبة والدهما الملك الكامل من مصر فى عام ٦٢٩هـ/١٢٣٢م[4] .

ومما يذكر أنه تم عقد الملك المظفر صاحب حماه على ابنة خاله غازية خاتون – بعد أن استقر له ملك حماة – فى عام ٦٢٦هـ/١٢٢٩م ، وقد قضيت أمانيه بملك حماة ووصلته بخاله الملك الكامل وكان يتمنى ذلك لما كان بالديار المصرية وكان يصحبه وهو

(١) الرشيد بن الزبير : المرجع السابق ، ص٢٤٢
(٢) المرجع نفسه ، ص٢٤١
(٣) المرجع نفسه ، ص٢٤٠
(٤) أبو الفداء : المرجع السابق ، جـ٣ ، ص١٦٠

بمصر رجل من أهلها يقال له الزكى القومصى فاتفق وهما بمصر وقد جرى ملك الملك المظفر حماة وزواجه بنت خاله الملك الكامل فأنشده الزكى القومصى :

متى أراك كما أهوى وأنت ومن تهوى كانكما روحان فى بدن

هناك أنشد والأقدار مصغية هنيت بالملك والأحباب والوطن(١)

كما تم عقد أختها فاطمة على الملك العزيز صاحب حلب فى عام ٦٢٦هـ/١٢٢٩م ، أيضًا بعد أن عقد الملك الكامل الهدنة مع الفرنج(٢) .

كما تمت فى العصر الأيوبى بعض الزيجات السياسية بين الأيوبيين والروم(٣) ففى سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٨م ، عقد لسلطان الروم غياث الدين كيخسرو بن كيقباد بن كيخسر والعقد على غازية خاتون بنت الملك العزيز محمد صاحب حلب ثم عقد للملك الناصر يوسف ابن الملك العزيز صاحب حلب العقد على أخت كيخسرو وهى ملكة خاتون بنت كيقباذ بن كيخسرو بن قليج أرسلان وأم ملكة خاتون بنت الملك العادل أبى بكر بن أيوب وكان قد زوجها الملك المعظم عيسى صاحب دمشق بكيقباذ المذكور(٤) .

ويبدو أن أفراح الأيوبيين كانت تقام فى حفل موسيقى غناء ، فعلى الرغم من انشغال الأيوبيين بالحروب الصليبية المتوالية وقيامهم بتحصين البلاد وبناء القلعة وغير ذلك من الأعمال الحربية التى وسعت رقعة ملكهم إلى سوريا وفلسطين واليمن وإشرافهم على الإمارات التابعة لهم ، فقد نالت الموسيقى وافرًا من عنتهم . ولم تحل تلك المشاغل

---

(١) نفس المرجع السابق ، ص١٥١ ، ١٥٢

(٢) المرجع نفسه ، ص١٤٩

(٣) المقصود بالروم هنا هم سلاجقة الروم أى السلاجقة الذين سكنوا شرق روما والذين أطلق عليهم معاصروهم هذا الاسم عندما انشأوا دولتهم فى آسيا الصغرى بعد انتصارهم على البيزنطيين عام (٤٦٤هـ/١٠٧١م) فى معركة ملازكرد الشهير .
تامارارايس : السلاجقة ترجمة لطفى الخورى ، إبراهيم الداقوقى مراجعة عبد الحميد العلوجى . مطبعة الإرشاد – بغداد ١٩٦٨م ، ص١٧

(٤) أبو الفداء : المرجع السابق ، ص١٧٠

عن ازدهار فن العزف والغناء فى عهد صلاح الدين وخلفائه مــن ســلاطين الأيوبييــن . ومن كانت لهم الحظوة عند صلاح الدين وابنه العزيز « موسى بن ميمون » الذى طبقــت شهرته الموسيقية الآفاق « وأبو ذكريا الياس » ابن المالك « العادل » ما اكسبها الصيــت البعيد والمكانة الفنية المرموقة(١) .

*   *   *

---

(١) د. محمود أحمد الحفنى : موسيقى القاهرة فى ألف عام ، مجلة الفنون الشعبية ، مـــارس ١٩٧١م ، العدد ١٦ ، ص١٠ ، ١١

الفصل الأول

مكونات جهاز العروس في مصر
في عصر سلاطين المماليك

أولاً : الأثاث المنزلي

الفصل الأول

مكونات جهاز العروس

اشتمل جهاز العروس فى عصر سلاطين المماليك - كالمعتاد فى كل زمان ومكان - كل ما يخص المنزل من كبيرة وصغيرة من أثاث منزلى وأدوات مطبخ ومفارش للأرض وأدوات إضاءة ، بالإضافة إلى ما يخص العروس من حلى وملابس وأدوات تجميل .

أولاً : الأثاث المنزلى :

إن أهم شئ يقوم والد العروس بإعداده بعد قبض المهر من العريس هو الأثاث(١) الخشبى الخاص بالنوم والجلوس وما يتعلق بهذا الأثاث من مفروشات .

ونظرًا لعدم وجود أثاث خشبى - خاص بالمنزل - فى المتاحف يرجع إلى عصر المماليك فقد استقينا مادتنا عنه من المصادر والمخطوطات المصورة ومن التحف الموجودة فى المتاحف والتى رجع إلى العصر العثمانى لأن تحف وأثاثات العصر الأخير تعتبر إمدادًا لعصر المماليك ومنها نستطيع أن نكون تصورا لهذا الأثاث فى جهاز عروس مصر المملوكية . وعليه فهو يتكون من السرير والدكة والدولاب والأريكة والصندوق ومفروشات السرير والمرتبة اللحاف والناموسية والمخدات والنمارق والمتكآت والمساند والمساور والوسائد والمرافق والمدورات وستائر المنزل .

---

(١) الأثاث : متاع البيت الواحدة أثاثه .

المقرى (أحمد بن محمد بن على - ت ٧٧٠هـ) : المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير للرافعى ، المجلد الأول ، طبعه بيروت ، ص٤

١ ـ السرير :

وجد السرير[١] ضمن أثاث المنزل فى عصر المماليك والدليل على ذلك ما ذكره المقريزى فى معرض حديثه عن سوق الصنادقيين – الذى كان موجوداً فى ذلك العصر – أنه كن مخصصًا لبيع الصناديق والخزائن والأسرة مما يعمل من الخشب[٢] .

وأيضًا تشبيهه ـ أى المقريزى ـ للدكة النحاس المكفتة الموجودة فى جهاز العروس المملوكية بالسرير[٣] ، وهنا نلاحظ أن السرير كان شيئًا معهوداً ومعروفًا ومنتشـرًا ولـذا شبه به المقريزى الدكة . كما أن من الأدلة على وجود السرير فى ذلك العصر أيضًا وجوده مصوراً ضمن تصاوير مخطوطات عصر المماليك[٤] .

---

(١) السرير المضطجع والجمع أسره وسرر والسرير الذى يجلس عليه معروف وفى التنزيل العزيز على سرر متقابلين وبعضهم يستثقل اجتماع الضمتين فى التضعيف فيرد الأول منهما إلى الفتحة لخفته فيقول سرر .

انظر :

ابن منظور : (٦٣٠ – ٧١١هـ) : لسان العرب ، الدار المصرية للتأليف والترجمة طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب ، الجزء السادس ، ص٢٥

، سرير : سرير ، عرش ، سرير الملك

د. عبد المنعم محمد حسنين : قاموس الفارسية ، دار الكتاب المصرى ، القاهرة ، ١٩٨٢م ، الطبعة الأولى ، ص٣٧١

وقد قيل أن السرير مأخوذ من السرور لأنه فى الغالب لأولى النعمة ، وقد يعبر عن السرير بالملك ويجمع على أسرة وسرر بضمتين فيهم من يفتح الراء استثقالاً للضمتين .

انظر :

العينى (أبو محمد محمود بن أحمد : عمدة القارى فى شرح صحيح البخارى) دار الطباعة العامرة ، الجزء العاشر ، ص٥٠٣

(٢) المقريزى : (تقى الدين أبى العباس أحمد بن على) ت ٨٤٥هـ : كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة ١٩٨٧م ، الطبعة الثانية ، الجزء الثانى ، ص١٠٢

(٣) المصدر نفسه ص١٠٥

(4) Duncane Haldane; Mamluk Painting, England 1978, P. 70, PL. 28.

نضف إلى هذا ما ذكره ابن شاهين من أن القاعة الكبرى المعروفة بـالعواميد الخاصة ببعض الخوانداات كان من ضمن ما تضم « تخوت مفضضة وتخت مرصع مذهب »[1] .

وبما أن التخت[2] لفظة فارسية تعنى السرير إذا فقد وجدت الأسـرة فـى عصـر المماليك وكانت تصفح بالفضة والذهب . ويبدو أن السرير كان من أهم ما تجهز به بنـات السلاطين والأمراء . فقد جاء ببعض المصادر عند سردها لأهم مكونات جهاز بنات تلـك الطبقة وهى الطبقة العليا فى ذلك الوقت أنها كانت تحتوى على بشخاناه مثال ذلك ما كـان بنات السلطان الناصر محمد بن قلاوون وجهاز بنت الأمير أحمد بـن بكتمـر السـاقى[3] وغيرهن .

ووجود البشـخاناه[4] فى جهاز العروس تؤكد وجود السرير به أن لم يكـن هنـاك نص صريح على وجوده ، فالناموسية لا تركب إلا على أعمدة السرير لتقـى النـائم مـن

---

(١) ابن شاهين : زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، تصحيح بولس راويس ، طبع بباريس سنة ١٨٩٤ مسيحية ، ص١٢١

(٢) عبد النعيم محمد حسنين : المرجع السابق ، ص١٥٧

وفسر السرير بالتخت ويغلب على تخت الملك يقال «زال عن سريره أىذهب عزه ونعمته » سمى به لأن مـن جلس عليه من أهل الرفعة والجاه يكون مسروراً جمع أسرة وسرر بضمتين وبعضهم يقول (سرر) بضم ففتح ومستقر الرأس فى العنق تقول « ضرب سرير رأسه وضربوا أسرة رؤوسهم ».

انظر : سعيد الخورى الشرتونى : أقرب الموارد فى فصح العربية والشوارد ، بـيروت ، ١٨٨٩ ، ص٥١١

وجاء معنى السرير على أنه التخت ، جمع أسرة ، سرر ، فى :

قاضى زين العابدين سجاد ميرسهى : بيان اللسان عربى اردوركشزى مع لغات قرآن – الناشر : دار الاشاعت ، ص٣٦٤

(٣) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، نشر زيادة ، القاهرة ١٩٧١م ، الجزء الثانى / القسم الأول ، ص٢٨٨ ، ٢٤٩ ، الجزء الثانى / القسم الثانى ص٥٣٦ ، الجزء الثانى / القسم الثالث ص٦٢٣

(٤) البشخاناه لفظة فارسية أجمعت القواميس على أنها تعنى الكلة أو الناموسية وهى تتكون من مقطعيـن بشه وتعنى البعوض (الناموس) أو البق وخانه وتعنى المنزل ، البيت ، الدار أى معناها الكلى البيت أو المكان الواقى من الناموس أى ناموسية .

الناموس ولتزيد من زينة السرير وابهته ،وقد فسر دوزى لفظ البشخاناه والجمع بشـــاخين على أنها تعنى الناموسية أو ما يشبهها من حلية حول السرير أو الغرفة التى بها الناموســية (غرفة النوم) .

فكون دوزى[1] فسر البشخاناه على أنها الناموسية فهذا صحيح أما كونه أطلق نفــس اللفظ على السرير أو غرفة النوم أى أنه أطلق الجــزء علــى الكــل مجــازًا فذلــك لأن الناموسية لا توجد إلا على السرير ، والسرير لا يوجد إلا فى حجرة النوم .

وقد جاء ذكر الناموسية[2] فى بدائع الزهور فى واقعة وردت بتـــاريخ الســبت ١٢ شوال سنة ٩١٩هـــ/١٣٦١م فى عهد الأشرف قانصوه الغورى ملخصها أن شخصًا نــوى المبيت خارج المنزل فى ضريح الإمام الليث رضى الله عنه[3] فعلم وهو هناك أن زوجتــه

انظر : د. عبد النعيم محمد حسنين : المرجع السابق ، ص١٣٧ ، ٢١٣

محمد معين : فرهنك فارسى ، تهران ، ١٣٤٤ هــ. ش ، الجزء الأول ، ص٩٢٠

F. Steingass: Persian-English Dictionary, London 1892, P. 252.

ويطلــق اللفظ الفارسى بشبه بنده على الناموسية والكلة أيضًا ، د. عبد المنعم حســـنين : المرجــع السابق ، ص١٣٧

(1) R. Dozy: upplement Aux Dictionaires. Arabes, Leide/Paris 1927. P. 88.

(٢) الناموسية نسيج رقيق يجعل على السرير وقاية من الحشرات ، أخذوها من الناموس ، وفصيحها الكلة وهى غشاء رقيق يحاط كالبيت يتوقى به من البعوض ،

انظر : رشيد عطية اللبانى : الدليل إلى مرادف العامى والدخيل ، بيروت ١٨٩٨م ، ص٣٢٢

وقد جاء فى المعجم الوسيط أن الكلة ستر رقيق مثقب يتوقى به من البعوض وغيره وجمعها كلل .

إبراهيم مصطفى : المعجم الوسيط ، مطبعة مصر ، ١٩٦١م ، جــ٢ ، ٨٠٢

(٣) هو الإمام أبو الحارث الليث بن سعد بن عبد الرحمن فهمى- نسبة إلى فهم وهم بطن من قيس عيلان ، وهو أصفهانى الأصل مصرى المولد إذ ولد ببلدة قلقشندة إحدى قرى مديرية القليوبية وكان مولــده فى شعبان سنة ٩٤هــ وقيل أن مولده كان فى سنة ٩٣هــ فى اختلاف الروايات .

والإمام الليث من تابعى التابعين روى عن الكثير وروى عنه الكثير ، وأجمع العلماء على أمانته وعلو كعبه وسمو مرتبته فى الفقه والحديث وهو إمام أهل مصر فى زمانه .

ويقع مسجده الآن فى شارع الإمام الليث ، ومن المعروف أن أول من بنى على القبر بناء هو أبو زيد المصرى أحد كبار التجار وذلك بعد سنة أربعين وستمائة .

تخونه مع شخص آخر فى بيته فحضر إلى البيت وفتح الباب فوجد زوجته وهذا الشخص « فى الناموسية وهما تحت اللحاف متعانقان »(١) . ومن الجدير بالذكر أن البشخاناه كانت تصنع من الحرير الثمين المطرز بأنفس التطريزات(٢).

هذا ويتضح مغالاة المماليك فى الإنفاق على الجهاز وترفهم وتأنقهم فى اختيار رياشهم من البخشاناه التى كانت تزركش بالذهب مثال ذلك بشخاناه بنت السلطان الناصر محمد عروس الأمير قوصون التى كانت من الذهب وتزن بمفردها مائة ألف(٣) مثقال(٤) ذهباً .

وتوالت التجديدات على الضريح والمسجد فى عصر الناصر فرج بن برقوق عام ٨١١هـ وفى عهد السلطان المؤيد ٨٣٢هـ وفى عهد قايتباى ٨٨٤هـ وفى عهد الغورى ٩١١هـ .

ويقع ضريح الإمام فى الضلع الجنوبى للمسجد وهو عبارة عن حجرة مربعة .

انظر : د. سعاد ماهر محمد : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، مطابع الأهرام التجارية ١٩٧٣م ، ص٢١٣ ، ٢٢١ ، ٢٢

(١) ابن أياس (محمد بن أحمد) : بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، تحقيق محمد مصطفى ، القاهرة ١٩٧٥ ، ط٢ ، جـ٤ ، ص٣٤٠ ، ٣٤١

(٢) ويتضح ذلك من بيتين من الشعر ورداً على لسان بشخانه وهما :

بشخانه قد طرزت   قالت بلفظ موجز
على الحريرى سما   قدرى والمطرز

انظر : أمام شوشترى : فرهنك وأزه هاى فارسى درزبان ، عربى طهران ١٣٤٧هـ . ش ، ص٨٦

وقد جاء هذان البيتان بتغيير بسيط فى مطالع البدور كالآتى :

بشخانه تطرزت   قالت بلفظ موجز
على الحرير قد سما   قدرى والمطرز

الغزولى (علاء الدين على بن عبد الله البهائى) : مطالع البدور فى منازل السرور ، مطبعة الوطن بمصر ، ١٣٠٠هـ ، الجزء الأول ، ص٦١

(٣) المقريزى : السلوك ، جـ٢/ القسم الأول ص٢٨٨

(٤) المثقال درهم ودانقان ونصف ، وهو أربعة وعشرون قيراطًا ، وهو خمس وثمانون حبة ، والدرهم ستون حبة .

ومن مفروشات السرير التى كانت ضمن جهاز العروس والتى جاء ذكرها فى المصادر أيضًا وهى « داير البيت الزركشى » الذى كان يبالغ فى زركشته بالذهب مثال ذلك ما كان بجهاز قطلوملك بنت الأمير تنكز نائب الشام من « داير بيت زنة زركشه ستون ألف مثقال من الذهب »[1] .

ويرجح أن يكون معنى داير البيت هو داير السرير وهو نسيج من الحرير المطرز يحيط بأعلى أعمدة السرير ، وما زال دائر السرير يستخدم بنفس الاسم فى الأسرة ذات الأعمدة الموجودة فى ريفنا المصرى ، أو ربما كانت لفظة داير البيت مأخوذة من لفظة ديبيت الفارسية[2] . وهو نوع من الأقمشة التيلية والتى عرفت بعد ذلك فى العامية العربية باسم درابية وهى المفرش الأعلى للسرير وهذا المفرش يكون من الحرير وينجد بثمين الحشو ويكون الحشو بسيطًا ويزركش وجهها بالتطريز والخرز واللؤلؤ .

هذا عن السرير وما يتعلق به كما جاء فى المصادر المعاصرة لأحداث عصر المماليك فى مصر ، أما إذا رجعنا إلى وثائق الحرم القدسى الشريف المملوكية نجد أن الأسرة لم ترد إلا مرة واحدة ضمن تركات امرأة كان سريرها من نوع الخشب الصف[3]

ابن بسام : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ، حققه وعلق عليه حسام الدين السامرائى – مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٦٨م ، ص١٨٤

والمثقال هو وزن الدينار

Geitein. A Mediterranean Society, London 1967, Vol. I, P. 360.

والمثقال أربعة وعشرون خرنوبة (الخرنوبة ثلاث قمحات) .

السيوطى : حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ، طبع بمطبعة إدارة الوطن بمصر ، ١٢٩٩هـ ، جـ٢ ، ص٢٢٦

(١) المقريزى : السلوك جـ٢ / القسم الأول ، ص٢٨٩

(٢) هذا الرأى للأستاذ الدكتور / إبراهيم شتا ، أستاذ اللغة الفارسية .

(٣) الصف المصدر كالتصفيف وواحد الصفوف والقوم المصطفون والصافات صفا الملائكة المصطفون فى السماء يسبحون لهم مراتب يقومون عليها صفوفًا كما يصطف المصلون ، وفى التنزيل فاذكروا اسم الله عليها صواف أى مصفوفة ، والصفيف ما صف فى الشمس ليجف .

ولعل ذلك يعود إلى أن الناس اعتـــادوا أن يفترشــوا الأرض معتمديــن علــى المقــاعد والمخدات والبسط والسجاجيد والمفارش الجلدية[1] .

ومن الجدير بالذكر أن كلمة سرير كانت موجودة قبل الإسلام وكانت تشـــير إلــى مجلس الأمراء والملوك . ويذكر ابن خلدون فى هذا المعنـــى الآتـى : « وأمــا الســرير والمنبر والتخت والكرسى فهى أعواد منصوبة أو أرائك منضدة لجلوس الســلطان عليــها مرتفعًا عن أهل مجلسه أن يساويهم فى الصعيد[2] . ولم يزل ذلك من سنن الملـــوك قبــل الإسلام وفى دول العجم . وقد كانوا يجلسون على أسرة الذهب . وكان لسليمان بـــن داود صلوات الله عليهما وسلامه كرسى وسرير من عاج ، مغشى بالذهب ... وأول من اتخـــذه

انظر : الفيروز أبادى الشيرازى : القاموس المحيط ، المطبعة الأميرية ، ببـــولاق ، ١٣٠١هـــ ، الطبعة الثالثة ، الجزء الثالث ، ص١٥٨ .

ومن هنا نستشف أن هذا السرير ربما كان من ألواح مصطفة من الخشب .

(١) د. محمد عيسى صالحيه : من وثائق الحرم القدسى الشريف المملوكية ، حوليات كلية الآداب جامعة الكويت – الحولية السادسة – الرسالة ٢٦ – ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، ص٣٣

(٢) الصعيد ج صعد وصعدات وصعدان : التراب / القبر / الطرق / يقال صارت الحديقة صعيدًا ، أى أرضًا مستوية لأشجر فيها .

كرم البستانى وآخرون : المنجد فى اللغة والإعلام ، دار المشرق ببيروت ، ١٩٨٤م ، الطبعة السابعة والعشرون ص٤٢٤

، قال قوم وجه الأرض . وكان أبو إسحاق الزجاج يقول هو وجه الأرض ، والمكان عليه تراب أو لم يكن .

قال الزجاج : ولا نختلف أهل اللغة أن الصعيد ليس بالتراب ، وهذا مذهب يذهب إليه أصحاب مالك بن أنس . وقولهم أن الصعيد وجه الأرض سواء كان ذا تراب او لم يكن هو مذهبًا ، إلا أن الحق أحق أن يتبع الأمر بخلاف ما قاله الزجاج . وذلك أن عبيد الله حكى عن الأصمعى أن الصعيد الـتراب . وفى الكتاب المعروف بالخليل ، قولهم تيمم بالصعيد أى خذه من غباره . فهذا خلاف ما قاله الزجاج . انظر : ابن زكريا (أبو الحسين أحمد بن فارس) : معجم مقاييس اللغة ، تحقيق وضبط عبد الســلام محمد هارون ، دار أحياء الكتب العربية بالقاهرة ١٣٦٨هـــ ، الجزء الثالث ، ص٢٨٧ .

فى الإسلام معاوية ... ثم كان بعد ذلك لبنى العباس والعبيديين وسائر ملوك الإسلام شرقًا وغربًا من الأسرة والمنابر والتخوت ماعفا عن الأكاسرة والقياصرة »[1] .

وبالنسبة لتاريخ السرير فهو تاريخ قديم فقد عرفه المصرى القديم منذ زمن بعيد وما تخلف من مصر الفرعونية بالمتحف المصرى[2] والمتاحف العالمية من أسرة خشبية وعاجية مصحفة ، ذات أرجل على هيئة رؤوس حيوانية قد صنعت بمهارة ، لخير دليل على ذلك . واستنادا لهذا فمن البديهى أن يعرف السرير فيما تلى العصر الفرعونى من عصور إلى أن وجد فى العصر الإسلامى فالتقاليد الحرفية للأثاث ظلت موجودة ولم تلغ بظهور الإسلام .

وفى بداية الإسلام عرفت الأسرة للنوم وكان لسيدنا محمد ﷺ سرير له عمود ، وقوائمه من ساج ، مرمول[3] بخزم[4] ، يعنى المسد[5] . فكان ينام عليه حتى توفى ، فوضع عليه وصلى عليه وهو فوقه . فطلبه الناس يحملون موتاهم عليه[6] .

---

(١) ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٦٣٨

(٢) عن شكل السرير وزخارفه فى مصر فى عصر الفراعنة : انظر :

John R. Harris: Egypt World Furniture au Illustrated History, edited by Heleno Hayward, Printed in Spain 1977, PP. 10-14.

(٣) يبدو أنها تعنى منسوج أو مربوط .

وجاء فى المنجد : أرمل الحبل : طوله . الرمل : الزيادة فى الشئ ، المرمل : القيد الصغير .

رمل النسيج : رققه .

رمل رملاً السرير : زينه بالجوهر ونحوه .

المنجد : المرجع السابق ، ص٢٨٠ ، ٢٨١

(٤) الخزم : شجر كالدوم يفتل من لحائه الحبال .

(٥) المسدج مساد وامساد : حبل من ليف أو الحبل المحكم الفتل .

انظر : كرم البستانى وآخرون : المرجع السابق ، ص١٧٨ ، ٧٦١

(٦) وقد بيع ذلك السرير فى ميراث عائشة زمن بنى أمية فاشتراه رجل من موالى معاوية بأربعة آلاف درهم فجعله الناس .

انظر : البلاذرى (أحمد بن يحيى) : أنساب الأشراف ، تحقيق د. محمد حميد الله ، دار المعارف بمصر ١٩٥٩م ، الجزء الأول ، ص٥٢٥

واستخدم الخلفاء الأمويون أوائل الخفاء العباسيين أسرة العرش المستطيلة وكان من عادتهم دعوة أحد الضيوف للجلوس بجانبهم(١) . هذا وقد أطلق لفظ سرير على كرسي العرش في العصر الفاطمي(٢) .

وفي القرن العاشر الميلادي/الرابع الهجري انتشر السرير بكثرة في بعض المجتمعات . وهنا دخل عامل أيضًا يفرق بين الأغنياء والفقراء وهو السرير . فالأثاث المنخفض والذي ليس له أرجل كان أكثر انتشاراً في بعض الأجواء الاجتماعية في العالم الإسلامي .. أي الفراش على الأرض - ولكن فيما بعد انتشر السرير ذو الأرجل وبالأخص في المجتمع الراقي(٣) .

، البلوي (أبو الحجاج يوسف بن محمد) : ألف باء ، المطبعة الوهبية ، القسم الأول ، ص١٣١

وقد استاء سيدنا عمر بن الخطاب عندما رأى سرير سيدنا محمد وفرشه المتواضع فقد كان تحت رأسه ﷺ وساده من آدم حشوها ليف وما بين جلده وبين السرير ثوب .

انظر : البخاري (محمد بن إسماعيل) : كتاب الأدب المفرد يرويه عنه أحمد بن محمد بن الجليل البزار ، طبع معارف نظارات ، جليلة سنك / خصيتله طبع أولنمشدر ، ١٣٠٩هـ ، ص٢١٨

ومن الجدير بالذكر أن الرسول ﷺ استخدم السرير في الصلاة فعن زوجته عائشة رضي الله عنها قالت « كان رسول الله ﷺ يصلي وسط السرير وأنا مضطجعة بينه وبين القبلة تكون لي الحاجة فاكره أن أقوم فاستقبله فانسل انسلالا » .

انظر : العيني : المصدر السابق ، جـ١٠ ، ص٥٠٣

واستخدم السرير منذ بداية الإسلام كدكة للجلوس ، فقد جاء في الأدب المفرد للإمام البخاري الآتي : « حدثنا تميم قال حدثنا وكيع عن موسى بن دهقان قال رأيت ابن عمر جالسًا على سرير عروس عليه ثياب حمر وعن أبيه عمر أن بن مسلم قال رأيت أنسا جالسًا على سرير واضعًا إحدى رجليه على الأخرى »

انظر : البخاري : المصدر السابق ، ص٢١٨

(١) المصدر نفسه ، نفس الصفحة .

(٢) انظر ما جاء عن ذلك بتاريخ ربيع الأخر سنة ٤١٥هـ في :

المسبحي : أخبار مصر ، الجزء الأربعون ، تحقيق وكتابة المقدمة لأيمن فؤاد سيد وتياي بيانكي - القسم التاريخي ، المعهد الفرنسي ص٣٩

(3) Sadan: Le Mebilier au Proche Orient Medieval, Leiden, 1976, P. 43.

وبالنسبة للأسرة ذات الإطار نجد أنه منذ أوائل الإسلام كان للسرير إطار ، حتى سرير سيدنا محمد كان له إطار[1] وقد جاء ما يوضح ذلك مما روته السيدة عائشة عن هذا السرير أنه « له عمود » وقوائمه ساج »[2] فكون السرير له قوائم من خشب الساج وأعمدة إذا فكان له إطار وكون هذا السرير استخدم لحمل الموتى بعد وفاة الرسول كما سبق وإن ذكرنا فهذا يؤكد أيضًا أنه كان له إطار .

وتوجد الأسرة ذات الإطار للاتكاء مصورة في القرن العاشر الميلادى وهذا دليل على أن هذه العادة انتشرت ابتداء من ق ٤ هـ/١٠م ، وفي القرنين العاشر والحادى عشر للميلاد عم استخدام السرير ذى الإطار في الأوساط المترفة[3] .

وقد جاء ذكر السرير فى مواضع كثيرة فى ألف ليلة نذكر منها على سبيل المثال ما جاء فى حكاية قمر الزمان بن الملك شهرمان أن الملك أمر المماليك أن يحلوا كتاف ابنه ويحبسوه فى برج من أبراج القلعة وذلك لأمر صدر منه - فعند ذلك دخل الفراشون القاعة التىفى البرج فكنسوها ومسحوا بلاطها ونصبوا فيها سريرًا لقمر الزمان وفرشوا له على السرير طراحة ونطعا ووضعوا له مخدة » . وكانت الطراحة من الأطلس المعدنى لها وجهان وهى محشوة بريش النعام »[4] .

وفى تصاوير القرن ٧هـ/١٣م صورت الأسرة بكثرة - وعليها مفرش بديع تملؤه الزخارف النباتية والهندسية وطرفه المتدلى تجاه لأرض يأخذ شكل شبه نصف

---

(1) J. Sadan: Meubles et Accultivation sous les premiers Califes (Annales ecanomies Societes Civilisations 25 Annee – No. 5 September – October 1970), P. 1358.

(٢) البلاذرى : المرجع السابق ، جـ١ ، ص٥٢٥

(3) Sadan: Le Mobilier, PP. 43, 44.

(٤) ألف ليلة وليلة « طبعه مزينة بالرسوم بنفقة دار الهلال ، مطبعة الهلال بالفجالة مصر ، ١٩٠١م ، الجزء الثانى ، ص٣٧ ، ٣٨

دائرة متكـــررة - ونلاحـظ مـن خـلال هـذه التصـاوير أن الأسـرة اسـتخدمت للنـوم والجلوس والأكـل[1] .

ومن الجديـر بالذكر أن سرير الزواج كان يزخرف بأبيـات مـن الشـعر تمجـد الحب[2] . وهنا نجد أن الأديب العربى تضافر مع النجار المسلم لكى يبدو السـرير تحفـة فنية رائعة .

ويختلف نوع السرير تبعًا لطبقات المجتمع فالطبقات المتوسطة ينام الرجل وزوجتـه على سرير واحد من جريد النخل توضع عليه حشية ومخدة ليستريح عليها الرأس ومـلاءة تفرش فوق الحشية والمخدة . وغطاء الصيف خفيف ، ويسمى « حراما » . أمـا غطـاء الشتاء فغليظ محشو بالقطن ، ويسمى « لحافا » .

وقد توضع الحشية على الأرض إذا لم يوجد سرير ، أو توضع اثنتان معًا واحـدة فوق الأخرى ، وكثيرًا ما يكتنفها مسندان من مساند الديوان .

وتعلق الكلة فوق السـرير بأربعة خيوط تشـد إلى مسـامير تـدق فـى الحـائط وينصب السرير شتاء فى غرفة صغيرة تسمى « خزنة » ، وصيفًا فى غرفـة واسـعة . ويطوى فرش السرير نهارًا ويوضع على جانب أو فى الخزنة السـابق ذكرهـا . وعنـد

---

(1) انظر ما جاء من تصاوير للأسرة فى كتاب :

د. ثروت عكاشة : فن الواسطى من خلال مقامات الحريرى ، أثر إسلامى مصور ، دار المعـارف بمصر ١٩٧٤م ، الورقة ١٦٠ ، ظهر الورقة ١٦٢ ، ظهر الورقة ١٦٤ ، وجه الورقة ١٦٦

(2) مثال ذلك :

إن طيف الخيـال أرق عينـى ... ما لعينى ومـا لطيـف الخيـال

جمـع الله بيـن كـل محـب ... قـد جفاه الحبيب بعد الوصـال

انظر :

الوشاء : (أبو الطيب محمد بن إسحاق بن يحيى) : الموشى أو الظرف والظرفاء - تحقيق كمـال مصطفى ، الخانجى ١٩٥٣م ، الطبعة الثانية ، ص٢٣٣ ، ٢٣٤

اشـــتداد الحر ينام أغلب النـــاس على أسطح المنازل أو فى « الفســـحة » وهـــى غرفـــة لأسقف لها[1] .

وفى الطبقات العليا كات الأسرة تصفح بالذهب والفضة ، كما ســـبق أن ذكرنـــا أو تصنع من العاج . وذلك الذى يقول فيه القائل :

والله للنــــوم علــــى الديبــــاج علــى الحشايــا وسريــر العــاج[2]

ومن الجدير بالذكر أنه لم يكن بالمنزل الإسلامى حجرات خاصة للنوم ، أو علـــى الأخص حجرات بها أثاث للنوم كما هو معروف عندنا الآن ، وذلك لوجود حجرات كثـيرة منفصلة يمكن أن ينام فيها أهل البيت ، ولكن لم تكن لوجود حجرات كثيرة منفصلة يمكـــن أن ينام فيها أهل البيت ، ولكن لم تكن أى من هذه الحجرات قد أعدت لتكون خاصة للنـــوم أو أن بها أثاثا خاصًا به .

وكل ما يلزم القاهرى فى أثناء الليل حشية ومخدة ، وربما احتاج الأمر إلى بطانيـــة فى الشتاء وناموسية فى الصيف . وكل هذه الأشياء يطويها فى الصباح ثم يودعـــــها فـــى خزانة خاصة أو فى حجرات جانبيه وعند ذلك تتحول حجرة النـــوم فجـــأة إلـــى غرفـــة للجلوس[3] .

وكانت الطبقات الميسورة من مسلمى العصور الوسطى تستخدم للنوم – ربما كــــان ذلك – مرتبة صغيرة من التيل المحشوة بالقطن التى توضع على البســـاط وكـــان يوضـــع على هذه المرتبة ملاءات من التيل وغطاء كبير من الصوف أو القطن والمخـــدة الطويلـــة والمخدات الصغيرة تملأ بريش النعام أو ريش الأوز ، وفى الصباح تطوى هذه المراتـــب

(١) وليم لين : المصريون المحدثون ، شمائهلم وعاداتهم ترجمة عدلى طاهر نور ، القـــاهرة ١٩٧٥م ، الطبعة الثانية ، ص١٣٨ ، ١٣٩

(٢) عبد الله عفيفى : المرجع السابق ، جـ١ ، ص١٣٥

(٣) ستانلى لينبول : سيرة القاهرة ، ترجمة عن الإنجليزية د. حسن إبراهيم حســـن وآخـــرون ، مكتبـــة النهضة المصرية ١٩٥٠ ، ص٣٤

وتغطى بغطاء مربع وتوضع فى جانب الجدار وتستخدم فى الجلوس[1] . وللأسف لم يبــق لنا الزمن نموذجًا واحدًا لسرير من العصر المملوكى ولحسن الحظ عوضتنــا عــن ذلـك المخطوطات المصورة . ومنها يتضح لنا شكل السرير فى هذا العصــر فـهو مسـتيطل الشكل منخفض يبدو أن أرجله خرطت بالمخرطة[2] (لوحة ١) ، وهــذا السـرير يشـبه أســرة ما قبل العصر المملوكى فـى بدايـة القـرن ٧هـ/١٣م كمـا يتضـح مـن المخطوطات[3] .

ووجـدت الأسرة المنخفضة فيما بعـد العصـر المملوكـى فـى القـرون ١٠ - ١٣هـ/١٦ - ١٩م . ونجد نماذج ملموسة منها من العصـر العثمـانى بمتحـف جـاير اندرسون (لوحة ٧) ، وهنا نلاحظ أن الأسلوب الفنى للسرير لم ينته بانتهاء عصر معيـن بل أصبح من حيث الشكل والارتفاع واحدًا والارتفاع واحدًا تقريبًا فى العصور الوسـطى والعصر العثمانى أيضًا . وليس ما يدعيه صناع الأثاث الآن مـن المدنيـة والتقـدم فـى صناعة الأسرة المنخفضة إلا تقليدًا إلى ما سبقهم فيه فنانو ونجـارو العصـور الوسـطى الإسلامية .

---

(1) Mazaheri, A.: La Vie Cuatidienne des Muoulmans au Moyen Age Xe au XIIIe. Siecle, Paris, 1951, P. 79.

(2) Duncan Haldane: Op. Cit., P. 70, PL. 28.

(٣) د. ثروت عكاشه : المرجع السابق ، الورقة ١٦٠ ، وجه الورقة ١٦٦ ، ظـهر الورقـة ١٦٢ ، د. عيسى سليمان : الواسطى يحيى بن محمود بن يحيى رسام وخطاط ومذهب ومزخـرف - مطبعـة التايمس - وزارة الإعلام - العراق ١٩٧٦م ، لوح ٢٨

Roche Products on the Market, November 1980, PL. 6 P. 37.

٢ - الدولاب :

لم يرد ذكر الدولاب[١] - كقطعة أثاث فى جهاز العروس - فى المصادر القديمة التى ورد بها وصف لجهاز العرائس فى مصر المملوكية . وذلك ربما مرجعه لاستخدامهم الصناديق والبقج (الصرر) فى حفظ الملابس . فمثلاً يذكر كلوت بك أنه ليس لدى الشرقيين دواليب لحفظ الثياب لأنهم يكتفون فى صيانتها ، بجعلها صرراً تحيط بها مناديل كبيرة تسمى (البقجة) ويتخذون لكل نوع من الثياب بقجة خاصة به وهذا يجعلها أيسر حملا وأسهل استعمالاً عند الحاجة[٢] .

وأيضًا لوجود دواليب حائطية ثابتةبالجدران منتشرةبأرجاء المنزل فىالعصر المملوكى - كما يتضح من الوثائق[٣] - كانت تستخدم لحفظ الكتب والطرائف وربما لحفظ الملابس .

وكان لهذه الدواليب مصاريع مصنوعة من الخشب المزخرف برسوم الأرابيسك المحفورة أو الأطباق النجمية المجمعة والمطعمة بالعاج والصدف[٤] وهذا لا يمنع من وجود دواليب ولكن بصورة نادرة ، فمثلاً تنقل لنل وثائق الحرم القدسى فى عصر المماليك أن الدواليب ورد ذكرها فى أربع وثائق فقط من مجموع ٣٤٤ وثيقة اعتنت بالتركات ، وكانت من نوع دواليب الخشب والحجر[٥] .

وبالنسبة لتاريخ الدولاب فيرى متز أن الدواليب لم تكن معروفة فى الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى[٦] .

---

(١) تطلق لفظة دولاب على خزانة الملابس ، وعلى دلو الماء ، عجلة البئر التى تستعمل لإخراج الماء . د. عبد النعيم محمد حسنين : المرجع السابق ، ص٢٦٩

(٢) كلوت بك : لمحة عامة إلى مصر ، تعريب محمد مسعود ، ١٩ ، الجزء الثانى ، ص٣٦ ، ٣٧

(٣) د. عبد اللطيف إبراهيم : وثيقة الأمير آخور كبير قرقجا الحسنى - مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، المجلد ١٨ - الجزء ٢ ، ديسمبر ١٩٥٦م مطبعة جامعة القاهرة ، ١٩٥٩م

(٤) د. سعاد ماهر : محافظات الجمهورية العربية المتحدة وآثارها الباقية فى العصر الإسلامى ، القاهرة ١٩٦٦م ، ص١٣٩ ، ١٤٠ .

(٥) محمد عيسى صالحيه : المرجع السابق ، ص٣٣

(٦) آدم متز : الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الرابع الهجرى ، ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريده ، الطبعة الثالثة ، الجزء الثانى ، ص٢١٦

ويذكر سادان أن العالم الإسلامى فى العصور الوسطى لم يكن يعرف دواليب حقيقية على الأقل يجب أن نستخلص أن هذه الأشياء كانت نادرة .

ولنتخيل مثلاً منزلاً من العصور الوسطى فى بلد من بلاد الشرق الأوسط فهى خالية تقريبًا فى نظر المحدثين ولا تحتوى إلا على بعض الأشياء المنخفضة وأمام نظرة كهذه بالنسبة للأثاث فإن الدولاب الحديث الثقيل أو الضخم لم يكن له مكانة .

ويجب أن نكون حذيرين إذا ترجمنا اللفظ العربى خزانة بدولاب ، وحقيقى أنه فى اللغة العربية الحديثة تشير هذه الكلمة إلى دولاب ، إلا أنه فى العصور الوسطى كان من السابق لأوانه أن نتكلم عن مثل هذه القطعة من الأثاث فإذا سلمنا بهذا فلندرس دولاب من القرن الثالث عشر كما نراه فى المخطوطات فى عمل من أعمال ديسقوريدس وهنا نتساءل هل شكل هذه القطعة من الأثاث تشير إلى قطعة مستعملة بالفعل فى الحضارة الإسلامية ، ويبدو أنه من المنطقى أنها أدخلت فى هذه المخطوطة تحت تأثير الفن البيزنطى إذا فهو أحد العناصر الغير إسلامية التى تظهر فى كل هذه المجموعة من المخطوطات وعدم وجود دواليب بالشكل المتعارف عليه لا تعنى أن مسلمى القرون الوسطى لم يتخذوا قطعًا أخرى من الأثاث تؤدى نفس وظيفة الدواليب الحديثة . فاستخدموا الدخلات الحائطية والأرفف والشماعات والصناديق[1] .

وخير مثال على وجود الدخلات والدواليب الحائطية نجدها فى منازل السحيمى[2] والمسافرخانه[1] ومنزل جمال الدين الذهبى[2] ومنزل الكريتلية[3] (لوحات ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤) وهى منازل أنشئت فى العصر العثمانى على نمط المنازل المملوكية .

---

(1) Sadan, J.: Le Mobilier, P. 137.

(٢) يقع هذا البيت بشارع الدرب الأصفر بالجمالية ، وقد أنشأه الشيخ عبد الوهاب الطبلاوى فى سنة ١٠٥٨هـ/١٦٤٨م ، ويتكون من قسمين أحدهما قبلى والآخر بحرى . أما القبلى فقد أنشأه الشيخ عبد الوهاب سنة ١٦٤٨م . والقسم البحرى فقد أنشأه الحاج أسماعيل بن الحاج إسماعيل شلبى عام ١٢١١هـ/١٧٩٦م وأدمجه فى القسم الأول وجعل منهما بيتًا واحدًا .

(١) تقع المسافرخانه بقصر الشوق بالجمالية درب المسمط (١١٩٣ - ١٢٠٣م (١٧٧٩-٨٨) .

(٢) يقع هذا المنزل بحارة خشقدم بالغورية ، شيده جمال الدين الذهبى كبير التجار بمصــــر فــى عـام ١٠٤٧هـ/١٦٣٧م .

(٣) تتألف هذه الدار من بيتين ، هما بيت محمد بن الحاج سالم الجزار ، وبيت السيدة آمنة بنت ســالم ، ويقعان شرقى جامع ابن طولون ، فيمر بينهما دهليز يوصل إلى الباب الشرقى لهذا الجامع . فـالبيت الأول وهو الذى يعرف الآن باسم بيت الكريدلية يقع على يمين الداخل من هذا الدهليز إلى باب الجامع ، بينما يقع البيت الثانى إلى يساره ، ولكن البيتين متصلان بممر فوق هذا الدهليز محمول على عقد ، وبيت الكريدلية يرجع إلى سنة ١٠٤١هـ/١٦٣١م ، وقد أنشأه الحاج محمد بن المرحوم الحاج ســالم بن المرحوم الحاج جلمام الجزار .

وتدل بعض الأساليب والزخارف المعمارية فى باب بيت آمنة بنت سالم على أنه يرجع إلى عصـــر السلطان قايتباى (١٤٦٨هـ/١٤٩٥م) ولعله آل بعد ذلك إلى صاحب بيت الكريدليه .

وقد اتيح لهذين البيتين أن يعود إليهما ما كان لهما من روعة وجمال حين تقدم الميجور جاير اندرسون سنة ١٩٣٥م وكان من بين الضباط الإنجليز الذين خدموا الحكومتين المصرية والإنجليزية فــى وادى النيل ، إلى لجنة حفظ الآثار طالبا أن تعين هذين البيتين على أن يقوم بتأثيثهما على الطراز العربى ، ويعرض فيهما مجموعته الأثريو النفسية ، وعلى أن يصبح الأثاث والتحــف النفســية ملكًــا للأمــة المصرية بعد وفاته أو مغادرته البلاد .

انظر : د. عبد الرحمن زكى : القاهرة تاريخها وآثارها (٩٦٩- ١٨٢٥) من جوهر القــائد إلــى الجبرى المؤرخ . الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦م ، ص٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٧ ، ٢٣٨

وعن متحف بيت الكريدلية (متحف اندرسون) انظر :

محمود الحديدى : تحف بيت الكريدلية (متحف اندرسون) ، دليل موجز الطبعة الثانيــة - مطــابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٩م ، ص١٣ ، ١٤

٣ - الأريكة :

الأريكة جوسق أو خيمة بداخلها سرير ويفرق الزمخشرى بين اللفظين أريكة هـى سرير مزخرف ومزين وسرير هو سرير بسيط[١] . ويتفق كل من ابن الأثير[٢] والسيوطى[٣] فى أن الأريكة هى السرير فى الحجلة[٤] من دونه ستر ولا يسمى منفرداً أريكة وقيل هو كل ما اتكئ عليه من سرير أو فراش أو منصة[٥] .

وقد جاء ذكر الأرائك فى القرآن الكريم عند وصف الجنة فمثلاً « متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمسًا ولا زمهريرًا »[٦] . « أن أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون هم وأزواجهم فى ظلال على الأرائك متكؤن »[٧] .

واستنادًا لما جاء فى القرآن الكريم وما جاء فى التفسير اللغوى لكلمة أريكة[٨] نستطيع أن نقول أن الأريكة تطلق على الكرسى ذو الظهر والمسندين المخصص للجلوس

---

(1) Sadan: Le Mobilier, P. 34.

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٣٢

(٣) السيوطى (جلال الدين) : الدر النثير تلخيص نهاية ابن الأثير ، جـ١ ، ص٣٢ .

(٤) الحجلة مثل القبة وحجلة العروس معروفة وهى بيت يزين بالثياب والأسرة والستور .
ابن منظور : المرجع السابق ، جـ١٣ ، ص١٥١ .

(٥) جمعها مناص وهى تطلق على الكرسى الذى ترفع عليه العروس فى جلائها ، أو الثياب المرفعة والفرش الموطأة .
وهى تختلف عن السرير فى الاستخدام ، وفى العصور الوسطى أطلق لفظ منصة على سرير الزوجية أو على الكرسى الذى تجلس عليه العروس يوم عرسها .
انظر : الوشاء : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص٢٣٢ حاشية (١) .
Sadan: Le Mobilier, P. 35. ،
هذا وتطلق اللمنصة على المكان الذى تجلس فيه العروس .
د. عبد النعيم محمد حسنين : المرجع السابق ، ص٦٩٢

(٦) القرآن الكريم : سورة الإنسان : الآية ١٣

(٧) القرآن الكريم : سورة يس : الآية ٥٦

(٨) ومن أطرف ما كتب على أريكة :

جعلت محلة البلوى فؤادى — وسلطت السهاد على رقادى
دعينى لا أبوح بكل وجدى — أليس النار من طرفى زنادى
وبت خلية وسلبت نومى — أما استحيا رمادك من سهادى

انظر : الوشاء : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص٢٣٢

والاتكاء وعلى السرير او الدكة المخصصة للنوم إذا فالأريكة كـــانت مـــن بيـــن جـــهاز العروس .

كما تطلق الأريكة على منصة العروس ذلك الكرسى الذى تجلس عليه العروس ليلـــة زفافها وهو كرسى ذو مسندين وظهر ومظلة وهو من الخشب المطعـــم بالعـــاج والمرايـــا وتوجد منه أمثلة بمتحف اندرسون (لوحة ٢٩) ، متحف المنيل (لوحة ٣٠) والمتحـــف الاثنوجرافى (لوحة ٣١) .

٤ ـ الدكة[١] :

فى العصر المملوكى كان لا بد أن يكون فى شورة العروس دكة نحـــاس مكفــت ، والدكة عبارة عن شئ يشبه السرير يعمل من خشب مطعم بالعاج والأبنوس أو من خشـــب مدهون »[٢] .

« وكانت العروس من بناء الأمراء أو الوزراء أو أعيان الكتاب أو أمـــاثل التجـــار تجهز فى شورتها عند بناء الزوج عليها سبع دكك : دكة من فضة ودكة من كفــت ودكـــة من نحاس أبيض ودكة من خشب مدهون ودكة من صينى ودكة من بلور ودكـــة كداهـــى وهى آلات من ورق مدهون تحمل من الصين »[٣] .

ويبدو أن هذه الدكة كانت مرتفعة يلزمها سلالم للصعود فقد كان جـــهاز العـــروس يحتوى أحيانًا على العديد من سلالم الدكك[٤] .

هذا وقد وجدت الدكة للجلوس فى المنزل المملوكى فقد جاء فى ابن أيـــاس بتـــاريخ المحرم سنة ٨٥٧هـــ/١٤٥٣م ذكر سلطنة الملك المنصور أبى الســـــعادات فخـــر الديـــن عثمان ابن الملك الظاهر جقمق محمد العلاى فبعد انفضاض موكب السلطان عند ما بيعتـــه لمرض والده عاد إلى سكنه بالحوش السلطانى ولم يدخل الدهيشة مراعاة لوالده . « فطلـــع

---

(١) (دك) الدال والكاف أصلان : أحدهما يدل على تطامن وانسطاح . من ذلك الدكان . أبو الحســـن أحمد بن فارس بن زكريا : معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، الجزء الثـــانى ، الطبعة الأولى بالقاهرة ١٣٦٦هـــ ، ص٢٥٨

، الدكة والدكان الذى يقعد عليه .

الجوهرى : أبو إسماعيل بن حماد) : كتاب تاج اللغة وصحاح العربية .

طبع بمطبعة بولاق بمصر ، ١٢٨٢هـــ ، جـــ٢ ص١٣٤

الدكة بالفتح والدكان بالضم بناء يسطح أعلاه للمقعد .

الفيروز أبادى الشيرازى : المرجع السابق جـــ٣ ، ص٣٠١ ، ٣٠٢

(٢) المقريزى : الخطط ، جـــ٢ ، ص١٠٥

(٣) نفس المصدر والصفحة .

(٤) على مبارك : الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة ، مطبعة دار الكتب ١٩٦٩م ، الطبعة الثانية ، الجزء الثانى ، ص٣٢٩

الأمير دولات بأى الدوادار ، وباس الأرض للملك المنصور وهو جالس على التكة بالحوش »[1] . وهنا نلاحظ أنه أطلق على دكة الجلوس لفظ « التكة » .

وقد ورد فى موضع آخر فى ابن اياس وبتاريخ رجب سنة ٩٠٥هـ/١٤٩٩م ، فى عهد الظاهر قانصوه أنه « فى رجب تزايدت عظمة الملك الظاهر قانصوه هذا ، فجلس على الدكة التى بالحوش ، ونصب سحابة جديدة صنعها من المخمل المذهب ، وبها رنوك زركش ، فجاءت غاية فى الحسن ، فجلس على الدكة والسحابة على رأسه ، وطلع القضاة الأربعة للتهنئة بالشهر ، وكان موكب حافلاً »[2] .

ويذكر مظاهرى أنه كان يوجد بحجرات الاستقبال - لدى منازل مسلمى العصور الوسطى - مصاطب عريضة من الخشب الثمين قليلة الارتفاع وكانت توضع بطريقة متقابلة[3] .

وخلاف ذلك وجدت دكك عبارة عن جلسات مبنية[4] فى الحوائط وفوقها كان يوضع الفرش والحشايا المنجدة . وهنا نجد البساطة فى المنزل الإسلامى بطريقة لاتشغل فراغاً من مساحة الحجرات فكانت الدواليب حائطية والدكك مبنية فى الحوائط . ويحتفظ كل من منزل السحيمى والمسافرخانه بالعديد من الدكك الخشبية وكذلك نجد الدكك الخشبية والدكك المبنية من الحجر منتشرة بأرجاء متحف بيت الكريتلية[5] .

---

(١) ابن اياس (محمد بن أحمد) : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٣٠١ ، ٣٠٢
ويذكر المحقق أن لفظ التكة وجد كذا فى الأصل سطر ٢٢

(٢) المصدر نفسه ، ط١ ، جـ٣ ، ص٤٢٩

(3) Mazaheri, Op. Cit., P. 78.

(٤) وفى حديث أبى هريرة ، فبنينا له دكانا من طين يجلس عليه الدكان الدكة المبنية للجلوس عليها والنون مختلف فيها فمنهم من يجعلها أصلاً ومنهم من يجعلها زائدة . انظر : ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٢٩

(٥) انظر لوحات رقم ١٥ ، ١٨

٥ ـ صندوق العروسة :

كان الصندوق من أهم قطع جهاز العروس وخاصة فى القرنين الخامس عشر السادس عشر للميلاد ، وكان فى بادئ الأمر بسيط التركيب والصناعة ثم أخذ فى الرتقاء مع الحضارة متمشيًا معها إلى أن زين بأنواع التطعيم الثمين والحفر الدقيق .

وبالإضافة إلى أن الصندوق كان يعتبر الأساسى فى جهاز كل عروس ، فقد كان يعتبر أيضًا من أهم قطع الأثاث عند الناس عامة[1] .

وصندوق العروسة من الأشياء الضرورية والهامة فهو ملك العروسة تضع فيه كل حاجياتها الخاصة .

وفى الداخل من الناحية اليمنى توجد عرضة طويلة مستطيلة يوضع فيها الخيط والإبر والمقصات وكل ما ينفع الخياطة .

وقد اختلف الصندوق باختلاف الطبقة التى تنتمى إليها العروس ، فإذا كانت بنت فلاح أو من تساويها من الطبقة الدنيا يكون صندوقها بسيطًا ورخيصًا مصنوعًا من الخشب الأبيض حجمه متوسط مدهونًا باللون الأصفر الفاقع مزينًا برسومات هندسية بسيطة باللون الأحمر القرمزى والأسود بخطوط كبيرة واضحة وأحيانًا يزين بعصفورين بنهاية واجهة الصندوق .

أما العائلات المتيسرة فيختارون صندوقًا ذو قيمة متوسطة مزينًا بعناصر ظريفة وأحيانًا يطعم .

أما الأثرياء من الأمراء والقضاة والولاة وكبار التجار فكانوا يدفعون غاليًا فى صندوق العروسة فكان الصندوق يطعم بالعاج والأبنوس والصدف على نمط عربى وكل هذا يزين الواجهة والجوانب والغطاء . وهذا الصندوق من ناحية الشكل الطويل أكثر منه عريض وله غطاء متحرك وقفل بمفاتيح[2] .

---

(١) محمود كامل السيد : القيم الفنية فى الصندوق الشعبى فى مصر وتطبيقاتها فى إشغال الخشب بالمرحلة الإعدادية ، رسالة ماجستير ، مخطوطة بكلية التربية الفنية ، جامعة حلوان ، ١٩٧٢م ، برقم ٤٧٨ ، ص٣٩

(2) Rashud, H.: « Sendouk El Aroussa ou le coffre a Trousseau, Egypt Traval Magazine, Juin, 1957 (Edition Francaise) N. 34, PP. 17-20.

وتوجد منه أحجام كبيرة يكون فيه الغطاء عريضًا بما فيه الكفاية لكى يجلس عليه شخص كما ورد فى نص تاريخى وحجم الصندوق كبير بدرجة أنه يمكن التمدد على الغطاء والنوم عليه . وهناك قصص أخرى من أطراف القصص فى الأدب العربى تحكى لنا كيف أن رجلاً اختبأ بتمدده داخل صندوق[1] .

ويرى مزاهرى أن هذه الصناديق مزدوجة بمعنى أن الحجرة وحسب حجمها تحتوى على صندوقين أو أربعة وبعض هذه الصناديق فخمة من النحاس المكفت بالفضة أو الذهب وهناك صناديق عادية من الخشب المغطى بالجلد الملون وكلها كانت مكسوة من الداخل بالتيل وبها قفل متين وكانت تستخدم لوضع الملابس عامة والملابس الداخلية خاصة[2] . هذا وقد جاء ذكر الصناديق الخشب لخزن الملابس ضمن وثائق الحرم القدسى الشريف[3] .

ويطلق على صندوق العروسة أحيانًا الصوان[4] أو السحارة[5] ونظرًا لأهمية الصندوق كقطعة أثاث ضرورية فى جهاز كل عروس من كافة المستويات وللأقبال الشديد على شرائه وجد فى عصر المماليك سوق أطلق عليه سوق (الصناديقيين) الذى وصفه المقريزى قائلاً : « هذا السوق تجاه المدرسة السيوفية كان موضعه فى القديم من جملة المارستان ثم عرف بفندق الدبابلين وقيل له الآن سوق الصنادقيين وفيه تباع الصناديق والخزائن والأسرة مما يعمل من الخشب »[6] .

ومن بين الأشياء التى ذكرها المقريزى وهو يصف كنوز الخلفاء الفاطميين كانت العلب والصناديق وذكرها بهذا الترتيب سقط – تخت – صندوق – فيبدو أن هذا الترتيب يشير إلى العلاقة بين هذه الأشياء الأصغر فالأكبر .

---

(1) Sadan: Le Mobilier, P. 144.

(2) Mazaheri, Op. Cit., P. 79.

(٣) صالحية : المراجع السابق ، ص٣٧

(٤) عبد الله عفيفى : المرجع السابق ، جـ١ ، ص١٣٦

(٥) حسن خطاب : الزراعة والمجتمع الريفى فى مصر ، الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٨١م ، ص٩٣

(٦) المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص١٠٢

- فالصندوق يعني صندوق كبير .

- تخت صندوق أصغر متوسط أو علبة .

- سفط ، صندوق صغير . علبة جواهر .

ومن المنطقي أن تكون الصناديق في العصور الوسطى الإسلامية ذات الأشكال المتعددة ذات وظائف مختلفة(١) ، فمثلاً نجد صندوق حفظ المصحف الشريف - وهو في مجلد واحد - يكون كبيرًا يأخذ شكل المجلد ، وصندوق حفظ الربعة الشريفة (والربعة هي المصحف مجزًا إلى ثلاثين جزًا) - يكون مقسمًا من الداخل إلى ثلاثين جزءًا(٢) ، صناديق لحفظ الحلي والمجوهرات (شكمجيات) لها إدراج عديدة بمفاتيح ، وصناديق حفظ المال وصناديق حفظ الملابس وحفظ الكتب والمخطوطات .

وفي المنزل كان لكل شئ صندوق يتناسب مع شكله وحجمه ، وهنا يمكننا تخيل ربة بيت من العصور الوسطى تفتح وتقفل على فترات مختلفة أثناء النهار صناديق من أحجام مختلفة لإخراج أشياء تلزمها(٣) . وكان جهاز العروس المملوكية يحتوى على العديد من الصناديق المختلفة(٤) ، فمما يذكر أنه كان بجهاز بنت أحد الأمراء من « صناديق الحوائج ماه ستة حمالين » ويحتفظ كل من متحف قصر المنيل (لوحة ٢٣ ، ٢٩) ومتحف جاير اندرسون (لوحة ٢٥) وبعض القصور (كقصر المطرية) بالعديد من الصناديق الخشبية الكبيرة لحفظ الملابس ، ولكنها تعود إلى فترة متأخرة من العصر المملوكي .

ومن صناديق متحف قصر المنيل صناديق بديعة على طراز الركوكو كانت ملك السلاطين العثمانيين باستانبول بالقرن الـ ١٨ ومنها صندوق مزين بالتاج المصري كان ملك عباس حلمي الثاني خديوى مصر الذى تنازل فى عام ١٨١٤م .

---

(1) Sadan: Le Mobilier, P. 142.

(٢) انظر : فايزة محمود عبد الخالق الوكيل : أثاث المصحف فى مصر فى عصر المماليك ، رسالة ماجستير ، مخطوطة بكلية الآثار ، جامعة القاهرة ص١٠٠ - ١١٢ .

(3) Sadan: Le Mobilier, P. 142.

(٤) على مبارك : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص٣٢٩

٦ - الكرسى :

كان الكرسى من الأثاث الخشبى الذى يحتويه جهاز الهروس المملوكيـة ويبـدو أن الجهاز كان به العديد من الكراسى بأنواع مختلفة فمثلاً كان بجهاز ابنـة الأمـير بكتمـر الساقى عروس آنوك ابن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون «الكراسى اثنى عشـر حمالاً وكراسى لطاف[١] أربعين حمالاً»[٢] .

هذا ويفسر اللغويون العرب لفظ كرسى بمعنى الجلـوس دون تفـاصيل وبـالفعل تنطبق هذه الكلمة على مجموعة كبيرة من أشكال الأثاث كحـامل القـرآن الكريـم فـى المساجد يسمى كرسى ، ويطلق نفس اللفظ للإشارة إلى المقاعد الفخمة التى يجلس عليـها الحكام والقضاة إذا فهو أثاث خارج المسكى الاعتيادى .

وفى العصور القديمة كان الناس يفرقون بألفاظ مختلفة بين المقاعد الثقيلة التى لـها ظهر ومساند وبين الكراسى التى ليس لها ظهر ولا مساند واللفظ المستخدم فى العصـور الوسطى فى العالم الإسلامى هو « كرسى » يجمع جميع الألفاظ العامة داخلة[٣] .

- كرسى ليس له ظهر ولا مسند .

كان كتاب العصور الوسطى عندما يذكرون كرسى بظهر ومسند فهم يضيفون لـه صفة أو مفعولاً به لأن الشكل المعتاد هو الكرسى الذى ليس له مسند ولا ظهر .

هذا ونجد بالنسبة للتصاوير الأولية لهذا المقعد أنه ما زالت به آثـار مـن المقـاعد اليونانية والرومانية ذات الظهر والمساند بينما التصاوير التى جاءت بعد ذلك للكرسـى لا تشير إلى المساند وتشوه الظهر والتشويه فى التصاوير إذا هو مبدأ يشير إلى المقعد الـذى

---

(١) لطف الشئ بالضم يلطف لطافة ، أى صغر فهو لطيف ، لطف الشئ من باب ظرف .
الجوهرى : الصحاح تاج اللغة ، وصحاح العربية ، تحقيق أحمد عبد الغفـور عطـا ، دار الكتـاب العربى ، القاهرة ، الجزء الرابع ص١٤٢٦ حاشية (٣) ومن هنا تفسير « كراسى لطاف » بأنـها الكراسى الصغيرة الظريفة .

(٢) على مبارك : المرجع السابق ، ص٣٢٩

(3) Sadan: Le Mobilier, PP. 123, 124.

ليس له مسند أو ظهر هو الذى كان منتشرًا بينما لم يكن هناك إلا نادرًا الكراسى ذات الظهر والمسندين التى كانت مخصصة للمناسبات الرسمية والحفلات[١].

ويذكر سادان رأيا عن فييت[٢] يقول : « إن مصر الفرعونية كانت تعرف الكرسى بينما لا يظهر الكرسى فى العصر الإسلامى » .

وللرد على هذا الرأى نقول أنه بالنسبة لوجود الكرسى فى مصر الفرعونية فهذه حقيقة لا يختلف عليها اثنان وخير شاهد على ذلك ما يحتفظ به المتحف المصرى من أثاثات منها كراسى بمسند وكراسى متقاطعة وأيضًا ما حفظ من نقوش ذلك العهد وتماثيله من مناظر تضم صور لكراسى بمسند[٣] وكراسى من النوع الذى يمكن طيه (متقاطع) ولكن قوله بعدم ظهور الكرسى فى العصر الإسلامى فهذا الرأى لا يجانبه الصواب ولا تؤيده الشواهد التاريخية والأثرية ، فمثلاً جاء فى المصادر أن الرشيد كان يجلس على كرسى فى صحن داره[٤] ، وجاء أيضًا فى ألف ليلة وليلة فى حكاية هارون الرشيد مع محمد الجوهرى جاء ذكر أنواع للكرسى ، كرسى من الذهب مرصع بالجواهر ، وكرسى من العاج المصفح بالذهب الوهاج[٥] .

ويذكر سادان استنادًا إلى المصادر المكتوبة والمراجع الأثرية والتصويرية أن الكراسى التى ليس لها ظهر أو مسند كانت منتشرة[٦] .

---

(1) Sadan: Op. Cit., P. 123, 126.

(٢) ذكر سادان هذا الرأى Sadan: Le Mobilier, PP. 123, 126.
لفييت نقلاً عن كتاب له وهو :

- G. Wiet: dans Histoire Generale des Technique (editeur, M. Dumas), I, P. 349.

(3) John R. Harris: Op. Cit., PP. 10-12, PL. 2, 4, 12, 13, 14.

(٤) ابن منظور : مختار الأغانى فى الأخبار والتهانى ، القاهرة ، ١٩٦٥م ، الجزء الأول ، ص١٥٠

(٥) ألف ليلة وليلة ، جـ٢ ص١٧٢ ، ١٧٣

(6) Sadan: Le Mobilier, PP. 123, 126.

وفى اجتماعات الأصدقاء التى ورد وصفها فى المصادر العربية والتى جاء ذكر فخامتها يجلس المدعون على كراسى مختلفة مصنوعة من مواد مختلفة مثل المخدات والكراسى .

وتحليل وظائف المخدات دلنا على نمط معين للارتفاعات تبعًا لأهمية الأشخاص ومن ثم فإن المقعد يزيد من أهمية الشخص الجالس عليه بالنسبة للذين يجلسون على المخدات . وأعلى الكراسى كانت الأشخاص الأكثر احترامًا[١] . وفى القرن الثانى عشر استخدم الكرسى من الخوص فى بيع الدقيق للطحان . وهذا الكراسى لا تشكل جزءًا من أثاث المنزل ولكن تؤدى وظيفة عامة خصصت للكراسى فوجود الكرسى يظهر بوضوح حتى فى الحياة اليومية الإسلامية والقرون الوسطى وليس هناك أى سبب لإنكاره .

ومع ذلك فالكرسى يلعب دورًا خاصًا أو بالأصح محدودًا عند أهل العصور الوسطى ، ولا يستخدم دائمًا كمقعد اعتيادى ، فالمائدة الصغيرة الإسلامية كانت لا تساعد على استخدامه .

وأهم ما يميز الكرسى هو خفته وهذه الصفة مؤكدة عن طريق نصوص كثيرة فى الأدب العربى تشهد بعادة نقل الكرسى إلى المكان المراد . وعامة توضع الكراسى فى مخزن أو يبدو فى مدخل حجرة المعيشة وتحضر فقط أولاً بأول عند الحاجة[٢] .

والأدلة الأدبية تجعلنا نفترض أن الكراسى ترتفع إلى مستوى الكراسى الحالية وأن المسافة بين الكرسى والأرض خالية ، فهذا يعنى بالأخص كراسى ذات أرجل[٣] .

وهناك نموذج واحد من كرسى حجرى يرجع إلى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى وليس مرتفعًا يبدو كأنه كرسى مستديرًا صغير بدون ظهر . والحجر مادة تدوم على مر العصور ولكن فى القرون الوسطى الكراسى الصغيرة الخشبية التى بدون ظهر - ولم تصلنا - كانت أكثر انتشارًا .

(1) Ibid, P. 128.

(2) Ibid, P. 128.

(3) Ibid, P. 129.

وإذا كنا من ناحية أخرى نلاحظ فى منمنمة من أواخر القرن السادس الهجرى الثانى عشر الميلادى ، كرسى أميرى بمسند يبدو لأول وهله أنه كبير جدًا ويجب علينا دراسته من قرب ونلاحظ أن النظرة الأولى كانت خاطئة .

وإذا كانت أحجام الكراسى تبدو كبيرة جدًا فذلك يرجع إلى العلاقة أو النسبة بين الأمير والأشخاص الذين يحيطون به والذين صوروا بشكل أصغر وفى الواقع يجب تقدير الارتفاع الفعلى للكرسى انطلاقًا من أحجام الأمير فقط ومن ذلك نستنتج أن ارتفاع الكرسى لم يكن عاليًا جدًا [1] . وفى العصور الوسطى الإسلامية كانت هناك كراسى ذات أرجل مستقيمة وذات أرجل متقاطعة .

وفى العالم البيزنطى يمكن ملاحظة النوعين فى المخطوطات ، ويبدو أن التقاليد قد استمرت لوجود هذين الشكلين من الكراسى فى العالم الإسلامى[2] .

وتوضح لنا المخطوطات المصورة فى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى وجود الكرسى ذو الأرجل المستقيمة مثالاً لذلك مخطوطة الواسطى[3] .

كما نجد الكرسى ذو الأرجل المستقيمة والمسند فى تصويره ترجع إلى القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى[4] (شكل ٦) .

وفى التصوير المملوكى نجد الكرسى ذو الأرجل المستقيمة فى تصويره أخرى[5] (لوحة ٦) .

ونجد الكرسى ذا الأرجل المستقيمة والمسند والمتكأين بصورة فخمة يجلس عليه أمير فى تصويره فى مخطوطة مقامات الحريرى (من المحتمل أنها من مصر فى سنة

---

(1) Ibid, P. 130.

(2) Ibid, PP. 123-133.

(٣) انظر د. ثروت عكاشة : المرجع السابق ، اللوحات : وجه الورقة ٢١ ، وجه الورقة ١٠٧ ملون .

(٤) بشر فارس : كيف زوقت العرب كتب الفلسفة والفقه ، مستخرج من منشورات المعهد الفرنسى فى دمشق ، بيروت ، ١٩٥٧م ، لوحة ٧ .

(5) Haldane, D. Op. Cit., P. 102, PL 68.

١٣٣٤م)[١] . نجد الكرسي ذا الأرجل المتقاطعة في تصويره من مخطوط خواص العقاقير لديسقوريدس[٢] ، ونجده أيضًا في تصويره من كتاب الأغاني يرجح أنها من الموصل (شمال العراق) ١٢١٨ - ١٢١٩م ، وهي محفوظة باستانبول[٣] ، هذا وقد جاء في الوثائق ذكر الكرسي في بيوت سكان مدينة القدس المملوكية[٤] .

ونظرًا لأهمية الكرسي بأنواعه المتعددة - في المنزل فكان لا بد من وجوده في شورة العروس المملوكية .

- كرسي العمامة :

لقد كانت العمامة موضع الاحترام والتبجيل ، ويوجد لها في منزل الأثرياء ، كرسي توضع عليه ليلاً ولا يستعمل لغير الغرض .

وكثيرًا ما يعد هذا الكرسي في جهاز العروس ، كما كان من المعتاد أيضًا أن يكون للمرأة كرسي آخر لغطاء رأسها[٥] .

وإذا كان هذا معتادًا في القرن ١٣هـ/١٩م ، فيرجح أنه كان متبعًا أيضًا في عصر المماليك خاصة وأنه قد تخلف عن هذا العصر صناديق من النحاس المكفت بالذهب والفضة لحفظ العمامة ، فمن المحتمل أن عروس مصر المملوكية كانت تصطحب معها في جهازها كرسيان أحدهما لعمامة زوجها والثاني لغطاء رأسها . وعن كرسي العمامة انظر (شكل ٧) عن بريس دافين[٦] .

---

(1) Richard Ettinghausen: Arab Painting, New York 1977, P. 148.

(2) Roche Products on the Market, May 1980, P. 23, PL. 3.

(3) Richard Ettinghausen: Op. Cit., P. 63.

(٤) د. صالحية : المرجع السابق ، ص٣٣

(٥) لين : المرجع السابق ، ص٣٧ ، ٣٨

(6) Prisse D' avennes: L'Art Arabe D' apres les Monuments du kaire depius le VIIe Sucle Jusqu' a la fin du XVIIe me Siecle Paris 1864-1877. PL-XXV.

أما عن صندوق العمامة فيحتفظ متحف كلية الآثار بمثال له من النحـــاس المكفــت بالذهب والفضة (لوحات ٢٣١ ، ٢٣٦) يرجع إلى عصر المماليك البحرية ويحمل كتابــه باسم السلطان الملك الناصر محمد .

ويجدر بنا ونحن نتحدث عن أنواع الكراسى أن نذكر كرسى المصحف[١] الذى كـان موجوداً فى المنازل لوضع المصاحف والكتب عليه أثناء القراءة .

(١) وعن كرسى المصحف (الرحل) فى عصر المماليك تاريخه وطريقة صناعته واستخداماته . انظر : فايزة محمود عبد الخالق الوكيل : المرجع السابق ، ص١٧ – ٤٦

٨ ـ المفروشات :

يأتى بعد إعداد الأثاث الخشبى تجهيز لوازم السرير من مراتب ولحف ومفارش وحشايا ومخدات هذا عدا ما ينتشر فى أرجاء المنزل - على الدكك والأرائك والكراسى والسجاد - من نمارق ومتكآت ومساند ومساور ووسائد ومرافق ومدورات وستائر .

(أ) اللحاف :

استعملت الألحفة فى العصر المملوكى - فى مصر وخارجها - كغطاء عند النوم سواء كان اللحاف سمطًا (بدون بطانة) أو مبطنا وقد عرف مجتمع بيت المقدس فى القرن ٨هـ/١٤م أنواعًا مختلفة من الألحفة منها الحفة بوجوه قدسية مربعة ببطانات زرق أو بوجه جوخ أحمر وأخضر ببطانة بيضاء أو بوجه طرح ، وقد يكون لونه أزرقًا وحشوه قطن على ملاءة قطن أو أزرق مختلط ببطانه بيضاء أو جوخ أزرق ببطانة حمراء ، وأحيانا يوضع فوق اللحاف ملاءة تركب على ظهره لتقيه من الأوساخ وتجعله أقدر على منع البرد[١] .

هذا وقد جاء ذكر استخدام أهل دمشق - فى العصر المملوكى - للحف فيذكر ابن طولون تحت حوادث ٢٩ جماد آخر ٨٩٤هـ/١٤٨٩م الآتى : « وفى أواخر ليلة السبت تاسع عشرية وقع مطر كثير شديد ، بغته والناس نيام فوق الأسطحة ، فى أيار ، فبل الفرش واللحف والمخاد »[٢] .

ويحتفظ متحف الإسلامى بالقاهرة من اللحف منها لحافين الأول برقم سجل ٢٣٩٠٥ - وهو يرجع إلى عصر المماليك - أحد وجهيه لونه أحمر غامق وعليه زخارف مطبوعة تتكون من شكل معين فى الوسط داخله أشكال هندسية وحوله أشكال مستديرة شبه زهرات أو لوزية بداخله زخارف نباتية وعلى الجانبين الطويلين أشكال مستديرة شبه زهرات كبيرة وتحد المعين من الجانبين القصيرين أشرطة متوازية بها تقسيمات هندسية

---

(١) د. صالحية : المرجع السابق ، ص٣٥

(٢) ابن طولون : (شمس الدين محمد) : مفاكهة الخلان فى حوادث الزمان ، القاهرة ، ١٩٦٢م ، القسم الأول - ص١٠٥

وأزهار وشبه كتابة وذلك باللونين الأبيض والبني الغامق ، وحالة اللحاف رثة وفاقد أجزاء كثيرة منه وألوانه باهته . طوله ١٨٠سم وعرضه ١٤٠سم .

والثانى برقم سجل ٢٣٩٠٦ على أحد وجهيه جزء من شريط زخرفى عرضه ٢٠سم - وطوله ٦٧سم بخيوط مذهبة وعلى الشريط بقايا زخارف تتكون من ثلاث دوائر يتوسط كل منها رسم طائرين متقابلين حولهما إطار به حيوانات متتابعة وبين الدوائر شبه كتابة كوفية .

واللحاف فى حالة رثة وبالية وفاقد أغلب معالم الزخارف والتذهيب . طوله ١٩٠سم - وعرضه ١٥٠سم .

(ب) المرتبة :

وعلى السرير توجد مرتبة حشيت قطنًا وقد وضعت على سجادة وغطيت بملاءة من قماش وأغطية من صوف أو قطن[1] .هذا بالنسبة للأغنياء من الناس الذين يستخدمون الأسرة فى النوم ، أما الطبقات الاجتماعية المتوسطة فيستخدمون المرتبة كسرير وكنبة فى نفس الوقت .

قد جاء ذكر المرتبة كثيرًا فى قوائم الجهاز والتى تشير إلى أن الأشخاص الميسورين يستخدمون شيئًا بين الفرش البسيط الموضوع على الأرض والسرير ذى الإطار والذين لا يستطيعون شراء سرير يغطيه فرش أو كنبة يختارون المرتبة .

وكلمة مرتبة تطورت من الرتب - مرتبة الشخص - ففى أيام معاوية كانت توضع المخدات فى مجلس الأمير وكان يوضع للحاشية فى المجلس مخدات كل حسب مركزه ، الكبير مخدة كبيرة وضخمة والأقل أهمية مخدة صغيرة وذو الدرجة الكبيرة مخدات كثيرة فوق بعض . ومن هنا أخذت هذا الاسم وأصبحت فى الأثاث ، وعند الخلفاء الفاطميين وضعت المراتب على العرش ولكن أحجامها كانت ضخمة .

---

(١) أولج فولكف : القاهرة مدينة ألف ليلة وليلة (٩٦٩- ١٩٦٩) ترجمة : أحمد صليحة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦ ، ص١٠١

ويلاحظ أن العرش كان متيناً بينما المرتبة طرية من أجل راحة الجالس[1] ويذكر دوزى فى شرحه لكلمة مرتبة « إن أماكن الجلوس فى الردهة التى تسبق المكان الذى يجلس فيه الخليفة العباسى لاستقبال الناس أو الذين يقومون بعمله كان كل شخص يجلس حسب مرتبته وهو نظام وضعه المنصور .

وتأتى كلمة مراتب ومخدات من اللغة الأسبانية - وربما استخدم جزءاً من الحجر أو الخشب على شكل دكة مغطى بالسجاد كمرتبة أو سرير عروس[2] .

وفى وثائق الجينيزا استخدمت كلمة مرتبة بمعنى فراش للمبيت وإلا كيف يمكن تفسير أن كل جهاز العرائس به هذه المرتبة .

ويغطى المراتب أقمشة منتقاه ويزينها ثلاثة أو أربع أو خمس قطع من القماش المنجد وهذا يبين لنا أنه يمكن استخدامها أثناء النهار والليل وهذا يذكرنا بالكنبة سرير فى العصر الحديث[3] .

(جـ) المخـدة :

استخدمت المخدات والمساند فى منازل العصر الإسلامى بصفة عامة . وكانت من جهاز العروس فى مصر المملوكية فمثلاً كان بأحد نماذج الجهاز من « المساند المزركشة على أربعين حمالاً ، والمدورات ستة عشر حمالاً »[4] .

واستعملت المخدات والوسائد لراحة الناس عند الجلوس أو عند النوم ، ويبدو أنها كانت مثل تلك المعروفة فى زماننا حيث تحشى قطعة قماش وتوضع فى كيس ، وكان القماش المستعمل يختلف بحسب الحالة الاجتماعية فقد يكون قماشها من الحرير أو المشتهر أو القماس العادى وتحشى بالقطن أو تحشى بورق الموز واللبد الأبيض ، أما ألوانها فتكون زرقاء أو بيضاء ، أو بيضاء بكيس أحمد أو زيتى حرير وأحياناً تطرز

---

(1) Sadan: Le Mobilier, P. 55.

(2) Dozy: Op. Cit., I, P. 508.

(3) Sadan: Le Mobilier, PP. 52-56.

(٤) على مبارك : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص٣٢٩

بالحرير الأحمر أو الأبيض[1] . أو تكون المخدة كما جاء في ألف ليلة وليلة : « من الديباج الأحمر المزركشى بالذهب محشوة بريش النعام »[2] .

واستخدمت المخدة فى غرض القتل فقد اتفقت جارية أم الأمير يلبغا اليحياوى (٧٥٠هـ/١٣٤٩م) « مع عدة من الجوارى على قتل سيدتها ، وقتلوها ليلاً بأن وضعن على وجهها مخدة ، وحبسن نفسها حتى ماتت »[3] .

وكان للمخدات أكياس من القماش لحفظها وهذه الأكياس كانت مجالاً خصبًا لكتابة الأشعار بالتطريز[4] .

ويحتفظ متحف الفن الإسلامى بعدد من المخدات وأكياس المخدات منها مخدة من قماش أبيض مملوءة بالقطن - سجل رقم ١٢٤٩٢ - ترجع إلى العصر الفاطمى ، عليها سطر كتابة كوفية ارتفاعه ٥,٥سم يقرأ بها التاريخ وهو سنة « ست وسبعين وثلثمائة » طولها ٠,٢٨ م وعرضها ٠.١٩ م ، عثر عليها فى عين الصيرة ، مخدة من القطيفة برقم ١٠٠٢٩ .

كما يحتفظ أيضًا ببعض الأكياس منها كيس مخدة رقم سجل ٩٣٨٥ من قماش أبيض بوسطه شريط زخرفى مطرز بالحرير الأصفر أعلاه وأسفله سطر كتابة مطرز

---

(١) د. صالحية : المرجع السابق ، ص٣٤

(٢) ألف ليلة وليلة ، جـ٢ ، ص١٤٩

(٣) المقريزى : السلوك : جـ٢/قسم ٣ ، ص٧٩٩

(٤) مثال ذلك :

يا راقد الليل ممن شفه السقم ... وهذه قلق الأحزان والألم
جد بالوصال لمن أمسيت تملكه ... يا أحسن الناس من قرن إلى قدم

انظر : الوشاء : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص٢٣٠

وقال النواجى فى وصف المخدة أو المدورة :

فى نفع ولذة للنفوس ... وحياة وراحة للجليس
كم نديم أرحته باتكاء ... وتواضعت عند رفع الرؤوس

انظر : النواجى (شمس الدين محمد بن الحسن - ت ٨٥٩هـ) : حلبة الكميت فى الأدب والنوادر المتعلقة بالخمريات - ص١٠٥

بالحرير الأحمر وبالمخدة غير الشريط الأوسط شريطين أخريين بهما زخـارف مستديرة مطرزة بالحرير الخضر يحيط بهما خط من حرير أصفر وهى متآكلة جدًا وفاقد منها عـدة أجزاء الطول ٠,٣٧ والعرض ٠,٣١٠ م .

ويوجد به أيضًا عدد (٢) كيس مخدة نوم قماش من حرير أحمر طرفيـها مسـنن وعليها زخرفة بالتلى . الطول ١,٠٢ م - العرض ٠,٤٨ م وهى ترجـع إلـى العصـر العثمانى .

ويحتفظ كل من متحف اندرسون قصر النيل بالكثير من المخدات .

(د) الوســادة :

استخدمت الوسائد - فى العصور الوسطى الإسلامية - للنوم ولكن وظيفتها كمقعـد كانت مميزة .

ففى المنزل الإسلامى حيث كان كل شئ يتم بالقرب من الأرض كانت الوسائد تقـوم بدور المقاعد . وهذه الوسائد توضع بطريقة بسيطة فيتم تحديد صدر المكان حيث يجلـس أهم شخص فى الاجتماع وتوضع الوسائد حوله ، وهى بارتفاعات مختلفـة تبعًـا لأهميـة الأشخاص[1] .

فالوسائد هى الاسم الأصلى بينما مخدة نوع معين من الوسائد ..

ويستنتج من هذا أن الوسادة طويلة حتى أنه يمكن ثنيها وفى أغلب الحالات يكـون الكلام عن المقعد يساوى الكلام عن الوسادة .

ونلاحظ أيضًا بوضوح أن استعمال الوسادة للرأس وأرد بينما المخدة أصلاً كـانت صغيرة وتستخدم كمقعد أو للظهر ، وكلمة مخدة أتت من أن الخد يتكئ عليها لذلـك فـهى أصغر من وسادة.

وأخيرًا فكلمة مخدة هى التى سيشيع استخدامها وتكون للاستعمال العام وليس فقـط للاتكاء.

---

(1) Sadan: Le Mobilier, PP. 99, 100.

ونلاحظ اندماج كلمتى وسادة ومخدة فى جينيزا القاهرة فجاء ذكر المخـــدة بكـثرة بينما اختفت كلمة وسادة . فنجد أحياناً مخدة للخد ، فإن كان لفظ مخـــدة احتفـظ بمعنـاه الأصلى فلم يكن محتاجًا لهذا التعريف إنما كلمة مخدة أصبحت عامة[1] .

وجاء بالمصادر ذكر الوسادة للجلوس وللاتكاء وللنوم ، فبالنسبة للجلوس فقد ذكـــر البلوى أن الرسول ﷺ - كانت وسادته من آدم[2] حشوها ليف وكان يكـــرم بــها جليســه وربما ألقاها إليه وجلس هو عليه الصلاة والسلام على الأرض »[3] .

واستخدمت الوسائد للجلوس فى مجلس معاوية بن أبى سفيان[4] . وجاء على لســان الشعراء[5] ذكر الوسادة المثنية للجلوس وهذا يعنى أن الوسادة كانت كبــيرة وهـذا يؤكـد استنتاج جورج سادان السابق الذكر .

وقد جاءت الوسادة للاتكاد ، فيذكر ابن الأثير « لا يزال أحدكم كاسرا وسادة يتكـئ عليه»[6] .

---

(1) Sadan: Le Mobilier, P. 105.

(٢) آدم بفتح أوله وثانيه . بلفظ الأدم من الجلود وهو جمع أديم وأديم كل شئ ظاهر جلده . انظر :
ياقوت : معجم البلدان ، مطبعة السعادة بمصر ، ١٩٠٦م ، الطبعة الأولى ، المجلد الأول ، ص٢٦٢

(٣) البلوى : المصدر السابق ، جـ٢/القسم الأول ، ص٧٨

(٤) الجاحظ البيان والتبيين ، ط١ ، جـ١ ، ص٢٥

(٥) مدح بعض الشعراء عبد العزيز بن زرارة الكلبى فقال :

وعنـد الكلابى الذى حـل بيته ... بجـو سـماء مـاض وصبوح
ومكسـورة حمـر كان متونهـا ... نسـور إلى جنب الخوان جنوح

ومكسورة تعنى وسائد مثنية .
انظر : الجاحظ : الحيوان ، القاهرة ١٩٠٧م ، جـ١ ، ١٠٧
ومدح زياد بن عمرو العتكى عبد الرحمن بن زياد - الذى قلده معاوية خراسان سنة ثمان وخمســين وكان ضعيفًا سخيا - قائلاً :

سألنـــاه الجزيـل فمـا تلكـا ... وأعطـى فـوق منيتنـا وزادا
وأحسـن ثم أحسـن ثم عدنـا ... وأحسـن ثـم عـدت لـه فعادا
مـرارًا لا أعـــود إليـــه إلا ... تبسـم ضاحكـا وثنـى الوسادا

الجهشيارى : الوزراء والكتاب ، ص٢٩

(٦) ابن الأثير : النهاية ، جـ٢ ، ١٤٧

كما جاءت الوسادة للنوم فيقال أن وهب بن منبه[1] رضى الله عنه ما وضع جنبه على الأرض ثلاثين سنة كانت له وسادة من آدم إذا غلبه النوم وضع صدره عليها »[2] .

ويحتفظ متحف الفن الإسلامى بالقاهرة ببعض الوسائد منها وسائدتين - من العصر العثمانى - الأولى برقم سجل ٢٢٥٢٢ وهى محشوة بالقطن عليها من الوجهين أشرطة زخرفية أحد الوجهين عليه أربعة أشرطة بها زخارف مطرزة بالألوان الأخضر والأسود والأحمر والآخر عليه بقية أربعة أشرطة مطرزة باللونين الأصفر والأسود . وهى ممزقة وفاقد منها أجزاء كبيرة طولها ٤٣سم - عرضها ٣٠ سم والثانية برقم سجل ٨٧٤٢ وسادة من حرير محشوة بالصوف وحريرها مزخرف بأربعة أشرطة من زخارف بلون أحمر وأبيض وأصفر يفصلها خمسة أشرطة أخرى أصفر من السابقة مزخرفة بزخارف نباتية بلون أبيض وأحمر وأصفر على أرضية سوداء وهى متآكلة الطول ٠,٣٨٠ م العرض ٠,٢٩٠ م عثر عليها جهة مقابر عين الصيرة . وإلى جانب مخدة ووسادة هناك وسائد متنوعة .

وأحياناً نجد لفظين أو أكثر للوسائد جنبا إلى جنب فى جملة واحدة فى نص واحد ، إذا فكل لفظ من هذه الألفاظ يستعمل محدد ولا يستعمل هباء . ومجموعة الألفاظ التى تشير إلى وسائد تكون مجموعة أثاث بعض منها مخصص للظهر وآخر للكيعان .

وهذه المجموعة ذات أهمية كبيرة لمعرفة الحياة الإسلامية ، فى العصور الوسطى لأنها تبرهن على أن الكراسى الثقيلة والمعقدة كانت غير ذات أهمية لأن تكوين الوسائد كان يقوم بنفس الوظيفة .

والصفة المميزةللمخدات تغير وظائفها بالرغم من أن كل مخدةمن المخدات التىسوف نجدها مخصصة أصلاً لوظيفة بعينها إلا أننا نقابل كثيرًا مخدات تستخدم بطرق مختلفة[3] .

---

(١) هو أبو عبد الله وهب بن منبه اليمانى ، صاحب الأخبار والقصص وكانت له معرفة بأخبار الأوائل وقيام الدنيا وأحوال الأنبياء ، توفى فى المحرم سنة عشر ، وقيل أربع عشرة ، وقيل ست عشرة ومائة بصنعاء اليمن ، وعمره تسعون سنة ، رضى الله عنه .
انظر : ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر) وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان المجلد السادس ، تحقيق د. إحسان عباس ، ص٣٥

(٢) البلوى : المصدر السابق ، جـ٢ / القسم الأول ، ص٧٨ ، ٧٩

(3) Sadan: Le Mobilier, P. 100.

(هـ) المرفقــة :

عند ذكر مرفقة إلى جانب مخدات أخرى مثل وسادة ومخدة أو مرتبــة فــى نفــس النص يجدر بنا أن نستنتج من هذا أن مرفقة تعنى نوعًا مختلفا له شكلاً ووظيفــة خاصــة بعينها .

ومن الجملة مرافق – المطارح نستنتج بوضوح من هذا أن تكون تشــكيل مرفقــة ومطرح يعنى مجموعة يمكن الاستناد عليها . فمرفقة مخدات للكيعــان ومطــارح مرتبــة للجلوس .

والمعنى الأصلى لكلمة مرفق (كوع) يشير إلى الوظيفة مرفقة أتت مــن مرفــق ولكن رغم ذلك فإن هذا الاستخدام الخــاص ليــس ضروريًــا وســكان المــنزل يمكــن يستخدمونها للجلوس والنوم .

وبالنسبة لشكل المرفقة فيبدو أنها كانت مستديرة فى الشــرق الإســلامى[1] وربمــا كانت هى التى أطلق عليها المدورة[2] فى جهاز العروس المملوكية .

ويذكر ابن الأثير أن المرفقة كالوسادة وأصلها من المرفق[3] . وجــاء بنهايــة ابــن الأثير أيضًا استخدام المرفقة كوسادة للجلوس[4] .

(و) المســورة :

مخدة مسورة أى مغلقة بالجلد وهذه خاصيتها ، وعندما تظهر كلمة مخدة ومســورة فى نفس الوقت يجب إذا أن تفسر على أنهما كلمتان غــير متطــابقتين . هــذا وتســتخدم المسورة أيضًا كمرفق وللجلوس عليها .

---

(1) Sadan: Le Mobilier, P. III.

(٢) تظهر المخدة المستديرة فوق سرير فى :
د. ثروت عكاشة : المرجع السابق ، ظهر الورقة ١٦٢

(٣) النهاية ، جـ٢ ، ص٩٩

(٤) المصدر نفسه ، ص١٨٨

وغطاء المسورة الجلد يمكن أن يحشي بنفس المواد التـي تحشـى بـها الوسـائد الأخرى. وربما تغلف بالنسيج الذى يزخرف بالتطريز[1] .

واستخدمت المسورة للاتكاء أيضًا وأطلق عليها (تكأة) يتكئ الشـخص عليـها إذا جلس[2].

(ز) نمـرق (نمرقـة)[3] :

ممكن تقرأ نمرق أو نمرق . وهو مخـدة أو سرج[4] والنمرقة جمعـها نمـارق - ومنها وسائد وبسط وهي جميعها ذات وشي مرقوم[5] .

وتأخذ النمرقة شكل مستطيل يمكن ثنيه لخلق جلسة مرتفعة من هذا المنطلـق فـهو يقابل الوسادة ، والوسادة هي اللفظ العام . وتستخدم النمرقة كمخدة للاسـتناد[6] . وأيضًـا جاء ذكر النمرقة على إنها مخدة للجلوس فمما يروى أن عائشة رضى الله عنها « اشـترت نمرقة فيها تصاوير ، فقام النبى ﷺ بالباب ، فلم يدخل ، فقلت : أتوب إلى الله مما أذنبـت ، قال : ما هذه النمرقة ؟ قلت : لتجلس عليها وتوسدها » إلى آخر ما جـاء فـى الحديـث والنمرقة هنا الوسادة وتطلق أيضًا على المثيرة والطنفسة فوق الرحل[7] .

---

(1) Sadan: Le Mobilier, PP. 112, 113.

وقد ورد ذكر مسورة عليها تطريز – مطرزة في التوحيدى والبصائر والدهائر جـ٣ ص٤٧

(٢) بدرى محمد فهيم : القاضى التنوخى وكتاب النشوار ، بغداد ، ١٩٦٦ ، ص٢٧ ، ٢٨

(٣) النمرق والنمرقة مثلثة الوسادة الصغيرة أو المثيرة أو الطنفسة فوق الرحل .

الفيروز أبادى الشيرازى : المرجع السابق ، ط٣ ، جـ٣ ، ص٢٧٨

وقد ذكر الله تعالى النمارق فى سياق وصف الجنة « فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة ونمـارق مصفوفة وزرابى مبثوثة » .

القرآن الكريم : سورة الغاشية الآية ١٥ ، ١٦

(4) Sadan: Le Mobilier, P. 113.

(٥) عبد الله عفيفى : المرجع السابق ، جـ١ ، ص١٣٥

(6) Sadan: Le Mobilier, P. 113.

(٧) أحمد تيمور : التصوير عند العرب ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشـر ، ١٩٤٢م ، ص٢٨

(ح) متكـــأ - توكـــأة :

المتكأ[1] هو وسادة للاتكاء[2] ، وهو مرتبة صغيرة أو مســـند للظـــهر مريـــح جـــدًا يستخدم للقيلولة أو للسهر . وبعد ذلك أصبح هذا اللفظ يشير إلى مخدة للظهر أو حتى إلـــى كرسى له ظهر[3] .

(ط) المســـند :

ولفظ مسند[4] يعنى حرفيا الذى يتكئ كان يطلق أصلاً على الوســـائد التـــى تعمـــل للظهر فقط ولكن جاء ذكره فى بعض النصوص على أنه مكان للجلوس له ظهر .

واستخدام المخدات للظهر وجد منذ العصور الأولى للحضارة الإسلامية ، ومن أقـــدم الرسومات الإسلامية فريسكو من القرن التاسع بسامراء واضح عليها هذا الاستخدام .

ولكن منذ القرن ٤هـــ/١٠م استخدمت المصادر لفظ معين لهذه المساند وهو مســـاند الظهر ومن هنا يبدو أنه كان لهذه المساند شكلاً مختلفًا . وتشير المخطوطـــات المصـــورة التى ترجع إلى القرن ٧هـــ/١٣م بوضوح أن شكل هذه المساند ليـــس كبقيـــة المخـــدات . والنهايات العليا لمساند الظهر هذه مدببة بشدة[5] حتى يمكن أن نفكر أن المخـــدة مشـــدودة

---

(١) المتكئ فى العربية كل من استوى قـــاعدًا على وطـــاء متمكنا والعامة لا تعرف المتكئ إلا من مـــال فى قعوده معتمدًا على أحد شقيه والتاء فيه بدل الواو واصلـــة من الوكاء وهو ما يشد بـــــه الكيـــس وغيره كأنه أوكأ مقعدته وشدها بالقعود على الوطاء الذى تحته .

انظر :

ابن الأثير : المصدر السابق ، جـــ١ ، ص١٤٠

(٢) جاء ذكر المتكأ للاتكاء فى :

الجاحظ : البخلاء ، بيروت ١٩٥٧م ، ص١٨٢

(3) Sadan: Le Mobilier, PP. 113, 114.

(٤) المسند : الوسادة التى يسند إليها . والمسورة : التى يتكأ عليها . والمخدة : للرأس . والمنبذة : التـــى تنبذ أى تطرح للزائر . والوسادة : تجمعها كلها .

انظر هنريكوس لامنس اليسوعى : فرائد اللغة ، الجزء الأول فى الفـــروق ، المطبعـــة الكاثوليكيـــة ببيروت ، سنة ١٨٨٩ ، ص٤٥٣

(٥) عن شكل المســـاند ذات النهايات المدببة ، انظر : د. ثروت عكاشـــة : المرجع الســـابق ، وجـــه الورقة (٦٤) ، وجـــه الورقة ٢٥ ، وجـــه الورقـــة (٢١) ، وجـــه الورقـــة (٢٨) ملـــون ، وجـــه الورقة (١٢٥) .

بحبال غير مرئية فى نهايتها العليا ، وبالفعل وجدت فى بعض التصاوير كراسى خشبية صلبة بها عصيان خشب ربطت عليها هذه الوسائد[1] . واستخدام هذه العصى هو الذى أوجد الشكل الخاص لوسائد الظهر التى درسناها وهذا المسند للظهر له وظيفة فى الأثاث محددة وواحدة ولا يمكن أن تستخدم للنوم مثلاً وذلك بخلاف بعض المخدات التى يمكن أن تستخدم كمساند للظهر[2] .

(ى) الحشايا :

وبالإضافة إلى ما سبق وجدت الحشايا - ومفردها حشية - وهى مقاعد محشوة تبسط على الأرض للجلوس وفوق السرير للنوم ، وقد يبالغون فى حشوها فيتخذونه من ريش النعام فإذا ازداد حشوها وارتفع سمكها فهى الوشائز[3] .

وربما وضعت الحشايا على يمين الجالس ويساره ليتكئ عليها[4] . كما استخدمت للنوم بوضعها على السرير ويتضح ذلك مما جاء على لسان امرأة من نساء العرب غاب عنها زوجها فى بعثة بأمر عمر بن الخطاب وقد سمعها عمر وهو يطوف ليلاً فى المدينة[5] .

---

(١) والذى يؤكد أن هذه المساند كان لا بد لها من عصيان تربط بها أو حبال تشدها . أننا نرى فى بعض التصاوير أن يوجد خادمات أحدهما على اليمين والآخر على اليسار يمسكان بالمسند وذلك فى حالة ما يكون الجالس أميرًا أو قاضيًا أو ما شابه ذلك .

انظر :

د. ثروت عكاشة : المرجع السابق ، لوحة (وجه الورقة١١٨) ، ظهر الورقة (١٢٢) ملون وغيرها .

(2) Sadan: Le Mobilier, PP. 117, 119.

(٣) عبد الله عفيفى : المرجع السابق ، جـ١ ، ص١٣٥

(٤) ابن الأثير : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص٥

(٥) كانت هذه تقول :

تطاول هذا الليل وأسود جانبه ... وأرقنى أن لا خليل الاعبه
فوالله لولا الله لا شئ غيره ... لزعزع من هذا السرير جوانبه
وبت الآهى غير بدع منعما ... لطيف الحشا لا يحتويه مصاحبه
يلاعبنى فوق الحشايا وتارة ... يعاتبنى فى حبه وأعاتبه

انظر : التنوخى : المستجاد من فعلات الاجواد ، نشر وتحقيق محمد كرد على ، مطبعة الترقى بدمشق ، ١٩٤٦م ، ص٢٣٩

(ك) الركنيـــة :

جمعها ركنيات - وغالبًا ما يكون القصد منها تزيين مكـــان الجلـــوس أو وضعـــها كطويلة فى ركن البيت لتضفى جمالاً على المنظر ولذا فأما أن تكـــون مطـــرزة بحريـــر أزرق أو أحمر أو بحاشية زركشية ، وقد كانت بعض الركنيات بيضـــاء اللـــون مطـــرزة بحرير أزرق وأخرى بيضاء مطرزة بحرير أحمر ولها حاشـــية زركـــش وهـــى أشـــبه بالطويلات الصغيرة التى توضع فى ركن الغرفة[1] .

ونظرًا لورود هذه الركنيات فى وثائق الحرم القدسى المملوكية إذا فقد وجدت فـــى عصر المماليك بصفة عامة واشتمل جهاز العروس المملوكية عليها .

(ل) الســـتائر :

استخدمت الستائر بكثرة فى منازل مصر الإسلامية . فنظرًا لقلة وجود الأخشـــاب الجيدة بمصر فكان يستغنى عن استعمال الأبواب الخشبية التى تفصل غرفة عـــن أخـــرى باستعمال العقود فى الفتحات التى تغطى بستائر فتقوم مقام الأبواب[2] .

وكانت المنازل من الداخل سواء بالنسبة للأشـــخاص الميســـورين أو الأشـــخاص المتوسطى الحال ذات مظهر فخم وذلك مرجعه إلى الرسومات بالجص والفسيفســـاء ثـــم طريقة الفرش التى تتكون من الستر والطنافس[3] .

ويحتفظ متحف الفن الإسلامى ببعض قطع من الستور التى ترجـــع إلـــى عصـــر المماليك ، من بينها قطعة ستارة من قماش مخيش مطرزة بـــالحرير المختلـــف الألـــوان ومنقوش عليها زخارف نباتية وزخارف طيور ولا يزال باقيا بها الكثـــير مـــن خيوطـــها الفضية[4] .

---

(١) د. صالحية : المرجع السابق ، ص٣٥

(٢) د. سعاد ماهر : محافظات الجمهورية العربية المتحدة ، ص١٤٠

(3) Mazaheri, Op. Cit., P. 78.

(٤) د. محمد جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون فى مصر ، الناشر ، دار الفكر العربـــى ، مطبعـــة الاعتماد بمصر ١٩٤٧م ، ص٣٠٠

ومن الجدير بالذكر أن الستائر كانت من بين جهاز عروس مصر المملوكية مثال ذلك ما كان بجهاز ابنة السلطان الناصر محمد عروس الأمير على بن ارغون[١] .

وقد انتشر وجود الستائر فى منازل مصر الإسلامية ، فكان المعمارى نظرًا إلى قلة وجود الأخشاب الجيدة فى مصر - يستغنى عن استعمال الأبواب الخشبية التى تفصل غرفة عن أخرى باستعمال العقود فى الفتحات التى تغطى الستائر فتقوم مقام الأبواب[٢] .

ويطلق على الستائر - إذا وضعت على السرر أو دونها - الكلل واحدتها كلة وهى ستور رقيقة تقى من البعوض .

أما إذا شدت الستور المنمقة ذات الصور على جدران الغرف وحيطانها لتزدان بها أطلق عليها النجود[٣] .

وفى مصر الطولونية وجدت الستائر فى قصور الخلفاء ، ففى قصر خمارويه (بيت الذهب) وجد بيت أطلق عليه « الدكة » على مثال قبة الهواء التى بناها حاتم بن هرثمة عامل الأمير العباسى فى مصر على جبل المقطم حيث قلعة الجبل الآن - وضعت فيها الستائر لتقى الجالسين من الحر والبرد بحيث ترفع وتخفض عند الحاجة[٤] .

هذا وقد كان لأهل المغرب ستوراً تسمى بالحائطية لتعليقها بالحيطان للزينة[٥] ، ويرجح أنها لم تكن مزخرفة بالرسوم بل كانت تكتب عليها القصائد والمقطوعات الشعرية.

وفى العصر الفاطمى وجد بخزائن الفرش ستوراً تقارب الألف من الحرير المنسوجة بالذهب على اختلاف ألوانها وأطوالها منها صور الدول وملوكها والمشهورين فيها ، مكتوب على صورة كل واحد اسمه ومدة أيامه ، وشرح حاله[٦] .

---

(١) المقريزى : السلوك ، جـ٢ / القسم الأول ، ص٢٤٩

(٢) د. سعاد ماهر : محافظات الجمهورية ، ص١٤٠

(٣) عبد الله عفيفى : المرجع السابق ، جـ١ ، ص١٣٥ ، ١٣٦

(٤) أحمد تيمور : المرجع السابق ، ص١٨ ، حاشية ٧٧

(٥) نفس المرجع والصفحة .

(٦) نفس المرجع والصفحة .

الفصل الأول

ثانيًا : أدوات المطبخ

ثانيًا : أدوات المطبخ :

تنوعت أدوات المطبخ التى اشتمل عليها جهاز العروس ، إلى أدوات معدنية (من ذهب وفضة ونحاس كفت ونحاس بدون تكفيت) وخزفية وفخارية وخشبية وزجاجية وبللورية وحجرية ، والدليل على ذلك ما جاء بالمصادر والمراجع من ذكر لها وما يزخر به متحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، وغيره من المتاحف بالعديد من هذه الأدوات .

فقد وصفت آلات المطبخ – المملوكية – التى تعد فيها الأطعمة بأنها عجيبة أما أدوات الأكل ، فأنها تكون عبارة عن أوان من ذهب وفضة، وأنواع من الصينى الفاخر ، كذلك وجدت شوكات وملاعق ، وأن كان الأكل عادة يكون بالأصابع ، التى تغسل دائماً فى أباريق وطاسات وصحون واسعة معدة لذلك[1] .

وبالنسبة لأوانى الذهب والفضة[2] ، فالبرغم من أن الإسلام يحرمها إلا أننا نجد أن سلاطين وأراء عصر المماليك كانوا يستعملونها ويقتنون منها الكثير .

وكان جهاز العروس من بنات السلاطين يحوى العديد من أوانى الذهب . ومثال ذلك جهاز ابنة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون على ولد الأمير أرغون – نائب السلطنة بديار مصر – الذى عملت فيه " سائر الأوانى من ذهب وفضة ، فبلغت زنة الأوانى المذكورة ما ينيف على عشرة آلاف مثقال من الذهب "[3] .

---

(١) د. عبد المنعم ماجد : نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم فى مصر ، مكتبة الأنجلو ١٩٨٢م ، الطبعة الثانية ، الجزء الثانى ص ١١٨ .

(٢) يحرم الأكل والشرب والأدهان فى آنية الذهب والفضة للرجال والنساء وكذا كل استعمال كالأكل بملعقة الفضة والاكتحال بميلها واتخاذ المكحلة والمرآة والدواة من ذلك ويحل جميع ما ذكر من الزجاج والبللور والعقيق والنحاس والرصاص ونحوها ويحل الشرب فى الإناء المفضض .

انظر : محمد بن مصطفى : اللباب فى أحكام الزينة ، الجزائر ١٩٠٧م ص ٤٧ . ومن المكروه الأكل والشرب فى آنية الذهب والفضة لما روى عن رسول الله ﷺ فى الصحيح أنه قال لا تأكلوا فى الذهب والفضة ولا تشربوا فى صحفها فأنها لم فى الدنيا ولكم فى الآخرة .

انظر السيوطى : عمدة الفروض والآداب فى معرفة أحكام الطعام والشراب الذى يلى نظم السلوك فى مآكل الأمراء والملوك لعلى الخطيب فى مخطوط واحد – دار الكتب المصرية – صناعة تيمور رقم ١٧ ص ٧١ .

(٣) على مبارك : المرجع السابق ص ٣١٨ .

وكن بجهاز ابنة الأمير بكتمر الساقى - ٧٣٢هـ / ١٣٣٢م من الفضيات تسعة وعشرون حمالاً[١] .

هذا ويذكر المقريزى أن " العروس من بنات الأمراء أو الوزراء أو أعيان الكتاب أو أماثل التجار تجهز فى شورتها عند بناء الزوج عليه سبع دكك " من بينها دكة من فضة[٢] .

ويذكر المقريزى بشأن إصلاح دكة من الفضة خاصة بامرأة من بنات التجار تعرف بست العمائم كانت تعد للزواج من القاضى علاء الدين بن عرب محتسب القاهرة أنها عندما قارب يوم دخولها به أرسلت إليه وكيها ليخبره أنها بعثت إليه بمائة ألف درهم فضة خالصة ليصلح بها لها ما أختل من الدكة الفضة فأمر المحتسب بصناع الفضة وطلائها فشرعوا بإصلاح ما أرسلته ست العمائم من أوانى الفضة وإعادة طلائها بالذهب حتى أصبحت ذات منظراً بديعاً[٣] .

ومما يذكر أن السلطان الملك الصالح عماد الدين أبو إسماعيل ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون - ٧٤٦هـ/١٣٤٥م - انفق على الدهشية بالقلعة خمس مائة ألف درهم ثم عمل فيها من وانى الذهب والفضة ما يجل وصفه[٤] .

وجاء فى زبدة كشف الممالك أن بعض الخوندات (زوجات السلطان) " نصبت القاعة الكبرى المعروفة بالعواميد فكان من جملتها مواعين من ذهب وفضة "[٥] ، هذا وكانت حواصل المال التى بقصر قوصون تشمل ضمن ما شمل على أوانى ذهب وفضة[٦] .

---

(١) على مبارك : المرجع السابق ، ص ٣٢٩ .

(٢) المقريزى : الخطط ، جـ٢ ص ١٠٥ .

(٣) المصدر نفسه نفس الصفحة . وتلك الدكة التى أرسلت تصلحها ست العمائم ربما كانت من زواجها الأول ، لأن المقريزى أسبق اسمها بلفظ امرآة .

(٤) المقريزى : السلوك ، جـ٢ / قسم ٣ ، ص ٦٧٩ - ٦٨٠ .

(٥) ابن شاهين : المرجع السابق ص ١٢١ .

(٦) د. محمد جمال الدين سرور : الرجع السابق ، ٢٩٩ .

وعندما قبض السلطان الناصر محمد بن قلاوون على سلار[1] احتاط على موجوده الذى كان ن بينه طاسات فضة عمل الفرنج ، أطباق فضة ، وطشوت فضة وأهوان ذهب ، الوزن ستة قناطير[2] .

وأيضاً لما قبض السلطان الصالح صلاح الدينابن السطلان الناصر محمد على ابن زنبور وسجنه بالقلعة احتاط على جميع موجودة وكان من بين ما وجد عنده ، أوان ذهب وفضة ، فكان زنته نحو ستين قنطاراً[3] .

ووجدت أوانى الفضة لدى خوند ابنة الأمير اقبردى زوجة السلطان طومان باى ففى ربيع الآخر سنة ٩٢٣هـ / ١٥١٧ م وبعد مقتل السطلان طومان باى وتولى السلطان سيم شاه علم بعض وزراء ابن عثمان من جارية زوجة طومان باى بمكان حصل سيدتها فتوجهوا إليه ونقولا كل ما كان فيه ، ومن بينه أوانى بللور وأوانى فضة ونحاس وصينى لازورد وغير ذلك[4] .

استعمال أوانى الذهب والفضة لم يكن بدعة ابتدعها المماليك بل سبقهم فى ذلك الخفاء المسلمين[5] والأثرياء من الناس وتناسوا تحريم الإسلام لها فى مقابل لتفاخر والمباهاة بثرائهم وسلطانهم .

---

(١) كان سلار تترى الجنس ، ترفا فى ملبسه ، وهو الذى ينسب إليه السلارى إلى الآن - زمن ابن إياس - ، والمناديل السلارية ، وقد اقترح أشياء كثيرة من الملبوس ، وكان كثير البر والصدقات وكان فى سعة من المال ، ولما مات بالقلعة - وكان السلطان قد سجنه بالقلعة هو وأخيه وجماعة من الأمراء اتفقوا على قتل السلطان فبادر السلطان وقبض عليهم وسجنهم بالقلعة - غسل وكفن ودفن فى المدرسة الجاولية التى عند الكبش ثم أن السلطان احتاط على موجوده فظهر له من الموجود ما لا يسمع بمثله . انظر ابن إياس : المصدر السابق : جـ١ / القسم الأول ، ص ٤٣٦ .

(٢) المصدر نفسه نفس الصفحة .

(٣) المصدر نفسه ص ٥٤٤ .

(٤) المصدر نفسه ، جـ٥ ، ط٢ ، ص ١٨١ ، ١٨٢ .

(٥) ذكر بعض المؤرخين أن معاوية بن أبى سفيان أهدى إى عبد الله بن العباس من هدايا النيرز آنية من ذهب وفضة .

التنوخى : المرجع السابق ص ١٧٣ ، ١٧٤ .

أما بالنسبة لأوانى النحاس المكفتة بالذهب الفضة ، فكانت شائعة الاستعمال فى عصر المماليك ، وكان لابد أن يكون فى شورة العروس دكة نحاس مكفت ، وفوق الدكة دست طاسات من نحاس أصف مكفت بالفضة ، وعدة الدست سبع قطع بعضها أصغر من بعض تبلغ كبراها ما يسع نحو الأردب من القمح . وطول الأكفات التى نقشت بظاهرها من الفضة نحو الثلث ذراع فى عرض أصبعين ، ومثل ذلك دست أطباق عدتها سبعة ، بعضها فى جوف بعض ، ويفتح أكبرها نحو الذراعين وأكثر والطشت والأبريق فتبلغ قيمة الدكة من النحاس المكفت زيادة علي مائتى دينار ذهباً(١) .

هذا وكان بجهاز ابنة الأمير بكتمر الساقى من النحاس المكفت ثمانية وأربعين حمالا ، والخونجات والمحافى والزبادى والنحاس تسعة وعشرين حمالاً(٢) . وكانت الناس فى هذا العصر تتهافت على اقتناء النحاس المكفت ولا تكاد دار تخلو بالقاهرة ومصر من عدة نحاس مكفت .

وفى يوم الاثنين – سابع عشر شوال سنة ٩٢٠هـ/١٥١٤م عصر الغورى – خرج المحمل الشريف وكان لخرجه يوماً مشهوداً ، لم يقع قط مثله فيما تقدم من السنين

وأهدت قطر الندى إلى زوجها فى يوم نيروز فى سنة ٢٨٢ هـ هدية من بينها عشرون صينية ذهب وعشرون صينية فضة .

الخالديان (أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد ابن هاشم) : كتاب التحف والهدايا .

وقد استعملت فى وليمة عرس المأمون العباسي موائد وصوانى من ذهب مرصعة بالجواهر .

فيليب حتي وآخرون ك المرجع السابق ، جـ٢ ، ص ٤٢٧ ، ٤٢٧ .

كما أن ست الملك أخت الحاكم بأمر الله تركت بعد وفاتها آلاف الأطباق من الذهب والفضة .

حسن محمد الهوارى : أثر المرأة فى الفن الإسلامى ، مجلة الهندسة العدد ١١ ، ١٢ ، ديمبر ١٩٣٤م السنة ١٤ ، ٤٢٥ .

(١) المقريزى : الخطط جـ٢ ، ص ١٠٥ .

(٢) على مبارك المرجع السابق ، جـ٢ ، ص ٣٢٩ .

الماضية ، وذلك قد انسحب فيه أربعة أطلاب[1] حافلة ، الطلب الرابع منـــها كـــان نحـــو عشرين جملاً مزينة بالآت الشراب خاناه من الأوانـــي الصينـــي والـــلازورد والزجـــاج البللورى وغير ذلك وأيضً أحمال مزينة بـــآلات الطشـــتخاناه[2] مـــن الأبـــاريق الكفـــت والطسوت الكفت[3] .

وفى يوم الثلاثاء – ٢٤ شعبان سنة ٩٢١هـ / ١٥١٥م – نزل السـلطان الغـورى إلى بولاق وتوجه إلى ضيافة القاضى كاتب السر محمود بن آجا فأظهر القـاضى كـاتب السر أنواع العظمة من الفرش الفاخرة والأوانى الصينى والنحاس المكفت وغير ذلك مـن كل صنف[4] .

هذا وكان من عادة الناس فى مدينة دمشق أن البنت يجهزها أبوها ، ويكون معظـم الجهاز أوانى النحاس وبه يتفاخرون[5] .

وبالنسبة لأوانى البللور والصينى والزجاج والخشب ، فكانت العروس مـن بنـات الأمراء والوزراء أو أعيان الكتاب أو أماثل التجار ، تجهز فى شورتها دكة مـن خشـب

---

(١) الإطلاب جمع طلب وهو الفرقة من الجيش : انظر الحافظ شمس الدين الذهبى كتاب دول الإسلام ، جـ١ ص ١٥٣ حاشية (٥) .

ويبدو أن المعنى المقصود هنا هو الجماعة من الناس، وقد جاء فى ابن منظور أن الطلبة الجماعة من الناس والطلبة السفرة البعيدة وطلب إذا أتبع وطلب إذا تباعد والجمع إطلاب .

انظر : ابن منظور : المرجع السابق ، جـ٢ ص ٤٨ ، ٤٩ .

(٢) الطشت خاناه هى بيت يكون فيه آلة الغلسل والوضوء ، وقماش السلطان البياض الذى لابد له مـن الغسلً ، وآلة الحمام ، وآلات الوقود فيكون فى هذا من الآلات : الطـوت والأبـاريق والسـخانات ولطاسات ولكراسي وغيرها .

انظر : النويرى (شهاب الدين أحمد بن عد الوهاب) : نهاية الأرب فى فنون الأدب ، مطبعـة دار الكتب المصرية ، ١٩٣١م ، الطبعة الأول الجزء الثامن ص ٢٢٥ .

(٣) ابن إياس : المصدر السابق ، ص ٢ ، جـ٤ ، ص ٤٠٩ .

(٤) المصدر نفس ، ص ٤٧٣ .

(٥) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ، دار الكتاب اللبنانى ص ٤٩ .

مدهون ودكة من صيني ودكة من بللور(١) ، كما كان بجهاز ابنة أحد الأمراء من الصيني ثلاثة وثلاثين حمالاً والزجاج المذهب اثنى عشر حمالاً ، والبعلبكى المدهون اثنى عشر حمالاً(٢) ، وهذا دليل على كثرة هذا الأصناف بالجهاز .

واشتمل جهاز بنت السلطان حسن بن محمد بن قلاوون على دكة من بلور تشتمل عى عجائب ، منها زير من بلور نقش بظاهره صور نائتة على شبه الوحوش والطيور وقدر هذا الزير ما يسع قربة ماء(٣) .

هذا وقد جد عند ابن زنبور – سنة ٧٥٣هـ/١٣٥٢م – فى حواصل : " صحون وزبادى صينى ، ما بين لازورد(٤) وشناف أبيض ، وصينى أخضر ، نحو ثلاثين ألف قطعة ، ووجد عنده فى حواصل : أوانى نحاس أصفر مكفت ، ما بين أطباق وطسوت وأباريق ، وثريات وغير ذلك أربعين ألف قطعة(٥) .

وأنعم السلطان على الأمير يلبغا عند الفراغ من عمارة قصره – ٧٣٨هـ / ١٣٣٨م – بعدة أشياء منها أوانى بلور(٦) .

---

(١) المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص ١٠٥ .

(٢) على مبارك : المرجع السابق ، ص ٣٢٩ .

(٣) حسن محمد الهوارى : المرجع السابق ص ٤٢٦ ، ٤٢٧ .

(٤) حجر اللازورد حجر بارد يابس فيه رخاوة وهو حسن اللون إذا جمع إلى الذهب ازداد كل منهما حسنا فى عين من يبصره . وقد عرف اللازورد من قديم الزمان فى صناعة الحلى الأشياء الزخرفية وأشغال الفسيفساء وفى المعادن المطعمة وقد اعتبره القدماء فى مكانه الياقوت الأزرق وقد عم استعماله عند قدامى الأشوريين والمصريين والحيثيين ، وقد وجد بمقادير كبيرة فى مقابرهم وكان يفضل على الذهب وبعض الأحجار الكريمة ويذكرونه قبلها . انظر :
Dr. Julius Ruska : Das steinbuck des Aristoteles, Heidelberg 1912, p. 107.
، د. عبد الرحمن زكى : الأحجار الكريمة فى الفن والتاريخ ، والمكتبة الثقافية ١٠٨ ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ، مايو ١٩٦٤م ص ١٢٨ .

(٥) ابن إياس : المصدر المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ، مايو ١٩٦٤م ص ١٢٨ .

(٦) المقريزى : السلوك ، نشر زيادة ، جـ٢ ، القسم الثانى ص ٣٥٤ .

وعندما نزل الأمير تنكز من القلعة إلى بيته بخط الكافورى من القاهرة ٧٣٩هـ / ١٣٣٩م – جهز به تقادم السلطان وتقادم الأمراء كان من بينها أوانى البلور[1] .

وعندما نوى قاضى القضاة القزوينى – ٧٣٨هـ/١٣٣٨م – ترك مصر وتوجه إلى دمشق باع أملاكه وأملاك أولاده وأثاثهم وتحفهم بربع ثمنها وكانت نفيسة ، فباعوا من صنف الأوانى الصينى بمبلغ أربعين ألف درهم[2] .

ومن ناحية ثانية ، فأن وثائق الحرم القدسي الشريف المملوكية تزودنا بأسماء وأنواع العديد من الأدوات المنزلية التى كانت مستعملة فى العصر ، ومن هذه الأدوات جرار أو عسالى (جرار من فخار صغير وكبيرة) ، يخزن فيها رب الخروب أو الخل أو الدقيق ، وحقق نحاسية صغيرة وبعضها بكعب ، يبدو أنها كانت تستعمل للرجفة (الخوف) ، وقد كانت مستعملة إلى عهد قريب ، وأنواع من الدسوت الصغيرة والوسطانية والكبيرة وأغطيتها ، أنواع من الزبادى والأوعية مثل الصحون الفخارية والنحاسية والسطول النحاسية ذات الأغطية وسفرات النحاس (موائد الطعام) ، والسكاكين والصحون البامانية[3] والصوانى النحاسية الصغيرة والكبيرة ، أو الصوانى الملقوبة الشفة (أى ذات الحافات المقلوبة إلى الخارج) ، والطاسات النحاسية الصغيرة والكبيرة لون نحاسها أصفر أو أبيض ، وأطباق الغسيل المصنوعة من النحاس الأحمر ، وقدور النحاس الكبيرة والصغيرة والوسطانية ذات الأغطية ، والمقالى النحاسية ، والهاونات وأيديها .

ومن أدوات الطبخ المذكورة فى الوثائق أيضاً منخل لنخل الدقيق ، وماورديات وسكرجة فخار صغيرة وقماقم نحاسية وزجاجية وقنانى وكبب صابون .

---

(١) المصدر نفسه ص ٢٦١ .

(٢) نفس المرجع السابق ص ٤٤١ ، ٤٤٢ .

(٣) يرى د. إبراهيم شتا أنها نسبة إلى باميان . وقد ذكر ياقوت عن باميان :أنها بكسر الميم ، وياء ، وألف ، وون : بلدة وكورة فى الجبال بين بليخ وهراة وغزنة ، بها قلعة حصينة .
ياقوت : المرجع السابق ، المجلد الأول ، ص ٣٣٠ .

ومن أدوات حفظ الماء ، شربات نحاسية وسطيح[1] وهو مزادة من اديمين يقابل أحدهما الآخر ، وزمزمية ماء ، وخابية[2] فيها ماء . هذ بالإضافة إلى أكياس بيضاء اللون يوضع فيها الدقيق والأرز[3] .

وفيما يلى نذكر بعض أدوات المطبخ :

- الطست والأبريق[4] :

الطست والأبريق من أهم أدوات المطبخ التى لا يخلو منها جهاز عروس فكانا من ضمن الأشياء التى تشترى فوق الدكة النحاسية المكفتة التى كانت بجهاز كل عروس ، وكان يصنعان من النحاس المكفت بالفضة[5] . وهما من أكثر المواد استعمالاً على موائد الطعام ، فقبل أن يجلس الناس إلى موائد الطعام يغسلون أيديهم وفى بعض الإحيان أفواهم بالماء والصابون وذلك بأن يتقدم أحد الخدم إليهم ومعه طست وأبريق من النحاس أو القصدير أو الفضة إذا كانوا أغنياء[6] .

وكان الطست والأبريق من الهديا التى تقدم إلى السلاطين - ففى المحرم سنة عشر وسبعمائة (١٣١٠م) ، وردت رسل سيس[7] بهدية منها طشت ذهب وأبريق بلور

---

(١) السطيح : المنبسط ، السطحية : المزادة .

كرم البستانى وآخرون : المرجع السابق ، ٣٣٢ .

(٢) الخابية ج خواب خوابئ : الجرة الضخمة - بنت الخابية : الخمرة .

كرم البستانى وآخرون : المرجع السابق ، ص ١٦٦ .

(٣) صالحية : المرجع السابق ص ٣٥ - ٣٧ .

(٤) الطست الطس بلغة طئ أبدل من أحد السينين تاء فصلت بينهما بالتاء فقلت طساس وطس وهو أعجمى معرب أصله طشت بالشين المعجمة فلما عرب قيل بالسين المهملة (الأبريق) عربى صحيح وهو أفعيل من البريق .

انظر الغزولى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٦٤ ، ٦٥ .

(٥) المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص ١٠٥.

(٦) كلوت بك : المرجع الابق ، ص ٣٨ ، ٣٩ .

(٧) ذكر ياقوت : سيسية : وعامة أهلها يقولون سيس : بلد هو اليوم (أى زمن ياقوت المتوفى عام ٦٢٦هـ/١٢٢٩م) أعظم مدن الثغور الشامية بين انطاكية وطرسوس على يمين زربة وبها مسكن ابو ليون سلطان تلك الناحية الأرمنى .

مرصع بالجوهر وكتاب يتضمن الهناء بالعود إلى الملك إلى السلطان الناصر محمد بن قلاون(١) .

وقد وجد طست من الذهب المرصع بأنواع الجواهر والفصوص النفيسة عند الددده سر النديم دادة السلطان ، عندما قبض عليها فى شوال سنة ٧٨١هـ/١٣٧٩م فى عهد السلطان المنصور على بن الأشرف شعبان(٢) .

ويذخر متحف الفن الإسلامى بالقاهرة بالعديد من الطشوت والأباريق النحاسية والنحاسية المكفتة منها :

طشت من نحاس عليه م الداخل والخارج سطر كتابة نسخية باسم (قشتمر) تتخلله جامات بها رنك النسر وبها بقايا تكفيت ، الطول ١٨٥م العرض والقطر ٠,٤٤٠م(٣) .

طشت من نحاس عليها من الداخل والخارج كتابة نسخية باسم (تمراز) نائب قلعة حلب داخل منطق تتخللها رنوك مركبة وذلك وسط زخارف نباتية ، الطول : ٠,٢١٠م ، القطر ٠,٤٨٠م (٤) .

طشت من نحاس عليه من الخارج مناطق مربعة بداخلها زخارف وكتابات نسخية ورنوك مركبة ومن داخل كتابات نسخية داخل مناطق بأسفله كسر ، الطول ٠,٢٢٠ ، القطر ٠,٤٧٥م(٥) .

= قال الواقدى : جلا أهل سيسية ولحقوا بأعمال الروم فى سنة ٩٤ أو ٩٣ انظر : ياقوت : المصدر السابق ، المجلد ٣ ، ص٢٩٧ ، ٢٩٨ .

(١) المقريزى : السلوك ، جـ٢ ، القسم الأول ص ٨٦ .

(٢) ابن إياس : المصدر السابق ط ١ / جـ١ قسم ثانى ، ٢٤٩ .

(٣) رقم سجل ١٥٠٣٨ .

(٤) رقم سجل ١٥٠٣٩.

(٥) رقم سجل ١٥٠٤٠ .

طست من النحاس مضلع الشكل ومحلى بزخارف نباتية وهندسية داخل مربعات ، وعليه من الداخل والخارج كتابات نسخية ، باسم السلطان المملوكي الأشرف قايتباى المتوفى سنة ٩٠١هـ/١٤٩٥م ، القطر ٥١,٢ سم ، الارتفاع ٢٣كم(١) .

طست من النحاس المكفت بالفضة ، عليه من الداخل والخارج كتابة فوق أرضية من زخرفة نباتية ، وتقطع الكتابة دوائر بها رنك شارة الكأس والكتابة باسم الأمير بهادر السلحدار . مصر ق ٨هـ /١٤م ، القطر ٤٧ سم ، الارتفاع ١٩ سم(٢) .

وكان بمتحف الفن الإسلامى ، والآن بمتحف الجزيرة طست من الزجاج السميك يزين جداره من الخارج شريط دائرى عريض به كتابة بخط الثلث نصفها : " مما عمل برسم السلطان ، الملك العالم ، العادل الملك ، المؤيد عز نصره " وذلك بالمينـاء الزرقاء على أرضية من أفرع نباتية بالميناء الملونة ، ويقطع الكتابة أربع جامات مستديرة بها زخارف نباتية يتوسط كل منها رنك زهرة الزنبق بالميناء البيضاء على أرضية حمراء . ويزخرف حافة الطست من الداخل شريط دائرى ضيق به زخارف نباتية من أفرع مورقة . يتخللها أربعة رنوك مشابهة لزهرة الزنبق وأربع وريدات على التبادل . ويزين قاع الطست فى الوسط وردة منبسطة حولها شريط دائرة به أربع دوائر بكل منها نسر ناشر جناحيه ينقض على أوزة وأربع وريدات وذلك على التبادل وبالأرضية أفرع نباتية مورقة . وبالقاع جزء مكسور بشكل صدع كبر ملتف . ويوجد تآكل فى بعض الكتابات والزخارف التى بالحافة . قطر فوهته ٢٨,٥سم وارتفاعه ١٢,٥سم(٣) .

وبمتحف الفن الإسلامى أبريق من نحاس ذو مقبض ينتهى بشكل رأس حيوان وعليه من الخارج زخرفة نباتية مكفتة كلها بالفضة وقليل من الذهب ، وكذلك كتابة نسخية رفيعة مكفتة بالذهب داخل اثنتى عشرة جامة مستطيلة وفى باطن قاعة من الخارج

---

(١) رقم سجل ١٥٠٩٩

(٢) رقم سجل ٣٧٥١.

(٣) كان بمتحف الفن الإسلامى برقم ٢٤١٥٢ والآن بمتحف الجزيرة برقم ٧٥٠ .

كتابة مكفتة بالفضة تقرأ (فى رجب المرجب سنة تسع وتسعين وثمانمائـــة) ، الارتفـــاع ٠,١٣٠ القطر ٠,١٤٠[١].

أبريق من نحاس أصفر له مقبض وبزبوز وغطـاء ، القطـر ٠,٢٠٥[٢] ، طشـت نحاس أصفر له مصفاة وهو تابع الأبريق سابقه ٠,٣٤٠ طول .

وبالمتحف القبطى أبريق جميل من الزجاج المموه بالمينا الملونة يرجع إلـــى ق٨ ، ٩ هـ/١٤ ، ١٥م . (لوحة ٣٩ ، ٤٠) .

وبالمتاحف العالمية نماذج للطست والأبريق أيضاً ، ففى متحـــف اللوفــر ببـــاريس وتحت رقم ٧٤٣٦ يوجد أبريق غير كامل من النحاس المطـــروق والمحـــزوز والمكفـــت بالفضة ، عليه كتابة دقيقة جداً بألقاب الأمير الناصر ، ويعتقد رأيس أنه السلطان النـــاصر محمد بن قلاوون ، يرجع إلى مصر فى الجزء الأول من القرن ٨هـ / ١٤م - ارتفاعـــه ٠,٢٣٨ متر ، قطر البدن ٠,١٦٥ متر[٣].

كما يوجد بدار الآثار العربية بدولة الكويت طست من نحـــاس أصفـــر ، زخارفـــة محفورة ومكفتة بالفضة ، يرجع إلى مصر ق ٨ هـ / ١٤ م عليه كتابـــات حـــول البـــدن نصها :

داخل الخراطيش : " الجناب العالى المولوى الأميرى الكبيرى العالمى المال / كمـــا العالمى العاملى الورعى الرأى الذخرى المؤيد / ى المالكى القوامى النظـــامى المخدومـــى السندى السيدى المشير / ى المحترمى ... الشرفى الناصرى الملكى ناصر الدين ".

وداخل الجامات المفصصة فى شكل دائرى : " المقر العـــالى المولـــوى المـــالكى الملكى الناصرى " ، القطر ٣٩ سم ن الارتفاع ٩ سم[٤].

---

(١) رقم سجل ١٤٧٥٩ .

(٢) رقم سجل ٧٨١٩ .

(٣) l'Islam dans les Collections, Paris 1977, p. 140.

(٤) غادة حجاوى قدومى : التنوع فى الوحدات (معرض خاص بمناسبة انعقاد مؤتمر القمة الإســـلامى الخامس) جمادى الأولى ١٤٠٧ هـ / يناير ١٩٨٧ م ص ٣٧ .

الصــــدريــة :

الصدرية أناء مستدير يمتاز بأن فتحة فوهته أضيق من قاعة ، ولذلك تكون منبعجة من أسفل وقد يكون قاعها مسطحاً مستويا أو مقوسا ومنذ النصف الثانى من القرن ٩هـ / ١٥ م حدث تطور فى أسطال كثير من الصدريات إذا عمد الفنان إلى أحداث زخرفة بواسطة التشكيل فوصل إلينا بعض الصدريات التى تمتاز بأن جسمها يتألف من مجموعة إضلاع متجاورة يبلغ عددها أربعة وعشرون ضلعاً ، وأغلب الأوانى التى وصلت إلينا بهذا الشكل ترجع إى عصر السلطان الأشرف أبو النصر قايتباى وابنه الملك الناصر أبو السعادات محمد بن قايتباى والتى يحتفظ متحف الفن الإسلامى بواحدة منها ، وفى هذه الصدرية تنتهى الإضلاع من أسفل بمجموعة من المثلثات المتجاورة .

وأهمية الصدريات بالنسبة لغيرها من الأوانى المعدنية ، أنها وصلت إلينا فى سلسلة متصلة طوال فترة حكم سلاطين المماليك دون انقطاع ، ولذلك فهى تعتبر سجلاً متصلاً للتطور الصناعى والزخرفى للصناعات المعدنية فقد حرص الصناع فى إتقان صناعتها وزخارفها حتى أن بعض من قد زخرف سطح قاعة الداخلى ونفذت تلك الزخارف بالتكفيت بالفضة بالرغم من أن هذا الجزء لا يظهر للمشاهد إلا بعد الانتهاء من تناول الطعام ، ومن ناحية أخرى فإنه بالرغم من ندرة الأوانى المعدنية المكفتة التى وصلت إلينا والتى ترجع إلى القرن ٩هـ/١٥م . فقد وصل إلينا صدرية من البرنز المكفت بالذهب وتحمل اسم السلطان الأشرف أبو النصر قايتباى (٨٧٣ - ٩٠١هـ) - (١٤٦٨ - ١٤٩٦م) مما يؤكد أهمية هذا الشكل بالنسبة لغيرها من الأوانى .

أما عن أنواع الطعام الذى يوضع فى الصدريات ، فمن المرجح أن يكون عبارة عن تلك الأصناف التى تحتوى على شئ من المرق كاللحم المسلوق أو الخضروات المطبوخة ، حيث أن تلك الأصناف تتناسب مع الشكل العام للإناء ذات الأجناب المرتفعة والمائلة إلى الداخل من أعلى[1] .

---

(١) سعيد مصيلحى : أدوات وأوانى المطبخ المعدنية فى العصر المملوكى . رسالة دكتوراه بكلية الآثار جامعة القاهرة ، ١٩٨٣ ، ص٢٢٣ (أ) .

وربما جاءت تسميتها بالصدرية من أنها الإناء الذى يتصدر الأوانى المقدمة على مائدة الطعام المملوكية .

ويحتفظ متحف الفن الإسلامى بالقاهرة بنماذج عديد ، منها حفرت عليها زخارف كتابية بأسماء السلاطين والأمراء المماليك وزوجات السلاطين مثال ذلك : صدرية من النحاس منقوش عليها كتابة فوق أرضية من زخرفة نباتية تقطعها أربع دوائر مسننة ، باثنين منها كتابة وبالآخرين زخرفة ، والكتابة نصها : " ما عمل برسم الست المحجبة ذات الستر الرفيع والحجاب المنيع خوند الكبرى جهة المقام الشريف الملكى الأشرف أبو النصر قايتباى سلطان الإسلام ، ترجع إلى مصر فى ق ٩ هـ / ١٥م ومقاساتها : القطر ٤٤ سم ، الارتفاع ٢٠ سم (لوحة ٤٥)(١) .

صدرية من النحاس مضلعة عليها منطقتان كتابة نسخية باسم " خوند زوجة قايتباى " تتخللها مناطق زخرفية ودوائر ورنكان مركبان وهى مزخرف من الداخل والخارج وصور حيوانات وطيور ، الطول ٠,١٥٠ متر ، والعرض ٠,٣٢٠ متر(٢) .

صدرية من النحاس عليها من الخارج كتابة نسخية فوق أرضية من زخرفة نباتية تقطعها أربع جامات ، باثنتين منها رنكان وبالجامتين والآخرين كتابة نصها : " مما عمل برسم المقر العالى المولوى الأميرى الكبيرى السيفى تمرباى اليحياوى عز أنصاره " ، القطر ٢٧ سم ، الارتفاع ١١,٥ سم ، مصر ق٩ هـ/١٥م(٣) .

صدرية نحاسية عليها كتابة نسخية تتخللها ثلاث جامات بها رنك الكأس وبها كسر – الطول ٠,١٣٥م ، القطر ٠,٢٥٥م(٤) .

---

(١) رقم سجل ٤١٢٠ .
(٢) رقم سجل ١٥٠٨٦ .
(٣) رقم سجل ٤١٢٣ .
(٤) رقم سجل ١٥٠٥١ .

صدرية من النحاس محاطة من الظاهر بكتابة تتخللها زخرفة أول الكتابة (المقــر العالى المولوى) وآخرها (الغياثى الملكــى النــاصرى) الطــول ٠,٣٠٥ – العــرض ٠,١٤٥م[١] .

صدرية من النحاس محاطة من الظاهر بكتابة نقش تتخللها زخرفــة أول الكتابــة " المقر العالى المولوى " وآخرها " الشمس الشجاعى النا " ويتخللها ست دوائر داخل ثــلاث منها رنك زهرة الزنبق ، الطول ٠,٢٤م ، العرض ٠,١٢[٢] .

ويوجد ببعض المتاحف الخارجية نماذج للصدريات كمتحف اللوفر ببــاريس فيــه توجد صدرية من النحاس المطروق المذهب جزئياً ، ترجع إلى النصف الثانى من القــرن ٩هــ / ١٥م ، ويلاحظ أن شكل هذه الصدرية مستوحى من ورقــة زهــرة اللوتــس ذات الأربعة وعشرين فصا ، والزخرفة موضوعة فى ثلاث أشرطة من الخارج تغطى القــاعدة كلية بزخرفة هندسية كانت سائدة فى العصر المملوكى فى مصــر[٣] الارتفــاع ٠,١٤٢ ، قطر الفوهة ٠,٣٤٧ م [٤] .

وبمتحف اللوفر أيضاً صدرية عليها توقيع ابن الزين .

وبأحد المجموعات الخارجية أيضاً صدرية من النحاس المكفت بالفضــة الذهــب ، ارتفاعها ١٠,٣ سم ، قطرها ٢٣,٥ سم – ترجع إلى مصــر أو ســوريا فــى (٧٤٧ – ٧٤٨هــ) – (١٣٤٦ – ١٣٤٧م) . عليها من الخارج شريط عريض كتابة بخــط الثلــث المملوكى نصها :

المقر العالى أ / لمولوى الأمير الما / لكى العالمى ا/لعاملى ا(المجا) هدى المــر / أبطى المثاغر (ا) / ى المؤيدى المظفرى .

---

(١) رقم سجل ٣٤٠١ .

(٢) توصلت إلى هذه المعلومات من دراستى التى قمت بها لتحف المتحف الإسلامى .

(٣) رقم السجل ٢٠٢٥٤ .

(٤) L' Islam dans les Collections, Paris, 1977, p. 142.

يقطع الشريط الكتابى خمس جامات دائرية بداخل كل منها فى المركز وريدة من ست بتلات يحيط بها دائرة وبين الدائرة الداخلية والدائرة الخارجية زخرفة البط الطائر وعدد البط ثمانية .

والكتابة فى الشريط السابق على أرضية من الزخارف النباتية المتشابة وبأسفل الشريط الكتابى زخرفة متشابكة متكررة تحيط به تشبه التى توجد فى زخارف المصاحف المملوكية(١).

وبدار الآثار العربية بالكويت صدرية نحاس أصفر ، زخارفها محفورة ومكفتة بالفضة . ترجع إلى مصر النصف الأول من القرن ٨ هـ / النصف الأول من القرن ١٤ والكتابات بخط الثلث المملوكى :

على القاعدة من الداخل : " المقر العالى المولوى الأميرى العالمى العالى الغازى المجهدى المرابطى " .

على الحافة من الداخل : " المقر العالى المولوى الأميرى الكبيرى العالمى ١ / العاملى الغازى المجاهد (ى) المرابطة المؤيدى الذخرى / النصيرى المدبرى المشيرى الظهيرى النظامى الملكى الناصرى " .

خارج الصدرية : " المقر العالى المو / لوى الأميرى الكبير (ى) (أ) لعا / لمى الغازى / المجاهدى المرا (ب) طى ا / المؤيدى النصيرى المدبرى / المشيرى المـا "ا ٩ كى ا " .

وأضيف إليه كتابة فى وقت لاحق بخط نسخ غير أنيق نصها : " برسم سيدى عبد الله بن أحمد " عرضها ٤٩ سم ، الارتفاع ٢١,٥ سم ، وتنتهى سلسلة ألقاب صاحب الصدرية التى عملت برسمه بلقب النسبة إلى السلطان الناصر محمد بن قلاوون . من المؤكد أن الإنتاج الفخم الذى يتضمن عدداً وافراً من القطع الكبيرة الرائعة التى تثير

---

(١) James W. A;llan: Islamic Metalwork The Nuhad Es-Said Collection, First Published, London,1982, P. 98,99.

الإعجاب مثل هذه الصدرية ، تلبية لطلبات سلاطين المماليك وأمرائهم وقواد جيوشهم كي تخصص لاستعمالاتهم الشخصية أو من أجل وقفها على بعض منشآتهم المعمارية . ففي عصر سلاطين المماليك ، وفى الفترة ما بين نهاية القرن السابع - النصف الأول من القرن ٨هـ / نهاية ق ١٣ - النصف الأول من القرن ١٤ م بالذات ، بلغت الفنون أوج عظمتها وذلك لعدة عوامل لعل أهمها تلك الرعاية البالغة التى تمتع بها الصناع من قبل السلاطين وعدد كبير من الأمراء وذوى الجاه والسعة ، الذين كانوا يتنافسون فيما بينهم على طلب أروع التحف وأبدعها .

وتجد الإشارة هنا إلى أنه صنعت فى كل من بلاد الشام ومصر أوانى زجاجية مماثلة فى شكلها لهذه الصدرية[١] .

هذا ومن الصدريات النحاسية المكفتة التى تحمل كتابة باسم السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وزخارف طيور وأسماك وزخارف نباتية صدرية جميلة جاء رسم لها فى كتاب بريس دافين الفن العربى[٢] .

الطاسة :

كانت الطاسة[٣] من أدوات المطبخ الهامة فى جهاز العروس ، فيذكر المقريزى فى معرض حديثة عن سوق الكفتيين وعن الدكة لنحاس المكفت التى كانت لابد من وجودها فى شوار العروس أن " فوق الدكة دست [٤] طاسات من نحاس أصفر مكفت بالفضة عدة

---

(١) غادة حجاوى قدومى : المرجع السابق ، ص ١٣٤ .

(٢) Prisse D' Avennes : L'Art Arabe, 3 PL. 167.

(٣) الطاسة - والصواب الطاس وهو إناء يشرب فيه ج طاسات ويقولون (طاسات جوز الهند) اى قشرها الفارغ تشبيها لها بالطاس الذى يشرب فيه وفصيحها المدعة وهو النارجيل المفرغ من لبه يغترف به .

انظر : رشيد عطية اللبنانى : المرجع السابق ، ص ٢٢٦ .

(٤) دست : تعنى الشئ الكامل التام .

عبد النعم محمد حسنين : المرجع السابق ، ص ٢٤٨ .

، الدست : طاقم وأصلها اللغوى دسته : مجموعة . د. إبراهيم شتا قاموس تحت الطبع .

الدست سبع قطع بعضها أصغر من بعض تبلغ كبراها ما يسع نحـو الأردب مـن القمـح وطول الأكفات التى نقشت بظاهرها من الفضة نحو الثلث دراع فى عرض أصبعيـن"[1].
ويتضح مما ذكره المقريزى أن هذه الطاسات كانت كبيرة الحجم فالطاسة الكبيرة تسع نحـو الأردب من القمح فإذا علمنا أن الأردب ١٢,٥ كيلة والكيلة ١٢,٥ كيلـو أى تسـع ١٥٠ كيلو جرام اتضح لنا كبر حجم الطاسات المذكورة ومن هنا نرى أنها كانت تسـتخدم فـى التخزين أو فى المناسبات والأعياد ، فى مطابخ منازل عليه القـوم المملـوءة بـالجوارى والخدم والحشم والوصيفات عدا ما يفرق على الفقراء ، وليست تستخدم للشرب ، كما هـو معروف عن استخدام الطاسة .

ولكن وجدت الطاسات للشرب أيضاً فى عصر المماليك ، فقـد جـاء فـى بدائـع الزهور وتحت أحداث جمادى الآخرة سنة ٧٨٨هـ/١٣٨٦م أنه عندمـا كملـت عمـارة مدرسة السلطان برقوق التى أنشأها بين القصرين نـزل السـلطان مـن القلعـة وجلـس بالمدرسة وحضر قضاة القضاة الأربعة ومشايخ العلم وغيرهم ، ومد هناك سماطا عظيمـاً بأنواع الأطعمة ، ثم مد بعده سماطا ثانيا به مجامع حلوى وفاكهة وملأ فـى ذلـك اليـوم الفسقية التى فى صحن المدرسة ، سكر بماء ليمون ، وصارت الناس تملأ منه بالطاسات[2] .

ويحتفظ متحف الفن الإسلامى بطاسة من النحاس ارتفاعـها ٥,٤ سـم – قطرهـا ١٤,٢ سم – عليها سطر كتابة نسخية تتخللها ست دوائر بكل منها رنك شـارة الـدواة . مصر ق ٩ هـ/١٥م[3] .

ومما كتب على طاس :

لا تحسبن أن طول الدهر غيـرنى   بل زادنـى كلفـا يا أملح النـاس

لم يجر ذكرك فى لهو ولا طـرب   إلا مزجت بدمعى عنـده كاسـي[4]

---

(١) المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص ١٠٥ . وربما أن الدست هو الشئ التام أى الطاقم أو الدسته فمن هنا يتضح لنا أن الطاقم من الأوانى المنزلية فى عصر المماليك كان سبع قطع .

(٢) ابن إياس : المصدر السابق ، ط١ ، جـ١ / القسم الثانى ص ٣٧٢ .

(٣) برقم سجل ١٥١٠٣ .

(٤) الوشاء : المرجع السابق ، جـ٣ ص ٣٤٤ .

طاسة الخضة :

ونحن نتحدث عن الطاس يجدر بنا أن نذكر طاسة الخضة (لوحات ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦) وهى طاس صغيرة من النحاس ، شاع استعمالها فى العصور الوسطى حفر بها طلسمات فى أوقات ظهور كواكب معينة ، يعتقدون فيها أنها تشفى من أمراض عديدة كالسموم ولسعة الحية والعقرب والمغص والقولنج وللعين والنظرة والنزيف وسائر العلل .

وطريقة استعمالها أن يوضع بها ماء وتمر أو لبن حليب وتمر وتعرض في الليل للندى وفى الصباح يشرب منها المريض ويتكرر هذا العمل عدة مرات ولا تزال إلى اليوم تستخدم فى ريفنا المصرى .

ويحتفظ متحف الفن الإسلامى بالقاهرة بمجموعة كبيرة من هذه الطاسات نقشت بأسماء الخلفاء والسلاطين فمنها واحدة برسم الإمام المستعصم بالله أبو العباس بتاريخ ٥٧١هـ/١١٧٦م[١] ، والثانية باسم السلطان الملك المجاهد المؤيد المنصور أبو المظفر يوسف قسيم أمير المؤمنين بتاريخ ٥٨٠هـ/١١٨٤م[٢] ، والثالثة برسم أمير المؤمنين الأمام المعتمد بالله بتاريخ ٦٠٦ هـ[٣] ، وطاستين برسم السلطان الملك الظاهر بيبرس ، الأول نقشت فى مستهل رجب الفرد وكان الفرغ منها فى سلخ رمضان المعظم وذلك فى يوم الجمعة سنت أحد وأربعين وستمائة[٤] .

---

(1) Combe, Sauvaget et Wiet : Repertoire Chronolagigue d'Epigraphie Arabe, Le Caire, 1931 - 1950, Tome 9, P. 82.

(2) Ibid, Tome 9, p. 137.

(3) Ibid, Tome 10, p. 34, 35.

(4) Ibid, T.II, No. 4221, p. 147.

والثانية حفر عليها :

(أ) هذه الطاسة المباركة تقاوم السموم كلها وقد جمع فيها منافع مجربة وهى للسعة الحية والعقرب والكلب والكلب[١] والمطلقة[٢] والصداع والقولنج[٣] والمغل[٤] والوقة (هكذا) والسقا[٥] (هكذا) فيها الملسوع أو رسوله فى القولنج (هكذا) ماء أو لبن أو زيت .

(ب) رصدت ونقلت من خزانة المأمون سنة خمسين وستمائة برسم السلطان الملك الظاهر بيبرس قسيم أمير المؤمنين وهى اسم أعظم قد اتفقت عليها أئمة الدين والخلفاء الراشدين لمنافع المسلمين ويسقى فيها ما حضر من زيت أو لبن أو ماء فإنه يبرى بإذن الله[٦] .

---

(١) الكلب : داء يشبه الجنون يأخذ الكلاب فتعض الناس فيكلب الناس أيضاً إذا تمنعوا عن استعمال اللقاح . كرم البستانى وآخرون : المرجع السابق ، ص ٦٠٣ .

(٢) طليقة طلقة المرأة ، أصابها وجع الولادة ، فهى مطلوقة .
البستانى وآخون : المرجع السابق ، ص ٤٧٠ .
فربما " المطلقة " هى المرأة التى بها آلام الوضع .

(٣) القولنج : مرض معوى مؤلم يصعب معه خروج البراز والريح وسببه التهاب القولون . القولون : المعى الغليظ الضيق الذى يتصل بالمستقيم .
إبراهيم مصطفى وآخرون : المعجم الوسيط ، جـ٢ ، ص ٧٧٣ .

(٤) مغل : مغل – مغلات الدابة : أكلت التراب مع البقل فاخذها وجع فى بطنها . مغل مغلات الحامل بولدها . أرضعته المغل ، والمغل ج أمغال : لبن المرأة وهى حامل وهو سم قاتل .
البستانى وآخرون ك المرجع السابق ، ص ٧٦٩ .
، مغل (مغلا) من باب تعب فهو (مغل) مغص يأخذ الدواب من أكل التراب ، المقرى : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص ٥٧٦ .

(٥) السقا : ربما هى السقاطة : مؤنث ، السقاط بمعنى الكثير السقوط ، الأم السقاط التى من عادتها إسقاط ولدها قبل التمام .
البستانى وآخرون : المرجع السابق ، ص ٣٣٩ .

(6) Combe, Sauvaget et Wiet : Op. Cit., Fll, No. 4344, p. 229

الصحن :

الصحون من الأدوات الهامة للمطبخ ففيها توضع الأطعمة أثناء تناول الطعام على المائدة .

ووجدت الصحون فى عصر المماليك من مواد مختلفة من نحاس مكفت وصينى وزجاج (لوحة ٧٢,٧١) وخزف وفخار وخشب وحجر (عقيق) .

فبالنسبة للصحون المصنوعة من النحاس المصنوعة من النحاس المكفت فكان فى جهاز كل عروس فى عصر المماليك فوق الدكة كما قال المقريزى دست أطباق عدتها سبعة بعضها فى جوف بعض يفتح أكبرها نحو الذراعين وأكثر "[١] .

وبالنسبة للصحون الصينى فقد وجدت بكثرة فى عصر المماليك كما سبق أن ذكرنا فى موجود ابن زنبور ، وكما ذكر ابن إياس تحت حوادث ربيع الأول سنة ٩١٩هـ / ١٥١٣م فى عهد الغورى أنه سرقت من بيت الشهابى أحمد بن الجيعان أشياء كثيرة منها صحون صينى ونحاس أصفر مكفت[٢] .

أما الصحون الخزفية والفخارية فقد خلف لنا عصر المماليك أعداداً وفيرة منها بمتاحف مصر والخارج . (لوحات ٦٣ - ٧٠) .

واستخدمت الأطباق الخشب فى عصر المماليك ، منها أطباق صغيرة لوضع الفنجان عليها ، وأطباق يقدم بها الطعام والشراب ، وتكون دائرية وذات جوانب صغيرة متعامدة[٣] .

أما بالنسبة للأطباق الحجر ، فيوجد بمتحف الفن الإسلامى طبق كبير من العقيق . (لوحة ٦٩) .

---

(١) المقريزى : الخطط ، الجزء الثانى ص ١٠٥ .

(٢) بدائع الزهور : تحقيق محمد مصطفى ، جـ٤ ، ط٢ ، ص ٣٠٩ .

(3) Abdel Raouf A. Youssef : Mamluk Wooden Vessels, Prism (Quarterly of Egyptian Culture) October/December 2, 2982, p. 14, Fig. 2, 3.

أما الأطباق النحاسية ، فيحتفظ متحف فيكتوريا والبرت بلندن بصحن حفر عليه زخرفة كتابية بخط الثلث المملوكى نصها :

" مما عمل برسم الست فاطمة بنت المقر المرحوم سودون المؤيدى " ووالد فاطمة فى النص السابق ربما يتشابه مع سودون البندقدارى الذى كان فى الأصل مملوكاً لدى الملك المؤيد شيخ ، وبالطبع أصبح فى وقت ما واحدا من أمراء حلب ، فى عام ٨٤٢هـ/١٤٣٨ ، ٣٩[1] .

السلطانية :

السلطانية وعاء يستخدم فى تقديم الطعام ، ففيها يغرف الأكل ونظرا لاتساعها عن الصحن فهى تستعمل حينما يراد تقديم كميات كبيرة من أصناف معينة .

واشتهر عصر المماليك بإنتاج سلاطين من مواد مختلفة - كالصحون - من زجاج وخزف وفخار وخشب ، ويحفل متحف الفن الإسلامى وغيره بالعديد منها .

فبالنسبة للزجاج فيوجد به سلطانية من زجاج عسلى مزخرفة من الخارج بعصابة من خطوط ونقط بيضاء وخطوط حلزونية وهى الآن مكسورة وملصوقة وفاقد منها نحو الربع ، الطول ٠,١٧٥م ، العرض ٠,٠٨ م [2] .

والخزف فيوجد به سلطانية مدهونة بالمينا الفيروزجية وعلى حافتها من الخارج كتابة بارزة بالخط النسخ يقرا منها (العز الدائم والإقبال) ، قطرها ٠,١٩م ، ارتفاعها ٠,١٢م [3] .

وبالنسبة للسلاطين الفخار المطلى بالمينا فيوجد إعداد كبيرة جدا منها سلطانية عليها من الخارج سطر كتابة نسخية بتوقيع (شرف الأبوانى) ومن الداخل سطر كتابة

---

(1) Mayer : Saracenic Heraldry, Oxford, p.117, PL. LIX.

(٢) برقم سجل ٤٣٠٣ .

(٣) برقم سجل ٤٣٠٦ .

نسخية دعائية وعلى القاع رنك البقجة وهى مكسورة وفاقد منه أجزاء . الطـــول ٠,١٤٤م العرض ٠,٢٥٧م[١] .

سلطانية طلاؤها من الداخل بالأصفر العسلى الفـاتح وبعـض الزخـارف بـاللون العسلى القاتم ، عليها فى الوسط شريط دائرى مقسم إلى مثلثات متعاكسة وفـى المركـز دائر صغيرة يتوسطها شريط مستطيل به هيئة شارة البوق ويعلو هـذه الزخـارف علـى الجدار شريط مستطيل به هيئة شارة البوق ويعلو هذه الزخـارف علـى الجـدار شـريط دائرى عريض به كتابة أو شبه الكتابة بالخط النسخ المملوكى ، وفوق هذا الشريط شـريط أضيق به زخرفة نباتية بسيطة من شبه فرع نباتيمتموج . وبالمينـا تـآكل فـى بعـض المواضع ، قطر الفوهة ٣٢ سم - الارتفاع ٢٤ سم[٢].

وهناك سلطانية عليها رنك صاحبها الأمير السيفى قرجي وكتبة دعائية لـه بـالخط النسخي . وينتسب هذا الأمير للسلطان الناصر محمد بن قلاوون .

وبالنسبة للسلاطين الخشب فيوجد بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة نماذج منها كاملـة بغطائها من الخشب المزخرف بالألوان (لوحة ٥٩ ، ٦٠) وهذه السطلانية اكتشفت فـى قوص بالقرب من قنا فى مصر العليا فى سنة ١٩٦٦م مع ٢٥ قطعة أخـرى كاملـة مـن النحاس والزجاج والسيلادون ، وهذه الكنوز وجدت ملفوفة فى صرة كبيرة غـير لامعـة ومعظم تلك المواد ترجع إلى العصر المملوكى خاصة عصر السلطان الناصر محمد بـن قلاوون[٣].

ويوجد أيضاً بمتحف الفن الإسلامى جزء من سلطانية من الخشب المدهون بالأحمر وقليل من الأسود ومنقوش بها زخرفة من دوائر بها معينات وبينها كلمات كوفية ، الطـول ٠,١٤م ، العرض ٠,٠٧م[٤].

(١) رقم سجل ١٥٩٨٢ .

(٢) رقم سجل ٢٣٨٣٢ .

(٣) رقم سجل ٢٣٨٣٢ .

(٤) رقم سجل ٤٨٥٣.

ويوجد أيضاً جزء من سلطنية أخرى مزخرفة بالألوان ونقش عليها قائمة كتابة نسخية نصها (العز الدائم) يفصلها دائرتان ، الطول ٠,١٠ م ، العرض ٠,٣٥م[١] .

السكينة :

السكينة ضرورية لكل مطبخ . ومن ثم وجد لها صناع بمصر ، فقد ذكر ناصر خسرو أنه كان يصنع بتنيس آلات الحديد كالمقراض والسكين[٢] . ويطلق على السكين المدية[٣] أما السكين المعوجة الرأى فيطلق عليها الدرهرهة وهى فارسي معرب[٤] .

وبمتحف الفن الإسلامى سكينة ذات حدين من حديد مقبضها من قرن غير منتظم الشكل ، الطول ٠,٢٥ م [٥] .

وبالمتحف أيضاً نصاب سكينة من الصدف منقوش بها البسملة ، الطول ٠,٠٩٥م - العرض ٠,٠٢ م وهى من إطلال الفسطاط .

وبالمتحف أيضاً سكينة من العاج ومقبضها من الخشب يبدو أنها استخدمت فى تقطيع الحلوى أو الجبن أو ما شابه ذلك وترجع إلى مصر فى عصر المماليك[٦] .

أدوات الغرف : الملعقة والمغرفة :

الملعقة :

وجدت الملاعق من الخشب والباغ وملاعق الخشب المعتاد استعملت فى الأسر الفقيرة ، وملاعق خشب الابنوس المزخرف بالكهرمان أو المرجان بل والأحجار الكريمة فى الأسر الغنية[٧] .

---

(١) رقم سجل ٤٨٥٥ .
(٢) ناصر خسرو : المرجع السابق ، ص ٤٠ .
(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ٢ ص ١٢٢ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٢ .
(٥) رقم سجل ١٠٨٧٨ .
(٦) رقم سجل ٤١٨٠ ، انظر لوحة ٧٧ .
(٧) كلوت بك : لمحة عامة ، الجزء الثانى ، ص٢٢ ، ٢٣ .

ويحتفظ كل من متحف الإسلامى ، ومتحف كلية الآثار جامعة القاهرة ببعض من الملاعق الخشبية ، كما يحتفظ متحف اندرسون بملاعق من الباغ وينبغى أن نذكر أن العرب كانوا يأكلون بأيديهم لعدم وجود الملاعق والشوك فى ذلك الوقت(١) .

ولكن عندما خالط العرب الأمم الأخرى تغيرت أطعمتهم وتعددت ألوانها ، واستحدثوا فيها طرقا غير طرقهم الأولى .

ففى عهد الأمويين استعمل العرب الفوط والملاعق وكانت الملاعق تصنع من الخشب ، كما كانت تجلب ملاعق الخزف من بلاد الصين(٢) .

- المغرفة :

المغرفة أكبر من الملعقة ، ومن ثم استخدمت فى غرف كميات أكبر من الطعام .

ويحتفظ متحف الإسلامى بالقاهرة بنماذج لها منها مغرفة من نحاس عليها كتابة كوفية ، طولها ٠,١٨٠م - عرضها ٠,٥٠م (٣) .

وبالمتحف أيضاً مغرفة لها حلقة(٤) .

- المصفاة :

تعد المصفاة من أدوات المطبخ الهامة ، والتى لا غنى عنها لك منزل وقد وجدت المصفاة ضمن أدوات المطبخ المملوكية ، ويحتفظ تحف الفن الإسلامى بالقاهرة بمصفاة تأخذ شكل المغرفة ، الجزء المخرم بها يأخذ شكل بنصف دائرة ، والخروم موزعة على هيئة وريدة ذات ست بتلات ولها يد طويلة عليها زخارف كتابية بخط الثلث المملوكى وموزع عليها دوائر حفر عليها زخرفة بهيئة شكل حرف z متكرر .

---

(١) حسن إبراهيم حسن : المرجع السابق ، ص ٥٨٥ .

(٢) المرجع نفسه ص ٥٨٦ .

سيد أمير على : مختصر تاريخ العرب ، ترجمة رياض رأفت ، القاهرة ١٩٣٨م ، ص١٧٧ .

(٣) رقم سجل ١٥٢٩٥ .

(٤) رقم سجل ٢٤٤٢ ، لوحة (٧٨) .

وتنتهى اليد بشك قلبى به زخرفة عبارة عن شكل حرف Y متداخل . (لوحة ٧٩ ، ٨٠) .

القدح ، الكأس :

القدح إناء يشرب فيه يروى الرجلين أو اسم للكبير والصغير منه ولا يقال قدح إلا إذا كان فارغاً . فإذا كان فيه شراب قيل له كأس(١) ، ويسمى القدح بالزوراء(٢) . أما القدح المصنوع من الخشب فيطلق عليه جمجمة(٣) ويسمى القدح الذى لا عروة له كوب(٤) .

ووجدت الأقداح فى العصر المملوكى وكانت من البللور ، وجاء ذكر قدح البللور(٥) فى واقعة أوردها ابن إياس عن الصاحب علم الدين بن زنبور (٦) - عام

---

(١) ج أقداح : وقدحة من المرق غرفة منه . القداح متخذ الأقداح وصناعته القداحة والقداحة حجر القدح.
انظر : بطرس البستانى : قطر المحيط جـ٢ ، ص ١٦٦٨ .

(٢) البلوى : المصدر السابق ، جـ٢ ، القسم الأول ، ص١٢٧ .

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٣٠٨ .

(٤) ابن زكريا (أبو الحسن أحمد بن فارس) : معجم مقاييس اللغة ، الطبعة الأولى ١٣٦٩هـ جـ٥ ، ص ١٤٥ .

(٥) وجدت أقداح البللور فى العصر الفاطمى وقد بيع إحداها بمائتين وعشرين ديناراً . د. زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ، القاهرة ١٩٣٧ ، ص ٤٤ كما عرفت أقداح الزجاج فى مصر منذ القدم وكان من بين هدايا المقوقس إلى رسول الله ﷺ قدحاً من الزجاج .
العينى : السيف المهند فى سيرة الملك المؤيد ، القاهرة ١٩٦٧ ، ص ٢٢٢. ومن أشهر الكؤوس الزجاجية الزجاجية فى التاريخ كأس أم حليم – هى بنت يحيى بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس وأمها زينب بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام . كانت هى وأمها من أجمل نساء قريش ، وكانت قريش تقول لأم حكيم : الواصلة ، لأنهم وصلت الجمال بالكمال – هى كأس من الزجاج الأخضر ، مقبضها من ذهب .
انظر : ابن منظور : مختار الأغانى فى الأخبار والتهانى ، جـ١ ، ص ٣٨٧ ، ٣٩٠ .

(٦) قبض عليه السلطان فى عام ٧٥٣هـ وصودر بعد الضرب والعذاب فكان المأخوذ منه من النقد ما ينيف على ألفى ألف دينار ومن أونى الذهب والفضة نحو ستين قنطاراً ومن اللؤلؤ نحو أردبين ومن =

٧٥٣هـ/١٣٥٢م فى سلطنة الصالح صلاح الدين بن الناصر محمد ابن قلاوون – أنه جلس يوماً فى شباك مطل على النيل فى بيته بالروضة وكان النيل فى قوة الزيادة ، فوضع على الشباك قدحاً من البلور المثمن المزيك بالذهب فلما وضعه على الشباك تغافل عنه ساعة فسقط فى البحر ، فطلب جماعة من الغطاسين ، فلما حضروا ، قالوا له : " فى أى مكان سقط هذا القدح ؟ فنزع ابن زنبور من أصبعه خاتماً من الياقوت الأحمر ، وألقاه فى البحر ، وقال سقط ها هنا ، فغطس الغطاس فى البحر ساعة ، ثم طلع بالقدح ، والخاتم الياقوت فى وسطه[١] .

وتحتفظ المتاحف بنماذج لهذه الأقداح ففى متحف الفن الإسلامى بالقاهرة قدح من الزجاج العسل قاعدته مفقودة ، طوله ٠,٠٥ م ، عرضه ٠,٠٧م[٢] .

وبالمتحف الإسلامى بكلية الآثار جامعة القاهر كأس من النحاس متسع الفوهة ذا قاعدة صغيرة قوام زخرفته زخارف نباتية وهندسية ورسوم طيور ، يرجع إلى مصر فى ق ٨ هـ / ١٤ م ، الارتفاع ٧,٥ سم قطر الفوهة ١١ سم [٣] .

وبدار الآثار العربية بالكويت كأس صغير من البرونز زخارفه محزوزه ومكفته بالفضة يرجع إلى مصر القرن ٧ – ٨ هـ / ١٣ – ١٤م ، على هذا الكأس زخارف كتابية من ظاهره نصها :

= الحياصات الذهب ستة آلاف ومن القماش المفصل نحو ألفين وستمائة قطعة وخمسة وعشرين معصرة سكر ومائتى بستان وألف ورأربعمائه ساقية ومن الخيل والبغال ألف ومن الجوارى سبعمائة ومن العبيد مائة ومن الطواشية سبعون إلى غير ذلك .

ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، تحقيق لجنة أحياء التراث العربى فى دار الآفاق ، دار الآفاق الجديدة ببيروت ، ١٩٨٥ ، جـ٦ ، ص ١٧٣ .

(١) بدائع الزهور : الجزاء الأول / القسم الأول ، ص ٥٤٨ .

(٢) برقم سجل ٤٣٠٤ .

(٣) برقم سجل ١٥١٣ .

" العز والبقا والظفر الأرعدا (كذا) (أى الأعداء) ودوام النعما والرفعة والارتقـــا والدولة ... " .

القطر ١٠,٥ سم الارتفاع ٦ سم . وشكل هذا الكأس يشبه بعض الكوعوس الـــواردة ضمن شعارات أمراء المماليك التى تشير إلى وظيفة الساقى فى البلاط المملوكى . ومـــن المعروف أن هذه الشعارات الدالة على الوظائف قد اندمجت ضمـــن الرصيـــد الزخرفـــى المملوكى لأول مرة خلال حكم السطلان الناصر محمد بن قلاوون[١] .

وبمتحف اللوفر بباريس كوب من السيلادون يرجع إلى مصر فى القـرون ١٣ / ١٤م وزخرفته قالبية تحت الطلاء[٢] .

القـلــــة :

القلة من الأوانى الشائعة ذات الصفة الشعبية التى تستخدم لشرب المياه ، وهى مـــن الفخار ، بعضها مزين بزخارف متنوعة بأساليب مختلفة من حفر غائر أو بارز أو طبــــع بالقالب ، وزخارف مضافة باستعمال القرطاس (الباربوتين) .

وبعض هذه القلل مطلى من الخارج بطلاء زجاجى أزرق أو أخضـــر ، ويســـتعمل هذا النوع فى الشتاء لحفظ حرارة الماء . أما أغلب هذه القلل فيترك سطحها ســـاذجاً دون زخارف ، ويكتفى بزخرفة شبابيكها .

وشباك القلة هو الجزء الموجود داخل القلة بين رقبتها وبدنها ، المقصود منه تنظيـــم تدفق المياه عند الشرب .

وزخرفة شباك القلة يعتمد على التخريم وما يحدثه ذلك من وقـــوع الضـــوء علـــى الأجزاء البارزة والظل على الخروم .

---

(١) غادة حجاوى قدومى : المرجع السابق ، ص ١٣٨ .

(2) L'Islam dans les Collections Nationales, Paris 1977, p. 152.

وقد استعمل الصانع زخارف هندسية ونباتية وحيوانية وكتابية ، وهى شبيهة بالدنتلا[1] .

وتنسب شبابيك القلل إلى مصر فى العصر الفاطمى والأيوبى والمملوكى[2] . ولا شك فى أن شبابيك القلل التى عثر عليها فى أطلال الفسطاط ، قد صنعت فى الفسطاط نفسها ، لأن بعض القطع التى عثر عليها كانت مما تلف أثناء صناعتها أو تسويتها ، ولم يكن ثمة داع لجلبها من مكان بعيد وهى فى هذه الحال من التلف[3] .

وتصنع القلل من صلصال واسع المسام يجفف بالشمس وهى تستعمل لحفظ برودة الماء بالتبخر وقت القيظ الشديد ويعطر داخلها عادة ببخور الأخشاب الصمغية العطرية الرائحة وبالمصطكى .

وتغطى القلل بأغطية من الفضة أو النحاس أو القصدير أو الخشب أو ورق النخل ، وتوضع القلل فى صينية من المعدن تتلقى الماء الذى يرتشح منها ، وفى الشرق لا يستعملون الكوب لشرب الماء بل يشربون من فم تلك الآنية ممسكين برقابها ، على أن الميسورين من الناس يشربون فى أكواب (طاسات) الذهب أو الفضة المذهبة أو النحاس[4] .

ويحتفظ متحف الفن الإسلامى بالقاهرة ببعض القلل الفخارية منها قلة صغيرة من فخار رقيق فاقد من فوهتها جزء وبها شطوف وثقوب . ظاهرها خال من الزخارف ، ويزخرف شباكها بالتفريغ شكل حيوان هيئته وعل أو غزال يعدو .

قطر الفوهة ٩ سم – الارتفاع ١١ س – من حفائر الفسطاط[5] .

---

(١) عبد الرءوف على يوسف : تحف من الفن الشعبى فى مصر الإسلامى ، مجلة منبر الإسلام ، العدد ٥ – السنة ٢٠ جمادى الأولى ١٣٨٢هـ / أكتوبر ١٩٦٢م . ص ١٦٨ ، ١٦٩ .

(٢) أبو صالح الألفى : الفن الإسلامى ، أصوله ، فلسفته ، مدارسه ، ط٢ ، دار المعارف بمصر ١٩٧٤ ص ٢٧٤ ، ٢٧٥ .

(٣) زكى محمد حن : كنوز الفاطميين ، ص ١٧٣ .

(٤) كلوت بك : المرجع السابق ، ص ٢٣ ، ٢٤ .

(٥) رقم سجل ٢٤٢٣٠ .

الكوب لشرب الماء بل يشربون من فم تلك الآنية ممسكين برقابها ، على أن الميسورين من الناس يشربن فى أطواب (طاسات) الذهب أو الفضة المذهبة أو النحاس(١) .

ويحتفظ متحف الفن الإسلامى بالقاهرة ببعض القلل الفخارية منها قلة صغيرة من فخار رقيق فاقد من فوهتها جزء وبها شطوف وثقوب . ظاهرها خال من الزخارف ، ويزخرف شباكها بالتفريغ شكل حيوان هيئته وعل أو غزال يعدو .

قطر الفوهة ٩ سم - الارتفاع ١١ س - من حفائر الفسطاط(٢) .

قلة من الفخار الأحمر بدنها مستدير ورقبتها أسطوانية وهى خالية من الزخارف ما عدا بعض دوائر متوازية محزوزة تتوسط وأخرى على أعلى الرقبة وبها شطوف .

قطر الفوهة ٤,٨ سم ، الارتفاع ٢٢,٢ سم وهى من حفائر الفسطاط أيضا(٣) .

وإلى جانب القلة استعمل الدورق - وهو من الفخار أيضا - فى شرب الماء وهو يختلف عن القلة فى آن حلقه ضيق(٤) . وهما يوضعان دائما فى تيار الهواء أو خلف المشربية .

ووجد الدورق من الزجاج المموه بالمينا فى عصر المماليك ، مثال ذلك دورق ذو رقبة رشيقة هيفاء - بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة(٥) - مزخرف بثلاث وردات كبيرة مموهة بالمينا المختلفة الألوان ، على أرضية من فروع نباتية مملؤة بصور الحيوانات ، كما يوجد دورق كبير زخارفه فيها عناصر صينية ، فعلى الرقبة رسم الطائر

---

(١) كلوت بك : المرجع السابق ، ص ٢٣ ، ٢٤ .
(٢) رقم سجل ٢٤٢٣٠ .
(٣) رقم سجل ٢٤٣٠٠ .
(٤) لين : المرجع السابق ، ص ١٣٤ ، ١٣٥ .
(٥) رقم سجل ٤٢٦٢ .

الخرافى " فينيكس " ، وعلى بدن الدورق ثلاث مناطق بأحداها صورة سيدة تلعب على آلـه موسيقية وترية . وبالثانية سيدة تضرب على الدف ، وبالثالثة شخص يرقص وهو ممسـك بكأس . وبين هذه المناطق صور ديوك تتعارك وأوز . وما يظهر على هذه التحفـة مـن روح صينية يدل على أنها صنعت لترسل إلى بلاد الصين[1] .

الجـــرة :

استعملت الجرة فـى وضـع المـاء[2] ، وهـى تصنـع مـن الفخـار والخـزف ويطلق عليها فى ريف مصر البلاص – وهى نسبة إلـى بـد فـى الصعيـد يقـال لـها البلاص . وهو يلعب دورا كبيرا فى الإرياف ، خصوصـا لأنـهم يمـلأون بـه المـاء من الترع والأنهار كل يـوم[3] .

ويطلق على الصغير من الجرار الزلعة ، وقد استخدمت الجرار والزلع فى عصـر المماليك ، فقد أورد ابن إياس – فى حوادث صفر ٧٩٨هـ/١٣٩٦م عهد السلطان برقـوق – أنه ظهر " للأمير جمال الدين فى مكان خلف مدرسته التى فى القربييـن سـبعة أزيـار كبار ، وزلعتين ، ضمنهم فضة ، ودراهم نقرة ، ووجد فى ذلك المكان جرتيـن كبـار ، ضمنهم ذهب عين "[4] .

واستخدمت الجرار فى تخزين الخمر ، فعندما قبض السلطان النـاصر فـرج ابـن الظاهر برقوق ى ربيع الاخر سنة ٨١٤هـ/١٤١١م علـى أبـى الفـرج ، الاسـتادار " واحتاط على موجوده ، فظهر عنده حاصل فيه جرار خمر ، نحوا من ثلاثة آلاف جـرة ،

---

(١) محمد مصطفى : خزف الأناضول والزجاج المموه بالمينا . لا يوجد به تاريخ طبع .

(٢) روى أن أبا هريرة كان يشرب من ماء الشقيط والشقيط الفخار وقال الأزهرى هى جرار من خـزف يجعل فيها الماء

انظر : ابن الأثير : المرجع السابق ، ص ٢٥٠ .

(٣) أحمد أمين : المرجع السابق ، ص ٩٤ .

(٤) ابن إياس : المصدر السابق ، جـ١ ، القسم الثانى ، ص ٤٧٩ .

فابتاعت على الناس كل جرة بمائة درهم ، وتزاحمت الناس على شراها ، حتى بلـــغ كـل جرة ثمنها دينار "[1] .

الزير والكلجه :

وجد الزير البلور ضمن جهــاز بنـــات الســلاطين ، فقد ذك المقريزى " أخـــبرنى من شاهد جهاز بعض بنات السلطان حسن بن محمد بن قلاوون وقد حمـــل فـــى القــاهرة عندما زفت على بعض الأمراء فى دولـــة الملك الأشـــرف شـــعبان بن حسين بن محمـــد ابن قلاوون فكان شيأ عظيماً من جملته دكة من بلور تشتمل على عجائب منها زيـــر مـــن بلور قد نقش بظاهره صور ثابتة على شبه الوحوش والطيور ، وقدر هذا الزير مـــا يســـع قربة ماء "[2] .

وللأسف لم يبق لنا الزمن على مثال من هذه الأزيار البللورية .

هذا وقد استخدم الزير المصنوع من الرخام فى عصر المماليك فى تخزين المياه .

وبمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة مجموعة من الأزيار والكلج المنقولة من القصـــور والمساجد وغيرها من عمائر القاهرة .

ويأخذ الزير شكل بيضاوى منحوت من قطعة واحدة ويزين بعضها قنوات طوليـــة أو زخارف نباتية بارزة أو كتابات كوفية ونسخية . ومن أمثلها الجميلة زير أصلـــه مـــن مدرسة الأميرة تتر الحجازية[3] بالقاهرة ، وهى ابنة السلطان الناصر محمد بن قـــلاوون . ويزخرف بدنه رسوم نباتية محفورة حفراً بارزاً على هيئة أفرع وأوراق كبيرة مفصصـــة توءلف شبكة تغطى البدن ، وعلى رقبته شريط به عبارة مكررة بالخط الكوفى تقرا " عـــز دائم " ويزين القاعدة صف من أشكال أسماك متتابعة .

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٨١٣ .

(٢) المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص ١٠٥ .

(٣) ترجع هذه المدرسة إلى ٧٦١هـ/١٣٦٠م .

ويضم المتحف أيضا زيرين صغيريين نسبيا منحوتين نحتا لطيفا وبدنهما خال مـــن الزخارف ويشاهد أعلى البدن فى ثلاث مناطق عبارة منقوشة نصها : " وقف هذا الزيـــر على هذا السبيل المبارك مولانا السلطان الملك لأشرف أبو النصر قايتبـــاى عـــز نصـــره بمحمد وآله " . (لوحات ٩١ - ٩٤) .

ولكل منه ثلاث مقابض تزخرفها جديلة مفرغة .

ولهـــذه الأزيـــار قواعـــد أو " كلج " من الرخـــام أيضـــا ، وبعض هذه القواعـــد أو حاملات الأزيار يرجح أنهـــا كانت فى الأصل تحمل أزيارا من الفخار ينضـــح المـــاء من مســـامها فى تجويف الكلجـــة ، أو حامل الزير ثم ينساب خـــلال سلســـبيل صغـــير مزخرف بالحفر إلى حوضها حيث يتجمع ويمكن الشرب منه بـــالكيزان . ولبعـــض هـــذه الكلج رأس صغير بارز فى مقدمها وأربع أرجـــل مزخرفـــة بالحفـــر تشـــبه أرجـــل الســـلحفاة فتعطى إحساسا بأن النحات قد استلهم شكل السلحفاة فى المظهر العام للكلجـــة . ويزخرف بـــدن الكلجة المربع أو المضـــلع أشكال عقـــود (أو مقرنصـــات وزخـــارف هندسية أو أشرطة من الكتابات الكوفية تحـــوى عبـــارات دعائية مثـــل " بركـــة كاملـــة ونعمة شاملة " .

وقد زين بعض هذه الكلجات برسوم أشخاص مجسمة منها رجال واقفون يمســـكون صولجانات أو سيوفا مستقيمة أو نساء عاريات يحاولن ستر أجزاء من أجسادهن بأيديـــهن أو تماثيل نسور ناشرة أجنحتها أو طيور وأسود مجنحة محفورة حفرا بارزا .

ومن المرجح نسبة كثير من هذه الكلجات إلى القاهرة الفاطمية بناء على أشكال هـــذه الرسوم الزخارف والكتابات ، ومن الكلجات الى يرجح نسبتها إلى ذلك العصر الكلجة رقـــم ٤٣٢٨[1] .

---

(١) عبد الرءوف على يوسف : النحت (مقالة بكتاب القاهرة- تاريخها وفنونها وآثارهـــا - الأهـــرام - ١٩٧٧م - ص ٣٠١ - ٣٠٢ .

والإزيار من الأوانى الكبيرة التى إذا ماتوافرت لدى الناس استخدموها فى تخزين أى شئ لديهم فاستخدمت فى تخزين الفضة كما ظهر فى موجود الأمير جمال الدين عام ٧٩٨هـ[١] ، واستخدمت فى تخزين الكعك كما جاء فى المقريزى[٢] .

ومما يذكر أن أهل مصر تقول للزير الحب وإليه أشار فخر الدين بن مكانس فى السبيل الذى أنشأه الوزير الملكى الشهير بالنشو بجامع عمرو بن العاص[٣] .

والزير والزويرة جمعها أزيار أو زيار كما جاء فى دوزى[٤] .

ومن الجدير بالذكر أنه كان يوجد بالبيوت المملوكية بيت للأزيار فنقرأ فى وثيقة الغورى وهى تصف الدار التى بالقرب من حمام الخراطين أنه على يمنه الداخل إلى الدهليز الذى يلى الدركاة " بيت أزيار "[٥] .

ويحتفظ متحف الفن الإسلامى بالقاهرة بنماذج للأزيار والكلج الرخامية منها زير من رخام أزرق قطر الفوهة ٠,١٨م – ارتفاعه ٠,٦٦م[٦] .

---

(١) ابن إياس : المصدر السابق ، جـ١ القسم الثانى ص ٤٧٩ .

(٢) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٧ .

(٣) الغزولى : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص ٧٣ ، ٧٤ .

وجاء فى (حديث الشافعى رضى الله عنه) كنت أكتب العلم والقيه فى زير لنا الحب الذى يعمل فيه الماء .

انظر ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ٢ ، ١٤٧ .

(4) Dozy : Supp. Tome I, P. 618 .

(٥) د. عبد اللطيف إبراهيم : سلسلة الدراسات الوثائقية ، الوثائق فى خدمة الآثار " العصر المملوكى " ، دراسات فى الآثار الإسلامية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، القاهرة ، ١٩٧٩م ، ص ٤٠٣ .

(٦) رقم سجل ١٢٢ .

زير من الرخام الأبيض - بسطح فوهته ثقوب وهى ذات جسم مستدير مفرطح ارتفاعه ٠,٦٠م - قطر الفوهة ٠,٢٥م وهو من مسجد تغرى بردى بالصليبة[١] .

ومن الكلج كلجة _ حمالة الزير) من رخام ذات أربعة أرجل بها كتابة كوفية وبأجنابها هيئة حيوانات وذلك بالنقش البارز[٢] - الطول ٠,٧٠م - العرض ٠,٤٣ متر .

ويوجد به أيضاً حمالة من فخار مطلى[٣] بوسطها كتابة بخط النسخ المملوكي ، وهي مكسورة وملصوقة وينقصها بعض أجزاء . الارتفاع ٠,٢٤٠م - القطر ٠,١٩٠م .

ويحتفظ المتحف القبطى بالقاهرة بمجموعة كبيرة من الكلج الرخامية المزخرفة برسوم صلبان وقديسين وغيرها من الزخارف التى شاع وجودها فى الفن القبطى .

كما يحتفظ كل من بيت الكريتلية وبيت السحيمى بالعديد من الأزيار والكلج الرخامية التى ترجع إلى العصر العثمانى .

وتحتفظ المتاحف العالمية بنماذج للكلج أو الأزيار الرخامية التى ترجع إلى مصر مثال ذلك متحف المتروبوليتان بنيويورك ومتحف الفنون الجميلة ببوسطن ومتحف بناكى بأثينا والمتحف القومى بدمشق[٤] .

---

(١) رقم سجل ١٠٧ .

(٢) رقم سجل ٩٧ .

(٣) رقم سجل ١٤٧٥٤ .

(4) Elfriede R. Knauer : Marble Jar-Stands Egypt, the Metropolitan Musum of Art, 1980, Metropolitan Museum Journal 14, p. 67-97.

القربة :

تستخدم القربـــة فى حمل ماء الشرب . وهى من الجلد ويطلق عليها الزفـــر[١] ، أو الشن[٢] . وكان بالقاهرة فى العصور الوسطى أسواقاً معروفة لصنـــاع القـرب والشـنط وكانت هذه المنتجات يقبل على شرائها الكثيرون[٣] .

واستخدمت القربة فى عصر المماليك . وكانت الأزيار البللورية التى تجـــهز بـــها بعض بنات السلاطين يسع الواحد منها قربة ماء[٤] .

الدلو :

إناء من النحاس له مقبض . ويطلق عليه الذنوب .

ويحتفظ متحف الفن الإسلامى بنماذج له منها : دلـــو صغـير – ١٥٢٩٤ – مـن نحاس عليه سطر كتابة كوفية أسفلها فرع نباتي وله مقبــض مثبـت بـأعلاه – الطـول ٠,٠٧٠ م – القطر ٠,٠٧٥م .

دلو آخر صغير من النحاس مقبضه فاقد عليه شريط من فرع نباتي وبـــه كســر – الطول ولقطر كسابقه .

القدر :

هو إناء يستخدم فى طبخ الطعام . وقد وجدت القدور النحاسية بكثرة فـى العصـر الفاطمى وقد نقل لنا ذلك الرحالة ناصر خسرو الذى قال : " رأيت قـدورا مـن النحـاس الدمشقى ، كل واحد منها يسع ثلاثين منا ، وكانت من الطلاوة بحيث تظنها مـن ذهـب . وقد حكوا لى أن امرأة تملك خمسة آلاف قدر ، وأنها تؤجر الواحد منها بدرهم فى الشـهر ، وينبغى أن يردها المستأجر سليمة[٥] .

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ١٣٦ .

(٢) الأصفهانى : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص ٣٢٠ ، ٣٢١ حاشية (٢) .

(3) Gaitein, Op. Cit., p. 257.

(٤) المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص ١٠٥ .

(٥) سفر نامة ، ص ٦١ .

كما وجدت قدور فخارية وخزفية ترجع إلى مصر فى عصورها الإسلامية المختلفة ربما استخدمت فى تخزين السمن والأطعمة[1] . بالإضافة إلى قدور كبيرة استخدمت فى المنازل لتخزين الغلال . (لوحة ٩٧) .

المترد :

هو إناء من فخار أحمر أصغر من الشالية ، وهو من أشهر أوانى الفلاحين خصوصاً فى أعراسهم واصلة مركب من فعلين « مات ورد » لأنه لما عمل فى ابتدائه وكسر عملوا بدلــه فقالوا رد بعدما مات ثم حذفوا الألف وجعلوها علما وقالوا مترد . وقيل سمى بهذا الاسم لتردد الخبز فيه ووضع الطعام عليه فيكون من باب تسمية الظرف بمعنى المظروف أو أنه عمل بمدينة تسمى ما تريد التى ينسب إليها الشيخ الماتريدى[2] .

ويساوى المترد فى الشهرة الطاجن فهم يضعونه فى الفرن فينضجون فيه اللحم أو السمك أو الطير أو نحو ذلك . وهو يختلف عن الطاجن بضيق رقبته[3] .

الدست :

إناء يستخدم فى طهى الطعام ، وهو من المعدن ، وبدنه كروى وقمته مخروطية .

وجاء ذكر الدست فى وصف عبد اللطيف البغدادى كيفية عمل المصريين لهريسة الفستق[4] .

---

(١) يحتفظ متحف الفن الإسلامى بنماذج عديدة للقدور الفخارية المطلية والخزفية المرسومة تحت الطلاء أو ذات البريق المعدنى .

(٢) الشربينى (يوسف بن محمد بن عبد الجواد بن خضر) : هز القحوف فى شرح قصيدة أبى شادوف ، المطبعة الأميرية ببولاق سنة ١٣٠٨ هجرية ، الطبعة الثانية ، الجزء الأول ، ص ١٥٥ .

(٣) أحمد أمين : المرجع السابق ، ص ٣٥٥ .

(٤) عبد اللطيف البغدادى : عبد اللطيف البغدادى فى مصر ، طبع القاهرة ، ص ٥٥ .

كما ورد ذكر الدست أيضاً فى بدائع الزهور فى واقعة أوردها ابن إيـــاس بتـــاريخ ربيع الآخر سنة ٨٢٧هـــ/١٤٢٤م فى عهد السلطان برسباى[١] .

نضف إلى ذلك أنه جاء ذكر الدست فى وثائق الحرم القدسى المملوكية[٢] .

المكيال :

المكيال من الأدوات الهامة لكل منزل فبواسطته تستطيع ربة البيت تحديد مقدار مـــا تريد أن تطحنه من حبوب أو تنوى أن تخبزه من دقيق أو ما تريد طبخه من حبوب أو مـــا شابه ذلك . والمكاييل كثيرة منها ما يسع كيلة أو نصف كيلة أو ربعـــها أو غـــير ذلـــك . ويطلق على المكيال الواسع السندرة . وربما جاءت هذه التسمية من السندرة وهى شـــجرة يعمل منها النبل والقسى[٣] .

ومن المكاييل الصاع ومما يذكر أن صاع النبى ﷺ الذى بالمدينة أربعة إمداد وذلك خمسة أرطال وثلث بالبغدادى ، وقال أبو حنيفة (الصاع) ثمانية أرطـــال ، لأنـــه الـــذى تعامل به هل العراق ورد بأن الزيادة عرف طارى على عرف الشرع لما حكـــى أن أبـــا يوســـف لما حـــج مع الرشيد فاجتمع بمالك فى المدينة وتكلما عن الصاع فقال أبو يوســـف (الصاع) ثمانية أرطال فقال مالك (صاع) رسول الله ﷺ خمسة أرطال وثلـــث ، ثـــم احضر مالك جماعة معهم عدة أصواع فاخبروا عن آبائهم أنهم كانوا يخرجون بها الفطـــرة ويدفعونها إلى رسول الله ﷺ فعايروها جميعاً فكانت خمسة أرطال وثلثا فرجع أبو يوســـف عن قوله[٤] .

---

(١) الجزء الثانى ، ص ٩١ ، ٩٢ .

(٢) انظر ص ٧٨ من هذا البحث .

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، ص ٢٠١ .

(٤) المقرى : المرجع السابق ، جـــ١ ، ص ٣٥١ .

وعن الكيل فى مصر ، فيذكر السيوطى فى حسن المحاضرة أن الأردب وهو ست ويبات الويبة أربعة أرباع الربع أربعة أقداح القدح مائتان واثنان وثلاثون درهما هذا أردب مصر وفى أريافها يختلف الأردب من هذا المقدار إلى أنهى ما ينتهى ثلاث ويبات والرطل اثنا عشر أوقية الأوقية اثنا عشر درهما[١] .

ويحتفظ متحف جايراندرسون بنماذج للمكاييل[٢] .

ويؤكد لنا استخدام المكاييل فى عصر المماليك ذكر المقريزى بشأن دست الطاسات النحاسية المكفتة التى كانت ضمن جهاز العروس أن كبراها تسع نحو الأردب من القمح[٣] .

السكرجة :

بضم السين والكاف والراء والتشديد ، إناء صغير يؤكل فيه لشئ القليل من الأدم وهى فارسية ، وأكثر ما يوضع فيها الكوامخ ونحوها[٤] . من الجوارش على المائدة حول الأطعمة للتشهى والهضم وجمعها سكارج[٥] .

---

(١) السيوطى : حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ، طبع بمطبعة إدارة الوطن بمصر ، سنة ١٢٩٩ هـ ، جـ٢ ، ص ٢٢٦ .

وعن مكاييل اللغة انظر أيضاً : يوسف الخوارزمى (أبو عبد الله محمد بن أحمد) كتاب مفاتيح العلوم ، بريل ١٩٦٨م - ص ١٤ - ١٥ .

(٢) لوحة (٩٩) .

(٣) المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص ١٠٥ .

(٤) ابن منظور : المرجع السابق جـ٦ ص ٤١ ، ٤٢ ، جـ٣ ص١٢٣ .

ويذكر الجواليقى أن السكرجة كلمة أعجمية معربة . وهى بضم السين والكاف وفتح الراء وتشديدها . وكان بعض أهل اللغة يقول: الصواب " أسكرجة " وقد جاءت فى الحديث بغير همزة ، فعن انس بن مالك قال : ما أكل نبى الله ﷺ على خوان ولا فى سكرجة ، ولا خبز له مرقق " .

الجواليقى : المعرب من الكلام الأعجمى على حروف المعجم ، تحقيق أحمد محمد - ص ١٩٧ .

(٥) إبراهيم مصطفى وآخرون : المرجع السابق ، جـ١ ، ص ٤٤١ .

وعرفت السكرجة منذ بداية الإسلام ففى الحديث لا آكل فى سكرجة[1] .

كما كانت من أدوات الطبخ المعروفة فى عصر المماليك فقد ورد ذكرها فى وثائق القدس المملوكية ، وهى تكون من الفخار[2] .

المنخل والغربال :

المنخل والغربال من أدوات المطبخ التى لا غنى عنها لربة البيت ، وهما من الأدوات التى تحرص كل فتاة على أن تكون فى جهازها إلى منزل الزوجية والمنخل عادة أدق مسام من الغربال . فالغربال لتنقية القمح ، أما المنخل فلتنقية الدقيق . والمنخل طارة (إطار من الخشب يأخذ شكل دائرة) يركب عليها أما سلك فيسمى منخل حرير - ويثبت السلك أو الشاشة فى الطارة الخشب بمسامير دقيقة (لوحة ١٠٠) .

أما الغربال فيعمل من طارة أكبر ، ويركب عليه خيوط تعمل من الفراء فى الأغلب ومن كثرة استعمالها كان هناك حى يسمى المغربلين وحى آخر يسمى المناخلية[3] .

وكان يعرف على الغرابليين محتسب ثقة بصير بغشهم ، يأمرهم بغسل جميع الشعر قبل استعماله ، وأن يحترزوا من شعر الميتة ، وعلامته أنه خشن ويتقصف بسرعة ، ولا يستعملوا الشعر فى الغرابيل وغيرها إلا من غير صباغ فأن فيهم من يأخذ القلقند[4] وغيره ، ويغليه على النار ، ثم يترك الشعر فيه فتضعف قوته فيتهرأ عند

---

(١) ابن منظور : المرجع السابق ، جـ٦ ، ص ٤١ .

(٢) صالحية : المرجع السابق ، ٣٦ ، ٣٧ .

(٣) أحمد أمين : المرجع السابق ، ص ٢٩٧ ، ٢٩٨ .

(٤) والقلقند الزاج الأخضر ، والزاج مادة معدنية يمكن تحليلها بالماء والطبخ وتوجد فى العادة مخالطة لأحجار لا تقبل التحليل . وكان القلقند يستعمل فى معالجة أمراض الأذن .

انظر : ابن الأخوة : معالم القربة فى أحكام الحسبة ، تحقيق محمد محمود شعبان ص ٣٣٤ . وصديق أحمد عيسى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦م ، ٣٣٤ حاشية (٢) ،

استعماله ، ولا يمسك شيئاً ثم يبيعه من غير أن يعلم البائع أنه مصبوغ وينبغى أن يحلفوا ألا يعلموا الغرابيل من جلود الميتة ، وأن يغسلوا الجلود وينظفوها قبل تقويرها لئلا تتقطع بسرعة[١] .

أختام الكعك :

ومن التحف الفخارية الشعبية أختام مستديرة ، مزخرفة يطبع بها الكعك فى الأعياد والمواسم ، وعلى هذه الأختام بالحفر رسوم باز ينقض على أوزة أو صقر ناشر جناحيه أو رسوم أرانب أو غزلان وأسماك ، فضلاً عن زخارف نباتية وزخارف هندسية مختلفة .

ويزخرف بعض هذه الأختام عبارات دعائية بالخط الكوفى مكتوبة فى اتجاه عكسى مثل " كل هنيئاً " أو " بالشكر تدوم النعم " ونجد على بعضها " كل واشكر مولاك " .

ومن الطريف أن عبارة " كل وأشكر " هذه التى تكرر ورودها على أختام الكعك تطلق الآن على نوع معروف من الحلوى الشامية[٢] .

ويحتفظ متحف الفن الإسلامى ومتحف كلية الآثار بمجموعة من هذه الأختام (لوحة ١٠١ ، ١٠٢) .

المشنات – السلال – المقاطف :

وتوجد أوانى ليست من المعدن ولا الفخار بل صنعت من بعض النباتات كالمشنات والسلال والمقاطف .

فالمشنات تصنع من نبات الحناء والسلال من الغاب البلدى والمقاطف من خوص الجريد .

---

(١) المرجع نفسه نفس الصفحة .

(٢) عبد الرءوف على يوسف : تحف من الفن الشعبى فى مصر ، ص ١٦٩ .

وتستخدم المشنات فى حفظ العيش والفاكهة ، وذلك لأن بها مسام فهى تجعـــل مـــا يوضع بها بدون عفن مدة طويلة .

وتستخدم المقاطف والسلال فى شراء حاجيات المنزل الثقيلة الحمل من الخـــارج أو فى حمل الحبوب وهى تستخدم فى الريف .

واستخدمت المشنات فى عصر المماليك ، وقد ورد ذكر مشنات الفاكهة فى الســماط الذى إقامة السلطان الظاهر برقوق فى جمادى الآخرة عام ٧٨٨هـ/١٣٨٦م عندما كملــت عمارة مدرسته بين القصرين[١] .

هذا ويطلق على الوعاء المصنوع من الخوص الجلة وجمعها جلل .

ومن الجدير بالذكر أن بلاد النوبة اشتهرت بصناعة الأطباق والمقــاطف والســلال الخوص .

الرحى :

الرحى عبارة عن قرصين مستديرين من الحجر موضوعين فوق بعضهما وهـــى تستخدم فى طحن الحبوب وذلك بوضعها بين القرصين وتدار الرحى بواسطة يد حديديـــة مثبتة بالقرص العلوى .

ويطلق على الرحى الجاروش[٢] . ويطلق على الجلد الذى يبســـط تحــت الرحــى ليسقط عليه الدقيق الثقال[٣] .

---

(١) ابن إياس : المصدر السابق ، ط١ ، جـ١ ، قسم ثانى ، ص ٣٧٢ .

(٢) الجاروشَ عربية عامية ، جاء هذا الاسم من جرش الحنطة وغيرها أى لم ينعم دقـــها . وفصيحـــها المجرش أو المجش والمجشة من جش الشئ يجشه جشاً دقة وكسره . والجشيشة ما جـــش مـــن بـــر ونحوه أى دق . ويد الرحى التى يقبض عليها عند الجرش تسمى بالرائد . قال الجوهرى . والرائد يد الرحى وهو العود الذى يقبض عليه الطاح إذا إدارة .

(٣) الأصفهانى : الأغانى جـ٢ ، ط١ ، دار الكتب ١٩٢٨م ص ٢٦٣ .

وقد وجدت الرحى فى عصر الرسول وطحنت بها ابنته فاطمة الزهراء حتى أثـوت فى يدها[1] .

وكانت الرحى من الأدوات الهامة لكل منزل . ومازالت تستخدم فى بعـــض قــرى مصر .

ويحتفظ المتحف الزراعى بالدقى بشق رحى ترجع إلى مصر فى العصور الوسطى (لوحة ١٠٣) .

كما يحتفظ متحف اندرسون بمثال لهذه الرحى يرجع إلى عصر العثمانيين (لوحـــة ١٠٤) .

الهاون :

الهاون من الأدوات الهامة لكل مطبخ . ويوجد منه أنواع نوع صغير من الـــبرونز للبندق واللوز ونوع من الجرانيت للحم والبقول والخضروات ونوع من الخشب[2] لصحـــن التوابل والثوم .

ويطلق عل الهاون الدستج أو الدسنج[3] .

ويحتفظ القسم الإسلامى ببرلين بهاون من النحاس عليه شريطان من الكتابة بـــالخط الكوفى ، وبينهما زخارف نباتية وطيور محفورة بدقة وإتقان عظيمين . وأكبر الظـــن أنـــه من صناعة القرن ٦ هــ / ١٢ م[4] .

وبمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة أهوان من النحاس والجرانيت والخشب ترجع إلـــى مصر فى عصر المماليك .

---

(١) البلوى : المصدر السابق ، جــ١ ، ص ٥٤٢ .

(2) Mazaheri : Op. Cit., . 77 .

(3) Dozy : Op. Cit., T.I., P.441.

(٤) زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ، القاهرة ١٩٣٧م ، ص ٢٤١ .

منها هاون من النحاس له مقبض يتدلى من كل منهما حلقة مستديرة[1] ، ويزينه من الخارج مثلثات رأسية بارزة فى أشكال عكسية ويحيط بها من أعلى وأسفل شريطان فيها بقية كتابة عربية وله يد من النحاس تنتهى بكسر ، ارتفاع الهاون ١٢ سم ، قطر الفوهة ١٣ سم ، طول اليد ٢٦سم ، وهو وارد من مدينة قوص (لوحة ١٠٧ ، ١٠٨) .

وهاون ويده من الجرانيت الأسود[2] (لوحة ١٠٥) .

وأهوان من الخشب بعضها مزخرف بالألوان (لوحة ١٠٩ - ١١٢) .

ومن الغريب أن الألوان التى استخدمت فى زخرفة الأهوان والأوانى الخشبية المملوكية لازالت تستخدم إلى الآن فى زخرفة الأهوان الخشبية[3] .

عمود الطعام :

وقد ذاع فى نهاية عصر المماليك استعمال طاسات للطعام ترتب بعضها فوق بعض . وكانت تزين برسوم هندسية ونباتية ويبدو فى أساليبها الفنية الاضمحلال الذى دب إلى هذه الصناعة منذ نهاية القرن ٩ هـ / ١٥م[4] .

ويحتفظ متحف الفن الإسلامى ببعض أعمدة الطعام منها عمود من النحاس المطلى بالفضة مركب من ثلاث مواعين وغطاء ، ومقبض وعلاقة وله جنبين عريضين للمشال وعليه زخرفة بالحفر من فروع نباتية وشبه كتابة نسخية الطول ٠,٣٨٠[5] .

---

(١) رقم سجل ٢٤٠٦٩ .

(٢) رقم سجل ١٩٣٧٧ / ١ / ٢ .

(3) Abdel Raouf A.Youssef : op. Cit., p. 14, Figs. 5 , 16.

(٤) د. زكى محمد حسن : فنون الإسلام ، ص ٥٦٠ .

(٥) رقم سجل ٧٥٩٤ .

عمود آخر من النحاس يتكون من ثلاث طاسات وغطاء عليها كتابات داخل منـاطق ورنوك مركبة – الطول ٠,٤٤٠م ، العرض ٠,٤٢٠ م[1] (لوحات ١١٣ – ١١٦).

وربما كانت أعمدة الطعام من الأدوات التى أقبلت على شرائها عروس مصر فـى نهاية عصر المماليك ، فيبدو أن الزوجة كانت ترسل لزوجها بوجبة الغداء أو العشاء فـى عمود الطعام إذا كان عمله يتطلب منه الوجود خارج المنزل طوال اليوم .

(١) رقم سجل ١٥٠٦١ .

الأدوات المستخدمة فى حمل الطعام

أثناء الأكل

(أ) الصينية :

تكون الصينية أما من الخزف أو المعدن أو الخشب[1] أو الزجاج . وهى فى الغالب إناء مستدير متسع ذات ارتفاع بسيط وتستخدم فى تقديم الطعام والشراب بوضع الصحون والسلاطين والملاعق عليها .

ويذكر مظاهرى أنه لم يكن بحجرات طعام مسلمى العصور الوسطى سوى مخدات على الأرض جانب الجدار حول الحجرة ، ومناضد منخفضة تتكون من صوانى كبيرة من النحاس والفضة أو العقيق اليمانى ، وكانت يثبت بها أرجل[2].

ويحتفظ متحف الفن الإسلامى بالقاهرة بصينية معدنية من عصر المماليك صغيرة الحجم لها أرجل " حوامل معدنية ملتصقة بها) والصينية والحامل باسم الأمير بهاء الدين قراقوش الناصرى [3] .

وبالمتحف أيضا صينية من النحاس صنعت للملك الناصر محمد عليها توقيع نصه : " نقش غلام الصناع والمعلم أحمد السبع " .

وبمتحف كلية الآثار جامعة القاهرة صينية من النحاس نقش عليها زخارف كتابية (لوحة ١١٧) .

وبالمتحف القبطى صينية من الزجاج المموه بالمينا المتعددة الألوان (لوحة ١١٩ ، ١٢٠) .

---

(1) Dozy : Op. Cit., T.I., pp. 857-858.

(2) Mazaheri: Op. Cit., p. 77, 78.

(٣) رقم سجل ٢٤٠٧٦ .

وتمثل الصينية فى كثير من الأحيان المائدة كلها . ومنها ما هو مستدير أو مربع والصينية المستديرة الشكل هى الأكثر انتشارا وتشير بعض المراجع إلى قطر هذه المائدة ، كما جاء ذكر الشكل المستدير ورسمه فى بعض المخطوطات .

ومن بين الرسومات التى وصلتنا من قصير عمره فى العصر الأموى نجد فريسكو مصوراً عليه مائدة مربعة وهنا نلاحظ امتداد الروح البيزنطية[(١)] .

(ب) الحامل (الرافع) :

وجد فى عصر المماليك حوامل معدنية لوضع الصوانى والأوانى منها نوع ذو قمة وقاعدة مستديرة متساوية القطر ، ولكنه يستدق فى منتصفه . وبمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة نماذج منها (لوحة ١٢٤) .

وبمتحف المتروبوليتان حامل من النحاس الأصفر المكفت بالفضة والنحاس الأحمر يرجع إلى مصر فى النصف الأول من القرن ٨هـ/ ١٤م[(٢)] .

ونوع يتكون من ثمان أرجل وما بينهما مزخرف بالتخريم ، وبالمتحف القبطى ومتحف كلية الآثار جامعة القاهرة مثالاً له (لوحة ١٢١) ، (لوحة ١٢٢) .

وهناك نوع يأخذ شكل مخروطى وبمتحف الفن الإسلامى حمالة نحاس أصفر شكل مخروطى لها حزام من الوسط بأعلاه وبأسفله شريط من كتابة نسخية تتخللها زخرفة نباتية ويفصلها إلى قسمين دوائر بها زخرفة نباتية والكتابة متماثلة وتقرأ (المقر العالى الملكى الكاملى) وعلى قاعدته مكتوب بالحفر (عمل عمر) الطول ٠,١٤٠متر - العرض ٠,١٥٠متر[(٣)] .

---

(1) Sadan : Le Mombilier au Proch, Op, cit. 77-79.

(2) Marie G.Lukens : The Metropolitan Museum of Art Gaide to the Collectiona, Islamic Art, The Metropolitan Museum 1965, p. 25. 25, PL.37.

(٣) رقم سجل ٧٨٩٧ .

هذا وقد عرف العرب قبل الإسلام حوامل مكونة من ثلاثة حجارة موضوعة على الأرض لتوضع فوقه إناء أو فنار ويطلق عليها عطافى والمفرد عطفية ، وهذا الشئ البدوى أعطى اسمه حامل ثلاثى الأرجل من المعدن استخدمه العالم الإسلامى المتحضر ، وهذا الحامل كان له شكل حيوان وبالفعل فإن الحوامل المعدنية بشكل حيوانات وصلت إلينا[1] .

(جـ) كرسى العشاء " كرسى الصينية " :

يوجد بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة حوامل للصوانى النحاسية ، وهى كراسى من النحاس المكفت بالذهب والفضة أو من الخشب المطعم بالعاج والابنوس وهى من صناعة مصر فى عصر المماليك .

ومن الكراسى النحاسية المكفتة كرسى بديع الصنع باسم السلطان الناصر محمد ابن قلاوون .

ومن الكراسى الخشبية ، كرى على شكل منشور ذى ستة أضلاع مكسو بطبقة دقيقة من الفسيفساء مكونة فى الغالب من قطع صغيرة من الابنوس والسن ، وتتركب زخارف فسيفسائه من أشكال هندسية كثيرة التعقيد وعليه من أعلى ومن أسفل زخرفة على شكل عقود وهو بتاريخ ٧٧٠هـ / ١٣٦٩م ارتفاعه ١١٥ - قط ٥٤[2]سم .

ومن الكراسى الخشبية أيضاً كرسيان مزخرفان بالحفر والخرط منها كرسى (لوحة ١٢٥ ، ١٢٦) .

ويحتفظ كل من متحف قصر المنيل (ومتحف جاير أندرسون بالكثير من الكراسي المسدسة .

---

(1) Sadan : Le Mobilier, p. 94.

(2) Wiet : Cataloge General du Musee Arabe Du Caire, Le Caire, 1932, p. 34 .

وبمتحف الفن الإسلامى كراسى صوانى من النحاس مستطيلة الشكل منها كرسى زخارفة نباتية مفرغة بأعلاه شرفات وفاقد منه أجزاء ويبلغ طوله ١٢٠,٠متر[١]

وفى قوائم الزواج بجنيزا القاهرة جاء ذكر الحوامل (الكراسي) كثيراً . حتى ورد فى قائمة زواج واحدة ثلاثة حوامل . فيبدو أن فى هذه الأوساط كان استخدام الحوامل كثيراً ، كما نجد أن كلمة رافع تأتى كثيراً عند ذكر صندوق وحامله الخاص (الكرسي)[٢] .

(د) السفرة :

من أدوات المطبخ التى ذكرت فى وثائق الحرم القدسي المملوكية سفرة الطعام ، شبه طاولة الطعام ، وكانت بيضاء مطرزة بحرير وأخرى نحاسية[٣] .

وكانت كلمة السفرة تطلق على قطعة الجلد التى كان البدو الرحل – فيما قبل الإسلام – يضعون فيها أكلهم أثناء سفرهم ، وقد استخدمها المدنى عند خروجه خارج المنزل ، ولكن الغريب أن نراه يستخدمها داخل البيت[٤] ، فقد استخدمت الجلود المغطاة بالقماش لتقديم الطعام عليها فى عهد الخلفاء الراشدين[٥] .

هذا وتطلق كلمة سفرة أيضاً على مفرش النسيج الذى يفرش على الأرض أثناء الأكل ثم يرفع .

وأهم فترة بالنسبة للحياة المدنية الراقية ، هى استخدام الجلود على أنها مفارش توضع على أثاث صلب . وبهذا التقليد ضاع الطابع البدوى . والمستوى

---

(١) رقم سجل ١٥٢٢٤ .

(2)Sadan : Le Mobilier, p.90.

(٣) محمد عيسى صالحية : المرجع السابق ، ص ٣٦ .

(4) Sadan : Le Meubles P. 1360 & Le Mobilier P.82.

(٥) سيد أمير على : المرجع السابق ص ٥٩ .

الراقى الذى لديه هذه السفر لديه الإمكانيـة لاستخدام مـائدة أو خـوان مصنـوع مـن الأحجار أو من الخشـب[1] .

(هـ) الخوان والمائدة :

الخوان هو ما يوضع عليه الطعام عند الأكل[2] وكنية الخـوان أبـو جـامع لاجتماع الناس حوله ، يقولون لما يتخذ لتقديم الطعام على مـائدة والصحيـح أن يقال خوان إلى أن يحضر الطعام يسمى حينئذ مائدة يدل على ذلك أن الحوارييـن حين سألوا عيسى عليه السلام بأن يستنزل لهـم طعاماً مـن السـماء قـالوا هـل يستطيع ربك أن ينزل مائدة من السماء بينوا معنى اسم المائدة بقولهم نريـد أن نـأكل منها وتطمئن قلوبنا .

وقد اختلف فى تسمية المائدة ، بذلك فقيل سميت به لأنها تميد بما عليها أى تتحـرك مأخوذ من قوله تعالى (وجعلنا فى الأرض رواسى أن تميد بكم) وقيل بل هى من مـادا أى أعطى ، وقد أجاز بعضهم أن يقال فيها ميدة ، كقول القائل :

وميـدة كثيـرة الألـوان تصلح للجيران والأخـوان[3]

ويذكر ابن منظور أن المائدة الطعام نفسه ، وأن لم يكن هناك خوان مشتق من ذلـك وقيل هى نفس الخوان ولا تسمى مائدة حتى يكون عليها طعام وإلا فهى خوان[4] .

ومما يذكر أن العباسـيين كـانوا يجلسـون إلـى الطعـام علـى الديـوان أمـام مناضد مصنوعـة مـن الابنـوس أو الصـدف أو المحـار . وكـان للواثـق (٢٢٧ -

---

(1) Sadan : Le Meubles P. 1360 & Le Mobilier p. 82.

(٢) السيوطى : الدر المنثور ، جـ٢ ، ص ٦ ، ٧ .

(٣) الغزولى : المرجع السابق جـ٢ ، ص ٣٧ .

(٤) ابن منظور : المرجع السابق ، جـ٤ ، ص ٤١٩ ، ٤٢٠ .

انظر أيضاً : ابن عبد ربـه : العقـد الفريـد ، القـاهرة ، ١٩٥٣ ، الطبعـة الثانيـة ، جـ٤ ، ص ٢٥٠ .

٢٣٢هـ) (٨٤٢-٨٤٧م) خوان من الذهب توضع عليه صينية كبيرة مستديرة من الفضة أو النحاس[١] .

كما كان كبراء القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى يستخدمون الخوانات المصنوعة من خشب الجزع ، وكذلك بعض أدوات المائدة ثم استخدمت خوانات قوائمها منها بلا وصل[٢] .

ومن الجدير بالذكر أن كلمة خوان من أصل فارسي[٣] أما كلمة مائدة فمن أصل أثيوبى .

ويرى علماء اللغة أن الخوان منضدة فارغة بينما المائدة تكون محملة بالأكل .

ولكن ما جاء فى الأحاديث النبوية يوضح ان المائدة منخفضة أما الخوان فهو أعلى منها ، وكان الرسول الكريم يفضل الأكل على المائدة لأنها منخفضة بينما الخوان مرتفع والأكل عليه يبعده عن التقشف ويقربه من الرفاهية[٤] .

وقد جاء فى المدخل لابن الحاج ما يؤكد ذلك فقد ذكر أن الخوان لا ضرورة له لأن النبى ﷺ كان يأكل على الأرض فى بعض الأحيان وفى بعضها يأكل على سفرة[٥] وفيه تنبيه على أن الخوان من فعل الأعاجم وقد نهينا عن التشبه بهم وهو على أى صفة

---

(١) سيد أمير على : المرجع السابق ، ٣٩٢ .

(٢) آدم متز : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص ١٦٠ ، ١٦١ .

(٣) خوان تعنى المائدة ، الخوان المنضدة ، خوانجة : الصينية الصغيرة ، المائدة . عبد النعيم محمد حسنين : المرجع السابق ، ٢٢٣ .

(٤) الشبلنجى : أسعاف الراغبين هامش أيمن من كتاب نور الأبصار ، ص ٥٦ .

Sadan : Le Mobilier, p.64.

(٥) روى عن أنس بن مالك أنه قال : " ما أكل النبى ﷺ على خوان ، ولا فى سكرجة قال : فعلام كانوا يأكلون ؟ قال : على السفر " وعنه أيضاً أنه قال : " ما رأيت رسول الله ﷺ أكل على خوان حتى مات .

ابن ماجة : سنن ابن ماجة ، بيروت ١٩٥٤م ، جـ٢٢ ، ص ١٠٩٥ .

كان جنسه من نحاس أو خشب أو غيره وكان بعض المتبعين إذا جاءته زبدية لـــها قعـر مرتفع يكسر قعرها وحينئذ يأكل منها لخوفه ان تكون خوانا لعلوها عن الأرض فيقع فـــى التشبه بمن تقدم ذكره[١] .

(و) الطبلية[٢] :

هى خوان يؤكل عليه . وهى عبارة عن قرص مستدير من الخشب لــــه ثلاثـــة أو أربع أرجل وأحياناً تكون مربعة أو مستطيلة . وهى منخفضة ويجلس الأكلون حولها علـى الأرض . ومن الجدير بالذكر ان المصريين القدماء كانوا يستخدمون الطبلية عنـد تنـاول الطعام[٣] .

هـــذا ونجـد حوامـل للطعـام مسـتديرة ذات أرجـــل مصـــورة ضمـــن مخطوطات[٤] القرنين ٧ ، ٨هــــ / ١٣ ، ١٤م [٥] وهـى تشـبه الطبليـة المعروفـة ، ولكن لا ندرى هل هى الطبلية أم هى صوانى معدنيـة ذات قوائـم مـن المعروفـة فـى عصر الممـاليك .

(ز) مناديل الطعام (الفوطة) :

من المعتاد أثناء الطعام أن يوضع منديلاً على الفخذين ويحمل آخر علـــى الكتـف بحيث يلتقى طرفاه على الصدر فيكون أشبه شئ بالوشاح وهذا تكون الزركشة فيـه أكـثر منها فى الأول ويكون بالتالى أغلى منه ثمناً[٦] .

---

(١) ابن الحاج : المدخل ، جـ١ ، ص ١٨٨ .

(٢) نسبة إلى الطبل ، ج طبالى .

انظر : إبراهيم مصطفى وآخرون : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص ٥٥٧ .

(٣) وليم نظير : العادات المصرية ، ص ١٧ ، ١٨ .

(4) Duncan Haldane : Op. Cit., PL. 30

(٥) انظر لوحات ١٢٧ ، ١٢٨ .

(٦) كلوت بك : المرجع السابق ، ص٢١ .

وقد عرفت مناديل الطعام منذ العصر الأموى (٤٠هـ/٦٦١م)[١] .

هذا ويضم المطبخ لدى مسلمى العصور الوسطى ، عدا المناضد المنخفضة والكراسى الخشبية أرفف تحمل الأطباق والمواعين النحاسية والحلل بأحجام مختلفة وهذه الحلل لها يدان ولها غطاء .

وبعض هذه الحلل من النحاس ، وأخرى من الفخار وكان بينها أيضاً أشكال كبيرة جداً من الحجر ولها يدان ولكنها لم تكن تستخدم باستمرار بل فى المناسبات فقط[٢] .

(١) سيد أمير على : المرجع السابق ، ص ١٧٧ .

(٢) سعيد عبد الفتاح عاشور : المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك ، الطبعة الأولى ، دار النهضة العربية ١٩٦٢ ، ص ١١٦ ، ١١٧ .

الفصل الأول

ثالثـــًا : مفارش الأرض

ثالثا : مفارش الأرض

كان فرش الأرضيات فى المنزل الإسلامى من الأشياء التى يهتم بها غاية الاهتمام .

وبالنسبة لعصر المماليك كان ذلك الفرش يتناسب مع ما كان عليه المماليك من ترف وثراء .

وتنقل لنا المصادر وجود السجاد والأبسطة بكثرة فى منازل ذلك العصر الزاهر ، ومن ثم كان لا بد من وجود تلك المفروشات فى جهاز العروس .

ومما يذكر أنه كان بجهاز بنت أحد الأمراء من الفرش والبسط الشئ الكثير(١) .

وربما يقصد بالفرش السجاد والمقاعد الحريرية وغيرها من مفارش الأرض بالإضافة إلى مفارش الأسرة .

والبساط يعنى ما بسط أى مد ، وهى كلمة وردت فى القرآن والسجاد أو السجاجيد أو السواجيد(٢) تمتاز بأشكالها الدينية ، وأن كنا لا نستطيع أن نقول أنها عرفت للعرب من أيام النبى ، فقد كان يصلى هو وأصحابه على التراب ، وينسب فرش المسجد من أيام الأمويين . كذلك وجدت تعابير أخرى تعنى هذه الصناعة ، منها : كلمة الفرش من فرش حتى أن خزانة الفاطميين سميت خزانة الفرش ، وهى التى كانت تحتوى على الأبسطة وغيرها ، وكلمة الأنماط أو الأنمطة - مفردها نمط تعنى الحصر وكلمة حصير وهى

---

(١) المقريزى : الخطط ، الجزء الثانى ، ص٦٨

، على مبارك : المرجع السابق ، ص٣٢٩

(٢) مفردها سجادة وهى الخمرة التى يسجد عليها وهى سجادة تعمل من سعف النخيل وترفل بخيوط ثم عمت وشاعت لما يبسط للصلاة عليه من فرش وأنماط ، ثم فى كل ما يفرش فى البيوت منسوجا من صوت له خمل ، وأهل البادية يقولون : سداجة « على القلب » وقد عم بها مجمع مصر فى كل ما يفرش من الطنافس للسجود أو لغيره .

أحمد رضا : المرجع السابق ، المجلد ٣ ، ص١٠٦

تقابل السجاد من سعف النخيل ، وكلمة فروة وهى جلد حيوان مصبوغة ، وكلمة نطع وتعنى أنها من الجلد ، وكلمة طنفسة وهى من أصل يونانى تعنى بساطا صغيرا للجلوس ، وكلمة وطاء تعنى أنه بساط للأرجل ، وكلمة مخمل تعنى بساطا من قطيفة .

وفوق ذلك ، وجدت أنواع سميت بأسماء البلاد التى صنعت منها ، مثل بساط خسروانى ، فهو جدير بخسرو ملك الفرس ، لاشتهار صناعته فى فارس ، ويقال أيضا ملكى ، وبساط طبرستانى أى من طبرستان ، وبساط قالى تعنى بساطا كبيرا من بلدة قاليقلا ، وبساط أرمنى(١) . ويطلق على البساط(٢) الزربى(٣) والرفرف(٤) والأراض(٥) والنخ(٦) .

---

(١) عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٧٨م ، الطبعة الرابعة ، ص٢٦٦

(٢) والبساط ما بسط للجلوس عليه ، ومن الأمثال على بساط مد رجليك .

انظر : Dozy: Op. Cit., T. I., P. 85.

(٣) الزربى جمعها زرابى وهى بسط بديعة الرواء ، لها خمل ، هدب ناعم دقيق ، وإنما سميت بذلك تشبيها بالزربى من الزهر ، وهو نبت يجمع بين الصفرة والبياض ، وكل ما يبسط ويتكئ عليه يسمى زربى ، والزربية البساط الفاخر أو الطنفسة المخملة ، وجمعها طنافس وهى مثل الزرابى فى خملها وأن كانت دونها فى رقة نسجها ، وأبدع الزرابى يطلق عليها العبقرى جمع عبقرية .

انظر : ابن الأثير : المرجع السابق ، الجزء الثانى ، ص١٣٣

، بطرس البستانى : قطر المحيط ، بيروت نقلا عن طبعة ١٨٦٩م جـ١ ص٨٣٨

، عبد الله عفيفى : المرجع السابق ، ص١٣٤ ، ١٣٥

(٤) الرفرف البساط أو الستر ، والرفرف ما كان من الديباج وغيره رقيقا حسن الصبغة :

ابن الأثير : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص٩٧

(٥) والأراض بساط ضخم من وبر أو صوف .

أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا : معجم مقاييس اللغة ، الجزء الأول ، ص٨١

(٦) والنخ بالضم بساط طويل جمعه نخاخ .

انظر : البلوى : المرجع السابق ، الجزء الأول ، ص٤٣٣

، النخ : قطعة السجاد الصوفية أو القطنية الطويلة .

انظر : عبد النعيم محمد حسنين : المرجع السابق ص٧٣٠

هذا وأهم ما أنتجته القاهرة من سجاجيد يرجع إلى عصر المماليك في القرن ٨هـ/١٤م وما بعده(١) .

وقد أشار المقريزى فى كل من الخطط والسلوك إلى مجموعات السجاجيد التى كان يزخر بها قصر قوصون أحد أمراء السلطان الناصر محمد بن قلاوون . فقد جاء بالخطط أنه وجد فى حاصل ذلك القصر حين نهب فى سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة فى عهد السلطان الملك الأشرف علاء الدين كجك بن الناصر محمد بن قلاوون – « عدة مائة وثمانين زوج بسط منها ما طوله من أربعين ذراعًا إلى ثلاثين ذراعًا عمل البلاد وستة عشر زوج من عمل الشريف بمصر ثمن كل زوج اثنا عشر ألف درهم نقرة منها أربعة أزواج بسط من حرير » وقام النهاية بجر « البسط الرومية والامدية وما هو من عمل الشريف وتقاتلوا عليها وقطعوها قطعا بالسكاكين وتقاسموها(٢) » .

وفى السلوك ذكر أنه كان بحاصل قوصون لما نهب « مائة وثلاثين زوج بسط ، منها ما طوله أربعون ذراعا وثلاثون ذراعا ، كلها من عمل الروم وآمد وشيراز ، وستة عشر زوجا من عمل الشريف بمصر ، قيمة كل زوج اثنا عشر ألف درهم ، وأربعة أزواج بسط حرير لا يقوم عليها »(٣) .

وأخرجت النهابة من البسط الرومية والآمدية وعمل الشريف شيئا كثيرا ، وقطعوها قطعا وتقاسموها »(٤) .

وجاء فى كتاب النجوم الزاهرة نفس الواقعة وعدد ما وجد فى حاصل الاصطبل من البسط حين نهب فكان مائة وثمانين زوجا من البسط منها ما طوله أربعون ذراعا

---

(١) د. عبد الرحمن فهمى : السجاد (بحث بكتاب القاهرة ، تاريخها وفنونها وآثارها ، مؤسسة الأهرام) ، ١٩٧٠م ، ص٥٨٣

(٢) المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص٧٢ ، ٧٣

(٣) الجزء الثانى ، القسم الثالث ، ص٥٩١ ، ٥٩٢

(٤) المرجع نفسه ، ص٥٩١

وثلاثون ذراعا ، كلها من عمل الروم وآمد وشيراز ، وستة عشر زوجا من عمل الشويف بمصر وأربعة أزواج بسط حرير لا يقوم عليها لحسنها »[1] .

هذا وظهر فى موجود سلار – عام ٧١٠هـ/١٣١١م عصر الناصر محمد – بسط رومى[2] ، كما ضبط فى موجود ابن زنبور – سنة ٧٥٣هـ/١٣٥٢م فى عهد السلطان الملك الصالح صالح بن الملك الناصر محمد – حواصل فيها بسط رومى[3] ، وكان مجموع ما وجد لديه من بسط ستة آلاف بساط[4] .

وقد سبق أن ذكرنا أن السلطان الملك الناصر أنعم على يلبغا عند اتمام قصره فى عام ٧٣٨هـ بأوانى بلور وتلك الأوانى كانت ضمن تقدمه طرغاى الطباخى نائب حلب التى أهدأها السلطان بأكملها إلى يلبغا وكان فيها أيضا عشرة أزواج بسط منها زوج بسط حرير[5] .

وتفيدنا الوثائق بأن بيوت المقادسة كانت تفرش بالبسط والسجاجيد والزريبات والزليات (السجاجيد) والمقاعد والنطوع الجلدية .

وكانت البسط تنسج من الصوف ومن أنواعها الرومية والكرادية والشوبكية الكبيرة والشوبكية الصغيرة[6] .

---

(١) ابن تغرى بردى : الجزء العاشر ، ص٤٤ ، ٤٥

(٢) ابن أياس : المصدر السابق ، الجزء الأول / القسم الأول ، ص٤٣٨

(٣) المصدر نفسه ، ص٥٤٥

، د. محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق ، ص٥٩

(٤) المقريزى : السلوك ، الجزء الثانى / القسم الثالث ، ص٨٨٠

(٥)المصدر نفسه ، ص٤٥٣

(٦) ولعل المقصود بالبسط الأرمينية ذات الصوف الجيد والقرمزية اللون والكرادية نسبة إلى الأكراد اسم قبيلة ، والأكراد أيضا قرية من قرى البيضاء التى تسمى كرديا فوت ، والشوبكية نسبة إلى مدينة الشوبك المعروفة فى الأردن ، وكانت قلعة حصينة فى أطراف الشام بين عمان وايلة . صالحية : المرجع السابق ، ص٣٣ ، حواشى رقم ٥ ، ٦ ، ٧

كما أن تلك البيوت اقتنت أنواعا من السجاجيد الصوفية ذات اللون الأبيض والأخضر أو العسلى ، والمزينة برسومات بيضاء أو المبطنة ببطانات مطرزة بأبيض وجعلت لها رميات (شراشيب) زرقاء ، ويبدو أن الكثير من السجاد الموقوف عليه فى وثائقنا كان ينسج فى اليمن وحوران[1] .

وأيضا استخدمت البسط فى فرش أرضيات المساجد فى ذلك العصر . فمثلا عندما تكامل اصلاح بلاط الجامع الأموى فى العشر الأول من ربيع الأول سنة سبع وخمسين وسبعمائة فى عهد السلطان الملك الناصر حسن ابن الملك الناصر محمد بن المنصور قلاوون ، بسط بسطا حسنا[2] .

وقد وصلت إلينا مجموعة نادرة من سجاجيد القاهرة المملوكية وهى سجاجيد تتميز بالألوان البراقة التى لا تتعدى اللون الأحمر والأزرق والأخضر بالزخارف ذات الأشكال الهندسية الدقيقة والأزهار الطبيعية ، وقد أغرم بجمال هذه السجاجيد بعض الفنانين الأوربيين فى عصر النهضة وخاصة من فنانى البندقية فى القرن ١٦ فرسموها فى لوحاتهم ومن أمثال هؤلاء كارباتشيو[3] Carpaccio . وعرف العالم السجاجيد التى أنتجت فى مصر فى عصر المماليك باسم « الدمشقية » إلى أن كشف عن حقيقتها علماء الآثار وعلى رأسهم الأساتذة الألمان زاره Sarre وكونل Kuhnel واردمان ، فقد نشر زاره ١٩٢٠ مرسوما أصدره السلطان العثمانى باستدعاء أحد عشر نساجا من نساجى سجاد القاهرة وترحيلهم إلى استانبول[4] .

---

(١) المرجع نفسه ، ص٣٤

(٢) أبو الفداء : البداية والنهاية ، ص٢٥٣

(٣) د. عبد الرحمن فهمى : السجاد ، ص٥٨٣

(٤) د. عبد الرحمن فهمى : خاتمة رائعة لفنون المماليك ، مجلة منبر الإسلام ، العدد ١ لسنة ٣١ المحرم ١٣٩٣هـ ، ص١١٢

ويذكر كونل استنادا لما رواه الرحالة السابقون بما لا يدع مجالا للشك أنه فى العهد المملوكى كانت تصنع سجاجيد معقودة لاستعمال البيت فى القاهرة ويصح التأكيد على أن ما يسمى بالسجاجيد الدمشقية وهى التى حملت هذا الاسم فى أسواق البندقية خطأ فى أكبر الظن ، هى نفسها من إنتاج مصر . وقد بقى أكثرها محفوظا . ويرجع بعضها إلى القرن الخامس عشر وبعضها إلى أوائل القرن الذى يليه[١] ، كما أنهم لاحظوا جميعا التشابه الشديد بين تصميم هذه السجاجيد القاهرية وبين ما وجد من نقوش على التحف المعدنية وجلود الكتب المملوكية وكذلك بينها وبين الفسيفساء الرخامية التى نراها فى أرضية المساجد والقصور فى قاهرة المماليك[٢] وهكذا أثبت أن القاهرة كانت موطنا لهذه المجموعة الرائعة من السجاجيد التى تزخر بها حاليا متاحف فيينا بالنمسا والتى سبق أن شاهد صناعتها فى مصر الرحالة تيفنو[٣] .

وشهادة جـ. باربارو دليل على وجود صناعة السجاد فى القاهرة عام ٨٧٨هـ/١٤٧٤م .

وتذكر القوائم الأوربية فى القرن السادس عشر عبارة سجاد من القاهرة وسجاد تركى مصنوع فى القاهرة ، وتبدو هذه المعلومة مفيدة لتعضيد الاعتقاد أن السجاد ذو التصميم العثمانى صنع فى مصر[٤] .

وقد أنتجت المصانع القاهرية منذ العصر المملوكى ثلاثة أنواع من السجاجيد وتتجلى فى النوع الأول عظمة الفنون فى قاهرة المماليك وتتشابه عناصره تشابها يكاد يكون تاما مع زخارف التحف المعدنية المملوكية والنافورات الرخامية وجلود الكتب القاهرية ، وتبدو من النوع الثانى تأثيرات الفن التركى فى زخرفته بمجموعة من الأوراق

---

(١) أرنست كونل : الفن الإسلامى ، ترجمة د. أحمد موسى ، مراجعة محمود إبراهيم الدسوقى ، مطبعة أطلس ، ١٩٦١م ، ص١٢٤

(٢) د. عبد الرحمن فهمى : السجاد ، ص٥٨٥

(٣) د. عبد الرحمن فهمى : خاتمة رائعة لفنون المماليك ، ص١١٢

(4) Jon Thompson: The Sarre Mamluk and 12, Other Classical Rays from the Rome Private Collection, London, 1980, P. 13.

المسننة وزهرات القرنفل والورد وكان من الطبيعى أن تظهر هذه التأثيرات منذ أن أصبحت مصر ولاية عثمانية فى عهد السلطان سليم أما النوع الثالث فيبدو فى تصميم زخارفه أثر الفنون المصرية القديمة وخاصة فى ظهور رسوم النخيل وزهرات اللوتس وبراعمها وأوراق البردى . ومما يؤسف له أن جميع النماذج التى بيعت من سجاجيد القاهرة تعيش اليوم غريبة عن وطنها القاهرة ، ويبدو أن زخارفها قد بهرت كثيرا من الهواه الأوروبيين فتنافسوا على شرائها من أسواق الشرق المختلفة وعملوا على تهريبها إلى أوربا حيث قاموا بعرضها فى مجموعات خاصة فى قصورهم ومتاحفهم ويحتفظ متحف فيينا بالنصيب الأوفر من السجاجيد القاهرية[1] .

وقد كانت السجاجيد التى نحن بصددها تنسب أحيانا إلى بلاد المغرب بالنظر إلى أن زخارفها الهندسية تشبه الزخارف التى نراها على جدران بعض العمائر المغربية وفى بعض المنتجات الفنية الأخرى فى المغرب . ولكن الحق أن بلاد المغرب فى القرنين العاشر والحادى عشر بعد الهجرة (١٦ – ١٧م) لم تزدهر فيها أساليب فنية يمكن أن تنسب إليها هذه السجاجيد ، فضلا عن أن هذه – على الرغم من زخارفها الهندسية – لا تشبه فى اللون أو أسلوب النسخ ما نعرفه من المنتجات الفنية المغربية .

أما بالنسبة إلى دمشق فترجع إلى ان هذه السجاجيد تبدو كأنها الأبسطة التى كان يشار إليها فى سجلات الأسرات البندقية فى القرن السادس عشر الميلادى باسم Tappeti Damaschini وكان عليه القوم يقبلون على استعمالها أغطية للمائدة .

ولكن الحق أننا لا نعرف شيئا يؤيد أن صناعة السجاد ازدهرت فى الشام ، وإنما الأرجح أن دمشق ربما كانت مركزا للتجارة فى السجاجيد التى نحن بصددها[2] . والمعروف أن صور هذه السجاجيد لا ترى فى اللوحات الفنية الأوربية قبل نهاية القرن الخامس عشر الميلادى ، حيث تظهر فى لوحات المدرسة البندقية بوجه خاص[3] .

---

(١) د. عبد الرحمن فهمى : السجاد ، ص٥٨٣ – ٥٨٧

(٢) د. زكى محمد حسن : فنون الإسلام ، ص٤٣٥ – ٤٣٦

(٣) المرجع نفسه ، ص٤٣٥

ولقد أدرك الأوروبيون ما فيها من جمال وفن ، وقدروا هذا الجمال الفنى حق التقدير ، فأقبل الأغنياء منهم على اقتنائها ليزينوا بها قصورهم ، وكنائسهم . وقد انعكس هذا التقدير بأحلى صور فى لوحات فنانيهم ، فإذا هؤلاء الفنانون يرسمونها فى صورهم فبدت الطنافس القاهرية مصورة فوق العروش أو مفروشة على الأرض ، أو منشورة من النوافذ والشرفات أو مبسوطة فوق الموائد والمذابح فى الكنائس ، وإذا بصناعهم يقلدون هذه الطنافس ويحاولون إتقان هذا التقليد ما استطاعوا[١] .

وصناعة السجاد تعتبر من أعرق الصناعات الفنية التى عرفتها مصر وقد كشفت حفائر المتحف الإسلامى بالقاهرة فى الفسطاط عن كثيرا من قطع السجاجيد المصرية الإسلامية التى ترجع إلى ماقبل العصر الفاطمى أو إلى العصرين الأموى والعباسى[٢] كذلك كانت صناعة السجاد مزدهرة فى مصر فى العصر الفاطمى وكان أهم مراكزها مدينة أسيوط[٣] .

وقد وجدت صناعة السجاد فى الحضارة الإسلامية روحا جديدة ، فأصبحت فنا وصناعة تنوعت فيها وسائل الابتكار والبراعة نظرا لما لاقته من وسائل التشجيع والتكالب على اقتناء الثمين منها حتى وصلت إلى منتهى الاتقان والإبداع فى القرن السادس عشر[٤] .

هذا ولم يصل إلينا شئ من البسط العربية التى صنعت أيام ازدهار حضارة العرب ، وأقدم ما هو موجود منها فى الوقت الحاضر لا يرجع مع ندرته ، إلى أبعد من القرن الثانى عشر من الميلاد .

---

(١) د. محمد عبد العزيز مرزوق : الناصر محمد بن قلاوون ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ، أعلام العرب ، ٢٨ ، ص٣١ ، ٣٢

(٢) د. عبد الرحمن فهمى : السجاد ، ص٥٨٣

(٣) د. أبو صالح الألفى : المرجع السابق ص٢٩٨

(٤) أحمد سعيد الدمرداش : فن السجاد ، مقالة بمجلة منبر الإسلام ، العدد ١١ ، السنة ٢٢ ، ذو القعدة ١٣٨٤هـ/مارس ١٩٦٥م ص١٩٣

ونعلم من تواريخ العرب أنه كان على بسطهم ومنسوجاتهم الحريرية التى صنعت فى معامل بهنسا ودمشق وغيرهما من المدن صور للآدميين والحيوانات(١) .

ومن الأبسطة التى نسجت بصور حيوانية كان بساط السيدة زبيدة الذى صنع من الديباج وجمع صورة كل حيوان وكل طائر من جميع الأجناس مرسومة من الذهب وأعينها من يواقيت وجواهر ، يقال أنها أنفقت عليه نحوا من ألف ألف دينار(٢) .

وتوجد مجموعة السجاد المملوكى موزعة بين بعض المتاحف والمجموعات الخاصة .

فيحتفظ متحف الفن الإسلامى بالقاهرة بسجادة صلاة مملوكية(٣) . ويحتفظ متحف كلية الآثار جامعة القاهرة بجزء من سجادة مملوكية برقم سجل ١٧٥٢ لوحة (١٢٩) .

وتحتفظ مجموعة خاصة فى إيطاليا بطنفسة كانت سابقا ضمن مجموعة جراى موى وشلوس ستيبرج . وهى من الصوف الأحمر والأزرق والأخضر والأصفر . وهى بمقاسات ٢٠٤ × ١٤٠ سم ، وهى ترجع إلى مصر ، القاهرة ، النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادى .

وتمثل هذه الطنفسة نموذجا رائعا للطنافس المملوكية ذات الزخارف الهندسية التى تحتوى على عدد محدود من العناصر الزخرفية التى استمرت فى إنتاج تكوينات جديدة . ويلاحظ فى هذا المثال أن التصميم يبدو متسعا أشبه بموجات متداخلة تتجمع فوق بركة ، إذ يشاهد فى الوسط شكل نجمى متشابك الأضلاع ، يتلوه دائرة من رقش مورق ، فمثمن

---

(١) د. غوستاف لوبون : حضارة العرب ، دار أحياء الكتب العربية ١٩٤٥م ، ص٥٤٧

(٢) د. على إبراهيم حسن : نساء لهن فى التاريخ الإسلامى نصيب ، ص٨٢ ، ٨٣

(٣) وزارة المعارف العمومية ، دليل متحف الفن الإسلامى ، القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٥٢م ، ص١٣٣

يملؤه أوراق نباتية دقيقة ، ثم صرتان لكل منهما شكل ثمانى مفصص ، بهما أوراق شجر على هيئة المظلة ، ويحيط بهما دوائر صغيرة ونجوم ، بالإضافة إلى بعض الأشكال الأخرى ، ثم توزيعها داخل حاشيتين .

لقد تم تصدير هذه الطنافس التى يغلب عليها الشكل المربع من مصر إلى أوربا ، حيث استخدمت هناك بمثابة مفارش للطاولات . ويلاحظ أن الوحدات الزخرفية للحاشية الرئيسية فى هذه الطنفسة تشبه إلى حد كبير حاشية سجادة تغطى طاولة تظهر فى لوحة شخصيته لمجموعة من الأفراد مع ليوناردو لوريدانو ، دوق البندقية ، قام برسمها الفنان الإيطالى حيوفانى بيلليني فى سنة ١٥٠٧م(١) .

وفى متحف رات بمدينة جنيف بسويسرا سجادة قاهرية مملوكية من الصوف مقاسها مقاسها ٢٠٤ × ١٧٠ سم ، تعود إلى القرن السادس عشر الميلادى وأخرى أسيوطية تعود إلى العصر العثمانى(٢) .

وفى مجموعة بروفيسور زاره الخاصة سجادة من النوع الذى اشتهر فى القاهرة فى النصف الأول من القرن ١٦ م . وتشبه هذه السجادة من حيث التصميم سجادة محفوظة بمتحف الفنون الجميلة ببوسطن وقطعة بمتحف المتروبوليتان وهما متشابهتان حيث الحجم والتفاصيل ، ويبدو أنهما صناعة يد واحدة(٣) .

وبالنظر إلى صورة السجادة المحفوظة بمتحف المتروبوليتان - ترجع إلى مصر فى بداية ق١٦م نجد تشابها كبيرا بينهما(٤) .

---

(١) دونالدكنج : الطنافس والمنسوجات (مقالة بكتاب كنوز الفن الإسلامى) جنيف ١٩٨٥م ، ص٣٣٢ ، لوحة ٣٣٤

(٢) محمد سعيد : كنوز الإسلام فى قلب أوروبا (مقالة بمجلة الدوحة ، العدد ١٢٤ ، رجب ١٤٠٦هـ/إبريل ١٩٨٦م ، ص٩٧) .

(3) Jon Thompson: Op. Cit., P. 16.

(4) Marie G. Lukens: The Metropolitan Museum of Art, Guid to the Collections, Islamic Art, 1965, P. 27, PL. 39.

وفى متحف المنسوجات فى واشنجتون مجموعة من السجاجيد التـى ترجـع إلـى مصر فى عصر المماليك منها سجادة تزخرفها عناصر كأسية وهى منسوجة مـن الوبـر الأحمر والأخضر والأزرق ، ترجع إلى نهاية القرن الـ ١٥م/٩هـ مقاسـاتها : الطـول ١,٨٦ متر - ١,٣٧ متر عرض يتوسطها مثمن يتوسطه جامة دائرية ويحيـط بـها فـى أركان الشكل المثمن جامات مفصصة من أجزائها التى داخـل المثمـن والسـجادة بـها زخارف نباتية محورة ، والأطار جامات مفصصة داخلها زخارف هندسية ونباتية[١] .

سجادة بمركز يأخذ شكل نجمى وإطارها مقسم إلى بحور وجامات وزخارفها ليست هندسية بحتة بل بها زخارف نباتية محورة داخل المناطق والبحور والجامات ، مصنوعـة من خيوط صوفية حمراء وخضراء وزرقاء وبنية وصفراء ، ترجع إلـى أوائـل القـرن السادس عشر المقاسات : الطول ٢ متر - العرض ١,٤٨ متر[٢] . وسجادة تضـم مثمـن كبير ، مصنوعة من وبر أحمر وأخضر وأزرق وأصفر وعاجى ، ترجع إلى الربـع الأول من القرن ١٠هـ/١٦م .

الطول ١,٩٧ متر - العرض ١,٥٣ متر[٣] .

ويحتفظ متحف اللوفر بباريس بسجادة ترجع إلى مصر فى عصـر الممـاليك فـى القرن ٩ - ١٠هـ/١٥ - ١٦م - مقاساتها ١,٧٣ × ١,٢٥م ، برقم ٧٣٥٨٢،[٤] .

وإلى جانب السجاد الذى يفرش فى الأرضيات عـرف السـجاد للصـلاة ، وقـد اشتهرت تركيا بصناعة هذا النوع من السجاجيد ، وأساس التصميم فيها يمثل محرابا فـى أرضية السجادة ، وعلى جوانب هذا المحراب رسم أعمدة ، وقد يتدلى من فوقه مشكاة .

---

(1) Esin Atil: Renaissance of Islam Art of the Mamluks Washington, 1951, P. 245, PL. 125.

(2) Ibid, P. 246, PL. 127.

(3) Ibid, P. 248, PL. 128.

(4) Le Tapis d'Orient dans les Collections Francaises, un Mumero Special de Hali, P. 8, PL. I.

وإلى جانب السجاد كانت تفرش البيوت في عصر المماليك بمقاعد الحرير الزركشي والأنطاع[1].

وقد جاء ذكر المقاعد ضمن موجود كلا من ابن زنبور[2] وسلار[3] وكان عدد المقاعد لدى الأخير خمسة وثلاثين مقعدا من الجوخ والمخمل من سائر الألوان والأنواع. وورد ذكر الأنطاع في موجود ابن زنبور الذى كان له من الأنطاع ما بين كبار صغار، ثلاثون[4] ألف نطع[5].

واستعمل المقادسة أيضا - في عصر المماليك - النطوع للجلوس عليها ومع أن مادتها الأساسية الأدم (الجلد) فقد أضيف إليها قطعه بساط تكون في وسطه، ويلاحظ أن النطوع كانت سائدة في القدس[6].

ويأتي بعد السجاد كفرش عام الطراريح والحصر، فكانت الطراريح تفرش على الأرض، ومعظم الطراريح التي التقطناها من الوثائق تختلف ألوانها بين الزرقاء والبيضاء والحمراء، وقد تكون بوجه فقد عثرنا في الوثائق على طراحة بوجه قدسي وبطانة زرقاء وغيرها بطانة حمراء أو بيضاء[7].

---

(١) المقريزى : السلوك، ط. ٩ جـ٢/قسم ٣، ص٦١٢

(٢) ابن أياس : المصدر السابق، جـ١/القسم ١، ص٤٣٨

(٣) المصدر نفسه، ص٥٤٥

(٤) نفس المصدر السابق، ص٥٤٥

(٥) نطع : بساط، عبد النعيم حسين : المرجع السابق، ص٧٤١
النطع بالكسر وبالفتح وبالتحريك بساط من الأديم ج أنطاع ونطوع.
الفيروز أبادى : القاموس المحيط، ط. ٥، جـ٣، ص٨٩
، النطع المتخذ من الأديم معروف وفيه أربع لغات فتح النون وكسرها ومع كل واحد فتح والطاء وسكونها والجمع أنطاع ونطوع المقرى : المصباح المنير، جـ٢، ص٦١١

(٦) محمد صالحية : المرجع السابق، ص٣٤

(٧) المرجع نفسه، ص٣٤

وبالنسبة للحصير ، فقد استخدم الحصير فى فرش الأرض فى عصر المماليك[1] ، ففرشت به المنازل كقصر يلبغا وفرشت به أرضية أغلب المدارس والمساجد والخوانق والمكاتب[2] .

ويبدو أنه كان هناك مكان أساسى لبيع الحصر التى كانت تستخدم فى المنازل والمساجد . عرف هذا المكان باسم « فندق الحصر » ، وفيه كانت تباع الحصر الرفيعة والحصر القطبان التى اشتهرت إقليم الفيوم بصناعتها فى عص سلاطين المماليك[3] .

وكان هذا الفندق بموردة الحلفاء عمره المقر الأشرف المرحوم السيفى تنكز الحسامى وكان وقفا على أولاده من بعده[4] .

وقد كان الحصير من أهم أثاث المرأة العربية فى الجاهلية والإسلام وكان منه المنمق المنقوش . وفى النساء صوانع خصصن بتنميق الحصير قال النابغة :

كأن مجر الرامسات ذيولها عليه حصير نمقته الصوانع[5]

ولاستخدام الحصر تاريخ طويل فقد استخدمه قدماء المصريين لأغراض متعددة فى حياتهم الدنيوية والدينية على السواء ، وكانت الأنواع الممتازة منه تستعمل للفرش وللف جثث الموتى . أما الأنواع الأقل جودة فكانت تستعمل لتغطية أرضية المنازل الطينية أو لفرشها فى المقابر . ولم يقتصر استعمال المصريين للحصر على العصر الفرعونى ، بل امتد فى سلسلة متصلة عبر التاريخ ، ولأغراض متعددة كما كان الحال فى العصر

(١) المرجع نفسه ، ص٣٤

(٢) د. عبد اللطيف إبراهيم : من الوثائق العربية ، نصان« جديدان من وثيقة الأمير صرغتمش حوليات كلية الآداب جامعة القاهرة مجلد ٢٨ ، ١٩٦٦ ، مطبعة جامعة القاهرة ١٩٧١ م ، ص٥١ ، ٥٢

(٣) د. قاسم عبده قاسم : دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى عصر سلاطين المماليك ، دار المعارف ، ١٩٨٣ ، ط. ٢ ، ص١٢٤

(٤) ابن دقماق : الانتصار لواسطه عقد الأمصار ، الطبعة الأولى ، بولاق ، ١٣٠٩هـ الجزء الرابع ، ص٤٠

(٥) عبد الله عفيفى : المرجع السابق ، الجزء الأول ، ص١٣٤

الفرعونى فقد استعملته مصر المسيحية والإسلامية للأغراض الدنيوية والدينيـــة أيضـــا . فاستعمله المصريون فرشا لتغطية الوسائد والأرائك وسترا لتزيين الحوائط ، كما اســتعملوه لتغطية الأرضية فى الكنائس والمساجد ودور السكنى ، وكان فى العصور الأولى للإســلام يستعمل فى المقابر لدفن الموتى ، كما استخدم كفراش للأرض(١) وللأسرة(٢) .

واستمر استخدام الحصر فيما تلى ذلك من عصور ، ففى عام ٥٣هـ/٦٧٣م أمـــر الخليفة معاوية بن أبى سفيان مسلمة بن مخلد أن يوسع جامع عمرو ابن العـــاص بمدينـــة الفسطاط وقام بفرشه بالحصير بدلا مـــن الحصبـــاء(٣) ، وافـــترش العباســـيون الحصـــر المنسوجة بالذهب المكللة بالدر الياقوت(٤) .

ومن العادات الطريفة فى الأفراح هو ما حدث فى ليلة زفاف بوران بنـــت الحســـن ابن سهل إلى الخليفة المأمون سنة ٢١٠هـ/٨٢٦م فقد فرش للمأمون حصـــيرا منســـوجا

---

(١) سعد الخادم : الصناعات الشعبية فى مصر ، ص٧٦

(٢) ذكر ابن الأثير حديث لعمر رضى الله عنـــه يتضـــح منه أن الحصـــير اســـتخدم كفـــرش لســـرير رسول الله ﷺ .

ابن الأثير : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص١١٠

وذكر البلوى حديثا فى هذا الشأن أيضا :

البلوى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص١٣٠ ، ١٣١

كما يتضح استخدام الحصير كفرش عند الصلاة من حديث لأم مسلمة جاء فيه ذكر الخمرة وهى مقدار ما يضع الرجل عليه وجهه فى سجوده من حصير أو نسيجه خوص ونحوه من النبات .

ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص١١١

واستخدام الحصير كفرش للمنازل أيضا فمما جاء من أحاديث فى النهاية لابن الأثـــير « أن أفضـــل الجهاد وأجمله حج مبرور ثم لزوم الحصر أى أنكن لا تعدن تخرجن من بيوتكن وتلزمن الحصر » .

وهى جمع الحصير الذى يبسط فى البيوت وتضم بالصاد وتسكن تخفيفا .

ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٢٦٦

(٣) المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص٢٤٨

(٤) ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٤٩٠

بالذهب ، ولما وقف عليه نثرت عليه لألئ كثيرة ، وكان وزن هذه الحصير عشر رطـــلا وجليت عليها بوران عروس المأمون[1] .

ومما يذكر أن العباسيين كانت ترد إليهم الحصر من عبدان[2] . وتقع مدينة عبـــادان تلك جنوبى البصرة قرب الخليج الفارسى فى جزيرة محاطة بمياه مصارف دجلة والفـرات وكانت مشهورة بصنع الحصر[3] . وكانت حصرها تقلد فى مصر وفـــارس[4] . وقـد زار ناصر خسرو مصر فى العصر الفاطمى (٤٣٩هـــ/١٠٠٨م) ، وذكر أنـــه رأى بجـــامع عمرو بن العاص حصيرا وصفه بقوله : « ويفرش هذا المسجد بعشر طبقات من الحصير الجميل الملون بعضها فوق بعض »[5] .

وذكر المقريزى الحصر من بين ما وجد بخزائن الفـــرش والأمتعـــة الفاطميـــة[6] . ويبدو أن صناعة الحصر كانت مزدهرة ومنتشرة فى مصر فى عصر الفـــاطميين فممـــا يذكر أنه كان بمصر فى ذلك الوقت تسع مائة منسجا للحصر ، ولكـــن عندمـــا تدهـــورت الصناعات فى نهاية الحكم الفاطمى لم يتبق إلا خمس عشرة منسجا[7] .

هذا وتختلف أنواع الحصر فمنه الأبيض المنسوج على خيط الكتان وهو من أحســـن الأنواع ولكنه أقل جودة من الحصير العبدانى .

---

(١) الرشيد بن الزبير : المرجع السابق ، ص٢٥٦

(٢) وجاء اسم عبدان بتشديد ثانية وفتح أوله من العباد الرجل الكثير العبادة وأما الحاق الألف والنون فهى لغة مستعملة فى البصرة ونواحيها وأنهم إذا سموا موضعا أو نسبوه إلى رجل أو صفه يزيدون فـــى آخره ألفا ونونا . وكان بهذا الموضع قوم مقيمون للعبادة .

انظر : ياقوت : المرجع السابق ، جـــ٦ ، ط. ١ ، ص١٠٤

(٣) سعاد ماهر : الحصير فى الفن الإسلامى ، القاهرة ، ص١٤

(٤) آدم متز : المرجع السابق ، ط. ٢ ، جـــ٢ ، ص٣٥٥

(٥) ناصر خسرو : سفر نامه ، ترجمة د. يحيى الخشاب ، الطبعة الأولى ، ص٥٩

(٦) المقريزى : الخطط ، جـــ١ ، ص٤١٧

(٧) عبد اللطيف البغدادى : عبد اللطيف البغدادى فى مصر ، طبعة القاهرة ص٦٩

وهناك نوعان من الحصير أقل جودة من العبدانى ، وهما الحصر القطبان وتصنـــع من نبات برى تعمل منه الحبال ، والحصر والسمار وتصنع من أعشاب السمار التى تنمــو فى مصر العليا والسفلى ، أما العبدانى فيستنبت سمارها بمصـــر جهــة الفرمــا وتصنـــع بالإسكندرية[1] .

* * *

(١) د. عبد اللطيف إبراهيم : نصان جديدان من وثيقة صرغتمش ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، مجلد ٢٨ ، ١٩٦٦ ، مطبعة جامعة القاهرة ، ١٩٧١م ، ص٥١ ، ٥٢

الفصل الأول

رابعا : أدوات الإضاءة

رابعا : أدوات الإضاءة

أدوات الإضاءة من الأدوات الهامة التي لاغني عنها لكل منزل وقد احتوى جهاز كل عروس في عصر المماليك عليها ، فيذكر المقريزى وهو بصدد الحديث عن سوق الكفتيين وعن الدكة المصنوعة من النحاس المكفت التى كانت توجد بجهاز كل عروس أنه كان فوق هذه الدكة _ عدا دست الطاسات ودست الأطباق – " المناير والسرج "[١] .

ويذكر ابن شاهين أن بعض الخوندات نصبت القاعة الكبرى المعروفة بالعواميد وكان من ضمن ما تحويه منارة من ذهب عليها جوهرة تضئ بالليل[٢] . ويفسر ابن منظور المنارة بأنها التى يوضع عليها السراج[٣] . إذا المناير حوامل مرتفعة لوضع السرج .وربما أطل عليها هذا الاسم لارتفاعها كالمنارة (المئذنة) أو لأنها منبع النور ففوقها توضع المصابيح .

ويذكر عبد الله عفيفى – ما يؤيد ذلك – وهو يعدد ما تحويه غرفة المراة العربية فى الجاهلية والإسلام بأن بها المسرجة وموضعها فوق المنارة . وما يشتغل فيها هو السراج[٤] .

هذا ومن أدوات الإضاءة التى ورد ذكرها فى وثائق الحرم القدسى المملوكية " منارات خشب ونحاسية "[٥] .

---

(١) الخطط ، ج ٢ ، ص ١٠٥ .

(٢) زبدة كشف الممالك ، ص ١٢١ .

(٣) المنار والمنارة موضع النور والمنارة الشمعة ذات السراج والمنارة التى يوضع عليها السراج . والجمع مناور على القياس ومنائر مهموز على غير قياس . التى يؤذن عليها وهى المئذنة والمنار محجة الطريق .انظر : ابن منظور : المرجع السابق ، ج٧ ، ص٩٩ ، ١٠٠ .

(٤) المرأة العربية فى الجاهلية والإسلام ، الجزء الأول ، ص ١٣٦ .

(٥) صالحية :ص ٣٧ .

والسرج[1] جمع سراج وهو من أدوات الإضاءة الصغيرة التى يسهل حملـــها مـــن مكان لآخر .

وللأسف لم يبق لنا الزمن على نماذج من هـــذه المنـــاير والســـرج التـــى ذكرهـــا المقريزى أى النحاسية المكفتة ، ولكن توجد نماذج كثيرة جدا من السرج المصنوعة مـــن الفخار والخزف للاستعمال اليومى وتمتاز بالبساطة وقلة التكاليف ولكنها لم تخل من حســن الذوق ودقة الصناعة وروعة الابتكار . (لوحات ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٣٨) .

وتختلف هذه المسارج فى الشكل فمنها البيضة والمستطيلة التى ترتكز على أربـــع قوائم صغيرة ، ومن أنواعها الشائعة ما يشبه شكل أبريق صغير له رقبة ومقبض وتخـــرج من بدنه شعبه طويلة للأشعال وقد تتعدد هذه الشعب فتصل إلى أربعة فأكثر .

وينفسح المجال أمام الخزاف فى هذا النوع من المسارج بشكل الأبـــاريق ، فنجـــد بعض تحفة ذات جدارين ، الخارجى منها بشكل شبكة ذات زخارف هندســـية مفرغـــة ، والداخلى لحفظ الزيت .

وفى بعض هذه المسارج لا يصب الزيت من فوهة الأبريق وإنما تجعل لـــه فتحـــة خاصة فى المقبض يصب منها ويتخلل جدار الأنية ، وكثيرا ما تشكل مقابض هذه الســـرج على هيئة حيوانات صغيرة كالقطط ونحوها .

---

(١) (سرج) السراج الزاخر بفتيلة ودهن ويعبر به عن كل مضئ قال وجعل الشمس ســـراجا وهاجـــا يعنى الشمس يقال أسرجت السراج وسرجت كذا جعلته فى الحسن كالسراج - والسرج رجل الدابـــة والسراج صانعه .

انظر : الراغب الأصفهانى : مفردات فى غريب القـــرآن - فى الجـــزء الثـــانى لنهاية ابن الأثـــير - (هامش أيسر) ،ص ٤٧ .

السراج بالكسر هو المصباح الزاهر الذى يسرج بالليل جمعه سرج وقد أسرجت السراج إذا أوقدتـــه والمسرجة بالفتح التى يوضع فيها الفتيلة والدهن والسراج الفتيلة الموقودة وإطلاقه على محلها مجـــاز مشهور ووضع المسرجة على المسرجة المكسورة التى فيها الفتيلة والمفتوحة التى توضـــع عليـــها . والسراج متخذه وصانعه أو بائعة وحرفته السراجة .

محمد مرتضى الحسينى (محي الدين أبوالفيض) : شرح القاموس المسمى تاج العروس من جواهـــو القاموس ، الجزء الثانى ، مصر ، ص ٥٨ .

ومن المسارج ما يشبه صحنا صغيراً شكلت حافته بالضغط إلى الداخل في بعض أجزائها فكونت شعبة للإشعال ، وقد يتصل هذا النوع بحامل طويل في أسفله ينتهي بصحن للارتكاز فيصير شكله كالشمعدان .

هذا عن أشكال المسارج ، أما عن ألوانها وزخارفها ، فمن أقدم الأنواع الإسلامية نوع مصنوع من الفخار يترك دون طلاء وزخارفه بارزة مطبوعة في الغالب وتتألف من رسوم حيوانية وعناقيد العنب وبعض كتابات كوفية بخط بسيط .ويلي هذا النوع في التاريخ حوالي القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي نوع آخر لوزي الشكل أو مستطيل يرتكز على أربع قوائم صغيرة وطلاؤه الزجاجي أصفر محاك للذهب ، أو أخضر ، وزخارفه بارزة مطبوعة بالقالب أيضاً ، وتتألف هذه الزخارف من أشكال لوزية تشبه القلب أو طواويس صغيرة .

أما في العصر الفاطمي فنجد فيه مسارج من الخزف ذات طلاء زجاجي من لون واحد كالأخضر والأزرق الفيروزي ، أو اللون الزبدي الذي نجده أحياناً مرشوشا بالأزرق أو البنفسجي .

ومن هذه المسارج ما يشبه كأساً مضلعاً مرتكزاً على أربع قوائم وله شعبة للإشعال فيشبه شكل الكلجة – وهي كلمة تطلق على حامل الزيروكانت تصنع غالباً من الرخام ولها حوض بارز يرشح فيه ماء الزير ومنها ما هو على شكل أبريق كما ذكرنا وبعض هذا النوع الأخير تزخرفه رسوم نباتية وهندسية وكتابات بالبريق المعدني فوق طلاء أبيض وأزرق ، فيروزي ، بنفس أسلوب الخزاف الفاطمي الشهير " سعد" في أواخر القرن الحادي عشر والقرن الثاني عشر الميلاديين . وتنسب إلى عصر الأيوبيين والمماليك مسارج ذات أشكال متنوعة من الخزف والفخار ، تزخرف بعضها رسوم بالأسود والأزرق تحت الطلاء الزجاجي الشفاف ، وقد نجد على بعضها رنوكا كعصاتي البولو مثلاً مما يساعد على تحديد عصرها .

ومن المسارج نوع مصنوع من الفخار المطلي بالميناء ، وعليه زخارف هندسية، ورسوم حيوانية أو كتابات نسخية نجد مثيلاً لها في أواني الفخار المطلية بالميناء في العصر المملوكي .

ومن الطريف أن نذكر هنا أن بعض المسارج الفاطمية من ذات اللون الواحد والتى تنسب على الأرجح إلى القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى ، كانت مقابضها تزخرف بهيئة فيران تصعد إلى المسرجة لتشرب الزيت . كما نجد كثيراً من مقابض هذا النوع من المسارج بشكل قط متربص عند الفوهة ينتظر قدوم الفأر وربما قصد بذلك إخافة الفيران وأرهابها .

وعلى مقابض بعض هذه المسارج نجد القط ممسكاً بفأر يحاول الوصول إلى الزيت وقد احتاط الخزافون لهذه الحالة فى صنع بعض المسارج . فجعلوا فى فوهات الأباريق مصاف تمنع وصول الفيران إلى الزيت ، وفى بعضها الآخر جعلوا ثقب صب الزيت ضيقاً فى أعلى المقبض ،ويحجز الزيت فى الفراغ بين جدار المسرجة المزدوج فلا يصل إليه شئ[1] .

هذا وقد استخدمت المسارج فى إشعال البحر للاحتفال بالسلطان فى عصر المماليك – فيذكر ابن حجر فى حوادث سنة ٨٢١هـ / ١٤١٨م أنه فى المحرم « توجه السلطان إلى وسيم فأقام هناك نحو العشرين يوماً ، ثم رجع فنزل بالقصر الغربى بمبابة وأمر الوالى أن يشعل البحر ، فحصل من قشور النارنج والبيض ومن المسارج شيئاً كثيراً إلى الغاية وعمرها بالزيت والفتايل وأوقدها وأرسلها فى الماء ، ثم أطلق فى غضون ذلك من النفط الكثير فكانت ليلة عجيبة مر فيها من الهزل والخف مالا عهد للمصريين بمثله ، وكان الجمع فى الجانبين من الناس المتفرجين متوفرا ، وفى البحر من المراكب جمع جم»[2] .

وتنوعت أدوات الإضاءة فى مصر المملوكية فوجدت التنانير (الثريات) النحاسية الضخمة والقناديل والشماعد الضخمة ، والمشكاوات والفوانيس .

ويحتفظ متحف الفن الإسلامى بالقاهرة بمجموعة كبيرة من التنانير المختلفة الأشكال معظمها من القرنين ٨ – ٩ هـ/١٤ – ١٥م ويشبه قبة ذات طبقات لوضع

---

(١) عبد الرؤوف على يوسف : تحف من الفن الشعبى فى مصر الإسلامى ص ١٦٦ – ١٦٨ .

(٢) أبناء العمر بانباء العمر ، جـ٢ ،ص ١٥٥ .

القناديل ومن أبدع أمثلتها تنور من نحاس على شكل منشور مثمن ، يتـــألف مـــن ثـــلاث طبقات مخرمة ، ونرى فى أعلاها وفى أسفلها ومن الطبقتين الأولى والثانيـــة والطبقتيـــن الثانية والثالثة أربعة دربزينات (أسوار) بارزة وفيها خـــروق للبزاقـــات (القنـــاديل) . وفوق الطبقة العليا شرفات على شكل زهرة الزنبق ، ويوجد مثلها أيضاً الطبقة الوســـطى حول عصابة من النحاس منقوش عليها كتابة تاريخية . أمـــا الدورتـــان العليـــا والســـفلى فعليهما زخارف من أشكال متعددة الأوضاع فى أوضاع نجمية . وفوق الثريا قبة صغـــيرة وهلال ، على نحو ما ترى فوق مآذن المساجد ومع أن مثل هذه الثريا معد للتعليق فإن لـــها أرجلا يمكن أن تقوم عليها . وطراز هذه الأرجل فى أكثر الأحيان ليس أنيقاً وهـــى فـــى الثريا التى نحن بصددها متصلة بعضها ببعض بواسطة عقود لها فصوص وكوشات هـــذه العقود(أى أركانها) مزخرفة برسوم مخرمة .

وتسجل الكتابـــة التاريخية على هذه الثريا أنها باسم السلطان المملوكـــى النـــاصر حسن . وقد كانت فى مدرسته التى شيدها سنة ٧٦٤هـــ/١٣٦٢م. ومن هذه التنانير واحـــد على شكل هرم غير كامل ولـــه ســـتة أوجـــه وتحته تسعة عشر ثقباً أسطوانياً تركب فـــها " القرايات " (أقداح الزيت) وفوقه خوذه . وعلى هـــذه التحفـــة كتابـــة باســـم الســـلطان قايتباى . وبالمتحف تنور آخر يشبه هذا التنور وقدكان هذان التنوران فـــى جـــامع ابنتـــه زوجة السلطان قايتباى بمدينة الفيوم سنة ٩٠٥هـــ/١٤٩٩م . ولكنهما صنعـــاً قبـــل وفـــاة السلطان سنة ٩٠١هـــ واستعملا قبل نقلهما إلى الجامع المذكور[١].

وبالمتحف تنور آخر من البرونز على شكل هرم ناقص ذى ثمانية أضلاع مركـــب من ثلاث طبقات ومتوج بكرة وهلال مثل المنارات ومنقوش على الطبقة الوســـطى كتابـــة تتضمن على اسم الأمير عبد الباسط (٨٢٢هـــ/١٤١٩م) أما الطبقتان الآخريـــان منـــهما مخرمتان بأشكال نجمية كثيرة الأضلاع . ع: ٢٢٥سم – قطر: ٧٧ ســـم رقـــم ســـجل : ٣٨٢[٢] .

---

(١) د. زكى محمد حسن : فنون الإسلام ، ص ٥٥٨ ، ٥٥٩ .

(٢) Wiet : Album Du Musee Arab, p. 56.

وبالمتحف أيضا ثريا من النحاس الأصفر المخرم ذى اثنى عشر ضلعا مكونة من أربع طبقات مزينة بأشكال نجمية كثيرة الأضلاع ويقول صانعها بدر بن أبى يعلا أنه أتمها فى مدة أربعة عشر يوما وهى باسم الأمير قوصون ومؤرخه بسنة ٧٣٠هـ/١٣٣٠م أما الصينية التى أسفل الثريا فمنقوش عليها جامات باسم السلطان حسن المتوفى سنة ٧٦٢هـ/ ١٣٦١م.

ع: ٢٦٠ – قطر : ١٠٧ – قطر ١٥٠ ، رقم ٥٠٩ ، ٢٤٣[١].

كما يحتفظ نفس المتحف بمجموعة من الثريات المعدنية باسم الأشرف قانصوه الغورى ، منها ثريا من النحاس المخرم بأشكال نجمية كثيرة الأضلاع مركبة من ست طبقات على إحداها ألقاب السلطان الغورى وتاريخ صنعه سنة ٩٠٩ هـ/١٥٠٣ ويشابه الجزء العلوى لهذا التنور الأهلة التى توضع على المنارات ع: ٣٠٣ سم – قطر ٩٦٠ سم – رقم السجل ٥٠٩[٢] وثريا أخرى من النحاس والبرونز صنعت لقبه الغورى بالغورية سنة ٩٠٩هـ/١٥٠٣م – برقم سجل ٢٣٩[٣].

وبالمتحف أيضا ثريا من النحاس عبارة عن حمالة قناديل شغل مفرغ بها سبعة كيزان لوضع القناديل عليها وبسلاسلها كرات نحاس وبغطائها كتابة وأصلها من جامع أحمد بن طولون (لوحة ١٤٢) ، شكل (١٦) ، ومعظم هذا الثريات ذات ضخامة وفخامة تجعلنا نرجع أنها صنعت لتوضع فى أبهاء وحجرات القصور والمنازل المملوكية الواسعة الأرجاء – وذلك إلى جانب استخدامها فى إنارة المدارس والمساجد والقباب المملوكية – فقد وضع بقاعة البيسرية التى بناها السلطان الملك الناصر حسن بن محمد ابن قلاوون فى قصره سنة ٧٦١هـ/١٣٦٠م تسع وأربعون ثريا ، وكان جملة ما دخل فيها من الفضة البيضاء الخالصة المضروبة ٢٢٠,٠٠٠ درهم ، كلها مطلية بالذهب[٤].

---

(١) Ibid, p. 48.

(2) Ibid, p. 48 .

(٣) د. عبد الرحمن فهمى محمد : خاتمة رائعة لفنون المماليك ص ٢٠٢ .

(٤) د. محمد جمال الدين سرور ، دولة بنى قلاوون فى مصر ص ٣٠٦ .

ومن وسائل الإضاءة التى وردت فى الوثائق القناديل الصغيرة والقناديل المصفحة بالنحاس والقناديل الزجاجية فى بيت خشى[1] .

هذا وقد وجدت القناديل من الذهب فى عصر المماليك ، فمما يذكر أنه فى شهر رمضان عام ٧٠٥هـ/١٣٠٥م جاء كتاب من مقدم الخدام بالحرم النبوى يستأذن السلطان فى بيع طائفة من قناديل الحرم النبوى لينفق ذلك ببناء مأذنة عند باب السلام الذى عند المطهرة ، فرسم له بذلك ، وكان فى جملة القناديل قنديلان من ذهب زنتهما ألف دينار ، فباع ذلك وشرع فى بنائها[2] .

وفى ربيع الآخر سنة ٧٤٣هـ/١٣٤٣م مرض السلطان الملك الصالح عماد الدين أبو إسماعيل ابن الملك الناصر محمد بن عبد الملك المنصور قلاون برعاف وعندما عوفى حملت أمه " إلى مشهد السيدة نفيسة قنديل[3] ذهب زنته رطلان وسبع أواق ونصف أوقية "[4] .

هذا وكانت القناديل والشموع تستخدم فى إضاءة الدكاكين فى المناسبات السعيدة ، ففى جمادى الآخر سنة ٩١٨ هـ / ١٥١٢م أخرج السلطان الغورى على الزينى بركات بن موسى المحتسب ، الذى كان قد قبض عليه لتشاجره مع الجمالى يوسف البدرى الوزير وخروجه عليه فى القول أمام السلطان ولما أخرج عنه السلطان نزل من القلعة فى موكب حافل بعد أن ألبسه والسلطان كاملية صوف وزينت له القاهرة ووقدت له الشموع والقناديل على الدكاكين[5] .

ومما يجب ذكره أن اليهود فى مصر فى عصر المماليك كانوا يوقدون المصابيح على أبواب دورهم فى عيد الحنكة أو الحانوكة - وهو ثمانية أيام - وفقا لعد تصاعدى ،

(١) صالحية : المرجع السابق ، ص ٩٧ .
(٢) أبو الفداء : المرجع السابق ، الجزء ١٤ ، ص ٣٨ .
(٣) القنديل المصباح ج قناديل .
انظر : بطرس البستانى : قطر المحيط ، الجزء الثانى ، ص ١٧٨٣ .
(٤) المقريزى : السلوك ، الجزء الثانى / القسم الثالث ص ٦٢٤ ، ٦٢٥ .
(٥) ابن إياس : المصدر السابق ، الطبعة الثانية ، الجزء الرابع ، ص ٢٧٤ .

ففى الليلة الأولى يوقدون قنديلا واحدا وفى الليلة الثانية اثنين وهكذا حتى تتم ثمانية قناديل فى اليوم الثامن[1].

والقنديل العادى عبارة عن وعاء زجاجى صغير ، ذى انبوبة صغيرة فى قاعة ، يدخل فيها ذبالة من القطن تلف على عود من القش ، ويصب فيه الماء ثم الزيت ، وللقنديل غطاء خشبى يقيه شدة الهواء وكثيرا ما يعلق القنديل على مدخل المنازل . ويخيم على داخل البيوت أثناء الليل جو قاتم ثقيل[2].

وذكر ناصر خسرو أن أهل مصر يوقدون فى ليالى المواسم بجامع عمرو أكثر من سبعمائة قنديل . ويقال إن وزن هذه الثريا خمسة وعشرون قنطارا فضة ، كل قنطار مائة رطل وكل رطل أربعة وأربعون ومائة درهم . ويقال انه حين تم صنعها لم يتسع لها باب من أبواب المسجد لكبرها فخلعوا بابا وادخلوها منه ثم ردوا الباب مكانه . ويضاء كل ليلة بأكثر من مائة قنديل[3].

وأشار ناصر خسروا أيضا إلى وجود سوق على الجانب الشمالى لمسجد عمرو يسمى " سوق القناديل " لا يعرف سوق مثله فى أى بلد ، وفيه كل ما فى العالم من طرائف[4].

ويذكر د . زكى حسن أن هذا السوق لم يكن يسمى بسوق القناديل نسبة إلى مصابيح كانت تصنع فيه كما زعم بعض مؤرخى الفن الإسلامى ، فقد نبه فييت إلى أن منشأ هذه التسمية أن سكان هذا الحى كان لكل منهم قنديلا معلقا على باب مسكنه[5].

ويبدو أن هذا السوق كان يقع بزقاق القناديل ومن هنا جاءت تسميته فزقاق القناديل من الأزقة المشهورة بمصر الفسطاط وقيل إنما وسم بزقاق القناديل لأنه كان منازل

---

(١) قاسم عبده قاسم : أهل الذمة فى مصر ، ص ١٢٧ .

(٢) لين : المرجع السابق ، ص ١٣٧ .

(٣) سفر نامه ، ص٥٩

(٤) سفر نامه ، ص ٥٩

(٥) كنوز الفاطميين ، ص ١٨٠ ، ١٨١ .

الأشراف وكان على أبوابهم القناديل وقيل إنما قيل له زقاق القنديل لأنه كان برسمه قنديل موقد على باب عمرو وقيل هو من الخطط القديمة وله أربع مسالك الأول من شارع خلف الجامع الثانى يسلك إليه من درب القسطلاني الثالث يسلك إليه من زقاق تربة عفان الرابع من سوق بربر وكان به دار عمرو بن العاص(١).

هذا ووجدت الشماعد بكثرة فى عصر المماليك ويبدو مما وصلنا منها سواء بمصر أو خارج مصر أنها كانت تأخذ شكلا مميزا عبارة عن جسم يأخذ شكل هرم ناقص مثبت بمنتصف قمته العليا جزء أسطوانى يأخذ شكل الشمعة يستخدم فى وضع الشموع . وكان الشمعدانات من الذهب والفضة والنحاس المكفت .

وجاء ذكر الشماعد من هذه المواد مجتمعة في خطط المقريزى الذى ذكر أن زوجة السلطان الملك الأشرف خليل بن قلاوون خوندا ردوتكين ابنة نوكيه كانت حاملا فظن السلطان أنها تلد ابنا ذكرا يرث الملك من بعده فأخذ عندما قاربت فى الوضع فى الاحتفال ورسم لوزيره الصاحب شمس الدين محمد بن السلعوس أن يكتب إلى دمشق بعمل مائة شمعدان نحاس مكفت بألقاب السلطان ومائة شمعدان آخر منها خمسون من ذهب وخمسون من فضة .. وألف شمعة وأشياء كثيرة فقدر الله تعالى أن تلد بنتا فانقبض وكره أبطال ما قد اشتهر عنه عمله فأظهر أنه يريد ختان أخيه محمد وابن أخيه مظفر الدين موسى بن الملك الصلح على بن قلاوون(٢).

ويحتفظ متحف الفن الاسلامى بالعديد من الشماعد النحاسية الزخرفة والمكفتة أو أجزاء منها . فيوجد به رقبة شمعدان(٣) من نحاس مكفت بالفضة ، باسم الأمير كتبغا ١٢٩٤ م – الذى ارتقى عرش مصر فى سنة ٦٩٣ ﻫ / ١٢٩٤ م برقم سجل ٤٤٦٣ ، وقد زينت هذه الرقبة بشريطين من الكتابة ، الأعلى كتابة نسخية صنعت بأناقة وتداخل فى الحروف بحيث تعطى القيمة التشكيلية المعبرة عن الاستمرار والدوران مع جسم رقبة

---

(١) ابن دقماق : الانتصار ، الطبعة الأولى ، بولاق ، ١٣٠٩ ﻫ ، الجزء الرابع ص ١٣ ، ١٤ .

(٢) الجزء الثانى ، ص ١١٢ .

(٣) شمعدان : جمعها شمعدانات أو شماعد .

Dozy: Op. Cit., T.I., P. 788.

الشمعدان ، وهذه الكتابة البارزة قليلا يفصل بينها جامـــات دائريـــة مزخرفـــة بزخـــارف هندسية ، وأرضية الكتابة بها علامات تختلف فى قيمتها الملمسية عـــن الخـــط النســـخى المكتوب فوقها مما يعطى تنوعا فى هذه القيم الملمسية ، والضـــوء الـــذى يســـقط علـــى الحروف الفضية يعطيها الأهمية التى تجذب النظر إليها ، وتتابع الحروف القائمة كـــالألف واللام وضع فى أبعاد متناسقة تعطى اتجاها صاعدا ، بالأضافة إلـــى الاتجـــاة الدائـــرى ، وفى الجزء الأسفل من الرقبة شريط آخر به كتابات ، النهايات العلوية لها مصورة علـــى أشكال أشخاص كأنما تمارس الحياة اليومية ، وهذا الأسلوب فى معالجة الكتابة على هـــذه الهيئة البشرية يؤكد الفنان الكامن إلى تصوير المحال وهو غاية من غايات الفنان المســـلم فى معالجته للكائنات الحية .والشريطان العلوى والسفلى مختلفان فـــى المســـاحة اختلافـــا يحقق التناسق بين جزئى رقبة الشمعدان ، كما أن الكتابة السفلية ذات الأشكال الأدمية تبعـد بقدر كاف عن الجزء السميك العلوى مما يؤدى الاستفادة من الظل الـــذى يحدثـــة الجـــزء العلوى على السفلى لتاكيد وضوح الكتابة الأدمية ، ولتحقيـــق التنويـــع وأحكـــام الاتســـاق أضاف الفنان عددا آخر من الأشرطة الضيقة الدائرية ذات الزخارف البيسطة لكى يزيـــد فى أناقة الشمعدان ، ويؤكد من جهة أخرى النصوص الزخرفية الخطية والاحساس الكلـــى الذى تعطيه رقبة هذا الشمعدان ، والتكامل بين الشكل الكلى والقيـــم الضوئيـــة وملامـــس السطوح والقيم الخطية والسطوح الأخرى[١]. ع : ١٤ سم قطر ٨ سم[٢].

وبالمتحف قاعدة شمعدان نحاس مكفت بالذهب والفضة منقـــوش عليـــها ســـطران بالخط الكوفى المجدول بحروف من فضة ويتخلل الكتابة هنا وهناك وردات من الذهب أمـا الكتابة المنقوشة بالخط الكبير فتدلنا على أن هذا الشمعدان قدم للحـــرم النبـــوى الشـــريف ومقدمة هو سنقر التكريتى . القرن ٧ ه / ١٣ م - ٢٣ - قطـــر ٣٥ ســـم رقـــم ســـجل ٧٩٤٩[٣].

---

(١) أبو صالح الالفى : المرجع السابق ، ص ٢٨٩ ، ٢٩٠ .

(2) Wiet : Op. Cit., P. 44

(3) Ibid, p. 43.

وشمعدان من النحاس يتبين من الكتابة المنقوشة علية أنه صنع فى سنة ٨٨٧ هـ / ١٤٨٢ م لتزين به الحجرة النبوية الشريفة بالمدينة المنورة نقشه مرتب بحيث تظهر الأطراف العلوية للحروف متقاطعة بشكل متماثل على هيئة مقصات . ع ٤٨ – قطر ٣٧ سم برقم سجل ٤٧٢[١].

ويحتفظ متحف جاير أندرسون بمجموعة من الشماعد منها شمعدان مملوكى ويحتفظ المتحف القبطى بشمعدان صنع فى القرن الثالث عشر الميلادى عثر عليه بكنيسة مارمينا بفم الخليج وهو على شكل تنينين مكفتين بالفضة وبه خمس مغارس للشمع . [٢]

وتحتفظ المتاحف الخارجية بنماذج للشماعد فتحفتظ دار الأثار العربية بالكويت بشمعدان من البرونز ، مزخرف بالحفر والتكفيت بالفضة والنحاس الأحمر يرجع الى مصر أو بلاد الشام ، النصف الأول من القرن ٨ هـ النصف الأول من القرن ١٤ م . القطر ٣٨ سم –الارتفاع ٣٣سم ونص الكتابات حول مكان تثبيت الشمعة نصها /:

المقر العالى المولوى الآ/ميرى الكبيرى البدرى بدر الدين / بكتو (ت) القرمانى الناصرى . حول الصينية نصها : " مما عمل برسم المقر العالى المولوى الأميرى الكبيرى الما /لكى البدرى بدر الدين بكتوت القرمانى المالكى الناصرى " . حول البدن نصها : " مما عمل برسم النقر العالى المولوى الأميرى الكبيرى ١/ لمالكى البدرى بدر الدين بكتوب القرمانى الملكى الناصرى " .

وقد آثر صناع التحف المعدنية فى العصر المملوكى إنتاج الشماعد ذات الشكل الشبيه بالطبل أو الهرم المقطوع ، التى استخدمت فى وقت مبكر فى كل من خراسان فى نهاية القرن ٦ هـ / ١٢ م وفى مصر وبلاد الشام فى العصر الأيوبى ، بدلا من الشماعد ذات البدن المميز بمقطعه الجانبى المقعر[٣].

---

(1) Ibid, P. 57.

(٢) محمد جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون ، ص ٣٠٧ .

(٣) غادة حجاوى قدومى : المرجع السابق ، ص ١٣٥ .

ويحتفظ متحف اللوفر بباريس بشمعدان من النحاس المطروق ، يرجع إلى مصر في النصف الأول من القرن الرابع عشر ، وهو مهدى إلى المتحف من البارون ساليون ، وهو من النمط المملوكى المتعارف عليه عن طريق شكله وترتيب الزخرفة والأهمية المعطاة للكتابة ذات الهامات المرتفعة ولأزهار اللوتس وهناك عناصر نادرة على القاعدة هى طيور تتعارك فوق أشرطة نباتية والسيقان الرفيعة المحفورة فوق الحروف المغطاة فيما مضى بالفضة وفوق حامل الشمعة كتابة للقب أحد كبار الدولة الغير معروف (فى النص) من عصر الملك الناصر .

والزخارف محفورة ومكفتة بالفضة والذهب . ع ٠,٤٠٥م قطر القاعدة ٠,٣٥٣م رقم ٧٥٢٩[١].

ومن كنوز الفن الإسلامى بباريس أيضا شمعدان من النحاس المطروق ، المزين بأشرطة من الكتابات النسخية تقطعها دوائر مملوءة بزخارف نباتية ، وحصرت هذه الأشرطة بين اطارين ضيقين مملوءين بالزخارف النباتية .

ونص الكتابة الموجودة على البدن : مما عمل برسم الأدر الشريفة ذات الستر الرفيع والحجاب المنيع خوند الكبرى جهة المقام الملك ١/ لاشرف أبو النصر قايتباى عز نصره " .

ويزين الكتف كتابة مماثلة للنص السابق . فيما يتعلق بالنص الذى يزين مكان تثبيت الشمعة فقد تمت ازالته من بعد كلمة " المقام الملك "وتقرا على الرقبة كلمات : السلطان الملك أبو النصر (كذا) قايتباى " وعلى قاعدة الرقبة نجد كلمات محزوزة تشير إلى وقف هذا الشمعدان . الارتفاع ٤٥ سم – القطر ٣٦ سم وفى الحقيقة أن السيدة المقصودة هنا ، هى فاطمة الخاصبكية التى تزوجت أولا السلطان قايتباى ومن بعده السلطان طومان باى الأول . وتوفيت فى سنة ١٥٠٣ م ورغم ما أصاب البلاد من اضطرابات سياسية واجتماعية واقتصادية حوالى سنة ١٤٠٠ م .

---

(1)L'Islam dans les Collections Nationales, Paris 1977, Pl. 235.

فان الفنون الفرعية قد اتسمت بقسط من الاستمرارية فيما بين القرنين الرابع عشر والخامس عشر للميلاد(١).

وبالمتحف الملكي للفن والتاريخ في بوركسل شمعدان يرجع إلى مصر أو سوريا في حوالي القرن ٨ ه / ١٤ م – ارتفاعه ٢٥.٥ سم(٢) .

والفوانيس من أدوات الاضاءة التي استخدمت أيضا في عصر المماليك فكانت تستخدم لانارة الطريق للمواكب في المساء ، فمثلا يذكر ابن اياس في حوادث ربيع الأول سنة ٨٤٢ هـ / ١٤٣٩ م " وفية طلعت خوند مغل بنت بنت البارزي ، زوجة السلطان " – يقصد السلطان الملك الظاهر أبي سعيد جقمق العلاي الظاهري – " إلى القلعة بعد العشاء في موكب حافل يتقدمها الفوانيس وحولها ، وحولها جماعة كثيرة من الخدام)(٣).

كما يستعملها الرجال لإنارة الطريق في زياراتهم المسائية .

هذا ويصنع الفانوس من النسيج المشمع المشدود إلى حلقات من السلك بينما أعلاه وأسفله يصنعان من النحاس المبيض(٤).

ومن الجدير بالذكر أن الشموع المصبوغة بالألوان الرائعة – التي كان الناس يشترونها على اختلاف طبقاتهم ، ويعلقونها في الأسواق والحوانيت ابتهاجا بعيد الميلاد الذي شارك فيه المسلمون أهل الذمة – سميت بالفوانيس ، وتنافس الناس في المغالاة في تكاليفها حتى بلغ مصروف شمعة ألفا وخمسمائة درهم ، ومن الطريف أن بعض الشحاذين في الطرقات كانوا يسألون الناس أن يتصدقوا عليهم بفانوس ، فيشتري لهم من صغار الفوانيس ما يبلغ ثمنه الدرهم وما حوله ، ولكن الاهتمام بأمر فوانيس أعياد الميلاد

---

(١) جيمس دبليو الان : التحف المعدنية (كتاب كنوز الفن الاسلامي) جنيف ، ١٩٨٥ ، ص ٢٧٨ ، لوحة ٢٨٩ .

(2)Musees Rayaux d'Art d'Histoire, Guide du Visiteur Cernelia Montgomery – Wyaux Metaux Islamiques – Bruxelles, 1978, PL.22.

(٣) بدائع الزهور ، ج ٢ ، ص ٢٠٠ .

(٤) لين : المرجع السابق ، ص ١٣٧ .

تناقص بمضى الوقت بسبب متاعب الناس الاقتصادية الناجمة عن الغلاء والمجاعات المتتالية[1].

وقد قيل فى الفانوس :

وكأنما الفانوس نجم نير ... منع الظلام من الهجوم طلوعه

أو عاشق أجرى الدموع بحرقه ... من حر نار قد حوته ضلوعه[2]

هذا عن أدوات الإضاءة أما مواد الإنارة فكان منها الزيت والشمع فقد استعمل الزيت بكميات كبيرة فى الاضاءة فى العصر الوسيط ، وكانت تزاد التوسعة منه على المدارس والمساجد والخانقاوات فى المواسم والاعياد وكان الوقاد يضع الزيت فى مسارج من الخزف أو المعدن ذات فتيل من شعبة أو شعبيتن ، وقد يوضع الزيت فى قرايات من الزجاج ، هذا وقد كان زيت الزيتون الطيب يستعمل فى الاضاءة وعند تعذر وجوده أو ارتفاع ثمنه ، كان يستعمل الزيت الحار ، وكانت الدولة المملوكية فى مصر والشام تنتج كميات وافرة من الزيت لانتشار مزارع الزيتون والكتان وكثرة المعاصر فيها كما تذكر وثائق ذلك العصر ، ومنها وثيقة الناصر محمد بن قلاوون[3].

وكان الشمع يستخدم فى الإضاءة فى ذلك العصر ، وكانت الشموع المختلفة الأحجام تصنع بمصر وتباع فى سوق الشماعين .

وكان للشمع السكندرى شهرة كبيرة ورد ذكرها فى كتب مؤرخى العصور الوسطى ووثائق الوقف ، وكانت زنه الموكبية الواحدة تتراوح بين عشرة أرطال وخمسين رطلا بالمصرى[4].

---

(١) د . قاسم عبده قاسم : أهل الذمة فى مصر فى العصور الوسطى ، دار المعارف بمصر ١٩٧٨ م ، ط ٢ ، ص ١٦٤ .

(٢) الغزولى : المرجع السابق ، الجزء الأول ، ص ٨٧ .

(٣) عبد اللطيف إبراهيم : وثيقة الأمير آخور كبير قراقجا الحسنى ص ٢٤٤ .

(٤) عبد اللطيف إبراهيم : نصان جديدان من وثيقة الأمير صرغتمش حوليات كلية الآداب – جامعة القاهرة ، مجلد ٢٨ ، ١٩٦٦ م ، مطبعة جامعة القاهرة ، ١٩٧١ م ، ص ٦٧ .

ونظرا للإقبال الشديد على شراء الشموع فى عصر المماليك كان لها سوقا سمى بسوق الشماعين كان موضعه من الجامع الأقمر الى سوق الدجاجين . وقد أدرك المقريزى ازدهار هذا السوق وخرابه فيذكر أنه أدرك وحوانيته تزيد على العشرين وكانت تفتح الى منتصف الليل وكانت معمورة بالشموع الموكبية الفانوسية والطوافات وكان يعلق بهذا السوق الفوانيس فى موسم الغطاس فتصير رؤيته فى الليل من أنزه الأشياء وكان به فى شهر رمضان وسم عظيم لكثرة ما يشترى من الشموع الموكبية التى تزن الواحدة منهم عشرة أرطال فما دونها ومن المزهرات العجيبة الزى المليحة الصنعة ومن الشمع الذى يحمل على العجل ويبلغ وزن الواحدة منها القنطار وما فوقه كل ذلك برسم ركوب الصبيان لصلاة التراويح فيمر فى ليالى شهر رمضان من ذلك ما يعجز البليغ عن حكاية وصفه ، وكان يباع فى هذا السوق فى كل ليلة من الشمع بمال جزيل ،ثم تلاشى الحال فى جميع ما سبق لفقر الناس وعجزهم وخرب السوق ، وانقرضت حوانيته حتى أصبحت خمسة فقط(١) وكان الشمع من هدايا العرس فى المماليك(٢) كما كان يدخل أيضا من ضمن المهر أحيانا فقد احتوى مهر آنوك ابن السلطان الناصر محمد قلاوون على مائة شمعة موكبية(٣) .

وكان يشعل فى مهم العرس كميات ضخمة من الشموع إلى ثلاث آلاف قنطار كما كان فى عرس الآمير برلغى الصغير قريب السلطان الملك المنصور قلاوون – علم ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م(٤). وعرس الأمير آنوك (٥) وقد تبقى من الشمع لكثرته – فى عرس الأمير على بن أرغون على بنت السلطان الناصر محمد فى شعبان سنة ٧٢٣ هـ – ١٣٢٣ بعدما استعمل منه مدة العرس – ألف قنطار (١) وكانت شموع العرس من الشموع

(١) الخطط ، الجزء الثانى ، ص ٩٦ .
(٢) المقريزى : السلوك ، الجزء الثانى / القسم الثانى ، ص ٣٤٦ .
حياة ناصر الحجى : الأمير تنكز الحسامى (نائب الشام فى الفترة ٧١٢ – ٧٤١ هـ / ١٣١٢ – ١٣٤٠م ، حوليات كلية الاداب جامعة الكويت الحولية الاولى ١٩٨٠ م / ١٣٩٩ هـ ، ص ٢٣ .
(٣) المقريزى : السلوك ، الجزء الثانى ، ص ٣٣٣ .
(٤) المصدر نفسه ، الجزء الثانى / القسم الثالث ، ص ٧٩٣ .
(٥) أبو الفداء : البداية والنهاية ، الجزء ١٤ ، ص ١٥٧ .

بعدما استعمل منه مدة العرس – ألف قنطار [1] وكانت شموع العرس من الشموع الفاخرة فمثلا صنعت لمهم عرس الأمير قايتباى – أحد أمراء الطبلخا ناه فى المحرم سنة ٩٢٢هـ – شموعا مزهرة ما بين قصور وشمامات .

وكان الشمع من الهدايا التى يحرص أن يقدمها الصديق لصديقه[2] ومن الجدير بالذكر أنه قيل فى الشمعة الكثير من الأشعار[3].

---

(١) محمد عبد العزيز مرزوق : الناصر محمد ، ص ٢٤٧ ، ٢٤٨ .

(٢) ابن اياس : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٩ .

(٣) انظر : الخالديان : كتاب التحف والهدايا ، ص ٣٠ .

المسبحى (محمد بن عبد الله) : أخبار مصر فى سنتين (٤١٤- ٤١٥ هـ) تحقيق وليم ج ميلورد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،

١٩٨٠ ، ص ٨٥ . الغزولى : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٨٤ ، ٨٥ .

الفصل الأول

خامسا : أدوت التجميل

خامسا : أدوت التجميل

من المعروف أن المرأة - بصفة عامة - تميل إلى الزينة بأنواعها المختلفة من تصفيف شعر وتكحل وتزجيج وتنميص وطيب وخضاب ووشم وذلك لتبدو في أجمل صورة ، وقد استعملت لذلك أدوات منها الأمشاط والمكاحل ومراودها وقنينات العطر وأحقاق الأدهان والأشنان والسواك وحجر الخفاف والعروس بصفة خاصة تبالغ في إظهار جمالها وتحمل معها إلى بيت الزوجية كل مساحيق التجميل وأدواته لتبدو أمام عريسها فاتنة جميلة وقد كان المجتمع الإسلامى فى عصوره المتعاقبة على جانب عظيم من الأبهة والترف ذلك الذى تطلب الاهتمام ببعض مظاهره ومنها أدوات التجميل التى بلغت العناية بها شأنا كبيرا ولاسيما عند النساء اللاتى اقبلن عليها باهتمام بالغ يساير طبيعتهن وميلهن الى التزين مما يزيد فى سحرهن[1] .

وفى عصر المماليك بلغ الترف أقصى درجاته وبلغت مخلفات المماليك من سائر الفنون مالا يمكن حصره .

وتعتبر دراسة أدوات الزينة مقياسا من مقاييس الدوق العام فى المجتمع ، فالرق الذى كان معروفا منذ اقدم العصور وشائعا بين العرب فى العصر الجاهلى قد تأثر بالمد الحضارى فاصبح تجميل الجوارى صناعة شجعت على انتشار أدوات الزينة التى كانت تقتبس فنونها من شعوب اخرى ، أو كانت من مبتكرات الفنان والصانع المحلى ، فمقاييس الجمال المطلوب عند المرأة - سواء أكانت حرة أم جارية - كتطويل الشعر وتزجيج الحواجب وتطرية الجلد وتحفيف الأيدي تستلزم بالتالى العناية بالأدوات التى تبرز المرأة فى هذه الصورة[2].

وليس من شك فى أن الجوارى اللائى امتلأت بهن القصور كن من العوامل البارزة التى ساعدت على العناية بأدوات التجميل ، فقد كن يمثلن طبقة هامة من المجتمع لها

---

(١) احمد ممدوح حمدى : معدات التجميل بمتحف الفن الاسلامى ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٥٩م ، ص ٨ .

(٢) أحمد عطية الله : القاموس الإسلامى ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٠ ، المجلد الثالث ، ص ١٧٢ ، ١٧٣

أثرها البالغ فى ذلك ، فان ذلك ، فان رواج سوقهن وإقبال الناس على اقتنائهن أو إهدائـــهن كما يتهادون الحلى والجواهر ، دعا النخاسين واتباعهم إلى العناية بهم عناية كـــبرى فـــى أعدادهن لهذه الحياة على خير الوجوه وأكملها ، فتفننوا فى إظهار جمالهن وإبـــرازه فـــى صور مغرية بمختلف الأساليب[1].

وكان من أوصاف الفتاة الجميلة أن تكون طويلة القامة ، نحيفة القـــوام ، متناســبة أعضاء الجسم ، بيضاء البشرة ذات عينين واسعتين سوداوين[2] فكان من الطبيعـــى علـــى النخاسين ان يراعوا هذه المعايير الجمالية ويعالجوا ما نقص بمختلف الأساليب الصناعيـــة. وكان من عادتهم إطالة الشعر بإضافة شعر مستعار من جنسه فى طرفه وإزالـــة روائـــح الأنف بالسعوط (النشوق) بدهن البنفسج والنيلوفر ونحوهما وجلـــو الإســـنان بالســـواك بالاشنان والسكر وسحيق الصينى أو الفحم أو الملح المدقوق . وتنظيف الأظـــافر بغســـلها بالخل والعسل والمرتك[3] أو دهن الورد واللوز المر . وكانت الجوارى يخفين حواجبـــهن بالرامك وأطرافهن أن كانت الجارية بيضاء بالخضاب الأحمر وان كانت صفراء بالأسود.

وهكذا سار النخاسون على هذه الأساليب وبرعوا فى اتقانها لبيـــع الجاريـــة بثمـــن باهظ وبذلك كانت الجوارى مصدر نوع من الثقافة وهو الفنون الجميلة ومـــا يتبعـــها مـــن رقى فى الذوق الفنى ، كما كن اكبر عامل فى نشر الشعور بالحمال وما يتبعه مـــن فنـــون جميلة ، فان الخلفاء وغيرهم لم يكتفوا الجوارى من ناحية جمالهن الفنى ، بل شغفوا أيضـــا بهن من ناحية جمالهن الخلقى ليجمعوا بين الجمالية والخلفية ، فكان من الطبيعى ان تـــهتم الجوارى بفن التجميل كما بلغت عنايتهن بأدواته حدا كبيرا وذلك بسبب المنافســـة الشـــديدة بينهن ورغبة الواحدة منهن فى ان نكون ذات حظوة مرموقة ومكانة كبيرة عند صاحبـــها .

---

(١) أحمد ممدوح حمدى : المرجع السابق ، ص ١٠ .

(٢) سيد أمير على : مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامى ، ترجمة رياض رأفت القاهرة ، مطبعـــة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٨م ، ص ٣٩٢ .

(٣) المرتك : ما يعالج به الصنان . وهو معرب ولا يكاد يوجد فى الكلام القديم وبعضهم يكسر الميـــم . ويقال المرتك أيضا نوع من التمر . المقرى ، المرجع السابق ، جـــ١ ، ص٥٦٧ .
المرتك أكسيد الرصاص : أحمد ممدوح حمدى : المرجع السابق ، ص ١٠ حاشية (٣) .

هذا ولم يكن الاهتمام بأدوات التجميل من وحى الجوارى فحسب ، بل كان موضع اهتمام المرأة بصفة عامة ، لاسيما فى وقت كثرت فيه الغزوات والحروب واستشهد فيه كثير من الرجال ، فازداد التنافس بين النساء وتفنن فى هذا السبيل . وبذلك يمكن القول بأن هذه الحروب ساعدت على مثل هذا الغلو فى ابتداع وسائل التجميل[1].

وقد بلغت أدوات التجميل على عصر سلاطين المماليك فى مصر شأنا كبير لإقبال النساء عليها . حقيقة أن المصادر المعاصرة قد بخلت علينا بمعلوماتها بصدد نوعية هذه الأدوات وأشكالها ، إلا أن الحفائر الأثرية قد عوضتنا هذا النقص بما أمدتنا به من أدوات تجميل مختلفة من أمشاط ومكاحل ومرايا وقنانى للعطور وأحقاق للأدهان وحجر خفاف وغيرها محفوظة بمتحف الفن الإسلامى وغيره .

الأمشاط [2] :

عرفت أمشاط الشعر منذ القدم لدى المصرين القدماء بأشكالها التى عرفت بها فى العصر الإسلامى ويبرهن على ذلك ما يحتوية المتحف المصرى بالقاهرة من مجموعة من التى الأمشاط صنعت أحيانا من العاج أو العظم ، لكن الخشب كان الأكثر شيوعا فى صناعتها . ومعظم الأمشاط مسطح بجانب واحد أو جانبين ، لكن أحيان توجد أمثلة مقوسة ، توحى بأنها كانت تستخدم فى زينة الشعر . وعثر على معظم الأمشاط التى تعود

---

(١) أحمد ممدوح حمدى : المرجع السابق ، ص ١٢ .

(٢) مفردها مُشْط ، ابن السكيت مُشُطُ ومِشْط ، أبو عبيد هو المُشُطُ والمُشْط الجمع أمشاط .

وتعرف الأمشاط بالمدارى واحدها مدرى واصل المدارى القرون.

انظر : ابن سيده (أبو الحسن على بن إسماعيل الأندلسي) . المخصص : تحقيق لجنة أحياء التراث العربى فى دار الأفاق الجديدة ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، الجزء الأول ، السفر الرابع ، ص ٥٩ .

والمدرى والمدارة شئ يعمل من حديد أو خشب على شكل سن من أسنان المشط وأطول منه يسرح به الشعر المتلبد ويستعمله من لا مشط له . ويقال أدوت المرأة تدرى أدراء إذا سرحت شعرها به وأصلها تدترى تفتعل من استعمال المدرى فادغمت التاء فى الدال .

انظر : ابن الأثير ، النهاية ، جـ٢ ، ص ٢٢ ، أبن منظور : مختار الأغانى فى الأخبار والتهانى ، جـ٢ ، ص ١٩٧ ، هامش ٢.

إلى العصور المصرية القديمة حيث مقابر النساء ووجدت مرارا فـــى ســـلال أو أســـفاط تحتوى على أصناف دهـــان لتجميل الوجـــه أو الشعر ومكاحل وجرار للمراهم والدهـــان أو دبابيس الشعر[١].

كذلك كانت الأمشاط من الوسائل الضرورية التى لا يمكن الاســـتغناء عنـــها فـــى العصر القبطى – فهى تساعد المرأة على الظهور بمظهر لائـــق جـــذاب وهـــى الوســـيلة اللازمة لتنظيف الشعر وتصفية وتنظيمه . وقد وجدت أنـــواع عديـــدة وأشـــكال وأحجـــام مختلفة من تلك الأمشاط ، زينت أغلبها برسوم جميلة مفرغة تمثل بعضها منـــاظر الطـــير كالحمام أو الطـــاووس أو الحيوان كالغزلان والأرانب أو أشكال فرســـان علـــى ظـــهور الجياد . وبعضها يحوى زخارف هندسية ونباتية من وريدات أو أزهار وغيرها .

وأغلب تلك الأمشاط صنعت من الخشب والبعض الآخـــر مـــن العظـــم والعـــاج ، ويحتفظ المتحف القبطى بمجموعة كبيرة منها .ويعتبر من أجملها ذلك المشط العاجى الـــذى يرجع تاريخه إلى القرن السادس الميلادى ، وهو يمتاز بدقة الصنعة ، وترجع أهميته إلـــى المناظر الدينية الدقيقة البارزة التى نقشت على الفراغ الأوسط فى كلا الوجـــهين ، وهـــى تمثل فى أحد وجهيه منظرا للسيد المسيح على ظهر آتان[٢] داخـــل أكليـــل نبـــاتى يحملـــه ملاكان طائران .

أما الوجه الآخر فقد نقش عليه الفنان منظر دينيا مختلفـــا ، يوضـــح بعضـــا منـــها معجزات السيد المسيح[٣] .

ثم جاء الإسلام ونحن نعلم أنه يحض على النظافة والزينة ومـــن الزينـــة تســـريح الشعر وتحسينه فانعكس ذلك على كثرة استخدام الأمشاط.

---

(1) Sania Abdel- Ai. The Make up Kites of Ancient Egypt, Psion – January – March (7-1984), p.4.

(٢) الأتان : الأنثى من الحمير قال ابن السكيت ولا يقال إتانة وجمع القلة اتن مثل عناق واعنق وجمـــع الكثرة اتن بضمتين .

المقرى : المرجعة السابق ، جـ١ ، ص ٣ .

(٣) رءوف حبيب : الزينة والتجميل عند المراة فى العصر القبطى ، مكتبة المحبة ، ٣ ، ٤ .

كما استخدمت المرأة فى العصر الأموى المخيط إضافة إلى المشط لتفريد الشعر فمن المحتمل أن استعمال المخيط كان مقتصرا على تفريق الشعر مستفيدة من رأسه المدبب، ويضم المتحف العراقى عدد لا بأس به من المخايط التى تنطبق عليها هذه الصفة فمنها ما هو مصنوع من العاج ، ومنها ما هو من المعدن بعضها مثقوب من أحد نهاياتها وبعضها خالية من الثقب(١) .

وفى متحف الفن الإسلامى بالقاهرة مجموعة كبيرة من أمشاط الشعر التى كانت تستعمل فى تصفيف شعر الرأس أو تهذيب شعر اللحية . وهذه الأمشاط من أنواع ومواد وأشكال مختلفة .

وقد كان للحفائر التى أجرها المتحف فى مدينة الفسطاط وغيرها من الأماكن الأثرية أثر كبير فى الكشف عن ذلك العدد العظيم منها الذى يعتز به المتحف باعتباره مظهراً من مظاهر الرقى والتقدم ، هذا إلى جانب أنها أدة هامة من أدوات الجميل .

وهذه الأمشاط مصنوعة من الخشب أو السن أو القرن أو الابنوس . ويبدو أن الخشب كان المادة المفضلة فى صناعة الأمشاط لكثرة ما يحتويه المتحف منها فضلاً عن رخص تكاليفها مما جعلها تتناسب مع إمكانيات جميع الأفراد .

ويلاحظ أن خشب البقس(٢) كان أفضل أنواع الخشب فى هذه الصناعة لمتانته ونعومة سطحه مما يتفق مع الغرض المطلوب . أما الأمشاط المصنوعة من السن فمحدودة العدد فى المتحف . وكان الأغنياء يستخدمونها لارتفاع أسعارها . كما لا يوجد فى المتحف سوى عدد قليل من الأمشاط المصنوعة من القرن والابنوس مما جعل القيمة الأثرية لها عظيمة جداً بسبب ندرتها .

---

(١) زكية العلى : التزيق والحلى عند المرأة فى العصر العباسى- منشورات وزارة الإعلام – الجمهورية العراقية ، ١٩٧٦م، سلسلة الكتب الحديثة رقم ٩٩ ص ٤٥ ،٤٦ .

(٢) البقس من الأخشاب الأفرنجيه المستعملة فى أشغال النجارة ، لونه أصفر فاتح ، ويستعمل فى عمل المثلثات والمساطر المقسمة وبعض أشغال أخرى محمد عبد الحليم حسن : الخشب والنجار ، الطبعة الأولى ، مطبعة السماح ، ١٩٢٨م ، ص ١٥.

كما يحتفظ كل من متحف كلية الآثار جامعة القاهرة والمتحف الزراعي بالدقى ومتحف جاير اندرسون بمجموعة من الأمشاط .

وتنقسم الأمشاط بوجه عام إلى نوعين ، نوع استخدم فى تصفيف شعر الرأس ونوع استعمل فى تهذيب شعر اللحية . وكان لكل نوع من هذين النوعين شكل خاص تتميز به .

ويهمنا من هذا النوع الأول حيث ان النوع الثانى خاص بالرجال فقط .

وأمشاط النوع الأول تشبة النوع المعروف فى وقتنا الحالى " بالفلاية " التى لا تزال تستخدم فى الريف .

وتختلف مقاساتها طولا وعرضا . وأسنان المشط من جهتين ، جهة للأسنان الرفيعة الحادة وجهة للأسنان السميكة القوية . أما الجزء الأوسط المحصور بينهما والمحفور بالحفر البارز أو الحفر الغائر يعد موضع اعتبار كل باحث فى الفن الإسلامي لأنه يفيد فى تاريخ المشط بما عليه من زخارف أو كتابات تحدد عصره على وجه التقريب .

ويوجد أيضا من هذه الأمشاط نوع له أسنان من جهة واحدة وشكله مقوس أو مربع ، كما يوجد نوع آخر مزدوج وبه مفصلات من الخشب ، وهذا المشط عبارة عن أربعة أمشاط بأسنان ذات درجات متفاوتة فى حدة أطرافها ، كما يوجد لبعض هذه الأمشاط ثقب فى أعلاها يدل على أنها كانت تعلق فى الرقبة أو الحائط .

هذا واستخدمت المرأة المشط فى العصر الإسلامي والعصور السابقة له فى تقسيم شعرها إلى ضفائر ، فإذا انتقلنا إلى الجزيرة العربية ورغم أن النصوص لا تفيدنا إلا فى القليل من المعلومات عن تصفيف الشعر عند المرأة فى العصر الجاهلى فقد أفادنا الشعر بعض الشىء فى التعرف على القليل من تلك التصفيفات التى كانت مفضلة عند المرأة فى العصور السابقة للإسلام ، منها على سبيل المثال تصفيف الشعر فى ضفائر . وكانت لهذه الضفائر مسميات منها

الذوائب والقرون والغدائر[1] ولا شـــك فـــى أن الضفـــائر كـــانت تختلـــف فـــى عددهـــا حسب كثافة شعر المـــرآة[2].

وكانت المراة فى العصر الجاهلى تصل شعرها أى أنـــها كـــانت تســـتعين أحيانـــا بالشعر المستعار وهى صفة أصبحت غير مستحبه فى عصر صدر الإسلام فقد روى عـــن عائشة رضى الله عنها " أن جارية من الأنصار تزوجت ثم مرضـــت فتمعـــط[3] شـــعرها فارادوا أن يصلوها فسألوا النبى ﷺ فقال : " لعن الله الواصلة والمستوصلة "[4] .

ولعل السبب الذى حدا بالنبى ﷺ إلى النهى عن هذه الطريقة فى التزين أن صحـــت تلك الأحاديث هواعتبارها نوع من الغش .

ويذكر القسطلانى فى قول له : " وكما يحرم على المرأة الزيادة فى شـــعر رأســـها يحرم عليها حلقة لغير ضرورة " ولم يذكر تعليلا للتحريم[5] .

ومن تصفيفات الشعر نوع يسمى " بالعقاص "[6] . وذكر ابن قيم الجوزية تصفيفـــة أخرى كانت معروفة عند المرأة فى العصر الأموى ، وذلك عند حديثه علـــى أبـــى زيـــد الأسدى الذى جلس يوما مع سليمان ابن عبد الملك واحتفاله جارية رآها وهى خارجة علـــى

---

(١) مفردها الغديرة وهى الذواعبة .
المقرى : المرجع السابق ، مجلد ١ ، جـــ٢ ، ص ٤٤٣ .

(٢) زكية عمر اللى : المرجع السابق ، ص ٣٧ ، ٣٨ .

(٣) معط الشعر معطا من باب تعب سقط (وتمعط) تساقط ، المقرى : المرجع السابق ، مج ١ ،جـــ٢ ، ص ٥٧٥ .

(٤) زكية عمر العلى : المرجع السابق ، ص ٣٩ .

(٥) القسطلانى (أحمد بن محمد (١٤٤٨ م – ١٥١٧م) : إرشاد السارى إلى شرح صحيـــح البخـــارى وبهامشه صحيح الأمام مسلم وشرح الأمام النووى ، المطبعة المصرية ، بولاق ، ١٨٧٦ ، جـــ٨ ، ص ٥٦٦ .

(٦) عقاص وعقـــائص مفردهـــا عقيصة وهى للمرأة . الشـــعر الذى يلوى ويدخل أطرافه فى أصوله ، (وعقصت المراة شرها عقصا من باب ضرب فعلت به ذلك وعقصته ضفرته .
المقرى : المرجع السابق ، مج ١ ، جـــ١ ، ٤٢٢ .

باب قصر أخيه سعيد بن عبد الملك فقال : " لها ذواءبة[1] تضـــرب حقويـــها[2] ، وتســيل كالعثاكيل على منكبيها ، وطرة قد أسبلت على جبينها ، ولها صدغان كأنهما نونان علـــى وجنتيها .."[3].

والتصفيفة التى أوردها ابن قيم الجوزية لم يـــرد ذكر لما يشـــبهها قبـــل العصــر الأموى ، لاسيما الطرة . بالإضافة إلى الإشارة لأول مرة إلى الصدغ المعمول على هيئـــة " النون " التى تطورت كثيرا فى العصر العباسى .

أما العثاكيل[4] فهى ليست بجديدة إذا ورد ذكرها فى معلقة امرئ القيس حيث يقول :

وفـــرع يزين المتن أسودفـــاحـــم أثيث كقنـــوا النخلـــة المتعثـــكل[5]

هذا ويذكر على مظاهرى عن نساء المسلمين فى العصـــور الوســـطى انـــهن كـــن يسرحن شعورهن إلى ضفائر تتكون من ٢٠ أو ٣٠ ضفيرة هذه تصل حتى بعـــد الوســـط وأحيانا كن يستخدمن شعر مستعار لتطويل هذه الضفائر ، التى كان عددهـــا يشـــير إلـــى مستوى هذه السيدة[6] .

---

(١) الذوائبة بالضم مهموز : الضفيرة من الشعر إذا كانت مرسلة ، فأن كانت ملوية فهى عقيصة .
المقرى : المرجع السابق ، مج ١ ، جـ١ ، ص ٢١١ .

(٢) الحقو : موضع شد الإزار وهو الخاصرة ثم توسعوا حتى سموا الأزرار الذى يشد على العورة حقوا والجمع أحق وحقى ، وقد يجمع على حقاء . المقرى : المرجع السابق ، مج١، جـ١ ، ص١٤٥

(٣) ابن قيم الجوزية (الحافظ شمس الدين أبى عبد الله محمد بن بكـــر الزرعـــى الدمشـــقى) (٦٩١ - ٧٥١هـ) : أخبار النساء ، الطبعة الأولى ، مطبعة التقدم العلمية بمصر ، ١٣١٩هـ ص ٤٩ .

(٤) العثاكيل مفردها عثكال ، العثكال بالكسر والعثكول بالضم مثل شمراخ وشمروخ وزنا ومعنى .
انظر : المقرى : المرجع السابق ، مجل ١ ، جـ٢ ، ص ٣٩٢ .
الشمراخ ما يكون فيه الرطب والمشروخ والجمع فيهما شماريخ ومثله عثكال وعثكول وعنقاد وعنقود.
المقرى : المرجع السابق ، مج ١ ، جـ١ ، ص ٣٢٢.
ونخرج من هذا أن العثاكيل هى عناقيد الرطب المتدلية من النخلة .

(٥) زكية عمر العلى : المرجع السابق ، ص ٦٧ .

(6) Mazaheri: Op. Cit., p. 74.

ويبدو أن نساء عصر المماليك كانت تقبل على شراء الأمشاط ونستنتج ذلك من أن مادة صناعة الأمشاط هى الخشب وهى مادة قابلة للفناء أو الكسر من كثرة الاستعمال وهذا يجعل المرأة تشترى بديلا لها . أو ربما احتفظت المرأة بأمشاط مختلفة فى الشكل والزخرف أى أمشاط مزدوجة (لوحات ١٤٨ ، ١٥٢ ، ١٥٩ ، ١٦١) وأمشاط بأسنان من جهة واحدة (لوحات رقم ٦٣ ، ٦٤) وأمشاط مزدوجة بمفصلات (لوحات ١٥٧ ، ١٥٨) وأمشاط بزخارف من آيات قرآنية أو كتابات طريفة أو زخارف أخرى .

وكل هذا حدا بالصناع إلى الاتقان فى الصناعة وإبداع الجديد منها وجعلها من الكثرة التى أوجدت لها (سوقا سمى) بسوق الأمشاطيين وعنه يقول المقريزى فى خططه : " وبنى فيما بين المدرسة الصالحية وبين الصاغة سوق فيه حوانيت مما يلى المدرسة الصالحية يباع فيها الأمشاط يعرف بسوق الأمشاطيين "[1] .

ويبدو مما وصلنا من أمشاط ترجع إلى عصر المماليك - رغم ما قلناه من أنها مصنوعة من مادة قابلة للفناء بالإضافة إلى أنها قطع صغيرة ربما تهمل أو تحرق - ما يؤكد كثرتها فى ذلك العصر .

فيوجد بمتاحف القاهرة مجموعة كبيرة من الأمشاط التى ترجع إلى عصر المماليك وهى متحف الفن الإسلامى ومتحف جاير اندرسون ومتحف كلية الآثار والمتحف القبطى والمتحف الزراعى . هذا بالإضافة إلى ما هو موجود فى حجرة الأوسمة بالمكتبة الوطنية بباريس ، فيها سبعة أمشاط مزدوجة (شكل الفلاية) ترجع إلى عصر المماليك - بالإضافة إلى اثنين للدقن يرجعان إلى عصر العثمانيين - وفيما يلى وصف لهذه الأمشاط:

الأول : مشط مربع ، يرجع إلى مصر ق ٧ هـ/ ١٣م من الخشب الصلب . مقاسه ٧ × ٧ سم . وبه ٥٩ سنة رفيعة و٢٢٩ سنة واسعة ، ويزين الجزء الأوسط والإطار المستطيل من كل ناحية ثلاث دوائر متداخلة تكون مثلث وتوجد كتابة بخط النسخ المملوكى من الجهتين نصها :

من كتم سره - ملك أمره

(١) المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص ٩٧ .

كما نجد من الجانب الأيمن والأيسر للمشط جامة تحتوى على دوائـــر صغـــيرة متحدة المركز بالتوالى والزخرفة بها تشابه كبير مع زخارف الأدوات النحاســية التى ترجع إلى نفس العصر .

الثــانى : مشط من الخشب غير كامل ، مزدوج ، يرجع إلى مصر فى ق ٨هـــ / ١٤م ، يوجد بجزئه الأوسط شريط عريض على شكل مستطيل مقسم إلى خمسة أجـزاء اثنين منهما مزخرفان بدويرات صغيرة محفورة أو منحوته نحت بارز . وهنـــاك شريط كتابى بالخط النسخى المتوسط بارز على أرضية مزينة بدوائر صغـــيرة وموجودة على الحافة الشمالية على الوجهين ومكتوب عليها :

ممـــا عمـــل برســـم الســـــتر الــرفيـــــع

وهناك أيضا شريط كتابى كان يجب أن يكون موضوعا فى النهايـــة الأخــرى التى أندثرت.، وهذه الكتابة الغير مفهومة الهوية وعليها جملة (الستر الرفيــع) لا يمكن أن ترد إلا لسيدة وتساعدنا على تصنيف هذه الأداة من بيـــن الأشــياء التى صنعت للسيدات التى تنتمى إلى طبقة المماليك(1) .

الثــالث : مشط ثلاث جوانب ، من خشب صلب مقاسه ٨,٥ × ٧ سم يرجع إلى مصـــر فى ق ٨ هــــ / ١٤م . يضم ٤٩ سنة رفيعة ، ٤١ ســنة عريضــة (بـــها ٨ أسنان مكسورة) ، وعلى واجهتى الجزء الأوسط إطار مســتطيل بــآخره مــن الجهتين اليمنى واليسرى على الجانبين ورقة مثلثة تتطابق مع زهــرة الزنبــق التى انتشــرت على تحف العصر المملوكى مـــن خــزف وزجــاج ونحــاس بالأخص . وفى هذه الإطارات المستطيلة وعلى أرضية تزينها الدوائر الصغـيرة كتابة بالخط النسخى ذات أحرف متوسطة وهى منفذة بالحفر البــارز ،وتتكــرر على الوجهين ونصها " لا يفكر لك مدبر " .

---

(1) Ahmad Abd Ar-Raziqi: Les Peignes Egyptiens dans l'Art de I'Islam, Syria, XLX 1982, P. 399-401.

الرابع : مشط مزدوج مقاسه ٧,٥ × ٧.٥ سم ، مصر فى ق٨هـ / ١٤م أحد جوانبه به ٥٥ سنة رفيعة والثانى ٣٩ عريضة فقدت منها ١٠ ، وفى الوسط نجد شكل سداسى بآخره ورقة ثلاثية على هيئة زهرة الزنبق وهناك كتابة بأحرف النسخ المملوكى على أرضية من الدوائر الصغيرة البارزة متكررة من الناحيتين وهو دعاء " رب اختم بخير " . وكلمة أختم فوقها عنصر نباتى .

الخامس : مشط غير كامل - ارتفاعه ١٠ سم ، مصر ق ٨هـ / ١٤م يوجد بالجزءالأوسط من هذا المشط مستطيل أرضيته مزخرفة بالنقط وعليه شكل سمكتين فى (وضع أفقى متقابل) وبينهما سمكة راسية وإطار هذا الجزء محدد بدوائر صغيرة متحدة المركز . (لوحة ١٤٧) (شكل ٣٥) .

السادس : مشط مزدوج مقاسه ٨,٥ × ٧,٥ سم ، مصر ق ٨ هـ / ١٤ م وهو مستطيل به ٧٠ سن رفيع ، ٢٩ سن عريض ، بعض منها تألف ، يزين الجزء الأوسط ثلاث جامات دائرية تحتوى على دوائر مركزية محفورة حفرا دقيقا ويفصل هذه الجامات فيما بينها عنصرين هندسيين ويتوسط الجامة الوسطى رنك عبارة عن ترس مستدير مقسم إلى ٧ أضلع الواحد جنب الآخر . وبمنتصف جانبى المشط ترس آخر مستدير بخمسة تقسيمات الواحدة جنب الأخرى .

السابع : مشط يرجع إلى أواخر ق ٩ هـ / ١٥م مقاساته ١٠ × ٧,٥ سم شكله مستطيل يتكون من ٥٨ سن رفيع ، ٢٧ سن عريض بعض منها تألف وبالجزء الأوسط من الوجهين نجد شريطا مقسما أفقيا إلى جزئين يحتوى على عناصر هندسية محفورة حفرا بسيطا ربما يكون نجوما صغيرة متتابعة ، وصناعة هذا المشط رديئة مما يرجح تصنيفه من بين الأشياء المصنوعة فى أواخر العصر المملوكى[1].

(1) Ahmad Abd – Razeq : Op. Cit., p. 401 – 403 .

المكاحل :

عرف المصريون القدماء تزيين أعينهم بالكحل[1] وقد صورت مشاهد لعملية التزيين بالكحل على المقابر ظهرت فيها المكاحل والمراود . وكانت المكاحل آنذاك تصنع من الفينس والالباستر والخشب[2]. وفى العصر القبطى كانت المكاحل من أهم أدوات التجميل ، وكانت تصنع من العظم أو العاج أو الخشب أو الزجاج لحفظ الكحل الأسود الذى انتشر استعماله بكثرة فى هذا العصر بصفة خاصة لتزجيج الحواجب كما كانت تطلى به الأجفان . ثم يمتد الطلاء فى خط إلى ما بعد لحاظ العينين نحو الصدغ لكى تظهر العيون أكثر اتساعا وتألقا.

ومما شجع على كثرة استعمال الكحل الاعتقاد السائد بأن له خواص شافية لأمراض العيون .

هذا ومن ملحقات المكاحل المراود ، وقد وجدت منها مجموعة ذات أشكال عديدة من الخشب والعاج والابنوس ، وكانوا يتفننون فى تزيين رؤوسها بنقوش تماثيل أو طيور أو أزهار وغيرها من الرسوم[3].

على هذا كان التكحل بمادة الاثمد[4] من وسائل التزين الشائعة عند جميع النساء بصرف النظر عن القطر أو الحقبة الزمنية حتى أصبحت العيون الكحيلة من الصفات

---

(١) كحل : الكاف والحاء واللام أصل واحد يدل على لون من الألوان .
والكحل: سواد هدب العين خلقة . يقال كحلت عينه كحلاء ، وهى كحيل والرجل أكحل .
انظر : أبو الحسين أحمد بن فارس زكريا : معجم مقاييس اللغة ، جـ٥ ، ص ١٦٣ ، ١٦٤ .
ويطلق على الكحل المذاب " البرم " أو البيرم " بزيادة ياء ، انظر : السيوطى : الدر المنثور ، جـ١ ، ص٩٠ .

(2) Sania Abdel – Ai : Op. Cit., p. 4.

(٣) رءوف حبيب : الزينة والتجميل عند المرأة فى العصر القبطى ، مكتبة المحبة ، ص ٤ .

(٤) الاثمد : حجر أسود إلى حمرة . ومعدنه باصبهان . وليس فى مذاهب العرب ما يجلو العين ويذهب باقذائها مثله .
عبد الله عفيفى : المرجع السابق ، جـ١ ، ص ١٦٩ .

المستحبة فى المرأة منذ العصر الجاهلى وما تلاه من عصور . فهذا زهيرا بن أبى سلمى فى العصر الجاهلى يقول:

وناظرتين تطحران قذاهما كأنهما مكحولتان باثمد

وكثيرا ما شبهت العيون الكحيلة بعيون المهاة الشديدة السواد التى كانت وما زالت تعتبر فى نظر العرب المثل الأعلى فى جمال العيون وقد قيل فى ذلك :

بعينى مهاة يحدر الدمع منهما بريمين شتى من دموع واثمد

ويذكر القلقشندى أن " زرقاء اليمامة "[1] كانت أول من اكتحل بالاثمد [2] غير انه لم يوضح لنا فيما اذا كان المقصود هنا أن عادة التكحل كانت مستعملة أم لا . وعلى أى حال فان صحت الرواية التى جاء بها القلقشندى فربما يرجع الفصل فى ابتكار هذا النمط من التزيق إلى المرأة العربية .

الأثمد : ججر الكحل وقيل هو شئ يشبه الكحل ، ويطلق عليه فى بعض اللغات اللاصف . البلوى : المرجع السابق ، جـ١ ، ص ٥٢٦ .

انظر : ابن سيده : المرجع السابق ، جـ١ ، السفر الرابع ، ص ٥٨ .

ويطلق أيضا على حكاكة الحجر التى يكتحل بها الحلاءة ، ويقال حلأت فلانا مخفف حلا إذا كحلته بالحلاءة .

(١) كانت الزرقاء امرأة من حديس ، كانت ترى الحبيش من مسيرة ثلاثين ميلا ، فغزا قوم من العرب قومها ، فلما قربوا من مسافة نظرها قالوا : كيف لكم بالوصول مع الزرقاء ، فاجتمع رأيهم على أن يقتلعوا شجر ا تستر كل شجرة منها فارس اذا حملها ، فقطع كل واحد منهم بمقدار طاقته ، فاشرفت كما كانت تفعل ، فسألها قومها عما ترى وذلك فى آخر النهار قالت أرى شجرا يسير فلم يصدقوها ، فوصل الغزاة ونهبوا اموالهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة واخذوا الزرقاء فقلعوا عينيها فوجدوا فيها عروقا سوداء فسئلت منها فقالت انها كانت تديم الاكتحال بالاثمد ولعل هذا منه وماتت بعد ذلك بأيام ، وكانت أول من اكتحل به من العرب .

انظر : البلوى المرجع السابق ، ج ٢ / القسم الأول ، ص ١٧٣ ، الاصفهانى : الأغاني ، الطبعة الأولى ، ج ٢ ص ١٣٢ .

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الانشا – مطبعة دار الكتب ، ج ١ ص ٤٣٤ .

وعند ظهور الإسلام أقر النبى عليه الصلاة والسلام التكحل ، بل وحض المسلمين على استعماله . فقد قال : " عليكم بالاثمد فانه يجلو البصر " وكان يكثر التكحل حتى ان كان يكتحل وهو صائم[1] .

وقد حض أحد الأباء ابنته عند زواجها على استعمال الكحل ، فقد قال الفرافصة الكلبى لابنته[2] حين جهزها إلى عثمان رضى الله عنه يا بنيه إنك تقدمين على نساء قريش وهن اقدر على الطيب منك ، فلا تغلبى على خصلتين : الكحل والماء ، تطهرى حتى يكون ريحك ريح شن ، أصابه المطر[3].

وقد جاء فى عيون الاخبار لابن قتيبة الدينورى بيتا طريفا جاء به ذكر الكحل والمرود ، وهو فى وصف سوداء :

كأنها والكحل فى مرودها ... تكحل عينيها ببعض جلدها[4]

وتنقل لنا المصادر ان الكحل كان من أزين الزينة فى العصرين الأموي والعباسى فيذكر الجاحظ أن عبد الله بن جعفر قال لابنته حين جهزها : " إياك والغيرة فإنها مفتاح الطلاق وإياك والمعاتبة فإنها تورث الضغينة وعليك بالزينة والطيب وأعلمي أن أزين الزينة الكحل وأطيب الطيب الماء "[5].

ويذكر ابن قتيبة أن أبى الأسود قال لابنته عند الهداء (الزفاف) " عليك بالزينة ، وأزين الزينة الكحل ، وعليك بالطيب "[6] .

---

(١) زكية العلى : المرجع السابق ، ص ٦٧ .

(٢) هى نائلة بنت الفرافصة – ق ٧ م – زوجة عثمان كانت خطيبة شاعرة شجاعة تزوجها عثمان بالمدينة وبها ماتت ولها موقف هام فى ثورة عثمان إذا قطع سيف قاتل عثمان أصابعها وهى تدافع عنه . خطبها معاوية لجمالها فأبت ويقال انها خلعت أسنانها لما قيل لها أن معاوية يعجب بثغرك أمعانا فى الوفاء .

الموسوعة الإسلامية ، دار إحياء التراث العربى ، المجلد الثانى ، ص ١٨١٩ .

(٣) ابن قتيبة الدينورى : عيون الأخبار ، ط١ ، دار الكتب المصرية ١٩٣٠م . مجـ٤ ، ص ٧٦ .

(٤) المرجع نفسه ، ص ٤١ .

(٥) الجاحظ : البيان والتبيين ، القاهرة ١٣١٣هـ ، ط١، جـ١ ، ص ١٨٣ .

(٦) ابن قتيبة الدنيورى : المرجع السابق ، مجلد ٤ ، ص ٧٧ .

واهتمت المرأة بحاجبيها فكانت تحف ما حولها من الشعر وتطيلهما بالأثمد وتعرف هذه الطريقة بالتزجيج ويظهر فيها الحاجب مقوسا مع طول فى طرفه وامتداد مع دقة مخط الحاجبين ورقتهما(١) وتسمى أيضا الزجج(٢) .

ومما تقدم يتبين أن الكحل كان من المواد الهامة التى استعملت فى التجميل ، ولذا صار من الضرورى أن تقدم المكحلة – وهى وعاء الكحل – كأداة هامة من أدوات التجميل ، فضلا عن أنها تفيد الباحث فى الفن الإسلامى بما عليها من زخارف وكتابات متنوعة وأساليب مختلفة فى الصناعة .

وتكحل العين بمرودصغير من الخشب أو العاج أو الفضة أو الزجاج ، دقيق الطرف يبل أولا بماء الورد ، ثم يغمس فى المسحوق ويمرر بين الجفنين كما يستعمل فى رسم الحواجب .

وتقترب أشكال المراود من بعض أدوات الطب والجراحة التى عرفها العرب ، ووجه التقارب بين هذه المراود وأدوات الجراحة أن الغرض الذى تستعمل فيه هذه المراود هو العين نفسها . ولهذا نرجح أن هذه المراود كان يختص بصنعها عمال فنيون دربوا على هذه المهنة والدقة فى صنعها .

وقد تعددت أشكال المراود من أعلى الغطاء ، قد ينتهى المرود بعد سطح الغطاء بشكل طائر أو حيوان أو بزخارف مفرغة إلى آخر الافتتان فى إكساب مظهر المكحلة العام – وهى مغلقة شكلا زخرفيا مقبولا . وبمجموعة د. هنرى عوض المهداة إلى متحف الفن الإسلامى بالقاهرة مجموعة من المراود النحاسية والمعدنية المزخرفة من نهاياتها بشكل طائر أو غيره (لوحة ١٧٠) .

وقد اختلفت مواد هذه المراود بصرف النظر من مادة المكحلة نفسها فقد تكون المكحلة من العاج ومرودها من الخشب أو العكس ، وقد تكون المكحلة من البللور

---

(١) زكية العلى : المرجع السابق ، ص ٦٩ ، ٧٠ .

(٢) الزجج : دقة فى الحاجبين فى طول ، رقة محط الحاجبين ودقتهما وطولهما وسبوغهما واستقواسهما . أحمد رضا : المرجع السابق ، مجلد ٣ ، ص ١٦ .

الصخرى وينغمس فيها مرود من الزجاج . ويتضح مما وصلنا من مكاحل ومراود ترجع إلى مصر من القرن الثالث إلى التاسع الهجرى مصنوعة من مواد مختلفة من البللور الصخرى والخشب والنحاس والزجاج ومزخرفة بشتى الزخارف من كتابية ونباتية وهندسية وحيوانية ما يؤكد اهتمام نساء مصر فى العصر المملوكى وما سبقه من عصور بالتكحل والإقبال عليه .

ويضم متحف الفن الإسلامى عددا وافرا من هذه المكاحل من مواد مختلفة فمنها ما هو مصنوع من الخشب أو السن أو الزجاج أو البلور أو الفضة أو النحاس (لوحات ١٧٦ ، ١٧١ ، ١٧٢) كما يوجد بكل من متحف اندرسون ، والمتحف الجغرافى (لوحة ١٦٨) المكاحل الزجاجية داخل أكياس مشغولة بالخرز .

ومن أجمل المكاحل التى ترجع إلى عصر المماليك والمحفوظة بمتحف الفن الإسلامى برقم سجل ٢٠٠٢٧/٥٩ مكحلة من الزجاج مدببة من أسفل وبدنها مخروطة الشكل ولها رقبة طويلة أسطوانية تنتهى من أسفل بنتوء بسيط وهى ترجع إلى القرن ٨هـ/١٤م .

ومكحلة من الخشب برقم سجل ٤٨٦٨/٧ بدنها أسطوانى الشكل ويضيق نحو القاعدة ، ورقبتها قصيرة وقاعدتها مسطحة ، وعلى البدن آثار زخارف بالطلاء ، ترجع إلى القرن ٩هـ١٥م .

مكحلة مصنوعة من السن برقم سجل ٤٥٠ ، ترجع إلى مصر فى ق ٩هـ/١٥م لوحة رقم ١٧١) .

وبالإضافة إلى المواد السابقة صنعت المكاحل من الجلد ويحتفظ متحف الفن الإسلامى بالقاهرة بمكحلة من الجلد على شكل حرف T بحوافها خياطة بالجلد تعطى شكلا زخرفيا وبداخلها مرود خشبى ، برقم سجل ٢٥٧٢٥ ، مقاسها ٦,٥ سم الطول ، ٤,٥ سم العرض .

كما تذكر إحدى وثائق الحرم القدسي المملوكية أن المكحلة من مادة الفخار[1] ، هـذا وتضم مجموعة الدكتور هنرى أمين عوض مجموعة كبـيرة مـن المكـاحل الزجاجيـة والمراود النحاسية والخشبية بالإضافة إلى هاون من الحجر لصحن الكحل (لوحـات ١٦٥ - ١٧٠) .

ومن الملاحظ أن معظم المكاحل تأخذ الشكل البيضاوى وهذا من شـأنه أن يسـهل انغماس المرود فى الكحل بداخلها والاستفادة بكل ما فى المكحلة من كحـل حتـى البقايـا القليلة التى بالقاع .

المرآة :

تعد المرآة[2] من أدوات التجميل الهامة الخاصة بالمرأة ، فأمامها تستطيع المـرأة أن تمشط شعرها وتزجج حواجبها وتكحل عينيها وتدهن وجهها بالمساحيق بدقة تجعلها تبـدو مهذبة الشعر ومنظمة فى زينة الوجه دون تنافر ومن الطبيعى أن تكون المرآة مـن أدوات

---

(١) صالحية : المرجع السابق ، ص ٣٢ .

(٢) المرآة بالكسر ولا يقال بالفتح ، يطلق عليها عدة أسماء منها السبحنجل والزلفة والونيلـة والماويـة والمنية وتفسير ذلك أن الماء والمذى أبيضان ابن سيده : المرجـع السابق ، جـ١ ، السفر الرابـع ، ص ٥٩ .

ويذكر الجواليقى أن الزجنجل لغة من السجنجل وهى المرأة بالرومية .

السجنجل : المرآة بالرومية ،وقيل هى سبيكة الفضة .

انظر : الجواليقى : المرجع السابق ص ١٧٤ – ١٧٩ .

أحمد رضا : المرجع السابق ، مجلد ٣ ، ص ١١١ .

ويذكر ابن الأثير تحت لفظ " زلف " فى حديث يأجوج ومأجوج فيرسل الله مطرا فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة – الزلفة بالتحريك وجمعها زلف مصانع الماء وتجمع على المزالـف أيضـا أراد أن المطر يغدر فى الأرض فتصير كأنها مصنعة من مصانع الماء وقيل الزلفة المرآة شبهها بها لاستوائها ونظافتها وقيل الزلفة الروضة ويقال بالكاف أيضا .

ابن الأثير : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص ١٣٨ .

ومرآة تجمع على مراه ، مرات – مرا – أمرية .

الأمرية التى تنظر بها النساء وجوههن .

Dozy : Op. Cit., I. P. 498.

التجميل ذات الصدارة ، فإنها أداة لا يمكن الاستغناء عنها ، فهى تعكس صورة الشخص وبذلك يتسنى له معرفة محاسنه أو عيوبه فيعمل على معالجتها .

وأقدم أنواع المرايا المعدنية المعروفة كان مصنوعا من معدن مصقول لامع ولاسيما من البرونز أو الصلب أو النحاس أو الفضة .

وكانت هذه المرايا على هيئة قرص يمسك أما من مقبض متصل به أو من شريط يمر من حلقة تتصل بجزء بارز بوسط السطح ذى الزخرفة .

وللمرأة وجهان ، وجه مصقول يعكس صورة الوجه ، ووجه آخر عليه زخارف مختلفة بارزة ، وأحيانا يكون ذا موضوعات تعلق بفلسفة علم الغيب وهى مواضيع لم نألفها فى زخارف سائر التحف المعدنية الأخرى[1] .

وللمرآة تاريخ طويل يرجع إلى الصور القديمة فقد وجدت فى العصر الفرعونى ، ويضم المتحف المصرى بالقاهرة نماذج عديدة منها[2] .

فقد كانت المرآة من أهم الأدوات الخاصة بالزينة عند المرأة القديمة وأثمن ما تملكه ، ولا تخلو مقتنيات سيدة من نساء الطبقة الراقية أو الوسطى من المرآة . وكثيرا ما كن يظهرن فى مواقف عديدة وفى أيديهن المرآة . لأنها الوسيلة التى كانت المرآة تستخدمها فى إصلاح هندامها وتحسين مظهرها إذا لا يمكن أن يتم لها التأنق أو التجميل بدونها .

وكانت المرآة فى أول عهدها تصنع من المعادن البراقة خصوصا النحاس أو البرونز من الفضة والذهب . ومما يذكر أن المرايا الزجاجية ذات الصفائح الفضية لم تكن معروفة إلا فى العصر القبطى ، ويحتفظ المتحف القبطى بمرآة يرجع عهدها إلى القرن

---

(١) أحمد ممدوح حمدى : المرجع السابق ، ص٦٩ .

(٢) من هذه المرايا مرآة برونزية يزينها من أسفل إطارها من اليمين واليسار صقر (باز) يرمز للإله حورس ، ولابد تمسك منها ، وانظر :

Sania Abdel – Ai : Op. Cit., p.5.

الرابع الميلادى غالبا ، وهى تعتبر بلا شك أقدم ما عرف من المرايا الزجاجية فى التاريخ[1] (لوحة ١٧٣) .

أما عن العصر الإسلامى فتذكر لنا المراجع فى ثناياها ذكر للمرآة يدل على وجودها واستعمالها خلال مختلف العصور الإسلامية .

فمما يذكر أنه كان لرسول ﷺ : مرآة يقال لها المدلة[2] . كما وجدت المرآة فى العصر الأموى فيذكر الجاحظ أن سليمان بن عبد الملك نظر فى المرآة فقال أنا الملك الشاب فقالت جارية له :

أنت نعم المتع لو كنت تبقى غير أن لا بقاء لإنسان[3]

ويذكر المقريزى وهو يعدد محتويات خزائن الجوهر والطيب والطرائف التى كانت توجد بالقصر الكبير الفاطمى ما نصه : " ووجد عدة صناديق مملوءة مراءى حديد من صينى ومن زجاج المينا لا يحصى ما فيها كثرة جميعها محلى بالذهب المشبك والفضة ومنها المكلل بالجوهر فى غلف الكيمخت وسائر أنواع الحرير والخيرزان وغيره مضبب بالذهب المشبك والفضة ولها المقابض من العقيق وغيره "[4].

وما ذكره المقريزى لصورة رائعة لما كانت عليه المرايا المعدنية فى العصر الفاطمى فقد كانت محلاة بالذهب والفضة والجواهر وتحفظ فى أغلفة من الكيمخت وهو نوع من الجلد المتين وأخرى من الحرير النفيس أو الخيرزان .

ومن الملاحظ أن كل المرايا العربية التى وصلتنا فقدت صقلها وهى أقل بكثير من المرايا التى وصلتنا من القدماء المصريين . وهذه المرايا عموما صغيرة وتحمل على ظهرها موضوعا بارزا يحيط به كتابة بالخط الكوفى أيا كان الموضوع المصور ، مجرد خطوط أرابيسك أو قناص فوق حصان يحصل الباز على يده والنمر مرسوم على كتفه

(١) رعوف حبيب: الزينة والتجميل عند المرأة فى العصر القبطى ، ص ٣ .
(٢) البلوى : المرجع السابق ، جـ٢ ، القسم الأول ، ص ١٥٢.
(٣) البيان والتبيين : جـ٢ ، ص ١٠٢ .
(٤) المقريزى : الخطط ، جـ١ ، ص ٤١٥.

وبعض الأشكال الرمزية أو دوائر متداخلة ودائما تكون الكتابة إما دعائية تشـــمل أدعيـــة بالرخاء والعزة وطول العمر لمقتنى هذه المرايا، أو آيات قرآنية .

وعموما كانت هذه المرايا تصهر مما كان يساعد على إنتاج عدد مرايا كثـــير مـــن نفس الشكل .

والمرايا التى نراها فى مجموعات مختلفة يبدو أنها من نفس القالب ولكـــن بعـــض منها معتنى بها أكثر من غيرها(١) .

أما الأيدى فأما أنها تصنع مع القرص فى نفس الوقت أو تصنع منفصلة ثم تلحم بـــه والملاحظ أن زخرفة الأيدى مستقلةعن زخرفة وجه المرآة ولا تتفق أو تنسجم معـــها فـــى نظامها .

ويتفاوت قطر القرص أو مساحة المرآة بمعنى آخر فبعض هذه المرآيا صغيرا يبلـــغ قطره ١٢,٥ وبعضها كبير يصل قطره إلى ٢١ سم والبعض الآخر وسط بيـــن هـــذا وذاك يكون قطره ١٧ أو ١٨ سم(٢) .

ووجدت المرآة فى عصر المماليك ،ويحتفظ المتحف البريطانى بلندن بمرآة مكفتـــة بالذهب والفضة كانت قد صنعت خصيصا لزوجة أحد أمراء الماليك(٣) .

ويحتفظ متحف الفن الإسلامى بنماذج المرايا المملوكية منها مرآة خاصة بالســـلطان الأشرف برسباى – وهى عبارة عن قرص مستدير من الحديد عليها آثار تذهيب وظـــهرها مزين بدوائر مركزية مملوءة بزخارف نباتية تتخللها أسلاك مشعة مـــن نجمـــة مركزيـــة سداسية الروءوس يحيط بها شريط من الكتابة النسخية المملوكية باسم الســـلطان برســـباى وتمتاز بمقبضها المضلع المحزوز المزين بشريط من الزخارف الهندسية .

---

(1) Prisse D'Avennes : L'Art Arabe, p. 225, 226.

(٢) د. جمال محرز : المرايا المعدنية الإسلامية ، فصله من مجلة كلية الآداب ، المجلد الخامس عشر ، الجزء الأول ، مايو ١٩٥٣م ، مطبعة جامعة القاهرة ١٩٥٣م ، ص ١٠ ، ١٣١ .

(3) Ahmad Abd ar-Raziq, La Femme , pl. III. /B.

، أحمد عبد الرازق : المرأة فى مصر المملوكية ، القاهرة ، ١٩٧٥م ، ١٦١ ، ١٦٢ .

وبالمتحف أيضا مرآة من البرونز عليها كتابة نسخية نصها (عز لمولانا السلطان العادل العالم الكامل الغازى المجاهد المرابط المثاغر السيد الأجل المالك الملك الكامل المؤيد المنصور) ولهذه المرآة مقبض مجوف بداخله حصاة لها رنين عند تحريكها . ويستفاد من النص المذكور أن هذه المرآة من العصر المملوكى . ومقاس قطرها ٢١ سم – وهى برقم سجل١٥٣٢٩ .

وبالمتحف مرآة من البرونز على ظهرها زخارف نباتية وعلى وجهها المصقول كتابات قرآنية وأخرى سحرية ، مما يفيد أنها كانت تستعمل كتميمة لتقى صاحبتها من الحسد وهى برقم سجل ١٥٣٣٧ وقطرها ٩ سم وترجع إلى مصر ق٧هـ/١٣م.

ومن المرايا المملوكية أيضا مرآة ترجع إلى مصر فى القرن ٨هـ/١٤م منقوش على ظهرها شريطين دائريين متحدين المركز ، من كتابة بخط الثلث المملوكى ، الشريط الداخلى نص كتابته : برسم الدار الكريمة العالية المولوية الإشرفية المالكية الأوحدية الهمامية السيدين السندية الستر الرفيع والحجاب المنيع .

والشريط الخارجى : وهو مقسم بواسطة ٤ دوائر مقسمة بانتظام على محيط الدائرة ، نص كتابته :

١ – برسم الدار الكريمة العالية المولوية الملكية الأميرية الكبيرية .

٢ – الزخرية العونية الغياثية الأوحدية الهمامية النظامية السيدية إلا .

٣ – كملية السندية الأفضلية الاسفهسلارية الافتخارية إلا .

٤ – عزية الأخصية الستر الرفيع والحجاب المنيع صاحجا (هكذا) الله [1].

ومن الجدير بالذكر أن المرايا كانت ضمن الهدايا التى تتهادى بها الملوك والسلاطين فيذكر ابن إياس تحت حوادث شهر ربيع الأول من سنة ٧٩٩هـ/١٣٩٧ فى

(1) Gaston Wiet, Inocriptions Mobilieres de l'Egypte Musulmane, p. 243, 244,PL. IV, Journal Asitatique (1958) No. CCXLVI-3, P. 243 – 244, PL.IV.

سلطنة الظاهر برقوق أنه قدمت فيه هدية الملك الأشرف ممهد الدين إسماعيل بن رسول متملك اليمن ،وكان من بينها مرآة هندية محلاة بفضة قد رصعت بعقيق(١) .

هذا وقد نصت وثائق الحرم القدسي المملوكية على وجود " المرايا النرجسية بحاملها النحاسى "(٢) .

قنينات العطر وأحقاق الأدهان :

كانت قنينات العطر(٣) ، وأحقاق الأدهان من أهم الأشياء التى تقبل على شرائها العروس ، لأن بها تكمل زينتها وفتنتها التى هى عندها أثمن من الأثاث ومكملاته .

والعطور على اختلاف أنواعها أطياب ذكية الرائحة ، استعملها الإنسان قديما وحديثا فى تنظيف البشرة وصقلها وتطهيرها وإكسابها نعومة وطراوة كما استخدمت فى تقوية جذور الشعر فضلا عن الرغبة فى التمتع بطيب ريحها .

وقد استعملت الروائح بكثرة خصوصا وأن مصر اشتهرت باستخراج أعظم أنواع العطور وأزكاها رائحة . وقد أيد العالم " بلينى " تلك الشهرة التى ذاعت فى جميع أنحاء العالم القديم ،ولم يكن هناك من يضارعها فى استخراج تلك الروائح فى جودتها وكمال صنعها حتى أنه ذكر أن المرأة التى كانت تتطيب بتلك العطور كانت إذا عبرت أمام القوم انبعثت منها رائحة زكية تلفت الأنظار وتخلب العقول إلى درجة أنها كانت تكفى إلى تنبيه من كان منهم مستغرقا فى عمله ولا يعبأ بما يجرى حوله من أعمال .

وقد ذكر المؤرخ اليونانى " بلوتارك Plutarquie " أيضا أن المصريين كانت لهم دراية هائلة فى صناعة الروائح . حتى أنه بين أن نوعا منها كان يتكون من أجزاء مختلفة من المواد بلغ عددها ستة عشر جزءا(٤) .

---

(١) ابن إياس : المصدر السابق ، جـ١ ، القسم الثانى ، ص ٤٨٧ .

(٢) د. صالحية : المرجع السابق ، ص ٣٣ .

(٣) العطر بالكسر الطيب ج عطور والعاطر محبة ج عطر والعطار بائعه والعطارة بالكسر حرفته ورجل عطر وامرأة عطرة ومعطارة ومعطرة ومتعطرة وكلاهما معطير ومعطار . وكان ﷺ يكره تعطر النساء وتشبههن بالرجال أى تعطلهن من الحلى .

الفيروز إبادى الشيرازى : القاموس المحيط ، جـ٣ ، ط٣ ، بولاق ، ١٣٠١هـ .

(٤) رءوف حبيب : الزينة والجميل عند المرأة فى العصر القبطى ، ص ٥ .

ومما يذكر أن العطور فى مصر القديمــة كانت تتألف على الخصوص من الشـحوم (الدهانات) والزيوت العطرية[1].

ومن الطبيعى فى جو حار كجو مصر أن توضع الزيوت والشحوم علـــى الشـــعر والجلد ، وهذه عادة شائعة فى العصر الحاضر فى النوبة والسودان وجهات أخـــرى مـــن أفريقيا ، وهناك أكثر من نوع من الزيوت ، أما الزيت الذى كان يستعمله الفقـــراء ، فـــهو زيت الخروع ، كما يقول استرابوا . أما الشحوم والدهون الجامدة فكان مجـــال الاختيـــار فيها ضيقا منحصرا فى الدهون الحيوانية[2].

ولابد أن يكون القبط قد ورثوا عنهم تلك الصناعة التى أدت بطبيعـــة الحـــال إلـــى التفنن فى صنع الأوانى الصغيرة والعلب التى كانت تحفظ فيها تلك العطـــور والطيـــوب . وقد ظهرت منها مجموعة نادرة جميلة الصنع من العاج أو العظم أو الخشـــب . وكـــانت تزين سطوح تلك الأوانى برسوم زخرفية ونقوش بارزة دقيقة . ومن بيـــن تلـــك الأوانـــى قارورة أنيقة لعلها من نوع خاص من الخشب ، فريدة النقوش البارزة التـــى تزيـــن كـــل سطحها بأزهار ووريدات جميلة كما شملت منظرا رائعا من المناظر الدينية الهامـــة وهـــو يمثل البشارة بالإضافة إلى أشكال دينية أخرى[3] .

---

(1) الزيوت العطرية زيوت ذكية الرائحة وهى الأساس الأول فى عمل الروائح ، وسميت بالزيوت لأنها تشبه الشحوم والزيوت الأخرى فى الأثر الذى تتركه ، فإذا وضعت نقطة منهما على الورق تركـــت بقعة شفافة غير أنها لا تلبث أن تتطاير . ولذا أطلق عليهما اسم الزيوت الطيارة .

عصمت عزيز عوض : صناعة العطور ، القاهرة ، ١٩٦٣م ، ص ٩ .

وبعض الزيوت العطرية تتكون فى النبات نتيجة لأعراض مرضية ناشئة عن تجريح النبات كما هـــو الحـــال فى بلسم بيرو وبلسم طولو والجاوى والميعة السائلة . محمد أحمد حمـــادة : مســـتحضرات التجميل ، ص ١٩٩ .

(2) الفريد لوكاس : المواد والصناعة عند قدماء المصريين ، ترجمة د. زكى أسكندر ومحمد زكريا غنيم مراجعة عبد الحميد أحمد، القاهرة ، ١٩٤٥ ، ص ١٤٥ .

(3) رءوف حبيب : المرجع السابق ، ص ٥ .

ويحب المصريون الطيب رجالاً ونساء . فيتطيبون بدهن الورد وبالمسك والعنبر ، وقد يبالغ بعض النساء فيه .

وقد لا يتحرج الرجل من التطيب ، وقد يضع شيئاً فى منديله فتفوح رائحته إذا أخرجه . وقد يقدم الطيب للضيوف كالقهوة[1] .

وقد عنى المسلمون منذ فجر الإسلام بالطيب ، ومن أمثالهم فى ذلك " ثلاثة يحكم لهم بالنبل حتى يدرى من هم ، رجل رايته راكبا أو سمعته يعرب كلامه أو شممت منه طيبا " كما شاع بينهم ما ذكره رسول الله ﷺ من أن " طيب الرجال ما ظهر رائحته وخفى لونه ، وطيب النساء ما ظهر لونه وخفى ريحه وأطيب الطيب المسك . وحث النبى المسلمين على التطيب وخاصة عند صلاة الجمعة حتى يظهر المسلمون بما يليق به وسط أخوانه فتأنس إليه النفوس . وقد حافظ المسلمون على هذا التطيب حرصا على طاعة التعاليم النبوية، وطمعا فيما ينتظر المتطيب من ثواب الآخرة . كما يفسر رغبة المسلمين الصادقة فى الإقبال على الروائح والعطور ما ورد فى القرآن الكريم عن طيب ريح الجنة " فروح وريحان وجنة نعيم"[2] .

وكان الرسول الكريم يتطيب ، وقد قال ﷺ في ذلك : قد حبب إلى من دنياكم هذه النساء والطيب[3] .

وفى حديث لعائشة أم المؤمنين أنه كان يتطيب بذكارة الطيب والذكارة بالكسر ما يصلح للرجل كالمسك والعنبر وهى جمع ذكر والذكور مثله (ومنه الحديث) كانوا يكرهون المؤنث من الطيب ولا يرون بذكورته بأسا هو ماالألون له ينفض كالعود والكافور والعنبر والمؤنث طيب النساء كالخلوق[4] والزعفران[5] .

---

(١) أحمد أمين : المرجع السابق ، ص ٢٧٨ .

(٢) أحمد ممدوح حمدى : المرجع السابق ص ٨٧ – سورة الواقعة الآية ٨٩ .

(٣) ابن قتيبه : كتاب الأشربة ، تحقيق محمد كرد على ، دمش ١٣٦٦هـ /١٩٤٧م ، ص ٨٣ ، ٨٤.

(٤) هو طيب معروف مركب يتخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب وتغلب عليه الحمرة والصفرة وقد ورد تارة بإباحته وتارة بالنهى أكثر وأثبت وإنما نهى عنه لإنه من طيب النساء وكن أكثر استعمالا له منهم ابن الأثير : النهاية ، جـ١ ، ص ٣٥٢ .

(٥) المرجع نفسه ، جـ٢ ، ص ٤٩ .

وفى حديث ثان لعائشة " طيب رسول الله ﷺ لإحرامه بذريره هو نوع من الطيب مجموع من إخلاط[1] .

وقد ورد فى حديث آخر لعائشة رضى الله عنها ذكر الدرج بكسر الدال وفتح الراء جمع درج وهو كالسفط الصغير تضع فيه المرأة خف متاعها وطيبها (وفى حديث أم سليم) قال لها خضلى قنازعك أى ندى شعرك بالماء ، والدهن ليذهب شعثه والقنازع خصل الشعر[2] .

وتنقل لنا المصادر استخدام العطور والأدهان بكثرة عبر العصور الإسلامية ، فكان عمر بن عبد العزيز من أجود الناس غالية ، كما كان ابن العباس يلطخ بالمسك على يافوخه فيرى كأنه الرب (الدب) ، وقال ابن أخى الزهرى : كنت أشم المسك من سوط ابن شهاب[3] .

ويبدو أن النساء كن يتزين ويتعطرن بإسراف يلفت نظر الرجال إليهن فقد ذكر البلوى أن بعض الصالحين نظر إلى امرأة تتزين وتتعطر لما فرغت من زينتها ظهرت محاسنها وزاد جمالها فقال لمن حوله إنما المرأة مثل النار إذا زيد فى حطبها تأججت واشتد حرها وضاعت للناس فهى حسنة المنظر تحرق من دنا منها[4] .

ومن الجدير بالذكر أن أول من عبأت الطيب فى الإسلام هى شميلة زوج عباس[5].

---

(١) المرجع نفسه ، ص٤٦ .
(٢) المرجع نفسه جـ١ ، ص ٣٣٥ ، ٣٣٦ .
(٣) ابن قتيبة : المرجع السابق ، ص ٨٣ ، ٨٤ .
(٤) البلوى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٣٩٥ .
(٥) القلقشندى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٤٣٥ .

هذا وقد عملت النساء ببيع الطيب فيروى أن أسماء بنت مخربة وقيل مخرمة ، كانت عطارة يأتيها العطر من اليمن وتبيعه بالمدينة(١) . ويذكر ناصر خسرو وهو يصف مكة أنه كان بها سوقاً جميلة البنايات ولكها عطارون يطلق عليها سوق العطارين(٢) .

وقد ازداد الإقبال على الروائح والعطور فى الدولة العباسية فى ق ٣ هـ/٩م بقدر إقبال بعض الخلفاء ورجال البلاط على معاقرة الخمور فى ندوات خاصة يحضرها القوم بثياب معطرة كما يعطر المضيف ضيوفه من آن لآخر .

من الجدير بالذكر أن العطور كانت تفرق أو تنثر فى حفلات العرس فيذكر الشابشتى أن الرشيد فرق فى ليلة عرسه – فى المحرم سنة ١٦٥هـ/ م فى قصره المعروف بالخلد — نوافج المسك وجماجم العنبر والغالية فى بواطى الزجاج وفرق على كل نساء بنى هاشم دارهم ودنانير وصوانى كبيرة من الفضة فيها طيب(٣) .

كما نثر الحسن بن سهل أوعية المسك فى عرس ابنته بوران على سائر الناس(٤) .

هذا وكان المستحب أن يشمل المهر على كمية من العطر . فمما يذكر أن مهر الخليفة المعتضد إلى ابنة خمارويه كان مليون درهم وعطر نادر من الصين والهند(٥) .

كما كانت العطور من أهم الهدايا فقد أهدت قطر الندى إلى زوجها المعتضد بالله ، فى يوم نيروز(٦) ، من سنة ٢٨٢هـ/٨٩٥م هدية كان من بينها مسك يزيد وزنه عن ثلاثين رطل(٧) .

---

(١) الأصفهانى : الأغانى ، جـ١ ، ص ٦٤ ، ٦٥ .

(٢) ناص خسرو : سفرنامة – ترجمة يحيى الخشاب ، ط١ ، ص ٧٧ .

(٣) الشابشتى : الديارات ، بغداد ١٩٦٦ م ، ص ١٥٦ – ١٥٧ .

(٤) سيد أمير على : مختصر تاريخ العرب ص ٢٣٢ ، ٢٣٣ .

(5) Lane - Pool, S. : A History of Egypt in the Middle Ages London 1925, p. 94.

(٦) كانت العادة عامة فى الاحتفال بعيد النيروز – وهو مبدأ السنة الشمسية تتبادل الهدايا ، فكان الخليفة فى بغداد يفرق على الناس أشياء منها صو مصنوعة من عنبر ، منها ورد أحمر مثلا .
آدم متز : المرجع السابق ، ص ٢١٤ .

(٧) الرشيد بن الزبير : المرجع السابق ، ص ٦٦ .

وقد قيل في استهداء المسك :

الطيب يهدى وتستهدى طرائفـــه وأشرف الناس يهدى أشرف الطيب

والمسك أشبه شئ بالشباب فهـب شبه الشباب لبعض العصبة الشيب[1]

كما اشتهر الاخشيد بحبه للطيب وكانت خزائن الطيب تحمل في سفره علـى نيـف وخمسين جملاً[2] .

وفي العصر الفاطمي اهتمت المراة بتعبئة المسك في جرات كبيرة كما فعلت ســت الملك التي ترْتكت فيما تركت ثمان جرات ملأى بالمسك وهذا أن دل فإنمـا يـدل علـى اهتمام المرآة بالتطيب وادخارها له بكميات وفيرة ربما للحفلات أو المناسبات[3] .

وجاء بكتاب الذخائر والتحف أن ست الملك أهدت إلى أخيها الحاكم بأمر الله هدايـا منها أسفاط كثيرة من طيب[4] .

وكان من مستلزمات التجميل أيضاً استعمال دهانات خاصة لتنعيم بشرة الوجـه أو للشعر ، وكانت توضع في مداهن مصنوعة من مادة ذات قيمة[5] .

---

(١) أبو منصور الثعالبي النيسابوري : الإيجاز والإعجاز (رسالة ضمن رسائل في مجلد واحـد) ط١ ، مطبعة الجوائب القسطنطينية ١٣٠١هـ ص ٦٩ .

(٢) محمد أمين صالح : دراسات اقتصادية في تاريخ مصر الإسلامية ، عصر الولاة ط٢ ، نهضة الشرق / ١٩٨٠م ، ص ١١٩ .

(٣) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي والديني، ط٣ ، جـ٣ ، ص ٤٤٧ .
علي إبراهيم حسن : الأيوبيين والمماليك ، ص ٤٨١ .

(٤) الرشيد بن الزبير : المرجع السابق ، ص ٦٨ .

(٥) وجد في تركة السيدة عبدة بنت المعز العبيدي مدهن ياقوت أحمر وزنه تسعة وعشـرون مثقـالا أو سبعة وثلاثون درهما ونصف درهم. وقيل ان هذا المدهن سرقة البازوري من موجود السيدة عبدة. الخالديان : كتاب التحف والهدايا ، ص ٢٥٧ .الرشيد بن الزبير : المرجع السابق ، ص ٢٦٢ .

والخلاصة أن استخدام العطور كان شائعاً فى المجتمع الإسلامى ، الأمر الذى دعا إلى التفكير فى تنويع هذه العطور والأدهان[١] ، كما أدى إلى البحث عن وسائل كفيلة بحفظها وانتقالها بسهولة فاستخدمت أوان مختلفة لهذا الغرض ، وعصر المماليك يعتبر بحق - بما وصلنا منه من قماقم[٢] وقنينات صغيرة وكبيرة مصنوعة من النحاس المكفت بالذهب والفضة ومن الزجاج المموه بالمينا المختلفة الألوان أو من الزجاج المزخرف بالقطع أو الحفر أو الإضافة أو من الخزف المرسوم تحت الطلاء ومن أحقاق الأدهان النحاسية المزخرفة بالحفر أو الزجاجية ذات الشكل المضلع أو الأسطوانى أو الكروى ، وتمتاز جميعها بأن رقبتها تستدق كلما اتجهت إلى الفوهة حتى تحافظ على العطر من الانسكاب أزهى عصور مصر الإسلامية فى إنتاج العطور والاهتمام بحفظها وبالتالى باستخدامها .

---

(١) ومن هذه الأدهان ما يسمى بدهن الحماحم " الحبق البستانى العريض الورق " وهو الريحان - وقد ذكر الخالديان أن محمد بن بشر أهدى إلى أحمد بن يوسف الكاتب قارورة فيها دهن الحماحم وكتب معها :

هو دهن الحماحم الطيب النشـ ـركأرواحكم إذا كان صرفا
أن ظرفا هديتى لك هذا وإذا ما قبلته ازددت ظرفا

فقبلها أحمد بن يوسف وكتب إليه :

قد أتانا دهن الحماحم صرفا مرحبا بالحمول ألفا وألف
دهنة لو تشمها جنح ليل قلت ألف مخاطر زار ألفا

انظر : كتاب التحف والهدايا ، دار المعارف بمصر ، ص ٣٧ .

(٢) مفردها قمقم وهو يعنى الجرة والحلقوم ، وآنية العطار ، وآنية من نحاس يسخن فيها الماء ويسمى المحم وقنينة يجعل منها ماء الزهر ونحوه يرش منها على الضيف وغيره ، معرب كمكم بالفارسية . انظر : بطرس البستانى : قطر المحيط ، جـ٢ ، ص ١٧٧٨ ، ١٧٧٩ .

ومن الجدير بالذكر أن مهر الأمير أنوك كان به " مائة وعـاء لحفظ المسك "[1] ومائة مثقال عنبر خام "[2] .

ومن الجدير بالذكر أن جهاز عروس مصر المملوكية كان لابد من اشتماله على إحقاق نحاسية مكفتة لحفظ الاشنان[3] . فقد ذكرها المقريزى[4] وهو يعدد ما فوق الدكة النحاسية المكفتة التى لابد من وجودها في شورة العروس .

---

(١) المسك من الزيوت العطرية الحيوانية ويستخلص من أفراز حيوان يسمى غزال المسك ، وهو من أقدم الروائح العطرية ، وأكثرها استعمالا، ويستعمل مخففا فى تعطير الصابون والروائح ، وهو غالى الثمن ويذوب المسك فى الماء بنسبة كبيرة ويحضر المسك صناعيا ، ولكنه أقل جودة من المسك الطبيعى . عصمت عزيز عوض : صناعة العطور ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ص ٢١ .
وكانت النوبة موردا هاما لمادة المسك الذى يستخرج من حيوان يطلق عليها " فأرة المسك " ويعيش ذلك الحيوان فى الجهات المدارية على نبات السنبل الذى ينمو بكثرة على التلال والهضاب ، وتروج تجارة المسك زمن الحج إذا يتهافت عليه الحجاج ليتضمخوا به وأحيانا حرقه فى الحرم الشريف لرائحته العطرة .
د. محمود الحويرى : أسوان فى العصور الوسطى ، ص ١٢٨ ، ١٢٩ .
(٢) محمد عبد العزيز مرزوق : الناصر محمد ، ص ٢٤٩ .
(٣) الاشنان فارسي معرب . وقال أبو عبيدة : فيه لغتان " الاشنان " و " الاشنان " وهو الحرض بالعربية وهمزته أصل ، الجواليقى ، المعرب ص ٢٣ .
اشنان : بضم الأول عشب تبرى سوقه ويستخدم كالصابون ، د. حسين مجيب المصرى : المعجم الفارس العربى الجامع مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٤ ، ص ٣٥ .
الاشنان بالضم والكسر نافع للجرب والحكة وجلاء منق مدرر للطمث . وتأشن غسل يده به . الفيروز أبادى : القاموس المحيط ، جـ٤ ، ص ١٩٦ .
الاشنان بالضم هو الذى تغسل به الثياب .
ياقوت : المرجع السابق ، مجلد ١ – ط١ ، ص ٢٦٢ .
اشنان نبات كان يستخدم قديما لغسل الألبسة عوضا عن الصابون.
د. محمد التونجى : المعجم الذهبى ، فرهنك طلائى ، دار العلم للملايين بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٩م ، ص ٣٧٩ .
(٤) الخطط ، جـ٢ ، ص ١٠٥ .

حجر الخفاف[1] " حجر الحمام " :

وتقتنى العروس أيضا حجر الخفاف ولاغنى عن وجوده بحمام منزلها كالليف والصابون تماما . فبه تحك باطن قدميها فتجعلهما فى غاية النظافة كما تمحو ما بهما من تشققات .

ويكون هذا المحك من الطين المحروق . وهو نوعان : أحدهما ذو مسام خشن الملمس مخطط السطح . والآخر من الصلصال المحكم المسام الناعم الملمس ، ما عدا الناحية المستعملة فتخشن . وكلا الحجرين قاتم يضرب إلى السواد وتستعمل النساء أحجار تكسى بالفضة الرقيقة المنقوشة ، ما عدا السطح الأسفل الذى يحك به . والمحك الخشن لازم لمن لا يلبس الجوارب وذلك حال أغلب المصريين . أما المحك الآخر فيستعمله من هو أكثر رقة . وكثيرا ما يستعمل فى ذلك الأطراف لتنعيم الجلد[٢] .

وتضم مجموعة الدكتور هنرى أمين عوض الخاصة حجر للحمام مخلف من حفائر الفسطاط (لوحة رقم ١٨٥) .

وقد بلغ من اهتمام الفنان المسلمين بكل صغيرة وكبيرة أن جعل لحجر الحمام كسوة أو مقبض من النحاس المزخرفة بشتى الزخارف . ويضم متحف الفن الإسلامى بالقاهرة مجموعة من هذه المقابض منها مقبضين يرجعان إلى إيران أن فى القرن

---

(١) حجر الخفاف (خرفش) : صخر بركانى زجاجى خفيف تملوءه الثقوب الناتجة عن احتباس بعض فقاعات الغازات اثناء تصلبه من الطفح البركانى ، يستعمل كمادة ساحجة ويدخل فى كثير من مستحضرات الطلاء ، أهم موطن وجوده فى جزائر ليبارى على شواطئ إيطاليا .

محمد شفيق غربال وآخرون : الموسوعة العربية الميسرة ، دار الشعب صورة طبق الأصل عن طبعة ١٩٦٥ ، ٧٥٤ .

، خفاف : الحجر الأبيض الخفيف

Dozy, Op. Cit., I. P. 385.

يوجد بالحمامات العامة أحجار خفيفة يحك بها المستحم رجليه .

أحمد أمين : المرجع السابق ، ص ١٧٩ .

(٢) لين : المرجع السابق ، ص ٢٩٦ ، ٢٩٧ .

٧هـ/١٣م ، وكل منهما على هيئة تمثال سبع رابض ، الأول برقم سجل ١٥٢٨٠ ومقاسه ١٥ × ٩ سم ، عليه شريطان من كتابة كوفية نصها : (اليمن والبركة) و (الدولة والسلامة) وبين الشريطين زخرفة نباتية محفورة (لوحة رقم ١٨٦) .

والثانى برقم سجل ١٥٢٦٢ ومقاسه ١٤ × ١٦,٢ × ٨ سم ، عليه ثلاثة أشرطة من كتابة نسخية نصها : (العز والإقبال) و (السعادة والبقا) و (العز والإقبال) وبين هذه الأشرطة زخارف نباتية محفورة . (لوحة رقم ١٨٦) .

وبالرغم من عدم العثور على مقابض لحجر الحمام ترجع إلى مصر فى عصر المماليك فيرجح أنها كانت بنفس شكل المقبضين السابقين الذين يرجعان إلى إيران فى القرن ٧هـ/١٣م ، فمن المعهود أن شكل التحف فى البلاد الإسلامية فى فترة ما كانت متشابهة مثال ذلك الشماعد وقنينات العطر والأهوان النحاسية .

هذا ويوجد بمتحف الفن الإسلامى أيضا صحن من الخزف ذى البريق المعدنى برقم سجل ١٣٠٨٠ يرجع إلى مصر فى القرن ٥هـ/١١م ، وتمثل رسومه الاهتمام بتدليك الأرجل فهى توضح سيدة تقوم جاريتها بتدليك أرجلها .

السواك[1] :

كانت العناية بالإسنان كبيرة ، فاستعمل السواك فى تنظيفها وإخراج ما علق بينها من بقايا الطعام ، فضلا عن أن التسوك من السنة ، فقد قال الرسول ﷺ (طهروا أفواهكم فإنها مسالك التسبيح)[2] (السواك نصف الإيمان) ، (لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة) ومعناه لولا خوف الحرج لجعلت السواك شرطا للصلاة كالوضوء[3] .

وقد كان النبى ﷺ يستن بعود أراك . وعن حذيفة ابن اليمان رضى الله عنه قال " كان النبى ﷺ إذا قام من الليل يشوص) بالشين المعجمة والصاد المهملة أى يدلك أو يغسل ويحك (فاه بالسواك) لأن النوم يقتضى تغيير الفم لما يتصاعد إليه من أبخرة المعدة والسواك آلة تنظيفية[4] .

---

(١) السواك المسواك ، قال أبو زيد السواك يجمع على سوك مثل كتاب وكتب قال الشاعر : اعز الثنايا أهم اللثات تمنحه سوك الاسحل ، وسوك فاه تسويكا وإذا قلت استاك أو تسوك لم تذكر الفم.
انظر : الجوهرى : الصحاح (غير محقق) ١٣٧ .
السواك عود الإراك والجمع سوك بالسكون والأصل بضمتين مثل كتاب وكتب والمسواك مثله وسوك فاه تسويكا وإذا قيل تسوك أو استاك لم يذكر الفم والسواك أيضا مصدر ومنه قولهم ويكره السواك بعد الزوال قال ابن فارس و(السواك) مأخوذ من (تساوكت) الأبل إذا اضطربت أعناقهم من الهزال .
وقال ابن دريد (سكت) الشئ (أسوكه) سوكا) من باب قال إذا دلكته ومنه اشتقاق السواك .
المقرى : المرجع السابق ، مجـ١ ، جـ١ ، ص ٢٩٧ .
والسوك بكسر السين مذكر وقيل مؤنث وجمع السواك سوك ككتاب وكتب ويجوز بالهمز والسواك مطهرة للفم مرضاه للرب .
القسطلانى : إرشاد السارى ، جـ١ ، ص ٣١٠ .

(٢) أحمد ممدوح حمدى : المرجع السابق ، ص ١٦ .

(٣) محمد بن مصطفى : اللباب فى أحكام الزينة واللباس ، الجزائر ، ١٣٢٥هـ، ص ١٢ .

(٤) القسطلانى : أشارد السارى بشرح صحيح الخبارى ، الطبعة السادسة ، المطبعة الأميرية ببولاق ، ١٣٠٤هـ ، الجزء الأول ، ص ٣١٠ .

وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال (السواك مطهرة للفم مرضاة للـــرب) وللاستياك فوائد كثيرة فهو يبيض الأسنان ويوقى اللثة ويطيب النهكة[1] .

ومن آداب العرب فى ذلك عدم استعمال السواك فى الخلاء والحمـــام والمجتمعـــات وعلى قارعة الطريق . وقد بلغت العناية بالإسنان حدا تعدى مجرد استعمال السواك ، فقـــد أمدتنا المراجع التاريخية بأن الخليفة عثمان بن عفان كان يشد أسنانه بالذهب حرصا علـــى سلامتها وحسن مظهرها[2] .

وقد اتخذ أهـــل الظـــرف للمساويك طسوتا لطافا ، وأبـــاريق الشـــبة الخفـــاف ، وكراسي الأبنوس المصدفة والخيزران المشبكة ، والأحقاق المخروطـــة ، والســـواكدانات المدهونة ، والسنونات المعمولة ، ووقتوا له الأوقـــات المعلومـــة ، ولا يســـتعملون رأس السواك مدة طويلة ، وذلك عندهم من الأفعال الذليلة ، ويتخـــذون لـــها اللفـــائف الخـــز ، وعصائب القز لحفظها[3] .

والمراة التى جبلت على حب الزينة والرغبة فى الظهور بأبهى صورة كان لابد لـــها من استعمال السواك لجمال أسنانها وبياضها وأن تحمله معها ملفوفا في قطعة مـــن أنفـــس أنواع الحرير وتضعه فى علبة خاصة به تسمى مسواكدانه مع حق بـــه المســـحوق الـــذى تدلك به الأسنان ، وكلاهما مدهون ومزخرف - إلى بيت عريسها .

---

(١) ابن الأثير : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص ٢٠٣ .

(٢) أحمد ممدوح حمدى : المرجع السابق ، ص ١١٦ .

(٣) الوشاء : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ١٨٥ ، ص ١٨٦ .

ومن وسائل الزينة الأخرى الحناء والوشم والحفوف :

الحنـــــاء :

تزينت المرأة بالحناء[1] منذ القدم فكانت المرأة المصرية القديمة تصنع من مسحوق أورق الحناء عجينة تستعملها فى خضاب يديها وقدميها وصبغ شعرها وهو ما تفعله القرويات اليوم للتجميل .

وقد وجدت أصابع اليدين والقدمين فى بعض الموميات مخضبة بالحناء كما يرى ذلك فى الموميات التى عثر عليها فى إحدى قبور الشيخ عبد القرنة بالدير البحرى بطيبة من الأسرة العشرين .

وكانت الحناء تزرع فى الحدائق لرائحة زهورها الزكية وقد ذكرها الكتاب الأغريق فى مؤلفاتهم[2] .

---

(١) مما يذكر أن الحناء كانت تنمو على حدود فارس (إيران) ، وقد جلب المصريون القدماء أشجارها من غرب آسيا . وقد أدخلوا الحناء ضمن المواد التى استخدمت فى التحنيط وتخضيب الأيدى والأظافر والأقدام وصبغ الشعر للتجميل وصناعة العطور واستخلاص صبغتها . وقد قلدهم فى ذلك اليونان والرومان فاتخذوا اكاليلهم الجنائزية من أعضائها المزهرة . وقد عثر على بعض أوراق الحناء فى سلة صغيرة من العصر اليونانى الرومانى محفوظة بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعى .

وكانت شجرة الحناء تسمى بالهيروغليفية (بوكر Bouker) وهو اسم كانت تسمى به شجرة مقدسة زعموا أنها كانت تظلل قبر أوزيريس سيد أهل الجنة . ولا يزال بعض الناس فى مصر يعتقدون أن شجرة الحناء أصلها من الجنة وهو زعم قد ورثوه عن أجدادهم الفراعنة فنشاهدهم ينثرون مسحوقها تحت موتاهم مبشرين إياهم بدخول الجنة .

انظر : وليم نظير : الثروة النباتية عند قدماء المصريين ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧٠م ، ص ٩٦ ، ٩٧ . وليم نظير : العادات المصرية ، ص ١٩ .

(٢) عبد الله عفيفى : المرجع السابق ، جـ١ ، ص ١٧١ .

وقد عرفت المرأة العربية التلوين بالحناء منذ العصر الجاهلي ، وذلك بصبغ الأيدى والأرجل . أما عن استعماله فى صبغ الشعر فقد كان يمزج أحياناً بمادة أخرى تعرف « الكتم » وخى خلطة قيل عنها أنها تجعل الشعر أشد سواداً ونعومة(١) .

وهناك إشارة إلى أن المرأة الجاهلية قد خضبت شعرها بمادة أخرى عرفت بالوسمة .

والتفسير اللغوى للفظ الوسمة أنها نبت وقيل شجر باليمن يختضب بورقة وهو أسود اللون(٢) .

وعرفت المرأة الجاهلية أصباغاً تلون بها بشرتها . ذكر منها خليطاً من الطيب يتضمخن به فيكسب وجوههم حمرة وإشراقاً ولا يكون ذلك إلا فى ذوات العز والثراء . ويطلق العرب على تلك النساء العواتك(٣) .

وفى الإسلام أقر الرسول ﷺ الخضاب بالحناء والكتم ، فقد روى عنه أنه قال: « أن أحسن ما غيرتم به الشيب الحناء والكتم »(٤) . « استوصوا بالخضاب بالحناء فى شعوركم وأباشركم وأظفاركم »(٥) .

واستعملت المرأة الأموية الخطاب بالحناء طوال ذلك العصر . وفى العصر العباسى استخدمت الحناء بالإضافة إلى مادة أطلق عليها « الخطر » وربما أنها كانت الوسمة نفسها(٦) .

---

(١) عبد الله عفيفى : المرجع السابق ، جـ١ ، ص١٧١

(٢) زكية العلى : المرجع السابق ، ص٦١ ، ٦٢

(٣) عبد الله عفيفى : المرجع السابق ، ص١٧١

(٤) محمد بن مصطفى : المرجع السابق ، ص١٧

(٥) عطا الله بن عبيد الاسكندرانى : الأربعون حديثاً فى فضل الحناء ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، رقم ٢١٦٣١ ب ، ظهر الورقة رقم ٤ ، السطر الثانى .

(٦) زكية عمر العلى : المرجع السابق ، ص٦٢ ، ٦٣

كما استخدمت المرأة العباسية أصباغًا للبشرة والشفاه والأظافر ومن الحلى[1] أنهن أخذن فن صبغ الشفاه والخدود عن الفارسيات اللواتى كن يستعملنه منذ أقدم العصور ، مع أن نقطة الحسن الاصطناعية كانت مما يتجمل بها الأعرابيات .

واستمر اهتمام المرأة بطلاء الأظافر فى العصر الفاطمى .

ووصل الإتقان فى استخدام المرأة للحناء إلى كتابة أشعار الحب والهيام بها ، وقد شاع ذلك لدى الجوارى فى العصر العباسى :

فقرأ على راحة « قائد » – جارية لبعض جوارى المأمون – اليمنى :

فديتك قد جبلت على هواكا فقلبى ما ينازعنى سواكا

وعلى اليسرى :

أحبك لا ببعضى بل بكلى وأن لم يبق حبك من جراكا[٢]

وفى عصر المماليك استخدمت المرأة الحناء لتخضيب يديها وأظافرها وينقل لنا ذلك الرحالة الأجانب الذين زاروا مصر فى ذلك العصر .

فيذكر الرحالة اليهودى ميشلام بن مناحم « أن نساء مصر قد اعتدن تخضيب أياديهن بألوان ثابتة قلما استطاع الماء إزالتها قبل مضى ستة أشهر وذلك على الرغم من اغتسالهن اليومى فى الحمامات العامة[٣] .

ويذكر شيفر أن السيدات المصريات يرسمن أيديهن وأظافرهن باللون الأحمر (الحناء)[٤] .

---

(١) سيد أمير على : المرجع السابق ، ص٣٨٩

(٢) الوشاء : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص٢٣٨

(3) Dopp, Le Cairo Vu par les Occidentaux du Moyen Age Bsrge, XXVI, P. 26.

(4) Schefer, C.; Le Voyage d' Outermer, P. 211.

ويذكر فييت نقلاً عن تريفيرانو أن النساء المصريات كـــن يلبســـن ثيابًـــا بيضـــاء ويمتطين الحمير . وتشاهد أيدى بعض النساء وأظـــافرهن مطليـــة بالحنـــاء[1] وورد فـــى النجوم الزاهرة أن خوند بنت صرق مطلقة السلطان فرج بن برقوق عنـــد مقتلـــها كـــانت أصابعها مقمعة بالحناء[2] .

وللحناء شأن كبير عند العروس قبل الزفاف . ولها ليلة خاصة وهى الليلـــة التـــى تسبق ليلة الزفاف « ليلة الحناء »[3] .

ومن الأغانى المشهورة عند المصريين « الحنا يا الحنا يا قطر النـــدى .. وربمـــا كانت الأغنية القديمة ترجع إلى قطر الندى بنت خمارويه بن أحمد بن طولون لمـــا زفـــت إلى الخليفة فى بغداد ، وقد كانت الأغنية موجودة بالفعل فى عصر محمد على ، إذ ســـجل بعض المستشرقين نوته لغنائها[4] .

ويتم الخضاب بالحناء بسحق أوراق الحناء وعجنها بالماء ، ثم تبسيط على راحـــة الكف وأجزاء اليد الأخرى ، ثم تثنى الأصابع وتقبض اليد ، وتربط برباط من الكتان ليلـــة بطولها ، وكذلك القدم . والحناء على الأظافر تكون أكثر لمعانا وأشد صفاء وأطول بقـــاء . كما أن تخضيبها أو تخضيب الأصابع يعتبر بحق زينة للنساء ، إذ يحســـن لـــون البشـــرة ويكسبه رقة[5] .

* * *

---

(١) جاستون فييت : القاهرة مدينة الفن والتجارة ، بيروت ١٩٦٨م ، ترجمة مصطفى العبادى ، ص١٤٧

(٢) ابن تغرى بردى : المصدر السابق ، جـ٦ ، ص٢٥٤

(3)Dozy, Op. Cit., I., P. 330.

، أحمد أمين : المرجع السابق ، ص١٨٢

(٤) المرجع نفسه ، ص١٨٣

(٥) لين : المرجع السابق ، ص٤٠ ، ٤١

الوشم[1] الدق :

عرفت المرأة العربية التجمل بالوشم منذ ما قبل الإسلام فاستخدمته المرأة في العصر الجاهلي استخدامًا كبيرًا وكان الوشم في ذلك العهد يأخذ أشكالاً زخرفية منها الكفف وهي الدارات في الوشم . والأكثر من ذلك أن كشفت أعمال الحفر والتنقيب على أن الوشم كان معروفًا لدى المصريين القدماء والساسانيين .

ويعتقد علماء الأجناس أن للوشم فوائد سحرية أهمها أبعاد العين الشريرة ، أو قد تحمي صاحبها مما يتعرض له من أذى أو مكروره . وهو اعتقاد كان سائدًا عند الناس بصورة عامة[2] .

ويتم الوشم بأن يوخز الجلد بمجموعة من الإبر تكون سبعًا في العادة ، على الشكل المراد رسمه حتى يسيل الدم ثم يحشى الموضع بالنيلة والكحل والنؤرا أو فحم أو عظم مسحوق أو مزيج من سناج الخشب أو الزيت ويلتئم الجرح فيبقى محله أخضر أو أزرق .

وأكثر ما تشم المرأة ذراعها وشفتاها ولثاتها وقد تجاوزهن إلى غيرهن . ويصور الوشم بشكل نبات أو حيوان أو صليب أو ترس أو كتابة ككتابة اسم المحبوب[3] .

وقد شاع الوشم لدى بعض القرويات المصريات . وتعرفه العوام بالدق[4] وعندما جاء الإسلام لم يقر هذا الضرب من الزينة . وأصبح الوشم مكروهًا .

---

(١) الوشم ما تجعله المرأة على ذراعها بالأبرة ثم تحشو بالنؤور – وهو دخان الشحم : الجمع وشوم وقد توشمت واستوشمت ووشمتها ووشمتها .

انظر : ابن سيدة : المرجع السابق ، الجزء الأول ، السفر الرابع ، ص٥٧

(٢) زكية عمر العلى : المرجع السابق ، ٢١ ، ٢٢

(٣) أحمد بن أحمد بن إسماعيل الحوانى : كتاب الوسم فى الوشم ، ص٤ ، ٥

، عبد الله عفيفى : المرجع السابق ، جـ١ ، ص١٧٠ ، هامش (١) .

، النؤور ما تجمع من دخان الشحم .

(٤) كلوت بك : المرجع السابق ، جـ١ ، ص١٠٥

وجاء ذلك بأحد الأحاديث النبوية قوله ﷺ « لعن الله الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة » ، عن إبراهيم بن علقمة عن عبد الله ، قال : لعن رسول الله ﷺ الواشمات والمستوشمات والمتنمصات ، والمتفلجات للحسن ، المغيرات لخلق الله[1] .

ولكن رغم كراهية الوشم فإن بعض نساء العصر الأموى كن يتزين به . كما تزينت به أيضًا نساء العصر العباسى والفاطمى[2] .

ويبدو أن طريقة الرسم هذه قد أثارت ثائرة فقهاء عصر المماليك ، لأنهم كثيرًا ما أشاروا فى كتاباتهم إلى قول الرسول ﷺ لعن الله الواشمات والمستوشمات والنامصات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله . ويفهم من هذا الحديث الشريف أيضًا أن المرأة فى ذلك العصر قد اعتادت على نقش الحواجب حتى ترقها ، كما درجت على تفليج أسنانها بالمبرد للتحسين وعلى جردها لتبيض[3] .

وقد وجدت عادة الوشم بعد عصر المماليك وكانت شائعة بين نساء الطبقة الدنيا وكانت تعرف بالدق[4] .

* * *

(١) ابن ماجه : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٦٣٩

(٢) زكية العلى : المرجع السابق ، ص٢٤

(٣) أحمد عبد الرازق : المرأة ، ص١٤٩

(٤) كلوت بك : المرجع السابق ، جـ١ ، ص٦٠٥

، لين : المرجع السابق ، ص٤١

الحفوف :

سبق أن ذكرنا أن المرأة العربية اهتمت بتدقيق حاجبيها وأطالتهما بالأثمد ، وعرفت تلك الطريقة بالترجيج . وما زالت هذه الطريقة مستعملة عند النساء في معظم أقطار العالم . والحاجبان بصورة عامة على نوعين :

« المقرونة » وهي التي يلتقي طرفاهما .

و « البلج »[1] وهي أن ينقطع الحاجبان ويكون ما بينهما نقيًا من الشعر . وقد مالت العرب إلى هذا اللون من الحواجب .

ويبدو أن المرأة لم تكتف بإزالة الشعر عن الحاجبين فقط ، بل شمل رفع الشعر المتناثر في وجهها . ويسمى هذا النوع من التزين بـ « التنمص » أو الحف » .

وينسب إلى الرسول ﷺ حديث — سبق ذكره — ينهى فيه عن التنمص . إلا أن بعض المصادر أوردت على لسان أم سنان الاسلمية التي حضرت زواج النبي من صفية قولها : « أننا مشطناها وعطرناها ونمصناها وعندما أعرب بها رسول الله غدونا عليها فسألتها عما رأت فذكرت أنه سر بها ولم ينم تلك الليلة ، ولم يزل يتحدث إليها » .

وعن عائشة رضي الله عنها في جواب لها عن سؤال لامرأة عن التنمص قالت « إن كان لك زوج فاستطعت أن تنزعي مقلتيك فتصنعيها أحسن مما هما فافعلي » .

---

(١) ازج الحواجب زججهما طولهما مع دقة وتقوس .
من غير قرن بالتحريك أي اتصال بينهما وعدمه يسمى بالبلج .
الشبلنجي : أسعاف الراغبين في سيرة المصطفى وفضائل أهل بيته الطاهرين بهامش كتاب نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار للشبلنجي ص٥٢ ، هامش أيمن .

ويبدو مما تقدم أن التنمص كان مكروها فقط عند مزاولته من قبل الفتيات غير المتزوجات[1] .

ويطلق على عملية إزالة الشعر النابت على الوجه ونحوه أيضًا (الحفوف) ويتم ذلك بواسطة نوع من اللبان الأسود ، يسيح على النار وتأخذه المرأة ساخنًا وتضعه على وجهها ثم تشده بقوة فيخرج معه الشعر من جذوره . وتفعل ذلك في عنقها وحواجبها وغيرها . وهناك طريقة أخرى وهى أن تأخذ الرماد الحار وتدعك به الوجه دعكا شديدًا ، فيكون له مثل هذا التأثير . وقد يعقد العسل الأسود أو السكر على النار ، وبعد أن يعقد قليلاً يستعمله النساء استعمال اللبان . وهو نوع من التجميل اعتدنه بين حين وآخر فإن المرأة لا تستلطف إذا ظهر فى وجهها أو عنقها أو نحو ذلك شعر غزير[2] .

وجدير بالذكر أن المرأة القاهرية فى عصر سلاطين المماليك تفننت فى مختلف الوسائل التى تظهر بها جمالها وفتنتها ، فحرصت على العناية بنفسها وجسمها ، فأبت على أن تأخذ شعر وجهها وجسدها بالتحفيف ، وشعر حواجبها بالمساواة والزينة[3] . وقد استرعى نظر الرحالة طافور الذى زار مصر فى القرن الخامس عشر الميلادى ذلك العدد الكبير من العبيد السود الذين تتراوح أعمارهم بين العاشرة والثانية عشرة ، ويسرون فى الشوارع صائحين : « من يريد الزيانة ؟ »

---

(١) زكية عمر العلى : المرجع السابق ، ص٦٩ ، ٧٠

(٢) أحمد أمين : المرجع السابق ، ص١٧٣

(٣) ابن الحاج : المدخل ، جـ٢ ، ص١٦٧

، د. سعيد عبد الفتاح عاشور : نساء القاهرة فى عصر المماليك- أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة (مارس - إبرايل ١٩٦٩م) الجزء الثانى ، مطبعة دار الكتب ، ١٩٧١م ، ص٥٧٢ ، ٥٧٣ ، أحمد عبد الرازق : المرأة ، ص١٣٩ ، ١٤٠

فلما استفسر عن حقيقة أمرهم قيل له أنهم يقومون بتحفيف النساء اللائى لا يرغبن فى إتمام هذه العملية فى الحمامات العامة[1] .

وتتم عملية الحفوف ضمن عدة أشياء أخرى لزينة النساء ، فى الحمامات العامة فتقوم البلانة بتدليكهن وتحميتهن وتضفير شعورهن ونتف[2] شعر البدن إلخ . وكثيرًا ما تصطحب السيدة الغنية « بلانتها » أو « ماشتطها » عند ذهابها إلى الحمام . ويؤجر الحمام فى مناسبات عديدة ، عند الاحتفال بعرس مثلاً ، لعائلتين أو أكثر من صفوة النساء . فتذهب العروس قبل الزفاف بيوم وهناك تقوم البلانة بتحفيفها وتدقيق الحاجبين ومساواتهما بالإضافة إلى الاهتمام بشعر رأسها ونظافة جسدها[3] .

* * *

---

(١) طافور : رحلة طافور فى عالم القرن الخامس عشر الميلادى ، ترجمة وتقديم د. حسن حبشى ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٨ ، ص٩٧

(٢) (نتف) نتف الشعر نتفًا فانتتف الشعر وتناتف ونتفت الشعور شدد للكثرة والمنتاف المنتاخ والنتافة ما سقط من النتف والنتفة ما نتفته بأصابعك من النبت أو غيره والجمع النتف .
الجوهرى : الصحاح ، جـ٢ ، ص٥٩ (غير محقق) .

(٣) لين : المرجع السابق ، ص٢٩٨ ، ٢٩٩

كرسى الحمام :

تستغرق السيدة مدة طويلة عند القيام بعمليات التجميل من حفوف وحك القدم بالحجر والاستحمام وتسريح الشعر وتكحيل العينين وتزجيج الحاجبين ووضع الدهانات على الشعر والوجه والتعطر . فكان من الضرورى أن تؤدى هذا وهى جالسة مستريحة على كرسى منخفض قريب من الأرض ، يعرف بكرسى الحمام .

ويصنع هذا الكرسى من الخشب المزخرف بالحفر والتطعيم ، ويحتفظ متحف الفن الإسلامى بالقاهرة على نماذج من كراسى الحمام (لوحة رقم ١٨٧) ، (لوحة رقم ١٨٨) .

ونظرًا لأهمية هذا الكرسى للمرأة فكان لا بد من وجوده بجهاز كل عروس ، ويبدو أنه كان ضمن الكراسى اللطاف التى كانت بجهاز بنت أحد أمراء عصر المماليك .

* * *

المبخرة :

ويجدر بنا ونحن نتحدث عن أدوات التجميل أن نذكر المبخرة التى تستخدم بما يحرق بداخلها من مواد ذات رائحة عطرية فى تعطير المنازل والملابس . والمرأة بما عهد فيها من حب للتجميل حرصت على التبخير كى تعطر ثيابها ، كما أن إيمانها بالحسد جعلها تداوم على التبخر لدفع الشر والعوذة من العين وتبخر أثاثها لحفظه من التلف .

وتقبل النساء عادة على التبخر من باب التطيب والتجمل وربما لمآرب أخرى ، وقد اعتبر ذلك من محاسنهن . وقد وصف حميد بن ثور الهلالى امرأة ملازمة للطيب فقال :

لا تصطلى النار إلا مجمرًا ارجا قد كسرت من يلنجوج له وقصا

(واليلنجوج العود والوقص كسار العيدان)[1] .

وانشد ابن الأعرابى :

فجاءت بكافور وعود السوة شآمية تذكى عليها المجامر

والمبخرة هى الأداة التى يحرق فيها العود ليستجمر ويتطيب به أو يتدخن ببخوره وتسمى أيضًا المجمرة ، وقد اصطلح على تسميتها بالمبخرة .

والبخور هى الدخنة التى تنتج من حرق بعض أنواع الطيب كالعود الهندى والألوة واللية وهى نوع من العود ، وقد يطرى العود بعنبر أو مسك أو كافور أو غيره من الطيب[2] .

---

(١) د. حسن الباشا : المبخرة ، بحث بكتاب القاهرة تاريخها ، فنونها ، آثارها ، مؤسسة الأهرام ١٩٧٧م ، ص٦٠٢ ، ٦٠٣

(٢) المرجع نفسه ، ص٦٠٢

ومن أنواع البخور الأخرى بخور البر وبخور جاوى وبخور جورى وبخور سودانى وبخور مورشلة(١) .

وقد دعت المبخرة بما ينبعث منها من عطر أخاذ إلى أن يمتدحها الشعراء فقال أحدهم فيها :

عطرت مجلسى بنية طيب   اعربوا شكلها بحسن البخارى

وإذا اعتل للنسيم بخار   اسندوا نحوها صحيح البخارى(٢)

وللشيخ شهاب الدين بن أبى حجلة فيها :

ومبخرة تحكى المتيم فى الهوى   تبوح بما تلقاه من شدة الكرب

تقول وقد نمت بعرف بخورها   أأكتم ما ألقاه والنار فى قلبى(٣)

وقد حظيت المبخرة كقطعة فنية بعناية الصناع والفنانين المسلمين نظرا لما كان لها من أهمية فى المجتمع .

وتمثل المباخر المملوكية أهمية بالغة فى فن صناعة المعادن فى هذا العصر من تقدم ورقى ، وهى لا تختلف فى شكلها العام وأسلوب صناعتها عن المباخر الأيوبية . ويحتفظ كثير من متاحف العالم بمجموعات من المباخر المملوكية يمتاز معظمها بما يغطى سطحها من رسوم جميلة مكفتة تكفيتا وافرا ومتقنا بالفضة والذهب . (لوحات رقم ١٨٩ - ١٩٢) .

وتمتاز زخارف المباخر المملوكية - شأنها شأن غيرها من التحف المعدنية المملوكية - بمميزات زخرفية خاصة مثل رسم أزواج من الطيور مرتبطة بطرق مختلفة

---

(1) Dozy, Op. Cit., T. I., P. 54.

(٢) الغزولى : المرجع السابق ، جـ١ ، ص٦٣

(٣) النواجى : حلبة الكميت ، ص١٥١

ورسم مناطق دائرية مفصصة ، ورسوم الرنوك والشارات التى شاع اتخاذها فى عصـــر المماليك ، وزخرفة السطح بخطوط دقيقة مزواة ومتداخلة ومتشابكة(١) .

ويحتفظ متحف الفن الإسلامى بنماذج للمباخر المملوكية منها مبخرة مـــن النحـــاس المكفت بالفضة باسم أحد مماليك الســـلطان محمـــد بـــن قـــلاوون المتوفـــى فـــى ســـنة ٧٤١هـ/١٣٤١م عليها زخارف نباتية كثيرة ومتنوعة سواء فى الأشـــرطة المســـتديرة أو الجامات ع : ٣٠ – قطر ١٤ سم برقم سجل ٤٠٢٤(٢) .

ومنها مبخرة من النحاس عليها زخارف مكفتة بالفضة والذهب ، ويـــدل أســـلوبها الفنى على أنها صنعت فى مصر فى أواخر القرن ٧هـ/١٣م .

وعلى بدن هذه المبخرة جامات بها رسوم طيور خيالية ، بعضها له رؤوس آدميـــة ، والبعض الآخر يشبه الطائر الخرافى الرخ . وتعلو الغطاء قبة صغيرة . وتزينها محـــاريب بها صور قديسين وصلبان . ويظهر أن هذه القبة قد أضيفت إلى المبخرة فيما بعد ، تحقيقـاً لرغبة عميل من الأوربيين(٣) .

* * *

---

(١) حسن الباشا : المبخرة ، ص٦٠٥ – ٦٠٦

(2) Wiet: Album, Du Musse Du Caire, P. 49

(٣) د. محمد مصطفى : مناظر دينية على التحف الإسلامية ، مجلة المجلة ، العدد ٤٨ ديسمبر ١٩٦٠م ، ص٤١

الزهرية :

يعد إناء الزهور من أدوات الزينة التى أقبلت على اقتنائها النساء ، وذلك لتزين بـه - بما فيه من زهور متنوعة فى الألوان والأصناف - أماكن كثيرة من منزلها بأن تضعـه فوق شكمجيتها (لوحة ٢١٧) وفوق صندوق ملابسها أو فوق كرسى منشورى فى ركـن من أركان منزلها أو فوق الصفة أو فى داخل خورنق من خورنقات الدواليـب الحائطيـة بحجرتها . (لوحة ١٩٦) .

وقد وصلنا من عصر المماليك مجموعة من الزهريات البديعة الصنـع والزخـرف والتى توضـح الاهتمام باقتناء الزهور . ومنهـا زهريـة من النحاس المزخرف بـالحفر (لوحة ١٩٣ ، ١٩٤) محفوظة بمتحف كلية الآثار جامعة القاهرة ، زهرية من الخـزف المرسوم تحت الطلاء (لوحة ٤٢) بمتحف الفن الإسـلامى بالقـاهرة ، وزهريـة مـن الزجاج المموه بالمينـا المتعـددة الألـوان ، محفوظـة بـدار الأثـار العربيـة بالكويت (شكل ١٩) .

كما نلاحظ أن المصورين فى عصر المماليك قد ضمنوا بعض تصـاويرهم رسـم لإناء الزهور وفى أحدى هذه التصاوير نجد شخصين قد أمسكا بإناء للزهور[1] .

وإذا علمنا أن مصر كان ينبت بها فى ذلك العهد الرياحين والأزهار على اختـلاف أنواعها ، كالورد بأصنافه والنرجس والبنفسج والنيلوفر والأقحوان والياسـمين[2] ، لتيقنـا من أن هذه المزهريات تملأ بازهى الورود والأزهار .

* * *

---

(١) عفيف البهنسى : الفن الإسلامى ، لوحة ٧٣

(٢) محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق ، ص٢٨٢ – ٢٨٤

الفصل الأول

سادسًا : الحلى

سادسًا : الحلى[1]

إذا كان – من المعهود – إن إعداد الأثاث الخشبى وأدوات المطبخ ومفارش الأرض وأدوات الإضاءة من اختصاص والد العروس ووالدتها ، فإن اختيار الحلى وأدوات التجميل والملابس فيقع على عاتق العروس نفسها . فالمرأة بطبيعتها تنشأ فى الحلية منذ طفولتها وتظل مولعة بها طوال حياتها .

واشتهرت المرأة القاهرية بصفة خاصة بالمبالغة فى اتخاذ الحلى واقتنائها واستحداث الأنواع الجديدة منها . وقد ذكر المؤرخون مثلاً أنه استجد فى عهد الناصر محمد اتخاذ النساء للخلاخيل الذهب والأطواق المرصعة بالجواهر الثمينة بالإضافة إلى ما كن يعرفنه من عقود وقلائد وأساور ودلايات وأقراط وخواتم وغيرها . وقد كشفت الحفائر عن نماذج تشهد – رغم قلتها – بما وصله هذا الفن من مستوى رفيع من حيث الجمال والأناقة[2] .

---

(١) اسم لكل ما يتزين به من مصاغ الذهب والفضة .

انظر : السيوطى : الدر النثير تلخيص نهاية ابن الأثير ، الجزء الأول ، ص٢٩٠

والحلى (بضم الأول وتشديد الثانى وكسره جمع حلى وهو ما يتخذ للزينة من ذهب ونحوه ، يقال فى اللغة تحلت المرأة أى لبست ، فهى حلية وحالية .

أحمد عطية الله : القاموس الإسلامى ، المجلد الثانى ، ص١٣٩

والحلى ما تزين به من مصوغ المعدنيات والحجارة .

ابن سيدة : المرجع السابق ، جـ١ ، السفر الرابع ، ص٤٠

وقد وردت لفظة (الحلى) فى القرآن الكريم ففى سورة فاطر الآية ١٢ جاء قوله تعالى : « وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ، ومن كل تأكلون لحمًا طريًا وتستخرجون حلية تلبسونها » .

وفى سورة الرعد آية ١٧ قوله تعالى : « انزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدًا رابيًا ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع» .

(٢) حسن الباشا : أثر المرأة فى فنون القاهرة ، بحث بكتاب القاهرة تاريخها فنونها – آثارها – مؤسسة الأهرام ١٩٧٧م ، ص١٧٢

ولعل السر فى ندرة النماذج التى وصلتنا من العصر المملوكى هو أن الحلى والمعادن النفيسة كانت تصهر ويعاد سبكها عندما يتقادم بها العهد ، فضلا عن أن قيمتها المادية تدعو إلى التصرف فيها ، ولا سيما فى الأوقات التى يسود فيها القحط أو يضطرب فيها حبل الأمن(١) .

ونظرًا لثراء المماليك وما عرف عنهم من حب للأبهة والمغالاة فى تجهيز فتياتهم نجد أن كل عروس تصطحب معها الكثير من الحلى ، فتنقل لنا المصادر أن السلطان الناصر محمد جهز إحدى عشرة ابنة له احتوى أقل جهاز منها على« جواهر ولآلئ »(٢).

وأنه كان بجهاز ابنة بكتمر الساقى عروس ابن السلطان الناصر محمد الكثير من الصناديق التى فيها المصاغ ، وكان الزركش والمصاغ ثمانون قنطاراً بالمصرى ذهب(٣) ما بين حلى وجوهر ومصوغ(٤) .

فنحن إذا علمنا إن الأوانى والشماعد كانت من الذهب والملابس والعصائب والناموسيات (البشاخين) والمفارش كانت مزركشة ومزينة بالذهب ، حتى القباقيب كانت مرصعة بالذهب ، تيقنا أن حلى عروس عصر المماليك كانت من أفخم وأبدع وأثمن ما صيغ لعروس . وكان من المعروف فى الدول المحاربة لمصر المملوكية أن أكبر غنيمة يغنمها الجندى المقاتل إذا استطاع أن يقتل جنديًا مصريًا هى الاستيلاء على ملبوسه وسلاحه وفرسه وسرجه وكلها منزلة بالذهب مصنوعة من الحرير فإذا كان لباس الرجل

---

(١) أحمد عبد الرازق : المرأة فى مصر المملوكية ، ص١٦١ ، ١٦٢

(٢) المقريزى : السلوك ، جـ٢ / قسم ٣ ، ص٥٣٦

(٣) المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص٦٨

على مبارك : الخطط ، جـ٢ ، ط. ٢ ، ص٣٢٩

(٤) ابن حبيب : تذكرة النبيه فى أيام المنصور وبنيه ، تحقيق د. محمد محمد أمين ، الهيئة المصرية العامة ١٩٨٢م ، جـ٢ ، ص٣١٧

أكبر غنيمة فكيف كان لباس السيدة وحليها وجواهرها[1] . وتنقل لنا المصادر أنه كان لـدى بعض السلاطين والأمراء المماليك كميات كبيرة من الجواهر والحلى ، فيروى أن شـجرة الدر عندما أوشكت على الوقوع فى أيدى أعدائها جمعت معظم ما لديها من جواهر ولآلـئ واتلفتها بأن كسرتها فى الهاون[2] .

وعندما أحصيت أموال النشو فكانت ١١٥ ألف دينار و ١٥٠ حبة لؤلؤ و ٧٠ فـص بلخش وقطعة من زمرد زنتها رطل و ٦٠ حبلا من لؤلؤ كبار زنته ٤٠٠ مثقـال و ١٧٠ خاتمًا من ذهب وفضة لها فصوص مثمنة وكف مريم مرصع بجوهـر وصليـب ذهـب مرصع وغيرها[3] .

كما وجد عند الملك المظفر بيبرس ٧٠٩هـ/١٣١٠م « جواهر عظيمة القـدر »[4] وأورد كلاً من المقريزى وابن أياس بيانًا عن ثروة الأمير سيف الدين سلار نائب السـلطنة فى عهد السلطان بيبرس الجاشنكير والذى أمر السلطان الناصر تقبله عقب عودتـه إلـى السلطنة الثالثة – يتضمن ما اشتملت عليه تركته عندما ضبطت فى جمادى الأولـى سـنة سبعمائة وعشرة هجرية ، فوجد له فى يوم ياقوت[5] أحمر زنة رطلين ونصف ، وبلخـش زنة رطلين ونصف ، وزمرد تسعة عشر رطلاً ، وستة صناديق فيـها جواهـر ، ومـن الماس وعين الهر ثلاثمائة قطعة ، ولؤلؤ زنة كل حبة ما بين مثقال إلى درهم عـدة ألـف

---

(١) حسن محمد الهوارى : أثر المرأة فى الفن الإسلامى بحث بمجلة الهندسة – العـدد الأول – ينـاير ١٩٣٤م – مطبعة الاعتماد – ص٤٢٦

(٢) سعيد عبد الفتاح عاشور : العصر المماليكى فى مصر والشـام ، دار النهضـة العربيـة ١٩٧٦م ، الطبعة الثانية ، ص٢٢

(٣) محمد عبد العزيز مرزوق : الناصر محمد بن قلاوون ، ص٢٨٩ ، ٢٩٠

(٤) ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ٨ ، ص٢٧٦ ، ٢٧٧

(٥) أصل الياقوت ثلاثة الأحمر والأصفر والكحلى ولكل واحد منهم فى جنسه حجارة تقاربه فى اللـون والمنظر والأحمر أنفسها وهو حجر إذا نفخ عليه فى النار ازداد حسنًا وحمرة .
Julius Ruska: Das Steinbuch des Aristoteles Heidelberg, 1912, P.

ومائة وخمسين حبة ، وذهب عين مصرى مبلغ مائتى ألف وأربعة وأربعين ألف دينـــار ، وفضة دراهم مبلغ أربع مائة ألف واحد وسبعين ألف درهم ، ووجد له أيضـًــا فــى يــوم فصوص مختلفة زنة رطلين ، وذهب عين مصرى مبلغ خمسة وخمســين ألــف دينــار ، ودراهم فضة ألف ألف درهم ومصاغ من الذهب ما بين خلاخيل وأساور أربعــة قنــاطير مصرى(١) .

وقد كان الناصر يعنى بجمع أصناف الجواهر ، وعرف التجار عنه ذلك فتنافســوا فى إحضارها إليه من شتى الأقطار(٢) . وقد وجدت فى تركته كميات كبيرة مــن اليــاقوت المختلف الألوان ، والبلخش(٣) والزمرد ، وعين الهر واللؤلؤ ، والحلى المختلفة المصنوعــة من الذهب(٤) .

وعندما تغير السلطان الناصر محمد (٧٤٠هـ/١٣٤٠م ، على المقر السيفى تنكــر نائب الشام ، واحتاط على موجودة كان فيه من الفصوص الياقوت والبلخش واللؤلؤ الكبــار ثلاثة صناديق بالإضافة إلى حلى نسائه(٥) . هذا ومما يذكر إن الأمير بشتاك قد فرق علـــى مماليكه وأجناده – فى عام ٧٤٣هـ/١٣٤٣م ، فى سلطنة المنصور أبو بكــر بــن الملــك الناصر محمد – وأخرج ثمانين جارية من جواريه اعتقهن وزوجهن من مماليكه بعــد مــا

---

(١) المقريزى : السلوك ، جـ٢ ، القسم الأول ، ص٩٧

(٢) محمد عبد العزيز مرزوق : الناصر محمد بن قلاوون ، ص٢٦١

(٣) يسمى اللعل بالفارسية وهو جوهر أحمر شفاف صافى يضاهى فائق الياقوت فى اللون والرونـــق ، ويختلف عنه فى الصلابة وكان يباع فى أيام بنى بويه بقيمة الياقوت ، وليس لهذا الجوهـــر منفعــة كالياقوت بل يشترى لحسنه .

محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصارى : نخب الذخائر فى أحوال الجواهر ، ص٦ ، ٧ – مخطـــوط بدار الكتب المصرية ، تحت رقم طبيعيات تيمور رقم ٨٦

(٤) المرجع نفسه ، نفس الصفحة .

(٥) ابن أياس : المصدر السابق ، جـ١ ط. ١ ، ص٤٧٧ ، ٤٧٨

شورهن باللؤلؤ والزركش ، وغير ذلك مما له قيمة كبيرة جدًا ، وبعث إلى الأمراء الخاصكية شيئًا كثيرًا من الذهب والجوهر واللؤلؤ[١] والتحف[٢] .

وفي رمضان سنة ٧٤٨هـ/١٣٤٧م في سلطنة المظفر زين الدين حاجي بن الناصر محمد بن قلاوون - قدمت أموال يلبغا اليحياوي من دمشق وكان من بينها الجواهر والحلي واللؤلؤ والمصاغ[٣] .

هذا ويذكر المقريزي أنه ساعة القبض على ابن زنبور - في عام ٧٥٣هـ/١٣٥٢م في سلطنة الصالح صلاح الدين صالح بن الناصر محمد بن قلاوون - أوقعت الحوطة على حريمه وختمت بيوته وبيوت أصهاره وكانت حريمهم في الفرح وعليهن الحلي والحلل[٤] . وفي رمضان عام ٧٨٥هـ في سلطنة الظاهر برقوق - قبض السلطان على سعد الدين نصر الله البقري ، ناظر الخاص ، وهو واقف في الخدمة ، وكان قد اجتمع نساؤه في داره لفرح عندهم ، وعليهن من اللؤلؤ والجواهر ، والذهب والثياب والحرير ، ما يجل قيمته ، فنزل الأمير قرقماس ، الخازندار ، والأمير بهادر ، الاستادار ، وأحاطا بداره ، وقبضًا على نسائه وغلمانه وحاشيته وجميع من في داره ، فبلغت قيمة ما على نسائه من الحلي بنحو من مائتي ألف دينار[٥] .

---

(١) عرف اللؤلؤ منذ القدم ، وهو حجر شريف ، وجوهر ثمين معدني حيواني . وهو من أجل الأحجار قيمة وقدرًا مرتفعًا ، وحلية تلبس ، واللؤلؤ نوعان كبير ويسمى الدر وصغير ويسمى اللؤلؤ . وأجود اللؤلؤ النقي المستدير . وهو ألوان فمنه أصفر مستدير ومنه أخضر وأزرق .
انظر : عبد الرحمن زكي : الأحجار الكريمة في الفن والتاريخ ، المكتبة الثقافية ١٠٨ - مايو ١٩٦٤م ، ص١٣٦ ، ١٣٧

(٢) المقريزي : السلوك ، جـ٢/قسم ٣ ، ط. ١ ، ص٥٦٠ ، ٥٦١

(٣) المصدر نفسه ، ص٧٤١

(٤) المصدر نفسه ، ص٢٧٨

(٥) ابن أياس : المصدر السابق ، جـ١ / قسم ٢ ، ص٣٣٦

أما عن أوصاف الحلى فنادوا ما تحوى المصادر التاريخية عن وصف دقيق للحلى يمكننا عن طريقه أن نقف على طرزها ونوع زخارفها وأسلوب صناعتها على وجه سليم . ولعل مرجع هذا القصور أن أكثر هؤلاء المؤلفين لم ير تلك الحلى والجواهر التى عنى بالكتابة عنها ، أما لأنها كانت محفوظة فى خزائن لم يكونوا يستطيعون الوصول إليها ، أو لأنها كانت زينة للخوندات وزوجات الأمراء والمحظيات والجوارى وأما لأن ما كتبوه كان منقولاً عن مصادر ليس لها بالحلى والجواهر دراية كبيرة[1] .

ونستشف مما وصلنا من حلى يرجع إلى عصر المماليك ومما جاء بالمصادر أنه وجدت حلى للرقبة والأذن ولليدين والرجلين .

* * *

(١) أحمد عبد الرازق : المرأة فى مصر المملوكية ، ص١٦٢

أنواع الحلى

فطرت المرأة محبة للزينة وحب الظهور ، ولقيمة الذهب فى نظر العالم ولمكانته الممتازة آثرت أن يتخذ منه زينتها وحليها فاختارت القرط زينة لأذنيها والسوار حلية لمعصميها والقلادة ليزدان بها جيدها ، ومن الخواتيم حلية لأصابعها ، وما إلى ذلك من مستلزمات المرأة للحلى والتزين باختلاف الأوقات والأزمات[1] .

حلى الرقبة

العقود – اللبة – القلائد – الشعاير – الأطواق

تعتبر العقود[2] من أقدم أنواع الحلى ، وقد استخدمت فى مصر منذ عصر البدارى حوالى سنة ٥٠٠٠ ق. م .

وهناك أكثر من رأى يقول ، أن الدافع الأول للإنسان لاستخدام العقود يرجع إلى محاولته ، لإيجاد وسيلة مريحة لحمل بعض العناصر الطبيعية أو القائم التى يعتقد بأنها تحمل فى طياتها قوى سحرية ، قادرة على حمايته من أهوال الطبيعة والأرواح الشريرة ، كما تهبه الصحة والقوة . لذلك نجد أن أكثر العقود تتكون من صف من الخرزات أو الدلايات أو أكثر ، وعادة نجد أن العقد إذا كان سلسلة بسيطة فإنه تتوسطه دلاية هى رمز التميمة أو التميمة ذاتها[3] .

ويتخذ العقد أنماطًا كثيرة ، فمنها ما يقتصر على الذهب ، ومنها ما يرصع بالأحجار الكريمة[4] .

---

(١) محمود السرجانى : فى الصاغة ، ص٣

(٢) وعن أشكال العقود والدلايات فى العصر الفرعونى– انظر :

- Cyril Aldred: Jewels of the pharaohs Egyptian Jewelry of the Dynastic Period.

(٣) على زين العابدين : المصاغ الشعبى ، ص١٣٩

(٤) عبد الرحمن زكى : الحلى ، ص٤٢

ومن الغريب أن العقود كانت من الهدايا التى تتبادل بين الرجال فيذكر الجهشـياري أن زياد أهدى إلى معاوية هدايا كثيرة ، وكان فيها عقد جوهر نفيس ، فأعجب به معاوية[1] .

وأيضا وهب المأمون للحسن بن سهل عقدا قيمته ألف ألف درهم[2] .

ووصلنا من حلى نساء عصر المماليك بعض العقود الذهبية منها واحد محفوظ بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة يتألف من عشرين سملكا شغل شفتشى أى ذو زخارف مخرمة تشبه الدانتلاء شكلها بيضاوى ، وبأعلى كل منها لؤلؤة صغيرة الحجم . ويتدلى من العقد ثلاث دلايات مستديرة بوسط كل منها حجر مستدير ، والوسطى منها مثبتة فى شكل هلال صغير مطعم بالمينا يعلوه كتابة دعائية نصها « عزدائم »[3] .

وقد تعددت وتنوعت أشكال العقود ومادة صنعها ، من ذلك ما كانت تتزين به نساء القاهرة من عقود طويلة تتكون من قطع الجنيه الذهبية وكان يعرف هذا العقد باسم البندقى . ومن المعروف أنه شاع فى عصر المماليك الجراكسة التعامل بالمسكوكات الأوروبية ومن بينها النقود البندقية (الدوكات) التى أطلق عليها أحيانا فى أسواق القاهرة اسم البندقى وربما اتخذت هذه العقود من قطع من هذه العملات المسماه بالبندقى ، كما كانت تستعمل بعض قطع النقود الذهبية التركية أو المصرية فى صنع بعض أنواع العقود والقلائد . ومن أنواع العقود أيضا النوع المعرف باسم « لبه »[4] وهو يتكون من عدة

---

(١) الجهشيارى : الوزراء والكتاب – تحقيق مصطفى السقا وآخرون ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٣٨م ، ص٢٧

(٢) الخالديان : التحف والهدايا ، ص٢٥٧

(٣) أحمد عبد الرازق : المرأة فى عصر المملوكية ، ص١٦٤

(٤) اللبة واللبب من الصدر أوسطه ولبة القلادة واسطتها والتلبيب ، ما فى موضع اللبب من ثياب الرجل ولببته جعلت فى عنقه ثوبا وقبضت عليه .
، البلوى : ألف با ، جـ١ ، ص٣٣٥
، والمتلبب موضع القلادة واللبة موضع الذبح .
، ابن الأثير : النهاية فى غريب الحديث ، جـ١ ، ص١٤٠

خرزات ذهبية مجوفة أى غير مصبوبة ، وقد شاع استعمال هذا النوع من القلائد لدى نساء الطبقات الفقيرة لانخفاض ثمنه[١] .

وتصنع اللبة من الفضة أو النحاس المطلى للطبقات الشعبية البسيطة ويحتفظ متحف الفن الإسلامى بنماذج منها لبة رقم سجل (٧٥٥١) لوحة (١٩٩) ومن حلى الرقبة القلائد ، ويسمى موطن القلادة بالمقلد وأنفسها ما كان من اللؤلؤ وحده أو مفصلاً مع غيره من الجواهر ، ومنها الزمرد والزبرجد والياقوت والمرجان ، وقد يضاف إلى ذلك الشذر وهو حبات من الذهب . والجمان وهى لألئ من الفضة وهم يسمون اللؤلؤة التى تتوسط حبات العقد بالواسطة .

ويطلق على القلادة اللاصقة بالعنق التقصار أو المخنقة وتسمى الأهداب المتدلية من القلادة على الصدر بالسعوط ، وواحدها سعط ، والسعط أيضًا الخيط ينظم فيه اللؤلؤ وغيره[٢] .

ومما يذكر أنه كان للسيدة خديجة زوجة الرسول قلادة وهبتها لابنتها زينب حين زواجها[٣] .

ومن أنواع القلائد أيضًا البريم والمناطق الذهبية . والبريم خيطان مختلفان أحمر وأبيض مزينان بالجوهر تشدهما المرأة على وسطها وعقدها .

ويمكن اعتبار المناطق الذهبية النسائية ضمن الحلى التى استعملت فى العصر العباسى .

ومن أوضح نماذج المناطق ما نراه فى إحدى منمنمات نسخة اكسفورد من مخطوط الصوفى . وقوام النطاق فى هذه المنمنمة شريط معدنى يزينه جامات زخرفية تتألفمن خطوط مستقيمة وحلزونات ويحتوى هذا النطاق على قفل فى وسطه .

---

(١) حسين عليوه : الحلى ، بحث بكتاب القاهرة تاريخها ، فنونها ، آثارها ، مؤسسة الأهرام ، ص٥٧٥

(٢) عبد الله عفيفى : المرجع السابق ، الجزء الأول ، ١٣٠ ، ١٣١

(٣) أحمد شلبى : المرجع السابق ، ص٣٤٢

ويبدو لنا نموذج آخر من المناطق فى رسم سيدة على جرة مزججه من صناعة قاشان تعود إلى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى وقوام النطاق فيها شريط معنى خال من الزخرفة غير أن حافاته السفلى مسننة(١) .

وتعتبر العقود والقلائد من قطع الحلى الهامة التى كانت المرأة القاهرية تحرص على التزين بها ، وقد أنتجت القاهرة الكثير من العقود ذات الأشكال المتنوعة الكبيرة والصغيرة ، وكانت العقود والقلائد تصنع غالبًا من الذهب كما كانت فى بعض الأحيان ترصع بالأحجار الكريمة ، وتتكون العقود والقلائد فى العادة من أكثر من صف ، والصف يتكون من سلسلة ذهبية تتصل بها قطع صغيرة أو كبيرة من الذهب ذات أشكال مستديرة أو هلالية وتنتظم هذه القطع فى السلسلة بترتيب خاص فيما بينها وبين الصف أو الصفوف الأخرى المماثلة له ، ويتكون من هذه الصفوف – المرتبة ترتيبًا معينًا – شكل العقد « أو القلادة »(٢) .

وفى عصر المماليك شاع التحلى بالقلائد العنبرية إلى جانب القلائد الذهبية ، فيذكر المقريزى فى معرض حديثه عن سوق العنبريين أنه « لا يكاد يوجد بأرض مصر امرأة وأن سفلت إلا ولها قلادة من عنبر »(٣) .

ومن حلى القلائد الدلايات وهى من أجمل قطع الحلى ، وتتخذ أشكالاً ساذجة وأخرى رائعة وهذه الأشكال كثيرة جدًا ، فمنها ما هو على شكل الهلال أو النجم أو الصليب ومنها ما يتألف من آية قرآنية أو عبارة دعائية أو شكل حيوان ، أو قفل صغير أو حدوة الفرس .

ومن الدلايات أنواع ذات أشكال معقدة تثبت فيها الأحجار الكريمة كالماس والفيروز والزبرجد(٤) .

---

(١) زكيه عمر العلى : التزيق والحلى ، ص١٧٤ ، ١٧٥

(٢) حسين عليوه : الحلى ، ص٥٧٣

(٣) الخطط ، الجزء الثانى ، ص١٠٢

(٤) عبد الرحمن زكى : الحلى ، ص٤٤

ويضم المتحف العراقى مجموعة من الدلايات ربما من أهمها دلاية من الذهب هلالية الشكل تقريبًا الزخرفة فيها رسوم هندسية ونباتية محورة بارزة ويحتفظ متحف الفن الإسلامى بالقاهرة بدلاية مشابهة لها إلى درجة كبيرة سواء فى الشكل أو الزخرفة وهى منسوبة إلى القرن ٥ أ ، ٦هـ – ١١ أ ، ١٢م[١].

وتتشابه معهما دلاية ذهبية ترجع إلى مصر فى القرن ١١م وهى مخلفة بوصية عن مستر دافيس محفوظة بمتحف المتربوليتان بنيويورك[٢]. هذا ويحتفظ متحف الفن الإسلامى بالقاهرة بدلاية ذهبية ترجع إلى ق٧هـ/١٣م تقريبًا تزخرفها كتابة نسخية نصها « عز دائم » ونفذت هذه الزخرفة بالمينا المتعددة الألوان .

وبمناسبة ذكر الدلايات نرى أن نشير إلى استعمال نساء الفلاحين لهذا النوع من الحلى وقد كانت الدلايات الخاصة بهن تتألف من سلاسل تعلق على الأصداغ وترخى إلى الصدر ، ويجعل فى آخرها جلاجل من فضة وبرق ونحو ذلك[٣] .

ويبدو أن نساء عصر المماليك اعتدن أن يزين أعناقهن ، بقلائد أو سلاسل مصنوعة من البلور أو الحجارة الكريمة كالعقيق أو الجزع أو الذهب أو اللؤلؤ ، فتذكر إحدى الوثائق أن سلسلة المرأة كانت من الكهربا وهو نوع من الصموغ ويسمى مصباح الروم توجد قطرات كالصموغ تقطر من الدوم عند طلوعه وتكون شبه العسل وقد تكون السلسلة من الذهب أو من خرز الكارب ذات حبات عشرة[٤] .

ومن حلى الرقبة الذهبية نوع يسمى الشعاير وهى ضرب من الحلى أمثال الشعير[٥] . ولم تكن زينة الرقبة قاصرة على العقود والقلائد فقد عرفت نساء القاهرة الأطواق التى تزين الرقبة وكان الطوق[٦] ، يصنع عادة من الفضة أو النحاس الأصفر وقد

(١) زكيه عمر العلى : التزيق والحلى عند المرأة ، ص١٧١

(2) Manlyn Jenkins, Manuel Keene: Islamic Jewelry in the Melropolitan Museum of Art, the Molropolitan Museum of Art, New York, 1982.

(٣) الشربينى : المرجع السابق ، ص٦٠

(٤) صالحية : المرجع السابق ، ص٣١

(٥) ابن الأثير : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص٢٤٤

تزين الرقبة وكان الطوق[1] ، يصنع عادة من الفضة أو النحاس الأصفر وقد صنعت من الحديد أيضًا أطواق صغيرة تتحلى بها الفتيات الصغيرات[2] .

وقد كانت الأطواق المرصعة والأطواق الفضية شائعة لدى نساء الفلاحين وكانت تعرف عندهم باسم « الضامن »[3] .

ويبدو أن الأطواق المصنوعة من الفضة والنحاس الأصفر والحديد كانت خاصة بنساء الطبقات السفلى والشعبية والفلاحين . أما الطبقات العليا فكانت نسائها يلبسن الأطواق الذهبية ، فيذكر ابن تغرى بردى فى أحداث سنة ٧١٠هـ/١٣١١م أن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون هو أول من اتخذ من ملوك مصر ديوانًا للاسطبل السلطانى ، وأنه كان يرغب فى الفرس المجلوب إليه أكثر مما توالد عنده ، فعظم العرب فى أيامه لجلب الخيل وشمل الغنى عامتهم ، وصاغ السلطان لنسائهم الأطواق الذهب المرصع »[4] .

---

(١) الطوق حلى للعنق وكل ما استدار بشئ جمع أطواق .

، الفيروز ابادى : القاموس المحيط ، ط٥ ، جـ٣ ، ص٢٥٩ .

، الطوق والعقد حلى يجعل فى العنق وكل شئ استدار طوق كطوق الرحى الذى يدير القطب ونحو ذلك .

، ابن سيدة : المخصص ، جـ٤ ، ص٤٤

(٢) حسين عليوه : الحلى ، ص٥٧٥

(٣) الشربينى : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص١١٥

(٤) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، مطبعة دار الكتب ١٩٤٤م ، جـ٩ ، ص١٦٨

، المقريزى : السلوك – جـ٢ ، قسم ٢ ، ص٥٢٧

حلى الأذن

القـــــرط :

هو نوع من الحلى تتزين به النساء ، ويتدلى من الأذنين ، وعادة يعلـق وبخاصـة فى المجتمعات المتمدينة – بواسطة مشبك أو دبلة تمر من فتحة تثقب فى شحمة الأذن فـى سن الطفولة يترك بها عود ثقاب من الخشب حتى يندمل الجرح[1] .

ولبس الأقراط فى الأذن عادة قديمة جدًا عرفها الشـرقيون . وانتقلـت مـن آسـيا موطنها الأصلى إلى أوروبـا عن طريق أسـيا الصغـرى وعرفـها العـرب وانتقلـت بواسطتها إلى أسبانيا وصقلية ، وكان الجرمان والغالة القدماء ذكوراً أو نسـاء يضعـون الأقراط فى آذانهم . وكان ذلك يتطلب أحياناً ثقب شحمة الأذن أو الاقتصار علـى تثبيـت القرط فيها[2] .

وقد ثقبت سارة أذن هاجر أم إسماعيل وجعلت فيهما قرطين[3] . ويتخذ القرط عـادة أما شكل حلقة بسيطة أو دلاية صغيرة .

ولتباين أشكال الأقراط واختلاف أنواعها أطلق على كل شكل اسم خاص مميز لـه .
(حلق ساقية) يمثل شكل الساقية تمامًا ، ويطلق عليه اسم حلق (ترس) لمشابهته للـترس الذى كانت تلبسه العرب فى صدر الإسلام ، فكان الرجل يتمنطق بالترس والمرأة تتحلـى بحلق الترس كى تذكره دائمًا بالحرب .

(حلق خنجر) على هيئة قبضة الخنجر وهو فى الأصل صناعـة إيطاليـة نقلـها عنهم المصريون .

---

(١) على زين العابدين : المصاغ الشعبى فى مصر ، ص١٦١

(٢) عبد الرحمن زكى : الحلى فى التاريخ والفن ، ص٤١

(٣) مما يذكر أن أول امرأة خفضت هاجر أم إسماعيل ، وذلك أنها حين تغيرت عليها سـارة لتسـرى إبراهيم عليه السلام بها حلفت لتقطعن شيئا من جسدها فأشار عليها إبراهيم أن تخفضها وتثقب أذنيها ، وتجعل فيهما قرطين ففعلن فزادت حسناً .

، انظر : القلقشندى : صبح الأعشى ، مطبعة دار الكتب بالقاهرة ، ١٩٢٢م ، الجزء الأول ، ص٤٣٤

(حلق مشرف) على شكل المشرفى (السيف) قد اعتادت نساء العرب أن تتحلى به تشجيعا لرجالها على حمل السيف(١) .

والأقراط كما يقول ابن سيده حلق تعلق فى أسفل الأذن(٢) .

وكان للأقراط عند العرب تسميات مختلفة منها الخرص(٣) ، والخرص والخرصة كما يقول ابن سيدة هى القرط الذى يتدلى من جزئه السفلى حبة واحدة ، وقيل هى الحلقة من الذهب(٤) . ومن اشهر ما عرفه التاريخ قرطا مارية بنت ظالم ابن وهب وكانت عليها درة تشبه بيض الحمام لم ير مثلها فكانت مضرب الأمثال « خذه ولو بقرط ماريه »(٥) .

ومن تسميات الأقراط الأخرى « الرعاث » التى لم يقتصر استعمالها على النساء بل تعدى ذلك إلى الرجال . وسمى « القرط » الخلدة وقد ورد ذكر لها فى القرآن الكريم : « ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا » .

وسمى الخيط الذى يربط طرفى القرط بعد تثبيته بالأذن « المعقاب » أو « العقاب » .

واستمر استعمال الأقراط الذهبية فى صدر الإسلام وما بعده(٦) ..

وفى عصر المماليك وعلى الرغم من أن أغلب فقهاء هذا العصر قد نادوا بضرورة تحريم ثقب الأذن والأنف فقد وصلتنا بعض الأقراط الذهبية والفضية من العصر المملوكى ومنها قرط كبير من الذهب محفوظ بمتحف الفن الإسلامى على شكل دائرة يتوسطها

---

(١) محمود السرجانى : فى الصاغة ، ص٣ ، ٤

(٢) المخصص : المرجع السابق ، الجزء الأول ، السفر الرابع ، ص٤٣

(٣) ابن منظور : المرجع السابق جـ٣ ، ص٧ ، ٢٢

(٤) ابن سيدة : المرجع السابق ، الجزء الأول ، السفر الرابع ، ص٤٣

(٥) ومارية هذه بنت ظالم بن وهب ابن الحارث بن معاوية الكنيدى وابنها الحارث الاعرج .
، الثعالبى : ثمار القلوب ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار نهضة مصر ١٩٦٥م ، ص٦٢٩

(٦) زكيه العلى : المرجع السابق ، ص١٣٩ - ١٤٨

شريط مستطيل به زخارف ذات أشكال نباتية وهندسية مفرغة وتتدلى من أسفله حليتين تكتنفان دائرة صغيرة بها زخارف مخرمة .

كذلك يحدثنا أحد الرحالة الأجانب بأن النساء قد اعتدن أن يثقبن آذانهن لتزيينها بالأحجار الثمينة ، وبأن هذه الثقوب تتراوح ما بين ثمان وعشر ثقوب[1] .

هذا ، وقد جاء بوثائق الحرم القدسى المملوكية أنه وجد عند امرأة متوفاه حلق ذهب بشمائج أربع لؤلؤات ، وعند أخرى حلق ذهب بفص جميز ، ومن الأقراط التى تلبس فى أسفل الأذن كانت امرأة تلبس قرط ذهب بلؤلؤ ومنمقة بأحرف هجائية[2] .

ومن حلى الأذن الأخرى الشنف[3] وهى قرط يعلق فى أعلى الأذن . وتكون غالبًا من الذهب أو الفضة .

ويبدو أن العرب عرفوا الشنوف قبل الإسلام[4] . واستعملت أيضًا فى العصر الأموى ليس فقط للنساء بل للرجال أيضًا . كما وجدت فى العصر العباسى[5] .

والواقع أن المصورة الوحيدة التى فيها رسم سيدة تبدو فى الجزء العلوى من أذنيها حلية قد تكون الشنف ممثلة على إناء خزفى من صناعة قاشان من القرن ٦هـ/١٢م[6] .

---

(١) أحمد عبد الرازق : المرأة ، ص١٦٦

(٢) صالحية : ص٣١

(٣) القرط الأعلى : والجمع شنوف ، مثل فلس وفلوس ، وشنفت المرأة تشنيفاً من تشنفت هى مثل قرطتها فتقرطت .

انظر :

الجوهرى (إسماعيل بن حماد) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطا ، الجزء الرابع ، دار الكتاب العربى بمصر ، ص١٣٨٣ الشنف ، ما علق فى أعلى الأذن والجمع أشناف وشنوف . ابن سيدة : المرجع السابق ، جـ٤ ، ص٤٣

(٤) عبد الله عفيفى : المرجع السابق ، جـ١ ، ص١٣٠

(٥) زكيه العلى : المرجع السابق ، ص١٣٩ ، ١٤٠

(6) Pope, A survey of persion Art, Vol. X, PL. 52.

ومن الجدير بالذكر أن التزين بالأقراط فى أعلى الأذن ظاهرة تتميز بها المرأة النوبية إذ تتزين بقرط أو اثنين فى أعلى الأذن ، فضلاً عن القرط الذى فى أسفل الأذن أى فى شحمتها[1] .

(١) على زين العابدين : فن صياغة الحلى الشعبية النوبية – الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨١م ، ص٧٦ ، لوحة رقم ٩

حلى اليدين والرجلين :

وإذا ما انتقلنا فى الكلام إلى حلى اليدين عند المرأة نجد أنها على أنـــواع مختلفـة منهـا الخواتيم التى استخدمها الإنسان لزينة أصابعه منذ أقدم العصور فى جميـع بلـدان العالم . وكان يعتبر من حسن الذوق أن يقتصر على خاتم واحد ، وفى الوقت ذاتـه كـان بعض الناس يزينون أصابع أيديهم بكثير من الخواتم . وكـانت الخواتـم تلبـس للتحلـى والزينة ، كما أنها استخدمت أيضا رمزا للخطوبة أو علامة للنفوذ والسلطان .

واتخذ الخاتم أشكالا عدة ، فمنها الساذج الذى صيغ على شكل حلقة من المعـدن أو من الحشائش المجدولة(١) .

ويطلق على الخاتم(٢) البسيط الذى لافص له « الفتخ » أو « الحلق » وهذا النوع كان يلبس فى أصابع اليد والرجل على السواء .

وقد ذكر أنه كان لام حبيبة زوجة الرسول خواتيم من فضـة كـانت فـى أصـابع رجليها(٣) .

ومن الخواتم أنواع معقدة اتخذت أشكال رؤوس الحيوان أو صورة انسية . ومنـهـا ما يثبت فيها فصوص من الأحجار الكريمة كالماس والياقوت أو الزمرد وغيرها وقد قيـل أنه كان للنبى خاتم من هذا النوع .

وعلى العموم ، فقـد بذل الصائغ غاية مهارته ، فأبدع وأجاد فـانتج العديـد مـن الأنماط الجميلة التى دلت على حسـن ذوقـه وحبه للابتكار تلبيـة لرغبـات العمـلاء . ولس بخاف أن الخواتم المصنوعة من الخزف الملون عرفت فى مصر القديمة(٤) .

---

(١) عبد الرحمن زكى : الحلى ، ص٣٢

(٢) الخاتم جمعه خواتم أو خواتيم.

Dozy, Op. Cit., T. I., P. 351.

(٣) زكى عمر العلى : المرجع السابق ، ص١٧٧

(٤) عبد الرحمن زكى : الحلى ، ص٣٢ ، ٣٣

والظاهر أن المرأة فى العصرين الجاهلى وصدر الإسلام كانت تتختم فى أكثر من أصبع واحد . فقد روى عن عائشة بنت سعد بن أبى وقاص أنها كانت تتختم فى الأصبعين اللذين يليان الخنصر .

ولم توضح المصادر أشكال تلك الخواتيم ولكننا لا نستبعد أنها كانت تزين بنقوش مختلفة بالإضافة إلى الكتابات التى هى على الأغلب ما يعرف « بالختم » أو « التوقيع » ذكر منها أن خاتم الرسول ﷺ كان منقوشا بجملة « محمد رسول الله » وكان النبى يضع خاتمه فى يده اليمنى – وهو من الفضة – ويقال أنه اتخذ هذا الخاتم فى المحرم سنة ٧هـ[١] . هذا وقد وجاء فى صحيح البخارى أن السيدة عائشة كانت تلبس خواتيم من ذهب[٢] .

ويفهم من كتابات الرحالة الأجانب الذين زاروا مصر فى العصر المملوكى أن أصابع النساء كانت مزينة بخواتم من الذهب والفضة المحلاة بالفصوص الثمينة . ويبدو أن إقبال النساء على هذا النوع من الحلى كان شديدا لدرجة أن المحتسب كان كثيرا ما يحلف باعة الخواتيم أن يصدقوا فى أوزان أثمانها للزبائن ، كما كان يحرم عليهم أن يعملونها باليسير من الفضة ، ويحشونها بالرصاص ، والزفت حتى لا تكون سريعة الكسر والتهشيم . وكان عليه أيضا أن يجبرهم على أن يصدقوا فى نعت فصوصها ، « فإن أكثرها زجاج مصنوع ومطبوخ فى دهان الزبادى »[٣] .

وقد أمدتنا حفائر الفسطاط بنماذج قليلة من الخواتم الذهبية المزخرفة برسوم نباتية دقيقة وترجع إلى صناعة القاهرة فى العصر الفاطمى كما يحتفظ متحف الفن الإسلامى بالقاهرة بخاتم من الذهب تحليه رسوم نباتية منفذة بطريقة الحفر البارز بالإضافة لاشتماله على فص مثبت به ويرجع هذا الخاتم إلى صناعة القاهرة فى القرن ٨هـ/١٤م . رقم سجل ١٦٣٥٤[٤] .

---

(١) زكية العلى : المرجع السابق ، ص١٧٧ ، ١٧٨

(٢) ابن حجر : فتح البارى ، جـ١٠ ، ص٣٤٢ ، ٣٤٣

(٣) أحمد عبد الرازق : المرأة فى مصر المملوكية ، ص١٦٥

(٤) حسين عليوه : الحلى ، ص٥٧١

هذا وقد قيل فى الخواتم :

يقــول انــاس فــى الخواتيــم أنهــا　　تقطـــع أسـباب الهــوى وأقـــول

بـــأن خـــواتيــم المـــلاح وصولـــة　　وخاتم من تهـوى المـــلاح وصـــول[1]

وقد ورد بوثائق الحرم القدسى المملوكية أن أدوات زينة الأصابع اقتصـــرت علـــى الخواتيم بأنواعها وأشكالها المختلفة ، وكان معظمها مصنوعا من الذهب أو الفضة ، وقـــد تكون سدحا أى لا فص فيها ومقتصرة على الذهب أو تضاف لها الفصوص الحمـــراء أو الزرقاء البلورية ، أو فصوص العقيق[2] .

الأســـــورة :

ومن حلى المعصم الأسورة – وقد شاع استخدامها بالنسبة للمـــرأة والرجـــل منـــذ العصور القديمة فكان الرجل يزين بها ذراعه أو ذراعيه .

وأبسط الأساور ما كان على شكل حلقة معدنية تستدير وتلف حول المعصم ويســـهل تحركها وتكون هـــذه الحلقـــة أما مغلقـــة أو يمكن فتحها وغلقها حسب رغبـــة المـــرأة . وقد تكون هذه الحلقة من السلك المجدول[3] .

واتخذت الأسورة عدة أشكال ، عرف منها الطراز العريض الذى يطلق عليه اســـم « الدمالج » ، ويبدو أنه كان لها غرضا عمليا إذ كانت تستخدم كدرع أو وقايـــة لليـــد أو الذراع عند القتال .

وهناك الأساور التى تتكون من وحدات متحركة متصلـــة ببعضـــها يمكـــن فتحـــها وغلقها ، وقد تكون الأساور من الأسلاك المجدولة وعرف منها ما ينتهى برأس حيـــوان أو ثعبان .

---

(١) الموشى : المرجع السابق ، جـــ١ ، ص١٦٦

(٢) صالحية : ص٣٢

(٣) عبد الرحمن زكى : الحلى ، ص٤٤ ، ٤٧ ، شكل (٤) .

كما يوجد منها الطراز الرفيع ، ويطلق عليها اسم « الغوايش » وهى عبارة عن حلقات من أسلاك أو شرائط مختلفة المقطع ، ومزخرفة بنقوش ورسوم متنوعة ، وتقبل عليها كثير من النساء الشعبيات ، وغيرهن فى المدن والريف ، وهى كثيرة الأشكال والأسماء لدرجة أنه من الصعب حصرها وتتبعها(١) .

وقد تحلت المرأة العربية بالأساور . وقد ورد ذكرها فى القرآن الكريم « وحلوا أساور من فضة » وفى موضع آخر « جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤ ولباسهم فيها حرير » .

وفى تفسير ابن سلام ليس من أهل الجنة أحد إلا وفى يده ثلاثة أساور أسورة من ذهب وأسورة من فضة وأسورة من لؤلؤ . وجمع أسوار أسورة وجمع أسورة أساور فأن زدت هاء وقلت أساورة فهو جمع أسوار .

وقد جاء فى رؤيا النبى ﷺ قال رأيت فى يدى أسوارين من ذهب وفى البخارى فى بعض الروايات أسوارين بالألف وجاء فى الهداية قال المكى واحد الأساوره أسوار ، وفى قراءة أبى أساوير بياء قال وهذا يدل على أن الواحد أسوار ولكن لما دخلت الهاء فى أساور حذفت الياء لأنهما يتعاقبان ، وفيه ثلاث لغات أسوار وسوار ، وسوار بمعنى أن أساورة جمع أسورة وأسورة جمع سوار أو سوار والقلب من الأسورة ما كان فلذا واحد وقد يكون من فضة والوقف يكون من الفضة وغيرها وأكثر ما يكون من الذبل ، والذبل ظهر سلحفاة البحرية تتخذ منه الأسورة والمسك أيضا جمع مسكة أيضا يصنع من الذبل ومن العاج(٢) .

والسوار أو الأسورة هو نطاق المعصم . وهو من خصائص الحرائر وفى أمثالهم * لو ذات سوار لطمتنى * .

والمعضد أو الدملج طوق العضد . وهو شبيه بالسوار لليد(٣) .

---

(١) على زين العابدين : المصاغ الشعبى ، ص١٧٩ ، ١٨٠

(٢) البلوى : ألف باء ، الجزء الثانى ، ص١٨٢ ، ١٨٣

(٣) عبد الله عفيفى : المرجع السابق ، الجزء الأول ، ص١٣١

وقد كان للأسورة تسميات مختلفة منها « الجبارة » . وربما يرجع السبب فى تلك التسمية هو كبرها بالنسبة لغيرها من الحلى .

ومن أسمائها أيضا « الوقف » وذكر بأنه السوار المصنوع من العاج . والذى كان يعرف بالمسك أيضا . ومن تسميات الأسورة أيضا « القلب » وهو سوار المرأة المصنوع من الفضة وعرف نوع آخر من الأسورة بـ « البارق » ومن ضروب الأسورة الأخرى « المزدوجة » ومن الأمثلة عليها ما نراه فى منمنمة من منمنمات مقامات الحريرى التى زوقها الواسطى .

ويبدو السوار فيها كالسوارين الملتصقين ، كما أنه يحتوى على قفل . وهناك نوع آخر من الأساور وهو المعروف بـ « الملوى » قوامه سلك معدنى غليظ ومفتول . ويعتبر ما جاء فى إحدى منمنمات نسخة اسطنبول من مخطوط « الكواكب الثابتة المنسوب إلى القرن ٦هـ/١٢م المثال الوحيد لهذا النوع من الأسورة فى المصورات(١) .

والأساور من الحلى التى أقبلت عليها المرأة فى مصر المملوكية ، وكانت تصنع من الذهب المفرغ أو المجدول وينتهى طرفاها برؤوس حيوانية كالأسد أو التنين(٢) ، ويحتفظ متحف الفن الإسلامى بسوار من الذهب (لوحة ٢٠٩) ينتهى طرفاه برأس ثعبان يضمان بينهما محبسا يمكن فتحه وغلقه عند وضع ينتهى طرفاه برأس ثعبان يضمان بينهما محبسا يمكن فتحه وغلقه عند وضع السوار فى اليد أو نزعه منها ، ومن الجدير بالملاحظة أن محبس السوار لم يخل من الروح الزخرفية التى اتسم بها الصائغ القاهرى فنراه يزخرفه برنك الكأس الذى اتخذه بعض الأمراء فى العصر المملوكى شارة لهم ومن المحتمل أن يكون هذا السوار لإحدى زوجات أحد الأمراء المماليك . وقد استخدمت الكتابة العربية أيضا فى زخرفة محابس الأساور الذهبية ومن أمثلة ذلك الكتابة النسخية على محبس سوار ذهبى آخر بنفس المتحف ونصها « العز لك والبقا » وينسب هذا السوار إلى صناعة القاهرة فى القرن ٨هـ/١٤م وهو برقم ١٤٨٠٢ . وكانت بعض

---

(١) زكيه عمر العلى : المرجع السابق ، ص١٨٣ – ١٨٧

(٢) أحمد عبد الرازق : المرأة ، ص١٦٤

محابس الأساور تتسع لعبارات كتابية طويلة ومثال ذلك العبارة المكتوبة على محبس سوار من الذهب مصنوع بطريقة تشبيك وجدل الأسلاك الذهبية بعضها ببعض ، أما المحبس نفسه فيأخذ شكل دائرة وتزخرفة نجمة مسدسة الشكل تشغلها كتابة عربية تضم القول المأثور « عز من قنع وذل من طمع ، وهذا السوار محفوظ بمتحف الفن الإسلامى أيضا وهو برقم ١٦٤٣٥ ويمكن إرجاعه أيضا إلى القرن ٨هـ/١٤م (لوحة ٢٠٧)[١] . هذا عدا الغوايش الزجاجية الملونة التى أمدتنا الحفائر الأثرية بكميات كبيرة منها ، والتى لا شك فى أنها كانت بمثابة أساور نساء عامة الشعب[٢] . ويحتفظ كل من متحف الفن الإسلامى ومتحف كلية الآثار بجامعة القاهرة بمجموعة ليست قليلة منها . (لوحات ٢٠٥ ، ٢٠٦) ، وفى عصر المماليك رصعت الأساور الذهبية بالجواهر واللؤلؤ فيذكر ابن تغرى بردى (٧١٠هـ/١٣١١م) أن من بين ما عمله السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون لنساء الأعراب العرب « الأساور المرصعة بالجوهر واللؤلؤ »[٣] .

(١) حسين عليوه : الحلى ، ص٥٧٥ ، ٥٧٦

(٢) أحمد عبد الرازق : المرأة ، ص١٦٤

(٣) ابن تغرى بردى : المصدر السابق ، جـ٩ ، ص١٦٨

الدماليج :

ومن حلى الذراع « الدماليج » وسميت بالمعاضد وذلك لتزيينها « العضد وقد وردت أولى الإشارات لها فى العصر الجاهلى .

ومما هو جدير بالملاحظة أن الدملج كان يعرف بالسوار أيضا . والأمثلة القليلة التى وصلتنا منها ليست من العراق بل من مصر ومن مخلفات العصر الفاطمى بالذات[1] .

وتظهر نساء تلبسن الدماليج فى لوحات مصورة من مصر فى القرن ١٣هـ/١٩م[2] وبما أن الدماليج عرفت قبل العصر المملوكى وبعده . وبالرغم من عدم عثورنا على دماليج ترجع إلى مصر فى عصر المماليك ، فإننا نرجح أنها عرفت فى ذلك العصر .

---

(١) زكيه عمر العلى : المرجع السابق ، ص١٩١ – ١٩٤

(٢) انظر : Ebers: Op. Cit., T. I., P. 91.
، لوحة رقم (٢١١) من هذا البحث .

حلية الساق : الخلخال[١] :

الخلخال حلية تلبسها المرأة فى الرجل ، وهو يكون أما من ذهب أو فضة أو نحاس مطلى بالذهب .

والمرأة المستهترة تلبس الخلخالين فى رجل واحدة ، فإذا مشت كان للخلخال صوت يلفت إليها الأنظار[٢] .

يقال تخلخلت المرأة إذا لبست الخلاخيل . ويسمى موضع الخلخال من الساق المخلخل[٣] والخلخال حلية يختص بها الشرق ، تعرفها المرأة جيدا فى معظم البلاد الأسيوية والأفريقية ، والخلخال يتكون من قطعتين مستديرتين من المعدن الأصم أو الأجوف ، النحاس أو الفضة أو الذهب ، وتنتهى واحدتهما بقطعتين كرويتين ، ويثبت فى الخلخال بعض الجلاجل الصغيرة فتحدث صوتا رنانا فى أثناء السير ، ويستلفت اهتمام المارة[٤] .

ولقد تحلت المرأة العربية بأشكال مختلفة من الخلاخيل منها « الحجل » ويبدو هذا النوع من الخلاخيل واضحا فى المخلفات الفنية التى تعود إلى العصر الأموى ، كما نراه واضحا أيضا فى مخلفات العصر العباسى الفنية فمثلا فى بعض تصاوير نسخة أيا صوفيا من « مخطوط الكواكب الثابتة » .

---

(١) الخلاخيل مفردها خلخال والأحجال مفردها حجل وهى الحلقات المعدنية التى تلبسها النساء ، وينتقد صوتها غالبا . وتوجد فى الليالى إشارة إلى المرح الموسيقى المبهج لإحدى الجوارى ، ذلك المرح الذى احتد حتى أسكت صوت خلخالها . وهناك أيضا نصيحة بألا يزور الشاب البالغ الحريم حيث ربات الحجال .

، انظر : هنرى فارمر : الموسيقى والغناء فى ألف ليلة وليلة ، ترجمة حسين نصار ، دار الفكر الحديث ، ص٤٨

(٢) أحمد أمين : قاموس العادات ، القاهرة ، ١٩٥٣م ، ص١٩٤

(٣) ابن سيدة : المخصص ، الجزء الرابع ، ص٤٩

(٤) عبد الرحمن زكى : الحلى ، ص٤٧

ومن أنواع الخلاخيل الأخرى ما هو معروف بـ « الرسوات » ومفردها رسوة ، والتى تتخذ من نظم الخرز والتى ورد ذكر لها فى مصادر فجر الإسلام .

وبالإضافة إلى ما تقدم فهناك إشارات واضحة إلى ضرب من الخلاخيل النسائية ذات الصوت ، أتى الجاحظ على ذكرها عندما وصف جارية كانت « قد خالط صرير نعلها أصوات خلخالها » . ويعتقد أن مثل تلك الخلاخيل كانت تصاغ مجوفة ثم تحشى بقطع معدنية أو حجرية وهذه القطع المحشو بها الخلخال هى التى تسبب فى أحداث تلك الأصوات فى السير[1] .

وكانت العادة الشائعة عند العرب أن تلبس الفتيات أو النساء الصغيرات السن خيطا من الأجراس فى أقدامهن[2] .

ومن الطريف أن العرب كانوا يرون أن تعليق الحلى وخشخشة الخلاخيل على السليم مما لا يفيق ولا يبرأ إلا به ، وقيل فى ذلك :

أيـم يكـون النعـل منـه ضجيعـة كما علقت فـوق السـليم الخـلاخل[3]

والخلخال إنما يطلق على ماله رنين ، فإن لم يكن له رنين فهو الفتح فإن غاص فى الساق فهو الخدمة . وعند العرب صنف من الحلى يصاغ مجوفا ويحشى بالطيب ويسمى ذلك بالكبيس .

ويسمى صوت الحلى بالوسواس أو النقنقة[4] .

والخلخال مشتق من الخلخلة أو من الخيلاء أو من خلخلة الهواء ومصدره الخلخلة يقال خلخل يخلخل خلخلة[5] .

---

(١) زكيه عمر العلى : المرجع السابق ، ص١٩٥ ، ٢٠١

(٢) على زين العابدين : المصاغ الشعبى فى مصر ، ص١٢٣

(٣) الجاحظ : الحيوان ، القاهرة ، ١٩٠٦م ، الجزء الرابع ، ص٨٢ ، ٨٣

(٤) عبد الله عفيفى : المرجع السابق ، الجزء الأول ، ص١٣١ ، ١٣٢

(٥) الشربينى : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص٦٤

ومن الأشعار الطريفة والغريبة التى أوردها كاتب هز القحوف فى تشبيه الخلخال هى : * رقاص طحوننا يشبه لخلخالك * أى رنة خلخال محبوبته وسماعه إذا خطرت ومشت يشبه رنة رقاص الطاحونة ، خصوصا إذا كان خلخالها من النحاس المطلى بالقصدير كما تفعله نساء الأرياف أو من الحديد ، وهذا تشبيه بعيد عن الصحة فالطاحونة لها صوت مزعج عند دوران الحجر كما أنها من الخشب[1] .

وفى عصر المماليك اعتادت النساء أن تتخذ من الخلاخيل زينة لأرجلها . ويروى لنا ابن الحاج كيف جعلت نساء العصر المملوكى الخلخال فوق السراويل حتى تظهر للعيان « وقد ضرب برجلها فى الغالب فيسمع له حس » . كذلك اتخذت نساء الفلاحين خلاخيل لها من النحاس أو الحديد المطلى بالقصدير[2] .

وقد أصبح الخلخال الآن أقل شيوعا ويصنع من الفضة الصماء تلبسه زوجات الريفيين الأغنياء ومشايخ البلد . وهو بالطبع ثقيل جدا ، ويحدث رنينا باصطدامه الواحد بالآخر عند المشى . ومن ثم يقال فى إحدى الأغانى : « رنة خلخالك سلبتنى عقلى »[3].

ويحض الإسلام النساء على إخفاء زينتهن عن الرجال خلا بعض الأقارب وغيرهم وما يلفتهم إلى شخصها وزينتها : « وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت إيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن .. »[4] .

---

(١) المرجع نفسه ، ص٦١ ، ٦٢

(٢) أحمد عبد الرازق : المرأة فى مصر المملوكية ، ص١٦٦ ، ١٦٧

(٣) لين : المرجع السابق ، ص٤٨٥

(٤) القرآن الكريم : سورة النور : الآية ٣١

وتشير نهاية الآية إلى عادة رن الخلخال الذى كان يستعمله نساء العرب من عـــهد الرسول ﷺ ، ولا تزال بعض النساء المصريات يتحلين به[١] .

ويحتفظ متحف الإسلامى ومتحف اندرسون بمجموعة من الخلاخيل والتى ترجـــع إلى مصر فى العصر العثمانى ، كذلك المتحف الاثنوجرافى .

* * *

---

(١) على زين العابدين : المصاغ الشعبى ، ص١٢٣

حلية الأنف : الخزام :

خاتم الأنف يستعمله قليل من القاهريات من الطبقات الدنيا ، وكثير من الريفيات خاصة النوبيات ، والخزام عبارة عن حلقة توضع فى الأنف . وهو يصنع عادة من النحاس ويبلغ قطره من بوصة إلى بوصة ونصف ، ويعلق به عادة ثلاثة خرزات أو أكثر من الزجاج الملون الأحمر والأزرق على العموم . وهو يكاد يوضع دائما فى الجانب الأيمن من الأنف ، ويتدلى بعضه أمام الفم مما كان يضطر لابسته إلى أن تمسكه بيدها عندما تأكل وقد يصنع الخزام من الذهب . وترجع هذه الحلية إلى عهد سيدنا إبراهيم . وهو زينة ليست بالجميلة[١] .

وتذكر زكيه العلى أن الخزامة كحلية من حلى الأنف لم تكن معروفة خلال العصور الإسلامية المختلفة انتهاء بالعصر العباسى . إلا أنها عرفت فيما بعد فى شبه القارة الهندية أبان العصر المغولى أى على الأقل منذ القرن الثالث عشر الميلادى حيث تظهر فى كثير من تصاوير المخطوطات التى تعود إلى ذلك القرن .

ويحتفظ المتحف العراقى بخزامة ذهبية تعود إلى مطلع العصر العثمانى فى العراق[٢] .

---

(١) أحمد أمين : قاموس العادات ، القاهرة ، ١٩٥٣م ، الطبعة الأولى ، ص١٩١ . لين : المرجع السابق ، ص٤٨٧

(٢) حلى إسلامية اقتناها المتحف العراقى – مجلة سومر – الجزء الأول والثانى المجلد الثلاثون ، سنة ١٩٧٤م ، بغداد ، ص٢٨٤ ، ص٢٨٥

الحجـــــاب :

جمعهـا أحجبة . وقـد اشتهر بين العـوام المصرييـن اسـتعمال الأحجبـة . وتكتب الأحجبة بحبر أحمر أو أخضر[1] ، ثم تطبق الورقة وتغطى بقماش مشمع لحمايتـها من النحس أو الرطوبة وتوضع فى علبة صغيرة من الذهب أو الفضة للتـبرك . ويعلـق بخيط من الحريـر ، أو يعلق بسلسـلة على الكتف الأيسر إلى الجانب الأيمـن ، فـوق الحزام . وتنقش هـذه الأغلفـة بنقوش عربيـة أحيـانا ، مثل « ما شاء الله » و « يـا قاضى الحاجات »[2] .

وأكثر الأحجبة اعتبارا مصاحف القرآن . ويعزو المسلمون إلى المصحف وأكـثر الأحجبة قوة كبيرة ، ويعتبرونها حافظة من الأمراض والسـحر والحسـد وغيرهـا مـن المكاره .

ويبدو أن الأحجبة وأغلفتها تمثل جزءا هاما من الحلى والمصاغ الشعبى ، علـى أن هذه الأحجبة أو الأغلفة التى تحمل الرقى أو التمائم ليست وليدة القرن التاسع عشر ، بـل كانت تستخدم منذ عصر الأسرات الفرعونية وما بعدها[3] ويفسر ليونارد كوتريل التميمـة Amulet على أنها شئ يعتقد مقتنيه أن له القوة على درء الشر وأبعاد السوء .

وقد كانت التمائم فى بادئ الأمر أشياء طبيعية حسـب البعـض أن لـها خـواص سحرية ، ومن أمثلة هذه التمائم الأحجار الثمينة أو نصف الثمينة ، أو قطعة غير مشـكلة من الخشب أو الصخر يمكن أن يرى فيها الشخص الواحد المعبودات أو صورة الحيـوان . ومن هنا جاءت الخطوة التالية وهى نحت أو تشكيل شئ عن قصد ليكون صورة لشئ مـن المعتقد أنه يمتلك قوة لدرء الشر عن صاحبها أو لجلب الحظ له . وبعد اخـتراع الكتابـة صارت التميمة مثل تعويذة تكتب على ورقة توضع فى حجاب على شكل دلاية[4] .

---

(١) أحمد أمين : قاموس العادات ، ص٢٥

(٢) لين : المرجع السابق ، ص٤٨٦ ، شكل ١٠٢

(٣) على زين العابدين : المصاغ الشعبى فى مصر ، ص١٢٥ – ١٢٦

(٤) الموسوعة الأثرية العالمية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٧ ، ص٣٦٢

والتميمة تحمل فى الجيوب أو تربط إلى السواعد أو تعلق فـــى الأعنـــاق أو علـــى الصدور أو تخيط إلى الملابس ، أو توضع فى مكان ما للوقاية مـــن مكـــروه أو تحقيـــق غرض يسعى إليه[1] .

---

(١) أحمد آدم محمد : التمائم والأحجبة ، مجلة الفنون الشعبية ، مارس ، ١٩٧١م ، العدد ١٦ ، ص٥٣

حلى الرأس والشعر :

تنوعت حلى الرأس والشعر ومنها ما كان مستعملا منذ العصر الجاهلى واستمر حتى العصور الإسلامية المختلفة . ومنها ما لم يكن معروفا إلا فى العصرين الأموى والعباسى . فمن حلى الرأس والشعر التى عرفتها المرأة منذ العصر الجاهلى « النظم » التى كانت تزين الضفائر والجبين ، وكانت متنوعة منها نظم الودع ، ومنها المنضود بالياقوت والشذر .

ومن النماذج الأخرى لهذا النوع من النظم ما نراه متمثلا فى إحدى تصاوير مقامات الحريرى المحفوظة فى المكتبة الوطنية بباريس والمؤرخة سنة ٦٣٤هـ/ ١٢٣٧م ، فالنظام هنا يزين شعر الرأس من جهة الجبين[١] . ويبدو أن ما اسمته زكيه العلى بالنظم هو ما عرف عندنا بالصفا[٢] .

ويذكر لين عنه أنه من حلى الشعر وفيه يضفر شعر الرأس جميعه – ما عدا ما فوق الجبهة والصدغين – إلى ضفائر يكون عددها فردى دائما ١١ ، ١٣ ، ١٥ ويجدل بالشعر إلى ربع طوله تقريبا ، خيوط سوداء حريرية ثلاثة إلى كل ضفيرة تضم عند القمة أو تربط إلى شريط من الحرير الأسود يشد حول الرأس ، فتدلى خيوط فى هذه الحالة منفصلة تماما عن الضفائر وتكاد تغطيها ، ويسمى الخيط من تلك الخيوط « قيطان » وهى تؤلف معا وبعض الحلى الذهبية ما يسمى « صفا » . ويربط بطول الخيط الواحد ، ما عدا أعلاه إلى الربع تقريبا أو الثلث على الأقصى ، تسعة بروق أو أكثر . وتكون البروق جميعا ذات شكل واحد عادة ، ويوضع الواحد بالنسبة للآخر ، على بعد بوصة أو أكثر قليلا على حدة . ويتعمد وضع حلى الخيوط بحيث لا يقابل بعضها بعضا تماما .

وينتهى كل خيط بأنبوبة ذهبية صغيرة تسمى « ماسورة » ، أو تنتهى بنوع من الخرز الذهبى على شكل مكعب مقطوع الزوايا ، يسمى « حبه » . ويوجد أسفل

---

(١) زكيه العلى : التزيق والحلى ، ص١١ ، ١٢

(٢) انظر لوحات ٢١٧ ، ٢٢٧

الماسورة أو الحبة حلقة صغيرة ، يعلق بها عادة نقد ذهبى تركى يسمى « ربع فندقلى » ذلك هو الوصف العام للصفا . غير أن هناك أنواع أكثر رقة ، حيث تفضل الحبة عادة على الماسورة . ويستبدل بالربع الفندقلى حلية ذهبية مستوية تسمى ، تبعا لشكلها « كمثرى » وهناك أيضا عوضا عن النقد الذهبى حلى أخرى أكثر استحسانا . وأكثرها شيوعا يسمى « شفتشه » ويكون من الذهب المخرم ، ويتوسطه لؤلؤة . ويستبدل بعض السيدات بالنقد الذهبى شرابة صغيرة من اللآلئ ، أو يعلقن على التعاقب لآلئ وزمرد إلى أسفل الخيوط الثلاثية ، ويربطن لؤلؤة إلى كل برق . ويسمى الصفا المكون هكذا مع اللؤلؤ « صفا لولى » . وقد يربط الخرز مع المرجان على طريقة اللؤلؤ . ويبدو مما سبق أن الصفا المتوسط ذى الثلاث عشرة ضفيرة يتكون من ٣٩ خيطا و ٣٥١ برقا ، ٣٩ ماسورة أو حبة و ٣٩ نقدا ذهبيا أو حليا أخرى .

ويعقب لين على ما قاله بأن الصفا أجمل الحلى التى يستعملها سيدات مصر وأغربها[١] ، ومن حلى الرأس عند المرأة « التاج » وهو الأكليل ، والأكليل كما يقول الفيروزابادى شبه عصابة مكلل بالجوهر أيضا والتاج ما يصاغ من الذهب والجوهر . وقد عرفت المرأة العربية باستعمال التاج كحلية رأس منذ العصر الأموى .

هذا ونلاحظ أن أغطية الرأس قد تحلت بقطع من الحلى لتزيد المرأة جمالا ومن هذه الأغطية العصائب[٢] .

ويذكر لين مجموعة من أغطية الرأس المزينة بقطع من الحلى فيقول عن غطاء الرأس أنه يتكون من طربوش وفروديه أو منديل ، ويسمى الأخير عندما يلف حول السابق ربطه . وكثيرا ما تزين الربطة بصفائح من الفضة المذهبة أو الساذجة ، مرتبة فى نماذج تصويرية . وتكون الربطة نفسها فى هذه الحالة ،من الموصلى أو الكريشة من اللون الأسود أو الوردى على العموم .

---

(١) لين : المصريون المحدثون ، ص٤٨٤ ، ٤٨٥
، كلوت بك ، لمحة عامة إلى مصر ، الجزء الأول ، ص٦١٠
(٢) انظر ص٢٥٩ – ٢٦١ ، من هذا البحث .

و « المزاجى » وهى حلية كثيرة الاستعمال ، وتتكون من شريط من الموصلى الأسود أو الوردى اللون ، تطوى جملة طيات ، بحيث تكون رباطا ضيقا ، بعرض الأصبع أو أقل . وطولها خمسة أقدام تقريبا . ويزين وسطها ، باتساع حوالى اثنتى عشرة بوصة ، أو ثلاث عشرة ، صفائح توضع متلاصقة ، أو على شكل معين ويزين طرفاه بالاتساع نفسه تقريبا ببعض صفائح أخرى ، ويحد كل منهما حاشية وشراريب صغيرة من الحرير المختلف الألوان .

(القرص) حلية محدبة مستديرة ، قطرها خمس بوصات تقريبا فى العادة وتلبسها على العموم عقائل النساء . وهى تخاط على قمة الطربوش . وهى نوعان :

النوع الأول : والذى تلبسه عقائل النساء وزوجات التجار ذوى الثروة المتوسطة وهو « قرص الماس » . وهو يتكون من ماسات تركب من ذهب على العموم ، وتكون على طرز المخرم ، على هيئة ورود وأوراقها . ويندر أن يكون القرص من الفضة . وإذا كان القرص من الذهب وعلق على طربوش[1] أحمر قان فإنه يعطى تأثيرا فخما .

(القصة) حلية يتراوح طولها بين سبع بوصات أو ثمان ، وتتكون من ماس مسكوب فى ذهب ، يضاف إليها أحيانا زمرد وياقوت ولؤلؤ ، ويعلق بها أقراط من الماس أو الزمرد . وتوضع القصة فى مقدمة الربطة . وتوضع القصة على رأس العروس خارج طرحتها ، كما يوضع القرص أيضا . ويلبس نساء الطبقتين العليا والوسطى القصة أيضا .

(العنبة) اسم آخر لنفس النوع يلبس بنفس الطريقة ، ويحيط أكثر من نصفه بغطاء الرأس .

« الشواطح » مفردها شاطح حليتان تتكون كل منهما من ثلاثة صوف من اللؤلؤ أو أكثر ، بطول القصة تقريبا ، تجمعها فى الوسط زمردة مثقوبة مثل عقد اللؤلؤ العادى . أو تتكون من لآلئ مرتبة على هيئة شريط ضيق ويضاف إليها أحيانا بعض

---

(١) انظر لوحة رقم (٢١٦) من هذا البحث .

زمردات صغيرة . وتثبت الشواطح بالربط على هيئة اكليلين ، واحد على كل جانب من الرأس ، من طرف القصة إلى خلف غطاء الرأس ، أو إلى القرط أحيانا .

وتلبس النساء بدلا من القصة والشواطح ، أو علاوة عليها أحيانا حليا أخرى منها : « الريشة » حلية من الماس مركبة فى ذهب أو فضة . وتلبس فى صدر غطاء الرأس أو فى جانبه .

« الهلال » هلال من الماس مركب فى ذهب أو فضة ، ويلبس مثل الريشة . ويشبه فى الشكل القمر فى الليلة الثانية أو الثالثة من الشهر . وهو قليل الاتساع ، وطرفاه لا يتجاوزان نصف الدائرة .

« القمرة » حلية مكونة من صفيحة ذهبية بأشغال تصويرية ، وأحيانا بكلمات عربية ، وبها حوالى سبع قطع ذهبية مستوية صغيرة ، تسمى الواحدة منها برقا يربط بالجزء الأسفل ، أو تتكون من ذهب أو ماس وياقوت .

« الساقية » وتسمى كذلك لهيئتها وهى حلية مستديرة مستوية من الذهب المخرم ، بها لآلئ صغيرة ، ويتوسطها ماسة أو حجر كريم آخر . ويعلق بالجزء الأسفل منها بروق وزمردات ، وتلبس على طريقة القمرة أو معها .

« عود الصليب » نوع من الحلى لا شك مستعار من المسيحيين . والمدهش أن تلبس المسلمات هذه الحلية وتسميها هذه التسمية . وعود الصليب قطعة صغيرة من الخشب تدق فى طرفيها أكثر من الوسط . وتغلف بغلاف ذهبى الشكل نفسه وتتكون من قطعتين متصلتين فى الوسط ، ولها سلسلتان ومشبك تعلق منها ، وصف من البروق بطول أسفلها . ويلبس عود الصليب مكان الحليتين السابقتين أو علاوة عليهما .

« المشط » مشط صغير من الذهب ، يلبس بالطريقة نفسها مثل أنواع الحلى الثلاث الموصوفة ، علاوة على حلية أو أكثر من تلك الحلى[1] .

---

(١) لين : المصريون المحدثون ، ص٤٧٦ ، ٤٨١

الشـــكمجيـــــة :

من الطبيعى ، إزاء مـــا للحلى والجواهر من قيمـــة مادية كبيرة ، أن يفكر القــــوم فى طريقة للمحافظة عليها من العبث أو السرقة ، فشاع اســـتعمال علـــب خاصـــة لـــهذا الغرض[١] .

وصناديق حفظ الحلى خاصة بسيدة المنزل ولا يســـمح لأحـــد بلمســـها . ويرجـــع المظهر الحسن ولمعان هذه العلبة إلى تطعيمها بالعاج والأبنوس على الطراز العربى وفـــى العصور الوسطى حيث كان للبلاط الملكى أماكن خاصة لتخزين حلى النساء (الزوجـــة – الأبناء – الخدم) اللائى يطلق عليهن الحريم – والتى تبدو للغرب أنه سلوك ســـئ – ولا يسمح لأحد غريب بالدخول بهذه الأماكن وبذلك يمكن حفظ الحلى من السرقـــة وبذلـــك لا يكون من الضرورى غلق علبة حفظ الحلى وكان من العـــادة أن توضـــع مفتوحـــة علـــى منضدة من نفس الطراز أو تحفظ فى مخدع صغير للبنت البكر . وأحيانا كانت توضع فـــى كابولى أو فى حجرة الاستقبال وعلبة الحلى مستطيلة الشكل ذات خمـــس أوجـــه ويوجـــد الباب فى الوجه الأمامى وهو مزين بنقط ومتصل بالصندوق بمفصلتين وعند فتـــح البـــاب تستخرج الحلى ويوجد قفل صغير بمفتاح فى الجزء العلوى من الباب لأحكام القفل .

والدرج الذى يحفظ به الذهب والأحجار الكريمة فى المنتصف لأهميتها وعلى كـــل جانب من هذا الدرج يوجد حلقة أو حلقتين ثمينتين .

ويحتوى متحف الفن الإسلامى بالقاهرة على مجموعة مـــن الشـــكمجيات ويشـــبه إحداهما المنضدة الصغيرة ، وتكون هذه الصناديق ذات تكاليف مرتفعة . ويحتفظ متحـــف المنيل بصناديق رائعة للحلى وأيضا نجد الكثير مـــن تلـــك الصنـــاديق بمتحـــف جـــاير اندرسون[٢] . وجميعها ترجع إلى مصر أو سوريا فى العصر العثمانى وهذه الشـــكمجيات تأخذ شكل صندوق مستطيل وغالبا ما يكون غطائها على هيئة هرم ناقص .

---

(١) أحمد ممدوح حمدى : معدات التجميل بمتحف الفن الإسلامى ، ص١٢٧

(2) Hussein Rashed, The Casket for Jewels, Egypt Travel Mayazine, January 1957, No. 29, P. 34-37.

ويحتفظ متحف الفن الإسلامي بالقاهرة بصندوق مستدير من العاج (لوحـــة ١٨٣) قاعه مزخرف بزخرفة عبارة عن طائرين متقابلين . كما يحتفظ بـــالمتحف البريطـــانى[١] بلندن بصندوق مستدير من العاج المخرم بزخارف هندســـية وكتابـــات نســـخية . وكـــلا الصندوقان من صناعة القاهرة فى القرن ٨هـ/١٤م .

ويرجح أن تكون هذه الصناديق الصغيرة قد استخدمت فى حفظ الحلـــى وبـــالذات الأنواع المستديرة كالخلاخيل والأســـاور أو الأطـــواق . هـــذا وقـــد عرفـــت الصنـــاديق المصنوعة من العاج واستخدمت فى حفظ الحلى والمجوهرات فى أواخر العصر الأمـــوى فى الأندلس وعصر ملوك الطوائف .

ومن أقدم هذه العلب علبة أمر بعملها الحاكم المستنصر بالله للسيدة أم عبد الرحمـــن على يد درى الصغير سنة ٣٥٣هـ/٩٦٤م[٢] .

ويرجع إلى عصر ملوك الطوائف صندوق عمل بمدينة قونكة بأمر الحاجب حســـام الدولة ابن محمد إسماعيل بن أمير طليطلة المأمون فى سنة ٤٤١هـ/١٠٥٠م .

ولقد كانت هذه الصناديق العاجية ذات الزخارف المنقوشة أو المحفورة أو المفرغـــة تستخدم بجانب استخدامها فى حفظ الحلى كعلب للعطور أو للحلوى أو لأغـــراض أخـــرى مشابهة . وكانت فى أكثر الأحيان – كما تشهد بذلك العبارات التى قد تكون مكتوبة عليـــها تصنع لغرض الهدايا . وأقدم هذه الصناديق من اثمن وثائق الفن الإسلامى فـــى بدايتـــه ، وقد أعجب الغربيون بهذه الصناديق واقبلوا على حيازتها لحفظ الحلى وأصبحت من هدايـــا العرس الجميلة فى أفراح الأمراء[٣] .

* * *

(١) زكى محمد حسن ، أطلس الفنون والتصاوير الزخرفية . القاهرة سنة ١٩٥٦م ، ص١٤٥ شكل ٤٣٦

(٢) د. حسن الباشا : مدخل إلى الآثار الإسلامية ، دار النهضة العربية ١٩٧٩م ، ص٤٤٣ - ٤٤٥

(٣) كرستى ، ارنولد ، بريجز : تراث الإسلام ، القاهرة ، ١٩٣٦م ، الجزء الثانى حاشية (١) ص٨٥

الفصل الأول

سابعًا : الملابس

سابعًا : الملابس

اهتمت المرأة المصرية فى العصر المملوكى – كسابقتها فى العصور السالفة – بأناقتها فارتدت الثياب المصنوعة من أنفس وأثمن المنسوجات . وقد أجمع الرحالة الأجانب الذين زاروا مصر فى هذه الفترة بأن ملابس النساء كانت من الأقمشة الرقيقة الفاخرة الجيدة النسج ، المصنوعة من الحرير[1] أو التيل الرقيق أو القطن أو الكتان الإسكندرى[2] .

وكلنا نعلم أن المماليك بمصر كانت لهم القصور الشامخة التى تعج بالحاشية والجوارى والخدم والمحظيات وكان من الشائع فى الدول المحاربة لمصر أن أكبر غنيمة يغنمها الجندى المقاتل إذا استطاع أن يقتل جنديا مصريا هى الاستيلاء على ملبوسه وسلاحه وفرسه وسرجه وكلها كانت منزلة بالذهب مصنوعة من الحرير فإذا كان لبس الجندى فى القتال – وليس فى الأحوال العادية – هكذا فكيف كان لباس المرأة وحليها وجواهرها[3] .

ويذكر ابن شاهين وهو يتحدث عن الخوندات (زوجات السلاطين) أنه « لو أردنا وصف ملبوس كل منهن وتجمل بيوتهن لاحتاجنا إلى عدة مجلدات » وربما بدأ هنا بذكر الملبس نظرا لكثرته وتنوعه والاهتمام بزركشته ونسجه ولكنه للأسف لم يذكر لنا أية تفاصيل عنه[4] .

---

(١) وقد أحل الشرع لبس الحرير للنساء إباحة تامة فيذكر عن الرسول ﷺ أنه أخذ حريرا وذهبا وقال : « هذان حرامان على ذكور أمتى حل لأناثهم » .

، ابن حجر العسقلانى : فتح البارى ، جـ١٠ ، ص٣٠٩ ، ٣١٠

(٢) Schefer (G): Le Voyage d'Outermer de Jean Thenaml Paris, 1884, P. 56, 57.

، جاستون فييت : القاهرة ، مدينة السفن والتجارة، بيروت ١٩٦٨م ترجمة مصطفى العبادى ص١٤٦

، سعيد عاشور : نساء القاهرة فى عصر المماليك ، ص٥٧٣

Aly Mazaheri: Op. Cit., P. 198.

(٣) حسن الهوارى : أثر المرأة فى الفن الإسلامى ، ص٤٢٦

(٤) ابن شاهين : المرجع السابق ، ص١٢١

ومن الجدير بالذكر أنه انتشر الطاعون فى عام ٨٤١هـ/١٤٣٧م فاستشار السلطان برسباى القضاة لمعرفة سبب هذا الوباء متسائلاً عن الأعمال السيئة التى أغضبت الله حتى أهله بهم . فجاءت الإجابة تشير إلى النساء اللاتى يتمشين ليلاً ونهارًا فى الشوارع بملابس غالية فاتخذوا قرارًا بمنع السيدات من الذهاب إلى الأسواق ، وطلب تحديد هذا المنع فقط للسيدات اللائى يتزين بشدة مع السماح للنساء الكبيرات السن والأرامل اللاتى يشتغلن بالأسواق وللعبيد من النساء بدلاً من السيدات وكان عليهن كشف وجوههن حتى لا تتخذ السيدة ملبس الجارية(١) .

وكان ابن الحاج من أنصار اتخاذ قوانين رادعة بالنسبة لوجود السيدات فى الأسواق لأن التاجر عليه أن يكون نشطًا فى حانوته ومركزًا على تجارته وليس مشغولاً بالملابس الشفافة أو الأكمام القصيرة أو بعض النبرات الناعمة فهو ضد خروج السيدات بملابس معتنى بها ومصاغ والمشى بخيلاء وسط الرجال والسيدات اللاتى يتمشين بملابس خفيفة على ضفاف النيل . ويرى أنه على الزوج شراء الملابس والمصاغ لزوجته(٢) .

ويبدو أن زى النساء فى عصر المماليك ، كان دائم التغيير على حسب تغير الزى – فى ذلك الوقت . وليس تغيير الأزياء وتبديلها عند النساء فى الحقيقة إلا ضربا من مللهن للنظام الاجتماعى ، فهن أسرع الناس إلى الملل والرغبة فى التغيير ولعل مرجع تلون الأزياء والملابس وتنوعها لدى النساء فى مختلف أدوار التاريخ ، إلى اختلاف الذوق والأهواء ومراعاة البيئة المحلية خاصة عندما تلعب الظروف الاجتماعية دورا هاما فى تشكيل هذه الأزياء ، ومما لا شك فيه أن لكل عصر طابعه الخاص الذى يمتاز به من غيره وبخاصة فى أحواله الاجتماعية . فالمرأة فى مصر فى عصر المماليك كانت تختلف اختلافا كبيرا عنها بعد الفتح العثمانى لمصر(٣) .

(1) Roymond et G. Wiet: Les Marshes du Caire, Caire, P. 81.
(2) Ibid, P. 78.

(٣) أحمد عبد الرازق : المرأة ، ص١٦٨ ، ١٦٩
، زينات طاحون : اللباس فى العصر المملوكى ، رسالة دكتوراه ، كلية الاقتصاد المنزلى ، ص٨٧

والواقع أن نساء القاهرة فى عصر المماليك كثيرًا ما بالغن فى ثيابهن سـواء مـن ناحية الهيئة أو القيمة[1] .

وتنقل لنا المصادر تنوع ملابس المرأة المملوكية من ملابس ترتديها داخل المـنزل وملابس خارجه بالإضافة إلى أغطية الرأس والحجب وملابس القدم .

ونحن إذا علمنا أن العروس فى كل زمان ومكان تحمل معها إلـى بيـت عريسـها الكثير من الثياب الجديدة ، فيكون من المؤكد أن عروس مصر المملوكية – التـى خلقـت فى بلد أشتهر منذ القدم بتقدمه فى صناعة النسيج وفنونها المختلفـة وفـى عصـر سـاده الرخاء والثراء – كانت تحمل فى جهازها صناديقًا وبقجا عديدة مملوءة بأصنـاف الثيـاب الفاخرة من ملابس داخلية وخارجية وحجب وأغطية للرأس وأخفاف وسراميز وقباقيب .

ومن الملاحظ أنه بالملابس تكتمل زينة العروس فهى إذا ارتدت الثيـاب الموشـاة والمزركشة بالذهب والفضة والجواهر وتحلت بالأصناف المتعددة من الحلى والجواهـر ، وتمشطت وتكحلت وتعطرت ووضعت الدهانات والمساحيق تكون فى كامل فتنتـها التـى تحرص على أن تبدو بها دائمًا أمام عريسها .

* * *

(١) د. سعيد عاشور : نساء القاهرة فى عصر المماليك ، ص٥٧٣

وفيما يلى نعرض لأنواع تلك الملابس :

الملابس الداخلية :

أنه من الصعوبة بمكان تناول الملابس الداخلية للمرأة بالدراسة والسبب فـــى ذلـــك يرجع إلى مسميات هذه الملابس كما وردت فى المعاجم اللغوية وفى المراجع التاريخيـــة ، وأهم من ذلك أن المصورين للتحف الأثرية كان من الصعب عليهم أن يقفوا على الملابـــس التى ترتديها المرأة داخل منزلها وفى التحف الأثرية الأخرى كالمعـــادن والخـــزف كـــان الفنان يعرض نماذجه بصورة وبهيئة لا تجرح شعور المـــرأة فـــهو يصورهـــا محتشـــمة بملابسها الخارجية فى بلاطها أو قصرها أو خارج دارها[1] .

المئـــــــزر :

المئز نوع من السراويل[2] التى تصل إلى الركبتين ، ويعتبر ثوبا تحتانيا ، ويحتمـــل أنه يطابق فى طريقة تفصيله ما كان يلبسه الرجال ، فى الحمامات العامة[3] ، ومما يذكـــر أنه عند غسل الملك المؤيد – ٨٢٤هـ–١٤٢١م لم يجدوا له مئزرا يسترون بـــه عورتـــه حتى أخذوا مئزر بعض الجوارى النائحات وهو مئزرا أسودا خشنا[4] .

---

(١) زينات طاحون : اللباس فى العصر المملوكى ، ص٨٧ ، ٨٨

(٢) السراويل أعجمية أعربت وأنثت جمع سرواله أو سروال أو ســـرويل ، والســـراوين لغـــة أخـــرى والشروال لغة ثالثة حكاها السجستانى عن بعض العرب وخص به ما تسمى بالبنطلون ، وهو لباس ذو ساقين طويلين يستر النصف الأسفل من الجسم ومعه سراويلات .

أحمد رضا : معجم فن اللغة ، بيروت ١٩٥٩م ، مجلد ٣ ، ص١٤٦

ويطلق على السروال أيضا السربال ، وهو القميص من أى جنس كان قال ســـرابيلهم مـــن قطـــران سرابيل تقيكم بأسكم أى تقى بعضكم من بـــأس بعض الراغب الاصفهانى : مفـــردات فـــى غريـــب القـــرآن – فى الهامش الأيسر من الصفحة ١٤٧ ، من الجزء الثانى لنهاية ابن الأثير ص١٤٧

(٣) ماير : الملابس المملوكية ، ترجمة صالح الشيتى ، مرجعة وتقديم د. الهيئة المصرية العامة للكتـــاب ١٩٧٤ ، ص١٢٤

(٤) دوزى : المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب ، ترجمة د. أكرم فـــاضل – وزارة الإعـــلام مديرية الثقافة العامة بغداد ١٩٧١ ، ص٤٠

وقد ورد فى أحد عقود الزواج التى ترجع إلى نهاية عصر المماليك ، أن المئزر كان يباع بستة دراهم مؤيدية[١] .

وبالرجوع إلى الآثار الإسلامية التى ترجع إلى العصر المملوكى لم نجد صورة لسيدة ترتدى هذا الإزار الداخلى وذلك لأنه قصير فلا يظهر من تحت الثياب الفوقانية[٢] .

ويبدو أن استعمال النساء للسراويل الطويلة كان شائعًا ودليلنا فى ذلك ما أشارت إليه المصادر عند ذكرها مقتل شجرة الدر التى عثر على جثتها فى حفرة « اسفل القلعة بدون شئ يسترها سوى قميص وسراويل وقد شدت هذه السراويل إلى وسطها بواسطة رباط نفيس « تكة » استولى عليها بعض أراذل العامة[٣] . وما ذكره المقريزى من أن السلطان الظاهر بيبرس قد قطع أيدى جماعة من النواب الولاة والمتقدمين والخفراء ، لأنه رأى بعض المتقدمين وقد أمسك امرأة وعراها سروالها[٤] ، كما روى أيضًا فى حوادث سنة ٧٤٢هـ/١٣٤١م أنه أبيع سراويل زوجة الأمير أقبغا بن عبد الواحد عقب مصادرته بمائتى ألف درهم فضة[٥] . كما ذكر أنه عندما أوقعت الحوطة على علم الدين إبراهيم وجدت لديه أشياء كثيرًا جدًا منها أربعمائة سروال لزوجته[٦] . وأشار ابن تغرى بردى — فى حوادث سنة ٧٧١هـ/١٣٧٠م فى سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين — أنه

(1) Ashtor: L' Evolution des prix dans le proche-orient a la basse-epoque, Jesho, IV (1961), P. 42.

، أحمد عبد الرازق : المرأة ، ص١٧٠

(٢) زينات طاحون : اللباس ، ص٨٩ ، ٩٠

(٣) المقريزى : السلوك ، جـ ، ص٤٠٤

، ابن أياس : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٩٢

، ماير : المرجع السابق ، ص١٢٤

، أحمد عبد الرازق : المرأة ، ص١٧٠

، زينات طاحون : اللباس ، ص٩٠ ، ٩١

(٤) السلوك : جـ١ ، ص٥٤٠

(٥) السلوك : جـ٢ ، قسم ٣ ، ص٥٦٤

(٦) المصدر نفسه جـ٢ ، قسم ٢ ص٣٤٨ ، ٣٤٩

عثر لدى الوزير الصاحب شمس الدين موسى بن أبى إسحاق على أشياء لا توصف منها أربعمائة سروال كانت ملكًا لزوجته(١) .

وهذه الإشارات تؤكد شيوع هذا الزى طوال عصر المماليك ، ومن الواضح أن السراويل استرعت انتباه الرحالة الأجانب الذين زاروا مصر على عصر المماليك ، فسجلوها فى رسومهم النسائية التى دعموا بها كتب الرحلات(٢) ، وذهب البعض منهم إلى الإدعاء بأن هذه السراويل النسائية كانت من الجلد(٣) المزين بأشغال التخريم وأن النساء كن يرتدين هذا الزى دون الرجال(٤) .

ويبدو أن إقبال النساء عمومًا على ارتداء السراويل كان بسبب حث الإسلام على لبسها(٥) . ويتضح مما جاء فى كتاب المدخل لابن الحاج أن النساء فى عصر المماليك قد اعتدن ارتداء هذه السراويل خارج المنزل ، لأنه يعيب عليهن بقائهن « فى بيوتهن .. بغير سراويل ... ولا يلبسن السراويل إلا عند الخروج »(٦) . ومع ذلك فقد شاع

(١) ابن تغرى بردى . المصدر السابق ، جـ١١ ، ص١١٠ ، ١١١

(2) Arnold Von Harff: Die pilgerfahrt, Galn 1860, P. 106.

(3) Dopp: Le Caire vu par les Voyageurs Occidentaux du Moyen Age, P. 47.

(4) Ahmad Abd Ar-Raziq; Le Femme au temps des Mamlouks en Egypte, Le Caire, 1973, P. 253.

، أحمد عبد الرازق : المرأة ، ص١٧١

(٥) ذكر د. عبد المنعم ماجد أنه وردت أحاديث عن الرسولﷺ تدعو النساء إلى لبس السروال ، منها « يرحم الله المتسرولات من النساء » .

انظر : عبد المنعم ماجد : نظم دولة سلاطين المماليك ، جـ٢ ، ص٨٥ ، ٨٦

ولكنى بحثت فى كثير من كتب الأحاديث الشريفة كصحيح البخارى وسنن ابن ماجه فلم أجد هذا الحديث .

انظر : البخارى (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه) : صحيح البخارى ، طبع دار الطباعة بالقاهرة ، ١٢٨٦هـ جـ٤ ، ص١٩

، ابن ماجه : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص١١٨٥

(٦) ابن الحاج : المدخل جـ١ ، ص٢٤١ ، ٢٤٢

استخدام السراويل إلى درجة أن أطلق عليها فى فترة متأخرة من العصر الجركسى اسم « لباس » ويقصد بها ملبس وهذا يفسر شعبيتها[1] .

وكانت السراويل تصل إلى الكعب . وتطرز نهاية هذه السراويل بخيوط من الحرير أو الذهب أو الفضة ، أو تحلى بالأحجار الكريمة أو اللآلئ وضع السيدة فى المجتمع[2] .

ونستشف مما جاء بأحد المصادر التى وصفت تكة شجرة الدر من أنها كانت من حرير وفيها ثلاثة اكرلولو وياقوت ومسك وند وغير ذلك "[3] أن التكك فى عصر المماليك كانت تصنع من الحرير وتزين بالأحجار الكريمة (الجواهر)[4] . وبقطع من المواد العطرة كالمسك والند وهى فى حالتها الصلبة . وفى الواقع لم تتنوه « القوائم » التى تتضمن جهاز العرائس والمرفقة بعقود الزواج التى ترجع إلى العصر المملوكى بهذه السراويل أو حتى — وهو أكثر أهمية — بأربطة تلك السراويل النفسية[5] .

---

(١) ماير : المرجع السابق ، ص١٢٥

(٢) جاستون فييت : القاهرة ، مدينة الفن والتجارة ، ص١٤٦

(٣) إبراهيم بن وصيف شاه : كتاب تاريخ أخبار الديار المصرية وما فى ذلك من جواهر البخور ووقائع الأمور وعجائب الدهور .
مخطوط بدار الكتب المصرية ، الخزانة الزكية رقم ٥٧ ص٨١ (وجه) ونلاحظ فى هذا المخطوط إطلاق لفظ الدكة على التكة .

(٤) يبدو أن التكك النفيسة المزينة بالجواهر ، كانت متوافرة بالأسواق فى زمن الطولونيين . فيذكر السيوطى فى أحداث سنة ٢٨٢هـ/٨٩٦م فى معرض حديثه عن زفاف قطر الندى بنت خمارويه بن أحمد بن طولون فى مصر إلى الخليفة المعتضد أنه كان بجهازها « ألف تكة بجوهر » .
ويذكر المقريزى نقلا عن القاضى القضاعى « أنه طلب لقطر الندى ابنة خمارويه بن أحمد بن طولون ألف تكة بعشرة آلاف دينار من أثمان كل تكة بعشرة دنانير فوجدت فى السوق فى أيسر وقت وبأهون سعى » .
انظر : السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ٢ ، ص١٩٧
، المقريزى : الخطط ، جـ١ ، ص٣٣٠

(٥) ماير : المرجع السابق ، ص١٢٥

ومن الجدير بالذكر أنه ورد ذكر للتكة فى أماكن متفرقة من ألف ليلة وليلة[1]. ومن المعروف أن أفخر التكك وأثمنها هى التكك الأرمينية[2].

وقد كانت التكة هى الهدية الأولى التى تهديها عشيقة لعشيقها ، ومن ثم كانت نبع غزير للنوادر والملح[3].

هذا وقد استمرت نساء مصر فى لبس السراويل بعد عصر المماليك (لوحة ٢٢٤) وأطلق عليها لين اسم « شنتيان » وهى واسعة وتكون من الحرير أو القطن المطبوع أو المطرز أو من الأبيض وتشدبتكة حول الوركين تحت القميص أما أطرافها السفلى فتشد من أعلى وتربط تحت الركبتين تماما إلا أن طولها يهبط بها حتى القدمين وغالبا إلى الأرض[4].

وعن ذكر السروال لا بد من ذكر رباطه ألا وهو التكة[5] فالسراويل لدى الشرقيين ليست لها فتحة من الأمام ومن ثم ليست بها أزرار ولربطها يستخدم تكة وتفسر هذه الكلمة برباط السراويل .

والتكة هى شريط مشغول مطرز فى طرفيه بالحرير الملون بالرغم من أنه مخفى بالملابس التى فوقه وهو بالتفافه حول الجسد يساعد على ربط السروال[6].

---

(1) Dozy: Vetement, P. 96, 97.
(2) Ibid, P. 97.

(٣) الوشاء المرجع السابق ، جـ٢ ، ص٢٢٧

(٤) لين : المرجع السابق ، ص٤٢ ، ٤٣

(٥) التكة فى العامية الدكة ، دكك السراويل وضع فيها التكة ، إبراهيم مصطفى وآخرون : المعجم الوسيط ، جـ١ ، ص٢٩١

وجمعها تكك وتسمى الآلة التى تستك بها التكة بالمدك والصواب المتك .

وموضوع التكه يسمى بالحجزة والحبكة والحدل .

رشيد عطية اللبنانى : المرجع السابق ، ص١٣٦

ويسمى موضع التكة حجزة السراويل . ابن سيدة : المخصص ، ص٨٣

(6) Dozy: Dictionnaire Detaille des Names Vetements Cheg les Arabes, Amsterdam 1845, P. 95.

القميـــــص :

اعتادت النساء أن يرتدين فوق هذه السراويل قمصانا ، عدت أيضا مــن الملابـس الداخلية ، وكانت تظهر من تحت ملابسهن الفوقانية ، مما ترتب عليه غضب المســئولين فى الدولة المملوكية إذ حدث سنة ٧٥١هـ/١٣٥٠م أثناء وزارة الأمير منجك « الخواتيـن نساء السلطان وجواريهن أحدثهن قمصانا طوالا تخب أذيالها على الأرض ، بأكمام ســعة الكم منها ثلاثة أرذع ، فإذا أرضته الواحدة منهن غطى رجلها وعرف القميص منها فيمـا بينهن بالبهطلة ومبلغ مصروفه ألف درهم فما فوقها وتشبه نساء القاهرة بهن فى ذلك حتـى لم يبق امرأة إلا وقميصها كذلك . فقام الوزير منجك فى إبطالها ، وطلب والــى القــاهرة ورسم له بقطع أكمام النساء ، وأخذ ما عليهن »[1] .

فاشتد الأمر على النساء وقبض على عدة منــهن وأخــذت أقمصتــهن . ونصبـت أخشاب على سور القاهرة بباب زويلة وباب النصر وباب الفتوح ، وعلق عليــها تمــاثيل نساء عليهن تلك القمصان بهيئة نساء قد قتلن عقوبة على ذلك إرهابا لهن وتخويفــا[2] بــل وصل الحد بهذا الوزير إلى أن طلب والى القاهرة ورسم له بقطع أكمام النســاء وأخذهـا عليهن وبعث بعض أعوانه إلى بيوت أرباب الملهى حيث كانت توجد كثير مــن النســاء فهجموا عليهن وأخذوا ما عندهن من ذلك ، وبالغ منجك فى الفحص عن ذلك حتــى أمــر بالهجوم على مناشر الغسالين ودكاكين باعة الملابس وأخذا ما فيها مــن قمصــان النســاء وتقطيعها ، كما وكل مماليكه بالشوارع والطرقات ، فقطعوا أكمام النساء ، وهدد بأنه متـى وجدت امرأة عليها شئ ممانع ، أخرق بها وأخذ ما عليها[3] ، فامتنعت النساء من لبس مــا أحدثته من تلك المنكرات[4] .

---

(١) المقريزى : السلوك ، جـ٢ ، قسم ثالث ، ص٨١

(٢) المصدر نفسه ، جـ٢ ، قسم ٣ ، ص٨١
، الخطط ، جـ٢ ، ص٣٢٢

(٣) د. أحمد عبد الرازق : المرأة ، ص١٧٢ ، ١٧٣

(٤) المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص٣٢٢

ويبدو مما ذكره المؤرخون أن هذا التشديد لم يدم طويلا فقط عـادت النسـاء إلـى ارتداء القمصان الطويلة ذات الأكمام الكبار حتى أفرطوا فى ذلك وخرجوا عن الحد ممـا اضطر الأمير كمشبغا نائب الغيبة ٧٩٣هـ/١٣٩١م - الذى ساس الناس سياسـة حسـنة ومنع أى فسق أو فجور مدة مباشرته الحكم فى هذه الغيبـة - ينـادى - فـى رمضـان ٧٩٣هـ/١٣٩١م يمنع النساء من لبس القمصان ذات الأكمام الكبار ، وشدد فى ذلك إلـى أن رتب مجموعة ليقطعوا أكمام من توجد أكمامها واسعة(١) . لأن النساء كانوا قد أفحشـوا فى ذلك حتى خرجوا عن الحد(٢) . فقد عمدت النساء إلى توسيع الأكمام مع قصـر الكـم ليبدين جمـالهن ورفع العلماء أصواتهن محتجين على هذا الزى ، واستنكر ابـن الحـاج قائلا : « ويجب أن يمنعن من توسيع الأكمام التى أحدثنها مع قصر الكـم فـإذا رفعـت المرأة يدها ظهرت أعكافها ونهودها وغير ذلك وهذا من فعـل مـن لا خـير فيـه مـن المتبرجات(٣) .

وقد كان القميص الواحد يفصل من اثنين وتسعين ذراعا من البندقى الذى عرضـه ثلاثة أذرع ونصف ، فيكون مساحة القميص زيـادة علـى ثلثمائـة وعشـرين ذراعـا . وامتنعت النساء عن لبس القمصان الواسعة مدة تولى الأمير كمشبغا نيابة الغيبة وارتـدوا قمصانا صنعت بأمر هذا الأمير حملت اسمه فعرفت باسم « القمصـان الكمشـبغاوية » كانت تفصل من أثنى عشر ذراع فقط من البندقى وكانت أكمامها كالقمصان التى ترتديـها البدويات . ثم عدن إلى ذلك بعد عودة السلطان برقـوق مـن بـلاد الشـام إلـى الديـار المصرية(٤) .

---

(١) ابن حجر العسقلانى : أبناء الغمر بأبناء العمر ، تحقيق د. حسن حبشى القاهرة ، ١٩٦٩ ، جـ١ ، ص٤١٨

، ابن اياس : المصدر السابق ، ط١ ، جـ١ / قسم ثانى ، ص٤٤٨ ، ٤٤٩

(٢) ابن الحاج : المدخل ، جـ١ ، ص٢٠٣

(٣) المصدر نفسه ، نفس الصفحة .

(٤) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، المجلد التاسع ، الجزء الثانى ، ص٢٦٨

، ابن تغرى بردى : المصدر السابق ، جـ١٢ ، ص٣٠

ومن الجدير بالذكر أن الإفراط فى اتساع أكمام القمصان وطولها قد امتد إلى نساء الفلاحين . فقد ذكر أحد المعاصرين أن ملابس نسائهم « على شكل الشعراء فى وسع الأكمام وزيادة فإن كم المرأة منهن يسع الرجل يدخل منه ويخرج من الكم الثانى[1] .

وإلى جانب القمصان الطوال ذات الأكمام الواسعة عرفت نساء عصر المماليك القمصان القصيرة الضيقة التى عرفت بالقنادير ، وآخذ ابن الحاج على نساء مصر فى القرن ٨هـ/١٤م تلك البدعة التى أحدثتها فى قمصانهن من جعلها ضيقة وقصيرة فالضيق يصف من المرأة أكتافها وثدييها وغير ذلك ، والغالب منهن أن يجعلن القميص إلى الركبة فإن انحنت أو جلست أو قامت انكشفت عورتها »[2] .

ومما يذكر أنه من بين قود الأمير منجك اليوسفى نائب الشام – الذى قدم فى ربيع الأول سنة ٧٧٤هـ/١٣٧٣م فى عهد السلطان شعبان – عدة قنادير من حرير ملون بتراكيب ذهب[3] .

ويلاحظ أن التشدد فى الملبس لم يكن بمصر فقط بل امتد إلى بلاد الشام أيضا فيذكر أبو الفداء فى حوادث يوم السبت عاشر المحرم سنة ٧٥١هـ/١٣٥٠م فى سلطنة الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون – أنه نودى بالشام من جهة نائب السلطان الأمير سيف الدين أرتيمش الناصرى عن كتاب وصله من الديار المصرية « أن لا تلبس النساء الأكمام الطوال العراض ولا البرد الحرير ولا شيئا من اللباسات والثياب الثمينة ، ولا الأقمشة القصار »[4] .

ومما سبق يتضح لنا ان أقمصة النساء لم تستقر على حال واحد طوال عصر المماليك بل تعرضت للتغيير والتبديل فمرة نجدها طويلة بأكمام طوال ومرة طويلة بأكمام

---

(١) الشربينى : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص١١٥

(٢) ابن الحاج المدخل : المدخل ، جـ١ ، ص٢٠٠ ، ٢٠١

(٣) ابن اياس : المصدر السابق ، ط١ ، جـ١ / القسم الثانى ، ص١١١

(٤) أبو الفداء : البداية والنهاية ، جـ١٤ ، ص٢٣٣

قصيرة واسعة ومرة نجد القمصان قصيرة وضيقة ومـــرة قمصـــان أكمامـــها كقمصـــان البدويات .

ويبدو أن الأكمام الطويلة قد شاعت بين نساء المسلمين بصفة عامة فـــى العصـــور الوســـطى فيذكر مظاهرى أن السيدات ارتدين لباسًـــا بأكمـــام طويلـــة جـــدًا متشـــبهة بالرجال[1] .

هذا وقـــد أطلق على القمصان السابلة أذيالها علـــى الأرض مقـــدار أذرع كثـــيرة وذات الأكمـــام الواســـعة الذى تصل ســـعة الكـــم ثلاثـــة أذرع - « جـــر الذيـــل[2] » « البهطلة » ، كما يلاحظ تعدد أسماء القمصان الداخلية للنساء كالاتب والأصدة والبقـــيرة والبهطلة والقنادير والدرع وهذه التسميات جميعها لمسمى واحد هو القميص ســـواء أكـــان طويلاً أم قصيرًا ذا أكمام قصيرة أو طويلة أو بدونها .

وقيـــل الأتب ثوب يؤخذ فيشق فى وسطه ثم تلقيه المرأة فى عنقها من غير جيـــب ولا كمين ، وقيل هو الأتب والعلقة والصدار والشوذر والجمع الأتوب ، والأتـــب أيضـــا درع المرأة ، وقيل الأتب من الثياب ما قصر فنصف الساق . وقيل الأتـــب غـــير الأزار لارباط له كالتكة وليس على خياطة السراويل ، ولكنه قميص غير مخيط الجـــانبين وقيـــل هو النقبة وهو السراويل بدون رجلين .

ويشرح دوزى لفظ الأتب : البقير ثوب أو برد يشق فى وسطه فتلقيه المـــرأة فـــى عنقها من غير كم ولا جيب والجمع أتوب .. وأتب ومئتبة ثوب من النسيج يشق له فتحـــة من أولى وتلبسه السيدة من هذه الفتحة وهذا الرداء ليس له أكمام وليـــس مفتوحـــا علـــى الصدر وبساطة هذا الرداء تشير إلى أنه كان يلبس حتى قبل الإسلام وما زالـــت النســـاء يلبسنه فى مكة يلبسن هذا القميص والأغنياء منهن يتخذنه من الحرير المقلم تقليمـــا رفيعـــا ويرتبنه فى ثنيات على الأكتاف ويمسكنه حول الجسم بحزام[3] .

---

(1) Mazaheri: Op. Cit., P. 74.

(٢) د. على إبراهيم حسن : نساء لهن فى التاريخ الإسلامى ، مكتبة النهضة ، ١٩٥٠ ، ص١٣٦

(3) Dozy: Vetements, P. 21, 22.

وبالرجوع إلى الآثار الإسلامية التى ترجع إلى العصر المملوكى لـم نعـثر علـى صورة للأتب وذلك لأنه يلبس تحت الثياب الفوقانية كما أنه قصير لا يظـهر مـن تحـت الثياب الخارجية(١) .

والأصدة قميص صغير يلبسه الصبيان أو يلبس تحت الثوب وتلبسه أيضًا صغـار الجوارى . وقيل الأصدة ثوب لا كمين له تلبسه العروس والجارية الصغيرة هـذا وتقـابل كلمة درع لدى العرب كلمة قميص ولكنها لا تنطبق إلا على قميص المرأة(٢) وعن وصـف القميص كما ورد فى وثائق الحرم القدسى المملوكية أنه على شكل لبـاس بفتحـة عنـق دائرية وبدون فتحة أمامية ، وقد اختلفت أطواله باختلاف رغبات النـاس فيـه ، وكـانت أكمامه أيضًا تتراوح بين الاتساع والضيق ، وكان الاتساع يوحى بالغنى(٣) .

أما عن أنواع الأنسجة التى صنعت منها هذه الأقمصة فهى الحرير – كما جاء فـى ألف ليلة وليلة فنقرأ « قلعت أثوابها وأتت فى قميص رفيع مطرز بطرز من الذهـب »(٤) – والحرير المشتهر الاسكندرى كما جاء فى وثائق القدس المملوكية ، والقطـن والكتـان والشاش الموصلى ومن – الحرير والقطن – ومن الكريشة الملونة وأحيانا السوداء . أمـا ألوان القماش فكانت بيضاء أو زرقاء أو مختلطة بين الأزرق والأبيض . وكـانت بعـض النساء يطرزن قمصانهن وبعضهن الآخر يلبسن أنواعا من القمصان البندقية المكبوسـة(٥) . وكان التطريز بالحرير وزركشة الحواش والفتحات من سمات أقمصة الموسرات . وكثيرا ما طرزت القمصان وأكمامها بواسطة أبيات من الشعر .

وبالرجوع إلى الآثار الإسلامية التى تعود إلى عصر المماليك فإننا نادرا مـا نـرى هذه القمصان وذلك لأن النساء عند خروجهن يلتحفن بأغطية أخرى كالأزار ولكن بـالبحث أمكننا أن نصل إلى صورة سيدة فى داخل المنزل وهى تمثل لمنظر الثانى مـن المقامـة

---

(١) زينات طاحون : اللباس ، ص٨٩

(2) Dozy: Vetements, P. 46-48.

(٣) صالحية : المرجع السابق ، ص٢١

(4) Dozy: Vetements, P. 48.

(٥) صالحية : المرجع السابق ، ص٢١

التاسعة والثلاثين من مقامات الحريرى وفيها نرى السيدة التى على يمين الصورة ترتدى قميصا طويلا أبيضا خاليا من الزخرفة يظهر من تحت ثيابها الفوقانية ومن المرجح أنه من النسيج القطنى[١] . ومن الملابس الداخلية التى جاء ذكرها بالوثائق والخاصة بالنساء كان الرفيق والفوطة والفصادية والكبر .

الرفيق :

لباس داخلى قصير أو طويل ترتديه النساء ، ويمكن أن يكون للأطفال ، ويخاط من الكتان أو الحرير الطرح وألوانه الغالبة البيضاء والمخططة والمخفقة ، وقد يكون ذا حواش ومقفصا . ومن أنواعه التى وردت فى الوثائق ، رفيق طرح حرير ورفيق مقفص ، ورفيق طرح مخطط ورفيق كتان دمشقى[٢] .

الفوط : ومصغرها الفويطة :

وكلمة فوطة هندية الأصل ، استعملت من قبل حسب ما جاء فى المعاجم العربية للإشارة إلى نوع من البز المجلوب من الهند . وبعد ذلك استخدمت للإشارة إلى أنواع مختلفة من الملابس المصنوعة فى الأصل من هذا البز[٣] . فهى تطلق على نوع من الألبسة الداخلية تلبس كالسراويل وتكون قصيرة ، وغليظة أو تكون من قماش طرى حتى تمتص الماء بسرعة ، والنوع الأخير يستعمل لتخفيف الجسم من الماء كالمناشف[٤] .

وجاء فى كتاب ابن بطوطة « فلبست فوطة منها عوض السراويل على عادتهم « وفى كتاب » ألف ليلة وليلة » « قامت الجارية على مهل وأخذت الفوطة يمانية وثنتها مرتين وشمرت سراويلها » .

وكلمة فوطة تشير إلى المئزر الذى يشد حول الوسط لدى الدخول إلى الحمام .

---

(١) زينات طاحون : اللباس ، ص١٠١

(٢) صالحية : المرجع السابق ، ص٣٥

(3) Dozy: Vetements, P. 339.

(٤) صالحية : المرجع السابق ، ص٢٥

وقد كانت تصنع هذه الفوطة من مختلف أنواع البز . ومـــن خـــالص الحريـــر أو الحرير والقطن والحرير الكتان[1] .

ويذكر صالحيـــة أن فوطة المنـــاشف ليســـت هى المقصودة فى الوثائق ، فحســب إذ ورد ذكر فوط منسوجة من طرح ومن كتان وإحداها قفضت بحرير اسكندرى بحاشـــية زرقاء ، أما النوع الذى يحتمل أنه استخدم كمناشف هو الذى كانت خامتـــه مـــن قمـــاش المخمل[2] .

القصـــاديـــــة :

شريط تجمع به النساء ضفائر شعرها مع بعضها البعض أى تربط به الجدائل وكـان حسب ما جاء بالوثائق من الحرير ومطرز بألوان خضراء وزرقاء وبيضاء[3] .

ومن الغريب أن الشريط الذى تجمع به الضفائر لم يحرم من الزخرفة بالشعر فقـــد كتبت أحد الجوارى على وقاية تجمع بها ضفائرها الآتى :

جـــزى الله البـــراقـــع مـــن ثيـــاب   عـــن العينيـــن شـــرا مـــا بقينـــا
يغطيـــن المـــــلاح فـــــلا تراهـــــم   ويســــترن القبــــاح فيســـتوينـــا[4]

الـــكـــبـــــر :

وهى قطعة من القماش تشد به الملابس ويربط على الأغلب على البطن ويكون مـــن القماش البعلبكى وجاء بالوثائق ذكر كبر من الطرح وألوانه الأبيض والأزرق .

ولشد الملابس استخدمت النساء الأحزمة ذات الألوان الزرقـــاء أو المشـــدات ذات اللون الأبيض المصنوعة من القطن[5] .

---

(1) Dozy: Vetements, P. 340, 341.

(٢) صالحية : المرجع السابق ، ص٢٥ ، ٢٦
(٣) المرجع نفسه ، ص٢٦
(٤) الوشاء : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص٢٢٥
(٥) صالحية : المرجع السابق ، ص٢٦

وجاء فى كتاب وصف مصر وهو يصف زى النساء أن الحزام يكون فى الصيف من الحرير أو من الموصلى ، وفى الشتاء يكون من شال الصوف الكشميرى . وهو حين يربع يتدلى إلى الوراء على هيئة مثلث »[1] .

وقد تطلق كلمة حزام أيضا على خيطين من القماش سائبين ، يشكلان فى وسط الثوب ، ويستعملان لشد الوسط لإظهار نحولة الخصر[2] .

ويظهر ببعض التصاوير التى سجلها لنا بريس دافين عن بعض ملامح الحياة فى مصر فى القرن التاسع عشر بعض النساء بملابسهن داخل المنزل ويبدو الحزام من قماش ملون من أحمر وأصفر وأزرق[3] .

هذا وقد استعمل الحزام فى العصر الصفوى ، فصنع من مواد مختلفة كالقطن والكتاب والحرير ، وفى القرن ١١هـ/١٧م ظهر نوع جديد من الأحزمة أطلق عليه اسم « الأحزمة البولونية » ، ذلك أن مصانع النسيج الإيرانية ، أنتجت أحزمة حريرية طويلة ، قوام زخارفها أشرطة أفقية وتنتهى فى طرفيها بمنطقة أوسع مساحة وفيها خامان وزخارف نباتية وأمتاز هذا النوع من الأحزمة ، بأن نساجى جنوب شرقى بولندة ، قد أقبلوا على تقليده ، بعد أن استورد التجار الأرمن كميات منه من إيران وباعوها فى بولندة ، فشاع عليها اسم الأزمة البولغرنية ، نسبة إلى بولندة ويضم متحف الفن الإسلامى بالقاهرة مجموعة كبيرة من الأحزمة الحريرية المزخرفة بزخارف نباتية وهندسية والتى تعرف « بالأحزمة البولندية[4] » . (لوحة ٢٤٤) .

* * *

---

(١) شابرول : دراسة فى عادات وتقاليد سكان مصر المحدثين ، ترجمة زهير الشايب ، ط١ ، ص١٩٧٦م (وصف مصر الدولة الحديثة) ص١٠٣

(٢) أحمد محمد توفيق الزيات : الأزياء الإيرانية فى مدرسة التصوير الصفوية على التحف التطبيقية ، رسالة ماجستير ١٩٨٠م ، بكلية الآثار ص١٥٥

(٣) انظر : Prisse d' Avnnes: Op. Cit., Vol. 3, PL. 14.

(٤) أحمد الزيات : المرجع السابق ، ص١٥٦

الملابس الخارجية :

وارتدت المرأة - فوق الملابس الداخلية السابقة الذكر - نوعا من الزى الواسع عرف باسم الثوب . ويذكر ما ير أن الثوب يعتبر أكثر الملابس المألوفة عند الشابات حسبما يبدو من قوائم الجهاز . وقد تكرر الاستخفاف بالقوانين فصنع الثوب قصيرا وبأكمام قصيرة ومتسعة ، وأشار ابن الحاج إلى ذلك على أنه من البدع المستحدثة ، وهو يقصد باكورة القرن الرابع عشر[1] ، وأخذ على بعض نساء عصره لبس الأثواب القصيرة ذات « الأكمام الواسعة والقصيرة والوقوف بهذا الملبس بدون سراويل على الأسطح فى باب الريح فمن رفع رأسه أو التفت رأى عورتها والشرع أمرها بالتستر »[2] .

وكانت المرأة تلتف جميعها بملاءة أو سبلة متسعة فضفاضة عرفت بعدة أسماء نذكر منها البغلطاق والمرط والحلة والفرجية ، والكاميلية والملحفة والشاية أو السابة والأزار الذى كان اكثر السبلات شيوعا . وهو عبارة عن ملاءة طولها حوالى ثلاثة أذرع وعرضها يقرب من ذراعين وغالبا ما توقفت مقاييس هذه الأزر على حجم المرأة وعلى مدى طولها أو قصرها[3] .

وجاء بوثائق الحرم القدسى المملوكية عن الأزار أنه قماش غير مطرز تلفه المرأة حول جسدها ويغطى الأرداف والعورة . وقد غلب على ألوان أزر النساء اللون الأبيض أو الأخضر المتخذ من قماش الجوخ[4] .

---

(١) ماير : المرجع السابق ، ص١٢٥

(٢) ابن الحاج : المدخل ، جـ١ ، ص٢٠٣

(3) Ahmed Abd Ar-Raziq: Le Femme, PP. 216-237.

، أحمد عبد الرازق : المرأة ، ص١٧٧

(٤) صالحية ، المرجع السابق ، ص٢٠

وقد أحدثت النساء فى بداية القرن الثامن الهجرى الرابع عشر الميلادى الأزر الحريرية ووصل ثمن الواحد منها ألف درهم ، وقد لاقت الأزر[١] اعتراضًا كما لاقت الأقمصة فقد نادى الوزير منجك « فى القياسر بأنه من باع أزار حرير ماله للسلطان فنودى على أزار ثمنه سبعمائة وعشرون درهمًا فبلغ ثمانين درهمًا ولم يجر أحد أن يشتريه »[٢] ، وامتنعت النساء من لبس ما أحدثنه .

ومما يلاحظ أن هذا التحريم لم يستمر طويلا ، فقد أشار الرحالة الأجانب الذين زاروا مصر فى عصر المماليك فيما سجلوه عن مصر فى كتب رحلاتهم أن المرأة المصرية أقبلت على ارتداء الأزر الحريرية الثمينة وكان لون هذه الأزر أبيض بالنسبة للمسلمات جميعا[٣] ، وهذا بخلاف ما كان يراعى فى بداية القرن التاسع عشر من ان تكون جدة السيدة المتزوجة من الحرير الأسود اللامع وغير المتزوجة من الحرير الأبيض[٤] .

وبالنسبة لنساء أهل الذمة فقد تحتم عليهن ارتداء أزر مخالفة لما ترتديه المسلمات فارتدت نساء النصارى أزر زرقاء ونساء اليهود أزر صفراء وتحدد اللون الأحمر لأزر السامرة . فيذكر ابن اياس فى حوادث يوم السبت خامس عشرة جمادى الأولى سنة ٨٠٣هـ فى سلطنة الناصر فرج بن الظاهر برقوق أن الأمير يلبغا السالمى

---

(١) (أزر) أصل الأزر الإزار الذى هو اللباس يقال أزار وإزاره ومئزر ويكنى بالإزار عن المرأة قال الشاعر ألا بلغ أبا حفص رسولا فدى لك من أخى ثقة ازارى وتسميتها بذلك لما قال تعالى « هن لباس لكم وأنتم لباس لهن » ، وقوله تعالى : « أشدد به أزرى » أى أتقوى به والأزر القوى الشديدة وآزره أعانه وقواه وأصله من شد الإزار .

انظر : الراغب الاصفهانى : مفردات الراغب الاصفهانى فى غريب القرآن م كتاب النهاية لابن الأثير فى هامش الجزء الأول ص٢٩

(٢) المقريزى : السلوك ، جـ٢ / قسم ٣ ، ص٨١١

، المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص٣٢٢

(3) Schefer: Voyage du Magnifique et tres Illustre Chevalier Domenico Trevison, Paris 1864, P. 211.

(٤) لين : المرجع السابق ، ص٤٥

أمر بالنداء فى القاهرة ومصر أن نساء النصارى يلبسن أزرا زرقا ، ونساء اليهود يلبسن أزرا صفرا »[1] .

ويذكر ابن حجر أنه فى السابع من جمادى الأولى سنة ٨٢٢هـ/١٤١٩م ، ألزمت نساء النصارى بلبس المصبغات وبعدم تمكينهم من ارتداء الأزر البيض[2] .

* * *

(١) ابن اياس : المصدر السابق ، جـ١ ، القسم الثانى ، ص٦٠٥

(٢) ابن حجر العسقلانى : أبناء الغمر بأبناء العمر ، جـ٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥

أغطية الرأس

اتخذت المرأة فى عصر المماليك أنواعًا مختلفة من أغطية الرأس فارتدت العصابة أو الشاش أو العمامة أو الشربوش أو الطاقية أو الطرطور .

العصـــابـــة :

تعتبر العصابة أهم أغطية الرأس جميعًا ، وهى عبارة عن قطعة من القماش كانت تلف كالعمامة حول جزء من الإزار الذى كان يغطى شعر المرأة ، ربما تشبه فى هيئاتها تلك التى تستعملها البدويات فى وقتنا الحالى ، إلا أنه كانت تزينها أحيانًا زخارف غنية جميلة مطرزة ومحلاه بالأحجار الكريمة(١) .

ويذكر صالحية أن العصابة طرحة من الحرير ، مربعة الشكل لها حاشية حمراء أو صفراء ، وهى تطوى بصورة منحرفة ثم تلف على الرأس وتتدلى من الخلف عقدة وحيدة وقد تزين بالحلى واللؤلؤ ، والعصابات التى وصفتها الوثائق كانت بيضاء ومطرزة بأحمر أو أصفر(٢) .

وكانت العصائب مما يعرض فى جهاز العروسة فى عصر المماليك ، وكان يعتنى بتزيينها كما هو معتاد فى كل ملابس العروسة فكانت ترصع بقطع الذهب والأحجار الكريمة ، وكانت تعرض فى أطباق حتى يراها الناس فقد أورد ابن اياس فى حوادث يوم الأحد سلخ شهر ربيع الأول سنة ٧٨٦هـ/١٣٨٤م فى سلطنة الظاهر برقوق حمل جهاز ابنة الأمير منجك زوجة السلطان إلى القلعة وأن من بين ما حمل « عشرة أطباق بها عصائب ، وكوافى ، مرصع ، وذهب ، ولؤلؤ ، وريش »(٣) .

---

(١) ماير : المرجع السابق ، ص١٢٦

(٢) المرجع السابق ، ص٢٤

(٣) ابن اياس : المصدر السابق ، الطبعة الأولى ، الجزء الأول ، القسم الثانى ، ص٣٤٥ ، ٣٤٦
وهذا يؤيد ما ذكره مظاهرى من أن السيدات لبست فى القرن الثالث عشر الريش على الرأس .
انظر :

Mazahere: Op. Cit., P. 74.

وأورد ابن أياس في موضع آخر - في حوادث شهر ربيع الآخر سنة ٩٢٣هـ/١٥١٧م في عهد سليم شاه العثماني وبعد قتل آخر سلاطين المماليك السلطان طومان باى - ذكر العصايب المزركشة ، وهو يعدد ما استولى عليه وزراء ابن عثمان من موجود خوند ابنة الأمير أقبردى الدوادار ، زوجة طومان باى ، الذى كان من بينه « عصايب ذهب ولؤلؤ ومرصع وكوامل ذهب ، وغير ذلك من القماش الفاخر »[١] .

ولم تسلم العصابة من تدخل المسؤلين في الدولة المملوكية - كما كان الحال بالنسبة للقميص والإزار أو أى نوع من أنواع الملابس يرونه مبالغ فيه - ففي سنة ٨٧٦هـ/١٤٧٢م أمر السلطان قايتباى الأمير يشبك الجمالى القائم بشئون الحسبة بالمناداة في القاهرة بمنع النساء من لبس العصابة المقنزعة أو السراقوش الحرير وأن تكون ورقة العصابة طولها ثلث ذراع وأن تختم بختم السلطان من الجانبين ، وأبلغ بذلك بائعى أوراق النساء ، وطافت أعوان المحتسب في الأسواق ، فإن قابلوا امرأة ترتدى العصابة أو السراقوش الممنوعين وجب عليهم ضربها وتعليقها من رقبتها بالعصابة ، فامتنعت النساء عن لبسهما وصرن يلبسن عصائب طويلة أو يخرجن كاشفات الرؤوس ، ولكن كن يلبسن العصائب المقنزعة في داخل المنازل .

وكالعادة وبعد مدة ليست طويلة رجعت النساء إلى لبس العصائب القصيرة والسراقوش[٢] .

هذا ومن العصائب الشهيرة في عصر المماليك « عصابة اتفاق التى كما يقول المؤرخين أنها » اشتهرت عند الأمراء ، وشنعت قالتها ، فإنه قام بعملها ثلاثة ملوك أخوة من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون ، الملك الصالح إسماعيل والملك الكامل شعبان

---

(١) ابن اياس : المصدر السابق ، ط١ ، جـ٢ ، ص٤٢٩

(٢) المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص١٣٢

، أحمد عبد الرازق : المرأة ، ص١٨١ ، ١٨٢

والملك المظفر حاجي وتنافسوا فيها واعتنوا بجواهرها حتى بلغت قيمتها زيادة على مائة ألف دينار مصرية »[1] .

ومن الجدير بالذكر أن العصائب المرصعة كانت من الأشياء التى تورث نظرًا لما بها من ذهب وأحجار ثمينة ، فيروى المقريزى فى حوادث سنة ٧٤٣هـ/١٣٤٣م عند قدوم أولاد الأمير أيدغمش من دمشق وإلزامهم بتفاوت الاقطاعات التى انتقلت إلى أبيهم من مصر وحلب ودمشق فبلغت جملة كثيرة باعوا فيها خيولاً وعصابة مرصعة لأمهم بلغت مائة ألف درهم »[2] .

---

(١) عندما تغير السلطان الملك المظفر حاجي– عام ٧٤٧هـ/١٣٤٦ – على حظاياه الثلاث اتفاق العوادة وسلمى والكركية بسبب إنكار كبار الأمراء والمماليك شدة شغفه بالنسوة الثلاث واتلافه الأموال العظيمة فى العطاء لهن أمر الطواشى مقبل الروم أن يخرجهن من القلعة بدون الجوهر والزركشة وأن تقلع اتفاق عصبتها .

انظر : ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ١٠ ، ص١٥٦

، المقريزى : السلوك ، ط١ ، جـ٢ ، قسم ٢ ، ص٧٢٥ ، ٧٢٦

ونلاحظ أن المقريزى أورد ذلك بتاريخ المحرم سنة ٧٤٨م

(٢) السلوك ، جـ٢ ، قسم ٣ ، ص٦٣٣ ، ٦٣٤

وعن تاريخ العصابة فتروى لنا كتب التاريخ أن أول من استحدثت العصابة كانت عليه بنت الخليفة المهدى وأخت هارون الرشيد التى كانت من أجمل نساء دهرها لولا عيب فى جبينها وهو سعة غير مستحسنة فابتدعت العصابة المحلاه بصنوف الجوهر وبسلسلة ذهبية مطعمة بالأحجار الكريمة فسترت عيبها وزادت جمالاً فأحدثت بذلك زيا جديدًا أخذته النساء عنها ،

انظر :

، عبد الله عفيفى : المرجع السابق ، جـ٣ ، ص٨٨

، فيليب حتى وآخرون : تاريخ العرب ، جـ٢ ، ص٣٨٩

، سيد أمير على : المرجع السابق ، ص٣٧٥

، حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى ، جـ٢ ، ص٣١٢ ، جـ٣ ، ص٤٤٤

، مصطفى جواد : سيدات البلاط العباسى ، ص٢٥

، مليحة رحمه الله : الملابس فى العراق خلال العصور العباسية المجلة التاريخية المصرية ، مجلد ١٣ ، القاهرة ١٩٦٧م ، ص٢١٤

الشعرية :

هذا وقد جاء بالوثائق ذكر الشعرية وهى عصابة من قماش خفيف يعصب بها الرأس مصنوعة من الشعر وخاصة شعر الحصان وتغطى العيون ، وتكون فوق النقاب أو الخمار ، وتتدلى فوق العيون حتى لا ترد عيون النساء ، والشعريات التى وجدت فى الوثائق كانت منسوجة من الصوف أو القطن أو الحرير بألوانها البيضاء والزرقاء . ويبدو أنها تكون مع العصابة قطعة واحدة ، فقد تكون شعرية بعصابة بيضاء أو بصوف أزرق وأخرى بحرير أزرق وغيرها بقطن أبيض(١) .

الشاش :

استخدمت النساء الشاش كنوع من أغطية الرأس ، وهو عبارة عن عصبة تلبسها المرأة بحيث يكون أولها عند جبينها وآخرها عند ظهرها ويكون مظهرها العام مثل سنم الجمل ، فيبلغ طولها نحو ذراع وارتفاعها ربع ذراع ، وكثيرًا ما كن يبلغن فى زخرفتها بالذهب واللؤلؤ . وقد أشار المؤرخ ابن تغرى بردى إلى هذا الشاش بقوله : « وقد رأيت أنا هذا الشاش المذكور وكان على صفة الحلى الذى ، تحلى به العروس بل كان أكثر تعبًا فى تعديله »(٢) .

وقد كان لبس الشاش من البدع الغير مستحبة ، فيروى ابن اياس تحت حوادث شهر رجب من عام ٧٨٧هـ/١٣٨٥ – فى بداية العصر المملوكى الجركسى والسلطان الظاهر برقوق – أنه وقعت حادثة غريبة وهى أن امرأة صالحة رأت النبىﷺ فى المنام، وهو يقول لها : « قولى للنساء ينتهوا عن لباس الشاش » ، وهو شئ قد اقترحته النساء يلبسونه على رؤوسهن مثل سنم الجمل ، طوله نحو ذراع ، وارتفاعه نحو ربع ذراع ، يرخونه على ظهورهن ، ويزخرفونه بالذهب واللؤلؤ ، ويبالغوا فى ذلك اية المبالغة ، وكانت هذه بدعة سيئة من النساء(٣) .

---

(١) صالحية ، المرجع السابق ، ص٢٤

(٢) أحمد عبد الرازق : المرأة ، ص١٨٣

(٣) ابن اياس : المصدر السابق ، جـ١ ، القسم الثانى ، ط١ ، ص٣٦٢
Dozy: Dictionnaire des Nomes des Vetements, P. 239.

العمـــــامـــة :

شاع فى بداية عصر المماليك استخدام النســـاء للعمامـــة كغطـاء رأس متشـــبهات بالرجال ، ولم يلق هذا التصرف إقبالاً من السلطان الظاهر بيبرس الذى أصدر مرســـومًا عام ٦٦٢هـ/١٢٦٣م بالمناداة فى مصر والقاهرة بمنع أى امرأة من التعمـــم بعمامـــة أو التزى بزى الرجال[١] ، ويبدو أن النساء لم يمتنعن نهائيًا عن ارتداء العمامة بل عدن بعـــد فترة إلى ارتدائها بدليل ما أخذه ابن الحاج على نساء عصره فى القرن ٨هـــ/١٤م مـــن استعمالهن لعمائم على هيئة « أسنمة البخت »[٢] إذ أن فى عمامة كل واحدة منهن ســنامان وأقل ما فيه من الضرر أن رأسها يعتل بسب هذه العمامة لأنهن اتخذنها عادة مـــن فـــوق الحاجبين وفى ذلك مفاسد أحدها أن المرأة محل لاستمتاع الرجل وأعظم جمال فيها وجهـها وهى تغطى أكثر فتقع بذلك فى الاسم لأنها تمنع زوجها حقه ولو رضى زوجها بذلك فإنـها تمنع منه لمخالفتها للسنة والثانى أنها إذا كانت هذه المواضع مستورة فإذا احتـــاجت إلـــى الوضوء تحتاج إلى كشفها حتى تغسل ما يجب عليها فإذا غسلته فقد تستوى لأن الموضـــع قد اعتاد التغطية فإذا كشفته عند الغسل قد تتضرر فيكون ذلك سببًا لترك فرضين أحدهمـــا غسل الوجه والثانى مسح الرأس والثالث الزينة التى جملها الله تعالى بـــها فـــى وجهــها سترتها عن زوجها وقد يفضى ذلك للفراق لأنها تبقى فى تلك الحالة بشعة المنظر فإن قيـل أن فيه بعض جمال لها فهذا نادر والنادر لا حكم له فأن فرض إن الغالب فيه جمـــال لـــها فتمنع من ذلك لما تقدم من مخالفتها للسنة والخير كله فى الاتباع »[٣] .

---

(١) المقريزى : السلوك ، جـ٢ ، ص٥٣

(٢) مفردها سنم أى الجارى المرتفع ويروى بالشين والباء وجزور سنمة عظيمة السنام وسنام كل شـــئ أعلاه ، ونساء على رؤوسهن كأسنمة البخت هن اللواتى يتعممن بالمقانع على رؤوسهن يكبرنها بـــها وهو من شعار المغنيات .

انظر : جلال الدين السيوطى : الدر النثير – مع كتاب النهاية لابن الأثير ، جـ٢ ، ص٢٠١

(٣) ابن الحاج : المدخل ، جـ١ ، ص٢٠١ ، ٢٠٢

وقد امتنعت النساء عن ارتداء العمامة مرة ثانية ويؤكد ذلك ما جاء على لسان أحد الرحالة الذين زاروا مصر فى عصر المماليك من أن النساء لا تلبسن العمامة ولكن يلبسها الرجال فقط[1] .

ومن الغريب أن زى العمائم المرتفعة لم تكن وليدة العصر المملوكى بل ترجع إلى عصر صدر الإسلام وكانت تسمى « الناهرة » ، وقد اخترعنها النساء فكن يعظمن رؤوسهن بالخمر والمقانع حتى تصير العمامة على رؤوسهن مثل أسنمة البخت وهى الإبل الخراسانية واتخذنها عادة من فوق الجبين وقد عابها النبى ونهى النساء عن فعلها كما ورد فى الحديث الشريف : « لا تقوم الساعة حتى يكون نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات على رؤوسهن مثل أسنمة البخت لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وأن ريحها ليوجد فى مسيرة خمسمائة عام » .

وقال الشيخ الإمام أبو عبد الله القرطبى « أن النساء كن يعظمن رؤوسهن بالخمر والمقانع ويجعلن على رؤوسهن شيئًا يسمى عندهن الناهرة[2] » .

الشربوش :

اتخذت المرأة الشربوش غطاء لرأسها ، وهو أشبه بالتاج ، مثلث الشكل ، كان يجعل على رأس المرأة بغير عمامة[3] وقد أشار المقريزى إلى سوق الشرابشيين[4] .

هذا ويرتبط بالطربوش القمطه وهى قطعة من الموسلين ، تلف عدة لفات حوله وتتكون من جزئين الجزء العلوى يكون ذو لون أحمر أو من لون فاقع وكل هذا يكون من فوق الرأس نوع من قماط بارز يزين باللؤلؤ والأحجار الكريمة .

ومن الجدير بالذكر أن العروس كانت ترتدى الشربوش ليلة زفافها فقد جاء بالنجوم الزاهرة فى حوادث ٧٩١هـ/١٤٠٠م فى سلطنة المنصور حاجى الثانية أنه عندما زفت

---

(1) Dopp: Le Caire Vu par les Meyageurs Occidentaux du Mayen Age, P. 47.

(٢) على إبراهيم حسن : نساء لهن فى التاريخ الإسلامى نصيب ، ص١٢٧

(٣) المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص٩٩

(٤) المصدر نفسه ، ص١٠٣

خوند بنت الملك الأشرف شعبان أخت الملك المنصور على الأمير الكبير منطاش علق على شربوشها دينارًا زنته مائتا مثقال ، ثم ثانى مرة دينارًا زنته مائة مثقال(١) .

الطاقية :

بطل الشربوش فى العصر المملوكى الجركسى وحل محله الطاقية ، ويذكر المقريزى أنه شاع لبس رجال الدولة للطواقى وتركهم العمائم فى هذه الفترة بعد أن كان نزع العمامة عن الرأس عارًا وفضيحة وتشبه النساء بهم وتنوعت ألوان تلك الطواقى ما بين أخضر وأحمر وأزرق وغيرها من الألوان وكانت فى البداية ترتفع نحو سدس ذراع تنتهى من أعلى بقصة مدورة مسطحة . ثم تطورت فى عهد الناصر فرج إلى شئ عرف بالطواقى الجركسية يكون ارتفاع عصابة الطاقية فيها نحو ثلثى ذراع وأعلاها مدور مقبب وقد بولغ فى تبطين الطاقية بالورق والكثيرة فيما بين البطانة المباشرة للرأس والوجه الظاهر للناس وجعلوا من أسفل العصابة المذكورة زيقًا من فرو القرض الأسود يقال له القندس فى عرض نحو ثمن ذراع يلف بالجبهة وأعلى العنق ، ويستطرد المقريزى ذاكرًا سببين لإقبال نساء المماليك على هذه الطواقى - التى عرفت بالطواقى الجركسية - وهما : « أنه فشا فى أهل الدولة محبة الذكران فقصد نساؤهم التشبه بالذكران ليستملن قلوب رجالهن فاقتدى بفعلهن فى ذلك عامة نساء البلد وثانيهما ما حدث بالناس من الفقر ونزل بهم من الفاقة فاضطر حال نساء أهل مصر إلى ترك ما أدركنا فيه النساء من لبس الذهب والفضة والجواهر ولبس الحرير حتى لبسن هذه الطواقى وأعقب ذلك بقوله وبالغن فى عملها من الذهب والحرير وغيره وتواصين على لبسها »(٢) . ويرى د. أحمد عبد الرازق أن المقريزى ناقض نفسه بهذا التعقيب(٣) ولكننى أرى أنه ربما قصد المقريزى بقوله أن النساء بالغن فى عمل الطواقى من الذهب والحرير بعد قوله أن بسبب ما نزل بالناس من الفقر تركت النساء لبس الذهب والفضة والجواهر والحرير - أن هذه الطواقى كانت تصنع من نسيج أقل من الحرير كالقطن أو الكتان

(١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ١١ ، ص٣٥١ ، ٣٥٢

(٢) المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص١٠٤

(٣) أحمد عبد الرازق : المرأة ، ص١٨٥ ، ١٨٦

بل كانوا يشغلونها (يطرزونها) ببعض الخيوط الذهبية البراقة والخيوط الحريرية اللامعة كي تعوضهن ما كن يرصعن به أغطية رؤوسهن من قطع الذهب والجواهر .

هذا وتشبه الطاقية الكوفية التي كان يلبسها أصلاً الصبيان والبنات . ثم لبسها الرجال والنساء وحتى العسكر ، وقد تكون لها قمة مدورة ومسطحة وتنسج من الصوف أو الحرير أو الجوخ بألوان مختلفة ، ولكن أكثرها شيوعًا اللون الأزرق[1] .

ويبدو أن ارتداء النساء للطواقي بهذه الهيئة أثار حفيظة المسئولين حتى أمر ناصر الدين بن شبل بمجرد تعيينه محتسبًا للقاهر في ٨٣٠هـ/١٤٢٧م بمنع النساء من ارتداء الطواقي[2] .

الطرطور :

كان الطرطور من غطاءات الرأس التي اتخذتها نساء عصر المماليك وجاء ذكر ذلك في كتاب السلوك للمقريزي في معرض حديثه عن السلطان الملك الصالح عماد الدين ابن الملك الناصر محمد ٧٤٦هـ/١٣٤٥م الذي كان شغفًا بالجواري السود ، وأفرط في حب اتفاق حتى أنه إذا ركب إلى سرحة سرياقوس أو سرحة الأهرام ركبت أمة في مائتي امرأة الأكاديش بثياب الأطلسي الملون ، وعلى رؤوسهن « الطراطير الجلد البلغاري المرصع بالجواهر واللآلئ »[3] .

ومن هذه العبارة يتضح لنا أن هذه الطراطير كانت تصنع من الجلد المزين باللؤلؤ والجوهر .

ويبدو أن كلمة طرطور تشير إلى : طاقية عالية . وذكر أحد الرحالة أن نساء الشرفاء يضعن « شريطًا أخضرًا في طرطورهن » لذلك فلا يستبعد أن ما ذكره بيلون

---

(١) صالحية ، المرجع السابق ، ص٢٥

(٢) ماير : المرجع السابق ، ص١٢٨ ، ١٢٩

(٣) المقريزي : السلوك ، جـ٢ ، قسم ٣ ، ص٦٧٨ ، ٦٧٩

وقد أورد ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة ما ورد في السلوك ولكن تحت أحداث سنة ٧٤٣هـ انظر : ابن تغري بردي : النجوم ، جـ١٠ ، ص٩٦ ، ٩٧

الرحالة الذى زار مصر فى العصور الوسطى الإسلامية عندما يتكلم عن الطرطور فهو يصف طاقية عالية تلبسها المصريات[1] .

منـديـل الـرأس :

استعملت الناس بمختلف طبقاتهم المنديل ، وهو قطعة من القماش قد تكون كبيرة أو صغيرة ، وإذا ما كان المنديل كبير فإنه يلف حول الرأس عند عدم وجود العصابة أو الشعرية وعدم وجود العمامة . وقد وجد فى تركات عصر المماليك أنواع مختلفة من المناديل منسوجة بالكتان أو الحرير ، وألوانها الأبيض والأزرق والأحمر ، ومعظمها مطرز وله حواشى فمثلاً كانت المناديل بيضاء مخططة من الكتان ومناديل كتان زرقاء وأخرى مقفصة ومناديل بحاشية بيضاء وحمراء وبحواشى زرق وسود ومطرزة بحرير أزرق وأخرى بحواشى كمونى حرير وبحواشى صفر[2] .

ومن الجدير بالذكر أنه ظهرت فى عام ٨١٤هـ/١٤١١م فى عهد سلطنة الناصر فرج بن برقوق – للنساء مناديل عصائب سميت « دموع بنت حرق »[3] . وكان يطلق على منديل الرأس العصر وكانت لا تلبسه إلا الحرائر[4] .

---

(1) Dozy: Vetements, P. 203.

(٢) صالحية ، المرجع السابق ، ص٢٢ ، ٢٣

(٣) سبب ذلك أن السلطان الناصر فرج ضرب عند أحمد بن الطبلاوى – ذو القعدة ٨١٤هـ – لأنه وشئ به أنه أفسد خوند بنت حرن ، زوجة السلطان ، فنزلت من القلعة فى غياب السلطان ، وهى متنكرة وباتت عند ابن الطبلاوى فلما بلغ السلطان ذلك ، قطع رأسها وأحضرها بين يدى ابن الطبلاوى فى طبق مغطى ، فلما كشف عنها ، قال له : « اتعرف هذه ؟ ثم قام السلطان وضرب عنقه بالسيف ، وأمر أن يدفنا فى قبر واحد .

ابن اياس : المصدر السابق ، جـ١ ، القسم ثانى ، ص٨١٥

(٤) عبد الله عفيفى :. المرجع السابق ، ص٢٢ ، ٢٣

وبالإضافة إلى مناديل الرأس لا بد وأن استخدمت مناديل لليد[1] .

البخنق[2]

عرفت النساء فى مصر فى عصر المماليك نوع من أغطية الرأس الصغيرة واشتد إقبالهن عليه ألا وهو البخنق . وكان يصنع من القماش الهرمزى[3] ، وجاء بالخطط المقريزية عن سوق البخناقيين أنه معمور جانبيه بالحوانيت المختصة ببيع الكوافى والطواقى التى ترتديها الصبيان والبنات . وكان بظاهر هذا السوق أيضًا عدة حوانيت لصناعة الطواقى وبيعها[4] .

ويرى دوزى أنه كان فى عصر المقريزى لفظ بخنق طاقية لأن المقريزى فى حديثه عن سوق البخناقيين لم يورد إلا تفاصيل عن الطاقية[5] .

---

(١) وقد قال صفى الدين الحلى على لسان قنديل :

أنا منديل مليح   لملاح العالمين
أنا لا أصلح إلا   لدموع العاشقين

انظر : محمد عجاج وعلى موسى سعد : النبراس فى تاريخ الأدب العربى ، ١٩٣٢ ، ٣٥ ، ص١٤

(٢) البخنق جمعها بخانق – قالت العامرية البخنق خرقة تقنع بها المرأة وتحيط طرفها تحت صنكها وتخيط معها خرقة على موضع الجبهة ، ومنه البخنق عند العامة وهو ما يلبس على مقدم أصل العنق من الحلى .

Dozy: Supplement, Tome I, P. 55.

(٣) أحمد عبد الرازق : المرأة ، ص١٨٨

(٤) المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص١٠٤

، سعد الخادم : الصناعات الشعبية فى مصر ، دار المعارف ١٩٥٧م ، ص٧٦

(5) Dozy: Dictionnaire Detaille des nome des Vetements Chez les Arabes, P. 55.

الحجب

لم تكن كل نساء القاهرة يضعن الحجاب فقد كان هذا الترف قاصرًا على المنعمات منهن وكانت المسيحيات يرتدين النقاب أيضًا فهو إشارة إلى ارتفاع المكانة الاجتماعية على الدين[1] .

المقنعة :

وعرفت أيضًا باسم القناع وهى أغطية اتخذتها النساء للرأس والوجه معًا ، وقد يغطى رأسها وجسمها لإخفاء محاسنها ، وتثبت على الرأس بواسطة قطعة قماش ، والقناع أوسع من المقنعة ، ذاك أن الأخيرة تغطى الرأس ، وجزء من الرأس ، وكانت أقنعة النساء تنسج من قماش العصائب وتجعل لها حواشى ، وكانت فى إحدى الوثائق من الكتان الأزرق[2] .

ويذكر دوزى أنها كانت تصنع غالبًا من قماش الموسلين وتثبت تحت إزار المرأة بعد أن تلف بها وجهها تمامًا[3] .

الطرحة :

كانت توضع الطرحة[4] على الرأس وتنسدل على الوجه فتخفيه عن أعين الفضوليين من الرجال . ويفهم من كتابات أحد المعاصرين أن هذين النوعين من الحجب قد استجدا على عصر السلطان الناصر محمد بن قلاوون وأن ثمنها كان يبلغ عشرة

(١) أولج فولكف : المرجع السابق ، ص١٠٩

(٢) صالحية : المرجع السابق ، ص٢٤

(3) Dozy: Vetements, P. 203.

(٤) هى منديل تغطى به المرأة رأسها سموها بذلك لأنها تطرح أى تلقى على الرأس وفصيحها الخمار وهو ما تغطى به المرأة رأسها ويرادفه النصيف يقال نصف الجارية تنصيفًا خمرها . وتنصفت الجارية تنصفًا اختمرت .

رشيد عطيه اللبنانى : المرجع السابق ، ص٣٥٤

آلاف دينار ربما دون ذلك إلى خمسة آلاف درهم . وروى آخر أن الأمير تنكر نائب الشام قدم لابنته زوجة السلطان المذكور مقنعة وطرحة بسبعة آلاف دينار . الأمر الذى يدل على أن هذا النوع من الحجب كان قاصرًا على نساء الطبقة الحاكمة ونعنى بها طبقة المماليك(١) .

ويذكر مظاهرى أن الطرحة التى كانت ترتديها نساء المسلمين فى العصور الوسطى عمومًا من الموسلين الأبيض المنقوش أو من الستان الخفيف وتتكون من قطعتين كبيرتين ملتصقتين القطعة الأولى الأمامية من الوسط تغطى الجونلة ، والثانية تغطى الظهر والأكتاف والرأس وعن طريق الأذرع تثبت هذه الطرحة بالأذرع وتلف فوق الصدر ويوضع فوق الوجه برقع من الموسلين أو الدانتيل(٢) .

وترتدى النساء الطرح ذات الألوان الرقيقة عند الخروج لزيارة صديقاتهن وكان المعتاد أن تخلع هذه الطرح عند دخول المنزل وتوضع فى شال من الحرير حتى موعد انصرافهن(٣) .

ومما ذكره لنا الرحالة الأجانب أن نساء عصر المماليك كن دائمًا يغطين وجوههن بطرح(٤) وكان لون هذه الطرح هو الأسود(٥) .

البرقع :

ويذكر أحد الرحالة الأجانب أن نساء مصر فى عصر سلاطين المماليك استخدمن نوعين آخرين من الحجب ، الأول عبارة عن منديل أبيض وأسود يطلق عليه عادة اسم

---

(١) المقريزى : السلوك ، جـ٢ ، قسم ٢ ، ص٥٣٦
، أحمد عبد الرازق : المرأة ، ص١٨٩ ، ١٩٠

(2) Aly Mazaheri: Op. Cit., P. 73, 74.

(3) Ibid P. 66.

(4) Dopp: Le Caire vu par les Voyageurs.

(5) Occidentaux du Moyen Age, Septembere 1954, 7. XXVII, P. 47, Schefer (G.): Le Voyage d' Outeremer, P. 56.

البرقع وكان يغطي الوجه إلى ما تحت العينين[1] وقد شاع استخدامه بين عامة النساء ومن ثم فقد حرص فنانو عصر المماليك على إثباته على منتجاتهم الفنية التي احتوت على بعض رسوم النساء مثل تلك الرسوم التي تزين مخطوطة الترياق المحفوظة بالمكتبة الأهلية بفينا ، والتي تزين مخطوطة دعوة الأطباء لابن بطلان . كذلك يمكن مشاهدة البرقع في إحدى لوحات الرسام الإيطالي بليني التي سبق لنا الإشارة إليها[2] .

وقد استخدمت المرأة البرقع لإخفاء وجهها عند خروجها إلى الطريق فلا يتمكن أحد من رؤيتها في حيث تتمكن هي من رؤية كل ما يحيط بها[3] .

هذا ويبدو أن التبرقع ليس من مخترعات الإسلام فمن أطلع على الكتب التاريخية يعلم أن نساء اليونان كن يستعملن البرقع إذا خرجن من بيوتهن كما هو الآن عند المسلمين وعند غيرهن من النساء الشرقيات في الشام ومصر[4] .

هذا وربما كان البرقع خطابا مكشوفًا تسجل عليه المراة عبارات الشوق والهيام إلى من تحب وتهوى . فقد كتبت إحدى الجواري على برقعها بالذهب .

ألا حظها خوف المراقب لحظة فأشكو لطرفي ما ألاقي من الوجد .

فتفهم عن لحظتي عظيم صبابتي فتومي بطرف العيداني على العهد[5]

ويثبت في البرقع – فيما بين العينين – قصبة من الذهب أو من الفضة المطلية بالذهب أو من النحاس يطلق عليها عروسة برقع .

---

(١) ماير : المرجع السابق ، ص١٣٠

(٢) Ahmad Abd Arazaq: Le Femkne, PL. XII/A, Pl. VII/A.
، أحمد عبد الرزاق : المرأة ، ص١٩٠ ، ١٩١

(٣) سعيد عاشور . المجتمع المصري في عصر سلاطين ص٢١٨

(٤) محمد بن مصطفى ، المرجع السابق ، ص٨٥ ، ٨٦

(٥) الغزولي : المرجع السابق ، جـ١ ، ص٢٧٩ ، ٢٨٠

ويحتفظ متحف الفن الإسلامى بنماذج لهذه العرائس منها عروسة برقع ترجع إلى عصر المماليك وهى من الفضة اسطوانية الشكل عليها كتابه بارزة . قطرها ٢,٧سم مصر ق ٨هـ/١٤م .

أما النوع الثانى فهو عبارة عن شبكة سوداء تغطى الوجه كله وقد اقتصر استعمالها على نساء الطبقة العليا ، وهى تظهر جلية فى رسوم النساء التى زود بها الرحالة الإيطالى ارنولد فون هارف ما كتبه عن مصر وقت زيارته لها فى عصر المماليك ، فنرى فى اللوحة سيدة واقفة تمسك بمسبحة(١) وتغطى وجهها بشبكة (لوحة ٢٢١) (شكل ٣٧) . وسيدة أخرى تمطى حماراً ووجهها تغطيه شبكة أيضًا(٢) .

النقـــاب :

ومن الحجب التى شاعت بين عامة النساء نذكر النقاب وهو عبارة عن قناع أسود اللون اكتفى فيه بعمل فتحتين للعينين . ويفهم من كتب الرحالة الأجانب المعاصرين أن استعمال هذا النقاب قد امتد إلى نساء بدو مصر وفى هذا خير دليل على شعبيته وتفسير لعدم ظهوره على المنتجات الفنية المتعلقة بعصر المماليك التى احتوت على بعض الرسوم النسائية(٣) .

---

(١) المسبحة أو السبحة خرزات من الزجاج أو الحجر أو الخشب أو الكهرمان نستخدمها للتسبيح وتكون هذه الحبات كروية أو بيضية ويختلف عددها بحسب التقاليد الدينية المرتبطة بها .
واستخدام السبح فى العبادة أشير إليه فى كثير من الديانات كالبوذية والمسيحية والإسلام .
أما عن عدد السبحة عند المسلمين فتتألف عادة من ٣٣ حبة أو ٩٩ بعدد أسماء الله الحسنى أو أضعاف ذلك عند بعض علماء المتصوفة ، وهى مما يتهادى به الحجاج لا سيما المصنوعة حباتها من خشب الصندل لطيب رائحته .
انظر : أحمد عطية الله : دائرة المعارف الحديثة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، المجلد الثانى ١٩٧٩ ، ص٩٩٧

(2) Arnold Von Harff: Die pilgerfahrt, Coln, 1966, P. 106.

(٣) أحمد عبد الرازق : المرأة ، ص١٩١ ، ١٩٢

ويتضح مما جاء في وثائق الحرم القدسي الشريف المملوكيـــة أن النقــاب أمــا أن يكون شــفافًا أو مخرمًا ، وقــد اعتادت النســاء أن يلبسنه عند حضور مجــالس الوعــظ أو الطرب أو الأعراس . والأنقبة التي سجلت بهذه الوثائق غالبًا ما كانت بيضـــاء اللــون ومطرزة بحرير أسود ولبعضها حواشي زرقاء أو زيتية[1] .

* * *

(١) صالحية : المرجع السابق ، ص٢٥

ملابس القدم

تنوعت ملابس القدم الخاصة بالمراة فى عصر المماليك ما بين خف وسرموزة ومداس وقبقاب .

الخف[١] :

توضح لنا المصادر المعاصرة لعصر المماليك أن أحذية النساء كانت تطابق فى أشكالها وخفتها وفخامتها أحذية الرجال المعروفة بالخف والتى كانت تصنع فى العادة من جلد ملون[٢] .

وقد بالغ الأساكفة فى تزيينها وزخرفتها حتى أطلق عليها بعض مؤرخى هذا العصر – كالمقريزى – الأخفاف المثمنة . تلك الأصناف التى أمر منجك بمنع الأساكفة من عملها[٣] .

ومن الجدير بالذكر أن المراة الذمية – فى عصر المماليك – أجبرت على أن تلبس خفين من لونين متباينين أحدهما أسود والآخر أبيض تميزًا لها عن المرأة المسلمة[٤] .

---

(١) الخف Short Boot نوع من الأحذية مما يلبس فى القدم ساترًا لها مع الكعبين ويصنع عادة من جلد رقيق أو يتخذ من اللباد أو الجوخ أو الصوف السميك ويمكن السير به ، وقد يلبس فوق الخف حذاء من جلد سميك يعرف بالجرمون .

أحمد عطيه الله : القاموس الإسلامى : مكتبة النهضة ١٩٦٦ ، المجلد الثانى ص٢٦٤

(2) Arnold Von Harff: Op. Cit., P. 108.

، ماير : المرجع السابق ، ص١٢٩

، أحمد عبد الرازق : المرأة ، ص١٩٢

(٣) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٢٢

(٤) أبو الفداء : البداية والنهاية ، جـ١٤ ، ص٣٠٥

، قاسم عبده قاسم : أهل الذمة فى مصر العصور الوسطى ، ص١٥٦

، أحمد عبد الرازق : المرأة ، ص١٩٢

وتذكر الوثائق أن الخف نوع من الأحذية العالية المرتفعة الكعب المصنوعة من الجلد أو غيره كالجوخ وألوانه بيضاء أو سماقية (كلون نبات السماق) . أما النعل فيشبه الصندل العادى له شراك ، ويزين وجهه بحرير طرح(١) .

وقد احتذت المرأة العربية الخف منذ العصر الجاهلى إلى جانب القفش أو الكوث وهو القصير المكشوف من الأحذية(٢) .

واستخدمت الخفاف فى مصر كلبس قدم للرجال والنساء على حد سواء ومما يذكر أن الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمى – ٤٠٨هـ/١٠١٨م – منع الأساكفة من عمل الخفاف للنساء وشدد فى ذلك(٣) .

وفى عهد كتاب ألف ليلة وليلة أى بعد غزو الأتراك لمصر ، يبدو أن خفاف سيدات القصور وخفاف الجوارى والأماء العائدات لسادة أغنياء مترفين كانت فى غاية الروعة والبهاء فنقرأ فى ألف ليلة – وقفت عليه امرأة – نجف مزركش بحاشية قصب وشريط لاعب – ونجد فى موضع آخر رجلا اشترى لجاريته الراحلة فى سفرة (خفا مزركشا بالذهب الأحمر مرصعا بالدرر والجوهر(٤) .

هذا واستمرت النساء فيما بعد العصر المملوكى يلبسن الأنعلة الجلدية وقد وصلت فى الشرق عموما إلى منتصف سيقانهن أو أعلى من ذلك . ويذكر لين أن الخف حذاء من الجلد الأصفر يدخل فى بابوج(٥) .

---

(١) صالحية : ص٢٦

(٢) عبد الله عفيفى : المرجع السابق ، جـ١ ، ص١٢٨

(3) Dozy: Dictionnaire des noms des Vetements, P. 155.

؛ العينى : المرجع السابق ، ص١٥٨

(4) Dozy: Dictionnaire des Vetements, P. 155-157.

(٥) لين : المرجع السابق ، ص٤٥

السراموزة[1] :

وكانت النساء يلبسن فوق الأخفاف أحذية قصيرة تلبس خارج المنزل تعرف باسم « سراموزة » وهي تعني النعل[2] وتشبه الصندل العادى وعادة ما يزن وجهه بحرير طرح[3].

وكلمة سراموزة أصلها فارسي وتعني رأس الخف فإن سر رأس وموزة خف[4].

---

(1) سرموزة تقابل سرموزة وسرموز وسرموجة وسرموج . وجرموق وزرموزة .
Dozy: Supplement, T. I., P. 650.
Dozy: Vetements, P.202.
والسرموجة والسرموزة ضرب من الخفاف « فارسية دخيلة » . معناها رأس الخف .
أحمد رضا : مجلد ٣ ص١٤٥
السرماية فارسية معربة أصلها سرموزة عربها العرب . وفي الشفاء السرموزة نقل معروفة فارسية معناها رأس الخف والعامة تقول سرموجة .
قال الأزهري :

ممـا طـل رجلي شـكيت ... تـرددى إليـه
وكـان لـي سـرمـوزة ... قطعتهـا عليـه

رشيد عطية اللبناني : المرجع السابق ، ص١٧٦ ، ١٧٧

(2) النعل : الحذاء ، مؤنثة ، وتصغيرها فعيلة ، تقول : فعلت وافتعلت إذا احتذيت .
الجوهري : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية تحقيق أحمد عبد الغفور العطار ، دار الكتاب العربي بمصر ١٢٧٧هـ ، الجزء الخامس ص١٨٣١
جمعها نعال وكانت تسمى تاسومة ، وقد يطلق النعل على كل ما تعى القدم .
وتعني كلمة النعال السبتية المدبوغة وقيل إلى حلق عنها الشعر أخذ من لفظ السبت لأن معناه القطع فالحلق بمعناه ، وقيل لها سبتية تسبتت بالدباغ أى لانت .
ابن حجر : فتح الباري ، جـ١٠ ، ص٣٢٠ ، ٣٢١
والنعال السبتية هى نعال أهل النعمة والسعة .
أحمد رضا : المرجع السابق ، جـ٣ ، ص٩٠

(3) صالحية : المرجع السابق ، ص٢٦

(4) المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص١٠٥

ويبدو أن السراموزة كانت بيضاء اللون فيذكر فييت نقلا عما رآه فريسكو بالدى أن النساء كن يحتذين فى أقدامهن أحذية بيضاء ذات رقبة قصيرة[1] .

ويبدو أن سراموزة استعلمت بعد عصر المماليك لتشير إلى نوع من الصنادل تلبسها النساء فوق الحذاء وتسمى بابوش[2] .

وقد وصف لنا السرموزة بالنثر شرف بن أسد المصرى أحد أدباء عصر المماليك وصفا طريفا فقال : « وأسألك أيها المولى أن تتحفنى بسرموزة أنعم من الموزة ، وأقوى من الصوان ، وأطول عمرا من الزمان ... لا يتغير وشيها ... جلدها من خالص جلود الماعز ... ونعلها من جلد الأفيلة الخمير ، لا الفطير !! »[3] .

المداس :

عرفت نساء عصر المماليك أنواعا أخرى من الأخفاف التى كانت تلبس خارج المنزل منها « المداس » ، الذى استخدمته بعض النساء من عامة الشعب كسلاح ضد من يقع فى يدها من الضحايا التى تريد الانتقام منها[4] ، مثلما حدث عند ضربهن لرأس الشجاعى بعد قتله سنة ٦٩٣هـ[5] .

---

(١) جاستون فييت : القاهرة ، مدينة الفن والتجارة ، ص١٤٦

(2) Dozy: Vetements, P.202.

(٣) أحمد عبد الرازق : المرأة ، ص١٩٣

(٤) ماير : المرجع السابق ، ص١٢٩

، المرجع نفسه : ص١٢٩

(٥) كان علم الدين سنجر الشجاعى وزيرا ومدبرا للملكة المصرية وأتابكا للعسكر من قبل السلطان الناصر محمد ، وقد زاد ظلمه وعسفه ومصادراته للناس مما جعل بعض الأمراء وجماعة من الخاصكية يدبرون لقتله فضربه آقوش المنصورى بالسيف فقطع يده ورأسه وحملت المشاعلية رأسه على رمح وكانوا يدخلون بها البيوت فتضربه النسوة بالمداسات لما فى نفوسهم منه .

انظر : ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، الجزء الثامن ، ص٤١ - ٤٦

وقد استخدمت كلمة نعل وكلمة مداس معًا بدون تمييز أو تفريق ونستخلص من ذلك أن كلمة مداس تشير إلى الكلمة الفرنسية صندل Sandale كما تشير إليه كلمة نعل[1] .

والسقمان وعنه يذكر المقريزى أنه خف ثان ويتضح أنه يلبس فوق الخف الأول من قوله « وفى أرجلهم من فوق الخف سقمان »[2] وكان يصنع السقمان من جلد بلغارى أسود ويلبسه النساء والجنود والأمراء وكذلك السلاطين[3] .

والأوطية المرصعة التى ابتدعتها نساء طبقة المماليك فى عصر السلطان الناصر محمد بن قلاوون فى القرن ٨هـ/١٤م[4] . وربما هى التى أطلق عليها فى وثائق الحرم القدسى المملوكية لفظ « المشاية » وهى ضرب من النعال الخفيفة التى تصنع من الخمل أو الجلد الأسود[5] .

القبقاب :

اقبلت المرأة فى عصر المماليك على اتخاذ القباقيب الخشبية ذات القوائم المرتفعة والتى كانت ترصع – فى الغالب – بالذهب والأحجار الكريمة أو بالصدف والعاج أو الأبنوس وقد تكون أيضًا مزينة برسوم اللاكيه[6] .

واستخدم الرجال والنساء – على حد سواء – القبقاب فى الحمامات ولا يستعمله النساء فى المنزل إلا نادرا ، إلا أن بعضهن ينتعله حتى لا يسجى ذيل الثوب على الأرض ، وبعضهن يتخذنه ليبدون طويلات[7] .

---

(1) Dozy: Vetements, P.186.

(٢) المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص٩٨

(٣) Dozy: Vetements, P.209.

(٤) أحمد عبد الرازق : المرأة ، ص١٩٤

(٥) صالحية : المرجع السابق ، ص٢٦ ، ٢٧

(٦) أحمد عبد الرازق : المرأة ، ص١٩٤

أحمد ممدوح حمدى : المرجع السابق ، ص٥٣

(٧) لين : المرجع السابق ، ص٤٤

والبعض الآخر يلبسنه في بعض الأحيان للكشف عن مفاتن أقدامهن التي كثيرا ما كانت تنقش بأشكال بديعة من الحناء(١).

ومن الغريب أن تستخدم القباقيب في قتل شخصيتين بارزتين من شخصيات دولة المماليك وفى حادثتين متتاليتين فقد اغتالت شجر الدر زوجها عز الدن أيبك بالقباقيب كما استخدم جوارى عز الدين أيبك القباقيب أيضا في قتل شجر الدر عندما أرادت أن تعطي صولجان الحكم إلى الأمير عز الدين الذى رفض لعدم جرأته على اتخاذ خطوة كهذه وبعد ذلك ثار المماليك أنصار أيبك ونصبوا ابنه نور الدين على (الملك المنصور الذى لم يكن قد أتم سوى خمسة عشرة عاما ، وفى ربيع ثانى سنة ٦٤٨هـ ، ذهب المماليك المعزية إلى البرج الأحمر وقبضوا على شجر الدر وحملوها إلى أم السلطان المنصور على لكى تتولى قتلها بنفسها ، فضربها الجوارى بالقباقيب إلى أن ماتت وألقوها من سور القلعة إلى الخندق ، وبقيت فيه أياما ثم حملت في قفة ودفنت في تربتها قرب مشهد السيدة نفيسة(٢).

وذكر المقريزى فى أحداث سنة ٧٥٠هـ/١٣٤٩م أن خوند بنت الناصر محمد بن قلاوون زوجة الأمير طاز توفت وتركت مالا عظيما منه قبقاب مرصع بيع بمبلغ أربعين ألف درهم أى ما يساوى ألف دينار مصرية(٣).

---

(١) أحمد عبد الرازق : المرأة ، ص١٩٥

(٢) المقريزى : السلوك ، ط٢ ، جـ١ / قسم ٢ ، ص٤٠٣ ، ٤٠٤

Devonshire (R. L. d' Egypte Musulinane Paris, 1926, P. 74, CL. Huart: Histoire des Arabes, Paris 1913, T. 11, P. 40.

، ماير : المرجع السابق ، ص١٢٤

، على إبراهيم حسن : الأيوبيين والمماليك ، ص١٧٤

(٣) السلوك جـ٢ / قسم ثالث ، ص٨١٤

ومما يجب ذكره أن القباقيب النساوية الملبسة بالذهب والمرصعة بفصوص مثمنة كانت من بين قود[1] الأمير منجك اليوسفى نائب الشام الذى قدم فى شهر ربيع الأول سنة ٧٧٤هـ/١٣٧٣م فى سلطنة الملك الأشرف شعبان[2] .

ويبدو أن القباقيب ، كانت تزخرف بالألوان بالإضافة إلى كونها ملبسة بالذهب المرصع بالجواهر ، ويتضح ذلك مما ذكره شيفر عن نساء القاهرة أنهن كن يلبسن فى أرجلهن « المراكيب من التيل الموشى أو القبقاب الملون والمذهب »[3] .

ومن الجدير بالذكر أنه كانت توجد بالأسواق دكاكين خاصة ببيع القباقيب – وكان بائعها يعرف بالقباقيبى – مثلما كان الحال فى الشام فى عصر المماليك[4] .

وتلبس نساء الطبقة الوسطى فى أقدامهن حذاء يسمى بالمركوب يمكن أن يقال أن أقدامهن لا تشعرن فيه بضغط ما عليها[5] . أما نساء الطبقة الدنيا فلا ينتعلن الأحذية فى الغالب[6] . وإن كانت الفلاحات ينتعلن نعلاً واسعًا بسيطًا[7] .

الجــــوارب :

يذكر ڤييت نقلاً عن الرحالة فريسكو بالدى أن نساء القاهرة كن يلبسن فى أرجلهن جوارب طويلة[8] .

---

(١) قود الدابة مشى أمامها آخذا بقيادها ، قود جمع قائد من يقود فوجا من الجنود أو قطعة منهم أو كتيبة ، قائد الموقع وهو الذى يقود الجنود المرابطين فى مدينة أو غيرها . والقود : الخيل التى تقاد ولا تركب .

كرم البستانى : المرجع السابق ص٦٦٠

(٢) ابن اياس : المصدر السابق ، ط١ ، جـ١ ، قسم ثانى ، ص١١١

(3) Schefer, C.: Le Voyage d' Outremer, P. 56.

(٤) شمس الدين محمد بن طولون : مفاكهة الخلان ، القسم الأول ، ص٢٨٧

(٥) كلوت بك : المرجع السابق ، جـ١ ، ص٦١٤

(٦) المرجع نفسه : نفس الصفحة .

(٧) حسن خطاب : المرجع السابق ، ص٢٢

(٨) ڤييت : القاهرة مدينة الفن والتجارة ، ص١٤٦

وفى العادة تلبس الجوارب فى الشتاء وتكون من الصوف أو القطن[1] والجورب كلمة فارسية الأصل ، وأصلها كورب أو كوربا أى (قبر الرجل) ومنه التركية والكردية كورة . ويذكر ابن منظور ، وأن معناها لفافة للقدم . ويؤيد دوزى ، الرأى السابق ، ويشير إلى أن الشرقيين كانوا يلفون أقدامهم بخرق صوفية كبيرة وفوق تلك اللفافات يلبسون خفافهم الواسعة .

وعن تاريخ الجوارب الإسلامية فقد ثبت أن الرجال والنساء – على حد سواء – قد استخدموا الجورب ، منذ عهد الرسول ، حيث ثبت المسح على الجوارب مما رواه المغيرة بن شعبة (من أن الرسول ﷺ ، مسح على الجوربين والنعلين) . ولقد ظلت الجوارب مستعملة طيلة العصور الإسلامية المتعاقبة ، وكان المسلمون يرتدون الجوارب حين يطوفون حول الكعبة[2] .

ويحتفظ متحف الفن الإسلامية ببعض الجوارب منها فردة جورب صغيرة من القطن منسوجة باليد عليها ثلاثة أشرطة زرقاء من العهد المملوكى وطولها ٢٣٠م[3] .

(١) لين : المرجع السابق ، ص٣٥

(٢) أحمد الزيات : المرجع السابق ، ص١٦٢ ، ١٦٣

(٣) رقم سجل ١٥٦٠٩ (لوحة ٢٥٦) .

الفصل الثانى

الفنون والصناعات المرتبطة بجهاز العروس
فى ضوء الحياة الاقتصادية

الفنون والصناعات المرتبطة بجهاز العروس
فى ضوء الحياة الاقتصادية

تعددت الصناعات الخاصة بجهاز العروس فى عصر المماليك وما أقيم عليها من فنون ولا نكون مبالغين إذا قلنا أنها شملت معظم الصناعات والفنون المعروفة آنذاك تلك الصنائع هى صناعة الخشب وما ارتبط بها من فنون زخرفية كالأويمة والخرط والتطعيم والتلبيس والتلوين وصناعة المعادن من تشكيل المطبخ والتنانير والشماعد والمسارج والمناير والمباخر والمكاحل وما اتصل بها من حز وتفريغ وتكفيت وزخرفة بالمينا وصناعة الخزف والفخار وصناعة النسيج وفنونها من طبع وتطريز وصناعة الخياطة والتنجيد وصناعة السجاد وصناعة الزجاج والبللور والحصير والمقاطف وصناعة العطور . فقد كان إعداد الجهاز يتطلب شراء أشياء متنوعة قام بعملها العديد من الصناع أو التعامل مع هؤلاء الصناع لعمل الجهاز بمواصفات معينة . وتنقل لنا المصادر أن الصناعة – بصفة عامة – كانت مزدهرة فى عصر المماليك نتيجة كثرة الثروة فالمعروف أن الصانع أو الفنان يحاول دائما أن يرقى بإنتاجه إذا اطمأن أنه سيجنى ثمن أتعابه فى النهاية ومن ناحية أخرى فإن المستهلك إذا عظمت ثروته وفاضت عن مطالبه الأساسية فإنه يفكر فى اقتناء الكماليات ولا يضن بمال يبذله فى شراء التحف والحصول على النفائس .وكان هذا الوضع الذى أثر فى ارتقاء الصناعة والصناع فى عصر المماليك، عندما فاضت الخزائن بالثروة العظيمة، فانعكس أثر ذلك فيما خلفه ذلك العصر من مصنوعات راقية، بلغت شأوا بعيدا فى الدقة والإتقان([1]) .

ويلغ من اهتمام الحكومة بالصناعات والصناع أن عهدت إلى المحتسب بالإشراف عليها ومنع الغش فيها، ونظرا لعدم تخصصه فى الصناعات، كان يجعل لكل صنعة عريفا من خيرة أهلها، خبيرا بصناعاتهم، بصيرا بغشهم وتدليسهم، مشهورا بالثقة والأمانة يكون مشرفا على أحوالهم، ويطالعه بأخبارهم، وما يجلب إلى سوقهم من السلع والبضائع، وما تستقر عليه الأسعار، وغير ذلك من الأسباب التى يلزم المحتسب معرفتها، فقد روى أن

---

(١) د. سعيد عاشور : العصر المماليكى فى مصر والشام، ط ٢، دار النهضة العربية ١٩٧٦ م، ص ٢٨٨، ٢٩٨ .

النبى صلى الله عليه وسلم قال : " استعينوا على كل صنعة بصالح أهلها " ([1]). وكانت الحياة الاقتصادية منتعشة فى أيام المماليك، والدليل على ذلك وجود كلمات تدل على ذلك، مثل : دكاكين وحوانيت ومخازن وقياسر وخانات ووكالات وفنادق، وهذه الأخيرة كانت أكثرها، تتكون من عدة طوابق عبارة عن غرف مختلفة ومخازن لها فناء داخلى يحتوى على البضائع والدواب يسكنها غالبا التجار الأجانب، يرأسهم القناصلة وهم كبار الفرنج فكانت الفنادق توجد فى كل أنحاء المدن المصرية من الإسكندرية إلى أسوان ([2]).

ومن المعروف أن التقدم الاقتصادى يقوم أساسا على تنمية موارد الثروة فى البلاد، وتنمية هذه الموارد إنما تأتى من توجيه العناية إلى الزراعة وإلى الصناعة، وإلى التجارة سواء منها ما كان فى داخل البلاد أو كان بينها وبين الدول الأخرى([3]) .

ولا تعنى العناية بالزراعة ومرافقها فى عصر المماليك بأى حال تقدم أحد الفلاحين أو ارتفاع مستوى معيشتهم فالفلاح المصرى عاش فى ذلك العصر يفلح ويفنى عمره فى خدمتها وليس له من خيراتها إلا القليل . ذلك أن خيرات البلاد ومحصولات الأراضى الزراعية كانت فى الواقع نهبا موزعا بين السلاطين والأمراء ومماليكهم، فى حين لم يبق للفلاحين سوى الكد والعمل، ودفع ما يطلب منهم من أموال([4]) . وكانت الأرض تزرع مرة واحدة فى السنة عقب فيضان النيل، لأن البلاد لم تعرف فى ذلك العصر غير رى الحياض، كما أن الفلاح لم يعرف من وسائل الزراعة وأدواتها غير الوسائل والأدوات العتيقة التى عرفت منذ أيام الفراعنة .

وعلى ذلك فإنه يبدو أن محصول الأرض الزراعية فى مصر ازداد على عصر سلاطين المماليك نتيجة للعناية بمرافق الزراعة من جسور وترع ومقاييس النيل وغيرها([5]) .

---

(١) الشيزرى : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة، ص ١٢ .

حسن عبد الوهاب : توقيعات الصناع على آثار مصر الإسلامية، (مستخرج من مجلة المجمع العلمى المصرى) – المجلد ٣٦، (١٩٥٣ – ١٩٥٤) ص ٥٣٩ .

(٢) عبد المنعم ماجد : طومان باى آخر سلاطين المماليك فى مصر، الأنجلو المصرية، ١٩٧٨، ص ٧٧.

(٣) د . محمد عبد العزيز مرزوق : الناصر محمد، ص ٣٢٦ .

(٤) د . سعيد عاشور : العصر المماليكى، ص ٢٨٨ .

(٥) د . سعيد عاشور : الأيوبيون والمماليك فى مصر والشام .

هذا وقد تمتعت بعض الأراضى بنظام الرى الدائم وذلك لقربها من مجرى النيل أو فروعه مثال ذلك أرض الدلتا الواقعة بين فرعى النيل والتى كانت تروى عن طريق ألف ساقية كانت ترفع المياه لرى ريف الجزيرة طوال العام . وكانت هذه الجزيرة تمون القاهرة بحاجاتها من الخضروات والبقول(1) .

وكانت الأرض التى تزرع بطريقة رى الحياض تغل محصولا واحدا بين المزروعات التى عرفت باسم " المحاصيل الشتوية " ومن أهمها : القمح والفول والبصل .

أما أراضى الرى الدائم فكانت تنتج المحاصيل الصيفية وأهمها قصب السكر، والقطن والبطيخ، كذلك كانت الفواكه والخضروات والأزهار والرياحين تزرع فى البساتين والحدائق التى انتشرت على ضفاف النيل فى عصر سلاطين المماليك، كما كان الأرز يزرع فى بعض الأماكن التى تتوفر فيها مياه الرى بكثرة مثل إقليم الفيوم، وكانت الذرة تزرع فى مصر العليا. وفى أراضى الرى الدائم كان يمكن زراعة ثلاثة محاصيل وفقا لتتابع زمنى معين (2).

وقد كان الكتان من أهم مزروعات مصر فى عصر المماليك . وقد حرصت الأقطار المجاورة على استيراد مقادير وفيرة منه لسد حاجة سكانها من المنسوجات الكتانية (3).

كما كان ينبت بمصر الرياحين والأزهار على اختلاف أنواعها، كالورد وهو على عدة أصناف: الأحمر والأبيض والأزرق والأصفر – الذى كثيرا ما كان يغرس بحدائق الإسكندرية – والنرجس والبنفسج وهو نوعان : جبلى وبستانى فالجبلى دقيق الورق أزرق اللون، والبستانى عريض الورق حالك اللون وهناك نوع ثالث أبيض لا يوجد إلا بمصر ويسمى الكوفى .

ومن بين الأزهار التى انتشرت زراعتها بمصر فى ذلك العهد : اللينوفر ويكثر فى الأماكن المنخفضة التى يقف فيها الماء، وكانت الحدائق لا تخلو من الياسمين والأقحوان الذى قال فيه الجمال على بن ظافر المصرى :

---

(1) د . قاسم عبده قاسم : النيل والمجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك، دار المعارف، ١٩٧٨ م، ط ١، ص ٢١ .

(2) المرجع نفسه، نفس الصفحة .

(3) د . محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق، ص ٢٨٢ .

انظـر فقـد أبـدا الأقـاح مباسـما ضحكـت تهلـل فـي قـدود زبرجد

وقد كثرت زراعة أشجار السنط [1] فـي البهنساوية والأشمونين والأسيوطية والإخميمية والقوصية وكان لها حراس، يحولون دون المساس بها حتى يقطع منها الخشب اللازم لصناعة الأسطول المصرى أما أطراف تلك الأشجار التى ينتفع بها فـي الوقـود، فيباع الحمل منها بأربعة دنانير للتجار، وقد جرت العادة ألا يباع مما فـي البهنسا من أخشاب شجر السنط إلا ما يفضل عن حاجة السلطان [2].

هذا وتدل جميع الشواهد على ان التجارة كان لـها المقـام الأول - رغـم أهمية الزراعة والصناعة - في النشاط الاقتصادى فى عصر المماليك وأنـها كـانت المصدر الأول للثروة الهائلة التى عبرت عن نفسها فى أعمال المماليك وحياتهم وما تركـوه من آثار ومنشآت فخمة ويرجع السبب فى النشـاط التجارى الذى تميزت به مصر فـي ذلك العصر إلى انسداد معظم طرق التجارة العالمية بين الشرق والغرب منـذ القـرن الثالث عشر، بسبب حركة المغول التوسعية ، وبذلك لم يبق آمنـا إلا طريـق البحـر الأحمـر ومصر، مما جعل مصر تقوم فى ذلك بدور الوسيط بين الشـرق والغـرب، وقـد أدرك سلاطين المماليك ما يمكن أن تعود به عليهم التجارة من ثروة، فاهتموا بتنشيطها وتـأمين مسالكها وإنشاء المؤسسات اللازمة للتجارة كالفنـادق والخانـات والوكـالات والقياسر والأسواق وغيرها كذلك حرصوا على التودد إلى قوى البحر الأحمر مـن ناحيـة، وإلـى التجـار الأوربيين المترددين على الإسكندرية ودميـاط من ناحيـة أخـرى[3] . فكـانت منتجات الشرق ترد من الصين والهند واليمن عن طريق البحر الأحمر حتى مدينة عيـذاب ثم تفرغ المراكب حمولتها فى هذا الميناء ، وتحمل منـه على ظهور الإبـل إلـى مدينـة قوص - وقد كانت عاصمة مصر العليا فى ذلك الوقت - ومنها تنقل فى النيل إلى القـاهرة،

(١) أصل هذه الشجرة إفريقيا الاستوائية وآسيا وهى شجرة شوكية متوسطة الحجم سريعة النمو تزرع فى الأراضى الرملية وكان المصريون القدماء يسمونها " شند " أو " شنت " وبالقبطية " شونتى " ثم حرفت فى العربية سنط . ويمتاز خشبها بقوته وصلابته ولونه الداكن ومقاومته للماء وبخاصة بعد تعطينه لذا استخدم فى صناعة الأثاث وغيرها من الصناعات الخشبية . وتمتاز هذه الشجرة بأنها تزهر طـوال العام ولا تزال هذه الشجرة موضع تقدير الفلاح المصرى حتى اليوم كما كانت فى عهد أسلافه .

(٢) محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق، ص ٢٨٢، ٢٨٤ .

(٣) د . سعيد عاشور : الأيوبيون والمماليك، ص ٣٥٠، ٣٥١ .

ومن القاهرة تواصل سيرها خلال فرع رشيد وخليج الإسكندرية (ترعة المحمودية) حتى ميناء تلك المدينة ومنه تصدر إلى أوروبا .

أما التجارة التى ترد من أوروبا فكانت تأتى عن طريق دمياط أو رشيد والإسكندرية وتسلك نفس الطريق السابق حتى قوص ثم عيذاب وفى البحر الأحمر تسير بالمراكب حتى موانئ اليمن والهند والصين . وكانت تجارة السودان وتجارة النوبة تحمل فى النيل حتى الجنادل ثم تنقل على ظهور الجمال إلى أسوان التى كانت مركزا هاما فى ذلك الوقت من مراكز التجارة (١).

وكانت القاهرة مدينة عامرة بالحياة والحركة لم تؤثر فيها الأوبئة المهلكة ولا الكوارث الطبيعية . وقد قال عنها فرسكو بالدى الذى زارها فى عام ١٣٨٤ م أن بمينائها عدد ضخم من المراكب الراسية يفوق كل ما رآها فى موانى جنوة والبندقية وانكونى معا. وقد ذكر أن عدد سكانها أكثر من سكان توسكانا . وقد قال بعض الرحالة الآخرين أن المدينة أكبر من باريس سبع مرات . وأكد بود جيبونس أن المركبة تحتاج إلى يومين تطوف بها . وكتب الراهب جاك دى فرون فى عام ١٣٢٥ م / ٧٢٥ هـ أن أهل القاهرة يتمتعون بثراء كبير نتيجة التجارة الهندية، فالمراكب تجلب كميات هائلة من التوابل والأحجار الكريمة عن طريق البحر الأحمر وعن طريق البحر المتوسط تجلب السنن من كل أنحاء العالم كل ما يمكن أن يروق للإنسان (٢).

أما التجارة الداخلية فكانت على درجة واسعة من النشاط، فاشتهرت المدن المصرية - وعلى رأسها القاهرة - بأسواقها العامرة . وكان التجار - كما كان الحال فى الشرق - يتجمعون فى أسواق حسب تخصصاتهم فوجد سوقا للسروجيين وسوقا للشماعين، وسوقا للفرايين(٣) وسوقا للنحاسين وسوقا للكفتيين وسوقا للخراطين وسوقا للصنادقيين وسوقا للنحاسين وسوقا للشرابيين وسوقا للحريريين وسوقا للصباغين وسوقا(٤) للعنبريين وسوقا للاخفافيين .

---

(١) د . محمد عبد العزيز مرزوق : الناصر محمد ٣٢٩، ٣٣٠ .

(٢) أولج فولكف : المرجع السابق، ص ٩٦ .

(٣) د . سعيد عاشور : العصر المماليكى، ص ٣٠٨ ، أولج فولكف : المرجع السابق، ص ١٠٤ .

(٤) المقريزى : الخطط، جـ ٢، ص ٩٦، ٩٨، ١٠٠ - ١٠٥ .

ومن مزايا هذا التخصص أن التاجر لم يستطع أن يشذ عن جيرانه أو أن يرفع أسعار السلعة التى يتجر فيها، لأن منافسيه على مقربة منه، كما أن المشترى إن لم يعجبه نوع السلعة أو ثمنها فإنه يستطيع أن ينتقل فى سهولة من متجر لآخر دون أن يتحمل أدنى مشقة . أما عيوبه فأهمها أن الفرد إذا أراد شراء عدة أصناف متباينة من البضائع فكان عليه أن يقطع المدينة كلها طولا وعرضا حتى يقضى حاجاته . لأنه لن يجد فى السوق الواحد إلا نوع واحد من البضائع([1]).

ولا تزال آثار ذلك النظام التخصصى نشاهدها فى جهة الغورية فى سوق " الفحامين " وسوق الخيمية وسوق العطارين وغيرها ([2]).

وأكثر الأسواق المسقوفة التى يذكرها المقريزى – وقد أمكن تحقيق مكان تسع عشرة من اثنتين وثلاثين – موجودة فى قطاع يشبه مثلثا متساوى الأضلاع، رأسه يصل جنوبا إلى باب زويلة وقاعدته خط شمال يمتد بين ضريح السلطان الغورى إلى جامع الأزهر . وقد اختصت هذه الأسواق ببيع جميع أنواع المنسوجات من صوف وكتان وأقمشة شعبية وحرير ثمين وشورة العروس ولا زال اسما سوق العنبر وسوق العصفر يدلان بوضوح على نوع سلعهما . ومن الأسواق الأخرى ما ضمت صناع الأخفاف والسهام والصناديق .

وكان هناك بجوار ضريح السلطان قلاوون خمس أسواق مسقوفة، وسبع أخرى بالقرب من مسجد الحاكم ([4]).

وكانت أسواق القاهرة فى العصور الوسطى تحتوى على حوانيت وكان أمام هذه الحوانيت مصاطب، وتبعا لذلك كانت أرضية الحانوت ترتفع عن مستوى أرضية الشارع بمقدار متر تقريبا وتمتد خارج باب الحانوت نفسه كمصطبة لعرض البضائع عليها وخاصة فى الشوارع التجارية الرئيسية والأسواق فى المدن إبان العصر الوسيط فى القاهرة وغيرها .

وقد تكون المصطبة عبارة عن عدة مجاديل من الحجر أو الرخام محمولة على كباش أو حرمدانات بارزة أو قد تبنى بالآجر أو بالحجر وتبلط ([3]).

---

(١) د . سعيد عاشور : العصر المماليكى ص ٣٠٨، ٣٠٩ .

(٢) د . محمد عبد العزيز مرزوق : الناصر محمد، ص ٣٢٩ .

(٣) د . عبد اللطيف ابراهيم : من وثائق دير سانت كاترين، ثلاث وثائق فقهية – مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ، مجلد ٢٥، جـ ١ مايو ١٩٦٣ م مطبعة جامعة القاهرة ١٩٦٧ م ص ١٢٦ .

وقد ظلت المصاطب شائعة الاستعمال في مصر حتى أمر محمد على بإزالتها كي لا تضيق على المارة . وذلك في سنة ١٢٥٠ هـ / ١٨٣٥ م (١).

وكان يوجد في الأسواق الصيرفي الذى يبدل العملة، وفي مكان يقف عريف السوق لينقل إلى المحتسب أنباء أى خلل أو غش . والمحتسب يراقب الأسعار والنظافة العامة والآداب العامة، خاصة وأن بعض الأسواق مثل أسواق الحلاويين والدجاج – تكون مليئة بالنساء بل غالبا ما تكون أغلبية المتعاملين منهن (٢).

هذا وقد تميز النظام الاقتصادى بضروب من المصادر والاحتكار كانت تؤلف العمود الفقرى لمالية الدولة، على الرغم من شجب الشرائع الدينية لها، واحتجاج الفقهاء على اصطناعها مرة بعد مرة . فكانت الدولة تبتاع بالإكراه معظم المحاصيل والمواد الرئيسية ثم تبيعها من جديد إلى تجار التجزئة بأسعار محددة (٣).

ووصلت القاهرة إلى ذروة مجدها في النصف الأول من القرن الرابع عشر تحت الإدارة الحازمة للسلطان الناصر محمد بن قلاوون . ومع الآمن الذى نعمت به البلاد، أتى الرخاء وتواكب نجاح سياسة السلطان الخارجية مع الداخلية فنعم الفلاح بالأمن من طغيان الأمراء بفضل الإجراءات الصارمة التى اتخذها السلطان أدى ثراء السلاطين والكبراء إلى إغراق المتاجر بالسلع المختلفة مما عاد بالربح على التجارة وارتفاع حصيلة الضرائب وأضفت الاحتفالات العديدة بالأعياد قدرا من البهجة على حياة البسطاء (٤).

وقد تعرضت الحالة الاقتصادية في مصر في ذلك العصر إلى بعض الهزات وذلك بسبب المجاعات المخيفة التى اكتسحت مصر في فترات متفرقة والتى كان من أسبابها أن بعض الولاة كانوا يصلون إلى مناصبهم عن طريق الرشوة، وكانوا يفرضون على أهل الريف الضرائب ليعوضوا ما دفعوه، وهذه المغارم والأموال الأميرية، والاضطرابات الداخلية في البلاد جعلت الفلاحين يهجرون أراضيهم فتدهورت الزراعة تبعا لذلك وقلت

---

(١) السيد الباز العرينى ناشر كتاب نهاية الرتبة فى طلب الحسبة للشيرزى.القاهرة ١٩٤٦ م، ص١١، حاشية٢

(٢) كارل بروكلمان : المرجع السابق، ص ٣٧٢، ٣٧٣ .

(٣) أولج فولكف : المرجع السابق، ص ١١٨ .

(٤) حسن عبد الرحمن خطاب : الزراعة والمجتمع الريفى فى مصر الإسلامية ص ٢١ .

الغلات، وبدأ شبح المجاعة فى الظهور(١) . ومن أسباب المجاعات أيضا انخفاض نهر النيل وأول هذه المجاعات حدثت فى عصر السلطان الظاهر بيبرس البندقدارى فى عام ٦٦٢ هـ / ١٢٦٤ م والثانية بين عامى ٦٩٤ - ٦٩٥ هـ / ١٢٩٤ - ١٢٩٥ م أثناء حكم السلطان العادل كتبغا وفى سنة ٧٠٩ هـ/ ١٣١٠ م فى عصر السلطان ركن الدين بيبرس الجاشنكير حدثت مجاعة عقب توقف النيل عن الزيادة فى موسم الفيضان، وفى عام ٧٣٦ هـ / ١٣٣٦ م حدثت مجاعة أخرى، ثم جاء الوباء الرهيب الذى عم أنحاء المعمورة ما بين عامى ٧٤٩ - ٧٥٠ هـ/ ١٣٤٨ - ١٣٤٩ م ابتداء بالشرق الأقصى وانتهاء بعصر أوروبا، وقد عرفه المؤرخون العرب باسم " الفناء الكبير " بينما أطلق عليه مؤرخو أوروبا اسم " الموت الأسود " وصحب هذا الوباء الرهيب مجاعة استمر أثرها قائما حتى عام ٧٥١ هـ / ١٣٥٠ م .

وقد عاصر المقريزى المجاعة التى ألمت بالبلاد - بصورة متقطعة - ما بين عامى ٧٩٦ هـ و ٨٠٨ هـ / ١٣٩٤ و ١٤٠٦ م .

وفى أوقات المجاعات ترتفع الأسعار وبالتالى ترتفع أجور العمال وأرباب المهن والصنائع .

ولم يكن سبب المجاعات هو هبوط النيل أو زيادته زيادة مفرطة فحسب بل كان اضطراب الأمن فى البلاد بسبب الحروب بين الطوائف المماليك من جهة، ونساء العربان من جهة أخرى من الأسباب الرئيسية لارتفاع الأسعار، فقد أحل بمصر شدة عظيمة فى سنة ٨١٨هـ/١٤١٥م رغم وجود الغلال وزيادة الماء وكثرة الزرع وذلك بسبب كثرة الفتن بضواحى مصر من العربان وخروج العسكر مرة بعد مرة وفى كل مرة يحدث الفساد فى الزرع ويقلل الأمن فى الطرقات .

وقد تسببت المجاعات فى كثير من الأحيان إلى انتشار الأوبئة والطواعين أو تكون المجاعات نتيجة لهما فى أحيان أخرى، وربما يواكب كل منهما الأخر (٢).

وكانت أزمة النقد والعملة من أبرز مظاهر التدهور الاقتصادى فى العهد المملوكى الثانى، وكانت معاناة الشعب بصفة عامة والتجار بصفة خاصة ناتجة عن تدهور قيمة

---

(١)المرجع نفسه ، نفس الصفحة ..

(٢) د . قاسم عبده قاسم : النيل والمجتمع المصرى فى عصر المماليك، ص ٥٣ - ٦٣ .

العملة وسك العملة النحاسية بدلا من العملة الفضية، بل وسك العملات المغشوشة وكان ذلك يؤدى إلى رفض الرعية استخدام تلك العملات فضلا عما كان يصيب السوق من حالة توقف وارتفاع فى الأسعار يهوى بحجم التجارة إلى مستويات شديدة التدنى([1]) .

وتولى الغورى حكم مصر فى فترة من أحرج فترات تاريخها إذ كانت تتهددها أخطار خارجية وأخطار داخلية على جانب كبير من الأهمية ففى الداخل تعرضت الدولة لضائقة اقتصادية بالغة الخطورة نتيجة تحول التجارة بين الشرق والغرب إلى طريق رأس الرجاء الصالح وفقدان مصر بالتالى للأرباح الطائلة التى كانت تحصل عليها كوسيط تجارى بين الهند وأوروبا . ولقد استفحلت الضائقة الاقتصادية حتى عجز الغورى عن سد نفقات الجند من المماليك مما أدى إلى تذمرهم وتهديدهم بالفتنة .

أما فى الخارج فكانت مصر مهددة أثناء حكم الغورى بعدة أخطار أولها من قبل الأوروبيين الذين كانوا يهددون السفن المصرية في البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر والمحيط الهندى وثانيها من قبل الصفويين الشيعية فى إيران والعراق وكانوا يطمعون فى أملاك مصر فى آسيا ثالثها من قبل العثمانيين فى آسيا الصغرى، وكانوا يريدون أن يحلوا محل مصر فى زعامة العالم الإسلامى بل ويطمعون فى الاستيلاء على مصر نفسها ([2]).

وعندما استولى سليم الأول على مصر سعى إلى القضاء على مقومات مصر الحضارية ففرغها من كل نابه وحاذق ونقلهم إلى اسطنبول، وهم من جميع نواحى مصر من المسلمين والقبط واليهود على السواء ومنهم أصحاب الحرف والصناعات كالمهندسين والبنائين والنجارين والحدادين والسباكين وصناع النسيج والتجار والفعلة .

وما من شك فى أن هؤلاء المنفيين إلى اسطنبول وغيرها، هم الذين بنوا للعثمانيين أجمل عمائرهم الإسلامية وأروعها، كما قاموا بنشر الحرف والصناعات التى كانوا على دراية بها وتفوق، فى حين بطل من مصر حوالى خمسين صنعة ([3]).

---

(١) د . عبد العزيز سليمان نوار : المرجع السابق، ص ١٩٥ .

(٢) د . حسن الباشا : قانصوه الغورى، بحث بكتاب القاهرة، تاريخها، فنونها، آثارها، مؤسسة الأهرام ١٩٧٧ م، ص ١٤٣ .

(٣) عبد المنعم ماجد : طومان باى، ص ١٩١ - ١٩٦ .

الصناعات المرتبطة بجهاز العروس

« صناعة النجارة »

تعتبر صناعة النجارة[1] من أهم الصناعات المرتبطة بجهاز العروس ، فمن المعروف أن إعداد الأثاث الخشبى المنزلى من أسرة ودواليب وصناديق ودكك وأرائك وكراسى كبيرة وصغيرة ، هو العمود الفقرى للجهاز ، وهو ما تركز عليه الأنظار وأول ما يفكر فى إعداده والد العروس ، هذا بالإضافة إلى الموائد والخوانات ، وكراسى الصوانى وأوانى المطبخ من سلاطين وأطباق وأهوان وملاعق وغير ذلك من قباقيب أمشاط ومكاحل . وقد عدد ابن خلدون فوائد هذه الصناعة قائلا أنها : « من ضروريات العمران ومادتها الخشب وذلك أن الله سبحانه وتعالى جعل للآدمى فى كل مكون من المكونات منافع تكمل بها ضرورياته أو حاجاتها وكان منها الشجر فإن له فيه من المنافع ما لا ينحصر مما هو معروف لكل أحد ومن منافعها اتخاذها خشبا إذ يبست وأول منافعه أن يكون وقودا للنيران فى معاشهم وعصيا للاتكاء والذود وغيرهما من ضرورياتهم ودعائهم لما يخشى ميله من أثقالهم ثم بعد ذلك منافع أخرى لأهل البدو والحضر فأما أهل البدو فيتخذون منها العمد والأوتاد لخيامهم والحدوج لظعائنهم والرماح والقسى والسهام لسلاحهم ، وأما أهل الحضر فالسقف لبيوتهم والإغلاق لأبوابهم والكراسى لجلوسهم »[2].

وتقوم هذه الصناعة على الخشب الذى نمت بعض أشجاره فى مصر مثل السنط والجميز والنبق والسرو والأثل والهجليج واللبخ والتوت ونخيل الدوم والبلح والسدر ، ونظرا لندرة الأخشاب المتينة الصالحة لصناعة الأثاث فى مصر فقد استوردت هذه الأخشاب من خارج البلاد كخشب الأرز من تركيا وسوريا ولبنان ، وأخشاب التاك والساج من الهند والأبنوس من السودان ، والصنوبر من بلاد الروم .

---

(١) سبق لى التحدث باسهاب عن تاريخ صناعة النجارة والأدوات والمواد الخام وطرق الزخرفة الصناعية فى رسالتى للماجستير .

انظر : فايزة محمود عبد الخالق الوكيل : المرجع السابق ص٥١ – ٦٥

(٢) ابن خلدون : المقدمة ، جـ٣ ، ص٩٣٧

ومما يبدو أن صناعة الأثاثات الخشبية والنجارين قد تأثروا بندرة الخشب ، ففي الفترة التي كان فيها الخشب نادراً والتي صنعت فيها الأثاثات الخشبية قليلة فإننا نجد أن وظيفة النجارين من الوظائف المحدودة المجال ، وقد ورد بالوثائق أن طبقة النجارين كانت تشمل خمسة أنواع مختلفة أولها النجار الذي كان يقوم بعمل المشغولات الخشبية في البيوت والثاني نشار الخشب الذي كان يذهب إلى البيوت قبل وصول النجار لأخذ المقاسات المطلوبة ثم بعد ذلك الصناع الذين يستعملون الأزاميل والمدق وكل من هؤلاء الصناع كانت لهم ورش أو حوانيت في مصر في العصور السالفة[1] .

هذا وتحتاج صناعة النجارة إلى أصل كبير من الهندسة في جميع أصنافها لأن إخراج الصورة من القوة إلى الفعل على وجه الأحكام محتاج إلى معرفة التناسب في المقادير أما عمومًا أو خصوصًا وتناسب المقادير لا بد فيه من الرجوع إلى المهندس[٢] . وذلك مثل زخرفة الأطباق النجمية المعقدة - وما يتبعها من أشكال هندسية تملأ فراغ القطعة المزخرفة - التي انتشر استخدامها في عصر المماليك كان لا بد للصانع من استخدام المساطر - والفرجار في عمل الرسم المراد تنفيذه ثم نقله على الخشب .

ويستخدم النجار مجموعة من العدد والأدوات منها بنك النجار وهو من العدة الرئيسية فبواسطته يؤدي الصانع جميع أشغاله من قشط ونقر وشق وبعض عمليات أخرى بكل سهولة[٣] .

---

(1) Goitien: Studies in Islamic History and Institutions Leiden 1958, P. 257.

(٢) ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٩٣٨

(٣) محمد عبد الحليم حسن : الخشب والنجارة والنجار ، مطبعة السماح بالقاهرة ١٩٢٨م ، الطبعة الأولى ، ص٢٦

طرق الزخرفة الصناعية على الخشب

ارتبط بصناعة الخشب العديد من طرق الزخرفة الصناعية التى بلغت فى عصر المماليك أعلى درجات التقدم والرقى، وإذا كنا نفتقد لوجود أثاث للمنزل يرجع إلى مصر فى عصر المماليك فى المتاحف اللهم إلا القليل مثل الكراسى المنشورية التى كان من ضمن استخدامها حمل صينية الطعام وقت الأكل فإنه يشهد على ذلك التقدم ما وصلنا من أمشاط وقباقيب ومكاحل وأوانى وأدوات للمطبخ هذا إلى جانب ما وصلنا من ذلك العصر من أثاث للمصحف الشريف يشمل دكك القراء والمصاحف والكراسى (الرحلات) والخزانات وصناديق المصاحف والربعات الشريفة، ومن المنابر والمشربيات .

نضف إلى ذلك ما يوجد بالمتاحف من أثاث للمنزل وغيره من المصنوعات الخشبية التى ترجع إلى مصر فى عصر العثمانيين، فكلنا نعلم أن الطرق الزخرفية فى عصر ما لا تنتهى بانتهائه بل تستمر تستخدم في العصر الجديد .

ونظرا إلى تعدد طرق صناعة النجارة تفرعت هذه الصناعة إلى عدد من التخصصات فعرف المطعم والمرصع أو الرصاع وصانع الزرنشان والصدفجى والخراط والأيمجى والنقاش والحفار والدهان . ووصلنا من أسماء النجارين المسلمين عن طريق المصادر الأدبية والكتابات ولا سيما بوصفها توقيعا على إنتاجهم [1].

طريقة الزخرفة الصناعية:

الأويمة :Oyma

كلمة تركية تطلق على الحفر عندما يكون بارزا Relief ولا تزال تستعمل بين النجارين بمصر حتى الآن .

وهى تنشأ من أشكال متنوعة بالحفر والتفريغ على الأخشاب والأحجار والرخام والمعادن فى صناعة الأويمة العربية والأشغال البلدية .

---

(١) د . حسن الباشا : مدخل إلى الآثار الإسلامية، ص ٤٤١ .

وقد لازمت صناعة الأويمة أو الحفر فى الخشب الفنون الإسلامية منذ القــرن الأول الهجرى، وأخذت فى الرقى إلى أن ازدهرت فى العصر الفاطمى . وظلت محافظة علـــى تقدمها إلى نهاية دولة المماليك البحرية، ثم هبط مستواها إلى حد ما فـــى دولـــة الممـــاليك الجراكسة حينما انتشرت بجانبها صناعة الزرنشان .

ومن المعروف أن صنـــاع الأويمة أنتجوا فى مصر إنتاجا رائعا سواء كـــان فـــى المنابر أو التوابيت أو الأبواب والكراسى وغيرها ولم يوقعوا على منتجاتهم، اللـــهم إلا إذا اعتبرنا أن النجار قام بعملية الحفر أيضا [1].

ويستخدم الأويمجى الضفر بمقاسات مختلفة، والأزاميل والمطارق وأصغر مقاســـات فى الضفر تسمى دسلو، وضفرة بريمو أكبر من الديسلو وتعطى شكل٧ .

ويستخدم أيضا مسمار ترميل وهو يعطى الأرضية شكل حبات الرمل[2] وقد كـــان لحفر الأويمة النصيب الأوفر فى زخارف المنقولات الخشبية المملوكية من أثاث وأمشـــاط وغيرها[3] .

٢ – التطعيم :

توصل الفنان فى العصر المملوكى إلى أسلوب زخرفى جديد فى زخرفة الأســـطح الخشبية، وذلك بتطعيم هذه الأخشاب بأشرطة رقيقة من نوع آخر من أخشاب أغلى ثمنـــا وأندر وجودا وذى لون مخالف . كما طعمت القطع الخشبية بطبقة دقيقة مـــن الفسيفســـاء تتألف عادة من قطع صغيرة من العظم أو العاج أو الأبنوس أو الأصداف [4]. وهـــو مـــا يسمونه الترصيع Marqueterie . والفرق بينه وبين التلبيس أو التطبيـــق أو التطعيـــم أو

---

(١) حسن عبد الوهاب : توقعات الصناع، ص ٥٥١ .

(٢)توصلت إلى هذه المعلومات من زياراتى المتعددة إلى ورش النجارة العربية.

(٣) انظـــر لوحـــات أرقـــام : ١٥٧ – ١٥٨، ١٢٥، ١٢٦، ١٤٥ – ١٥١، ١٥٣، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٩، ١٦٠ .

(٤) نعمت إسماعيل علام : فنون الشرق الأوسط فى العصور الإسلامية، ص ١٩٣ .

التكفيت Incrustation أن السطح المطعم تحفر فيه الرسوم ثم تملأ الشقوق التي تؤلف هذه الرسوم بقطع من مادة أغلى قيمة .

أما فى الترصيع فإن طبقة الزخرفة الجديدة تلصق على السطح كله [1].

وقد حفلت الأثاثات الخشبية المملوكية بزخارفها المطعمة وكذلك الكراسى المنشورية المستخدمة كحوامل للصوانى، كما كانت كراسى الحمام (١٤٧) وصناديق العروس (٢٤، ٢٥) والشكمجيات (٢١٨، ٢١٩) والقباقيب (٢٤٨) والمكاحل (١٧١) تزخرف بالتطعيم.

٣ - الخرط :

لقد أبدع الصناع المسلمون طريقة أخرى فى صناعة الخشب، وهى طريقة الخرط التى استخدموها بصفة خاصة فى عمل المشربيات أو الشبكيات وكانت بعض فتحات المشربيات تملأ أحيانا بقطع من الخشب بحيث تؤلف صورا أو كتابات، وبلغ هذا الأسلوب مستوى من الإتقان والذوق الفنى فى عصر المماليك والعثمانيين [2].

وأقدم قطعة عثر عليها من الخشب الخرط ترجع إلى مصر فى العصر الإسلامى تعود إلى الفترة الأيوبية ، وقد تطورت هذه الصناعة ووصلت إلى أجمل نماذجها فى القرن ٩ هـ/١٥ م .

وتعد صناعة الخشب الخرط من الصناعات القديمة ونلاحظ أن الرغبة فى الحصول على تأثيرها الجمالى بدأت فى بعض قطع الأثاث فى عصر توت عنخ آمون [3].

(١) د . زكى محمد حسن : فنون الإسلام، ص ٤٧٤ .

(٢) د . حسن الباشا : مدخل إلى الآثار الإسلامية، ص ٤٤٠، ٤٤١ .

(٣) د . أبو صالح الألفى : الفن الإسلامى، ص ٢٨٣ .

ويرجع قيام هذه الصناعة فى مصر إلى الأقباط الذين كانوا يجيدونها وتعتمد هذه الصناعة على خراطة تكعيبات أو كرات خشبية ذات زوايا وفواصل يرتبط بعضها ببعض[1].

ويبدو أن هذه الصناعة كانت وراثية يتوارثها الفرد أبا عن جد[2] ويذكر فييت وهو يصف مدينة القاهرة أنه كان بها سوق للنجارين حيث تباع المحفورات الخشبية ومن أشهرها، بطبيعة الحال، المشربيات التى لم يكن بمقدور صانعوها الذين استخدموا أصابع أقدامهم فى العمل أن يصلوا بصنعتهم إلى تلك الدرجة من المهارة والدقة والسرعة لو أنهم استخدموا أيديهم[3]. وهذا السوق هو سوق الخراطين الذى ذكر عنه المقريزى الآتى : " هذا السوق يسلك فيه من سوق المهامزيين[4] إلى الجامع الأزهر وغيره وكان قديما يعرف بعقبة الصباغين ثم عرف بسوق القشاشين وكان فيما بين دار الضرب والوكالة الأميرية

---

(١) نعمت إسماعيل علام : المرجع السابق، ص ١٩٣، ١٩٤ .

(٢) فمثلا يذكر ابن حجر العسقلانى فى كتابه أبناء العمر جـ ٢ ص ٢٨٤ . وحاشية (٥) تحت أحداث سنة ٨٠٦ هـ أن محمد بن سلمان بن عبد الله شمس الدين بن الحرانى الفقيه الشافعى الحموى نزل حلب وكان أصله من الشرق وأقدمه أبوه طفلا وسكن حماة وعلمه صناعة الخرط ولذلك يعرف أحيانا بابن الخراط .

(٣) جاستون فييت : القاهرة مدينة الفن والتجارة، ترجمة مصطفى العبادى، بيروت ١٩٦٨م، ص ١٦١ .

(٤) كانت حوانيته تبيع المهاميز التى تستخدم فى ركوب الخيل .
د . قاسم عبده قاسم : دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى، دار المعارف ١٩٨٣، ط ٣، ص٣١.
وعن هذا السوق يذكر المقريزى : " وهذا السوق معد لبيع المهاميز وأدركت الناس وهم يأخذون المهماز كله قالبه وسقطه من الذهب الخالص ومن الفضة الخالصة ولا يترك ذلك إلا من يتورع ويتدين فيتخذ القالب من الحديد ويطليه بالذهب أو الفضة ويتخذ السقط من الفضة وقد اضطر الناس إلى ترك هذا فقل من بقى سقط مهمازه فضة ولا يكاد يوجد اليوم مهماز من ذهب " .
انظر : المقريزى : الخطط جـ ٢، ص ٩٧، ٩٨ .

وبين المارستان ثم عرف الآن بسوق الخراطين وكان سـوقا كبـيرا معمـور الجـانبين بالحوانيت المعدة لبيع المهد الذى يربى فيه الأطفال وحوانيت الخراطين وحوانيت صنـاع السكاكين وصناع الدوى يشتمل على نحو الخمسين حانوتا " [1].

والخرط نوعان :

١ – الخراطة البلدية الواسعة وتضم خرط البرامق وخرط أرجل الأثاث عموما من أسـرة وكراسي ودكك (لوحات ٧، ١٥، ٢٧)، كما نجد خرط البرامق فى الحشوات السفلى مـن الكرسى المسدس (لوحة ١٢٥) .

٢ – الخراطة الدقيقة المعروفة بخرط المشربية [2].

---

(١)المصدر نفسه جـ ٢، ص ١٠٣ ..

(٢) ربما تكون تحريف مشربة بمعنى غرفة عالية ومن ذلك قولهم أشرأب أى مد عنقه ليتمكـن من النظر أو هى تحريف مشربة أى المكان الذى يشرب منه .

والمشربية (وتعرف بالتركية باسم المشبك هى فى الأصل المشرفية وتعنى الطاقة الخارجية فـى المنزل القديم المشرفة على الطريق وتعرف بالروش، وهى تساعد علـى إيجـاد النـور اللطيـف الهادئ وتلطيف الهواء بداخل المنزل والذى يساعد على تبريد القلل التـى كـانت توضـع علـى قاعدتها.

نضف إلى ذلك أن المشربية كانت تحقق أحد أهداف المجتمع الإسلامى فى العصور الوسـطى والتى تقضى بشدة بفرض الحجاب على النساء فهى تمكن النساء من رؤية المناظر التى تمـر عليهن لتسليتهن دون التعرض لأنظار من بالخارج وذلك من خلال ثناياها الجميلة المصنوعـة من الخشب المخروط الدقيق الصنع .

انظر : Herz, M.: A descriptive Cataloque of the objects Exhibited in the National Museum of Arabe Art, Second Edition, Cairo 1907, p. 69.

حسن الهوارى : رسالة فى وصف محتويات دار الآثار العربية ص ٣٧ .

زكى محمد حسن : فنون الإسلام، ص ٤٧٠ .

محمد عبد العزيز مرزوق : الفنون الزخرفية الإسلامية فى العصر العثمانى . الهيئـة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤ م ص ١٦٦ .

ومن الواضح أن أسماء خرط المشربية باختلاف أشكالها وفصوصها وأنواعها مثل العرناس والوريدة والمتلوث ومسدس الدقماق والصليب الفاضى والمليان والميمونى العدل والمائل والعريجة [1].

واستعملت خراطة المشربية فى عمل شبابيك المنازل والقصور المملوكية وطاقاتها المشرفة على الفناء الداخلى أو المطلة على الطريق، كما استخدمت كإضافة زخرفية فى تحلية أسوار الدكلة والكراسى، وفى بعض حشوات كراسى العشاء (لوحة ١٢٥) .

٤ – التجميع :

لقد ظهر تطور كبير فى الزخارف المحفورة على الخشب فى مصر فى عصر المماليك، حيث أغفل الفنان المصرى نهائيا استخدام الوحدات والعناصر الحية التى اشتهر بها العصر الفاطمى، وأقبل على الأشكال الهندسية النجمية التى برع فى تكوين زخارف منها [2].

وتعرف هذه الطريقة فى الزخرفة باسم التجميع أو التعشيق، وهى طريقة غاية فى الدقة والجمال لتجميع الحشوات الخشبية الصغيرة، وقد رغب النجارون بهذه الطريقة فى متانة الصنع وتنوع الرسوم، فاستطاعوا بتعشيق هذه الحشوات تأليف أشكال كان المسلمون مولعين بها كل الولع ولعل هذه الرسوم المكونة من الحشوات الكثيرة الأضلاع المعشقة حول أشكال نجمية هى أكثر ما ظهر عليه الطابع الإسلامى أو أكثر ما قدمه الإسلام لفن الزخرفة [3].

يطلق على هذه الأشكال النجمية الأطباق النجمية . أما رسوم الحشوات فكانت تمتاز بأنواع المراوح النخيلية والفروع النباتية والوريقات وما إلى ذلك مما تبدو فيه الثروة الزخرفية جلية واضحة . وطبيعى أن استعمال هذه الحشوات المتكررة جعل

---

(١) رجب عزت : تاريخ الأثاث من أقدم العصور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨، ص ١٤٦، ١٤٧ .

(٢) نعمت علام : المرجع السابق، ص ١٩٣ .

(٣) كرستى وارنولد وبريجز : تراث الإسلام، جـ ٢، ص ٧٩، ٨٠ .

زخارف الخشب المملوكى خالية من أى موضوع زخرفى رئيسى يظهر بوضوح بين تفاصيل زخرفية ثانوية تحف به(1).

ومن المعتقد أن طريقة التعشيق بالحشوات الخشبية ابتكار إسلامى دفع إليه من جهة ندرة الأخشاب فى بعض الأقطار مما يضطر الصانع إلى الإفادة من القطع الصغيرة، كما أن التفاوت الكبير فى الجو بين الحرارة والبرودة يؤدى إلى تمدد الألواح الخشبية أحيانا وانكماشها أحيانا أخرى مما يترتب عليه تقوسها وتشوهها وقد أمكن تفادى ذلك باستعمال حشوات خشبية صغيرة، وترك فراغ يسمح بالتمدد (2).

واستخدمت طريقة التجميع فى زخرفة الدكك وصناديق العرائس وفى واجهات الدواليب الحائطية .

٥ – التلوين والتذهيب :

التلوين من الأساليب الزخرفية التى تنفذ على الخشب . وقد مارسه الفنان المسلم منذ بداية الإسلام ويحتفظ متحف الفن الإسلامى بلوحين من الخشب مزخرفين بالألوان يرجع تاريخهما إلى القرن الأول الهجرى (3).وقد شاع هذا الأسلوب فى زخرفة أخشاب عصر المماليك ووصل فيه الصانع إلى درجة كبيرة من الدقة والإتقان حتى أطلق عليه " الدهان الحريرى " . وورد هذا المصطلح الفنى فى كثير من وثائق ذلك العصر . وهو يعنى أن الدهان كان أملسا كالحرير ويرجع ذلك إلى استعمال الزيت فى دهان الخشب المصقول وبعد أن يمتصه يرسم عليه ثم تغطى الزخارف النباتية والهندسية الملونة بطبقة رقيقة جدا من الشمع تكسبها مناعة ضد التأثيرات الجوية وتحافظ على الخشب والألوان المختلفة والتذهيب(4).

---

(1) د . زكى محمد حسن : فنون الإسلام، ص ٤٦٧ .

(2) د . حسن الباشا : مدخل، ص ٤٤٠ .

(3) فريد شافعى : الأخشاب المزخرفة فى الطراز الأموى، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة، مجلد ١٤، الجزء ٢، ديسمبر ١٩٥٢ م، ص ١٠٩، ص ١١٠ .

(4) عبد اللطيف إبراهيم : وثيقة قراقجا الحسنى، ص ٢٣٢، ٢٣٣ .

وقد تبقى من العصر المملوكى نماذج عديدة من التحف[1] التـــى مـــن الممكـــن أن تندرج تحت جهاز العروس والمصنوعة من الخشب المزخرف بالألوان منـــها مجموعـــة ملاعق بكل من متحف الفن الإسلامى بالقاهرة (لوحة ٧٤، ٧٥) ومتحف كلية الآثـــار (لوحة ٧٣)، سلطانية وغطائها (لوحة ٥٩، ٦٠) وأهوان وعلب من الخشب (لوحـــات ٧٦، ١١٠، ١١٢) ويبدو أن أثاثات المنزل والمصحف كانت تزخرف بالألوان ويحتفـــظ متحف الفن الإسلامى بصندوق للمصحف من الخشب المذهب والمزخرف بالألوان يحمـــل كتابة نسخية باسم السلطان الغورى [2].

هذا وقد ظهرت فى العصور الإسلامية المتأخرة مثل العصر العثمـــانى والعصـــر الصفوى، طريقة جديدة لصنع الأخشاب لم تكن معروفة من قبل هـــى اســـتعمال اللـــك أو اللاكيه فى الصباغة وهو مادة صمغية شفافة تستخرج من عصير شجر السماق [3].

(١) فريد شافعى : الأخشاب المزخرفة فى الطراز الأموى، مجلة كلية الآداب جامعـــة القـــاهرة، مجلد ١٤، الجزء ٢، ديسمبر ١٩٥٢ م، ص ١٠٩، ١١٠ .

(٢) رقم سجل ٤٣٦ .

(٣) محمد عبـــد العـــزيز مرزوق : الفنون الزخرفية الإسلامية فى العصر العثمـــانى، ص ١٦٥ حاشية ٢.

طرق صناعة بعض قطع جهاز العروس

صناعة صندوق العروسة والشكمجية

ولصناعة صندوق العروسة (صندوق حفظ الثياب) ، يحضر النجار ٤ ألواح كل لوحين متقابلين فى الصندوق يكونان متساويين وتثبت هذه الألوان معًا بواسطة تعاشيق النصف[1] على نصف والتعشيقة الغنفارى[2] .

---

(١) تعرف بالتعشيقة المنطوية ، ولهذه التعشيقة أنواع عديدة ولكن أكثر الأنواع استعمالاً فى الأثاث وفى النجارة عمومًا هى تعشيقة الانطواء المتقاطع .

خطوات عمل هذه التعشيقة :

- تجهز القطع التى سوف تعشق وتصفى إلى المقاسات المطلوبة .
- توضع القطعتان فى موضعهما الصحيح وتحدد مواضع التعشيق بعلامات التشغيل .
- ترسم خطوط متعامدة بعرض وجهى القطعتين اللتين ستزدوج واحدة مع الأخرى بسكين وزاوية لحص قائمة .
- يمد خط علامة السكين على جوانب كل من القطعتين بواسطة قلم رصاص مدبب وزاوية لحص قائمة .
- يحدد العمق الذى يفرغ ، ويجب أن يكون العمق مساويًا لنصف سمك القطعة ، ذلك لأنه يجب أن تكون الأوجه فى مستوى واحد عند التجميع النهائى .
- تنشر عند داخل خط علامة السكين بالضبط على كل من القطعتين إلى العمق المطلوب بواسطة سراق ظهر .
- تقطع عدة قطعيات أخرى إضافية داخل خطوط العلامات إلى العمق نفسه تقريبًا وذلك لتيسير عمل الأزميل .
- ينزل الخشب المستهلك بالأزميل ثم تركب القطعتين معًا .

انظر : كريس هـ . جرونمان : النجارة العامة ، ترجمة عباس عبد القادر ، مراجعة حسن حسين فهمى ، مكتبة النهضة المصرية . ط٣ ، ١٩٧٩م ، ص٧٣

(٢) والتعشيقة الغنفارى هى أقوى تعاشيق الأركان .

انظر : و. ب. ماتيو : أشغال النجارة المنزلية ، ترجمة عبد الغنى النبوى الشال ، مراجعة د. محمد خليفة بركات ، مكتبة نهضة مصر ومكتبتها ، ١٩٥٧ ، ص٤٤

ويجهز الغطاء ويكون مساويًا تزيد عليه سدايب بأحرف الغطاء - يثبت الغطاء مع الجانب الخلفى للصندوق بواسطة مفصلات (ورقيات) .

ويقسم داخل الصندوق إلى جزء متسع لحفظ الثياب وأدراج صغيرة لحفظ الأبر والخيط وكل ما يلزم العروس - وخاصة الريفية الذى يعتبر الصندوق أهم ما فى جهازها - وذلك بواسطة قطع خشبية .

ويصنع صندوق حفظ الحلى (الشكمجية) على هيئة علبة مستطيلة أو مربعة يفتح فى واجهتها فتحات متعددة تؤدى إلى أدراج صغيرة يحكم قفلها نظرًا لما تحويه من ذهب ومجوهرات ثمينة القدر وربما كان تعدد هذه الأدراج مرجعه إلى كثرة ما يوضع بها من حلى وللتخصص فمثلاً كان أحدهم للأساور والثانى للخواتم والثالث للأقراط والرابع للدلايات والخامس للأطواق والسادس للخلاخيل وهكذا .

ويثبت فى مقدمة كل درج حلقة صغيرة ليسهل على السيدة فتحه بجذبه إلى الخارج .

وتثبت أجزاء الشكمجية بواسطة التعاشيق أيضًا .

ومن الجدير بالذكر أن الصناديق وما شاكلها كانت تباع بقيسارية ابن ميسر الصغرى بسوق القشاشين[1] .

* * *

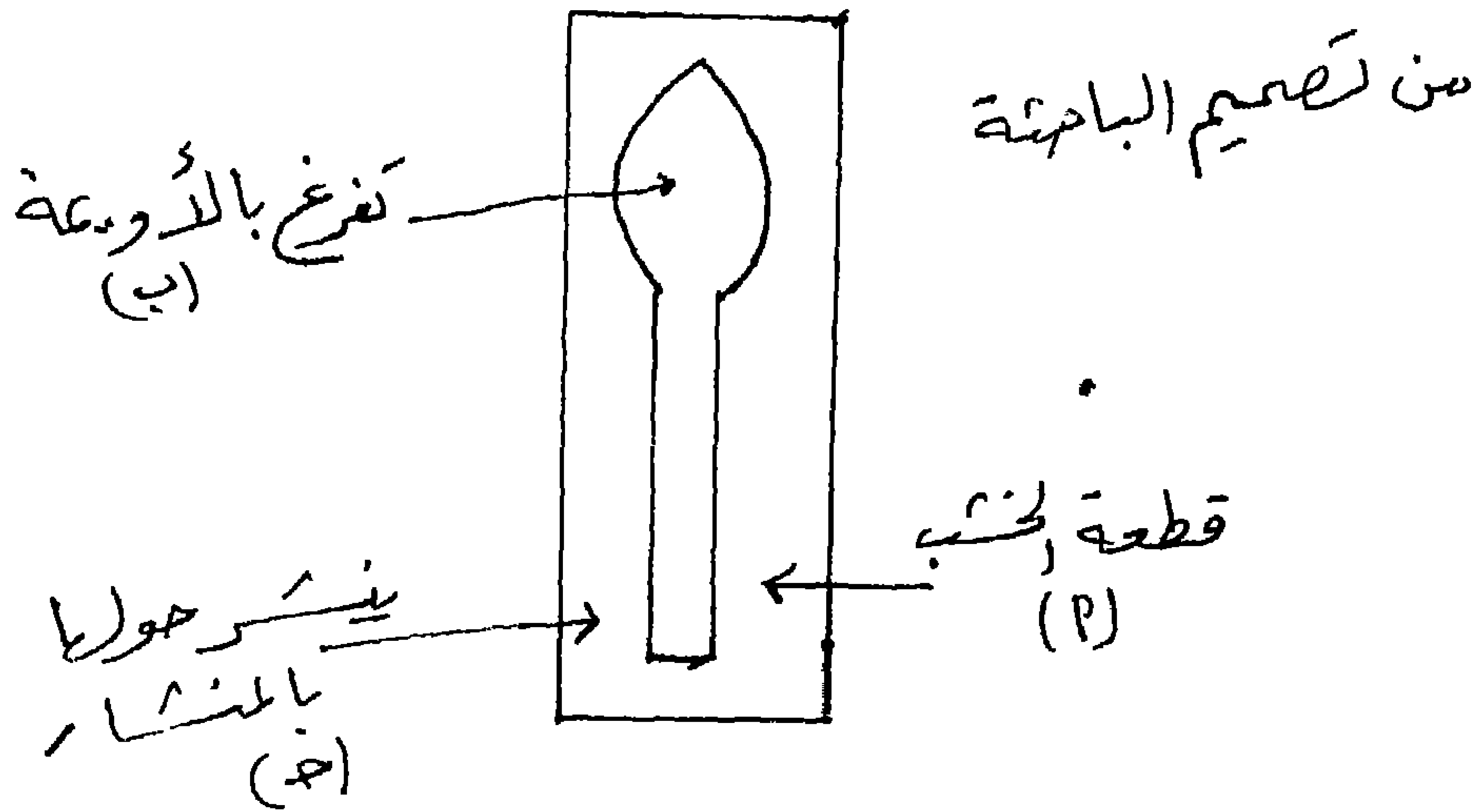
(١) ابن دقماق : الانتصار ، ط١ ، جـ٤ ، ص٣٨ ، ٣٩

صناعة الملاعق :

كان صناع الخشب – فى العصور الوسطى – يقومون بصناعة الملاعق والمغارف من الخشب المطلى بطبقة من البريق وكانت اليد تزخرف بالورد أو برسومات مفرغة ، كما كانت اليد تحمل – أحيانًا – اسم صانعها محفورًا أو مكتوبًا بالألوان[1] .

طريقة صناعة الملعقة[2] :

يحضر النجار قطعة مستوية مسطحة من الخشب طولها يتراوح ما بين ١٠ – ٢٠ سم وسمكها حوالى ٥ سم . ثم يرسم عليها شكل الملعقة المراد تنفيذها (أ) .



(1) Mazaheri: Op. Cit., P. 219.

(٢)تصميم صناعة الملعقة من عمل الباحثة وينشر لأول مرة .

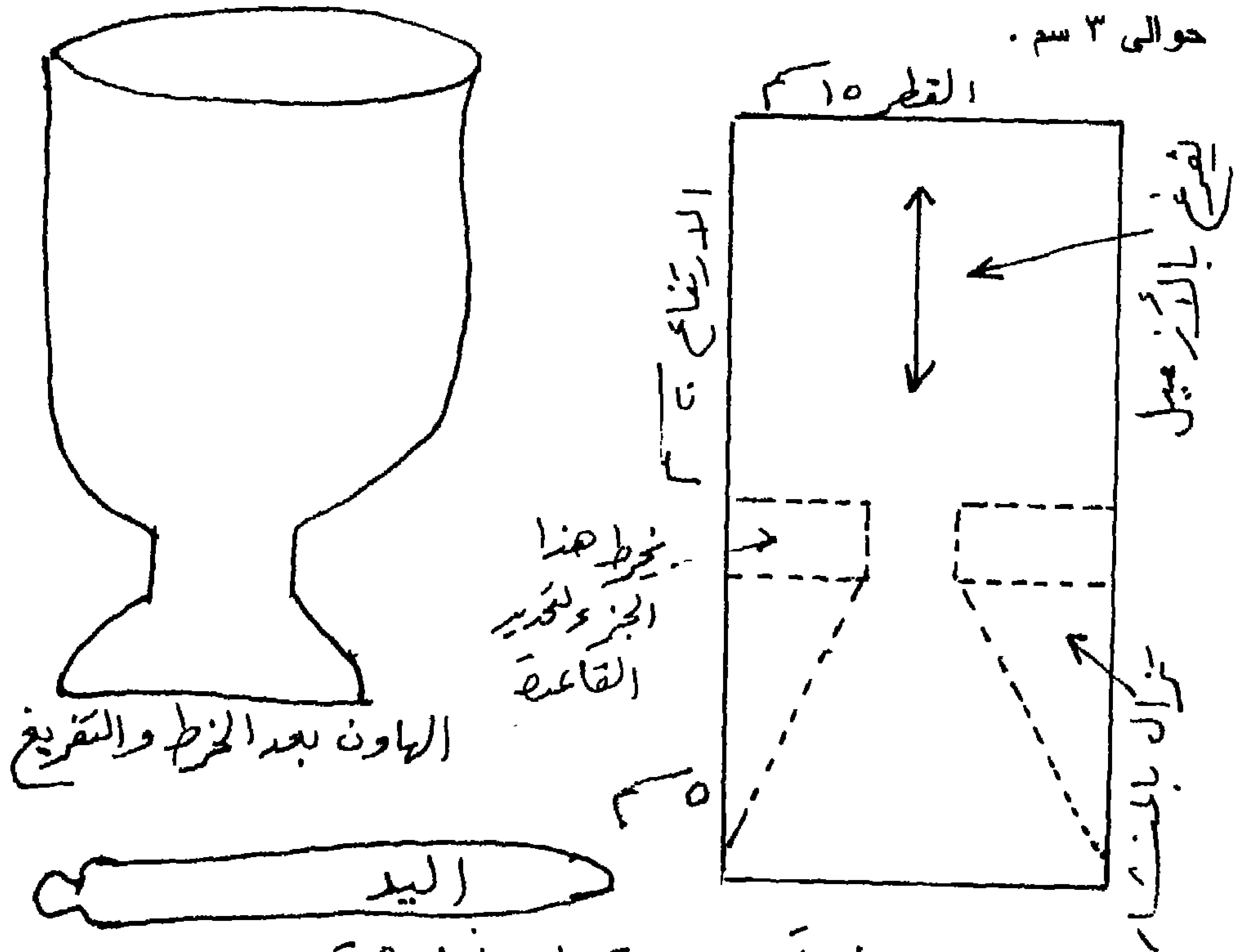
صناعة السلاطين والصحون الخشبية :

تصنع السلطانية أو الصحن الخشبى من عــدة قطــع تلصق بالغراء ثــم توضــع على المخرطة وتخرم من منتصفها ويحــدد شكل القــاعدة أو الظهر المستدير أو المقعــر أو غيرها .

صناعة الهاون الخشبى[1] (المعروف بالجرن) :

يشكل الهاون الخشبى من قطعة مستديرة قطرها حوالــى ١٥ سم وارتفاعها ٢٠سـم - يعهد بها إلى الخراط لتحديد قاعدة الهاون يجعل حز دائرى على ارتفاع ٥ سم تقريبًــا - ثم يعهد بها إلى الأويمجى لتفريغ داخل الجزء العلوى بواسطة أزميل .

ويد الهاون من قطعة خشبية طولها حوالى ١٥ سم تقريبًا وهى مســـتديرة قطرهــا حوالى ٣ سم .



(١) تصميم صناعة الهاون الخشبى من عمل الباحثة وينشر لأول مرة .

صناعة الأمشاط :

كان صناع الخشب – في العصور الوسطى – يصنعون الأمشاط إما من الصدف أو من خشب شجر البرتقال أو خشب البقس ولهذا الخشب قيمته فهو أثمن من خشب البرتقال وكان يستخدم فى صناعة الحفر والتنزيل(١) .

وكان يعرف صناع الأمشاط بالأمشاطيين الذين كانوا يعملون طبقًا لتعليمات المحتسب الذى كان يأخذ عليهم « ألا يعملوا الأمشاط الرجالية والنسائية إلا من خشب البقس الرومى فإنه أنفع ما يعمل لهذا وألا يكون أخضر فإنه إذا جف يتعوج ويتكسر وأعلاه مشط الرمل ومتى عمل من غير هذا الخشب كخشب النارنج وغيره ، فإنه يظهر فى تسريحة شعرات من الخشب تنتف شعر الآدمى ، ويلزم الصناع بالصناعة الجيدة وأن يكون صحيح الشرح ويكون قد مكث مدة قائمًا عقب القطع مع صحة إنزاله ، ويعتمد على المخرزة لأنها لا تمشى إلا على الصحيح ويصح التبطين بأن يكون فمه رقيقًا حتى تسرق رؤوس الأسنان فينزل فى الشعر مع تدوير ويتجنب الشعث(٢) .

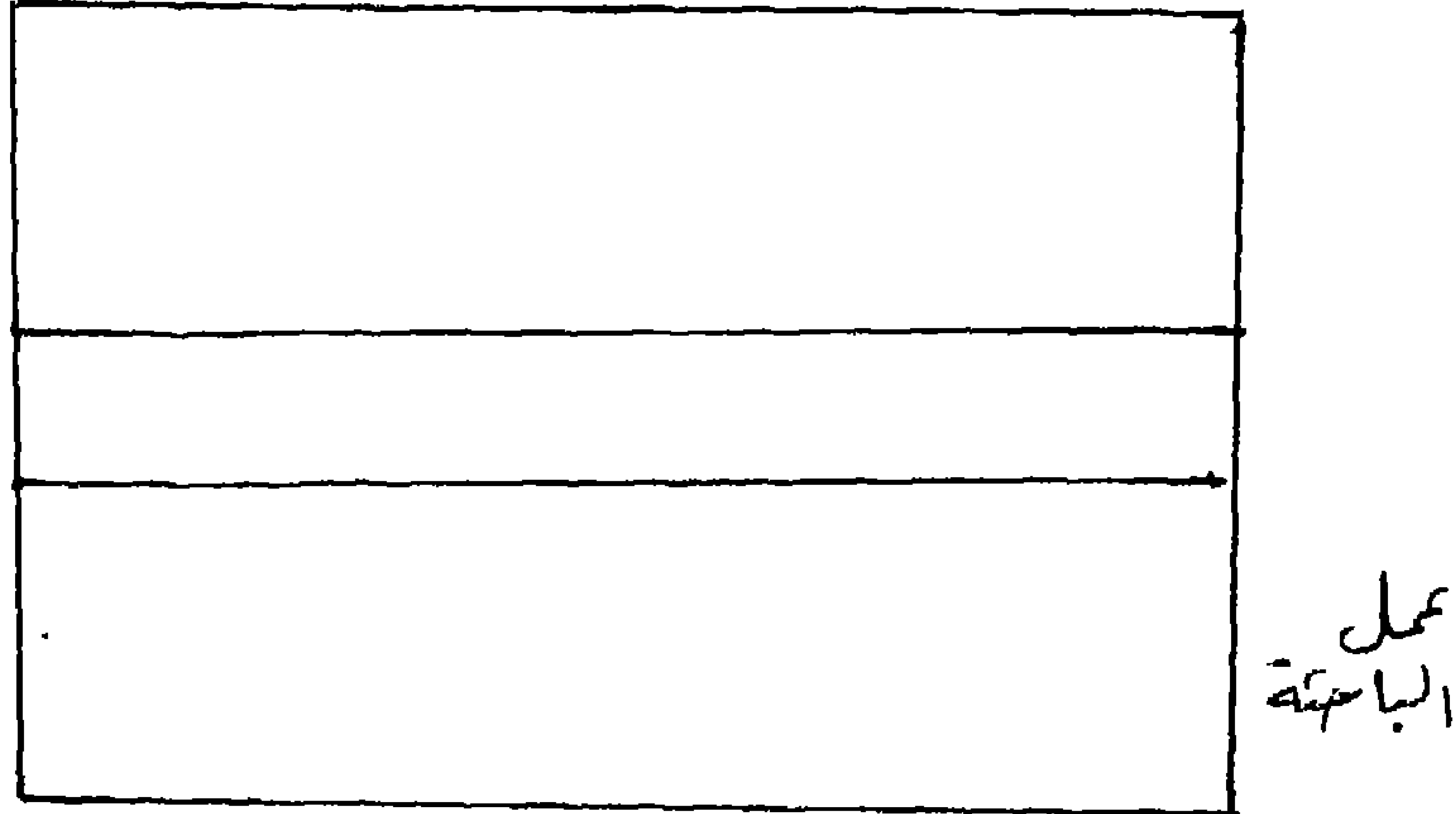
---

(1) Mazaheri: Op. Cit., P. 219.

(٢) ابن الأخوة : معالم القربة فى أحكام الحسبة ، ص٣٣١

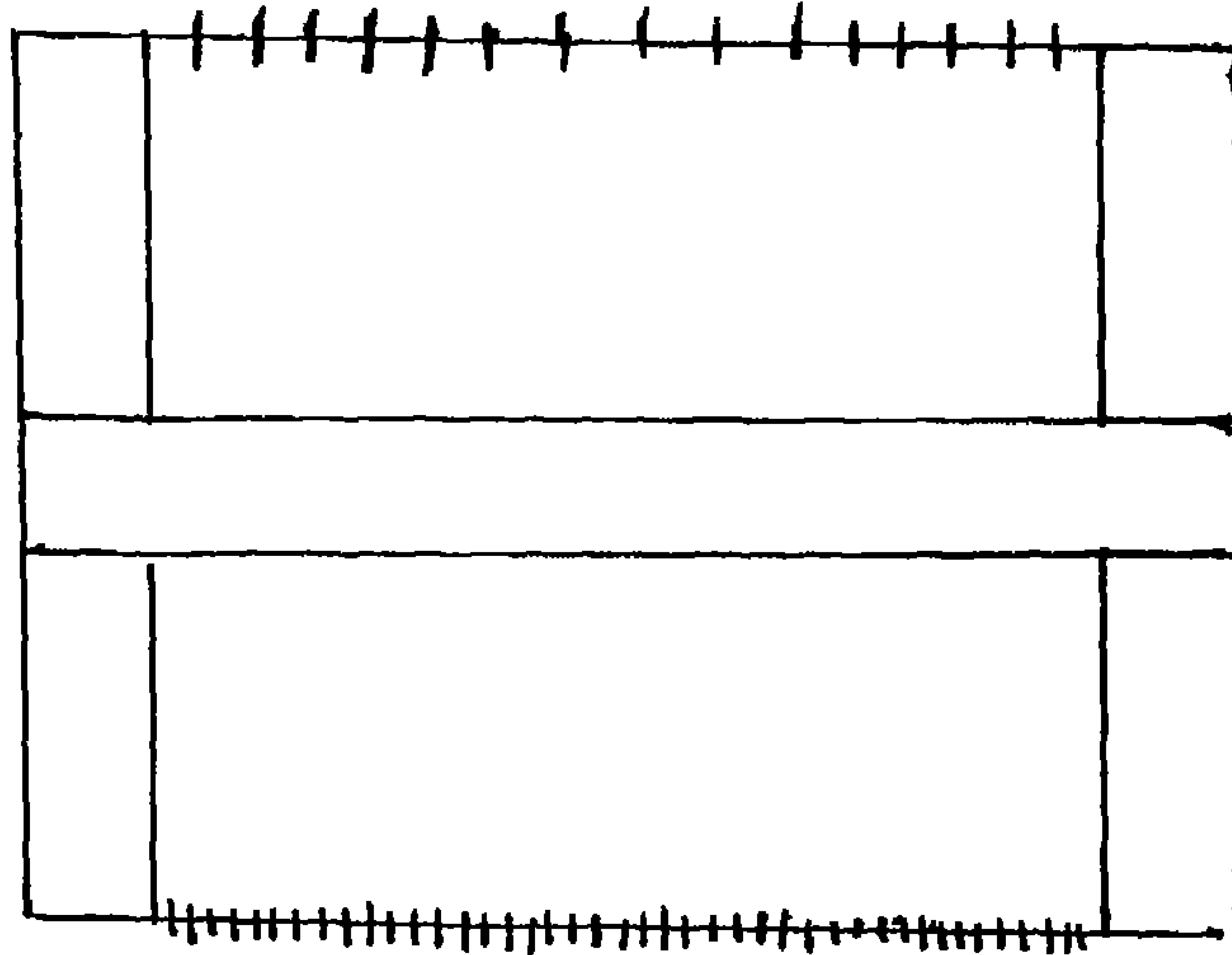
رسم تخطيطى لخطوات صناعة المشط المستطيل الشكل(١) :

١ - يحضر النجار قطعة مستطيلة من الخشب طولها حوالى ١٠ × ٨ سم وسمكها حوالى ١/٢ سم .



٢ - يقسم المشط بالقلم الرصاص إلى قسمين متساويين قسم علوى وقسم سفلى بينهما مسافة وهى الجزء الأوسط للمشط .

٣ - يحدد بالقلم أيضًا فقط على الجزء العلوى ، الجزء السفلى لتحديد عدد أسنان المشط الضيقة والواسعة .

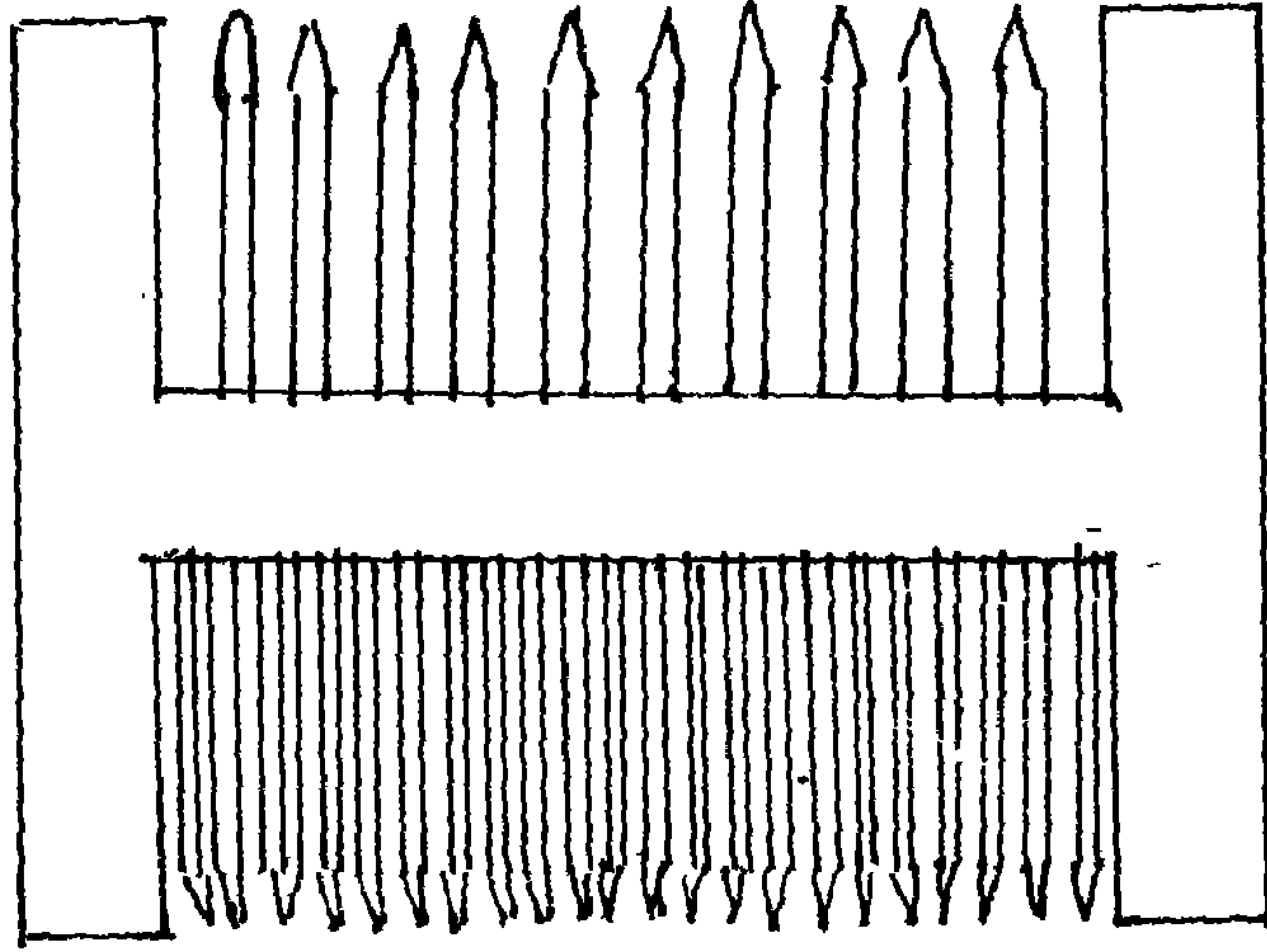


(١) هذا الرسم والتصميم من عمل الباحثة وينشر لأول مرة .

٤ – ثم يقوم بواسطة منشار الأركت بتفريغ مكان النقط لتظهر الأسنان .

٥ – بعد ذلك يقوم بتنعيم أوجه المشط بالسنفرة مثلاً .

٦ – وكان يعهد بالمشط إلى الأويمجى لحفر الزخارف .

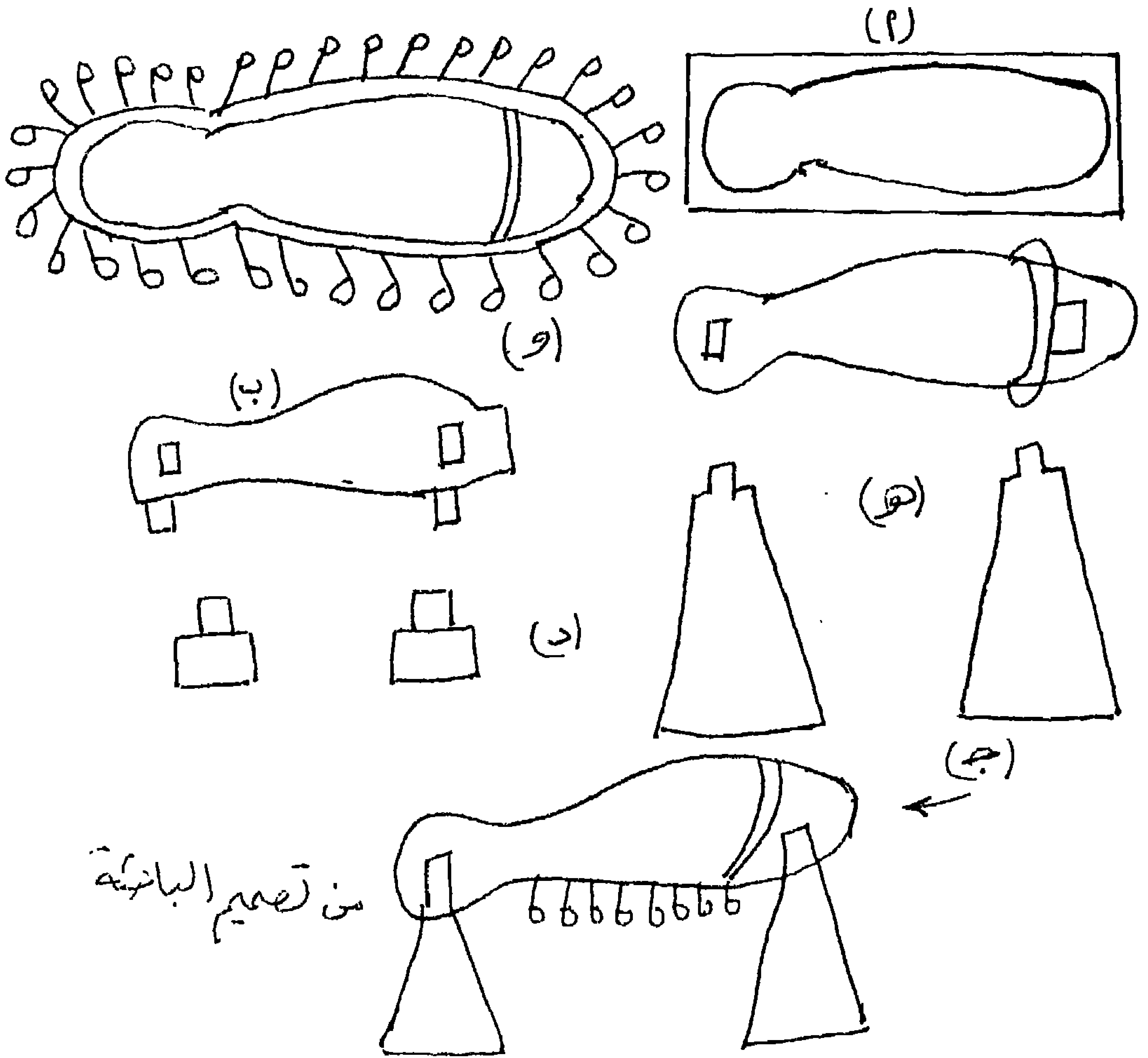


من تصميم الباحثة

صناعة القباقيب[1] :

- يحضر الصانع قطعة من الخشب .
- يرسم عليها شكل القدم .
- يزيل ما حول الرسم بالمنشار وبهذا يتحدد شكل القبقاب من النوع البسيط المنخفض (أ) .

أما إذا كان القبقاب من النوع المتوسط الارتفاع (ب) .



(١) تصميم صناعة القباقيب من عمل الباحثة وينشر لأول مرة .

أو النوع المرتفع جدًا (شكل جـ) فإنه يضاف للقبقاب المتوسط الارتفاع قطعتان خشبيتان مستيطلتان (د) ويضاف للقبقاب المرتفع قطعتان تأخذًا شكل مثلث متساوى الأضلاع شكل (هـ) - وذلك بواسطة نقر يحفر فى القبقاب ولسان يكون فى قطع الخشب المضافة .

ثم يركب وجه القبقاب إذا كان من الجلد أو الجلد الملبس بالمعدن .

وأحيانًا تثبت قطع مستديرة من المعدن فى سلاسل حول القبقاب بمسامير على شريط معدنى يصفح بدائر القبقاب وذلك حتى تعطى صوت عند سير الفتاة أو السيدة التى تلبسه .

الأدوات المستخدمة فى صناعة النجارة :

ومن الأدوات التى تستخدم فى قطع الأخشاب المنشار الذى يعتبر أقدم العدد التى عرفها الإنسان، وشكله البدائى يرجع إلى العصر الحجرى عندما كان يستعمل الحجر الصوان ذو الحافة غير المنتظمة فى عمليات القطع (1).

ومن المناشير الشائعة بين النجارين، منشار القطع، منشار بسلاح رقيق ويستعمل بصفة خاصة لتشكيل القطع الصغيرة المستعملة مثل ألواح الخشب الرقيقة السمك ومنشار الدوران تؤدى به عمليات القطع الثقيلة غير المنتظمة ومنشار الزوانة ويستعمل بصفة خاصة لقطع المنحنيات الداخلية التى لا يمكن استعمال منشار الأركت فيها بسبب ضيق إطاره ومنشار الشق الطولى وسراق الظهر ومنشار الأركت اليدوى . وسكين البرامق وهى أداة تصمم للقطع والتشكيل وقد استعملها قديما أصحاب الحرف الخشبية بصفة خاصة فى صناعة برامق العجلات .

وآلات المسح وتشمل الفارة بأنواعها وسكين البقشيش (سكين جر) ويستعملها العمال لإزالة كميات كبيرة من الخامة بسرعة وآلات ثقب الأخشاب ومنها البنطة والمثقاب .

كما يستخدم النجار آلات مختلفة كى يتمكن من أداء عمله منها الجاكوش والدقماق والمنقار والأزميل والدفرة والمفك والقادوم والسمبك (2).

---

(1) كريس هـ . جرونمان : المرجع السابق، ص ٢٢ .

(2) محمد عبد الحليم حسن : المرجع السابق، ص ٤٥ – ٥٣
كريس هـ . جرونمان : المرجع السابق، ص ٢٢ – ٣٩ .

صناعة المعادن

إذا تحدثنا عن صناعة المعادن كإحدى الصناعات المرتبطة بجهاز العروس فنحن نتحدث عن صناعة من أهم الصناعات فهى ترتبط بصناعة أوانى المطبخ المعدنية من طشوت وأباريق وصدريات وصحون وطاسات خضة وسلاطين وأهوان ومصافى وحوامل وأعمدة طعام وكراسى حمل الصينية وأدوات الإضاءة من منابر وسرج وتنانير وشماعد وأدوات التجميل من مرآيا وقماقم العطر والمكاحل والمباخر وأحقاق الأشنان، كما ترتبط هذه الصناعة بالأثاث فقد صنعت بعض الكراسى المتقاطعة الأرجل من المعدن وصفحت بعض الأسرة برقائق الذهب والفضة بالإضافة إلى دكك النحاس المكفت بالإضافة إلى صياغة الحلى .

وقد كان العصر المملوكى العصر الذهبى للصناعات المعدنية ، فى القاهرة إذ وصلت فيه إلى قمة مجدها لدقة الصنع وإبداع الفن، وقد ساعد على ذلك اهتمام السلاطين بها ورعايتهم للفنانين وتشجيعهم مما كان له أكبر الأثر فى كثرة ما أنتجته القاهرة فى هذا العصر من الصناعات المعدنية التى اتسمت بجمال صنعها وغناها بالزخارف المبتكرة المنوعة المعتمدة على العناصر النباتية والهندسية ورسوم الكائنات الحية الآدمية، والحيوانية والطير المحلقة بأجنحتها فى الهواء مما كان يبعث فى الزخارف حياة وحركة .

وقد تميزت الصناعات المعدنية القاهرية بكثرة ما عليها من كتابات عربية بالخط الكوفى الزخرفى والخط النسخ والخط الثلث وتعتبر الكتابات العربية بصورها المختلفة من الخصائص الهامة التى تميز المنتجات المعدنية القاهرية فى العصر المملوكى من سواها فى أى قطر آخر كإيران أو العراق مثلا (١).

---

(١) سميحة محمد الجبالى : صناعة المعادن وزخرفتها فى العصور الإسلامية، منبر الإسلام، العدد ٢، السنة ٣٤، صفر ١٣٩٦ هـ / فبراير ١٩٧٦ م، ص ١٣٣، ١٣٤ .

وقد استخدم النحاس بصفة خاصة فى صناعة الثريات والأوانى المنزلية والأبـــاريق والصحون والطسوت وغيرها [1]. كما استخدمت شرائح من النحاس فى تغطيـــة أبــواب المساجد والقصور الخشبية بعد نقشها بزخارف هندسية جميلة . واتبعت نفس الطريقة فـــى تصفيح صناديق الربعات الشريفة فى ذلك العصر [2].

وكان على النحاسين ألا يعملوا الطاسات المفرغة الأرزينة حتـــى إذا وقعـت لـم يصيبها شئ ولهم ضرائب الحمراء الكبيرة رطلان ونصف بالمصرى والوسطانية رطـــل ونصف والقربة رطل وربع، والصينية رطلان وربع، والســراج سـتة أرطـال ومنـارة السراج ثمانية أرطال [3].

ولا يجوز للنحــاسين " أن يمزجـوا النحــاس بـــالحبق الـذى يخــرج للصاغــة وسباكى الفضـــة عند السبك ، فإنــه يصلب النحاس ويزيـده يبسا فإذا أفرغ منه طاســـة أو هاون انكسر سريعا مثل الزجاج ، وينبغى ألا يمزجوا النحاس المكسور مـــن الأوانـــى وغيرها بالنحـــاس المعدنى الذى لم يستعمل بل يسبك كل واحد منـــهما علـــى انفـــراده ، ويعمل مفردا " [4] .

ويحتفظ متحف الفن الإسلامى بنماذج كثيرة من التحف النحاسية المزخرفة بـــالحفر منها مدك نحاس وله حلقة وبه زخرفة بسيطة ١٤٥ر م طول، ١٧٠ر م عرض[5].

ومدكان من النحاس بدن كل منهما مربع ومقسم إلى مناطق بـــها دوائـــر وينتـــهى بجزء أملس طرفه مكسور . الطول الأكبر ٩ر٧ سم طول ، الأصغر ٧سم[6] . صدريـــــة من النحاس مضلعة عليها منطقتان كتابة نسخية باسم (خوند زوجة قايتبـــاى) تتخلهـــا

(١) نعمت علام : فنون الشرق الأوسط فى العصور الإسلامية، ص ١٩٤ .

(٢) فايزة محمود عبد الخالق الوكيل : المرجع السابق، ص ١١٥ .

(٣) ابن الأخوة : معالم القرية، ص ٢٣١ .

(٤) الشيزرى : نهاية الرطبة فى طلب الحسبة، ص ٧٩ .

(٥) رقم سجل ٥٩٦٥ .

(٦) رقم سجل ٢٠٤٠٧ .

مناطق زخرفية ودوائر ورنكان مركبان وهى مزخرفة من الداخل والخارج بصور حيوانات وطيور – طول ٠,١٥٠، عرض ٠,٣٢٠ (١).

وقنينة عطر من نحاس قاعها فاقد ق ٠,١١٠ م ، عرض ٠,٥٠٠ م (٢). وقد كان على الحدادين ألا يضربوا سكينا ولا مقراضا وما أشبه ذلك من الأرمهان ويبيعونه على أنه فولاذ(٣).

هذا واستخدم البرونز فى صناعة بعض الأدوات المعدنية وكانت تزخرف بطريقتى النقش والتكفيت، وتقدمت صناعة التكفيت تقدما كبيرا فى ذلك العصر .

والتكفيت كلمة فارسية، تعنى من الناحية الصناعية، حفر رسوم وزخارف على سطوح المعادن المراد زخرفتها، حفرا عميقا وعريضا ثم تملأ الحفر المؤلفة للرسوم والزخارف المطلوبة بمعدن آخر يكون عادة أغلى من المادة الأصلية ومختلفا فى اللون حتى يعطى الفائدة المطلوبة، وهى إظهار الرسوم والزخارف بلون مخالف للون المعدن المشكل منه الآنية (٤).

ولم يرد ذكر التكفيت إلا فى المعادن ويقال لصانعه كفتى (٥) . ومنه قول بعضهم :

بى كفتى سبانى حسنه   لا أرى من حبه لى مخرجا

مد تبرا فى حديد فحكى   قمرا طرز بالبرق الدجى

---

(١) رقم سجل ١٥٠٨٦ .

(٢) رقم سجل ١٥٢٣٣ .

(٣) الأرمهان لفظ فارسى أصله نرم آهن ومعناه الحديد اللين .

انظر الشيزرى : المرجع السابق ص ٧٩ وحاشية (٧) .

(٤) سعاد ماهر : مشهد الإمام على بالنجف وما به من الهدايا والتحف، ص ٣٢٨ .

(٥) ميخائيل عواد : صناعة الصفر، بغداد ١٩٦٢ م، ص ٤ .

وقول آخر :

لله كفتي أطاع صبابتي فيه الفؤاد وخالف اللواما
مد الشريط على الحديد فخلته قمرا يطرز بالبرق غماما[1]

وكان الصانع القاهرى يمر منقاشه المهمازى الشكل بسرعة على المعدن الذى يرغب فى زخرفته فيركب خيط الفضة بالمدق على تلك الأجزاء المعدة [2]. وقد بلغ فن تكفيت المعادن عند المسلمين غايته من الإتقان فى منتصف القرن الثانى عشر وظل محافظا على هذه المنزلة زهاء قرنين من الزمان . ومن التحف التى تمثلت فيها هذه الصناعة أصدق تمثيل تحفة تعتبر من أجمل ما وصل إلينا . وهى إبريق من النحاس محفوظ الآن فى المتحف البريطانى وحول عنق الإبريق كتابة تدل على أنه صنع فى الموصل سنة ١٢٣٢ هـ على يد شجاع بن هنفر [3].

ولقد انتقل فن التكفيت من الموصل [4] إلى مصر وسوريا كما علمنا فى العصر الأيوبى، وذلك عن طريق الصناع الذين هجروا الموصل فى القرن الثالث عشر الميلادى

---

(١) محمد عبد الجواد الأصمعى : تصوير وتجميل الكتب ص ١١٣ هامش ١ .

(٢) د . غوستاف لوبون : حضارة العرب، نقله إلى العربية محمد عادل زعيتر، دار إحصاء الكتب العربية، ١٩٤٥ م، ص ٥٤١ .

(٣) كرستى وبريجز : تراث الإسلام، جـ ٢، ص ٢٧، ٢٨ .

(٤) خضعت مدينة الموصل خلال المدة بين سنة ٥٢١ - ٦٦١ هـ / ١١٢٧ - ١٢٢٤ م، لسلطان أسرة أتابكية هى أسرة زنكى السلجوقية التى اشتهرت فى التاريخ برعايتها الكبيرة للفنون والصناعات، ولذلك ظهر غير واحد من الصناع الأساتذة الفنانين المجيدين فى هذه الصنعة الجميلة تناثرت أخبارهم هنا وهناك، وصنعوا تحفا فنية رائعة من النحاس والبرونز، مزخرفة ومكتوبة ومنقوشة ومحفورة حفرا بارزا . ويزيد فى روعتها ما كفتت به من قطع الفضة والذهب كالأباريق والطسوت والسلطانيات والزهريات والمصابيح والقناديل والمسارج والثريات والمباخر والصوانى والصناديق والشمعدانات والهواوين وضروب الأسلحة والمقالم والمرايا ومقارع الأبواب، والاسطرلابات وكرات الأرض ونحوها من الآلات مما لا يحصى ولا يعد .

انظر : ميخائيل عواد : صناعة الصفر، سلسلة الثقافة الشعبية ٣٨، بغداد ١٩٦٢ م، ص ١ .

- بتشجيع من الحكام الأيوبيين [١] وأقاموا مناطق صناعية لهم فى القاهرة ومعهم أسـرار الصناعة والأساليب الزخرفية التى تمثلت فى العناصر الطبيعية بكل ما فيها مـن طبيعـة والكتابات العربية وهى تماما نفس الزخارف التى كانت موجودة علـى أعمـال المعـادن المصنوعة من البرونز فى مدينة الموصل بصفة خاصة .

كما أن هؤلاء الصناع برعوا أيضا فى رسم الزخارف الآدمية والحيوانيـة داخـل جامات وهى زخارف مكتملة فى تشكيلها وصناعتها وقد وجدت الزخارف علـى الأوانـى المنزلية والكراسى والأبواب والخزانات [٢].

ولذلك نرى تقاليد الموصل واضحة فى إنتاج مصر وسوريا فى هذه الفترة [٣].

ومن الجدير بالذكر أن فن تكفيت المعادن عندما انتقل إلى الجنوب تغيرت زخارفـه وحدثت فيه تطورات جديدة أصبحت من مميزات مدرسة أخرى كان مركزها القاهرة فـى القرن الرابع عشر فالجامات التى كانت تتكرر فى الأشرطة الزخرفية أصبحت لها حافـات من الرسوم النباتية الدقيقة، وبعد أن كانت الكتابات شيئا ثانويا أصبحت أهم الزخارف فـى هذه المدرسة [٤].

ويحتفظ متحف الفن الإسلامى بالقاهرة بنماذج عديدة من المعادن المكفتة منها وعـاء من نحاس شكل صدرية ممنطق من الظاهر بشريطين زخرفة نباتيـة دق بينـهما شـريط عريض من كتابة نص أولها (المقر الكريم العالى) وآخرها (الشهابى أحمد بـن بـرق الملكى الناصرى) وبقاعها زخرفة أيضا ويرى عليها أثر تكفيت بالفضـة القطـر ٠,٢٧م والارتفاع ٠,١٤م [٥] وطشت من نحاس عليه من الداخل والخارج سطر كتابة نسخية باسـم

(١) أبو صالح الألفى : المرجع السابق، ص ٢٨٨ .

(٢) Garel J . du Ry : Die Welt des Islam Germany, 1970, p. 147,149 .

(٣) أبو صالح الألفى : المرجع السابق، ص ٢٢٨ .

(٤) كرستى وبريجرو ارنولد : المرجع السابق، جـ ٢، ص ٣١، ٣٢ .

(٥) رقم سجل ٣٤٠٠ .

(قشتمر) تتخلله جامات بها رنك النسر وبها بقايا تكفيت بالفضة طـول ١٨٥ر٤٤٠ وق[1] ومبخرة من نحاس أصفر مستديرة الشكل على حافتها كتابة بها أثر تكفيت بالفضة والذهـب نصها (لا إله إلا الله محمد رسول الله إبراهيم خليل الله أمر بعمل هذه المبخرة المباركـــة مولانا السلطان الملك الظاهر محمد) والكتابة داخل ستة مستطيلات يفصلها ســت دوائــر المقاس ٤٠ر طول، ١١ر عرض[2] .

هذا وقد وجد فى قاهرة المماليك سوقا للكفتيين ذكر عنه المقريزى أنه اشتمل علـــى عدة حوانيت لعمل الكفت وهو ما تطعم به أوانى النحاس من الذهب والفضة وكـــان لـــهذا الصنف من الأعمال بديار مصر رواج عظيم وللناس فى النحاس المكفت رغبـــة عظيمـــة أدركنا من ذلك شيئا لا يبلغ وصه واصف لكثرته فلا تكاد دار تخلو بالقاهرة ومصر مـــن عدة قطع نحاس مكفت ولا بد أن يكون فى شورة العروس دكة نحاس مكفت [3].

---

(١) رقم مسجل ١٥٠٣٨ .

(٢) رقم سجل ٣٣٣٥ .

(٣) المقريزى : الخطط، جـ ٢، ص ١٠٥ .

صناعة الحلى

كانت صناعة الحلى فنا من أقدم وأرقى الفنون التى عرفها الإنسان، ولعل قطع الحلى التى نعثر بها فى المخلفات الحضارية لشعب من الشعوب دليل على ما بلغته تلك الحضارة من سمو، وما بلغه ذلك الشعب من فراهة فى الذوق، وحذق فى الصناعة وتذوق للفن .

وقصة الحلى قديمة قدم الإنسان نفسه ، ولعلها بدأت مع تدوين التاريخ على الحجارة . أما القدماء المصريين فقد اشتهروا بالمهارة والدقة فى صناعة الحلى الجميلة منذ خمسة آلاف سنة بفضل ما عثر عليه من الذهب فى الصحراء الشرقية فى جبال البحر الأحمر وما اكتشفوه من الأحجار الكريمة فى سيناء كالفيروز مثلا (١).

ويضم المتحف المصرى بالقاهرة قاعات خصصت لحفظ الحلى التى تبين لنا مدى ما وصل إليه القدامى فى هذا المضمار سواء فى الدولة القديمة أو الوسطى أو المدينة . ومما يسترعى النظر آثار توت عنخ آمون تلك التى لا مثيل لها فى العالم ، من عقود وأساور وقلائد ذهبية مرصعة بالأحجار النفيسة وأمتعة وتيجان وأسرة وبعض الأدوات المنزلية المصفحة بالذهب ليس هذا فقط بل أن هناك مئات أخرى من قطع الحلى المصرى التى تعرض اليوم فى أبهاء دور التحف الكبيرة فى أنحاء العالم .

أما فى العصر البطلمى (حوالى سنة ٣٣٢ ق.م إلى سنة ٣ ق.م) وهو العصر الذى ابتدأ بعد فتح الإسكندر الأكبر لمصر، فقد تقدمت صناعة الحلى تقدما كبيرا، وأسهم فى ذلك المصريون والأغريق، وكان شأن الإغريق فى مصر كشأنهم فى أى بلد آخر اتصلوا به بأساليب الحضارة الرفيعة، وقد اقتبسوا أولا فن الصياغة الوطنية، وتعلموا ما لم يكونوا يعلمونه، ثم أخذوا بعض الوحدات الزخرفية والأساليب التشكيلية حتى استطاعوا صبغ كل ذلك بالصبغة الإغريقية (٢) .

---

(١) عبد الرحمن زكى :. الأحجار الكريمة ص٣، ٤ .

(٢) على زين العابدين : المصاغ الشعبى فى مصر، ص ٥، ٢٦ .

وإذا ما انتقلنا إلى العصر الرومانى (سنة ٣٠ ق.م – سنة ٦٤٠ م) وجدنا انتشار الفضة والمعادن الرخيصة مثل البرونز والنحاس الأصفر تستخدم فى صنع الحلى الشعبية وذلك نظرا لما أصاب مصر من الفقر تحت الاحتلال الرومانى [١].

وفى العصر القبطى (البيزنطى) الذى يعتبر امتدادا للعصر الرومانى كانت المسيحية قد دخلت إلى مصر حوالى سنة ٦١ م وابتدأت فى الانتشار بعد ذلك وصارت الديانة الرسمية للدولة البيزنطية فى القرن الرابع الميلادى، فانتشرت انتشارا كبيرا ولقد تأثرت الفنون والحرف الشعبية بالديانة الجديدة ، ومنها مصاغنا الشعبى فى تلك الفترة فقد ظهرت رموز الديانة المسيحية فى هذه الفنون، وأهم هذه الرموز الصليب الذى رسم بأشكال عديدة ، والأسماك والحيوانات الوديعة ومنها الحمامة وأوراق الكروم وعناقيد العنب ومناظر الرسل والقديسين[٢] .

وفى بداية القرن السابع الميلادى سطع نور الدعوة الإسلامية من أرض الجزيرة العربية، وجاء الإسلام بتعاليمه الرشيدة وقيمة الرفيعة ليصلح من شأن المجتمعات، وكان من ضمن هذه التعاليم والقيم ما خص به الحلى والمصاغ والذهب والفضة . فنحن نعلم أن المصاغ كان يستخدمه النساء والرجال على حد سواء منذ أقدم العصور إلى نهاية العصر الفرعونى، وإن كان يبدو أن استخدام الرجال له قد قل فى العصر البطلمى وما تلاه إلى الفتح الإسلامى . وقد جاء الإسلام بتعاليم وشرائع فى هذا الشأن.

فالحكم الشرعى بالنسبة للتحلى بالذهب والفضة هو إجازة استخدام الحلى للمرآة إطلاقا، أما بالنسبة لرجل فقد أباح التختم مع ترجيح الفضة[٣] .

أما التحلى بالفضة فجائز استعماله عند النساء والرجال على حد سواء، إذ ورد هذا فى أحاديث نسبت إلى النبى صلى الله عليه وسلم منها قوله : " يا معشر النساء أما لكن فى الفضة ما تحلين به .. الخ .

---

(١)على زين العابدين : المرجع السابق ، ص ٢٨ .

(٢) المرجع نفسه ص ٣١ .

(٣) المرجع نفسه، ص ٣٦، ٣٧ .

كما قيل عنه (صلى الله عليه وسلم) قوله عليكم بالفضة فالعبوا بها [١] .

ويحمل لنا التاريخ الإسلامي تمسك المرأة بالحلى والمعادن الثمينة خلال العصور الإسلامية المختلفة لدرجة أنها لم يقتصر وجودها لزينة العروس أو المرأة بصفة عامة فحسب بل استخدمت في تصفيح وتزيين قطع الجهاز أيضا كما هو الحال بالنسبة لقطر الندى بنت خمارويه التي كان في جهازها دكة أربع قطع من ذهب عليها قبة من ذهب مشبك في كل عين من التشبيك قرط معلق فيه حبة جوهر لا يعرف لها قيمة ومائة هون من ذهب [٢] .

كما زينت المرأة أيضا ملبوسها بالجواهر والحلى مثلما فعلت زبيدة بنت جعفر ابن أبي جعفر المنصور – وابنة عم الرشيد أخي أبيه تزوجها سنة ١٦٥ هـ/ ٧٨٢ م فقد اتخذت الخفاف المرصعة بالجواهر، وأضاءت شمع العنبر على منائر من الذهب[٣].

ويروى المقريزي تحت ما كان من أم القصرين والمناظر بعد زوال الدولة الفاطمية أنه كشف حاصل الخزائن الخاصة بالقصر فقيل أن الموجود فيه مائة صندوق كسوة فاخرة من موشح ومرصع وعقود ثمينة وذخائر فخمة وجواهر نفيسة وغير ذلك من ذخائر [٤].

وفي عصر المماليك بلغ الترف أقصى درجاته وبلغت مخلفات المماليك من الجواهر والحلى وسائر التحف ما لا يمكن حصره . ويكفي للدلالة على ذلك ما ذكره المقريزي عن نهب قصر قوصون وما وجد فيه من الذخائر والبسط والحرير والمصاغ والصيني والبللور[٥].

---

(١) زينات طاحون : المرجع السابق، ص ١٩٤ .

(٢) المقريزي : الخطط، جـ ١، ص ٣١٩ .

(٣) جرجي زيدان : العباسة أخت الرشيد، دار الهلال، ص ١٥٥ – ١٥٧ .

(٤) المقريزي : الخطط، جـ ١، ص ٤٩٦ .

(٥) أحمد ممدوح حمدي : المرجع السابق، ص٧، ٨ .

هذا ورغم ارتفاع ثمن الجوهر واللؤلؤ فى أيام الناصر محمد بن قلاوون فقد جمع من المال والجوهر واللؤلؤ ما لم يجمعه ملك من ملوك الترك قبله، وعرفت رغبته في الجواهر، فجلبها إليه التجار من الأقطار [1].

وقد كانت الحلى من أهم أدوات التجميل التى لا غنى عنها للمرأة فى مصر المملوكية غير أنه من المؤسف حقا أن تكون النماذج التى وصلتنا نادرة جدا . ولعل السر فى ذلك أن الحلى والمعادن النفيسة كانت تصهر ويعاد سبكها عندما يتقادم بها العهد فضلا عن أن قيمتها المادية تبعث على التصرف فيها . وما أكثر الأوقات التى كان يساد فيها القحط أو يضطرب فيها حبل الأمن[2] .

ويذكر المقريزى فى كتابه السلوك تحت أحداث سنة ٧٤٢ هـ / ١٣٤٢ م أن الأمير بشتاك الناصرى كان قد فرق على مماليكه وأجناده وأخرج ثمانية جارية من جواريه أعتقهن وزوجهن من مماليكه بعد ماشورهن باللؤلؤ والزركش، وغير ذلك مما له قيمة كبيرة جدا وبعث إلى الأمراء الخاصبكية شيئا كثيرا من الذهب والجوهر واللؤلؤ والتحف [3] .

وفى العصر المملوكى وجد سوق القفيصات وكان معد لجلوس إناس على تخوت تجاه شبابيك القبة المنصورية وفوق تلك التخوت أقفاص صغار من حديد مشبك فيها الطرائف من الخواتيم والفصوص وأساور النسوان وخلاخيلهن وغير ذلك »[4].

وتلعب المعادن دورا أساسيا فى صناعة الحلى ولا سيما الذهب والفضة والنحاس . وعند صياغة الذهب يضاف إليه نسبة ضئيلة من معادن أخرى كالفضة أو النحاس أو النيكل، كما يضاف إلى الفضة أيضا كمية من النحاس أو الزنك أو الرصاص [5].

---

(١) محمد عبد العزيز مرزوق : الناصر محمد بن قلاوون، ص ٢٦١ .
(٢) أحمد عبد الرازق : المرآة، ص ١٦١، ١٦٢٠ .
(٣) المقريزى : السلوك . جـ ٢ . قسم ٣ . طبعة ١ . القاهرة ١٩٥٨، ص ٥٦٠، ٥٦١ .
(٤) المقريزى : الخطط، جـ ٢، ص ٩٧ .
(٥) حسن الباشا : مدخل إلى الآثار الإسلامية ص ٣٩٨ .

وقد برع المصريون فوق ذلك فى صناعة سبائك الذهب من التبر الذى يكثر وجوده فى بلدة العلاقى التى تقع على مسيرة خمس عشرة مرحلة من أسوان فيتجولون بهذه المنطقة فى الليالى التى يضعف فيها ضوء القمر ويعلمون على المواضع التى يرون فيها شيئا مضيئا علامة يعرفونها، ويبيتون هناك، فإذا أصبحوا حملوا أكوام الرمل التى علموا عليها ومضوا بها إلى أبار هناك فغسلوها بالماء واستخرجوا التبر ثم يمزجونه بالزئبق ويسبكونه (١).

ولصياغة الحلى وتشكيلها أساليب وطرق صناعية كثيرة منذ ظهر هذا الفن فى مصر . ونذكر فيما يلى بعض الأساليب الصناعية الشائعة فى صنع المصاغ :

١ - طريقة الشفتشى :

إن أصل هذه الكلمة غير معروف تماما . ولكن يبدو أن هذه التسمية جاءت من طبيعة هذه الطريقة التى تظهر ما خلفها أو تشف عما وراءها، فهى تشكيل بالسلك المشبك الذى لا يستند إلى قاعدة ، أى أنها " تشف عن الشئ " الذى تحتها ، ويظهر أن هذه العبارة أو هذا الوصف قد نطق محرفا أو مندمجا فأصبح كلمة واحدة تنطق " شفتشى " .

ومن المرجح أن أصل هذه الطريقة أو بدايتها ظهر فى مصر الفرعونية فى عصر الدولة الحديثة (حوالى ١٥٨٠ - ١٠٨٠ ق . م) .

وتقوم هذه الطريقة على التشكيل بالسلك أى استخدام وحدات من السلك وتشكيلها باللحام فى تشكيل القطعة المطلوبة . وعادة يقوم بهذا العمل مجموعة من الأيدى تعمل بعضها حسب خطوات العمل، كما يكون الإنتاج بأعداد كبيرة أو صغيرة وليس إنتاجا(٢) مفردا . وفيما يلى وصف هذه الخطوات :

---

(١) محمد جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون، القاهرة ١٩٤٧ م ص ٣٠٧ .

(٢) على زين العابدين : المصاغ الشعبى فى مصر، ص ٢٣٤ - ٢٣٨ .

(أ) لإنتاج عدد من القطع من المصاغ مثل قرط[1] أو دلاية بالشفتشي، تعمل فورمة للخط الخارجي للشكل من شريحة من المعدن السميك (سمك حوالي ٢ مم)، وذلك لعملها كضبعة لتشكيل (لتضبيع) السلك أو الإطار الخارجي للشكل عليها، ويسمى " الجدار " ويكون أغلظ الأسلاك المكونة للقطعة أو أعرضها، وهو عادة مستطيل المقطع، ويشكل غالبا على سيفه ثم يلحم، والغرض من الضبعة، هو عمل عدد من الإطارات الخارجية " الجدار " للقطعة أو الشكل متماثلة تماما .

(ب) يؤخذ الجدار وهو يمثل الخط الخارجي للشكل، فإذا كانت مساحة الشكل تسمح بعمل تقاسيم داخلية لتوجد تنوعا في المساحات وفي أشكالها، وفي التشكيل الخطي بالسلك، كما تشاهد في الهلال الكبير من الكردان الهلالات مثلا، فإن هذه التقاسيم تشكل من أسلاك سمكا من الجدار وتسمى هذه الأسلاك " العروق "، وهي عادة مستطيلة المقطع أيضا وتشكل على ضبع من الأشرطة المعدنية السميكة حسب الشكل المطلوب . وبعد تشكيلها ترص داخل الجدار في أماكنها .

(جـ) في هذه الخطوة تحشى المساحات بين الجدار والعروق، أو بين العروق وبعضها بوحدات من الأسلاك الرفيعة، وأهم هذه الوحدات هي :

١ - عين واحدة .

٢ - عين وقنطرة .

٣ - لوزة .

٤ - كريشة .

وتشكل هذه الوحدات من سلك مبطط رفيع محزوز يتكون أصلا من سلكين رفيعين من المعدن المطلوب (ذهب - فضة - نحاس) ، ق = ٣٥ - ٥٠ر٠ مم ، يفتلان جيدا (فتلة غامقة) ، وذلك على مرتين ، فتلة أولى ثم تحمى وتفتل ثانية ، وبهذا يصير سلكا

---

(١) انظر لوحة (٢٣)، شكل (٢٣) .

واحدا يدرفل (يبسط) فنحصل على سلك مبطط محزوز الطرفين، هو سلك الشفتشى الــذى يستخدم فى الحشو الدقيق، ويشف عن الشئ الذى خلفه .

والوحدات الثلاثة الأولى تشكل بواسطة جفت (شفت) كبير له طرفان مســتديران أو زرديات تناسب هذا التشكيل . والجدير بالذكر أن كل صانع يقوم بإعداد العدد المناســبة له والتى تساعده فى إنجاز عمله . وتشكل كل وحدة من هذه الوحــدات بمجموعــة مــن الأسلاك تمسك بجوار بعضها، للحصول على عدد من هذه الوحدة، إذ تلف وتصبغ جملــة ثم تقص، فتعطى مثلا عشر وحدات من نوع واحد .

أما الأخيرة وهى الكريشة فإنها ليست وحدة بالمعنى الذى رأينــاه فــى الوحــدات الثلاث السابقة، إذ أنها عبارة عن سلك من النوع نفسه فى الغالب، أو مــن نــوع مبطــط سادة، ويشكل بشكل متموج بواسطة بكرتين مسننتين (ترسين) يدوران داخل كامه، ولــها مقاسات مختلفة للأسنان حسب سلك الكريشة المطلوب . والسلك يعمــل بــأطوال كبــيرة، ويأخذ الصــائغ منه الطول المناسب الحشو والتشكيل ونرى فى (اللوحة رقم ٦٨) آلتيــن يدويتين لتشكيل السلك الكريشة، أحدهما للمقاس الكبير، والأخرى للمقاس الصغــير، وهــو أغلب المستخدم حاليا، وإن كان يستخدم فى الماضى أدق وأصغر من ذلك .

٢ – شغل الحبيبات :(Granulated Work)

يعتبر شغل الحبيبات إحدى الطرق القديمة المعروفة فى صياغة الحلى، فقد كـــانت عند قدماء المصريين، وذلك فى الأسرة الثانية عشرة .

وقد مارس الصياغ هذا الفن فى العصر الإسلامى أيضا . ويوجــد بمتحــف الفــن الإسلامى عقدا يرجع إلى عصر المماليك (لوجة ١٩٧) .

وللأسف اختفى هذا الفن، نظرا لفقد الكثير من أسرار صناعتـــه الدقيقــة، ولقيمــة الوقت والمجهود فى حياتنا الحاضرة [1].

(١) على زين العابدين : فن المصاغ الشعبى . ص ٢٣٩ – ٢٥٠ .

٣ – طريقة الشفتشى، وأشغال السلك الدقيقة : Filigree

تختلف طريقة الشفتشى عن طريقة الزخرفة بحلزونيات الأسلاك الدقيقة Filigree) Work) - التى برع فيها الإغريق، فى نقطة هامة، وهى أن الفيليجرى خيوط من الأسلاك قد تكون مفردة أو مجدولة تشكل منها زخارف خطية أكثرها تأخذ شكل الحلزونيات تلحم على سطح القطعة المصاغة غالبا من الذهب فى تكوين دقيق، فالأسلاك فى هذه الطريقة تستند إلى أرضية تحتها، فى حين أنها فى طريقة الشفتشى – كما عرفنا – لا تستند إلى ساند تحتها .

وعرف الصياغ فى العصر الإسلامى طريقة الفيلجرى، وهناك بعض القطع التى اتبع فى تشكيلها هذه الطريقة ومنها الدلاية ذات الشكل الهلالى من العصر الفاطمى سجل رقم ١٢١٣٧ بمتحف الفن الإسلامى .

٤ – طريقة صنع الخرز المعدنى :

يعتبر الخرز المعدنى من العناصر الهامة الداخلة فى تكوين كثير من مصاغنا الشعبى ، وبخاصة فى العقود والكرادين ، وهناك أشكال مختلفة من الخرزات (الحبات) ، منها الخرزات الكروية المجوفة من الذهب، التى تعتبر من أقدم الحبات المعدنية المستخدمة فى مصر منذ أقدم العصور بعد معرفة النحاس والذهب واستخدامها [(١)].

هذا وقد تميزت صناعة الحلى الإسلامية بجملة خصائص (مع أن أعمال الصياغة كانت من الصناعات المتوارثة بين طوائف معينة بعضها لم يدخل فى الإسلام مع وجوده فى قلب الدولة الإسلامية كالكلدان واليهود وبعض الفرق الهندية) من هذه الخصائص اختفاء الصور الآدمية وإحلال الرسوم الحيوانية والزخرفية مكانها، ومن الحيوانات التى شاع استخدامها الغزال والطاووس والثعبان وبعض هذه من الحيوانات التى تعتبر حارسة أو حامية لأصحابها ضد أعمال السحر والعين الشريرة، ومن خصائص الحلى الإسلامية

---

(١) على زين العابدين : المصاغ الشعبى، ص ٢٥١ – ٢٥٣ .

نقشها ببعض الأدعية مثل : " ما شاء الله "، " الله خير حافظا "، " عز دائم " " العز لـــك "، كما اختفت الإشارات المسيحية لا سيما الصليب وحل مكانها الهلال (1).

هذا وقد لاقى الصياغ مراقبــة شديدة من قبل المحتســب الــذى ألزمــهم ببعــض التعليمات منها : " إن باع شيئا من الحلى لأحد ، فلا يسبكه فى الكور إلا بحضــرة صاحبــه ، بعد تحقيق وزنه ، فإذا فرغ من سبكه أعاد الوزن ، وإن احتاج إلى لحام فإنه يـــزن قبـل إدخاله فيه ، ولا يركب شيئا من الفصوص والجواهر على الخواتم والحلى إلا بعد وزنـــها بحضرة صاحبها . وبالجملة أن تدليس الصاغة وغشوشهم خفيـــة لا تكــاد تعــرف ، ولا يصدهم عن ذلك إلا أمانتهم ودينهم "(2) . فيجب على كل مسلم مراقبة الله ســـبحانه وتعــالى ، ولا يزغل على المسلمين شيئا بهذا ولا بغيره ، وكذلك أكوار السبك لا تكون مرتفعـــة بـل تكون فى قصارى مبنية على وجه الأرض حتى لا يخفى ما يسبكه فيها عن صاحبه مـــن ذهب أو فضة ولا يسرق من البوتقة شيئا بالماسك يسمى نسل النار ، ولا يدس فيها نحاســا ولا غيره من السرقة والخيانة وكذلك صناع الخواتم يؤخذ عليهم أنهم لا يثقلـــوا الخواتـم بالرصاص تحت الفصوص ويبيعوها للناس بفضة وأن يصدقوا فى نعـــت فصوصـــها لأن أكثرها زجاج مصبوغ ، فإن عثر المحتسب بأحد يفعل هذا " لاقى أشد العقاب "(3) .

ويرى ابن الحاج أنه يتعين على الصائغ فى عصره – عصر المماليك – ألا يعمــل فى صياغته شيئا من الصور فإن ذلك محرم . وليحذر ممـــا يفعلــه بعضـــهم مـــن أنـــهم يتعاملون بالربا المتفق على منعه شرعا وهو أنهم يبيعون الخلخال والسوار أو غيرها ممـــا عمل من فضة الحجر الخالص بهذه الفضة المغشوشة اليوم وذلك عين الربا (4).

---

(1) أحمد عطية الله : القاموس الإسلامى – المجلد الثانى، ص ١٤٠ .

(2) الشيزرى : المرجع السابق، ص ٧٧ .

(3) ابن الأخوة : المرجع السابق، ص ٢٣٠ .

(4) ابن الحاج : المدخل إلى الشرع الشريف، جـ ٣، ص ٢٢٩ .

ويرى أنه على الصائغ أيضا أن لا يدنس نيته التى نواها بشئ مما يفسدها مثـــل أن يعمل أو يبيع أو يشترى لامرأة متهمة بالبغاء أو متبرجة وان لم تتهم بذلك . فإن فعل هـــذا مما يفسد به قلوب كثير من المؤمنين (١).

ومن الجدير بالذكر أن الحلى والجواهر كان لها شأن عظيم فى الحياة الاجتماعيـــة الإيرانية وغيرها من البلاد كالعراق – ولا سيما فى البلاط، وفى ملابس أهل الطبقـــة العاليـــة . وقد تخصص فى صناعتها مهرة الفنانين فى زنجان وأصفهان وتبريز وسلطانية وغيرها .

ولكن لم يصل إلينا من الحلى الإيرانية شئ يستحق الذكر، اللهم إلا عدد من الخواتـم والأساور والأقراط قيل أنه كشف فى بعض الحفائر التجارية فى مدينة الـــــرى . ويمكـــن نسبته إلى القرن ٦ أو ٧ هــ / ١٢ – ١٣ م، وقد استعمل الفنانون فى هذه التحـــف نفـــس الطرق الزخرفية التى استخدمها صناع الحلى فى مصر فى عصر المماليك وهى الزخرفـة بالأسلاك الذهبية والتخريم والحبيبات الصغيرة والحفر .

وقد استخدم الحفر فى زخرفة أبزيم محفوظ فى متاحف الدولة فى برليـــن،وتتـــألف زخرفته من حيوانين وطائرين متواجهين ويرجع إلى القرن ٧ أو ٨ هــ / ١٣ – ١٤م.

وقد نسب كل من أكرمان وديماند إلى العصر التيمورى خاتما من الذهب محفـــــوظ بمتحف المتربوليتان بنيويورك وتشمل زخارفه رسوم نباتية وكتابات مجوفة ورؤوس تنيـــن وكتابة كوفية على سطح الخاتم ولكن د . زكى حسن يخالفهما فى هذا الرأى ويرجع نســـبة هذا الخاتم إلى عصر متأخر وذلك لأن موضوعاته الزخرفية قديمة ولكن أسلوب تنفيذهـــــا وطراز الكتابة يجذمان بأنها ليست قديمة وإنما هى تقليد فى القرن ١٢ أو ١٣ هـــــــ / ١٨ – ١٩ م للأساليب القديمة (٢).

* * *

---

(١) المرجع نفسه، جـــ ٣، ص ٢٢٧ .

(٢) زكى محمد حسن : الفنون الإيرانية فى العصر الإسلامى، الطبعـــة الثانيـــة، القـــاهرة ١٩٤٦ م ص ٢٩٠، ٢٩١ .

Ackerman, p. : Jewelry in the Islamic Period (A survey of Persian Art) Vol . 3 , Oxford University press , London and New York 1939 , p. 2666 .

ديماند : الفنون الإسلامية، ترجمة أحمد محمد عيسى، دار المعارف ١٩٨٢ الطبعة الثالثـــة ص ١٥٩ شكل ٩٣، أرجع الخاتم إلى عام ١٣٠٠ آخر العصر المغولى وبداية التيمورى .

صناعة الزجاج

أنشئت صناعة الزجاج فى مصر وبقيت متميزة فيها مدة الفراعنة وملـــوك الـــروم البطالسة والخلفاء وما بعدهم . واستمرت فى العصر الإسلامى حتى يقال أن المسلمين هـــم الذين علموا الشرق هذا الفن الذى كان يصنع بمزيد من الغرابة([1]) .

وطبيعى أن يكون صناع الزجاج فى الإسلام ورثوا قسطا كبيرا من الأساليب الفنيـــة عن أجدادهم القدماء ، وأن يكون التطور فى هذه الصناعة تدريجيا حتى أننا لا نســتطيع أن نجزم فى أكثر الأحيان بنسبة تحفة زجاجية إلى العصر الإسلامى ، إلا إذا كان فى شــكلها أو فى أساليب زخرفتها ما ينطق تماما بأنها إسلامية . ولا غرو فإن الحفائر فـــى أطـــلال المدن الإسلامية كشفت عن عدد كبير من القنانى والقوارير والآوانـــى الزجاجيـــة هيأتـــها هلينستية أو رومانية . وقد يكون عليها من الكمخ والتقزيح ما تراه علـــى الأوانـــى التـــى صنعت فى العصور القديمة([2]) .

وطور المسلمون صناعة الزجاج فى الأقطار التى فتحوهـــا مثـــل مصـــر والشـــام والعراق وإيران ، وعنوا بها عناية كبيرة نظرا لحاجتهم إلـــى الأوانـــى الزجاجيـــة التـــى استخدموها فى وظائف كثيرة مثل حفظ العطور التى رغـــب فيـــها الإســـلام ، والإنـــارة والشرب وغير ذلك .

وصهر المسلمون الزجـــاج بنفس الطريقـــة القديمة التى تتمثل فى صهر الرمـــل . (أوكسيد السليكون) بعد خلطه بنسب معينة من الحجر الجيرى « كربونات الكلســـيوم » بالإضافة إلى نسب من كربونات الصوديوم وأكاسيد أخرى([3]) ثم تشكل بواسطة الســـحب أو الضغط أو الثنى أو النفخ ابتداء من فقاعة صغيرة بازدياد النفخ والتحريك الكروى إلـــى أسطوانة نمطية الحجم تأخذ الشكل الذى يراد بها حتى ينتهى المطاف بها إلى دمجانة وقـــد يصل قطرها إلى المتر . أما إذا ضغطت هذه العجينة فى قالب خاص وبواســـطة مكبـــس

---

(١) سعد الخادم : الصناعات الشعبية فى مصر ، ص٦٩

(٢) زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ، ص١٧٧

(٣) حسن الباشا : مدخل إلى الآثار ، ص٤١٥

خاص فإنها تصير هى والقالب شكلا واحدا تأخذ حجمه ونقوشه وترى قطعة العجين أمامك عبارة عن طبق جميل ذى نقوش ورسوم ، فى لحظات معدودة وإذا شدت هذه العجينة بواسطة شخصين يتباعدان بعضهما تدريجيا مع بعض النفخ البسيط صارت هذه العجينة أنبوبة زجاجية يتوقف طولها وسمكها وقطرها حسب حجم قطعة العجينة نفسها وقد يبلغ طول هذه الأنبوبة خمسين مترا ثم تقطع بعد ذلك قطعا طول الواحدة منها حوالى متر ونصف([1]) . واستخدم فى زخرفة الزجاج طرق صناعية مختلفة منها طريقة القالب والختم والملقاط والزخرفة بالأقراص والخيوط المضافة والحفر والقطع والبريق المعدنى والتذهيب والتمويه بالمينا والتعشيق([2]) ، وقد يلون الزجاج باستخدام مركبات تحتوى على أملاح الفضة وتعريض الزجاج للهب ضئيل ، وتكسب أملاح الفضة الزجاج لون أصفر قاتم ويمكن تغيير اللون إلى لون أحمر عقيقى باستخدام أملاح النحاس([3]) .

وعند تشكيل الحلى الزجاجية أو أشكال الطيور فإن الأمر يستلزم استخدام أنابيب زجاجية ذات ألوان متعددة تلحم بالزجاج بواسطة المشعل([4]) .

ومهما يكن من شئ فإن صناعة الزجاج تقدمت فى العصر الفاطمى تقدما عظيما ، كان سبيلا إلى بلوغها الذروة العليا فى عصر المماليك ، الذى صنعت فيه المشكاوات المموهة بالمينا وهى فخر الزجاج عند المسلمين([5]) .

وقد ذكر لنا أحد كتاب القرن الثامن الهجرى وجود مسابك للزجاج فى مصر آنذاك([6]) .

وقد ازدهرت صناعة الزجاج المموه بالمينا فى مصر والشام فى القرن الثالث عشر ثم بلغت أقصى درجات الكمال فى القرن الرابع عشر . واشتهرت الأوانى الزجاجية

---

(١) فؤاد سعودى : صناعة الزجاج ، ص٤٢
(٢) حسن الباشا : مدخل إلى الآثار ، ص٤١٥
(٣) فؤاد سعودى : المرجع السابق ، ص١٣٣
(٤) المرجع نفسه ، ص١٣٤
(٥) زكى حسن : كنوز الفاطميين ، ص١٨٠
(٦) الحسن بن عبد الله : آثار الأول فى ترتيب الدول ، ص١٦٥

المموهة بالمينا فى البلاد الأوربية وبلاد الشرق الأقصى والأوسط فكان يشتريها الحجاج الأوربيون من بلاد الشام ، كما كانت ترسل إلى بلاد الصين واليمن وإيران . واستخدم الزجاج المموه بالمينا فى صناعة المشكاوات التى كان سلاطين المماليك وأمراؤهم قد أوقفوها على المساجد التى بنوها فى القاهرة . كما استخدم فى صناعة أدوات منزلية مثل الطشوت والزهريات والصوانى والأباريق ، والدوارق التى تستخدم فى حفظ العطور وماء الورد . ومن هذه دورق - بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة - ذو رقبة رشيقة طويلة . ومزخرف بثلاث وردات كبيرة مموهة بالمينا المختلفة الألوان على أرضية من فروع نباتية مملوءة بصور الحيوانات(1) .

ومن الزهريات زهرية بدار الآثار بالكويت من زجاج شفاف مائل إلى الاخضرار ترجع إلى مصر فى القرن ٨هـ/١٤م لها بدن كروى وتستدق عند بداية الرقبة ثم تتسع عند الفوهة ولها يدان وقاعدة ومزخرفة بالمينا الزرقاء والحمراء والخضراء والصفراء والبيضاء وعليها كتابة نسخية نصها « عز لمولانا السلطان / الملك العالم (أ) » بالإضافة إلى الزخارف النباتية المزهرة المتماوجة والرسوم الحيوانية أو الطيور والزهرية مشكلة بالنفخ ، وقد تمت إضافة المقبض بعد الإنتهاء من نفخ الزهرية وقلب شفتها وقاعدتها إلى الخارج(2) ، كما صنعت من الزجاج الملون أيضا أساور بسيطة لتتحلى بها نساء عامة الشعب (لوحات ٢٠٥ ، ٢٠٦) .

وصنعت من الزجاج المكاحل وقنينات العطر الصغيرة التى يأخذ بعضها شكل الدرس والبعض الآخر ذو بدن شبه بيضاوى أو كروى - وقد شاع استخدام هذين النوعين من القنينات فى العصور الوسطى بصفة عامة - وهى توضع فى الملابس لتعطرها . بالإضافة إلى القمائم التى كانت تعبأ بالعطور والروائح فيمتلئ المكان برائحتها الزكية .

---

(1) محمد مصطفى : زجاج مموه بالمينا .

(2) هبة عنايت : نبض التاريخ فى دار الآثار الإسلامية بمتحف الكويت الوطنى ، مجلة العربى ، مايو ١٩٨٣م ، ص١٠٠

، غادة حجاوى قدومى : التنوع فى الوحدة (دار الآثار العربية بالكويت) مؤسسة فهد المرزوق للطباعة ، الكويت ، الطبعة الأولى ، يناير ١٩٨٧ ، ص١١٦

ويرجح أنها كانت لاستخدام عامة الشعب والعطر المحفوظ بداخلها كان من النوع العـــادى عكس المصنوعة من البللور .

ويحتفظ متحف الفن الإسلامى بمجموعة كبيرة من القنينات الزجاجيـــة المصنوعـــة بطرق مختلفة من نفخ فى القالب مثال ذلك رقم ١٤٩٧٥/٣ ، ١٤٠٩٧٣/١٣ أو المنحوتـــة أو المقطوعة أو المحزوزة فى جدار الإناء بعد برودتـــه مثـــال ذلـــك رقـــم ١٤٩٧٥/١ ، ١٣٤٣٤ . وقنينات تتألف زخارفها من أسلاك من زجاج ملون ضغطت على سطح الإنـــاء حتى صارت فى مستواه ، ونتج عن ذلك خطوط متموجة تكسب التحفة نوعًا من زخـــارف المرمر مثال ذلك القنينتان رقم ٨٤٧٩ ، ١٧٤٣٨ وقنينات نفذت زخارفها بالبريق المعدنـــى المعدنى مثال ٥٦٣٢ وقنينات زخارفها مطبقة من زجاج ملون مثال ذلك رقـــم ١٣٥٠٤ ، ٦٩٦٩/٢ .

وتؤرخ جميع تلك القنينات ما بين القرنين ٨/١هـ ، ١٤/٧م ، وقد صنعت القنينـــات الزجاجية الخاصة بحفظ أدهان الشعر ومساحيق الوجه بأحجام صغيرة بعضها مضلـــع أو اسطوانى وبعضها كروى ولجميعها فوهة متسعة .

وهنا يجب أن نذكر أن المصنوعات الزجاجية كانت مما يحمل فى جهاز عـــروس عصر المماليك . فيذكر المقريزى أنه كان بجهاز بنت أحد الأمراء « الزجـــاج المذهـــب أثنى عشر حمالاً »(1) وربما كانت هذه الأحمال عبارة عن صوانى وطشـــوت وأبـــاريق وأكواب وقنينات وقماقم وأحقاق للعطر والأدهان .

* * *

---

(١) المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص٦٨

، على مبارك : الخطط ، جـ٢ ، ص٣٢٩

صناعة البللور الصخرى

يوجد البللور الصخرى فى الطبيعة متحجرا([1]) ، وهو يعرف بـــالمرو والكوارتـــز وهو من الأحجار المعدنية الشائعة استعمالا . وهو يوجد فى معظم أنواع الصخـــور كمـــا يوجد بكثرة بين الرمال فى أشكال جذابة .

وقد عرف استعماله فى الزينة منذ أقدم العصور . ومن أنواعـــه الصـــوان الـــذى صنعت منه الأسلحة البدائية وبلورة الكوارتز سداسية ويندر وجود بلورات منه ذات شـــكل هرمى ، وقد اكتشف لهذا الحجر أكثر من ١٤٠ من أنواع البلورات وبعضـــها منحنيـــة أو ملفوفة([2]) .

ويذكر التيفاشى أن أجوده ما وجد ببرية العرب بالحجاز . ومنه ما يؤتى بـــه مـــن الصين ، وهو أقل جودة من العربى . ومنه ما يكون ببلاد الأفرنجة ، وهو جيـــد أيضـــا . ومنه معادن بناحية أرمينية يميل بلورها للصفرة الزجاجية (كأنه مطبوخ بالنـــار وظـــهر بالمغرب الأقصى على مقربة من مراكش معدن نقى اللون وكثر عندهم حتى فـــرش منـــه لملك المغرب مجلس أرمنا وحيطانا([3]) . هذا وقد احتفظ المسلمون بالتقـــاليد التـــى كـــانت تمارسها الشعوب القديمة من نحت الأحجار الصلبة ومن اســـتخراج أوانـــى جميلـــة ذات زخرفة كتابية من البلور الصخرى محفورة ومنحوتـــة بالآلـــة([4]) ، فاســـتخدموا البلـــور الصخرى فى عمل الكؤوس والآباريق والتحف الثمينة .

ومما يذكر أن الخليفة الراضى بالله (٣٢٢ - ٣٢٩هـ/٩٣٣ - ٩٤٠م) كان مولعـا بجمع التحف المصنوعة من البلور الصخرى .

وقد ازدهرت صناعة البلور فى مصر فى عصر الفاطميين بدليل ما ذكـــره نـــاصر خسرو من أنه رأى بها : « معلمين مهرة ينحتون بلور غاية فى الجمال وهم يحضرونـــه

---

(١) التيفاشى : أزهار الأفكار فى جواهر الأحجار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٧م ، ص٢٠١

(٢) عبد الرحمن زكى : الأحجار الكريمة فى الفن والتاريخ ، ص١٠٩ .

(٣) التيفاشى : المرجع السابق ، ص٢٠١

(4) Migeon: Les Arts Musulmans, Paris et Pruxelles, 1926, P. 35.

من المغرب . وقيل أنه ظهر حديثًا ؛ عند بحر القلزم ، بلور ألطف وأكثر شفافية من بلــور المغرب »([1]) .

وجاء في كتاب التحف والهداية أنه وجد في تركة السيدة بنت المعز العبيدى طســت وإبريق من البلور ، وكان الناس يستعظمونها إلى أن وجد عنــد ابــن اليــازورى وزيــر المستنصر – عندما قبض عليه – تسعون طستا بأباريقها من صافى البلور وجيـــدة فــهان عليهم ما استعظموه([2]) .

وقد وصف المقريزى الكنوز الضخمة للخليفة الفاطمى المستنصر بالله والتى كــانت تحتوى على أعداد وفيرة من كؤوس البلور الصخرى ترجع إلى القرن العاشــر والحــادى عشر ، وكل من عرفها على نمط وطابع الزخرفة الفاطمية فى هذا العصر تبعًا لمــا جــاء على النسيج خاصة يتوافق مع الزخرفة الموجودة على بعض الكؤوس البديعة من البلـــور الصخرى الموجودة فى المتاحف وبعض كنوز الكنائس حيث اســتخدمت للديانــة مكســية بالفضة وهذا السبب فى بقائها .

ومن تحف البلور التى ترجع إلى مصر فى العصر الفاطمى إبريق من كنوز ســـان مارك فى فينسيا ويحمل اسم الخليفة الفاطمى العزيز بالله([3]) .

ويحتفظ المتحف الجرمانى بمدينة نورنبرج بألمانيا بحلقة من البلـــور علـــى شـــكل هلال عليها كتابة باسم الخليفة الظاهر([4]) .

وتضم دار الآثار الإسلامية بمتحف الكويت الوطنى زجاجة من البلـــور الصخـــرى ترجع إلى مصر فى القرن ٥هـ/١١م حفر عليها رسم طائرين متقابلين([5]) . وقـــد ســـاعد

---

(١) سفرنامه : ص٥٩ ، ٦٠

(٢) الخالديان : كتاب التحف والهدايا ، ص٢٥٧

(3) Migeon: Op. Cit., P. 35.

(٤) زكى حسن : كنوز الفاطميين ، ص١٩٠

(٥) هبة عنايت : نبض التاريخ فى دار الآثار الإسلامية بمتحف الكويت الوطنى ، مجلة العربى ، رجب ١٤٠٣هـ / مايو ١٩٨٣م

استخراج البلور من مصر على خفض ثمنه وإنتاج التحف الكثيرة منه التى حرص كبار رجال الدولة فى عصر المماليك أن يزودوا بها قصورهم كما كان الحال فى قصر الأمير قوصون(1) .

ويبدو أن صناعة البلور وفنونه قد وصلت إلى قمة ازدهارها فى عصر المماليك إذ كانت تصنع منه الدكك والأوانى كالأزياء وغيرها المزخرفة بالحفر بصور ثابتة على شبه الوحوش والطيور التى كانت من ضمن جهاز العرائس من بنات السلاطين - كبعض بنات السلطان حسن بن محمد بن قلاوون التى زفت على بعض الأمراء فى دولة الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون - الذى كان من جملته دكة من بلور تشتمل على عجائب منها زير بلور يسع قربة ماء(2) .

وإلى جانب ذلك أنتجت صناعة البلور أيضًا قنينات العطر والمكاحل الصغيرة الحجم الجميلة المنظر .

* * *

---

(1) المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص٧٢ ، ٧٣
، سرور : المرجع السابق ، ص٣١٢
(2) المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص١٠٥
، حسن محمد الهوارى : أثر المرأة فى الفن الإسلامى ، ص٤٢٦ ، ٤٢٧

صناعة الفخار

تعد صناعة الفخار من الصناعات القديمة التى عرفها الإنسان، فالأوانى المعدنية لم تكن معروفة فى العصور القديمة والوسطى، ومن الفخار صنع الإنسان الأزيار والقدور والأباريق وأوعية الخل والعسل والنبيذ والسمن، وغير ذلك من الأوانى التى لا غنى عنها فى الحياة اليومية . وفى بعض العصور صار يطلى الفخار أحياناً بالمينا، وقد انتشر هذا الأسلوب فى عصر المماليك، ويصنع هذا النوع من الفخار من طينة لونها يميل إلى الحمرة مغطاة ببطانة بيضاء عليها طلاء بالمينا الصفراء أو الخضراء أو ذات اللون البنى، وكانت الزخارف تحفر فى القشرة حتى تصل إلى الطينة المائلة إلى الحمرة، وكثيراً ما نجد توقيع الصانع على هذا النوع من الخزف وتتكون زخارفه من عناصر نباتية وكتابات بالخط الثلث الذى شاع استعماله فى عصر المماليك، بالإضافة إلى صور رنوك وشارات أصحاب هذه الأوانى، وتشابه هذه الرنوك مثيلاتها التى وجدت على الأوانى المعدنية ولقد استمر إنتاج هذا النوع من الأوانى حتى نهاية القرن الخامس عشر الميلادى .

ويحتفظ متحف الفن الإسلامى بالقاهرة بنماذج عديدة من هذا الفخار منها آنية مطلية بالميناء الصفراء مزينة من الداخل والخارج بكتابة صفراء منقوشة تحت طبقة من المينا ومقسمة إلى مناطق بدوائر بها رنوك مموهة بالمينا باللونين الأحمر والبنى الغامق وهذه الكتابة باسم مملوك من مماليك السلطان الملك الناصر محمد المتوفى سنة ٧٤١ هـ / ١٣٤١م. الارتفاع ١٧ سم – العرض ٢٦ سم [١]. كما يحتفظ كل من المتحف القبطى ومتحف كلية الآثار بنماذج من هذا الفخار . وإذا تحدثنا عن صناعة الفخار يجب أن نذكر صعيد مصر، فيبدو أن أهالى أسوان برعوا فى صناعة أنواع جيدة من الفخار الذى استخدم فيه الطين الأسوانى .

ويؤخذ ذلك الطين من جبل أطلق عليه المؤرخون العرب اسم " جبل الطفل " وكان ذلك الطين مفضلا فى صناعة " كيزان الفقاع "، وهى أوان استخدمت فى شرب نوع من

(١) رقم سجل ٣٩٤٥ .

النبيذ يتخذ من الشعير . وكذلك مهر أهالى أسوان فى صنع أوعية من الفخار التى تسمى " البرام " امتازت بجودة الطبخ فيها، وهى تصنع من حجر يسمى " حجر البرام " فيجوف ذلك الحجر نحو ثلاثة أو أربعة سنتيمترات وأحيانا يسخن قدر معين منه، ويضاف إليه مثله من الطين الأسوانى ويمزج ويعجن حوالى أربع ساعات ثم يعمل منه أوعية البرام . وتجفف فى الشمس والهواء مدة يومين، ثم توضع على نار خفيفة فى حفرة مخصصة لذلك تسع نحو عشرة أبرمة أو اثنى عشرة دفعة واحدة ([1]).

هذا وقد ورثت قنا صناعة الفخار عن الآباء والأجداد، وحافظت على تراثها حتى أصبحت أهم مراكز لصناعته فى البلاد وقد عاونها على ذلك طبيعة تكوينها الجيولوجى إذ أحاطت بها من الناحية الشرقية جبال طفلية تسقط عليها السيول فتجرف هذه الطبقة الطفلية وتحملها معها إلى الوديان العربية من المدينة . وهذه الطبقة الراسبة التى تمون مصانع الفخار فى قنا وعددها بين الخمسين والستين وهى تنتج جميع أنواع الفخار، وأهمها القلل والأزيار ([2]).

وكان من أشهر الصناع فى مدينة الأقصر صناع الفخار الذين امتازوا بالمهارة والدقة فى صناعتهم هذه التى فرضتها عليهم بيئة الأقصر حيث كانت تتوافر فيها الطينة التى يصنع منها هذا الفخار فى زمن المماليك ([3]).

ويستخدم الفخرانى الدولاب – فى تشكيل أوانيه – وهو عبارة عن قرص مثبت على عمود من الخشب فى أسفله قرص صغير يدار بالقدم ([4]).

ويرجع بعض المؤلفين استعمال دولاب الفخار للأسرة الأولى فى حين يرجعه البعض الآخر إلى الأسرة الخامسة .

وطريقة استخدام الفخار مبنية على جدران مقبرة فى سقارة من مقابر الأسرة الخامسة، وعلى جدران مقبرة أخرى من مقابر الأسرة الثانية عشرة ببنى حسن وفى

---

(١) محمود محمد الحويرى : أسوان فى العصور الوسطى، ص ٩٠، ٩١ .

(٢) عزيز مرقس منصور : أمجاد من تراثنا – الألف كتاب – مكتبة الشرق، ص ٦٦ .

(٣) محمد عبده الحجاجى : الأقصر فى العصر الإسلامى ص ٣٨ .

(٤) عزيز مرقس : المرجع السابق، ص ٦٧ .

المقبرة نفسها نرى أفران الفخار موقدة، وهى دائرية الشكل كالتى توجد حاليا بالوجه القبلى، وقد صور رجلان يعجنان الطين بأرجلهم على الطريقة المتبعة للآن ([1]).

طريقة صناعة القلل :

توضع قطعة كبيرة من الطين على القرص العلوى، ويشكل منها بطن القلة ثم تعرض للهواء مدة ٤ ساعات حتى يجف الجزء الذى سيكون عليه شباك القلة، ويوضع عليها رأس القلة الذى يشكل فوق الدولاب على حدة، وبعد أن تتجمد يلحم الرأس مع بطن القلة، وفى اليوم التالى توضع القلة على فوهتها فوق أصيص مثبت على الدولاب ليشكل كعبها (قاعدتها)، ثم توضع على فوهتها يوما كاملا حتى تجف، ثم تنقل القلل وأوانى الفخار بعد جفافها إلى الفرن لحرقها ([2])، والفرن عبارة عن حجرة أرضية تعلوها حجرة أخرى أكثر ارتفاعا . وتتصل الحجرتان بفتحات فى العقد الفاصل بينهما، كما تتصل الحجرة العليا بالهواء الخارجى بفتحات مماثلة فى أعلاها .

وتسوى الأوانى بوضعها فى الحجرة العليا وسد بابها بالبناء، ثم إشعال الوقود بالحجرة السفلى " بيت النار "، فيدخل اللهب إلى حجرة الأوانى عن طريق الفتحات المتخصصة . ويمر على الأوانى فيسويها . ويخرج من الفتحات العليا إلى الخارج([3]) . وتستمر عملية الحرق حوالى أسبوع وتكتسب القلة الصلابة والمسام التى كلما كثرت، كانت أقدر على تبريد المياه .

وقد ظهر من حفائر الفسطاط بقايا فرن يرجع تاريخه إلى ما بين القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين، طوله ٦٥ر١ متر، عرضه ٥٠ر١ متر ولكن الارتفاع من الصعب تحديده لسقوط القبوة ومن المفروض أن يكون الارتفاع ٤٠ر٢ متر .

---

(١) سعد الخادم : الصناعات الشعبية، دار المعارف ١٩٥٧ م، ص ٤٨، ٤٩ .

(٢) المرجع نفسه ص ١٧٧ .

(٣) محمود صابر : الخزف، ص ٥٥ .

ويفصل الموقد عن حجرة الحرارة قبوبه فتحة مركزية يخرج منها النار والجزء العلوى من هذا القبو على هيئة أفقية تستخدم كقاعدة توضع فوقها الأوانى والقبو العلوى كان لا بد أن يكون به فتحات لخروج الدخان إلى الخارج .

والقمة المقببة للفرن تجعل النار تحيط كلية بالأشياء وفى طريقها توزع الحرارة اللازمة لاتخاذ المينا وتكوين ناتج أكسيد فى الأماكن المحددة التى كانت توضع فيها الأوانى وبالارتفاع الذى تحتله داخل الفرن (1) . هذا وكان يصنع - من الفخار - الأدوات المنزلية كالمسارج والبرام والقدور والأوانى الكبيرة التى يعبأ فيها النيلة والعسل وكذلك لتخزين الزيوت والحبوب فى المنازل . (لوحات ٩٧، ٨٢، ١٣٥) .

وقد كانت الزبادى الفخارية مما يجعل فى جهاز العروس المملوكية (2) مما يشترط على الفاخرانيين ألا يعملوا الزبادى إلا من الحصى المطحون وأن تكون الزبدية معتدلة(3).

ومما يذكر أنه كان بسوق الفخارين لدى مسلمى العصور الوسطى متخصصين فى إصلاح الأوانى الفخارية المكسورة (4).

ويحتفظ متحف الفن الإسلامى بنماذج كثيرة للأوانى الفخارية منها قلة صغيرة من فخار رقيق تشبه القدر لها بدن قصير مستدير يضيق من أسفله ليرتكز على قاعدة صغيرة مستديرة، ورقبتها اسطوانية متسعة طويلة بظاهرها تضليع دائرى ولها مقبض . وبها تآكل وبحافتها شطوف . ١٢ سم – ق الفوهة ٨ سم(5)، بلاص من فخار أحمر اللون أحد مقبضيه وجزء من رقبته مفقودان يزخرف أعلى البدن دوائر بارزة متوازية وعلى بدنه زخرفة هندسية عبارة عن مجموعة من خطوط متوازية متموجة تقطعها بالعرض

---

(١) Aly Bahgat : Les Fouilles de Foustat Decouverte d, un Four de potier Arabe Datant du XIVe Siecle - Exirait du Bulletin de I,Institut Egyptien, 5e Seri, T. VII

(٢) المقريزى : الخطط، جـ ٢، ص ٦٨، على مبارك : المرجع السابق جـ ٢، ص ٣٢٩ .

(٣) ابن الأخوة : معالم القربة ص ٣٢٦ .. Mazaheri : Op . cit , P . 220

(٤) Mazaheri : Op . cit ., p . 220 .

(٥) رقم سجل ٢٣٤٥٨ .

مجموعة من دوائر متوازية وهى منفذة بالحز . ٥ر٣٥ ق الفوهة ١٠ سـم مـن حفـائر الفسطاط ([1]).

وحمالة من فخار مطلى بوسطها شريط كتابى نسـخى مملوكـى وهـى مكسـورة وملصوقة وينقصها بعض أجزاء الارتفاع ٢٤٠ر - القطر ١٩٠ر([2]) .

* * *

---

(١) رقم سجل ٢٣٤٨٠ .

(٢)رقم سجل ١٤٧٥٤ .

صناعة الخزف

من المعروف أن الخزف هو فن صناعة الأوانى من الطين المحروق ([1]). وهذه الصناعة من أقدم المصنوعات التى عرفها الإنسان، والخزف من أهم الأشياء التى يعثر عليها المنقبون عن الآثار، والتى يستنبطون منها درجة المدنية ونوع الحضارة التى بلغتها الشعوب المختلفة فى شتى العصور([2]) . وتذكر المعاجم أن الخزف هو " ما عمل من الطين وشوى بالنار فصار فخارا . وقد أطلق الباحثون كلمة الخزف على الفخار المزجج حيث شاع استعمالها . ولعل من أهم الدوافع التى حثت الصناع على استعمال التزجيج هو سد المسامات لمنع تسرب السوائل منها، كما يجعل المصنوعات ثقيلة جميلة المظهر([3]) .

وكانت مصر من بين المراكز الصناعية التى انتشرت منها نماذج مختلفة من الخزف فى العالم الإسلامى . وقد بدأت هذه الصناعة تزدهر بمصر فى العصر الطولونى، ثم أخذت فى سبيل التقدم حتى بلغت مبلغا عظيما من الرقى فى عهد الفاطميين، فأصبح يصنع من الخزف الفناجين والقدور والصحون وبعض المواعين، ولا أدل على رواج هذه الصناعة من أن التجار المصريين كانوا يستخدمونها عوضا عن الورق فى الوقت الحاضر، فيضعون فى الأوانى الخزفية ما يبيعونه ويأخذها المشترون بالمجان([4]) وازدهرت هذه الصناعة فى مصر وسوريا فى العصر المملوكى وبلغت الزخارف النباتية الطبيعية درجة كبيرة من الدقة والإتقان. على أننا نلاحظ أن إنتاج الأوانى الخزفية ذات البريق المعدنى قد توقف إنتاجه فى مصر، فى حين استمر فى الظهور فى سوريا، حيث عثر بها على أوان ترجع إلى القرن السادس عشر مزخرفة بزخارف البريق

---

(١) محمود صابر : الخزف صناعة وفن وتاريخ، ط ٢، مطبعة مصر ١٩٥٠ م، ص ١ .

(٢) زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ص ١٤٧ .

(٣) خليل حامد حمودى الأعظمى : خزف سامراء الإسلامى، مجلة سومر الجزء الأول والثانى المجلد الثلاثون - ١٩٧٤ م، ص ٢٠٤ .

(٤) جمال الدين سرور : المرجع السابق، ص ٣١٣ .

المعدنى المتعدد الألوان (1). وقد وصلت إلينا أسماء الكثيرين من الخزافين، منهم غيبى وغزال والهرمزى وأبو العز(2) .

ويعتبر غيبى بن التوريزى أشهر خزافى العصر المملوكى فى أواخر القرن الرابع عشر والقرن الخامس عشر، وهو يتزعم مدرسة كبيرة من خزافى هذا العصر ممن سجلوا أسماءهم على منتجاتهم، وتربطهم به صلة الصانع بأستاذه أو الناسج على منواله، ويشبه غيبى فى هذا الخزاف أبا القسم مسلم بن الدهان ومدرسته فى العصر الفاطمى .

وقد كشف لنا الحفائر فى منطقة الفسطاط وفى أنحاء أخرى من القاهرة، عن عشرات من القطع الخزفية الجميلة تحمل اسم(3) هذا الخزاف النابه، ويضم متحف الفن الإسلامى بالقاهرة مجموعة طيبة من منتجاته، ويتوزع الباقى فى عدد كبير من المتاحف العالمية ضمن مجموعات الخزف المصرى بها .

وبالرغم عن ندرة المعروف من تحفه الكاملة، فإن العدد الكبير من أجزاء الأوانى التى تحمل توقيعه تمدنا بمعلومات كافية عن هذا الخزاف وأسلوبه الفنى، وتكشف لنا عن مدى تأثير الخزف المصرى فى هذه الفترة بأشكال وزخارف أوانى البورسلين الصينى التى كانت القاهرة تستورد كميات كبيرة منها فى هذا العصر، وكانت ترد إليها رأساً من بلاد الصين عن طريق البحر(4) .

وقد أدى الإقبال على استيراد هذه الأوانى الصينية وشغف سراة القوم إلى إشعال جذوة المنافسة فى صدور الخزافين المصريين فأنتجوا أوانى ورسوم جميلة يغلب عليها اللون الأزرق على أرضية بيضاء تحاكى الرسوم والزخارف

---

(1) نعمت إسماعيل علام : فنون الشرق الأوسط فى العصور الإسلامية، ص ١٩٥ .

(2) محمد مصطفى : الخزف الإسلامى،ص ١٧ .

(3) انظر لوحة رقم (٦٧) .

(4)عبد الرءوف على يوسف : غيبى بن التوريزى – مقالة بكتاب القاهرة، مؤسسة الأهرام، ص١١٥

الصينية، وغطوا هذه الأوانى بطلاءات(1) زجاجية شفافة رقيقة غاية فى الرونق والإتقان .

وتبين لنا منتجات غيبى بن التوريزى ومدرسته كيف استطاع الخزافون المصريون فى هذه الفترة مجاراة أسلوب العصر فى صناعة الأوانى وزخرفتها، ومنافسة البورسلين(2) الصينى مع الاحتفاظ بأصالتهم الفنية وطابعهم المصرى . وقد قاد غيبى الخزاف هذا الاتجاه ونجح إلى حد كبير فى أن يجعل من منتجاته مع زملائه سلعة رائجة تنافس الأوانى المستوردة من أنواع البورسلين المصنوع فى بلاد الصين(3) لا سيما فى عهد أسرة مينج (١٣٦٨ - ١٦٤٤ م)، سواء فى ألوانه أو فيما يمتاز به من رسوم الحيوانات والطيور والنباتات، القريبة من الطبيعة فى شكلها وما فيها من حركة، والمرسومة بالألوان الأزرق والأخضر على أرضية بيضاء(4)، ومن الملاحظ أن هذه الرسوم من نباتية وحيوانية قريبة الصلة من زخارف الخزف المنسوب إلى سلطاناباد من العصر نفسه . كما وصلنا من إنتاجه رسوم آدمية قليلة على الخزف ترجع إلى حوالى منتصف القرن ٨ هـ / ١٤ م . وهذه تتميز بالسحنة والملابس ذات الطابع الصينى(5) .

ويدل الأسلوب الفنى لهذا الخزاف على أنه عاش فى أواخر القرن السابع وأوائل القرن الثامن الهجرى (١٣ و ١٤ م) .

---

(١) الطلاءات الزجاجية هى مواد تحضر على شكل مسحوق يخلط بالماء وتطلى به الأوانى الخزفية التى أحرقت إحراقاً أولياً . ومن طبيعة هذه الطلاءات الانصهار تحت تأثير الحرارة العالية فتكون طبقة زجاجية رقيقة متحدة بسطح الآنية .

وتسد الطلاءات مسام الأوانى فتمنعها من ترشيح السوائل وفوق ذلك تكسبها نعومة ورونقاً .

محمود صابر : الخزف، مطبعة مصر ١٩٥٠ م، ص ٢٧ .

(٢) البورسلين من أنواع الخزف الذى شاع استعماله فى بلاد الصين فى العصور الوسطى واكتشف فى أنحاء عديدة من العالم . ويصنع هذا النوع من الخزف من طينة خاصة تمتاز بأنها تتحمل درجة مرتفعة جداً من الحرارة، ومن هنا كان لها رنين كرنين الأوانى المعدنية إذا ما نقر عليه . ومن أبرز خصائص البورسلين الصينى هو لونه الأبيض الجميل وخلوه من الزخارف والنقوش .

انظر : خليل خالد الأعظمى : المرجع السابق، ص ٢١٤ .

(٣) عبد الرءوف على يوسف : غيبى بن التوريزى، ص ١١٥ .

(٤) محمد مصطفى : الخزف الإسلامى، ص ١٧ .

(٥) حسن الباشا : فنون التصوير الإسلامى فى مصر، ص ١٣٢ .

ووجد فى عصر المماليك أسلوب فنى آخر فى زخرفة الخزف احتفظ بالتقاليد الفنية المستوطنة فى مصر منذ العصر الفاطمى (1).

وقد صنع من الخزف الأوانى الخاصة بالمائدة من أطباق وسلاطين وأكواب وأباريق وقدور وملاحات بالإضافة إلى أوانى الزهور والزمزميات وتماثيل الزينة التى كانت تستخدم أحياناً - بعد عمل ثقوب بها - كمباخر أو شماعد .

ومن الجدير بالذكر أن المحتسب كان على دراية تامة ببعض أساليب الغش التى يقوم بها باعة الخزف ليروجوا بعض بضاعتهم الغير سليمة فكان يأخذ على باعة قدور الخزف والكيزان والأوانى أنهم لا يطلون ما كان مثقوباً منها، أو مشقوقاً أو معمولاً بالجبس المعجون بالشحم، وبياض البيض، والخزف الأحمر المسحوق، ويبيعونه على أنه سالم، فإذا وجد عند أحد منهم خزفاً على هذه الصفة أدبه ليكون ردعاً لغيره (2).

ومن المحتمل أن العروس المملوكية أقبلت على شراء الأوانى الخزفية - لتكون من ضمن أدوات المائدة بجهازها - لما حفلت به من رسومات نباتية وحيوانية وكتابية وآدمية ملونة تسر العين وتبهج النفس . ومما يذكر أنه كان بجهاز ابنة أحد الأمراء بعصر المماليك "من الصينى ثلاثة وثلاثين حمالاً "(3) وهذا يدل على كثرتها، وربما يقصد بالصينى الأوانى تقليد البورسلين التى ازدهرت صناعتها فى ذلك العصر .

* * *

---

(1) محمد مصطفى : الخزف، ص ١٧ .

(2) ابن الأخوة : المرجع السابق، ص ٣٢٥ .

(3) المقريزى : الخطط، جـ ٢، ص ٦٨ .

صناعة العطور

كانت العطور فى مصر القديمة تتألف – على الخصوص من الزيوت والشحوم (الدهانات) العطرية وكثيراً ما نص فى الكتابات المصرية القديمة وفيما خلفه بعض مؤلفين من اليونان والرومان على استعمالها ([1]). ومما يذكر أن صناعة العطور لم تتغير على مدى القرون، إذ ما زالت تسحب عصارة لحاء الشجر والأغصان الطرية ويحرق الخشب مثلاً . وقد استطاع العالم العربى ابن سينا فى القرن الرابع الهجرى العاشر الميلادى استخلاص العطر من الزهور بواسطة التقطير فقد سخن بتلات الورد فى الماء وتمكن من فصلها وحفظها وبذلك توصل إلى صناعة عطر دائم الأثر . وكان اكتشافه هذا بمثابة تغيير جذرى فى صناعة العطور تطور بفعل التجارب المطردة عليه، منها أيضا استخلاص العطر من غزال المسك بواسطة غدة صغيرة قريبة من سرته لا يزيد طولها على بوصتين ، استطاع العلماء إزالة هذه الغدة دون قتل الحيوان، وللمسك المستخلص من هذه الغدة فائدة أكبر من كونه عطر ذا رائحة طيبة فقد توصل العلماء إلى أن للمسك خاصية كيميائية تجعله مادة مثبتة للعطور . فدخل المسك المستخلص من الغدة كمادة أساسية فى صناعة بقية العطور وذلك بأن نضيف لها خاصية الثبات والحفظ لسنوات طويلة ([2]).

ويستخلص زيت العنبر([3]) من معدة حوت العنبر ... وقد يحضر العنبر صناعيا ولكن رائحته تختلف عن رائحة العنبر الطبيعى، كما أنه أقل جودة منه .

---

(١) لوكاس : المواد والصناعات، ص ١٤٥ .

(٢) نجلاء العزى : الإنسان والعطور (بحث بمجلة الدوحة – العدد ١٢٤ – رجب ١٤٠٦ هـ / إبريل ١٩٨٦ م)، ص ٨٨ .

(٣) العنبر نوع من الطيب كالزعفران والورس وهو نوع من الأعطار ذو رائحة طيبة .
أحمد تيمور باشا : الموسوعة التيمورية من كنوز العرب، القاهرة ١٩٦١ م، ص ١٤٤ .
وهو مادة طيبة شهباء اللون تشبه الشمع، إذا سخنت تخرج منها رائحة طيبة .حسام الدين السامرائى، ص ٩٦ حاشية (٤) .

وللعنبر عدة ألوان مختلفة، وإذا أذيب فى الكحل أعطى رائحة مقبولـــة نوعـــاً وإذا وضع على الملابس ظل محتفظاً برائحته مدة طويلة حتى بعد غسيل هذه الملابـــس ومـــن خواص العنبر أنه أقل كثافة من الماء، ولا يذوب فيه ([1]).

وتختص بإنتاج معظم الزيوت العطرية عائلات نباتية تمتاز أفرادها برائحتها الزكيـة التى تبلغ أوجها وقت الأزهار وتفرز هذه الزيوت . وقد عرفت الدهون والزيوت البسـيطة بعـد تعطيرها من قديم الزمان واسـتعملت كمرطبـات أو كمغذيـات للجلـد ثـم نمـت وارتقـت مـع الحضارة([2]).

ومن الطبيعى فى جو حار كجو مصر أن توضع الزيوت والشـــحوم علـــى الجلـد والشعر وهذه عادة شائعة فى العصر الحاضر فى النوبة والسودان وجـهات أخـرى مـن إفريقيا وهناك أكثر من نوع من الزيوت، أما الزيت الذى كان يستعمله الفقراء فهو زيـــت الخروع، كما يقول استرابو ولا يزال هذا الزيت مستعملاً لهذا الغرض ببلاد النوبة . أمـــا الشحوم والدهون الجامدة فكان مجـال الاختيـار فيـها ضيقـاً منحصـراً فـى الدهـون الحيوانية([3]).

وتختص بإنتاج معظم الزيوت العطرية عائلات نباتية تمتاز أفرادها برائحتها الزكيـة التى تبلغ أوجها قامت الأزهار . وتفرز هذه الزيوت العطرية إما بواســطة غـدد قـد لا تفترق فى شكلها أو تركيبها عن بقية الخلايا النباتية المحيطة بها، وإما بواسطة غدد تتـألف من خلايا متميزة فى شكلها وتركيبها عما يحيط بها من الخلايا الأخـرى . ومعظـم هـذه الزيوت العطرية توجد فى الخلايا النباتية ممتزجة بمواد راتنجية وصمغية ومـواد دهنيـة ومواد زلالية أو مواد دباغية .

وتتكون بعض الزيوت العطرية فى النبات نتيجة لأعراض مرضيـــة ناشـئة عـن تجريح النبات كما هو الحال فى الجاوى والميعة السائلة وبلسم بيرو والبعــض الآخـر لا

---

(١) عصمت عزيز عوض : صناعة العطور، القاهرة ١٩٦٣ م، ص ٢١ .

(٢) محمد أحمد حماده : مستحضرات التجميل، ص ٤٤ .

(٣) لوكاس : المرجع السابق، ص ١٤٥ .

يوجد فى النبات الحى بل تنشأ فيه بعد تجفيفه مثال ذلك زيت السوسن، فالنبات الأخضر ليس له الرائحة الزكية التى تشمها بعد تجفيفه (١).

وقد حبا الله مصر بطبيعة رائعة تساعد على زراعة الكثير من الزهور فيذكر ابن ظهيرة عن بساتين مصر أنها " عظيمة كثيرة، ومناظرها عالية، ومياهها جارية غزيرة، فيها كثير من الأشجار النقرة، والأزهار العطرة والرياحين " (٢).

وعن أنواع الرياحين التى تجود زراعتها بمصر يذكر ابن فضل الله العمرى أنها كثيرة " كالحبق، والآس، والورد، والنيلوفر، والنسرين، والبان، والتمرحنة، والمنثور، والياسمين"(٣). واعتمادا على هذه الطبيعة وما أنتجتها من زهور اشتهرت مصر بصناعة الزيوت العطرية المستخرجة من الزهور، وكان زيت الياسمين من العطور التى تقبل عليها النساء وكان يصنع فى دمياط (٤).

كما تركز صناعة ماء الورد فى الفيوم، حيث كانت مصانع التقطير تستعمل أزهار الورد التى تنتجها تلك المنطقة (٥).

وكانت طريقة استخراج العطور النباتية تنحصر فى عصر قشور ثمار بعض النباتات التاريخية أو فى تقطيرها بالأنبيق أو فى تشبع زيت الزيتون وزيت البان بها (٦).

ويتم تقطير المياه العطرية بأن يسخن الماء لدرجة الغليان كأداة لنقل الزيوت النباتية الطيارة وحملها إلى قابلة التكثيف – ويستخدم فيها الأنبيق – وتتطلب هذه الطريقة عناية شديدة حتى لا تتعرض الأجزاء النباتية للاحتراق أثناء التقطير عند ملامستها لسطح

---

(١) محمد أحمد حماده : المرجع السابق، ص ١٩٩ .

(٢) ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة، ص ٢٠١ .

(٣) ابن فضل الله العمرى : مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار، تحقيق أيمن فؤاد سيد، ص ١٦ .

(٤) ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب – الجزء الأول من القسم الخاص بمصر نشره د . زكى محمد حسن، د . سيد إسماعيل، د . شوقى ضيف مع مقدمة للدكتور زكى محمد حسن، مطبعة جامعة القاهرة ١٩٥٣ م، ص ١١ .

(٥) أحمد أحمد الحتة : تاريخ مصر الاقتصادى، ط ٣، ص ٢٠ .

(٦) أحمد ممدوح حمدى : المرجع السابق، ص ٩٠ .

الأنبيق الساخن أو انخفاض الماء عن سطحها، وهذا يؤدى إلى تلـــف الزيــوت الطيـــارة واكتساب المياه العطرية رائحة وطعما غير مقبولين . وهذه هى الطريقة القديمة التى مـــا زالت تستخدم فى مصر والبلاد الشرقية حيث المياه العطرية هى الناتج الرئيســـى مـــن هـــذه الطريقة([1]).

وكان من مستلزمات التجميل استعمال دهانات خاصة لتنعيم بشرة الوجه . وكـــانت أيسر الطرق للحصول على هذه الدهانات تتلخص فى تحضير كمية من مادة دهنية يضـــاف إليها مقدار من مسحوق الملح والشب وماء عطرى لتنقيتها وتترك العجينـــة هكـــذا حتـــى تزول رائحة الدهن ثم تسخن على حمام مائى وتلقى الأزهار فى هذا المزيج وبعـــد مـــدة تفصل الأزهار عن الدهن بالتصفية فى شبكة رقيقة ثم تلقى فيه أزهار حديثة وهكذا حتـــى بالرائحة العطرية للأزهار ويصير صالحا للاستعمال ([2]).

هذا ولتكوين عنبر ممسك يحل المسك بكثيره قـــد نقعت بماء خلاف ويعمـــل منـــه تفافيح كالعنبر وماء الخلاف يذكيه ولا يستعمل فيه ماء الورد فإنه يقطعـــه (نـــوع ثـــانى أفضل من الأول) واذكارايحه يحل العود بماء الورد على حجر الصندل فإذا صـــار منـــه شياجيد يحضر فى خرقة حتى لا يبقى فيه ماء ويترك فى زبديـــة ويحـــل أيضـــا صنـــدل مقاصيرى ويعمل به كالعود اجزاين متساويين ويخلط الجميع ويحل بمـــاء ورد فـــى إنـــاء ويبسط فى الانارقيقا ويبخر دفعات بعود ودفعات بعنبر وبين كل تبخيرتين أو ثلاثة يـــرش عليه ماء ورد ويحيل ويبسط كالأول ويعاود البخور فإذا أخذ حده يجعل فيه قليل من زبـــاد وقليل من المسك وينشف فى الانا ويحيل بكثيرة منقوعة فى ماء ورد ويعمل منـــه عنـــبر بنـــادق صندل ، وكلمـــا انقطع يرش عليـــه ماء ورد ويبخر فإنـــه يزكى رائحته([3]) أمـــا فى طريقة استخراج دهن البان فهى كالآتى :

---

(١) عصمت عزيز عوض : المرجع السابق، ص ١٧ .

(٢) أحمد ممدوح حمدى : المرجع السابق، ص ٩٢ .

(٣) الوصلة إلى الحبيب فى وصف الطيبات والطيب، مخطوط بدار الكتب المصرية بالقاهرة – صناعـــة تيمور رقم ٦١ .

٦ – يأخذ حب البان يقشر ويطحن فى أرحيـــة كارحيـــة الـــبزر يعرفونـــها فـــى الشام بالحلاحل فإذا طحن يجعل فى قـــدر نحـــاس كبـــيرة تســـع عشـــرة كيـــالج بكيلـــج الشام فإن لم رحا تطحنه فتدق فى الهاون أو الجرن حتـــى يلعـــب دهنـــه ويضـــع منـــه فى القدر ما علا إلى ثلثيها ويصب عليه فى الماء مـــا يغمـــره وزيـــادة بـــأربع أصـــابع مفتوحة ويوقد تحته بالحطب الحرك الغليظ حتـــى يغلـــى ويطبـــخ نصـــف يـــوم وكلمـــا نقص الماء يزاد حتى إذا كان الظهر يقطع عنه الوقـــود ويـــترك حتـــى يـــبرد وتنطفـــى ناره ثم يلتقط ما طلع فوقه من الدهن فى آنية حتى لا يبقـــى لـــه مـــن الدهـــن شـــئ ثـــم يرمى التفل والقشور بما فيه من الماء ويجعل الدهـــن فـــى إنـــاء حتـــى يجلـــس ويرفـــع رايقه فإن أردت طبخه بالأفاوية وفيه تظـــهر الصنعـــة فقـــد ذكـــر أحمـــد بـــن يعقـــوب مولى ولد العباس أنه يجعل دهن البان المذكور فـــى قـــدر بـــرام كبـــيرة ويطبـــخ بمثلـــه من الماء الصافى حتى ينشف الماء نفعـــل بـــه ذلـــك ثـــلاث مـــرات ويطبـــخ بـــالورد ويطبخ بماء الورد والصندل الأصفر المقاصيرى مدقوقـــاً منخـــولاً حتـــى ينشـــف المـــاء يفعل به ذلك ثلاثة مرات ثم يطبخ بالمسك الجيـــد المحلـــول فـــى المـــاء الـــورد حتـــى ينشف ويصفى ويؤخذ رايقه ثم يجعل من المسك المحلـــول فـــى مـــاء الـــورد ويطبخـــه حتى ينشف فهذا دهن بان الغاليـــة (١).

وقد تعرض باعة العطـــر وصـــانعوه إلـــى المراقبـــة الشـــديدة مـــن المحتســـب، ويذكر ابن الأخوة أنه يجـــب علـــى المحتســـب أن لا يمكـــن أحـــد مـــن بيـــع أصنـــاف العطر إلا من له معرفة وخبرة وتجربة، ويكون ثـــقـــة أمينـــا فـــى دينـــه (٢).

ويذكر ابن بسام " أنـــه ينبغـــى أن يعـــرف عليـــهم عريفـــا ثقـــة، فـــإن غشـــوش العطر أشياء كثـــيرة، مختلفـــة بحســـب غشوشـــها، واختـــلاف أنواعـــها، فمـــن ذلـــك المسك، يعمل من اثنى عشر صنفا مغشوشـــة كلـــها، فمنـــه يعمـــل مـــن زراوندورامـــك ودم الأخوين، ويعجن بمثله مسك جيد، ويعمل منه أيضا عنـــبر، ومنـــه مـــا يعمـــل مـــن سنبل الطيـــب ويولـــد بـــالعود، وقرنفـــل وشـــادروان، وزعفـــران ويعجـــن بمـــاء ورد

(١) الوصلة إلى الحبيب، الورقة ٦ القسم ٢ السطور من ٥ – ٢٣ .

(٢) ابن الأخوة : المرجع السابق، ص ١٩٩ .

ويخلط بمثله مسك جيــد خـــالص . وقــد عملــت نوافــج مســـك مـــن قشـــور الأملـــج والشيطرج الهندى، ومثله شادوران، ويعجن بماء صمـــغ الصنوبـــر، ويخلـــط مـــع كـــل أربعة مثاقيل من هذه العقـــاقير مثقـــال واحـــد مســـك، ويحشـــى فـــى النافجـــة، ويســـد رأسها بماء صمغ، وتجفف على رأس تنـــور، ويبـــاع " (١).

(١) الزراوند نبات ورقة طيب الرائحة، الرامك مادة سوداء كالقار تخلط بالمسك ويسمى هـــذا المزيـــج السك، العنبر مادة صلبة شهباء اللون تشبه الشمع إذا سخنت خرجت منها رائحة طيبة .
العود خشب شجر طيب الرائحة، وهو معروف فى التجارة والطب والصيدلة وصناعة الأثاث من قديم الزمان فى الشرق والغرب .
الشادروان حجر أسود براق يتكون فى تجويفات أصول الأشجار العتيقة مثل الجـــوز، فـــإذا قطفـــت الشجرة وجد فى وسطها .
النوافج جمع نافجة، وهو الجلد الذى يجمع فيه المسك .
الأملج شجر ينمو ببعض أقاليم الهند وثمرته تشبه الكمثرى الصغيرة، وكانت تستخدم فى العقاقير .
الشيطرج، نبات هندى ينمو فى القبور والحيطان العتيقة، وله رائحة حادة جدا .
انظر : حسام الدين السامرائى محقق نهاية الرتبة لابن بسام، ص ٩٦ الحواشى من ٢ - ٩ .

صناعة الكحل

من المعروف أن الكحل شاع استعماله فى العصر الإسلامى فى التجميل والعلاج ولذلك كان يحضر حسب مواصفات خاصة . فكانت المادة سواء نباتية أو معدنية تدق ثم تعجن بالصمغ العربى أو الكتيرا (تنقع فى الماء وتصفى ثم تسحق مرة ثانية) .

وتشمل مجموعة د . هنرى أمين عوض التى أهداها إلى المتحف الإسلامى بالقاهرة ٢٠ مكحلة زجاجية بيضاوية الشكل ذات ألوان مختلفة أزرق فاتح وأزرق غامق وعسلى كستنائى وأبيض وفروزى وبنفسجى غامق وبها قطع متماسكة من الكحل لأنها عجائن ثم جفت.

وقد قام الدكتور هنرى[١] بتحليل هذه الأكحال فوجد أنها من مواد نباتية أو معدنية وتخلو من المواد الدهنية .

وبالنسبة للمواد النباتية فهى :

١ - انزروت وهو صمغ يكثر شجره فى فارس شبيه بالكندر وقد ذكره جالينوس وديسقوريدس وابن سينا وهو ذو قوة تقطع الرطوبة السائلة فى العين والكحل يسمى الكحل الفارسى .

٢ - الرازيانخ وهو نبات له حب كالكمون وقد لوحظ منذ قديم الزمان أن الهوام والأفاعى عندما تخرج من أوكارها بعد فترة من البيات فى أحجارها المظلمة تدلك عينها بالرازيانخ حتى تكتسب حدة فى البصر .

٣ - العصفر وهو زهر القرطم .

٤ - الكندر قشر اللوز .

المواد المعدنية :

١ - أثمد وهو حجر يخالطه كبريتيد الرصاص (جالينا Galena) كحل حجر والأنتيمون استعمل من عصر البدارى حتى العصر الإسلامى (ولون الحجر كحلى غامق - أسود) وهو براق فى صفائح ملساء والكحل الناتج منه يسمى الكحل الأسود - قال

---

(١) بحث مطبوع للدكتور هنرى أمين عوض فى :. Washington, 1976

ديسقوريدس أن له قوة مخففة للدموع ويقوى عصب العين وينفع المشايخ والعجائز الذين ضعفت أبصارهم من الكبر، وقال ابن البيطار أنه يمنع من الحرارة والرطوبة العارضة للعين وقال الرازى أنه يحفظ صحة العين .

المواد الحيوانية :

أحيانا يجعل فى الكحل شئ من المسك لأنه يقوى العصب .

وبالإضافة إلى الكحل المصنوع من سناج قشر اللوز يصنع الكحل من سناج اللبان العطرى المحروق . وهذان النوعان، مع الاعتقاد بفائدتهما للعين، يستعملان للزينة فقط .

أما الكحل المستعمل لخواصه الطبية الحقيقية فأهمها الكحل المصنوع من مسحوق الرصاص، المضاف إليه العنزروت وعرق الذهب وسكر النبات ومسحوق الذهب البندقى، وأحيانا مسحوق اللآلئ (1).

هذا وقد ذكرت وثائق الجينيزا الكثير من صناع الكحل (الكحالين)، حيث كان الكحل من هدايا الزواج التى كانت تتمتع بمنزلة خاصة وكان يوضع فى قنينات مصنوعة من مواد ثمينة مثل الذهب والفضة والبللور (2).

ومن الجدير بالذكر أن أهالى أسوان برعوا فى صناعة الكحل التى عرفت فى العصور الوسطى باسم " صناعة اليد " ومن الذين أجادوا تلك الصناعة، ونبغوا فيها، الطبيب هبة الله بن صدقة الأسوانى - ت ٦٤٢ هـ / ١٢٤٥ م إذ توارث أبناؤه تلك الصناعة، واشتهروا بها فى القاهرة (3).

---

(١) لين : المرجع السابق، ص ٣٨، ٣٩.

(٢) Goitien : Op . cit ., P . 259.

(٣) محمد محمد الحويرى : المرجع السابق ص ٩٢ .

صناعة الحصير

كانت صناعة الحصر وما زالت من أهم الصناعات الصغيرة بمصر، فقد وجد الحصر فى تسيان والبدارى فى عصر ما قبل الأسرات، واستمرت منذ ذلك العهد البعيد حرفة يدوية أصيلة حتى عهدنا الحاضر . ويلاحظ أن طريقة صناعة الحصر عند القدماء المصريين مصورة على أحد جدران مقبرة من الأسرة الثانية عشرة ببنى حسن .

هذا وقد قورن حصير وجد بجهة كفر عمار ويرجع تاريخه إلى الدولة الحديثة، أى حوالى سنة ثمانمائة قبل الميلاد بحصير حديث الصنع فوجدت طريقة صناعتهما متطابقة، عدا فارق بسيط فى طريقة لحمة الحصير، ففى النماذج القديمة تستخدم أنواع لينة من القش، فى حين تستخدم فى الأنواع الحديثة منها سيقان الحلفاء الصلبة(١) وزاول المصريون هذه الصنعة فيما تلى ذلك من عصور حتى تعددت مناسجه وصنعوا حصيرا ملونا فى عصر الفواطم (٢).

ومن الواضح أن هذه الصناعة انتشرت فى عصر المماليك حتى أهلت لوجود مكان لبيعها عرف بفندق الحصر كانت تباع فيه الحصر الرفيعة والحصر القطبان(٣) التى اشتهر إقليم الفيوم بصناعتها فى عصر سلاطين المماليك (٤). ويبدو أن الرهبان المسيحين كانوا يساهمون فى هذه الصناعة إذ شكا أحد المعاصرين من أن الرهبان كانوا يبيعون الحصر التى يضفرونها فى المساجد .

وبالنسبة لصناعة الحصر فى سنة ١٧٩٨ م نجد أن الأنواع الممتازة من الحصر كانت تصنع من السمر الذى ينبت على ساحل برك وادى النطرون، ويصبغ قش الحصر عادة بألوان متعددة (٥).

---

(١) سعد الخادم : الصناعات الشعبية فى مصر، ص ٥٠ .

(٢) ونستشف ذلك مما ذكره ناصر خسرو : سفر نامه ص ٥٩ .

(٣) هذا الفندق بموردة الخلفاء عمره المقر الأشرف المرحوم السيفى تنكز الحسامى .

ابن دقماق : المرجع السابق، جـ٤، ص ٤٠ .

(٤) قاسم عبده قاسم : دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى ص ١٢٤ .

(٥) سعد الخادم : الصناعات الشعبية، ص ٨٨ .

وأنواع الحصير بسيطة للغاية، فهى أنواع ترتفع ارتفاعا بسيطا عن سطح الأرض، ويستعين الصناع بخيوط الدبار لتسديتها .

ويصنع الحصر بالقاهرة والفيوم ومنوف، وأجودها وأغلاها ما يصنع من أعشاب السمار الذى ينمو فى الفيوم فى حواف بحيرة قارون، كما ينمو فى منطقة الطرانة على شواطئ بحيرات النطرون، ومقر صناعة هذا النوع هى قرية طامية بالفيوم التى تقع بالقرب من بحيرة قارون هذا وتصبغ هذه الأعشاب بالألوان المختلفة . وبعضها يصنع من الحلفا التى يتكاثر وجودها فى الأراضى البور، ويمتاز حصيرها بالخشونة ويشيع استخدامه فى الصعيد .

كما تصنع الحصر - فى كل مكان - من سعف النخيل، تلك الشجرة التى يعود كل جزء من أجزائها على الناس بالنفع ويوجد هذا النوع من الحصير فى كل المناطق الآهلة ابتداء من أسوان حتى الإسكندرية، ويحصل عليها الناس بثمن زهيد يجعلها فى متناول الفقير (١).

ويصنع الحصير بطريقتين :

الطريقة الأولى هى الطريقة البدائية التى لا يستعمل فيها نول، بل تقوم اليدان مكانه. ولذلك فهى تعتمد اعتمادا كليا على مهارة العامل وخبرته وطول مرانه . وتعرف هذه الطريقة باسم النسج المزدوج أو الضفر المزدوج . وتتم هذه العملية بأن يوضع خيط من البوص أو الحلفا أو مجموعة منها، ثم تشبك بعضها ببعض بخيطين من القش المجدول ولهذه الطريقة أشكال متعددة .

والطريقة الثانية أكثر تقدما من الطريقة الأولى، إذ يستعمل فى إنتاجها الأنوال اليدوية . ويشبه نول الحصر إلى حد كبير نول النسيج اليدوى الأفقى .

---

(١) علماء الحملة الفرنسية : وصف مصر - المجلد الرابع - الحياة الاقتصادية فى مصر فى القرن الثامن عشر - الجزء الأول - الزراعة والصناعات والحرف والتجارة ترجمة زهير الشايب، مكتبة الخانجى بمصر - ط ١، ١٩٧٨ م، ص ٢١٣ .

وتتم عملية نسج الحصير(1) بطريقتين : الطريقة القديمة وهى أن يجلس النساج على الأرض ورأس النول إلى صدره، ويأخذ فى نسج خيوط القش نسجا عاديا، فيمرر خيوط القش فوق سدايتين وتحت سدايتين، وينتج بذلك نوع من الحصر على شكل مربعات. أما إذا كان النول كبيرا مثل ذلك الذى يستخدم فى إنتاج حصر كبيرة كفرش المساجد مثلا . فإننا نجد فى هذه الحالة عاملين جالسين بجانب بعضهما البعض، ويقومان بعملية النسج فى وقت واحد، وبسرعة واحدة حتى لا يحدث أى انبعاج فى النسيج .

ويمكن لهذه الأنوال أن تنتج نوعين من الحصر . النوع الأول وهو الذى يشبه النسيج العادى إذ أن خيوط اللحمة تمر فوق سداه وتحت أخرى وتقطعها فى زوايا قائمة، وهكذا اللحمة التى تليها حتى يتم عمل الحصير . والنوع الثانى يشبه النسيج المبردى الذى يمتاز بأنه يظهر على سطح المنسوج خطوط مائلة بزوايا مختلفة الدرجات (2).

ولم تقتصر صناعة الحصر على إنتاج الحصر الكبيرة الحجم الذى تفرش بها المساجد والمنازل فحسب بل أنتجت قطعا صغيرة الحجم دقيقة الصنع استعملت كمراوح ومذاب . كما يرجح أن تكون الأنواع الممتازة منها ذات الأحجام المتوسطة المحتوية على كتابات قد استعملت كمعلقات وستور، أما القطع التى لا تحتوى على كتابة وتقتصر كتاباتها على جمل دعائية فليس من المستبعد أنها كانت تستعمل كمصليات (3).

ومن الجدير بالذكر أنه كان مما يأخذه العريف المخصص بصناع الحصر العبدانى والكركر ألا يصنعوا من السمار إلا القلزمى، ولا يصنعوا من السمار القطوى ولا الكراعى ولا شيئا من الأسمرة الماوية فإنها تتهرأ ولا تمسك شيئا، وألا يصبغوا إلا بالفوة القبرصية ولا يصبغوا بالبقم لأنه يتغير صبغه، وإذا وقع عليه شئ من الحموضة أصفر وتطبع فإن عزت الفوة وقلت، جعلت الثلثين فوه والثلث بقم .

---

(1) انظر لوحة رقم (٢٦٠) . وهى توضح صناع الحصير كما جاء فى كتاب وصف مصر .

(2) سعاد ماهر : الحصير فى الفن الإسلامى، ص ٢٧ - ٣٨ .

(3) المرجع نفسه، ص ٨١ .

وأما صباغ السمار الأسود، فيكون صبغة بماء الحديد والقلقند ويجفف مكانـــه فـــى الحوض لئلا تضعف جبلة، وتكون مياهه ظاهرة فإن الناس يتخذون منه الحصر للمســاجد يصلون عليها، ويكون جميع قيامه من غزل الكتان المعتدل الخيط، وألا يقطعــوا حصــيرا حتى يداخلوه مداخلة جيدة فإنه إذا لم يداخل سمارة يصير مثل الغربال، وهو أبيات أعلاهـا مائة وما دونه تسعون وما دونه ثمانون وما دون سبعون، و (أقله) ستون، والكركــــر لا اعتبار به »([1]).

ويمثل الحصير للفلاح أهمية خاصة فهو عندما يريد أن يؤثث منزله – منذ القــدم – يهتم بادئ ذى بدء بشراء الحصير لينام عليــها . ويجلــس ويســتقبل ضيوفــه([2]) عليــها ويستخدمها كمائدة يضع عليها أطباق الطعام عند الأكل . ولذا يعتبر الحصير أهم ما يحمـل فى جهاز العروس الريفية ([3]).

* * *

---

(١) ابن الأخوة : المرجع السابق، ص ٣٣٩، ٣٤٠ .

(٢) حسن خطاب : المرجع السابق، ص ٨٥ .

(٣) علماء الحملة الفرنسية : وصف مصر، المجلد الرابع، ١٩٧٨ م، جـ ١، ص ٢١٣ .

صناعة السلال

وجدت هذا الصناعة فى مصر قبل العصر الفرعونى وبلغ من مهارة الصانع ودقته أننا نجد نماذج باقية منها فى غاية الدقة والجمال ([1]).ومما يذكر أن صناعة السلال من الخوص فى بداية العهد المسيحى ولا سيما فى القرن الثالث الميلادى ، كان يقوم بها رهبان الأديرة المصرية، وكان من أهم منتجات تلك الأديرة المسيحية - إلى جانب صناعة السلال - إنتاج الحصر - وجدل الحبال، وصناعة الغرابيل، والشباك والنعال والأحذية إلى جانب نسيج الأنوال .

وكان إنتاج تلك الصناعات أو الحرف فى الأديرة لا يهدف إلى كسب اقتصادى بقدر ما يتخذ وسيلة للتصرف وتهذيب النفس وإنكار الذات وهناك أساطير وقصص عديدة تحوم حول مثابرة الرهبان فى أثناء إنتاجهم الحصير أو السلال أو غيرها ([2]). واستمرت هذه الصناعة فى العصر الإسلامى، فهى من الصناعات الريفية الأولى . وقد استخدم فى صناعتها سعف النخيل وأليافه وقش المحاصيل الزراعية وأفرع الحنة والجريد، فتصنع المقاطف من الخوص والسلال من أفرع الحنة . وقام الصانع بصناعة السلال الجميلة والمقاطف " المكتل " والقفف لاستخدامها فى حفظ الطعام أو الثياب أو الحبوب ونقل مواد المعيشة المختلفة، وفى نقل الأتربة كما صنعت الأبراش التى تشبه الحصير ، بجدل أو تصفير سعف النخيل ([3]).

ويبدو أن هذه الصناعة استمرت حتى عصر المماليك فقد ذكر المقريزى فى معرض حديثه عن مقتل شجرة الدر أنه عندما ألقيت جثتها فى خندق أسفل القلعة نقلت فى قفة لتدفن([4]) .

ونشاهد فى كتاب وصف مصر الذى ألفه علماء الحملة الفرنسية فى أوائل القرن التاسع عشر الميلادى، صانع السلال فى منزله أو دكانه، وقد جلس على حصير مجدولة

---

(١) حسن عبد الرحمن خطاب : المرجع السابق، ص ٨٦ .

(٢) سعد الخادم : الصناعات الشعبية فى مصر، ص ٥٩ .

(٣) حسن خطاب : المرجع السابق، ص ٨٦ .

(٤) المقريزى : الملوك، جـ ١، ص ٤٠٤ .

من سعف النخيل، ويقوم بصناعة السلال بجدل السعف " الخوص " وضفره، كما نجد بعض القطع وقد فرغ من صناعتها وعرضها للبيع(١) .

طريقة صناعة القفف :

تصنع القفف الخشبية من سعف النخيل الأخضر والقديم على حد سواء، أما القفف الناعمة فتصنع من السعف الصغير الذى يأخذ اللون الأصفر عند تجفيفه، والوريقات أى الأوراق الصغيرة الموجودة بجريد النخل هى التى تستخدم فى صنع جدائل، تخاط بعد ذلك لتصنع منها القفف . أما الخيط الغليظ المستخدم فى حياكة هذه الجدائل معاً، فيمر فى الطية التى تتركها كل وريقة على حافة الجديلة، ويصنع هذا الخيط من ألياف عنقود النخلة(٢) .

* * *

(١) حسن خطاب : المرجع السابق، ص ٨٦ .
انظر لوحة رقم (٢٦١) من هذا البحث .
(٢) وصف مصر، اللوحات ترجمة زهير الشايب، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولى، ١٩٨٦ الشكل ٢ .

صناعة الجلود

بلغ المسلمون فى صناعة الجلود عامة درجة الكمال . وقياسا على ما وصل إلينا من أمثلة عديدة من جلود الكتب التى تجمع إلى دقة الصناعة ورقى الفن وجمال النقش، نستطيع أن نقرر فى اطمئنان أنهم أتقنوا صناعة الأحذية من الجلود وتفننوا فى زخرفتها إلى أبعد حد يؤيد ذلك فردة الحذاء المهداة إلى دار الآثار العربية من المستر رالف هرارى والتى تدل زخرفتها على أنها من العصر الفاطمى .

ولقد كانت صناعة النعال رائجة عند المسلمين وكانت زخارفها متنوعة على حد ما أشارت إليه كتب التاريخ والأدب فمنها المزخرف بالذهب، ومنها المرصع بالدر والجواهر، ومنها المزركش بالقصب (1).

وقد ظهرت طبقة صناع الأحذية بشكلها المتخصص (فى مصر وسوريا) حيث سجل فى وثائق الجينيزا أن هذه الطبقة كانت مقسمة إلى عدد من الصناع المهرة وإحدى هذه الوثائق ذكرت أن هناك ثلاث أنواع لصناع الأحذية وخاصة فيما يتعلق بأنواع صناعة القالب بالإضافة إلى أنواع أخرى لصناعة الجلود (الدباغين) وصناع السروج(2) .

ومما يذكر أنه كان لدى مسلمى العصور الوسطى أسواقا لصانعى الأحذية فيها كانت تصنع الأحذية أمام راغبى شرائها وكان من جلد البقر والزراف والظباء للفرسان وكانت غالبية الشعب تلبس المركوب من الجلد وهو يصنع من جلد حمار حتى جلد زراف وظهر هذه المراكيب يتكون من طبقات متعددة من الجلد المخاطة بخيط الكتان اللزج . وكانت توضع فى بعض الأحيان - للركوب حديدة من أسفل الكعب تسمى " توحدة " (3).

---

(1) محمد عبد العزيز مرزوق : حذاؤنا فى العصر الإسلامى (مقالة فى عدد المصور الخاص بمشروع الحفاء - إبريل ١٩٤١ م .

(2). Goition : Studiees in Islamic History , p . 257

(3). Mazaheri : Op . cit ., P. 199

ومن الأسواق التى وجدت فى عصر المماليك سوق الأخفافيين الذى عاصره المقريزى ويذكر عنه أنه " يباع فيه خفاف النسوان ونعالهن وهو سوق مستجد أنشأه الأمير يونس النوروزى دوادار الملك الظاهر برقوق فى سنة بضع وثمانين وسبعمائة ونقل إليه الأخفافيين بياعى أخفاف النساء من خط الحريرين والزجاجين " وكان به " سكن بياعى أخفاف النساء ونعالهن التى يقال للنعل منها سرمزة " (1).

ومن الجدير بالذكر أنه مما يؤخذ على صناع أوطئة النساء " ألا يكثروا حشو الخرق فيما بين الشباك والبطانة ولا بين النعل والظهارة ويشدوا حشو الأعقاب ولا يشدوا نعلا قد أحرقته الدباغة " (2).

ويذكر مؤلف نهاية الرتبة فى طلب الحسبة أنه على الأساكفة أن " لا يعملوا الورق واللبد وأشباهه فى أخفاف النسوان، لكى لا تصر عند المشى، كما يفعله نساء بغداد، فإنه قبيح، وشهرة لا تليق للأحرار "(3).

هذا ولم تقتصر صناعة الجلود على صناعة الأحذية فحسب بل شملت صناعة القرب والسروج والسفر الجلدية (مفارش المائدة) .

وتعتمد صناعة الجلود على الدباغة تلك الصناعة التى يزاولها المدابغية الذين يعملون فى أحواش متسعة، وينتجون أنواعا أسفنجية من الجلود تسد حاجة الأسواق المحلية إذ يستخدمها الإسكافية والبراذعية والقربية فى عمل الأحذية والبراذع بكافة أنواعها ثم القرب وأقساط الزيت (4).

وقد حدد المحتسب للدباغين عدة تعليمات منها ألا يدبغوا الجلود بدقيق الحنطة، وألا يدبغوا بالنخال وألا يجلدوا بواطن الأسفاط إلا من الجلود التى يجلدون بها ظواهرها ويمنعوا من دباغ جلود المعز، إلا بالقرط اليمانى، ويكون دباغها بوزنها من القرط، لأنه

(1) المقريزى : الخطط، جـ ٢، ص ١٠٥ .

(2) ابن الأخوة : المرجع السابق، ص ٢٣٣ .

(3) الشيزرى : المرجع السابق، ص ٧٣ .

(4) سعد الخادم : الصناعات الشعبية فى مصر، ص ٨٦ .

قد تقدم على كل وزن مائة جلد صغير أربعون رطلاً بالمصرى، وتقدير كل مائة جلد كبير وزناً ستون رطلاً بالمصرى ، وما زاد يدبغ بوزنه على وزنه على عود الجلود ، وتنقع فى الحوض بالقرض ثلاثة أيام وتنقل إلى حوض آخر، وعليه من القرط مقدار وزنه الأول يفعل ذلك أربع دفعات متوالية ، لتنقى من شحومها وغشها ، ودباغ الدست ثلاث دفعات ، ويغش الرابع بالعفص وهو مضر بالجلود مهلك لها، وعلامة غش الدست أن جلوده تسود من الشمس، ودباغ الصيف خير من الشتاء، والعفص فيه عيب وكذلك القرط المصرى، وأما جلود البقر فيمنعوا أن يخلطوا الميتة بالمدبوغة ([1]).

ويذكر دى شابرول بكتاب وصف مصر أن الجلد الذى يستخدم فى صنع نعال الأحذية هو عادة من جلد الجاموس ويصل هذا الجلد عادة إلى المدبغة وهو مملح ويوضع فى أحواض مليئة بماء الجير ويمكث هناك لمدة حوالى عشرة أيام وبعد ذلك ينزع شعره ويوضع من جديد لمدة يومين أو ثلاثة أيام، ويجرده العامل بسكين ذات مقبضين ويغسلها بالماء عدة مرات وبعد ذلك يضعها فى أحواض حجرية مع نوع من الحب المصحون، ويبدو أن هذه الحبوب هى والجير المجففان الوحيدان اللذان يستخدمان، وتبقى الجلود لمدة ١٥ يوماً فى الحوض الأخير ثم تسحب لتغسل بعناية ثم يرش ببذر الكتان وبعد أن يمر الجلد بهذه العملية . وبعد أن يجفف يباع لصناع الأحذية ([2]).

*   *   *

---

(١) ابن الأخوة : المرجع السابق، ص ٣٣٥ .

(٢) ج . دى شابرول : المرجع السابق، ص ٢٨٠، ٢٨١ .

صناعة السجاد

يبدو أن مصر القديمة لم تعرف السجاد المعقود وإذا كان القبط قد أظهروا براعتهم في فن نسيج القباطي إلا أنهم لم يصنعوا سجادا حقيقيا معقودا (١).

وقد كشفت لنا حفائر الفسطاط عن أجزاء من سجاجيد جميلة ذات كتابة كوفية – منها جزء من سجادة محفوظ بمتحف الفن الإسلامي برقم سجل ١٤٦٨٠ مقاس ٣٢ x ١٩سم ، صنعت من سداة من خيوط الكتان غير المصبوغ واللحمة من خيوط الكتان المصبوغ . والعقدة من نوع جورديز وصفوف العقد مرتبة بحيث يلي كل صف منها أربعة صفوف من خيوط اللحمة ويتفاوت عدد العقد فيما بين ١٨ – ٢٠ في السنتيمتر المربع، الخميلة من الصوف من هذه القطعة من نوع السجاد الوبرى المعقود ومثل هذا النوع من السجاجيد لا يمكن إنتاجه دون شد خيوطه على النول لأنه الوسيلة الرئيسية لشد خيوط السداة لعقد خيوط الخميلة عليها في صفوف متبادلة مع الضغط على خيوط اللحمة أثناء النسج للحصول في النهاية على أجمل السطوح الوبرية وقد ظهر من فحص هذه القطعة أنها لا تختلف في نسجها عن السجاجيد التي تنسب إلى جورديز بآسيا الصغرى في القرن ١٠هـ/١٦م وما بعده .

وتحمل هذه القطعة كتابة كوفية نصها " لرحمن ... بن سديج " ، وهذه السجادة ذات خيوط مغزولة في اللحمة والسداة وخميلة معقودة على خيوط السداة ولذلك كله تعتبر نقطة الارتكاز في صناعة السجاجيد في مصر الإسلامية في العصر الأموى (٢) . وقد أمدتنا حفائر الفسطاط أيضا بقطع من السجاد التي تؤرخ بما عليها من زخارف وكتابات إلى العصر العباسي ومنها قطعة رقم ١٤٩٣٩ بمتحف الفن الإسلامي - مقاس ٤٦x ٣٨ - عليها كتابة أقرب تفسير لقراءتها هو : " مد ولأنبتت معشباو "(٣) .

---

(١) Gaston Migeon : Manual d, Art Musulman , VOL .II , Paris 1927 , P . 350 .

(٢) د . عبد الرحمن فهمى : أقدم السجاجيد الإسلامية في مصر، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة، عدد ٢٠، سنة ١٩٦٠، ص ١٠٥ – ١٠٧ .

(٣) المرجع نفسه : ص ١١٠ ، ١١١ .

هذا وقد كانت صناعة السجاد مزدهرة فى مصر فى العصر الفاطمى، وكان من أهم مراكزها مدينة أسيوط ([1]).

ويذكر بريس دافين أن السجاد فى القرنين الـ ١٠، ١١ م (فى عصر الخلفاء الفاطميين) زين بأشكال آدمية وحيوانية تلك الزخارف التى لا نجدها اليوم إلا فى إيران([2]).

وأنتجت القاهرة فى عصر المماليك سجادا تميز بزخارفه الهندسية التى تشبه الرسوم الهندسية التى نراها على كثير من التحف التى ترجع إلى هذا العصر كجلود الكتب ورسوم الفسيفساء الرخامية ونقوش التحف المعدنية ويعتقد أن هذه السجاجيد الهندسية المصرية صنعت أواخر ق ١٥ م أوائل ق ١٦ م .

وقد شاهد الرحالة البندقى بربارو سجاد القاهرة وأيضا جون مايلز الذى تكلم عن سبعة لوحات ظهرت عليها سجاجيد مملوكية وهذه اللوحات رسمت فيما بين سنة ١٥٠٦، ١٦٠١ م وأقدم هذه اللوحات يرجع إلى ١٥٠٧ م ([3]).

ومن الجدير بالذكر أن المماليك قد وضعوا منذ أوائل القرن ٩هـ/١٥م اتفاقيات تجارية مع حكام الأناضول الشرقى وأيضا مع جنوه والبندقية لتجارة النسيج وليس بمستبعد أن أدخل فى هذا الاتفاق تجارة السجاد .

ومما يذكر أن عصر الازدهار بالنسبة للبلاط المملوكى بمصر فى النصف الثانى من القرن ٩هـ/١٥م اتفاقيات تجارية مع حكام الأناضول الشرقى وأيضا مع جنوة والبندقية لتجارة النسيج وليس بمستبعد أن دخل فى هذا الاتفاق تجارة السجاد .

ومما يذكر أن عصر الازدهار بالنسبة للبلاط المملوكى بمصر فى النصف الثانى من القرن ٩هـ/١٥م تحت حكم السلطان قايتباى فقد كان محبا للفنون ولكن هذا الازدهار

---

(١) د . أبو صالح الألفى : الفن الإسلامى، ص ٢٩٨ .

(٢) Prisse D, avennes, op. Cit,p.229.

(٣) د . أبو صالح الألفى : المرجع السابق ص ٢٩٨، د . عبد الرحمن فهمى : السجاد، كتاب القاهرة، ص ٥٨٤ .

والنهضة لم تظل وفى سنة ١٥١٧م استولى الأتراك العثمانيين على مصر وظل السجاد يصنع فى مصانع القاهرة بنفس الخامات وبنفس الطريقة ونفس الألوان ولكن بعناصر عثمانية بيضاوية ونعتقد اليوم أن النمط الجديد للسجاد الهندسى تطور أثناء حكم قايتباى واستمر حتى منتصف القرن ١٠هـ/١٦م . ويوجد ما يقرب من مائة سجادة مملوكية كلها فى متاحف غريبة بعض منها فى حالة جيدة، وفى متحف النسيج بواشنطن ١٦ من هذه السجاجيد بعض منها مهلهل (١).ومن بين أسواق المسلمين فى العصور الوسطى يذكر مظاهرى سوق السجاد الذى كانت تفرد فيه السجاد وتلم كل يوم لإبراز متانة هذه السجاجيد(٢) . وتعتمد صناعة السجاد على بعض المواد الأولية أهمها الصوف فإن ٥٠% من السدى واللحمة فى صناعة السجاجيد الشرقية هى الصوف، ٩٠% من الوبرة صوف بحت والبقية إما من الحرير، وإما من القطن، وأكثر الأصواف استعمالا صوف الغنم، يليه صوف الجمال، ثم صوف الماعز، ويجود الصوف بجميع أنواعه فى البلاد الجبلية الباردة.

وتجز الحيوانات عادة فى الربيع، وبعد جز الصوف يعالج معالجة خاصة فيغسل بالماء الدافئ أو البارد، ويضرب بين حجرتين حتى تزول منه أكثر المواد الدهنية، وبعد الغسيل يجفف الصوف فى الشمس، والهواء ويمشط ثم يفرز بحسب اللون والصنف كل على حدة، ثم يندف بالقوس على الطريقة التى يتبعها المنجد فى ندف القطن ثم يغزل إما بالمغزل العادى وإما على عجلة خشبية بسيطة، وقد لا يكتفى بالفتيلة الواحدة المغزولة، بل تصنع مزدوجة، والأخيرة إذا أريد استعمالها فى صنع وبرة السجاد، فإنها تزوج ثم تثلث وقد تربع أحيانا (٣).

---

(١) Le tapis d'orient dans les collections Francaises est un supplement special publie par Hali , 1982 , p . 30 .

(٢) Mazaheri : Op . cit., p . 199 .

(٣) أحمد سعيد الدمرداش : فن السجاد، مجلة منبر الإسلام، العدد ١١، السنة ٢٢، ذو القعدة ١٣٨٤ هـ / مارس ١٩٦٥ م، ص ١٩٤ .

وبالنسبة للتلوين فمن الملاحظ أن الصوف كان في أول الأمر يستعمل بلونه الطبيعي، ثم بدأت الصباغة تلعب دورها، فاتخذت الألوان من النباتات : من الجذور والأوراق والثمار، كما اتخذت أيضا من الحشرات، فاللون الأحمر - على سبيل المثال - كان يتخذ من حشرة القرمز، وهي دودة صغيرة تعيش على شجر البلوط في البلاد المطلة على البحر المتوسط، وتجمع هذه الحشرة وتجفف، وتعتبر صبغتها أفضل من صبغة الفوة لا سيما في تلوين الصوف والحرير . أما نبات الفوة، وهو يستعمل أيضا في الحصول على اللون الأحمر، فيزرع بكثرة في الأناضول وأواسط آسيا وتقطع جذوره ثم تخفف . واللون الأصفر كان يتخذ من جذور شجر الكركم ومن زهرة نبات الزعفران، واللون البني كان يتخذ من الحناء (يميل إلى الإحمرار) أو من نبات البوص (يميل إلى السواد)، واللون الأزرق كان يتخذ من نبات النيلة .

وقد نجح الأقدمون في توسيع دائرة الألوان الطبيعية عندما اهتدوا إلى إحداث ألوان جديدة توصلوا إليها بتغطيس الصوف في لون معين ثم إعادة تغطيسه في لون آخر غير اللون الأول فيأخذ لونا جديدا ، وفي الزخرفة نلاحظ أنها هي الأخرى قد مرت بخطوات مختلفة حتى وصلت إلى تلك الصورة الرائعة التي نشاهدها في الطنافس الشرقية عادة ([1]) .

ويتم نسج السجاد على نول خشبي([2]) عمودي مكون من عضادتين قائمتين ورأسه وقاعدته اسطوانيتان على العضادتين، مثبتتان وتشد عليهما الخيوط وتسمى السدى، وهي عادة أقوى وأمتن خيوط السجاد وتلف هذه الخيوط على الاسطوانة السفلى، وتلف عليها الأجزاء التي ينتهي العمل فيها من السجاد حتى يبقى الجزء القائم به العمل دائما على مستوى واحد والسجاد الكبير يشتغل به جملة عمال جالسين الواحد إلى جانب الآخر .

---

(١) د . محمد عبد العزيز مرزوق : دراسات أثرية وتاريخية - مستخرج من مطبوعات جمعية الآثار بالإسكندرية - عدد رقم ٥، ١٩٧٤ م، ص ٤٠ .

(٢) وعن شكل النول انظر ص ٥٩، ٦٧، ٦٨، من كتاب : دورثي درج : عمل السجاد، ترجمة محمود النبوي الشال، دار نهضة مصر .

وعند أسفل الاسطوانة العليا، وعلى مسافة قريبة منها، توضع اسطوانة أو اثنتان من الخشب أصغر منها حجماً، فتقسم الخيوط قسمين أى خلفية، خيطاً بعد الآخر، واحداً من أمامها، والآخر من خلفها، ثم تثبت الخيوط الأمامية مع بعضها على مسطرة من الخشب مستعرضة على الخيوط الخلفية وحدها فى الغالب(1) .

ويوجد أسلوب صناعى آخر استخدم فى نسخ الطنافس القصيرة الأجل نعنى به أسلوب التطريز حيث تحال خيوط اللحمة المتعددة الألوان مع خيوط السدى فقط فى المكان الذى يحتاج فيه التصميم إلى لون معين .

وهكذا يتم بناء الشكل جزءاً جزءاً كلوحة الفسيفساء أو الخريطة المتعددة الألوان، وكلا الأسلوبين الصناعيين يتطلب من النساج إذا توافرت لديه المهارات الأساسية لليد والعين، أن يحقق جميع أنواع التصاميم سواءً كانت هندسية خالصة أو طبيعية بحتة .

ويمكن لشخص واحد أن يقوم بنسج الطنافس الضيقة فى حين تحتاج الطنافس العريضة إلى عدة نساجين يعملون جنباً إلى جنب، ويعتبر نساجوا ومصمموا الطنافس الإسلامية ورثة تقاليد العصور القديمة لإنتاج الطنافس فى آسيا، إذ أن نسج الطنافس وأساليب تطريزها كانا يمارسان هناك منذ مئات من السنين وربما منذ آلاف من السنين قبل بزوغ الإسلام .

ومن تقاليد ما قبل الإسلام التى ما زالت مزدهرة فكرة اشتمال الطنفسة على موضوعات تمثل مناظر طبيعية إما على شكل حديقة مملوءة بالزهور أو على شكل غابة صيد بها طيور ووحوش حقيقية أو أسطورية ومثل هذه التصميمات لا تشير فقط إلى مباهج الحياة ولكن أيضاً إلى الأمل فى الجنة بعد الموت (2).

* * *

---

(1) أحمد سعيد الدمرداش : المرجع السابق، ص ١٩٦ .

(2) دونالد كنج : الطنافس والمنسوجات (مقالة فى كتاب كنوز الفن الإسلامى) جنيف ١٩٨٥ م ص٣١٨، ٣١٩ .

صناعة النسيج

تعتبر صناعة النسيج من أقدم الصناعات التـــى عرفـــها الإنســـان، فقـــد اشـــتهر المصريون القدماء بدقتهم فى صناعة المنسوجات وخاصة الكتانية التى بلغت مـــن الدقـــة ذروتها .

وقد ذاعت شهرة مصر فى المنسوجات قبل ظهور الإسلام ولقد وصلت هذه الشهرة إلى بلاد العرب فى الجاهلية، ولذلك نجد العرب عندما فتحوا هذه البلاد كانوا يعملون علـــى الاستفادة منها فى هذه الناحية .

ولقد كان من تقاليد العرب وميولهم ما ساعد على تقدم صناعة النسيج علـــى أيدهـــم فى العصور الوسطى، فنجد كسوة الكعبة، ومنح الخلع، وميلهم إلى اقتنـــــاء الفـــاخر مـــن الثياب تلك العوامل التى كان من شأنها أن تمهد السبيل للوصول إلى درجة الكمال فى هـــذه الصناعة (١).

واشتهرت مصر فى العصور الأولى الإسلامية بمصانع نسيج الطراز وهـــى التـــى كانت تصنع لبس التشريف للخليفة، وكلمة طراز تطلق أيضاً بشئ من على رباط الســـاعد مزين بالخيوط المذهبة وبكتابات كما نراه فى المخطوطات العربية، وكان الأمراء يجعلونـــه مع أثواب التشريفة (٢).

وفى العصر العباسى أنتجت مصر بعض أنواع من الأقمشة منها القلمونـــــى وهـــو نوع من القماش ذو ألوان براقة تتلألأ إذا انكسرت عليها أشـــعة الشـــمس . وقـــد نقلـــت صناعته من بلاد اليونان إلى مصر حيث أصبح فى دمياط وتنيس خاصة (٣).

---

(١) ثريا سيد أحمد نصر : تاريخ النسيج وأنواعه فى العصر الإسلامى، مجلة منبر الإسلام، العـــدد ١٢، السنة ٣٢، ذو الحجة ١٣٩٤ هـــ ص ٢٢٢ .

(٢) Papadopoulo , A . : L'Islam et l'Art Musulman, Paris 1979 p . 194 .

(٣) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى جـــ ٣، ط ٣، ص ٣٢٣، ٣٢٤ .

ونقل لنا ناصر خسرو ما رآه فى بعض المدن المصرية كتنيس ودمياط من إنتاج أنواع الأقمشة التى بهرت العالم فى ذلك الوقت ذاكرا الآتى : " وينسج بتنيس القصب الملون من عمامات ووقايات ومما يلبس النساء، ولا ينسج مثل هذا القصب فى جهة ما غير تنيس والأبيض منه ينسج فى دمياط " .

" وينسجون فى مدينة تنيس هذه البوقلمون، الذى لا ينسج فى مكان آخر من جميع العالم . وهو قماش يتغير لونه بتغير ساعات النهار وتحمل أثوابه من تنيس إلى المشرق والمغرب"(1).

وكان بمدينة تنيس خمسة آلاف منسج يضعون بها الشرب التى لا يصنع مثلها فى الدنيا وكانوا ينسجون بها أثوابا تسمى البدنة تنسج بالذهب صناعة محكمة يباع الثوب فيها بمائة دينار وكانت تحمل منها إلى بغداد، وكان يحمل بها طرز من الكتان بغير ذهب يباع كل طراز منها بمائة دينار وهو بغير ذهب (2).

وازدهرت صناعة الأقمشة والمنسوجات والحرف المتصلة بالملابس ازدهارا كبيرا فى عصر المماليك . ويتضح من مدى تنوع الحرف المتصلة بالملابس مدى حرص الناس على أناقتهم بشكل عام (3).

كما اشتهرت مصر فى ذلك العصر بصناعة الفرش والستور، وكانت تصنع من الدبيقى وتزخرف برسوم الحيوانات المختلفة . وقد مهر أهل دمياط فى عمل الفرش القلمونية المطرزة، كما أن الفرش القرمزية التى كانت تصنع بأسيوط تشبه الأرمينية من حيث جودة صوفها ودقة صنعها، وهناك إلى جانب ذلك مراكز أخرى لصناعة الستور كالبهنسا التى يعمل بها الستور البهنسية (4).

---

(1) ناصر خسرو : المرجع السابق، ص ٣٨ .

(2) المرجع نفسه، ص ٣٨، حاشية ٢ .

(3) قاسم عبده قاسم : دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى، ص ١٢٤ .

(4) سعيد عاشور: العصر المماليكى، ص ٢٩١.

جمال سرور : المرجع السابق، ص ٢٩٨، ٢٩٩ .

وقد دخلت صناعة الأقمشة والمنسوجات والحرف المتصلة بالملابس بشكل كبير في جهاز العروس المملوكية فمن الأقمشة تصنع العروس ثيابها ومفارش السرير والدكك والأرائك وأكياس اللحف والمراتب والحشايا والمخاد والمساور والمساند والستائر والناموسيات .

وقد تنوعت فى قاهرة المماليك طرق الإنتاج فى الأقمشة فمنها ما هو منسوج من القطن أو الحرير أو الصوف ومنها ما هو مطرز بخيوط حريرية تشكل العناصر الزخرفية فوق ثوب القماش مباشرة أو فوقه بعد تنجيده بطبقة من القطن أو الصوف المندوف توضع بين طبقتين من القماش قبل تطريزه ومنها ما هو مطبق بأن تثبت قطعة من القماش ذات زخرفة معينة على قطعة أخرى مغايرة لها فى اللون أو الخامة وهى طريقة لا زالت تعيش فى حى الخيامية بالقاهرة حتى اليوم، وتستعمل فى إنتاج الخيام وستائر المنابر فى المساجد. ومنها ما هو مطبوع بقوالب خشبية تنقش فيها الزخارف بالحفر الغائر وتغمس القوالب فى الأصباغ قبل الختم بها على الثوب المنسوج فى أماكن متعددة فى نظام زخرفى بديع(١).

وقد قل الإقبال على نسيج الكتان فى قاهرة المماليك بينما ازدادت العناية بنسج الحرير وتطريزه وطبعه (٢).

والحق أن نسج الحرير فى عصر المماليك تأثر إلى حد كبير بمنتجات الشرق الأقصى التى أدخلها المغول فى العصر الإسلامى إلى الشرق العربى خلال سفاراتهم وهداياهم لسلاطين المماليك . ونجد بعض منسوجات القاهرة المملوكية محفوظة فى كنائس أوروبا وهى تذكرنا بما أوردته المراجع التاريخية عن البعثات التى تبادلتها القاهرة مع المغول بالصين ومغول القفجاق حول البحر الأسود بروسيا الحالية لتحمل إليهم المنسوجات النفيسة، وتذكرنا هذه القطع المحفوظة بأوروبا كذلك بما أسفرت عنه هذه البعثات من رباط المصاهرة من سلاطين مصر وسلاطين البيت المغولى ومن أشهر

---

(١) عبد الرحمن فهمى : النسيج، بحث بكتاب القاهرة، ص ٣٩٤ .

(٢) زكى محمد حسن : فنون الإسلام، ص ٣٦٥ .

عرائس المغول بالقاهرة طولبية زوجة الناصر محمد بن قلاوون التى عاشت فى قاهرة المماليك راعية لفنونها وعمارتها ([1]).

ويبدو التأثر بالعنصر الأجنبى أكثر وضوحا فى صناعة الأقمشة الحريرية التى تعرف باسم " الكمخة " وكانت تصنع بمصر نفسها وتصدر إلى أوروبا، ففى هذه الأقمشة تدل تموجات العرانيس ومراوح اللوتس والجدائل وغيرها دائما ومكررا على أصلها الصينى ([2]).

وزخرفت المنسوجات الحريرية أيضا بالوحدة الزخرفية المعروفة باسم شجرة الحياة، وقد ظهرت فى مصر من قبل عصر المماليك وتتألف هذه الزخرفة من شجرة محورة يحف بها حيوانان أو طائران متماثلان إما فى تقابل أو تدابر .

وعلى عكس أسلوب رسم الشجرة المحورة يتسم رسم الطيور والحيوانات بالقرب من الطبيعة، وبالتعبير عن الحركة، وإن لم يخل من تنسيق زخرفى ([3]).

وقد ظهر فى عصر المماليك أسلوب مبتكر فى تطريز([4]) زخارف المنسوجات الحريرية، وذلك عن طريق عمل غرز جميلة متتابعة متدرجة ولقد انتقل هذا الابتكار إلى أوروبا وعرف باسم غرزة هولباين، وهى ترسم المحيط بصورة أدق وإلى هذا الأسلوب يرجع الفضل فى طائفة من التطريزات الفائقة الروعة فى عصر المماليك ([5]).

---

(١) عبد الرحمن فهمى : النسيج، ص ٣٩٥ .

(٢) كونل : الفن الإسلامى ، ص ١٢٥ .

(٣) حسن الباشا : فنون التصوير الإسلامى فى مصر، ص ١٣٣ .

(٤) التطريز فن ملحق بصناعة النسيج، وهو معرف منذ أقدم العصور فقد عثر على قطع من الأقمشة المطرزة، يرجع قدمها إلى الدولة الوسطى الفرعونية كما وجدت قطع مزخرفة بالتطريزمنذ الدولة الفرعونية الحديثة .

حمدى محمد الغرباوى : التطريز فى النسيج والزخرفة، مكتبة الأنجلو ١٩٦٥ م، الطبعة الأولى ص٢٧ .

(٥) كونل : الفن الإسلامى، ص ١٢٦ .

وقد عرف صناع الحرير باسم " الحريريين " وكان أولائك هم الذين يقومون بتصنيع الحرير وصبغه، كما كان بعضهم يبيع الحرير غزلا لمن يطرز به، والبعض الآخر ينسجونه ويبيعونه أثوابا، على حين كان البعض يعمل منه الحاشية التى تستخدم فى صناعة الملابس، والبعض الآخر يمزج مع الغزل ثوب الطرح لإكسابها رقة الملمس ونعومة وليونة تتفق مع استخدامها كغطاء للرأس والكتفين ([1]).

ومن بين الأسواق التى وجدت فى عصر المماليك كان سوق الحراريين الشراربيين([2]).

وكان من الحريريين من يغش سلعته فمنهم من يثقل الحرير بالنشا المدبر ومنهم من يثقله بالسمن أو الزيت ([3]).

وسواء كانت الأقمشة التى صنعت فى مصر فى عصر المماليك من الحرير أو القطن أو الصوف أو الكتان، فإنها امتازت جميعا بدقة الصناعة وثبات الألوان وجودة الخامة ومتانة النسيج ([4]).

ويبدو أن عمليات تصنيع القماش فى مراحله المختلفة قد عرفت باسم " القزازة " كما عرف أصحاب هذه الحرفة باسم " القزازين " فى مصطلح ذلك العصر . ويستفاد من بعض المصادر أن الصناع فى هذه الحرفة كانوا ينقسمون إلى قسمين، قسم يعمل بالأجرة لدى غيره من أصحاب المصانع الصغيرة، والقسم الآخر يعمل لحسابه .

وكان القسم الأخير ينقسم بدوره إلى فئتين : فئة تأخذ الغزل من الناس لكى تنسجه لهم لقاء أجر معلوم، وهذه العملية التى عرفت آنذاك باسم " القبالة "، وفئة تشترى الغزل وتنسجه وتبيعه أثوابا جاهزة .

---

(١) قاسم عبده قاسم : دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى ص ٢٥ .

(٢) المقريزى : الخطط، جـ ٢، ص ١٠٢ .

سعد الخادم : الصناعات الشعبية، ص ٧٥ .

(٣) الشيزرى : المرجع السابق، ص ٧١ .

(٤) سعيد عاشور : العصر المماليكى، ص ٢٩١ .

وقد أطلقت بعض كتب الحسبة اسم " الحائك " على من يقوم بهذا العمل ([1]). ومـــا جاء بنهاية الرتبة فى طلب الحسبة للشيزرى([2]) ومعالم القربة فى أحكـــام الحســبة لابــن الأخوة([3]) يؤيد ذلك .

وعرف الدكتور حسن الباشا النساج بالحائك أو المشتغل بصناعة النســيج . ووردت هذه الصيغة فى عقد زواج على بردية من مصر مؤرخة فى العشر الأواخر من جمـــادى الثانية سنة ٢٧٩ هـ باسم " يعقوب بن اسحق النساج الساكن مدينة أشمون " ([4]).

كما عرف ابن خلدون صناعة النسيج بالحياكة قائلاً أنها " لنسج الغزل من الصــوف والكتان والقطن اسداء فى الطول والحاما فى العرض لذلك النسج بالالتحــام الشــديد فيتــم منها قطع مقدرة فمنها الأكسية من الصوف للاشتمال ومنها الثياب مـــن القطــن والكتــان للباس"([5]).

وكانت المرحلة التى تلى عملية نسج القماش تعرف باسم " القصــــارة " فقــد كــان النسيج يتم بواسطة أنوال يدوية مما كان يستدعى القيام بعمليات تكميلية حتى تتداخل لحمــة النسيج وسداه تداخلاً كاملاً . فكان القماش بعد نسجه يرش بالماء، ثم ينشر حتـــى يجــف، ويعاد رشه ونشره عدة مرات حتى يبيض . ومن الظريف أن بعض " القصارين " فى ذلـك الزمان يتصرف فى قماش الناس بشكل يدل على افتقاره للأمانة ([6]).

وتتصل بصناعة الملابس أيضاً حرفة الصباغة، فقد كان الناس يرســلون أقمشــتهم إلى الصباغ لكى يقوم بصباغتها ويبدو أن العرف قد جرى علـــى إلــزام الصبــاغ بدفــع التعويض المناسب إذا أفسد لأحد الناس قماشه وقد أتهم ابن الأخوة، الذى عاش فى القـــرن

(١) قاسم عبده قاسم : دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى، ص ١٢٥ .
(٢) ص ٦٥ .
(٣) ص٢١٨ .
(٤) حسن الباشا : الفنون والوظائف، جـ ٣، ص ١٢٧٨ .
(٥) المقدمة، جـ ٣، ص ٩٣٩ .
(٦) قاسم عبده قاسم : تاريخ مصر الاجتماعى، ص ١٢٥ .

٨ هـ / ١٤م، غالبية الصباغين فى زمنه بأنهم يرهنون أقمشة النـاس، ويعيرونـها لمـن يلبسها ويتزين بها، وهذه خيانة وعدوان(١) .

وقد أكثر صباغى الحرير الأحمر - وغيره من الغزل والثيـاب - يصبغـون فـى حوانيتهم بالحناء (٢) عوضاً عن الفوة (٣)، فيخرج الصبغ(٤)حسناً مشرقاً، فـإذا أصابتـه الشمس تغير لونه، وزال إشراقه (٥).

وكان على الصباغ ألا يصبغ بمحرم . ولقد كثر منهم الصبغ بالدماء وذلك محرم(٦).

ومن الأصباغ المستخلصة من الطبيعة والمستخرجة من البيئة المصرية هى :

١ - صبغة الأرخيل وهى صبغة أرجوانية تستخرج من بعض الطحالب البحريـة التـى توجد على الصخور فى البحر الأبيض المتوسط .

٢ - القانت : وهى صبغة حمراء تستخلص من جذور نبات حناء الفول .

٣ - فوة الصباغين وهى صبغة حمراء تستخلص من نبات Rubia tinctorium

٤ - القرمز وهو صبغ أحمر يستخلص من إناث الحشرات القرمزيـة المجففـةRubia Peregrina

٥ - النيلة البرية وهى صبغة زرقاء تستخلص بالتخمير من أوراق شجر النيلة البرية .

ومن المعروف كذلك أن الكركم وقشر الرومان والحناء كلـها مـن المـواد التـى استعملت فى الصباغة وهى تزرع بمصر منذ أزمان بعيدة (٧).

---

(١) المرجع نفسه نفس الصفحة .

(٢) المستخلص من أوراق الحناء بالمـاء المغلى يستعمل أحيانا لصبـغ الأقمشـة . الفريـد لوكـاس : المرجـع السابق ، ص ٤٩٨ .

(٣) الفوة : عروض يصبغ بها .

الشيزرى : القاموس جـ ٣ ص ٣٦٨ .

(٤) الصبغ والصبغة ما يصبغ به والجمع أصباغ .

الجوهرى : المرجع السابق، جـ ٢، ص ٥ .

(٥) الشيزرى : المرجع السابق، ص ٧٢ .

(٦) السبكى : معيد النعم ومبيد النقم، ط ١، ١٩٤٨ م، ص ١٣٦ .

(٧) عبد الرحمن عمار : تاريخ فن النسيج المصرى، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٩٧٤م، ص١١٧.

هذا وقد كانت هناك مجموعة من حوانيت " الرفائين " و" الحباكين " و " الرسامين " و " الفرائين " ([1]) والخياطين فى سويقة أمير الجيوش التى كانت من أكبر أسواق القاهرة آنذاك، كما كان هناك مكان مخصص فى الفسطاط لسكن رفائى الثياب عرف باسم " خوخة الرفايين " ويبدو أن الحباكين، كانوا مثل الرفائين متخصصين فى مداوة عيوب الثياب .

أما الرسامون فكانوا يرسمون الأشكال الزخرفية التى تطرز بها الملابس، وقد ذكر المقريزى أنه كانت توجد بخط البندقانيين عدة حوانيت لرسم أشكال ما يطرز([2]) من الذهب والحرير على الملابس ([1]).

---

(١) كان للفرائين سوقا فى عصر المماليك يعرف بسوق الفرائين كان يسلك فيه من سوق الشرابشين إلى الأكفائيين والجامع الأزهر وغير ذلك كان قديما يعرف بسوق الخروقيين ثم سكن فيه صناع الفراء وتجاره فعرف بهم وصار بهذا السوق فى أيام الملك الظاهر برقوق من أنواع الفراء ما يحل أثمانها وتتضاعف قيمتها لكثرة استعمال رجال الدولة من الأمراء والمماليك لبس السمور والوشق والقماقم والسنجاب بعد ما كان ذلك فى الدولة التركية من أعز الأشياء التى لا يستطيع أحد أن يلبسها ولقد أخبرنى الطواشى الفقيه الكاتب الحاسب الصوفى زين الدين مقبل الرومى الجنس المعروف بالشامى عتيق السلطان الملك الناصر الحسن بن حجر بن قلاوون أنه وجد فى تركة بعض أمراء السلطان حسن قباء بفرو قاتم فاستكثر ذلك عليه وتعجب منه وصار يحكى ذلك معدة لعزه هذا الصنف واحترامه لكونه من ملابس السلطان وملابس نسائه ثم تبذلت الأصناف المذكورة حتى صار يلبس السمور أحاد الأجناد وكثير من العوام ولا تكاد امرأة من نساء بياض الناس تخلو من لبس السمور ونحوه وإلى الأن عند الناس من هذا الصنف وغيره من الفرو شئ كثير.
المقريزى : الخطط، ج ٢، ص ١٠٣ .

(٢) ظهر التطريز فوق النسيج بالأسلاك المعدنية منذ العصر القبطى، وربما يرجع إلى أقدم العصور، حيث استخدمت القطع المعدنية كالحليات والخرز والترتر منذ فجر التاريخ، أى منذ " العصر الفرعونى " ثم برز التطريز بالمعادن فى العصر الإسلامى، ذلك العصر الذى يعتبر أزهى العصور وأكثرها عناية بفن التطريز فمثلا ظهر التطريز بالمعادن فى العصر الفاطمى والمملوكى وكذا استمر استخدام الخيوط اللامعة والأحجار الكريمة فى التطريز حتى العصر العثمانى من مصر حيث أكثروا من استعمالها إلى درجة أصبحت المنسوجات الغالية تطرز بهذا النوع من التطريز فقط، ولم يقتصر تطريز المنسوجات الغالية على تلك الخيوط فى ذلك العصر، بل استخدم أيضا التطريز باللؤلؤ =

ويبدو أن التطريز بالذهب والأحجار الكريمة كان من أهم الحرف المتصلة بملابس العروس المملوكية، فكانت ملابسها وعصائبها تطرز بقطع من الذهب أو اللؤلؤ، وأيضاً مفروشاتها مثل البشخاناه ودايرالبيت وقد تغالوا فى ذلك عن الحد فمثلاً كان " زنة البشخاناه الخاصة بابنة السلطان الناصر محمد عروس الأمير قوصون مائة ألف مثقال ذهب ([2]). ودايرالبيت الخاص بابنة الأمير أحمد بن بكتمر الساقى كان زنة زركشة ستون ألف مثقال من الذهب ([3]).

كما يبدو أن هذه المفروشات والملابس الخاصة ببنات السلاطين والأمراء كانت تنسج بخيوط من الذهب .

ومن المعروف أن خيوط الذهب كانت تستخدم فى كتابة أسماء الملوك والسلاطين وعلاماتهم فى نسج أثوابهم الحاما وأسداء أو ما يخالف لون الثوب من الخيوط الملونة من غير الذهب وككان ذلك يعرف بالطراز .

وكانت المناسج التى تنسج فيها هذه الأقمشة تعرف بدور الطراز ([4]). تلك الدور التى كان يعمل بها مجموعة من العرفاء يرأس كل عريف منهم مجموعة من الرقامين . وكان كل عريف يقوم بنفسه بعمل رسم الزخارف والمناظر المراد رقمها بخيوط الذهب على الأقمشة، ويعلق هذا الرسم أمام الرقام ويطلب منه تنفيذه . وكانت خيوط القصب الذهب المغزول تسلم من إدارة دار الطراز من الناظر أو المشارف إلى العرفاء الذين يقومون بدورهم بتوزيعه على الرقامين بعد تحديد ما هو مطلوب من ذهب لكل رسم قرين كل رقام . ويبدو أنه كان لكل نوع من الأقمشة طريقة فى رقمها بخيوط الذهب([5]) .

= والأحجار الكريمة واستخدام الترتر والخرز، كما شاع أيضاً التطريز بغرزة السلسلة وغرز الحشو البارز المسطح وكذا التطريز بالأوية فى تزيين عصائب وتيجان الرأس .

حمدة محمد الغرباوى : التطريز فى النسيج، مطبعة مصر، ١٩٥٠، ص ٣٧، ٣٨ .

(١) د . قاسم عبده قاسم : دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى، ص ١٢٦ .

(٢) المقريزى : السلوك، جـ ٢، القسم الأول ص ٢٨٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ص٢٨٩ .

(٤) ابن خلدون : المصدر السابق، جـ٢، ص ٦٤٦ .

(٥) د. صلاح الدين البحيرى : (نص هام عن أحوال دار الطراز المصرية فى أوائل عصر الدولة الأيوبية) بحث بالمجلة العربية للعلوم الإنسانية جامعة الكويت-العدد١٣ - المجلد٤ - ١٩٨٤م ص٤٧

أما عن الطراز فى عصر المماليك فيذكر ابن خلدون : " وأما دولة الترك بمصر والشام لهذا العهد ففيها من الطراز تحرير آخر عن مقدار ملكهم وعمران بلادهم إلا أن ذلك لا يصنع في دورهم وقصورهم وليست من وظائف دولتهم، وإنما ينسج ما تطلبه الدولة من ذلك عند صناعه من الحرير ومن الذهب الخالص ، ويسمونه المزركش(١) لفظة أعجمية – ويرسم السلطان أو الأمير عليه ويعده الصناع لهم فيما يعدونه للدولة من طرف الصناعة اللائقة بها " (٢).

نضف إلى ذلك أن بعض مفروشات المنزل فى عصر المماليك كانت تزين بقطع من العنبر الصلب ودليلنا في ذلك ما ذكره المقريزى فى معرض حديثه عن سوق العنبريين حيث قال عن العنبر " كان يتخذ منه المخاد والكلل والستور وغيرها " (٣).

أما الفراءون فكانوا يتولون تركيب قطع الفراء فى الملابس، ويبدو من مصادر تلك الفترة أن جميع أهل مصر كانوا مولعين باستخدام الفراء لتزيين ملابسهم وكان من المألوف، حتى فى عصر الجراكسة الذى شهد تطور الأحوال الاقتصادية أن يرتدى الجنود والكتاب وعامة الناس وكل امرأة من الشرائح الاجتماعية الدنيا الفراء المستورد (٤).

---

(١) مصدرها زركش وهى لفظة فارسية وتعنى المطرز بالذهب . معربة زركشية .
انظر : د . محمد التونجى : المعجم الذهبى فارس عربى " فرهنك طلائى " دار العلم للملايين بيروت، الطبعة الأولى ١٩٦٩ م ص ٣١٣ .

(٢) ابن خلدون : المصدر السابق، جـ ٢، ص ٦٤٧، ٦٤٨ .

(٣) المقريزى : الخطط، جـ ٢، ص ١٠٣ .
وحيث أنه من غير المعقول أن تصنع المخاد والكلل والستور من العنبر، إذاً فمن المرجح أنه كانت تضاف قطع العنبر الصغيرة بأشكال مختلفة إلى المخاد وغيرها من المفروشات لتزيدها جمالاً ورائحة عطرية " .

(٤) المقريزى : الخطط، جـ ٢، ص ١٠٣ .
ماير : المرجع السابق، ص ١٣١ .
د . قاسم عبده قاسم : دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى، ص ١٢٦ .

صناعة الخياطة

صناعة الخياطة من الصناعات الهامة ، وعنها يذكر ابن خلدون أنها « لتقدير المنسوجات على اختلاف الأشكال والعوائد ، تفصل أولاً بالمقراض قطعًا مناسبة للأعضاء البدنية ، ثم تلحم تلك القطع بالخياطة المحكمة وصلا أو تنبيتا أو تفسحًا على حسب نوع الصناعة (وهى) مختصة بالعمران الحضرى ، لما أن أهل البدو يستغنون عنها وإنما يشتملون الأثواب اشتمالاً ، وإنما تفصيل الثياب وتقديرها والحامها بالخياطة للباس من مذاهب الحضارة وفنونها »(١) .

ومن الجدير بالذكر أنه وجدت فى عصر المماليك أسواقًا تباع بها لوازم الحياكة مثل « سوق الأبارين » ، الذى كانت تباع به أبر الخياطة وغيرها(٢) . كما وجدت حوانيت للخياطين وغيرهم وذلك لخياطة الملابس حسب الطلب أو لعمل ملابس جاهزة وبيعها فيذكر المقريزى فى معرض حديثه عن سويقة أمير الجيوش أن « هذه السويقة من أكبر أسواق القاهرة بها عدة حوانيت فيها الرفاؤون والحباكون وعدة حوانيت للرسامين وعدة حوانيت للفرايين وعدة حوانيت للخياطين ومعظمها لسكن البزازين والخلعيين وفيها عدة من بياعى الأقباع ويباع فى هذا السوق سائر الثياب المخيطة والأمتعة من الفرش ونحوها »(٣) .

ويبدو أن أسواق الخياطين وجدت لدى مسلمى العصور الوسطى بصفة عامة لتأدية الغرضين وهى خياطة الملابس وبيع الملابس المخيطة وكان المعتاد أن يتسلم الخياط القماش بالوزن خاصة إذا كان من قماش ثمين كالحرير(٤) .

وكان المحتسب يأمر الخياطين بجودة التفصيل ، وحسن فتح الجيب واعتدال الكمين والأطراف ، واستواء الذيل ودقة الخياطة .

---

(١) ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ٣ ، ص٩٣٩ ، ٩٤٠

(٢) د. قاسم عبده قاسم : دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى ، ص٣٤

(٣) المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص١٠١

(٤) Mazaheri: Op. Cit., P. 198.

ويجب على الخياط أن يزن الثوب الذى له قيمة كالحرير والديباج عندما يأخذه من صاحبه فإذا خاطه رده إليه بذلك الوزن .

وكان المحتسب يمنع الخياطين من أن يماطلوا الناس بخياطة أمتعتهم وحبس الأمتعة عنهم . ولا يتكلفون للناس عملاً أكثر من الأسبوع إلا أن يشترطوا لصاحبه أكثر من ذلك الوقت[1] .

* * *

(١) الشيزرى : المصدر السابق ، ص٦٧

التنجيد

تعد صناعة التنجيد من الصناعات الهامة المرتبطة بجهاز العروس وهي تعتمد على القماش والقطن الذى يقوم المنجد بندفه بواسطة القوس والعصا لتنقيته من البذور والتراب ثم يحشو أكياس المراتب واللحف والمخاد والحشايا والشلت والمساور والمساند – التى قصها وخاطها (من ثلاث جهات فقط وترك جهة ليدخل منها القطن) بمقاسات معينة تتناسب مع مقاسات الأسرة والأماكن التى تفرش فيها ثم يخيط الجهة الباقية . وبعد ذلك يثبت القطن مع القماش بغرز عديدة منتشرة فى الشئ المراد تنجيده . ثم يكسو هذه الأكياس من نسيج أثمن من الأول كالحرير وكثيرا ما يكون مطرزا .

وكثيرا ما يكون التنجيد آخر ما يعد من الجهاز وذلك لرغبة أهل العروس فى أن تكون الأشياء المنجدة زاهية لامعة عندما تعرض فى الجهاز على العربات أو على أكتاف الحمالين عكس ما تكون قد مضى عليه فترة .

ولدخول المنجد فرحة كبيرة فى منزل العروس فهو إعلان لقرب الزفاف وكثيرا ما تقابله النساء بالزغاريد ويقدم إليه الأقارب والأصدقاء النقوط ولذا يعتبر التنجيد فرح صغير قبل الفرح النهائى .

وقد جاء بوصف مصر لوحة تمثل الحلاج أو النداف الذى يعد القطن بواسطة القوس الكبير ، الذى يرى وهو ممسك به بيده اليسرى ، ومن خاصية الوتر المشدود بين طرفى القوس أو يهتز أو يتموج فى كل مرة يضربه فيها النداف بالبيزر ، التى يمسك بها بيده اليمنى .

وبالشكل طفل قريب من النداف يقوم بوضع القطن المعد للندف فوق قطعة من الخشب(١) .

* * *

(١) زهير الشايب : المرجع السابق ، اللوحات (الدولة الحديثة) لوحة ١٥

الفصل الثالث

جهاز العروس فى ضوء الحياة الاجتماعية

جهاز العروس فى ضوء الحياة الاجتماعية

يجدر بنا قبل أن نتحدث عن جهاز العروس فى ضوء الحياة الاجتماعية أن نذكر لمحة عن طبقات المجتمع فى مصر فى عصر سلاطين المماليك والعادات المتبعة فى الخطبة والمهر وعقد القران وحفلات العرس .

أولا : طبقات المجتمع :

كان المجتمع فى عصر السلاطين المماليك مجتمعا طبقيا وضحت فيه كل طبقة من طبقات المجتمع وضوحا أملاه مركزها ونوع نشاطها .

وقد لاحظ المؤرخون المعاصرون أمثال ابن خلدون (١) والمقريزى هذه الفوارق فحاولوا تقسيم أهل مصر تبعا لذلك فقسم ابن خلدون ملك مصر إلى " سلطة ورعية " أى طبقة تملك النفوذ والسلطان ومن يدور فى فلكهم من الرعاية المحكومين المغلوبين على أمرهم من أهل مصر .

وقسم المقريزى الناس فى مصر إلى سبعة أقسام الأول أهل الدولة والثانى أهل اليسار من التجار وأولى النعمة من ذوى الرفاهية والثالث الباعة وهم متوسطو الحال من التجار والرابع أهل الفلح وهم أهل الزراعات والحرث وسكان القرى والريف والخامس الفقراء وهم جل الفقهاء وطلاب العلم والكثير من أجناد الحلقة (٢) ونحوهم والسادس

---

(١) ابن خلدون : المصدر السابق جـ٢ ، ص ٥١٤ .

(٢) أصبحت المماليك البحرية فى عهد الفاتح نجم الدين أيوب جزءا لا يتجزأ من الحلقة السلطانية فكانوا يقومون فى وقت السلم بحراسة القلعة والأماكن التى كان يسكن فيها السلطان هو وآله أما فى أثناء المعارك الحربية فكانت هذه الحلقة تحارب بالقرب من أو حول دهليز أو خيمة السلطان وذلك من أجل حمايته فى ميدان المعارك وبعد نهاية العصر الأيوبى أصبح أمراء البحرية فى الحلقة يشكلون خطرا حقيقيا بالنسبة لعز الدن أيبك التركمانى ولذلك نرى هذا الأخير يضع نهاية لهذا الخطر فى سنة ٦٥٢هـ / ١٢٥٤-١٢٢٥م بأن أصدر أمرا باعتقال كل المماليك البحرية الذين كانوا يتبعون الصالح نجم الدين أيوب واستطاع بعض منهم الفرار نحو غزة . =

أرباب الصنائع والقسم السابع ذو الحاجة و المسكنة (1) .

وقد قام الدكتور سعيد عاشور (2) بعمل دراسة لبناء المجتمع فى مصر فى عصر سلاطين المماليك قسم فيها سكان مصر إلى سبع فئات هى المماليك الذين كونوا طبقة ارستقراطية منفصلة عن سائر السكان بالبلاد المصرية لديها ثروة طائلة جعلتها تعيش فى ترف ونعيم فائق النظير (3) والمعممون أو المتعممون (أهل العمامة) وهم أرباب القلم من أصحاب الوظائف الديوانية والإدارية والمالية والقضائية الذين لعبوا دورا هاما فى مساندة السلطة الحاكمة وتمتعوا بحياة هانئة رغدة واقتنوا الثروات الكبيرة والتجار الذين كونوا ثروات جعلت منهم طبقة ممتازة إلى حد بعيد حتى قربهم السلاطين بل أنعموا على بعضهم بأمرة طبلخانة وهذا لا يتأتى لغير المماليك وكانوا أكثر إتصالا بغيرهم بحكم سفرهم إلى داخل مصر وخارجها وقد تأثروا بهذا الاتصال والاختلاط دون الخروج عن المألوف والصناع وأرباب الحرف والعوام الذين عاشوا فى العاصمة والمدن فى عسر وضيق بالقياس إلى المماليك وغيرهم من الطبقات المنعمة . وكان بالقاهرة عدد كبير من العوام يسيرون شبه عرايا ليس لهم مأوى غير الطرقات . (4) وفى مثل هذا المجتمع

= وفى أثناء العصر المماليكى انتشر استخدام تعبير الحلقة شيئا فشيئا حتى انتهى به الأمر بأن تخلى من صفته المملوكية فبعد أن كانت تعنى فرقة ملكية سلطانية تقوم بحماية شخص السلطان وقت السلم والحرب وتتكون من خاصته وإلزامه أصبحت الآن تتخذ شكلا شعبيا بسبب انتشار إنشاء هذه الحلقات لصغار الأمراء ولذلك كانوا يسمون فى العصر المماليكى (بأجناد الحلقة) وبرجال الحلقة . وذلك مما دعى **Lapidus** إلى القول بأن الحلقة فى عصر المماليك أصبحت مجرد فرقة عسكرية ثانوية

Salah El Bbeheiry : Les Institutions de l, Egypte au Temps des Ayyubides Lille, France, 1972, PP. 16,17 .

(1) المقريزى : إغاثة الأمة بكشف الغمة ، نشر محمد مصطفى زيادة ، وجمال الدين محمد الشيال ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، 194 ، ص 72 ، 73 .

(2) سعيد عبد الفتاح عاشور : المجتمع المصرى فى عصر المماليك ، ص 10-57 .

(3) سعيد عبد الفتاح عاشور: الأيوبيون المماليك فى مصر والشام، دار النهضة العربية 1969 ص353.

(4) د. سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص 38 .

برزت أهمية الوقف فى توفير الرعايا الاجتماعية لتلك الطبقات المحرومة من كثير من أسباب الحياة ([1]) وأهل الذمة ، ثم الفلاحون الذين كانوا يحيون حياة البؤس والحرمان وما ذكره ابن خلدون عن الفلاحة والفلاحين ليعبر عن ذلك حيث قال " أنها معاش المستضعفين ويختص منتحلها بالمذلة ([2]) " فقد كانت الأرض الزراعية مقسمة إلى أربعة وعشرين قيراطا اختص السلطان منها بأربعة قراريط والأمراء بعشرة وما تبقى خصص للأحفاد ، ولم ينل الفلاح مما تخرجه الأرض إلا الكفاف . ([3])

كما يرى د. قاسم عبده قاسم فى دراسته عن المجتمع فى ذلك العصر أن المجتمع كان يقوم علىنظام طبقى حاد ، فثمة طبقة من الحكام العسكريين لهم كل الحقوق والامتيازات ، ويمتلك أفرادها الأرض الزراعية التى قام عليها اقتصاد البلاد ، ولهم فقط حق الحكم والإدارة ، فى مقابل الرعية التى اقتصر دور ابنائها على الإنتاج ودفع الضرائب والخضوع المتكرر لإبتزاز المماليك . ([4])

ونخلص من ذلك كله إلى أن المجتمع كان ينقسم من الناحية المادية إلى طبقات أربع وهى :

- طبقة عليا أكثر ثراء (المماليك : السلطان – الأمراء – الأجناد)
- طبقة ثرية (المعممون وأكابر التجار)
- طبقة وسطى .
- طبقة سفلى : العوام والفلاحون .

ومن البديهى أن يؤثر هذا التفاوت المادى بين هذه الطبقات الأربع فى أن يكون هناك تفاوتا فى قيمة المهر وشكل ونوع وكمية جهاز العروس بين طبقة وأخرى .

* * *

---

(١) د. محمد محمد أمين : الأوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر ، دراسة تاريخية وثائقية ، دار النهضة العربية بالقاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٠ ، ص ١٣٣ .

(٢) ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٩١٤ .

(٣) سعيد عاشور : الأيوبيون والمماليك ، جـ٣ ، ص ٩١٤ .

(٤) قاسم عبده قاسم : دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى عصر سلاطين المماليك ، ص ١٧ .

عادات الزواج الشهيرة فى مجتمع مصر فى عصر المماليك :

العادات التى تسبق اعداد الجهاز هى : الخطبة – المهر – كتب الكتاب (عقد القران) ثم اعداد الجهاز ونقله فى زفة واحتفال إلى بيت الزوجية وبعدها يبدأ حفل العرس (زفة الحمام – ليلة الحنا – ليلة الدخلة – زفة العروس) .

الخطبة :

تعتبر الخطبة(1) من مقدمات الزواج ، فهى تواعد بالزواج فى المستقبل نظرا لما لعقد الزواج من أهمية وخطورة اجتماعية ، وتكون الخطبة بصريح العبارة ، كأن يقول الخاطب لمن يريد التزوج بها : " أطلب أن تكونى زوجتى "(2) . وقد كان من المعتاد فى عصر المماليك ، توسيط " الخاطبة " كما هو مألوف فى بعض البيئات المصرية حتى الآن(3).

وبالنسبة للخطوبة فلم تسعفنا المصادر المملوكية بالكثير من المعلومات الخاصة بها إلا أنه من الواضح أن الخاطبة قد قامت بدور كبير فى اتمام مهمة الخطوبة فى ذلك العصر ، وصور هذا الدور بوضوح ابن دانيال الموصلى فى بابه " طيف الخيال" ، فوصف كيف يقصد راغب الزواج الخاطبة لأنها " تعرف كل حرة وعاهرة وكل مليحة بمصر والقاهرة " . ذلك أنها تتظاهر ببيع الطيب والبخور وغير ذلك من لوازم النساء ، وبذلك يتاح لها دخول البيوت والإطلاع على أسرار الحريم فتستطيع أن تأتى للعريس

---

(1) الخطبة (بكسر الخاء) فى اللغة العربية طلب المرأة للزواج .

أحمد إبراهيم : الأحكام الشرعية ، الطبعة الثالثة القاهرة (١٩٣٨م، ص ٣ ، فيقال فى اللغة خطب الرجل امرأة خطبا (بفتح الخاء) ، وخطبة بكسر الأول فهو خاطب وهى خطيبة .

أحمد عطية الله : القاموس الإسلامى ، المجلد الثانى ص ٢٥٩ .

ويقال أيضا فلان اختطب المرأة فهو خاطب . أما قولهم اختطب القوم فمعناه دعوة إلى تزويج صاحبتهم ، والمصدر خطبة بالضم والجمع خطب والفاعل خطيب .

بدران أبو العينين بدران : الزواج والطلاق فى الإسلام ، مطبعة دار التأليف ١٩٥٧م ، ص ٢٨ .

(2) أحمد عطية الله : المرجع السابق ، مج ٢ ص ٢٥٦ .

(3) محمود رزق سليم : الأشرف قانصوه الغورى ، الدار المصرية للتأليف والترجمة . أعلام رقم ٥٢ ص١٥ ، ١٦ .

بالعروس التي تتفق مع رغباته ومطالبه . [1] ويفهم أيضا من تمثيلية ابن دنيال ، أن هـذه المرأة قد اعتادت أن تبالغ في المعلومات التي تمد بها كلا الطرفين ، فعندما أراد الأمير وصال الزواج التفت إلى أخيه طيف الخيال وقال له : " يا أخي طيف الخيال قد عزمت على ترك مسلك الخلاعة والتوبة لله المخلصة ، والعمل بالسنة والجماعة ، فقد دنا الرحيل، وما بقى إلا القليل ، وأنا استغفر الله من القنوط .. وقد عزمت على الزواج والنسل والاستنتاج .

ويطلب إلى أخيه أن يستدعي له الخاطبة أم رشيد ، التي أسرفت في وصف جمال العروس ، ويقتنع الأمير وصال بصحة هذا الوصف ، ويقبل أن يعقد قرانه ، وينكشف الأمر فإذا بهذا الأمير لا يملك شيئا ، وهو يعلل موقفه بقوله " لابد من تدبير الحال ، وتجهيز المال " . فيقول له طيف الخيال : " يا أمير وصال ، عهدتك ذا مال ، وجمال وخيل وبغال ، فيجيبه الأمير وصال بهذه الفقرة التي تجمع بين الحزن والسخرية " مال المال ، وحال الحال ، وذهب الذهب ، وسلب السلب ، وفضة الفضة ، وقعدت النهضة وفرغت الكأس ، بطون الأكياس ، وبعت العقار برشف العقار ، وأنشد يقول مصورا دارا لا يمكن أن تكون مسكن لآدمي .. الآتي :

أمسيت أفقر من يروح ويغتدى	ما في يدى من فاقتي إلا يدى
في منزلي لم يبق غيرى قاعدا	فإذا رقدت رقدت غير ممدد
لم يبق فيه سوى حصيرة	ومخدة كانت لأم المهتدى
ملقى على طراحة في حشوها	قمل شبيه السمسم المتبدد

كما تكون المفاجأة الكبرى عندما تزف إليه عروسة مستورة الوجه بمنديل مذهب منقوش ويكشف عن وجهها الخمار ، فيدرك أن أم رشيد قد خدعته ودلست عليه وقدمت إليه امرأة جمعت أوصاف الدمامة كلها فهي من أكبر الدواهي ، بأنف كالجبل ، ومشافر

---

(١) ابن دنيال الموصلي (شمس الدين محمد) : طيف الخيال ، مخطط في مجلد بدار الكتاب المصرية ، لخزانة التيمورية ١٦ ألعاب ، سعيد عبد الفتاح عاشور : المجتمع المصرى في عصر سلاطين المماليك ص ١١٩ .

مشافر الحمل ولون كلون الجمل ، وأجفان مكحولة بالعمش ، وخدود مضرجة بـــالنمش ، وأسنان كأسنان التمساح " ، فأغمى على الأمير وصال من هول بشاعة عروســه المخيفــة الشوهاء ، وبعد أن فاق حاول الانتقام من الخاطبة وزوجها فإذا بها قد جاءها أمر الله فـــى دارها وزوجها (الشيخ عفلق) رجل هرم على أبواب القبر . (١)

وجرت العادة أنه إذا رضى الراغب فى الزواج بالمعلومات التى قدمتها له الخاطبــة فإنه يسرع إليها ثانية مقدما لها هدية ويرسلها من جديد إلى عائلة الفتاه لتبلغها رغبته فـــى الاقتران بابنتها .(٢) وعلى الرغم من أن الشريعة (٣) الإسلامية قد نصت على ضـــرورة استئذان الفتاة والأخذ برأيها فى اختيار شريك حياتها ، إلا أنه فى الغـــالب أن الفتـــاه فـــى العصر المملوكى لم يكن لها رأى فى اختيار شريك ، بـــل ظـــل الـــرأى الأول والأخـــير لوالدها ، وربما شاركته فى ذلك أمها (٤) .

* * *

---

(١) ابن دانيال : المرجع السابق ، ص ١٣١ ، ١٣٢ .

د. فؤاد حسنين على : قصصنا الشعبى ، الناشر دار الفكر العربـــى ، ١٩٤٧ م ، ص ٥٨ .، عبــد الحميد يونس : خيال الظل ، المكتبة الثقافية ١٣٨ ، أغسطس ١٩٦٥م ، الـــدار المصريـــة للتـــأليف والترجمة ، ص ٣٨ .

(٢) السخاوى ، التبر المسبوك ص ٣٩١ .

(٣) فقد روى أبو هريرة عن الرسول ﷺ أنه قال : " لا تنكح الأيم حتى تستأمر ، ولا تنكح الكـــبر حتـــى تستأذن ، قالوا يا رسول الله وكيف إذنها ؟ قال أن تسكت " .

، عن أبى عمرو مولى عائشـــة " عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : يا رســـول الله أن الكـــبر تستحى ، قال : رضاها صمتها "

انظر : ابن حجر : فتح البارى ، جـ٩ ، ص ٩٨ .

(٤) السخاوى : التبر المسبوك ، ص ٣٩١ . ،

سعيد عاشور : المجتمع المصرى ص ١١٩ ، ١٢٠ .

المهـــــــر([1]) :

من المعروف أنه بعد اختيار العريس لشريكه حياته وإتمام الخطبة بقــراءة الفاتحــة يأتى دور الاتفاق على قيمة المهر وعقد القران . ذلك المهر الذى يعتبر حق مــــن حقــوق الزوجة على زوجها ([2]) . وهو مقدار من المال فرضه الله تعالى على الرجال للنساء عنــد عقد الزواج وهو حق مقدس من حقوقهن اثبته لهن الإســـــلام إعــلاء لقدرهــن وتشــريفا لمكانتهن ، وتعويضا ومكافأة لهن عند دخولهن بعقد الزوجية تحت رياســة الرجــل التــى تقتضيها الفترة ونظام المعيشة ([3]) .

ولا يشترط فى المهر أن يكون من جنس النقدين بل يجوز أن يكون من كــل مــال متقوم عقارا أو منقولا عرضا أو مكيلا أو موزونا أو حيوانا . ويجوز أيضا أن يكون مــن منافع الأعيان التى يستحق بمقابلتها المال . فإذا أعطى الزوجة أرضـــا زراعيــة وجعــل مهرها أن تنتفع بها بأن تزرع تلك الأرض ثلاث سنين مثلا كـــانت تلــك المنفعــة التــى تستوفيها مهرا لها ([4]) .

---

(١) المهر : الصداق ج مهـــور .
أحمد رضا : المرجع السابق – المجلد الخامس ص ٣٥٧ . وأصدق الرجل المرأة سمى لها صداقــا ، الصدقة والصدقة والصدقة والصدقة مهر المرأة .
بطرس البستانى : قطر المحيط جـ ١ ص ١١٢٠ .
وللمهر أسماء تسعة : الصداق ، والصدقة ، والنحلة ، والأجر والفريضة والعلائق ، والعقر (وهــو غالب فى الأماء) والمهر والحبأة .
بدران أبو العنين : الزواج والطلاق فى الإسلام ص ١٢٥ .
(٢) عبد الله المراغى : الزواج والطلاق فى جميع الأديان ، الكتاب ٢٤ ، ١٩٦٦م ، ص ٢١٢.
(٣) حسين سامى : حقوق المرأة وواجباتها فى الإسلام ، القاهرة ١٩٣٤ ، ص ١٩ .
(٤) أحمد ابراهيم : الأحكام الشرعية للأحوال الشخصية ، القاهرة ١٩٣٤ ، ص ١٩ .

ويقال – ساق (1) إلى المرأة صداقها حينما كانوا يدفعون فى الصداق إبــلا وغنمــا وتلك الإبل لها النافجة (2) ، فمنهم من تزوج على مائة ناقة (3) وكان ذلك فى حالـــة ذوى الجاه والسؤدد واليسار (4) ومنهم من دفع ثلاثين شاه (5)

وكان من الممكن أن يكون المهر زجاجة خل أو عبيد أو مساوى لأيــة ســيدة مــن طبقة العروس (6) .

---

(1) (ساق) سوق الإبل حلبها وطردها يقال سقته بالساق فانساق والسيقة ما يساق من الدواب وسقت المهر إلى الموت وذلك أن مهورهم كانت الإبل .

الراغب الأصفهانى : مفردات الراغب الأصفهانى فى كتاب ابن الأثير النهاية هامش أيسر ص ١٩٣ ، هامش أيمن ص ١٩٤ .

وقيل للمهر سوق لأن العرب كانوا إذا تزوجوا ساقوا الإبل والغنم مهرا لأنها كــانت الغــالب علــى أموالهم ثم وضع السوق موضع المهر وإن لم يكن إيلا وغنما بمعنى البدل كقوله تعالى : " ولو نشـاء لجعلنا منكم ملائكة فى الأرض يخلفون أى بدلكم .

انظر : ابن الأثير ، النهاية جــ٢ ص ٢١٠ .

(2) الجاحظ : الحيوان القاهرة ١٩٠٧م جــ١ ، ص ٢١٠ .

الجاحظ ، البخلاء ، بيروت ١٩٥٧م ص ٢٤٨ .

التنوخى : المستجاد من فعلات الأجواد ، نشر وتحقيق محمد كرد على ، مطبعـــة الـــترقى بدمشــق ١٩٤٦م ص ١٧٤ .

وكانت العرب يأخذ الرجل مهر ابنته إيلا فيدخلها فى ماله فينفجه ولذلك كانوا يقولون للرجل تولد لــه الجارية هنيئا لك بالنافجة .

البلوى : ألف باء ، جــ١ ص ٢٩٥ .

ويطلق على ما يأخذه الرجل من مهر ابنته " الحلوان " .

البلوى : السابق ص ٥٢٧ .

(3) ابن منظور : مختار الأغانى فى الأخبار والتهانى جــ ٢ ص ٢٢٩ ،، زينب فواز : الدار المنثــورة ص ٥٢٥ .

(4) عبد الله عفيفى : المرجع السابق جــ ١ ص ١٥٨ .

(5) الجاحظ : الحيوان ، جــ ١ ص ٣٨ .

(6) Sidi Khalil : Mariage et Repodiation, Traduction avec Commentaires par E. Fagnan Alger, 1909, p. 54.

وربما كان المهر ما يحفظه العريس من القرآن (1) أو أبسط ما يملكه مثل الدرع ، كما كان الحالى فى مهر فاطمة بنت رسول الله ﷺ فقد أصدقها على بن أبى طالب درعا (بدنا) من حديد باعها الرسول بثلاثمائة وثمانية أو أربعمائة درهم كما يقال. (2)

ومما يذكر أن صداق فاطمة وغيرها من بنات الرسول كان خمسمائة درهم (3) وقد جعل الله المهر حقا خالصا للمرأة ونهى عن مسه بأى سبيل كان ، فقال تعالى : " وآتو النساء صدقاتهن نحلة " (4) و " آتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا " وفى الآية الأخيرة أشار إلى جواز كثرة المهر (5) .

ويرى الإسلام أن يسر الصداق ييسر الزواج ويقضى على العزوبة قال الرسول : "خير الصداق أيسره " ، و " أن أعظم النكاح بركة أيسرة مئونة " ، " وخير النساء أحسنهن وجوها وأرخصهن مهورا (6) . وقال ﷺ فى حديث آخر : " اللهم اذهب ملك غسان (7) .

---

(1) عن سهل بن سعد قال جاءت امرأة إلى رسول الله □ فقالت إنى وهبت من نفسى ، فقامت طويلا فقال رجل زوجنيها إن لم تكن لك بها حاجة ، فقال عليه الصلاة والسلام هل عندك من شئ تصدقها ؟ قال ما عندى إلا إزارى ، فقال أن أعطيتها إياه جلست لا إزار لك فالتمس شيئا ، فقال ما أجد شيئا ، فقال لتمس ولو كان خاتما من حديد فلم يجد ، فقال أمعك من القرآن شئ ؟ قال نعم سورة كذا وسورة كذا لسور سماها ، فقال قد زوجناكها بما معك من القرآن .

ابن حجر العسقلانى : فتح البارى ، جـ9 ، ص 97 .

(2) ابن قتيبة الدينيوى : عيون الأخبار ، ط1 ، دار الكتب المصرية 1930 ، مجلد 4ص 70.

(3) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى جـ1 ص 591 .

(4) سعيد الأفغانى : الإسلام والمرأة ، مطبعة الترقى بدمشق 1945م ص 34 .

(5) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى ، جـ 9 ص 111 .

(6) محمود بن الشريف : الإسلام والأسرة ص 39 .

(7) غسان : يجوز أن يكون فعلا ، بالفتح ، من الغس وهو دخول الرجل فى البلاد ، أو من غسته ، أو من قولهم للشئ الجميل : هو ذو غسن ، وأصل الغس خصل الشعر من المرأة أو الفرس . وهو اسم ماء نزل عليه بنو مازن ابن الأزد بن الغوث وهم الأنصار وبنو جفنة وخزاعة فسموا به، وفى كتاب =

وضع مهور كندة (١) " (٢) .

وفى حديث لعمر بن الخطاب رضى الله عنه " لا تغالوا فى الصدقات "(٣) .

والمهر نوعان الأول المسمى ، وهو ما اتفق عليه عند العقد أو فرض بعده بالتراضى ، الثانى مهر مثل المرأة ، وهو مهر امرأة من قوم أبيها ، كأختها وعمتها تماثلها فيما يعتد به من صفات النساء : من السن ، والجمال والمال ، والدين ، والأدب ، والعقل ، والعلم ، والبكارة ، والثبوتة والولادة والعقم وما إلى ذلك ، ويراعى مع ذلك حال الزوج . (٤)

= عبد الملك بن هشام : غسان ماء بسد مأرب باليمن كان شربا لبنى مازن ابن الأزد بن الغوث ، ويقال غسان ماء بالمشلل قريب من الجحفة ، وقال نصر : غسان ماء باليمن بين رقع وزبيد وإليه تنسب القبائل المشهورة ، وقيل هو : اسم دابة وقعت فى هذا الماء فسمى الماء بها ، فأما الأنصار فهم الأوس والخزرج أبنا حارثة بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث وأما جفنة فهو ابن عمرو ابن عامر ابن حارثة بن امرئ القيس.

وقال ابن الكلبى : وغسان ماء باليمن قرب سد مأرب كان شربا لولد مازن بن الأزد بن الغوث نزلوا عليه فسموا به ، ويقال : غسان ماء بالمشلل قريب من الجحفة والذين شربوا منه سموا به فسمى به قبائل من ولد مازن بن الأزد ، وقد ذكرتهم الشعراء ، قال حسان ، وقيل سعد بن الحصين جد النعمان ابن بشير :

يا بنت آل معاذ اننى رجل — من معشر لهم فى المجد بنيان
شم الأنوف لهم عز ومكرمة — كانت لهم جبال الطود أركان
أما سألت فأنا معشر نجب — الأزد نسبتنا والماء غسان

انظر ياقوت : المرجع السابق ، المجلد الرابع ، ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ .

(١) كندة : بالكسرة ، اسم قبيلة باليمن .

انظر الياقوت : المرجع السابق ، المجلد ٤ ، ص ٧١ .

(٢) ابن قتيبية الدينورى : المرجع السابق ،جـ ٢ ، ص ٢٧٩ .

(٣) ابن الأثير : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص٢٧٩

(٤) على حسب الله : الزواج فى الشريعة الإسلامية ، دار الفكر ، ص ١٥٦ ، ١٥٧ .

ولمقدار المهر نهاية صغرى وليس له نهاية كبرى بالاجماع فنهايته الصغرى عشرة دراهم فضة وزن سبعة مثاقيل سواء أكانت الدراهم مضروبة أم غير مضروبة والأصل فى ذلك الحديث " لا مهر أقل من عشرة دراهم " وقيمتهما الآن خمسة وعشرون قرشا(١).

ويقسم المهر قسمين متساويين أو غير متساويين : يدفع أولهما مع توقيع العقد ويسمى المهر المعجل ، ثم يستحق الباقى عند وفاة الزوج أو عند الطلاق ، ويسمى المؤجل(٢) .

ولا يدخل فى المهر ثمن الجهاز أو المتاع الذى تجلبه المرأة معها إلى بيت زوجها من ثياب أو أثاث ، إلا إذا كان هذا باتفاق بين الزوجين عند العقد ، فإن الإنفاق على المرأة من حين العقد يقع على الزوج ، و " الجهاز داخل فى النفقة الواجبة على الزوج ، لذلك لا تجبر المرأة على شراء " الجهاز " من مهرها ، إلا إذا تبرعت هى بذلك ، وكذلك لا يجبر والد المرأة على تجهيزها " ، وإذا فعل كان ذلك هبة منه لابنته. ومتاع المرأة فى الأصح ملك لها سواء اشترته من مالها أو من مال أبيها أو كان زوجها قد اشتراه لها (٣)

وقد جرت العادة فى عصر المماليك أن يدفع جزء من المهر مقدما قبل عقد القران، أما الباقى الذى اصطلح على تسميته بمؤخر الصداق فكان يسدد على أقساط مؤجلة كما يفهم من أغلب عقود الزواج التى وصلتنا من عصر المماليك والمحفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة (٤) .

---

(١) أحمد إبراهيم : الأحكام الشرعية ط ٣ القاهرة ١٩٣٨م ، ص ٢٩ .

(٢) عمر فروخ : الأسرة فى الشرع الإسلامى ، ط ٢ ، بيروت ١٩٧٤م ، ص ٩٢ .

(٣)المرجع نفسه ، ص ٩٤ .

(4) Ahmed Abd Ar- Raziq, Un document concernant le Mariage des Esclaves au temps des Mamluk, Jesho XIII PP. 310 –312.

سعاد ماهر : عقود الزواج على المنسوجات الأثرية ، ص ٣٩– ٥٤ .

أحمد عبد الرازق : المرأة ص ٦٩ .

هذا وتحمل لنا المصادر مغالاة المماليك فى المهور فتذكر على سبيل المثال لا الحصر مقدار بعض من هذه المهور . فقد جاء فى تاريخ ابن الفرات فى أحداث الثانى عشر من ذى الحجة سنة ٦٧٤هـ/١٢٧٦م أنه عقد قران الملك السعيد بن الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحى على صداق خمسة آلاف دينار المعجل منها ألفا دينار والمؤجل ثلاث آلاف دينار (١) . وذكر ابن الفرات أيضا فى تاريخ ذو الحجة سنة ٦٨١هـ/١٢٣٨م أنه تزوج الملك الصالح علاء الدين على بن الملك المنصور سيف قلاون بالست منكبك ابنة الأمير سيف الدين نوكية وتقرر العقد على خمسة آلاف دينار عينا قدم منها ألف دينار (٢) .

وذكر أبو الفداء بتاريخ ربيع الآخر سنة عشرين وسبعمائة (١٣٢٠م) أنه تم عقد السلطان الملك الناصر محمد على طولباى المغولية القادمة من بلاد القبجاق وهى من ذرية جنكزخان على صداق قدره ثلاثين الف دينار المعجل منها عشرون ألف دينار.

وذكر المقريزى بتاريخ الثانى من شعبان سنة ٧٢٢هـ/١٣٢٢م أنه عقد عقد خوند بنت السلطان على الأمير أبى بكر بن الأمير أرغون النائب على صداق قدره اربعة آلاف دينار (٣) .

هذا وكان مهر الأمير أنوك ابن السلطان الملك الناصر محمد إلى بنت المقر السيفى بكتمر الساقى الذى حمل خزانة الخاص بالقلعة يشمل كما ذكر المقريزى الآتى : عشرة آلاف دينار ، ومائتان وخمسون تفصيلة حرير مثمنة ، ومائة نافجة مسك وألف مثقال عنبر خام ، ومائة شمعة موكبية وثلاثة أرؤس من الخيل مسرجة ملجمة ، وخمسة مماليك على يد كل مملوك بقجة " (٤) .

---

(١) ابن الفرات:تاريخ ابن الفرات ، المجلد السابع ، تحقيق د. قسطنطين رزيق ، بيروت ١٩٤٣، ص ٥١
(٢) المرجع نفسه ص ٢٥١ .
(٣) المقريزى السلوك ، جـ٢ / القسم الأول ص ٢٣٧ .
(٤) المصدر نفسه ص ٣٣٣ .
، محمد عبد العزيز مرزوق : الناصر محمد ص ٢٤٩ .

وقد وصف ابن أيبك مهر أنوك ببعض الاختلاف عما ذكره المقريزى فقد ذكر " حمل مهر النجل الشريف السلطانى انوك بن خوند طغاى إلى بيت المقر السيفى بكتمر الساقى على ثلاثة بغال . الأول صندوقين ضمنها خمسة آلاف دينار ، وبغلين قماش وثلاثة أرؤس خيل فحل ، وحجرتين بروج ذهب ، وخمسة مماليك على يد كل مملوك بقجة "(١) .

وذكر ابن إياس بتاريخ ١٧ ربيع الأخر سنة ٧٧٠هـ/١٣٦٩م أن صداق خوند سارة أخت السلطان شعبان كان " خمسة عشر آلف دينار مصرية " (٢)

وذكر ابن تغرى بردى في حوادث ربيع الآخر سنة ٧٩٢هـ/١٣٩٠م فى سلطنة الملك الظاهر برقوق الثانية على مصر-أنه عقد للسلطان على الخاتون تندى بنت حسين ابن أويس وكانت قدمت مع عمها السطان أحمد (٣) بن أويس ، ومبلغ الصداق ثلاث آلاف دينار وكان صرف الدينار إذ ذاك ستة وعشرين درهما ونصف درهم (١) .

---

(١) أبو بكر ابن أيبك الدوادارى : كنز الدرر ، جـ٩ وهو الدر الفاخر تحقيق هانس روبرت رويمر – القاهرة ١٩٦٠ ، ص٣٥٨ .

(٢) ابن إياس : السابق جـ١ / قسم ثانى ، ص٨٢

(٣) أحمد ابن أويس بن الشيخ حسن بن حسين بن اقبغا بن أيلكان السلطان غياث الدين صاحب بغداد وتبريز وغيرهما من بلاد العراق .. ٨١٣هـ/١٤١٠م .

ملك بعد موت أخيه الشيخ حسن بن أويس سنة أربع وثمانين وسبعمائة ، واستمر بممالك العراق حتى سنة خمسة وتسعين وسبعمائة . خرج من بغداد فارا من تيمورلنك لما استولى على بغداد ، وقصد نحو البلاد الحلبية وصحبته نحو أربعمائة فارس من أصحابه . ونجا ابن أويس فى طائفة وقصد حلب لاتذا بجناب الملك الظاهر برقوق سلطان مصر الذى طلب استدعائه إلى القاهرة فوصلها فى يوم الثلاثاء سابع عشر ربيع الأول سنة ست وتسعين وسبعمائة .

ثم تزوج الملك الظاهر بالخاتون تندو بنت حسين بن أويس ابن أخى القان غياث الدين أحمد هذا ، ومبلغ الصداق ثلاثة آلاف دينار ، وبنى بها ليلة الخميس عاشر الشهر المذكور وليلة سفره .

انظر ابن تغرى بردى : المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى ، تحقيق د. محمد محمد أمين ، دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور ، الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٥ ، ص ٢٤٨ ، ٢٥٣ .

كما ذكر ابن تغرى بردى فى حوادث سنة ٨٢٣هـ/١٤٢٠م فـى سلطنة الملك المؤيد شيخ المحمودى أنه " عقد السلطان عقد الأمير الكبير الطنبغا القرشى علـى ابنته بصداق مبلغه " خمسة عشر الف (٢) دينار هرجة " (٣) .

وذكر ابن إياس فى أحداث شوال سنة ٩٢٠هـ/١٥١٤م فى عهد الغورى أنـه تـم عقد المقر الناصرى محمد بن السلطان على ابنة ملك الأمراء سيباى نـائب الشـام علـى صداق جملته نحو عشرون ألف دينار من ذلك عشرة آلاف دينار معجـلا وعشـرة آلاف دينار حال (٤) .

هذا ونجد من المهور ما هو أقل من ذلك بكثـير وذلـك ليـس فقـط فـى غـير طبقة السلاطين والأمراء فحسب بل فى طبقة السـلاطين والأمـراء أيضـا فمثـلا نقـرأ فى تاريخ ابن الفرات فى أحداث رمضـان سـنة ٦٨١هـ/ديسمبر ١٢٨٣م أنـه تـم عقد فتح الدين بن المولى محيى الدين بـن عبـد الظـاهر علـى جاريتـه التـى عتقـها على مائة دينار عينا حـال(٥). ١

وذكر أبو الفداء فى أحداث ذى الحجة سنة ٦٩١هـ/١٢٩٢م دخول الأمـير سـنقر الأعسر على بنت الوزير شمس الدين بن السلعوس على صداق ألف دينـار عجـل لـها خمسمائة (٦) .

= وبعد أن فارقها الظاهر برقوق تزوجها ابن عمها شاه ولد ابن شاه زادة بن أويس فلما رجعـوا إلـى بغداد ومات أحمد أقيم شاه ولد فى السلطنة فدبرت مملكته حتى قتل وأقيمت هى بعده فى السطنة حتى ماتت فى سنة ٨٢٢هـ فقام بعدها ابنها أويس بن شاه .

انظر : ابن العماد : المصدر السابق ، جـ ٧ ص ١٥٥ .

(١) ابن تغردى بردى : المصدر السابق ، جـ١٢ ص ٥٢ ، ٥٣

(٢) المصدر نفسه : جـ١٤ ، ص ١٠٠ .

(٣) الهرجة تعنى سبيكة من الذهب لها عيار مخصوص لابد أن تجوزه وإلا تعتمد ، فإذا جازته ضربـت دنانير ذهبية . انظر : د. عبد الرحمن فهمى : دار الضرب المصرية ص٦٧ - ٧١

(٤) ابن إياس : المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ٤٠٦ ، ٤٠٧ .

(٥) ابن الفرات : المرجع السابق ، مجلد ٧ ، ص ٢٤٩ ، ٢٥٠ .

(٦) أبو الفداء : البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ٣٣٠ .

كما احتوى عقد زواج ابن عبد الله المتملك بدنقله على الأميرة الجليلة الرئيسة ابنة عمه الست بشرية المؤرخ فى ٢ ذى القعدة سنة ٧٣٣هـ/١٣٣٣م على صداق قدره من الذهب العين المصرى المثاقيل المسكوكة مائتا دينار وخمسون دينارا حالا ومؤجلا الحال من ذلك مائة دينار (١) .

وذكر ابن تغرى بردى فى أحداث ذو الحجة سنة ٧٩١هـ/١٣٨٩م فى سلطنة المنصور حاجى الثانية على مصر أنه استدعى منطاش القضاة إلى الريدانية ثم طلبوا إلى عند السلطان ، فعقدوا عقده على بنت الأمير أحمد ابن السلطان حسن بصداق مبلغه ألف دينار وعشرون ألف درهم (٢) .

وجاء فى مفاكهة الخلان فى حوادث يوم الثلاثاء مستهل جمادى الآخر سنة ٨٨٥هـ /سنة ١٤٧٩ أنه عقد عقد رضى الدين بن الغزى الشافعى على بنت المرحوم شيخ الإسلام زين الدين خطاب البكر على " مبلغ ذهب مائة وخمسين " (٣).

وذكر شمس الدين ابن طولون أنه كتب ابن رزيق بن البصروى فى ليلة الاثنين تاسع عشر رمضان سنة خمسة عشر وتسعمائة /١٥٠٩م على بنت كمال الدين بن حمزة على مائتى دينار (٤) .

ومن الجدير بالذكر أنه كان يكتب لكل زيجة عقد زواج يدون فيه قيمة المهر المقدم منه والمؤخر .

ومما يجب ذكره أن الزواج فى بداية الإسلام كان يتم مشافهة ولم تكن العرب تعرف عقود الزواج المكتوبة .

---

(١) حسن محمد الهوارى : عقد زواج قديم مضى عليه ٦١٨سنة ، مجلة الهلال السنة ٤١ – مارس ١٩٣٣ – ص ٦٢٩ .

(٢) ابن تغرى بردى : السابق ، جـ١١ ، ص ٣٦٥ .

(٣) شمس الدين محمد بن طولون : مفاكهة الخلان فى حوادث الزمان ، القسم الأول ، القاهرة ١٩٦٢م، ص ٢١ .

(٤)المرجع نفسه ، ص٣٥٦

أما فى مصر فيذكر البعض أن عقود الزواج عرفت منذ فجر التاريخ ، ويستدلون على ذلك بأن أول عقد زواج عثر عليه يرجع تاريخه إلى سنة ٣٦٥ ق.م، وأن النص المدون فى هذا العقد يعطى بيانا عن قيمة الهبة المالية من الزوج إلى زوجته ، وهو ما يعبر عنه فى الشريعة الإسلامية المهر أو الصداق ويبدو أن هذه الحالة فريدة ، لأنه لم يصلنا حتى الآن عقود زواج أخرى يرجع تاريخها إلى هذه العصور التاريخية القديمة ، أو الملاحقة بها حتى تعطينا انطباعا بأن عقود الزواج كانت شائعة فى المجتمعات المصرية القديمة (١) .

وفيما يختص بعقود الزواج فى الإسلام ، فلدينا مجموعة ليست بالقليلة من عهود اسلامية مختلفة معظمها مكتوب على ورق بردى ، وقليل مدون على ورق مشرقى أو على رق غزال ، أو جلد حيوان ، وكلها تنتمى إلى مركز صناعة البردى منذ فجر التاريخ ، مصدر الاشعاع الفكرى الذى كانت تصدره مع المادة الوحيدة للكتابة التى عرفها العالم حينذاك وهى البردى .

وأقدم عقد زواج تحت أيدى الباحثين يرجع تاريخه إلى نهاية القرن الثانى الهجرى، وما يؤخذ على هذا العقد من ناحية النقد العلمى ، عدم تدوين السنة التى كتب فيها ، ويبدو أن جروهمان ألحقه بهذا التاريخ قياسا على مميزات الكتابة المدونة على البردية ، إذ أن لكل عصر من العصور الزمنية خصائصه ومميزاته الكتابية المعلومة للمشتغلين بوثائق البردى ، وفى دار الكتب والوثائق بالقاهرة مجموعة من عقود الزواج ترجع إلى عصور زمنية مختلفة تنحصر فيما بين القرن الثالث والخامس الهجرى (٢) .

وأنه لمن حسن الحظ أن استطعت الوصول إلى أقدم عقد زواج يرجع تاريخه إلى نهاية القرن الأول الهجرى . (لوحة ٢٦٣) .

---

(١) د. أحمد الشامى : التطور التاريخى لعقود الزواج فى الإسلام ، سلسلة تاريخ العرب والإسلام - ١٩٨٢م ، ص ١٢ ، ١٣ ، ١٤ .

(٢) أحمد الشامى : المرجع السابق ، ص ١٤ .

وقد جرت العادة أنه إذا تزوج سلطان أو ولده أو بنته أو أحد من الأمـراء الأكـابر وأعيان الدولة أن تكتب له خطبة صداق تكون فى الطول والقصر بحسب صاحب العقـد ، فتطال للملوك وتقصر لمن دونهم بحسب الحال .

وأورد القلقشندى عدة نسخ لخطب الصداق منها خطبة صداق الملك السـعيد بركـة ابن السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقدارى على بنت الأمـير سـيف الديـن قـلاوون الصالحى الألفى قبل سلطنته وهى من إنشاء القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر .

ونسخه صداق المقام الشريف العالى السيفى أنوك ، ولد السـلطان الشـهيد الملـك الناصر محمد بن قلاوون على بنت المقر المرحوم السيفى " بكتمر الساقى " ، وكان العـاقد قاضى القضاه جلال الدين القزوينى ، والقابل والد الزوج السطان الملك الناصر .

ونسخة صداق المقر الشريف إبراهيم بن السلطان الشهيد الملك الناصر محمد بـن قلاوون ، من إنشاء المقر الشهابى بن فضل الله .

ومن نسخ صداق (خطب نكاح) الرؤساء والأعيان وأولادهم ذكر القلقشندى نسـخة صداق جمال الدين عبد الله بن سيف الدين أبى سعيد أمير صـاحب علـى بنـت بيدمـر العمرى ، ونسخة صداق ناصر الدين محمد بن الخطيرى ، ونسخة صداق القـاضى تقـى الدين ، ونسخة صداق من انشاء الشيخ صلاح الدين الصفدى للقاضى بدر الديـن خطيـب بيت الآثار على بنت شمس الدين الخطيب من بيت الآثار تسمى سوسـى ، فـى مسـتهل جمادى الآخرة سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة ، فى مجلس مولانا قاضى القضاه تقى الديـن السبكى الشافعى . ونسخة صداق زين الدين صدقه السيفى أزدمـر ، علـى بنـت أمـير المؤمنين " المتوكل على الله " (1) .

هذا وتضم خطبة النكاح أربعة خطب تكون بألفاظ تشتمل على حمـد الله والصـلاة على رسوله وآية مشتملة على أمر بتقوى ، وتكون الأولى من راغب الزواج عن إرادتـه ،

---

(١) القلقشندى : المرجع السابق ، ص ٣٠٠– ٣٢١ .

ويجيبه ولى الزوجة أو وكيلها بالإجابة أن وافق على الخطبة . وهذه هى الخطبة الثانيـــة . وعند العقد يخطب ولى المرأة أو وكيلها فيجيبه الـــزوج بالموافقــة . وهاتـــان الخطبتـــان تكونان عند الإيجاب من ولى المرأة أو وكيلها وعند القبول من الزوج .

والمأثور فى مثل هذه الخطب : الحمد لله نحمده ونستعين به ونستغفره ونعوذ بـــالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هـــادى له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . وأشهد أن محمدا عبده ورسوله " يا أيـــها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا ونســـاء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا " ... " يا أيها الذيـــن آمنـــوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطـــع الله ورســـوله فقد فاز فوزا عظيما " (١) .

ويستجيب للخاطب إطالة الكلام وللمخطوب إليه تقصيره (٢) ، وحـــدث ذلـــك فـــى خطبة محمد بن الوليد بن عتبة بن ابى سفيان عند زواجه مـــن أخـــت عمـــر بـــن عبـــد العزيز (٣) فقد أطال الأول واختصر الآخر .

ومن الجدير بالذكر أن الخطباء لم تكن تخطب قعودا إلا فى خطبة النكـــاح وكـــان يستحسن أن يكون فى الخطب يوم الحفل وفى الكلام يوم الجمع آى من القرآن فـــإن ذلـــك مما يورث الكلام البهاء والوقار والرقة وحسن الموقع (٤) .

ويبدو مما جاء بالمصادر أن معظم الأنكحة كانت تعقد فى المساجد فمثلا ذكر ابـــن حجر فى أحداث شعبان سنة ٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م أن عقد الطنبغا القرشى على بنت الملـــك المؤيد كان بالجامع المؤيدى (٥) .

(١) عبد الله المراغى : الزواج والطلاق فى جميع الأديان ، ص ١٨١ ، ١٨٢ .
(٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد – ط ٢ ، القاهرة ١٩٥٣م ، جـ ٤ ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ .
(٣) ابن قتيبة الدينورى : عيون الأخبار ، مجلد ٤ ، ط ١ ، دار الكتاب ١٩٣٠م ، ص ٧٣ .
(٤) الجاحظ : البيان والتبيين ، ط ١ ، جـ١ ، ص ٥٠ .
(٥) ابن حجر العسقلانى : أبناء العمر بأنباء الغمر ، جـ ٣ ، ص ٢٢٣ .

وذكر ابن إياس بتاريخ المحرم سنة ٨٧٤هـ/١٤٧٩م فى سلطنة الأشرف قايتباى أنه عقد للأمير يشبك الدوادار على خوند فاطمة ابنة الملك المؤيد أحمد بن الأشرف اينال وكان العقد بالجامع (١) الذى بالقلعة (٢).

كما ذكر ابن إياس بتاريخ جمادى الآخرة ٨٩٢هـ/١٤٨٧م فى عهد قايتباى أيضا أنه عقد لقانصوه خمسمائة على ابنة الأتابكى أزبك من خوند ابنة الظاهر جقمق بجامع القلعة(٣) .

وذكر بتاريخ الجمعة عاشر رجب سنة ٩٠٦هـ/١٥٠٠ م فى عهد السلطان طومان باى أنه عقد للسلطان طومان باى على خوند فاطمة ابنة العلاى على بن خاص بك ، بجامع القلعة (٤) .

وذكر بتاريخ الجمعة ثامن جمادى الآخر سنة ٩٠٥هـ/١٤٩٩م أنه عقد لأتابكى جان بلاط على خوند أصل باى الجركسية أم الملك الناصر وأخت الملك الظاهر قانصوه بجامع القلعة . (٥)

وذكر بتاريخ الجمعة الرابع عشر من شوال سنة ٩٢٠هـ/١٥١٤م أنه تم عقد المقر الناصرى محمد بن السلطان الغورى على ابنة سيباى نائب الشام بجامع القلعة . (٦)

هذا وكانت أنكحة أبناء وبنات السلاطين تعقد فى الغالب فى قلعة الجبل مقر الحكم كما كان الحال بالنسبة لعقد الملك السعيد ابن الملك الظاهر بيبرس وبنت الأمير سيف الدين قلاون . (٧)

---

(١) وأما الجامع الكبير الذى بالقلعة ليس له نظير قيل أنه يصلى فيه خمسة آلاف نفر وبه عمد عجيبة فى الغلظ وبه منارتان ' وهو من إنشاء المقام الشريف الملك الناصر محمد بن قلاوون .

ابن شاهين : المرجع السابق ، ص ٢٦ .

(٢) ابن اياس : المصدر السابق ، ط٢ ، جـ٣ ، ص ٣٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٤١ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٤٦٩ ، ٤٧٠ .

(٥)المصدر نفسه ، ص ٤٢٨

(٦) المصدر نفسه ص ٤٠٦ ، ٤٠٧ .

(٧) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات مجلد ٧ ص ٥١ .

وعقد ابنة السلطان الظاهر أبو سعيد جقمق (فى المحرم ٨٥٤هـ/١٥٤٠م) بالأمير أزبك من ططخ أحد الأمراء العشروات (١) (كان بالدهيشة). (٢)

وعقد أنوك ابن السلطان الناصر محمد (٣) (بالقصر الأبلق) (٤)

وعقد ابنة السلطان (الاثنين جمادى الآخر سنة ٧٢٧هـ//١٣٢٧م) على الأمير سيف الدين قوصون. (٥)

وكان العقد فى حالة أبناء ونبات السلاطين والأمراء يتم فى احتفال فخم يحضره القضاة الأربعة وأعيان الناس وتقام وليمة . فيذكر ابن أيبك أنه فى كتب كتاب " أنوك حضر الأربعة ايمه وفرق السكريج على الموالى الأمرا "(٦) .

وذكر ابن إياس أنه فى يوم عقد قانصوه خمسمائة جمادى الأخر ٨٩٢هـ/١٤٨٧م فى سلطنة قايتباى أحضر السلطان عدة زبادى صينى فيهم سكر ومشنات فاكهة ، فرقت فى الجامع ، فكان كما يقال فى المعنى:

---

(١) أما الدهيشة فهى من العجائب وعمارتها حسنة من خواص مجالس السلاطين وهى من إنشاء المقام الشريف الملك الناصر محمد بن قلاوون .

ابن شاهين المرجع السابق ج ٢ ص ٢٦ .

(٢) ابن اياس : المصدر السابق ج ٢ ص ٢٧٧ .

(٣) أما القصر الأبلق به ثلاث قصور شريفة وخرجاه برسم المواكب السلطانية الجميع مفروش بالرخام الملون والسقوف المدهونة بالذهب واللازودو والنقوش العجيبة إنشاء المقام الشريف الملك الناصر محمد بن قلاوون .

والدهيشة والأبلق من قصور المملكة بقلعة الجبل " ابن شاهين " : المرجع السابق ص ٢٦ .

(٤) المقريزى : السلوك جـ٢ القسم ص ٣٤٣ .

، أبو بكر ابن أيبك الدوادار : كنز الدرر جـ ٩ وهو الدر الفاخر .

تحقيق هانس رويمر القاهرة ١٩٦٠م ص ٣٦٠ .

(٥) المقريزى : السلوك جـ٢ القسم الأول ص ٣٨٣ .

(٦) ابن ايبك : السابق ص ٣٦٠ .

على ايمن الساعات عقد مبارك بهى كما شاء الإله وأظهرا [1]

سنى المعالى يسرت حركاته إذا الله سنى أمر عقد تيسرا

كما كان عن يوم عقد محمد بن السلطان الغورى على ابنة ملك الأمراء سيباى نائب الشام وهو يوم الجمعة ٤ من شوال ٩٢٠هـ/١٥١٤م حضر القضاة الأربعة وهم علاء الدين الأخميمى الشافعى والقاضى شمس الدين السمديسى الحنفى والقاضى جلال الدين ابن قاسم المالكى ، والقاضى شهاب الدين الفتوحى الحنبلى وحضر سائر الأمراء من الأكابر والأصاغر ، وحضر القاضى كاتب السر محمود بن أجا وأعيان المباشرين قاطبة فلما فرغ السلطان من صلاة الجمعة فرشت له مرتبة على باب المقصورة فجلس عليها ، وجلست الأمراء حوله بالشاش والقماش والقضاة الأربعة وجلس نواب القضاه عند المحراب ثم خطب قاضى القضاه الشافعى خطبة النكاح وطافوا على الحاضرين من الأعيان بنحو عشرين سلطانية صينى فيها سكر ، ثم أن السلطان اخلع على القضاة الأربعة كوامل صوف أبيض بصمور ، وأخلع على الأتابكى سودون العجمى والأمير طومان باى الدوادار كوامل مخمل أحمر بصمور كونهما وكلاء فى العقد ، وأخلع على صحب الدين الحلبى أما السلطان كاملية صوف بصمور [2] .

وكان يتم عقد قران الطبقة الثرية وهى طبقة المعممين وغيرهم من المقربين إلى السلطان باحتفال كبير يحضره الأمراء والقضاء مثال ذلك ما ذكره أبى الفرات فى أحداث يوم الجمعة الخامس والعشرين من شعبان سنة ٧٩٠هـ ١٣٨٨م أنه كتب كتاب القاضى جمال الدين محمود القيصرى الحنفى قاضى العساكر المنصورة بالديار المصرية فى بيت الأمير شرف الدين يونس الدوادار داخل القاهرة المحروسة على بنت الجناب الناصرى محمد بن أحمد الشهير بابن الطيلونى المهندس السلطانى وكانت زوجته قد توفيت فى فصل الطاعون الذى كان وقع فى هذه السنة وارتفع (وشاع) أن السلطان الملك الظاهر برقوق أمر القاضى جمال الدين أن يتزوجها ودفع عنه مهرها وأن الأمير جمال الدين

---

(١) ابن إياس المصدر السابق ط ٢ جـ٣ ص ٢٤١ .

(٢) المصدر نفسه جـ ٤ ص ٤٠٦ ، ٤٠٧ .

محمود أستاذ الدار العالية السلطانية حمل عنه " الشطرنج " (1) وأن الأمير أيتمش حمل عنه السكر وأعطاه عشرة آلاف درهم بسبب توابل الكتاب وحضر هذا العقد القضاه وجميع أرباب الدولة من الخليفة إلى المهمندار ولم يكن غائبا عن الحضور فى هذا العقد سوى السلطان لا غير (وأخبرنى) من كان حاضر هذا العقد أن شخص قام وأنشد قصيدة مدح فيها السلطان والأمراء والقضاة وغيرهم ولم يخل بأحد ممن كان حاضرا من أرباب الدولة (2) .

---

(1) الشطرنج شطرنجات : لعبة مشهورة معرب شترنك بالفارسية " أى ستة ألوان وذلك لأن له ستة أصناف من القطع التى يلعب بها فيه . وهى الشاه والفرزان والفيل والفرس .. الخ – والبيذق .
انظر : كرم البستانى وآخرون : المرجع السابق ، ص٣٨٧ .

(2) ابن الفرات : المرجع السابق ، مجلد ٩ ، جـ ١ ص ٣٤ .

حفل العـرس

ومن الخصائص البارزة اتصفت بها الحياة المنزلية فى عصر سـلاطين المماليك كثرة الاحتفالات والأفراح ، والتفاخر فى أحياء هذه الأفراح حتى بلغ الأمر ببعض النـاس أن يبيع الواحد ثيابة ويقترض الأموال بالربا ليتباهى أمام الناس ويقال طعام فلان أكثر مـن طعام فلان . (١)

ومن ذلك يذكر الشعرانى : " وأما أطعمة العرس الواسعة فإن الغالب على صاحبـه التكلف فيه فيطبخ ما ليس من عادته أن يطبخه مما هو فوق طاقته فترى أبا العريـس وأم العروسة أو أم العريس يبيع أحدهم ثيابه فى عمل الطعـام أو يقترض غـالب ذلـك ولـو بالربا ، ويقول : قد تجونت فى عمل هذا العرس وما بقى إلا عمله فيعمـل ذلـك الطعـام متكرها له ، ومتفاخرا به ، حتى أنه بعد ذلك ربما سمع بعض الناس يقول : كـان طعـام فلان أكثر من طعام فلان فيتأثر لذلك " . (٢)

وقد توسع المماليك فى أحياء حفلات الزواج ، ولاسيما ما كـان خاصـا بـالأمراء والسادة فلقد كانت هذه الحفلات تمتد عدة ليالى ، أو قد تمكث شهرا ، وفى كل ليلـة كـان يعرض غير ما يعرض فى الليالى الأخرى ، فإذا امتدت تلك الحفلات شهرا مثـلا رأيـت فى كل ليلة من ليالى ذلك الشهر جديدا ، ولقد كان الغناء هو أهم ما تعمر به تلك الليـالى ومعه الزمر والطبل . (٣)

ويذكر ابن دقماق أنه كانت توجد هناك قاعة لعمل الأفـراح عرفـت بقاعـة ابـن اليزيدى وكانت تقع بحارة ابن اليزيدى التى كانت بين سوق بربروزقاق القتلى ولها ثـلاث مسالك الأول من سوق بربر الثانى من درب القسطلانى الثالث من شارع يجمـع سـويقة الغنم والعكامين وزقاق القتلى . (٣)

---

(١) د. سعيد عبدالفتاح عاشور : المجتمع المصرى ، ص ١١٨ .

(٢) د. زكى مبارك : التصوف الإسلامى فى الأدب والأخلاق ، الطبعـة الأولـى ، مطبعـة الرسـالة ١٣٥٧هـ، ١٩٣٨م الجزء الأول ، ص ٣٣٦ ، ٣٣٧ .

(٣) محمد قنديل البقلى : الطرب فى العصر المملوكى (الغناء- الرقص الموسيقا) المكتبة الثقافية ٣٨٩ – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤م ، ص ٣٥ .

(٣) ابن دقماق : الانتصار – لواسطة عقد الأمصار ، ط ١ ، ج٤ ، بولاق ١٣٠٩هـ ص ١٣ .

وقد كانت المدة ما بين عقد القران والزفاف – فى الغالب – لا تتجاوز عشرة أيام تكون كلها ليالى أفراح متصلة وأيام سرور متوالية . ومن بينها يوم الحمام " حيث تمضى العروس إلى حمام عام فى موكب نسوى من قريباتها والأتراب من صديقاتها فى أحسن ما تتجمل به فتاه يتقدمها حشد من الموسيقيين والمغنيات والراقصات ثم تعود العروس فى مثل هذا المظهر من المسير إلى بيتها وذلك قبل الزفاف بيومين فهى تذهب ظهر الأربعاء إذا كان الزواج ليلة الجمعة ويوم السبت إذا كان الزواج ليلة الاثنين وقد يتقدم حاشية العروس رجلان يحملان الأوانى والملابس التى تستعمل فى الحمام على صنيتين مستديرتين تغطيان بنسيج من الحرير المطرز أو الساذج . ويوجد أيضاً سقاء يروى ظمأ السائرين من وقت لآخر . (٢) ويحمل الأخر مبخرة من الفضة يحرق فيها العود وغيره من المواد العطرية وتكون حاشية العروس من صديقاتها وقريباتها المتزوجات ، يتقدمن اثنين وتتلوهن الفتيات العذارى ، تلبس المتزوجات الملابس العادية ويتدثرن بالحبرة الحريرية السوداء ، أما الأخريات فيلبسن الحبرة الحريرية البيضاء أو الشال ثم يتبعهن العروس تحت مظلة حريرية ذات ألوان زاهية ، قرنفلية أو وردية أو صفراء ويحمل المظلة من قوائمها الأربعة ، المعلق على كل منها منديل مطرز أربعة رجال ، ويفتح صدر هذه المظلة .

وتتدثر العروس من قمة الرأس إلى أخمص القدمين ، بشال من كشمير أحمر أو نادرا بشال أبيض أو أصفر . ويتوج رأسها بغطاء من الورق المقوى ، يوضع عليه الشال فيحجب عن الأنظار وجهها وملابسها الثمينة وحليها خلا قصة أو قصتين وحلى أخرى تعلق على هذا الموضع من الشال الذى يغطى الجبهة .

ويرافق العروس تحت المظلة اثنتان أو ثلاث من قريباتها ، وامرأة أخرى تروح عليها بمروحة كبيرة من ريش النعام الأسود يزين أسفلها مرآة صغيرة , وقد تقام زفة واحدة لعروسين معا تحت مظلة واحدة وتسير الزفة ببطء شديد وتتبع طريقا ملتويا ليطول العرض .

---

(٢) محمود أحمد الحفنى : موسيقى القاهرة فى ألف عام مجلد للفنون الشعبية ، مارس ١٩٧١م – العدد ١٦ ، ص١٢ ، ١٣ .

وتتوجه إلى اليمين عند البدء فى السير . ويأتى فى ذيل الزفة فرقة موسيقية أخـرى مثل الأولى أو فرقة من طبالين اثنين أو ثلاثة . (١)

وتوجد فى حمامات السيدات الماشطة والبلانة وهما يقومان بجميع وسائل التجميل المعروفة من تصفيف للشعر وإزالته من الجسم وتزيين الوجه بكافة الطرق ، وبذلك تبدو السيدة عند مغادرتها للحمام فى أجمل زينة وأكمل هيئة . (٢)

ومن الجدير بالذكر أن عادة مرافقة النساء والفتيات للعروس بكثرة إلى الحمام لم تقتصر على مصر فقط بل وجدت فى حمص أيضا فيذكر أبو الفداء فى حوادث عام ٧٣٣هـ/١٣٣٢م أنه وقع بحمص سيل عظيم هلك به خلائق ومات بحمام تتكز نحو مائتى امرأة وصغير وصغيرة وجماعة رجال دخلوا ليخلصوا النساء ، وكان بالحمام عروس فلهذا كثر النساء بالحمام " . (٣)

ويذهب العريس أيضا إلى الحمام ويعود بين أصدقائه وأقاربه من المدعوين فى موكب موسيقى بديع ، حيث أن الحمام فى ذلك اليوم يكون خاصا بالعرسين. (٤)

ويقيم العريس بعد عودته من الحمام مأدبة ، فيها يجلس كل مجموعة من المدعوين على سجادة حول صينية موضوعة على حامل وأمامهم الطعام والعيش والسلطة والماء.(٥)

وتعود العروس من الحمام إلى منزل أهلها – بنفس الزفة السابقة فتتناول العشاء مع رفيقاتها ، وتصحبهن القيان لاستئناف اللهو . وبعد ذلك تعجن بعض الحناء فى إناء فبعد الحمام تكون الحناء .

---

(١) لين : المرجع السابق ص ١٤٧ – ١٤٩ .

(٢) أحمد ممدوح حمدى : المرجع السابق ص ٤٤

(٣) أبو الفدا : تاريخ ابى الفدا ، جـ٤ ص ١٠٧ ، ١٠٨ .

(٤) محمود أحمد الحفنى : المرجع السابق ص ١٢ ، ١٣ .

(٥) Ebers : L’ Egypte du caire Aphilae, Paris 1881.P.225.

ليلة الحنـاء

من المعتاد أن الليلة السابقة على الزواج هى " ليلة الحناء " ولـــهذه الليلـــة أهميـــة كبرى ، وخصوصا عند الفلاحات أما فى الحضر فالحناء أقل أهميـــة لنظافتـــهن ، وعـــدم تقديدهن بقيود الفلاحات . (1)

وتتحنى العروس بالحناء المدقوقة المعجونة مع صديقاتها ، فتضع قطعة من العجيـن فى يدها ، ثم تتناول النقوط الذهبية عادة فى تلك العجينة حتـــى لا يبقـى موضـــع فيـــها فتقشطها العروس حينئذ بعيدا عن يدها على حافة وعاء مملوء بماء ثـــم تضيـــف بعـــض الحناء إلى يدها وقدميها وتربطها بالكتان حتى الصباح وقد يضعن فتلا فى الأيـــدى حتـــى تظهر كأنها منقوشة فتصبغ بلون غامق أو أحمر برتقالى قان .

---

(١) أحمد أمين : المرجع : السابق ، ص ٣٤٩ .

ليلة الدخلة

وفى الليلة التالية ليوم الحمام والحناء تكون ليلة الدخلة ، وفيها يقام حفل الزفاف .

وقد أطنب المؤرخون المعاصرون لأحداث عصر المماليك فى وصفهم لحفلات العرس فى ذلك العصر . وما يقام فيها من ولائم ينفق عليها يبذخ يفوق الحد فذكر ابن إياس تحت أحداث ٦٧٣هـ/١٢٧٥م فى سلطنه الظاهر بيبرس البندقدارى دخول الملك السعيد ابن السلطان على بنت الأمير قلاون الألفى غازية خاتون([1]) وأقيم المهم بالقلعة لمدة سبعة أيام([2]) وذكر المقريزى بتاريخ يوم الاثنين الثامن عشر من شعبان سنة ٧٢٣هـ/١٣٢٣م " وفيه كان عرس أمير على بن أرغون النائب على ابنة السلطان " وعمل المهم مدة ثلاثة أيام حضره نساء الأمراء بتقاديمهم : وهى ما بين أربعمائة دينار سوى تعابى القماش – إلى مائتى دينار وكان فيه ثمانى جوق من مغانى القاهرة ، وعشرون جوقة من جوارى السلطان والأمراء خص على كل جوقه من جوق القاهرة خمسمائة دينار ومائة وخمسون تفصيلة حرير ، ولم يحصر ما حصل لجوارى السلطان والأمراء لكثرته فلما انقضى المهم بعث السلطان لكل من نساء الأمراء بتعبية قماش على قدرها ، وعم جميع الأمراء بالخلع ، وفضل من الشمع بعد ما استعمل منه مدة العرس ألف قنطار مصرى ، وأنعم (السلطان) على الأمير أرغون النائب بمنية بنى خصيب زيادة على إقطاعه ([3]) .

هذا وقد قام السلطان الناصر محمد – فى جمادى الأخرة من سنة سبع وعشرون وسبعمائة / ١٣٢٦م حفل([4]) زواج ابنته عروس الأمير قوصون الناصرى – وهى البنت الثانية التى تزوجها الملك الناصرى لمماليكه فى سنة ٧٢٧هـ / ١٣٢٧م ([5]).

---

(١) أبو الفداء : المرجع السابق جـ ٤ ص ٩ .

(٢) ابن إياس :المصدر السابق جـ١ / القسم الأول ٣٣٥ .

(٣) المقريزى : السلوك جـ٢ / القسم الأول ، ص ٢٤٩ .

(٤) يعبر عنها بالعرس فى حال ما إذا أقيمت فى عشيرة الرجل وبالعمرة فى حالة ما إذا أقيمت فى عشيرة المرأة .

عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى ، ص ١٢٥ ، ١٢٦ .

(٥) ابن تغرى بردى : السابق جـ١٠ ص ٤٦ ، ٤٧ .

، شمس الدين الذهبى : دول الإسلام جـ١ ص ٢٣٥ .

وفيه أقيمت الأفراح مدة سبعة أيام ذبح فيها خمسة آلاف راس من الغنم والضـــأن ، ومائة رأس من البقر ، كما ذبح فيه أيضا خمسون فرسا ومن الدجاج والأوز ما لا يحصـى كثرة .

وقد يبدو ذبح الفرس غريبا أمام القارئ فى عصرنا الحديث ولكن غرابته تـزول إذا ما عرف أن لحم الخيل كان يقدم فى عصر الناصر بل فى عصر المماليك عامـــة ، فـى الولائم الكبرى ، وليس بعيدا أن يكون ذلك راجع فى أصلة إلى عوائد المماليك فى البـــلاد التى كان معظمهم يجلبون منها (حول نهر الفولجا) فقد كانت لحـــوم الخيـــل فـــى تلـــك الجهات تقدم فى ولائم الأعياد والمواسم .

وقد استعمل أيضا فى هذا الحفل من الســكر برسـم الحلـوى وتحـالى الأطعمــة والمشروب كميات هائلة .

وبلغ وزن الشمع الذى أحضره الأمراء ثلاثمائة وإحد عشر قنطارا ، وعمـل بـرج بارود ونفط ، أى ألعاب نارية بلغتنا الحديثة ، وحصل المغنيات على نقوط بلـــغ مقـدراه عشرة آلاف دينار وقدم جميع أمراء مصر والشام هدايا جليلة . (١)

وأقام السلطان الملك الناصر محمد أيضا – فى شعبان سنة ٧٣٢هـ ١٣٣٢م حفـل عرس ابنه آنوك ، ويقال كان اسمه محمد ، على بنت الأمير بكتمر الســاقى وفيـه رسـم بإحضار جميع من القاهرة ومصر من أرباب الملهى إلى الدور السلطانية ووقع الشـــروع فى عمل الأخوان ، فأقام المهم سبعة أيام بلياليها . واستدعى (الســلطان) حريـم جميـع الأمراء إليه فكان أمراء عظيما . (٢)

وذبح فى هذا العرس من الأغنام والدجاج والإوز والخيل نحو من عشـــرين ألفـا " وحصلت حلوى بنحو ثمانية عشر ألف قنطار بالمصرى من السكر وحصل له من الشـــمع ثلاثة آلاف قطار ، (٣) وصرف فى كلفته ما يفوق الحصر ، (٤) .

---

(١) محمد عبد العزيز مرزوق ، الناصر محمد ص ٢٤٨ ، ٢٤٩ .

(٢) المقريزى السلوك جـ ٢ / قسم ٢ ص ٣٤٥ .

(٣) ابن حبيب : تذكرة النبيه جـ٢ ص ٢٢١ .

(٤) أبو الفداء البداية والنهاية جـ ١٤ ص ١٥٧ .

ثم جلس السلطان فى ليلة الجمعة حادى عشر شعبان – وهى ليلة العرس على باب القصر ، وأشعلت تلك الشموع بأسرها وجلس ابنه الأمير آنوك تجاهه وأقبل الأمراء جميعاً وكل أمير يحمل بنفسه شمعه وخلفه مماليك تحمل الشمع ، فتقدموا على قدر رتبهم ، وقبلوا الأرض واحداً بعد واحد طول ليلهم ، حتى (إذا) كان آخر الليل نهض السلطان وعبر إلى حيث مجتمع النساء ، فقامت نساء الأمراء بأسرهن ، وقبلن الأرض واحدة بعد أخرى ، وهى تقدم ما أحضرت من التحف الفاخرة والنقوط حتى انفضت تقادمهن جميعاً ورسم السلطان برقصهن عن آخرهن ، فرصن أيضاً واحدة بعد واحدة ، والمغانى تضرب بدفوفهن ، وأنواع المال من الذهب والفضة وشقق الحرير يلقى على المغنيات فحصل لهن ما يجل وصفه ، ثم زفت العروس . (١)

ومن المعروف أن السلطان الناصر محمد بن قلاوون قد أشرف فى حفلات عرس أبنائه وبناته وكان الأمراء وزوجاتهم يحملون إليه الكثير من الهدايا والتحف مثلما حدث فى زواج ابنته عروس الأمير قوصون وابنه آنوك ولذا عندما حل عرس ابنه الأمير طغاى تمر قال " ما نعمل له عرسا ، لأن الأمراء يقولون هذه مصادره بحسن عبارة " فلاحظ الناصر تغير طغاى تمر فلذا أمر القاضى تاج الدين اسحاق ناظر الخاص بعمل ورقة بمكارمة الأمراء فى عرس قوصون فوجد جملتها خمسون ألف دينار فأمر بإعطاء طغاى تمر نظيرها من الخزانة هذا سوى ما داخل مع الزوجة من الجهاز . (٢)

ويذكر ابن تغرى بردى فى مستهل شعبان سنة ٧٤٦هـ/١٣٤٥م فى سلطنة الملك الكامل شعبان ابن السلطان الملك الناصر محمد الآتى :

" عمل السلطان مهمه على بنت الأمير طقزدمر الحموى سبعة أيام بلياليها ، ويذكر المقريزى بشأن هذا العرس أنه اجتمع فيه نساء الأمراء جميعا . وكانت فيه عدة جوق مغانى ، حصل لهن من الذهب والفضة تفاصيل الحرير شئ يجل وصفه ، (و) بلغ نصيب ضامنة المغانى بمفردها ثمانية ألف درهم ، سوى بقية المغانى " . (٣)

---

(١) المقريزى : السلوك جـ٢/قسم ٢ ص ٣٤٦ .

(٢) المصدر نفسه ص ٥٣٥ .

(٣) ابن تغرى بردى : المصدر السابق ، جـ١٠ ص ١٢٣ .

وذكر المقريزى فى أحداث ذو القعدة سنة ١٣٤٥/٧٤٦م فى سلطنة الملك الكامل شعبان ابن الملك الناصر محمد الآتى : " وفيه أعرس بعض الطواشية ببعض سرارى السلطان بعد عقده عليها ، فعمل له السلطان مهما حضره جميع جوارى بيت السلطان وجليت العروس على الطواشي ، ونثر السلطان عليها وقت الجلا الذهب بيده فكان أمرا شنيعا "(١) .

ويذكر ابن إياس بتاريخ ذى القعدة سنة ٧٤٧هـ/١٣٤٦م فى سلطنة الملك المظفر زين الدين حاجى بن الناصر محمد بن قلاوون : " وفيه دخل السلطان على زوجته بنت تنكز ، وعمل المهم سبعة أيام جمعت سائر أرباب الملهى ، فخص كل جوقه خمسة آلاف درهم . ونثر (السلطان) على العروس عند جلائها الذهب صبحها من الغد بألفى دينار".(٢)

ويذكر المقريزى فى حوادث سنة ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م الأمير برلغى الصغير ، قريب السلطان الملك المنصور قلاون الذى قدم إلى القاهرة محبة القازانية سنة أربع وسبعمائة فأنعم عليه بأمره وتزوج ابنه الأمير بيبرس الجا شنكير قبل سلطنته وعمل له مهم عظيم أشعل فيه ثلاث آلاف شمعة . (٣)

ويذكر المقريزى أيضا بتاريخ ربيع الآخر سنة ٧٥٤هـ/١٣٥٣ " وفيه أعرس الأمير جنتمر أخوطاز بابنة الأمير أقسنقر وأنعم عليه بسبعة آلاف دينار ومائتى قطعة قماش وعمل له مهم جليل " .

ويذكر ابن حجر بتاريخ شوال سنة ٧٩١هـ /١٣٨٩ وفيه " تزوج منطاش ستيته بنت الملك الأشراف أخت السلطان المنصور فزفت عليه " وعلق برأسها ليلة الزفاف دينار زنته مائتا مثقال ثم دينا زنته مائة مثقال . (٤)

---

(١) المقريزى : السلوك ، جـ ٢ . قسم ٣ ص ٦٩٠ ، ٦٩١ .

(٢) المصدر نفسه جـ ٢ . قسم ٣ ص ٦٩٦ .

(٣) المصدر نفسه ص ٧٩٣

(٤) ابن حجر : أبناء العمر وأبناء العمر جـ١ ص ٣٧٩ .

ويذكر ابن الفرات بشأن هذا العرس أنه كان عرسا حفلا أخبرنى من اثـق بـه أن الأمير منطاش أمر أن يعمل من الذهب المصرى دينارين أحدهما زنتـه مـائتين مثقـال والثانى زنته مائة مثقال وأنه لما استجلاها علقها بكلاليب فى شربوش العروسـة وجلاهـا عليه خوند الست سمرا زوجة الملك الأشرف شعبان وأسكن الأمير منطاش زوجتـه ابنـة الأشرف الأشرفية بقلعة الجبل وجعل للقصر باب من الأسطبل السلطانى من عنـد بـاب السر . (١)

ويذكر كل من ابن حجـر وابـن إيـاس فـى حـوادث ٢١ مـن المحـرم سـنة ٨٠٤هـ/١٤٠٢م . فى سلطنة الناصر فرج عبد الظاهر برقوق واتم فـى حفـل عـرس الأمير الكبير نوروز بخوند سارة ابنة الملك الظاهر بالآتى " كانت الوليمة هائلة ذبح فيـها ثلاثمائة رأس من الغنم ، وستة عشر فرسا " . (٢) وفى شهر صفر من نفس السنة يذكـر ابن إياس " وفيه كان دخول إينال باى بن قجماس ، على خوند ، أخت السلطان الصغـرى بنت الملك الظاهر برقوق ، وكان لها مهما حافلا. (٣)

ويذكر كل من ابن حجر وابن إياس بتاريخ رجب سنة ٨١٦هـ/١٤١٣م أنه فيـه " تزوج إبراهيم بن المؤيد بنت الناصر التى كانت زوجة بكتمر جلق ودخـل بـها فوجدهـا بكرا وعمل له مهم كبير ". (٤)

ومن الجدير بالذكر أنه فى شوال سنة ٨٣٢هـ/١٤٣٩م أمر السلطان بمنع النـاس من الأعراس والزفف ، خوفا على الناس من فساد مماليكه ، فإن فى تلـك الأيـام تزايـد شرهم ، وحصل منهم غاية الضرر فخشى السلطان من هجم جماعة من الممـاليك علـى النساء فأمر بإبطال الأفراح مطلقا . (٥)

---

(١) ابن الفرات : المرجع السابق ، مج ٩ ، جـ١ ، ص ١٤٥.

(٢) ابن حجر : جـ٢ ص ١٩٩ ، ابن إياس المصدر السابق جـ١/ قسم ٢ ص ٦٣٩ .

(٣) المصدر نفسه ص ٦٤٠ .

(٤)ابن حجر : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص١٣ .

(٥) ابن إياس : المصدر السابق جـ٢ ص ١٢٥ .

ويذكر السخاوى بتاريخ يوم الأربعاء سادس عشر من شهر ربيع الأول سنة ٨٥٤هـ/١٤٥٠م أن السلطان أبو سعيد جقمق عمل وليمة عرس ابنته " وهى مدة هائلة للأمراء بالحوش السلطانى ثم كان المهم الكبير من الغد للنساء ببيت كاتب السر خال العروس وللرجال ببيت الزوج وهو المكان الذى عمره قزطوغان الأستادار خارج بابى زويلة وركب منه بعد صلاة المغرب إلى قاعة بالقرب من الخيميين فأقام بها حتى صلى العشاء ثم ركب وهو لابس أطلس مرا وكاتب السر وناظر الجيش وناظره الخاص ومن شاء من الأعيان والأمراء بين يديه مشاة بل وحمل الأمراء الشموع أمام فرسه ودخل قاعة الفرح فحصل الجلاء ثم بنى بها"([1])

ويذكر ابن إياس بتاريخ شعبان سنة ٨٥٧هـ/١٤٥٣م فى سلطنة الملك الأشرف أبى النصر سيف الدين إينال العلائى الظاهر أنه عملت فيه " وليمة عرس خوند فاطمة بنت السلطان على الأمير يونس البواب أمير داودار كبير وكان مهما حافلا بالقلعة استمر ثلاثة أيام متوالية ثم نزلت فى محفة إلى دار زوجها وكانت ليلة حافلة عند نزولها من القلعة »([2]) .

وذكر ابن إياس أيضا تحت حوادث شهر رجب سنة ٨٩٢هـ/١٤٨٧م فى سلطنة الأشرف قايتباى أنه فيه كان دخول « قانصوه خمسمائة على ابنه الأتابكى أزبك ، ولما كان ليلة العرس عمل بالأزبكية ، وكان حافلا ، ومدت هناك الأسمطة الحافلة ، ثم أن قانصوه خمسمائة ركب بعد العشاء من باب السلسلة ، ومشت قدامه الأمراء المقدمين وهم بالشاش والقماش ، ومشت الخاصكية قدامه وبأيديهم الشموع الموقدة ، فشق من القاهرة حتى وصل إلى الأزبكية ، وعدت هذه الزفة من النوادر الغريبة ، لكن حصل تلك الليلة غاية الضرر من المماليك الجلبان ، خطفوا العمائم ، وخربوا جماعة من الأمراء المقدمين وخطفوا الشمع من أيدى الخاصكية ، وما حصل تلك الليلة منهم خير وكادت تكون فتنة عظيمة ([3]).

---

(١) السخاوى : التبر المسبوك فى ذيل السلوك ، المطبعة الأميرية ببولاق ١٨٩٦م ، ص ٣٠٢ .

(٢) ابن إياس : المصدر السابق ، ص٣١٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ص٢٤٢

كما ذكر ابن إياس فى شهر شعبان سنة ٨٩٩هـ/١٤٩٤م فى سلطنة الأشرف قايتباى أنه كانت فيه " وليمة (١) عرس الأمير جان بلاط ، على ابنة القاضى كاتب السر ابن مزهر ، وهى أخت البدرى كاتب السر ابن مزهر وكان مهما حافلا (٢) " .

كذلك ذكر ابن إياس فى حوادث شهر شعبان سنة ٩١١هـ/١٥٠٥م فى سلطنة الغورى أنه كان فيه دخول الأمير طراباى رأس نوبة الثوب على أخت خوند الخاصبكية وهى زوجة الأمير أقبردى الدوادار ، فكان لها مهما حافلا(٣) .

كما ذكر ابن إياس فى حوادث ذى القعدة سنة ٩١٢هـ/١٥٠٦م فى سلطنة الغورى أيضا أنه " فى هذا الشهر كان دخول الأمير طومان باى قريب السلطان على ابنة الأمير اقبردى الدوادار ، فكان لها مهم حافل وزف لها الجهاز حافل حتى رجت له القاهرة ، فلما كان ليلة الدخول مشى فى زفة الأمير طومان باى الأتابكى قرقماس وسائر الأمراء قاطبة وبأيديهم الموكبيات الشمع الموقدة ، وكانت هذه الزفة تعادل زفة الأمير جانم قرابة الأشراف قايتباى لما تزوج بأخت خوند ابنة خاص بك "(٤)

وذكر ابن إياس أيضا فى حوادث شهر المحرم سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م فى سلطنة الغورى أنه " فى يوم الخميس ثامن عشرة كان دخول الأمير قايتباى أحد الأمراء

---

(١) الوليمة اسم للطعام الذى يصنع عند العرس وقال ابن سيده هى طعام العرس والأملاك وقيل هى كل طعام يصنع لعرس وغيره وقال النووى هى مشتقة من الولم وهى الجمع لأن الزوجين يجتمعان وقال ابن الأعرابى أصلها عام الشئ واجتماعه والفعل منها أو لم وقال أبو منصور النقيمة طعام الأملاك قاله النضر قال وربما نقعوا عن عدة من الإبل أى سخروه وقال إذا زوج الرجل فأطعم عيلته قلنا نقع لهم وعن الأصمعى النقيعة .

" وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن عبد الرحمن بن عوف جاء إلى النبى ﷺ وبه أثر صفرة فسأله رسول الله ﷺ فأخبره أنه تزوج امرأة من الأنصار قال كم سقت إليها قال زنة نواة من ذهب قال رسول الله ﷺ أولم ولو بشاة " .

انظر العينى : عمدة القارى لشرح صحيح البخارى ، جـ٩ ، ص ٤٣٨ ، ٤٣٩ .

(٢) ابن اياس : المصدر السابق ص ٣٠٢ .

(٣) المصدر نفسه . جـ٤ ، ص٨٧

(٤) المصدر نفسه ، جـ٤ ، ص ٨٧ .

الطبلخانات وهو قريب زوجة الأتابكى قانم التاجر ، على ابنة الأمير طقطباى نائب القلعة أحد المقدمين ، فكان هذا العرس من الأعراس الحافلة ، قيل اجتمع فيه من المغانى خمسة وعشرون ريسة ، ومدوا فيه أسمطة حفلة من الأطعمة الفاخرة ، وصنعوا فيه شموعا مزهرة ما بين قصور وشمامات وكان من المهمات المشهورة " (1)

ومن الغريب أن الناس كان من عاداتهم فى الأعراس أن يلبسوا العرائس لباس الرجال من جندى وقاض وغيرهما " وذلك حرام لا يفعله فى داره من له مروءة أهل الإيمان " (2)

زفة العروس

وبعد نهاية حفل العرس تأتى زفة العروس (3) إلى منزل عريسها وفيها تركب العروس محفة - إذا كانت من بناء السلاطين والأمراء - والمحفة محمل فى أعلاه قبة ، وله أربعة سواعد : ساعدان أمامها وساعدان خلفها ، تكون مغطاة بالصوف الجوخ تارة وبالحرير تارة أخرى ، تحمل على بغلين أو بعيرين ، يكون أحدهما فى مقدمتها والأخرى فى مؤخرتها ، إذا ركب منها الراكب صار كأنه قاعد على سرير ، وهذه كانت تصحب السلطان فى السفر ، فكان يتصدى للأشراف عليها موظف خاص اسمه " المحفدار "

(1) نفس المصدر السابق جـ5 ، ص 9

(2) د. زكى مبارك : المرجع السابق ، جـ1 ، ص 346 .

(3) (زف) الزاء والفاء أصل يدل على خفة فى كل شئ ، ومنه زفت العروس إلى زوجها ، وزف القوم فى سيرهم إذا أسرعوا .

زفة العروس نقلها من بيت أبويها إلى بيت زوجها .

أنظر : ابن الحسين أحمد بن فارس بن زكريا : معجم مقاييس اللغة جـ3 ، ص 4 ، إبراهيم مصطفى وآخرون : المرجع السابق ، جـ1 ، ص 397 .

وربما أطلق عليه " الكجاوات " حمع " كجاوة " وهى من أصل فارسى ، تعنى الهودج ، فكانت تخرج أيضا فى الأسفار ، كذلك توجد محفات مزخرفة مزركشة تستخدم لحمل حريم السلطان (١) .

ويطلق على الهودج الظعينة (٢) ، أما القماش الذى يغطى به الهودج فيسمى سلجط(٣) أو سديل وسدون (٤) .

وبدار الكتب المصرية مخطوط به صفحتان كتب عليهما صفة عمل الهودج . (لوحة ٢٧٣) .

وفى المتحف القبطى هودج ولكنه مكسور والجزء المكمل منه هو قمته ، وبالمتحف الأثنوغرافى هودج يرجع إلى القرن ١٣هـ/١٩م ، (لوحة ٢٧٣) .

ويذكر لين بالنسبة لزفة العروسة أنها تكون مثل زفة الحمام تماما ، وتتناول العروس الفطور مع حاشيتها ، ثم تبدأ الزفة بعد الظهر ، فتسير ببطء وانتظام ، سيرا طويلا خلال الشوارع الرئيسية لأجل العرض ، ولو كان منزل العريس قريبا ، وقد تدوم الزفة ثلاث ساعات أو أكثر عادة . هذا وتتم حفلات الزواج فى القاهرة عند الطبقات التى تعلو الطبقات السفلى وإن حقرت معيشتها ، بنفس طريقة الطبقة الوسطى . إلا أنهم يراعون البساطة عندما يستحيل تحمل نفقات مثل الزفة السابق وصفها ، فتسير العروس متدثرة بشال أحمر ، ويحيط بها فريق من قريباتها فى أحسن حللهن . ولا يبهج الموكب غير الزغاريد (٥) .

---

(١) عبد المنعم ماجد : نظم دولة سلاطين المماليك ، جـ٢ ، ص ٩٦.
أحمد أمين : المرجع السابق ، ص ١١٤ .
(٢) بطرس البستانى : قطر المحيط ٢ ، ص ١٢٧٥ .
الأصفهانى : الأغانى جـ٣ ، ص ١٥٩.
(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ١٥٩ .
(٤) أحمد رضا : المرجع السابق ، مجلد ٣ ، ص ١٣٠ ، ١٣١ .
(٥) لين : المرجع السابق ، ص ١٥٠ .

وبالنسبة لزفة العروس الفلاحة ، ففيها تركب العروس جملا ، وهى متدثرة بشال ، إلى منزل العريس ، وقد يجلس معها على الجمل بعض النساء والبنات اثنتان على جانبيها ، واحدة أو ثلاثة وراءها ، ويتبع العروس جماعة من النساء يغنين ، وكثيرا ما يتبادل أصدقاء الطرفين وصديقاتهما فى منزل العريس ، مساء يوم الاحتفال والأيام السابقة ، ويلهون فى الهواء الطلق طويلا بالأغانى والرقص الذى ينقصه المهارة على ألحان الدف والطبل([1]) .

ويذكر الشربينى عن أعراس الفلاحين " أنها مثل قيام الغارات أو تعفير الكلاب فى الحارات يدوروا بالعريس دورة وهم فى غارة أو غورة وعائط وصرخات ودواهى وبليات وزعيق وعفرة وصياح وغبرة والكلاب تنبح والشعراء تمدح والطبل يضرب والمشاة حوله تلعب والجدعان تخبط بالنبابيت والأولاد تنط بالشلاتيت وربما كانوا فى هزل صاروا فى الجد وربما هشموا بعضهم البعض وقد يموت الواحد منهم والاثنين ويحصل من هذا الفرح الهم والشين وتخرب من فعلهم البلد ويزيد الهم والنكد ثم بعد هذه الدورة يفرشوا للعريس جنب الجورة ويجلسوا على نخ أو حصير أو برش من أبراش البير ويأتوا بالعروس كأنها فحل جاموس منقشة بالحبر والهباب وقدامها الشاعر بالرباب وخلفها الصبايا بالزغاريد تصيح والجدعان تمشى بالمصابيح ويرشوا عليها الملح خوف النظرة وقد خلطوا وجهها بالسواد والحمرة ويكشفوا وجهها عند الجلا وصارت بهذه الفعلة مثله بين الملا وهذا من أقبح أفعالهم وأتعس أحوالهم إذ لا يجوز هذا فى الشرع ولا يقول به أصل ولا فرع ثم أنهم يجلسوها على شئ عال ويأتى إليها الطبال وينشدوها الأشعار مما هو مناسب بالاعتبار .

يا عروسة يا أم غالى * انجلى ولا تبالى انجلى يا وجه بومه * زاعقة وسط الليالى * وجهكى بالنقش يشبه * وجه ضبعة فى الرمال لك مسخة شعر يربط * فوق راسك لا حال * تشبهى به أم مجبر * دائرة وسط التلال يا عريس قم خد عروستك * واطلع بها فوق العلالى

تصلحى له يا عروسة * تم أمرك بالكمال([2]) .

---

(١) المرجع نفسه ، ص١٥٥

(٢) الشربينى : المرجع السابق ، جـ١ ، ص ٩ ، ١٠ .

عرس أهل الذمة

كان من المعتاد لدى أهل الذمة أن يقيموا أعراسهم بالمغانى والملاهى فيذكر ابن حجر بتاريخ جمادى الأولى سنة ٧٨٥هـ/١٣٨٣م ، وفيه عمل أهل برمة وهم نصارى – عرسا بالمغانى والملاهى على عادتهم " (١) .

وينقل لنا أحد الرحالة الذين زاروا مصر فى القرن ١٥م /٩هـ أنه كان من تقاليد الأقباط فى ليلة العرس أن يذهب العريس والعروسة إلى الكنيسة تصحبهم ترانيم مع إيقاع على آلة موسيقية أو شاكوش من الخشب على قطعة خشبية أخرى ويذهب العريس إلى داخل المذبح حتى يطلب عليه الكاهن فى أول وآخر كل صلاة ثم يجلسهم تحت الصليب مغطى بعباءة ويربط حزاما وعلى رأسه مفرش أبيض ثم يؤخذ إلى العروس التى جلست خارج المذبح ثم يرش عليهما الزيت على الجبين وعلى الرسغ (يرسم صليب بهذا الزيت) ثم يستمعون إلى خطبة الزواج ممسكين بأيديهما وبعد تتويج العرسان يبدأ الغناء ثم القداس (٢) .

---

(١) ابن حجر : ابناء العمر : جـ١ص ٢٧٣ .

(2)Grabriel Hanotoux : Histoire de la Nation Egyptienne. Tome I-introduction General par Gabriel Hanateux-la Geographie de 1' Egypte A travers les Ages par Charles de la Ropeiere, Paris 1931, P. 309.

جهاز بنات السلاطين – بنات الأمراء

بنات التجار – الطبقة المتوسطة – السفلى

لقد أدى التنوع بين طبقات المجتمع فى عصر المماليك ما بين حكام ومعممين وتجار وصناع وأرباب حرف وعوام وأهل ذمة وفلاحين إلى التنوع فى الجهاز بين طبقة وأخرى فجهاز بنت السلطان أو الأمير من المماليك يختلف عن جهاز بنت التاجر أو الصانع أو الفلاح ، فكل يجهز ابنته حسب ثرائه ، وقد أسعفتنا المصادر التاريخية المعاصرة لأحداث العصر المملوكى فى مصر بوصف العديد من جهاز بنات السلاطين حكام البلاد والأمراء فى حين تجاهلت كلية هذا الشأن بالنسبة للطبقات المتوسطة والطبقات الدنيا من الشعب .

فبالنسبة لجهاز بنات السلاطين يذكر المقريزى ، فى أحداث سنة ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م أن السلطان الناصر اعتنى بجهاز ابنته – عروس الأمير على بن أرغون النائب – عناية عظيمة وعمل لها بشخاناه وستارة وداير بيت زركش بمبلغ ألف دينار وآت (١) ذهب وفضة بما ينيف عن عشرة آلاف دينار " (١) ......

---

(١) آت AT كلمة تركية تعنى حصان ، آت الحصان .

انظر : د. الصفصافى أحمد المرسى ، د. إدريس نصر محجوب : اللغة العثمانية والنصوص ، القاهرة ١٩٨٠ ، ص٢٥ ، ٣٩ .

وجاءت آت على أنها كلمة تركية تعنى حصان فى كثير من قواميس اللغة انظر : ش. سامى : قاموس تركى ، الناشر : أحمد جودت ، درسعادت ١٣١٧ ص١٨ .

Artin Hindoglu: Dictionnaire Abrege Turc-Francais, Vienne 1838, P. 5, T. X.
Bianchi et J. D. Kieffer: Di Ctionnaire Turc.
- Francais, Tome I, paris MDCCCL 1753, P. 13.

فلا يعقل أن يكون من بين الجهاز حصان من الذهب ففى أى شئ ستستخدمه العروس ولكن يبدو أن كلمة آت هى (آتى) أو (آتاها) أو أعطاها أو ساق إليها ، ويتضح ذلك من قواميس اللغة – و (آتى) فلاناً الشئ : آتى به إليه .

قال الله تعالى : (قال لفتاه آتنا غداءنا) ، وأعطاه إياه ، قال تعالى : (وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين).

=

وعمل سائر الأوانى من ذهب وفضة ، فبلغت زنة الأوانى المذكورة ما ينيف على عشرة آلاف مثقال من الذهب . وتناهى فى هذا الجهاز ، وبالغ فى الإنفاق عليه ، حتى خرج عن الحد فى الكثرة فإنها كانت أول بناته (٢).

وبعد ذلك بأربع سنوات أى فى جمادى الآخرة من سنة ٧٢٧هـ/١٣٢٦م جهز السلطان الناصر محمد بنت أخرى وهى عروس الأمير قوصون – صاحب المسجد المشهور بشارع محمد على بالقاهرة وكان جهازها شيئا عظيما (٣) : منه بشخاناه وداير بيت زركش ، زنة البشخاناه بمفردها مائة ألف مثقال ذهبا (٤).

ومن الجدير بالذكر أن السلطان الناصر محمد جهز احدى عشر ابنه له بالجهاز العظيم ، وكانت أقلهن جهازا بثمانمائة ألف دينار : منها قيمة بشخاناه ودايـر بيت وما يتعلق به بمائة ألف دينار ، وبقية ذلك ما بين جواهر ولآلئ وأوانى ونحو ذلك ، ثم أنه زوجهن من مماليكه : مثل الأمير قوصون ، والأمير بشتاك ، والأمير الطنبغا الماردينى والأمير طغاى تمر والأمير عمر بن النائب وغيرهم .

وجهز سراريه وجواريه ومن يحسن بخاطره من النساء كل واحدة بنحو ذلك وبأكثر منه (٥) .

= انظر : إبراهيم مصطفى وآخرون : المعجم الوسيط جـ١ ص ٤ ، ٥.

وآتى إليه الشئ بالمد إيتاء (ساقه) وجعله يأتى إليه وأتى فلانا شيئا إيتاء إعطاء إياه ومنه قوله تعالى ويؤتون الزكاة وفى الصحاح آتاه أتى به ومنه قوله تعالى (أتنا غداءنا) أى ائتنا به . قلت فهو بالمد يستعمل فى الإعطاء وفى الإتيان بالشئ وفى الكشاف اشتهر الإيتاء فى معنى الإعطاء واصلة الإحضار .

انظر : محب الدين أبى الفيض : شرح القاموس المسمى تاج العروس ، جـ١٠ ص٨ .

(١) المقريزى : السلوك ، جـ٢ / القسم الأول ، ص ٢٤٩ .

(٢) على مبارك : المرجع السابق ، ط ٢ ، جـ٢ ، ص ٣١٨ .

(٣) محمد عبد العزيز مرزوق : الناصر محمد ، ص ٢٤٨ .

(٤) المقريزى : السلوك جـ٢ / القسم الأول ، ص ٣٨٨ .

(٥) المصدر نفسه ، جـ٢ / قسم ٢ / ص ٥٣٦ .

ويذكر المقريزى بشأن جهاز بعض بنات السلطان حسن بن محمد بن قلاوون عندما زفت على بعض الأمراء فى دولة الملك الأشراف شعبان بأنه " كان شيئا عظيما من جملته دكه من بلور تشتمل على عجائب منها زير من بلور قد نقش بظاهره صورة ناتئة على شبه الوحوش والطيور وقدر هذا الزير ما يسع قربة ماء " (1) .

ويذكر ابن تغرى بردى من حوادث سنة ٧٩١هـ/١٣٨٩م فى سلطنة المنصور حاجى الثانية على مصر أنه حمل جهاز خوند بنت الملك الأشرف شعبان أخت الملك المنصور هذا – عروس الأمير الكبير منطاش – وكان على خمسمائة جمل وعشرة قطر بغال(2) ومشى الحجال وغالب الأمراء أمام الجهاز ، فخلع عليهم منطاش الخلع السنية(3).

جهاز بنات الأمراء

وبالنسبة لجهاز بنات الأمراء فهو لا يختلف عن جهاز بنات السلاطين وذلك لأن بنت الأمير أما كانت تتزوج من سلطان أو ابن سلطان أو أمير أو ابن أمير .

ويذكر المقريزى بتاريخ أول ذى القعدة سنة ٧٢٧هـ/١٣٢٧م حضور قطلوملك بنت الأمير تنكز – نائب الشام – عروس الأمير أحمد بن بكتمر الساقى بجهاز عظيم فيه « داير بيت زنة زركشة ستون ألف مثقال من الذهب »(4) .

كما ذكر المقريزى وصفا لجهاز ابنة الأمير بكتمر الساقى – وهو بصدد الحديث عن قصر هذا الأمير الذى خرج منه الجهاز الى قصر السلطان الناصر محمد والد العريس – قائلا أنه كان " عدة الحمالين ثمانمائة حمال المساند الزركش على أربعين حمالاً عدتها عشرة مساند والمدورات ستة عشر حمالا والكراسى اثنا عشر حمالا

---

(١) المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص ١٠٥ ، حسن الهوارى : أثر المرأة ص٤٢٦ ، ٤٢٧

(٢) البغل : معروف وجمع بغلة أبغال وجمع الكثرة بغال والأنثى بغلة بالهاء والجمع بغلات وبغال أيضا.
انظر المقريزى : المرجع السابق ، جـ١ ، ص٥٦
« وقطر بغال » تعنى مجموعة من البغال المتتابعة على هيئة القطار .

(٣) النجوم الزاهرة جـ١١ ص٣٥١ ، ٣٥٢ .

(٤) المقريزى : السلوك جـ٢ / القسم الأول ، ص٢٨٩ .

وكراسي لطاف (1) أربعة حمالين وفضيات تسعة وعشرون حمالا وسلم الدكك أربعة حمالين والدكك والتخوت الأبنوس المفضضة والموشقة مائة واثنين وستين حمالا والنحاس الكفت ثمانية وأربعين حمالا ، والصيني ثلاثة وثلاثين حمالا والزجاج المذهب اثني عشر حمالا والنحاس الشامي اثنين وعشرين حمالا والبعلبكي (2) المدهون اثني عشر حمالا والخونجات والمحافي والزبادي والنحاس تسعة وعشرين حمالا وصناديق الحوائج خانات ستة حمالين وغير ذلك تتمة العدة والبغال المحملة الفرش والتحف والبسط والصناديق التي فيها المصاغ تسعة وتسعين بغلا ، قال العلامة صلاح الدين خليل بن ايبك الصفوي : وقيل أن " الزركشي والمصاغ ثمانون قنطارا بالمصري ذهب " (3).

وذكر ابن تغري بردي بشأن هذا الجهاز " ورأيت الجهاز لما أن حمل من دار أبي العروس - من على بركة الفيل - ممدودا على رؤوس الحمالين ، وكان عددهم ثمانمائة حمال وستة وثلاثين قطار بغال ، غير الحلي والمصاغ والجواهر . ولكن رغم هذا كله لم يلق هذا الشوار (4) استحسانا من جانب والد العريس (السلطان الناصر محمد) فيذكر ابن

---

(1) لطف الشئ بالضم لطافة أي صغير فهو لطيف .

الجوهري : تاج اللغة وصحاح العربية ، الجزء الثاني (غير محقق) ص ٥٨ ومن هنا نستطيع أن نفسر كراسي لطاف أي كراسي صغيرة .

(2) البلعبكي صحتها نعلبك أو نعلبكي وهي كلمة فارسية تعني طبق الفنجان المدهون . د. شتا أستاذ اللغة الفارسية .

(3) المقريزي : الخطط ، جـ٢ ، ص ٦٨ .

(4) الشوار : الشارة والزينة .

، الشوار : متاع البيت أو المستحسن منه . جهاز العروس .

إبراهيم مصطفى وآخرون : المعجم الوسيط ، جـ١ ص٥٠١ .

انظر في تفسير هذه الكلمة :

ابن منظور : لسان العرب ، جـ٦ ، ص١٠٥ ، المقري : المصباح المنير جـ١ ، ص١٤٩ ، الفيروز أبادي : القاموس المحيط جـ٢ ، ص٦٤ ، وأبو الحسن أحمد ابن فارس : معجم مقاييس اللغة ، جـ٣ ، ص٢٢٦ ، ٢٢٧ .

وتستعمل كلمة « شوار » بمعنى « جهاز « فيقال » وشور رجل ابنته بشوار كثير حسن » .

Dozy, R.: Supplement aux Dictionnaires Arabes, Vol. I, Leide – Paris, 1927, P. 798.

تغرى بردى أيضا " ولما مدوا الشوار المذكور دخل السلطان رآه فما أعجبه ، وقال : أنا رأيت شوار بنت سلار وهو أكثر من هذا وأحسن ، على أن هذا يا أمير بكتمر ما يقابل به أنوك ! والتفت إلى الأمير سيف الدين طقز دمر والأمير سيف الدين أقبغا ، وقال جهزا ابنتكما ولا تخاسسا مثل الأمير " (١).

ويذكر ابن حبيب أن قيمة هذا الشوار ألف الف دينار مصرية (٢) .

وتتضح المغالاة فى الإنفاق على الجهاز مما فعله السلطان الملك المظفر حاجى بن الناصر محمد قبل دخوله - ٧٤٧هـ/١٣٤٦ م - ببنت الأمير تنكز وهو أنه " زاد لها فى جهازها بمبلغ ستين ألف دينار " فإذا كان هذا المبلغ الضخم هو مقدار زيادة فى الجهاز فما بالنا بثمن الجهاز كله .

وذكر ابن إياس بتاريخ ربيع أول سنة ٧٨٦هـ/١٣٨٤م فى سلطنة الظاهر برقوق حمل جهاز ابنة الأمير منجك ، زوجة السلطان ، إلى القلعة ، وكانت قيمة ذلك الجهاز بنحو ثمانين ألف دينار ، فكان به ثلاثمائة حمال ، وعشرة أطباق بها عصائب ، وكوافى ، مرصع ، وذهب ولؤلؤ ، وريش ، وكان به سبعون بغلا ، عليها قماش وأثاث " .

وكان لهذا الجهاز زفة رائعة فقد سار فى مقدمته الأمراء وهم بالشاش والقماش وجوق المغانى . وهم كما ذكر ابن إياس " وكان ماشيا قدام الجهاز الأمير أيدكار ، حاجب الحجاب ، والأمير قردم الحسنى ، راس نوبة النوب ، والأمير يونس ، الدوادار الكبير ، والأمير بهادر ، والأستادار والأمير قرقماس ، الخازندار الكبير ، وهم بالشاش والقماش(٣) ، وجماعة كثيرة من الأمراء العشروات والخاصكية والخدام ، وكان أمامهم

---

(١) ابن تغرى بردى : المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى - تحقيق وحواشى نبيل محمد عبد العزيز ، الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٦م جـ٣ ص ١١٠ .

(٢) ابن حبيب : تذكره النبيه ، جـ٢ ، ص ٢٢١ .

(٣) نصادف مرارا تعبير " الشاش والقماش " فى خلال عصر المماليك الجراكسة والذى كان يحمل بوضوح وفى معظم الحالات معنى " زى المواكب الحافلة " ، وإذا كان الافتراض صحيحا وهو أن كلمة " قماش" معناها الرداء الفوقانى الذى كان يلبس كثياب رسمية فإن التعبير يكون واضحا وجليا طالما أن الشاش .

=

جوق المغانى من رجال ونساء ، فلما شق من الشارع ، كان ذلك اليوم مشهوداً فى الفرجة"([1]).

وذكر ابن الفرات بتاريخ شوال ٧٩١هـ/١٣٨٩م أنه " طلع إلى القلعة جهاز خوند ابنة الملك الأشرف شعبان أخت الملك المنصور حاجى زوجة الأمير منطاش الأتابك وكان جهازاً مليحاً إلى الغاية قيل أنه حمل على نحو خمسمائة حمال وعشر قطر بغال ومشى قدام الجهاز الحجاب وبقية الجيش والزمام والجمدارية الأشرفية جميعهم فأخلع الأمير منطاش عليهم الجميع ودخل بزوجته من ليلته " ([2]).

وذكر ابن إياس أيضاً بتاريخ شعبان سنة ٨٠١هـ /١٣٩٩م فى سلطنة الظاهر برقوق – حمل جهاز خديجة بنت الأمير جهاركس الخليلى إلى دار زوجها الأمير بيبرس الدوادار ، ابن أخت السلطان – على ثلثمائة وستين حمالاً ، وعشرين قطاراً بغالاً ([3]) .

وذكر السخاوى بتاريخ ٨٥٤هـ/١٤٥٠م بشأن جهاز ابنة السلطان الملك الظاهر أبو سعيد جقمق عروس الأمير أزبك من ططخ الظاهرى أنه كان فيه من الأقمشة والبشاخين المزركشة والشراريب ([4]) المكللة باللؤلؤ وأنواع الفراء وأوانى البلور والمصاغ والتحف من الصينى المكتب وغير ذلك ما يفوق الوصف بحيث أخبر من يرجع

= (أ) يعتبر أولاً من الموسلين الطويل الذى يلف حول العمامة كلباس للرأس مألوف عند الأمير المملوكى أثناء الاحتفالات السلطانية ، أما الشربوش أو الكلفتاه فيلبسان دون شاش .

(ب) كما يعبر ثانياً عن الشال الذى يلف حول الرقبة كجزء من " الخلقة " وهكذا كان الارتباط بين الشاش و " القماش " يدل على أن المناسبة كانت احتفالاً بصفة خاصة .

انظر : ماير : الملابس المملوكية ص ١٣٩ ، ١٤٠ .

(١) ابن الفرات : المرجع السابق ، مجلد ٩ ، جـ١ ، ص ١٤٥ .

(٢) ابن إياس : المصدر السابق جـ١ / القسم الثانى ص ٣٤٥ ، ٣٤٦ .

(٣) المصدر نفسه جـ١ رقم ٢ ص ٥٢١ .

(٤) الشراريب : (مفردها الشرابة) هى ضمة من خيوط يعلق طرفها الواحد بالطربوش وغيره ويتدلى الآخر .

كرم البستانى وآخرون : المرجع السابق ، ص ٣٨٠ .

إليه فى هذا أنه لم يعهد نظيره ولم يحمل على رؤوس الحمالين على العادة بل أخرج من الحواصل" ([1]) .

وذكر ابن إياس بتاريخ رجب ٨٩٢ هـ/١٤٨٧م فى سلطنة الأشراف قايتباى – حمل جهاز ابنة الأتابكى أزبك من الأزبكي إلى دار قانصوه خمسمائة التى بقناطر السباع. فلما شق من القاهرة كان له يوم مشهور ، فكان به من الحمالين التى عليها الأمتعة زيادة على أربعمائة حمال ، فدهش الناس لرؤيته ، ورجت له القاهرة ، وعد من النوادر ، قيل كان ما صرف عليه نحو من مائتى ألف دينار ([2]).

كما ذكر ابن إياس بتاريخ رجب ٩٠٥هـ/١٤٩٩ك فى سلطنة الظاهر قانصوه بشأن جهاز خوند أصل باى أم الملك الناصر على الأتابكى جانبلاط ، أنه نزل من القلعة وشق من القاهرة ، واستمر ينسحب من صحوة النهار التى وقت الظهر ، فتوجهوا به إلى الأزبكية ، فكان عدة الحمالين أربعمائة حمال ، والبغال نحو من مائتى بغل ، فرجت له القاهرة ، وكان له يوم مشهود ، فكان به من الأمتعة والتحف ما يعجز عنه الواصفون([3]).

كما ذكر ابن إياس – فى شعبان ٩٠٦هـ/١٥٠٠م سلطنة العادل طومان باى – طلوع جهاز خوند الخاصبكية إلى القلعة – فشق من الصليبية وكان له يوم مشهود.

هذا وبما أن من المعهود أن كل ما يوجد بالمنزل هو جهاز صاحبته إذا ففى الغالب أن كل ما أخذه وزراء ابن عثمان من حاصل خوند ابنة الأمير اقبردى الدوادار وزوجة السلطان طومان باى كان من جهاز هذه السيدة وعندما قتل زوجها آخر سلاطين المماليك وأظهر وزراء ابن عثمان لها ولوالدتها أشد الضرر والقسوة فاضطرت إلى أن تخبأ ما تملكه فى حاصل بعيد عن أعين العثمانيين وكان ما وجد فى هذا الحاصل هو : بشاخين زركش وعنبر ومقاعد وسمور ووشق وعصايب ذهب ولؤلؤ مرصع وكوامل ذهب ،

---

(١) السخاوى : التبر المسبوك ، ص ٣٠٢ .

(٢) ابن إياس المصدر السابق ، جـ١ / القسم الثانى ، ص٥٥٠ .

(٣) المصدر نفسه ، جـ٣ ، ص٤٢٩ .

وغير ذلك من القماش الفاخر وأواني بلور وأواني فضة ونحاس مكفت وصيني لازورد وغير ذلك " ([1]) .

وذكر ابن شاهين أنه حكى أن بعض الخواندات (زوجات السلاطين) وهن في الغالب بنات أمراء كما سبق أن ذكرنا – نصب القاعة الكبرى المعروفة بالعواميد فكان من جملتها مواعين من ذهب وفضة وبشاخين مزركشة مرصعة وتخوت مفضضة وتخت مرصع مذهب وغير ذلك من الآلات العجيبة ومنارة من ذهب عليها جوهرة تضئ بالليل"([2]) .

ويذكر المقريزى بشأن جهاز بنات الأمراء والوزراء أو أعيان الكتاب أو أماثل التجار أن العروس من بنات أى من هذه الطبقات كانت تجهز فى شورتها عند بناء الزوج عليها سبع دكك : دكه من فضة ودكه من كفت ودكه من نحاس أبيض ودكه من خشب مدهون ودكه من صيني ودكه من بلور ودمه كداهي وهى آلات من ورق مدهون تحمل من الصين " ([3]) .

جهاز بنات التجار

وقد ذكر المقريزى بشأن ست العمائم وهى امرأة من بنات التجار كانت تعد للدخول بالقاضى علاء الدين بن عرب محتسب القاهرة " أى العروس بنت تاجر والعريس من المعممين) . أنها أرسلت إلى المحتسب مع وكيلها عندما اقترب موعد دخولها – بمائة ألف درهم فضة خالصة ليصلح بها لها ما عساه اختل من الدكة الفضة وبالوقت أمر المحتسب بصناع الفضة وطلائها وشرعوا فى إصلاح ما أرسلته ست العمائم من أوانى الفضة وإعادة طلائها بالذهب حتى أصبحت ذات منظراً بديعاً ([4]) فإذا كان إصلاح ما اختل من الدكة المصنوعة من الفضة وما يتبعها من أوانى الفضة وطلائها وإعادة طلائها

---

(١) المصدر نفسه جـ٥ ، ص ١٨١ ، ١٨٢ .
(٢) ابن شاهين : المرجع السابق ، ص ١٢١ .
(٣) المقريزى : الخطط ، جت ٢ ، ص ١٠٥ .
(٤) المصدر نفسه : جـ٥ ، ص ١٨١ ، ١٨٢ .

يتكلف ١٠٠,٠٠٠ درهم فضة خالصة فما بالنا بتكاليف باقى الدكك والأثاث والمفروشات وكل ما يلزم هذه العروس . فمن هذا يتضح لنا الثراء الذى كان يعيش فيه أمـاثل التجـار فى عصر المماليك الذى انعكس على شوار بناتهن . نضف إلى ذلك أنه ربما أتى هـؤلاء التجار بكل غالى وثمين من أوانى وملابس ومفروشات وحلى من أسواق البلاد التى كـانوا يسافرون إليها بتجارتهم .

ومما سبق نلاحظ أن المؤرخين المعاصرين لأحداث العصر المملوكى لـم يطنبـوا فى وصف شوار العرائس فذكروا أهم ما فيه بصورة مختصرة أو ذكروا العدد الضخم من الحمالين والبغال التى حملته والوقت الكبير الذى استغرقه سير الجهاز أو ثمنه وهذا دليـل على الكثرة ، ولم يذكروا تفاصيله الدقيقة من أثاث وملابس وأدوات مطبخ وحلـى وأدوات تجميل ومفارش أرض وأدوات إضاءة .

جهاز بنات الطبقة المتوسطة

وبالنسبة لجهاز العروس من بنات الطبقة المتوسطة من الشعب فيتكون من حشـية (طراحة) شبه مرتبة وسرير منخفض مصنوع من جريد النخل ، ومخدة للـرأس ومـلاءة تفرش فوق الحشية والمخدة وغطاءان أحدهما يسمى حرام وهو للصيف والثـانى غليـظ محشو بالقطن وهو اللحاف . وفى حالة عدم وجود سرير يوجد حشيتان لتوضعـان فـوق بعضهما على الأرض . وناموسية من قماش الكتان تعلق فوق السرير بأربعة خيوط تشـد إلى مسامير تدق فى الحائط (1) وفرش الأرض السجاد .

وأدوات المطبخ عبارة عن أوانى من الخزف والفخار والنحاس والخشب .

أدوات الإضاءة مسارج وشماعد من النحاس

والحلى : حلق وعقد وأساور وخلخال وخواتم من الذهب والفضة .

أدوات تجميلها : المشط والمكاحل الزجاجية والخشبية وقنينات العطر الزجاجية .

---

(١) لين : المرجع السابق ، ص ١٣٨ .

أما بالنسبة لجهاز بنات الطبقة السفلى من الشعب (وهم العوام والفلاحيـــن) فـــهو ليس كما يجهز به ذوى اليُسار فتياتهن بل هو على شئ من الســـذاجة والبســاطة وذلــك لاقتصار الفقراء ، فى تأثيث بيوتهن ، على حصيرة سمار وطراحة وبعـــض المســاند أو المخدات (1) المحشوة بألياف نباتية ، كما يستخدم الفقراء جلد حيــوان رخيــص كفــراش للأرض كما يستخدمون بقاياً أقمشة قطنية توضع طبقات فوق بعضها حتى تكــون فرشــه للنوم(2) .

جهاز بنت الفلاح

يعتبر الصندوق الخشبى الملون بالألوان الخضراء والصفراء والحمراء من أهم مـــا يحتويه جهاز العروس الفلاحة (3) . ففيه تضع العروس كل ما يلزمها من ملابس وحلـــى ونقود وغيرها من مستلزمات تجميلها .

والحصير الذى يستخدم كفراش للجلوس والأكل والنوم ، واللحاف كغطـــاء وقـــت الشتاء وهو يلف فى الصباح ويوضع بجانب الحائط فى الحجرة وأدوات المطبـــخ وهـــى عبارة عن أوانى من الفخار البدائى كالمترد ورحا من الحجر لطحـــن الحبــوب وســلال مصنوعة من الجبال ومنخل وغربال ومشنة وقفة ومترد.

وأدوات الإضاءة قناديل مصنوعة من الفخار – وحلى الفلاحة حلق ولبة أو عقد من الفضة أو النحاس المطلي بالفضة ، وغوايش من الزجاج الملون وخزام للأنف وقلادة مـــن العنبر (4) .

وأدوات تجمليها مكحلة بسيطة للكحل وزجاجة عادية لماء الــورد وحجــر خفــاف ومشط .

---

(1) كلوت بك : لمحة عامة ، جـ ٢ ، ص ٣٨ .

(2) Sadan : Le Mobilier, P. 29, 30.

(3) لين : السابق ، ص ٢٥ ، على السيد على : القدس فى العصر المملوكى ،الطبعة الأول ، القاهرة ، ١٩٨٦ ، ص ٢٧٧

(4) ذكر المقريزى فى معرض حديثه عن سوق العنبريين أنه كان للعنبر فى وقته بديـــار مصـــر نفـــاق وللناس فيه رغبة زائدة ولا يكاد يوجد بأرض مصر امرأة وأن سفلت إلا ولها قلادة من عنبر . انظر المقريزى : الخطط ، جـــ٢ ، ص ١٠٢ ، ١٠٣ .

دراسة تحليلية للعناصر الزخرفية

الموجودة على قطع الجهاز

شملت الزخارف الموجودة على القطع المكونة لجهاز العروس فى عصر المماليك معظم الزخارف المعروفة فى ذلك العصر من زخارف كتابية ونباتية وهندسية وكائنات حية ورنوك وذلك لتنوع المواد والصناعات وطرق الزخرفة الصناعية بالجهاز .

(أ) الزخارف الكتابية :

يختص الفن الإسلامى وحده، دون غيره من الفنون باستعمال الكتابة العربية كعنصر زخرفى، لما تتميز به حروف الكتابة من جمال ورشاقة ومرونة، وقابلية على التشكيل والتصنيف(1).

وقد تنوعت الزخارف الكتابية على التحف المكونة لجهاز العروس ما بين آيات قرآنية وعبارات دعائية، وأخرى طريفة واسم من صنعت من أجله التحفة وتوقيع الصانع، فنجد الآية القرآنية تزخرف الجزء الأوسط بوجهى المشط رقم ٢٦١٤ بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ونصها : " رب اشرح لى صدرى / ويسر لى أمرى "(2) ونجد عبارات دعائية كثيرة ومتعددة، منها عبارة (عز دائم) فى الهلال المزخرف بالمينا فى الدلاية الذهبية من العقد رقم ١٣٧٤٩ بمتحف الفن الإسلامى أيضا . ونقرأ العديد من العبارات الدعائية على مجموعة من الأمشاط الخشبية والمرايا المعدنية المحفوظة بمتحف الفن الإسلامى منها (العز الدائم) فى مشط رقم ١١ / ٣٨٥٧، (العز الدائم والإقبال) فى مشط رقم ٤٩٢٠، (العز الدائم / الجاه القائم) فى مشط رقم ٤٩٣٠، (رب اختم

---

(1) د . محمد مصطفى : الكتابة العربية عنصر زخرفى (فصلة من مجلة عالم الفكر . الجزء ١٠، العدد ٣، الكويت / أكتوبر / ديسمبر ١٩٧٩ م، ص ٨٨٩ .

(2) الآية ٢٥، ٢٦ من سورة طه .

بخير)([1]) مشط رقم ٢ / ٣٩٥٧ . (العز الدائم والعمر السالم والإقبال الشـامل، والسـعد الفاخر والجد الصاعد والدهر المساعد والأمر النافذ والبقاء أبدا) على مرآة رقـم ١٥٣٤٩ ترجع إلى مصر فى القرن ٧ هـ ١٣ م . و (العز والإقبال والسلامة والسـعادة) علـى مرآة رقم ١٥٣٤٥٠، (العز والنصر والإقبال) تزخرف أحد أوجه صندوق العمامة رقـم ١/١٧٧١ بمتحف كلية الآثار .

(عز دائم) بخط النسخ أيضا تزخرف دلاية من الذهب المزخرف بالمينا المتعـددة الألوان بمتحف الفن الإسلامى برقم ٩٤٦٠ .

(العز لك والغنا) تزخرف محبس سوار ذهبى برقم ١٤٨٠٢ كما تزخرف عبـارة (العز الدائم) بعض شبابيك القلل المحفوظة بنفس المتحف .

ونقرأ بالمشط الخشبى رقم ٢٣٤٩٧ (مقاسه ٨×٩.٥ سم) فى دائرة فـى الجـانب الأول بخط النسخ كلمة (عز) وفى الجانب الثانى فى دائرة أيضـا كلمـة (دام) فربمـا قصد المزخرف بها (عز دائم) ونسى الهمزة أو أراد بـها (دام عـزه)، (دام – فـى الحياة) كدعاء بطول الدوام لصاحب المشط .

كما يزخرف المشط رقم ٤٩٢٨ عبارة "عز دائم " أيضا .

ومن العبارات الطريفة : عبارة (أنا مشط عملت للتسريح) (لا أسـرح إلا لكـل مليح) نجدها تزخرف مشط رقم ٤٩١٩ بمتحف الفن الإسلامى وهى منفذة بالحفر بخـط النسخ .

وعبارة (ما دعانى الهوا المعصية إلا نهانى الحيا والكـرم)

بخط النسخ على مشط رقم ٣٨٨٣، عبارة (تفكر فى ألم نشرح / إذا ضـاقت بـك العسـرى) تزخرف وجهى مشـط رقم ٣/ ١٨٧٦٤ بمتحف الفن الإسلامى أيضا عبـارة (لا) أمل مجلس، فعلا الرأس أحمل / أنا تاج على الجبين، أنـا رحمـة مـن النظـار)

---

(١) تزخرف العبارة الدعائية (رب اختم بخير) أيضا أحد الأمشاط المحفوظة بحجرة الأوسمة بالمكتبـة الأهلية بباريس . انظر :

Ahmad Abd Ar-Raziq : Les Peignes Egyptienes, P . 402 ,Fig . 3 .

تزخرف وجهى مشط رقم ٢/ ٦٦٢١، عبارة (من كتم سرى / ملك أمـــرى) تزخـرف وجهى مشط رقم ٨٣٣٩، عبارة (من جد وجد) تزخرف مشط رقم ٨٣٢٣ .

كما نجد عبارتى (من كتم سره * ملك أمره)، (لا يفكر لـــك مدبـــر) تزخـرف مشطين من الأمشاط المملوكية المحفوظة بحجرة الأوسمة بباريس .

وبالنسبة للعبارات التى تحمل اسم من صنعت من أجله التحفة فهى كثيرة فمثلا نجـد فى أحد أوجه المشط الخشبى (رقم ٢٣٤٩٧) بمتحف الفن الإســـلامى بالقـــاهرة كتابـــة نصها (برسم المولى الأجل) وفى الوجه الآخر (ناصر الدين محمـــد) . وفـــى نصـــف المشط رقم ٤٩٢٦ بمتحف الفن الإسلامى كتابة نصها (سيف الدين باكتمر الســـلحدار)[1] وطاسة الخضة النحاسية رقم ٣٨٦٢ المزخرفة بطلاسم وأشكال الـــبروج وكتابـــة عربيـــة تحمل بيان منافعها صنعت برسم (العبد الفقير إلى ربه قطب الدين وذلك فى شهر شـــعبان سنة ٧٣٨)، وبنفس المتحف وعاء من النحاس بيضاوى الشكل برقم ٣٣٦٨ نقـــرأ علـــى حافته وعلى غطائه كتابة منها (مم عمل برسم الزينى صنـــدل الســـاقى [2] الأشـــرفى)،

---

(١) سلاح دار أو سلحدار اسم وظيفة اشتهرت فى الدول الإسلامية ذات الطابع التركى..
ويتألف الاسم من لفظين هما سلاح العربى ودار الفارس - ومعناه ممسك السلاح .
وهو يطلق على كل من كان يحمل سلاح السلطان أو الأمير ويتولى أمر السلاح خاناه ومـــاهو مـــن توابع ذلك. كما كان السلاحدارية يقومون بحراسة السلطان : فكانوا مثلا يقف منهم مماليك صغار من السلاحدارية مع الجمدارية وراء السلطان فى حالة جلوسه لدار العدل .
وكان يقوم بهذه الأعمال عدد من السلاحدارية يسمى كبيرهم أمير سلاح وكان السلاحدارية يختارون من المماليك السلطانية، وقد وجد فى أواخر عصر المماليك أربعة سلاحدارية خاص مـــن أصحـــاب الوظائف من الخاصكية .
والسلاحدار من الموظفين الذين كانوا يتخذون رنوكا أو أشعرة وقد جرت العـــادة أنـــه إذا نصـــب السلاحدار أمير منح رنكا أو شعارا على هيئة سلاح .

(٢) كانت مهمة الساقى فى عصر المماليك هى أن يتولى مد السماط، وتقطيع اللحم، وسقى المشروب بعد رفع السماط ونحو ذلك، وربما أطلق عليه اسم الساقى رغم قيامه بكل هذه الأعمال لأن وظيفته كانت تقتصر على سقى المشروب فى أول الأمر، ثم استحدثت له هذه الأمور الأخرى تبعا، أو ربما ســـمى بالساقى نظرا إلى أن سقى المشروب كان هو آخر عمله الذى يختتم به مهمته أو هو أبرز أعمالـــه . ويعتبر الساقى من الموظفين الذين اشتهروا باتخاذ رنك يرمز إلى وظائفهم، إذ كان المملوك إذ أمـــر وهو ساق منح رنكا على هيئة كأس .
=

مبخرة برقم ٣٣٣٠٥ (وهى من النحاس الأصفر ومستديرة الشكل) على حافتها كتابة بها أثر تكفيت بالذهب والفضة منها : (أمر بعمل هذه المبخرة المباركة مولانا السلطان الملك الظاهر محمد)، صدرية نحاس مضلعة برقم ١٥٠٨٦ عليها منطقتان مزخرفتان بكتابة نسخية باسم (خوند زوجة قايتباى) وصدرية نحاس برقم ٤١٢٠ نقش عليها من الخارج كتابة نسخية نصها (مما عمل برسم الست(١) المحجبة ذات الستر(٢) الرفيع والحجاب(٣) المنيع خوند الكبرى جهة المقام الشريف الملكى الأشرفى أبو النصر قايتباى سلطان الإسلام)، مشط رقم ٤٩٢٢ (مما عمل برسم الجناب المنيع الخاتونى دامت صيانته)، مشط رقم ٩٢٧٣ (مما عمل برسم الأمير سيف الدين)، مشط رقم ٣ / ٣٩٥٧ (الستر الرفيع)، تزخرف عبارة (الستر الرفيع) شباك قلة يرجع إلى مصر فى عصر المماليك محفوظ بالمتحف القبطى قاعة ٣ (لوحة ٨٤، ٨٦) هذا وتزخرف عبارة (مما عمل برسم * الستر الرفيع) الحافة اليسرى من وجهى أحد الأمشاط المحفوظة بحجرة الأوسمة بالمكتبة الأهلية بباريس (٤) وبالإضافة إلى ما سبق تحمل بعض التحف توقيع صانعها ونجد ذلك على العديد من التحف منها (عمل شرف) على إناء من الفخار المطلى بالمينا المملوكى يرجع إلى مصر فى ق ١٤ /١٥ م - ٨ / ٩ محفوظ بمتحف الفن الإسلامى برقم ٣٨٥٤، كما نجد على سلطانية من الفخار المطلى بالمينا المملوكى (محفوظة

= ومن الملاحظ أن رنك الكأس من أكثر الشعارات ظهورا على الآثار والتحف العربية سواء أكان الرنك مشتملا على مجرد كأس فقط أو مركبا من كأس ورموز أخرى .

انظر : حسن الباشا : الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية دار النهضة العربية ١٩٦٦م، ج ٢، ص ٥٧٧ - ٥٧٩، ٥٩٦، ٥٩٧ .

(١) الست لقب عام يطلق على المرأة، مثل" السيدة " . وقد ورد فى بعض النقوش .

(٢) الستر فى اللغة بمعنى الستارة . وقد استعمل كلقب للتعبير عن الخليفة ثم أطلق كلقب أصل للإشارة إلى المرأة الجليلة، وهو فى ذلك يشبه لقب الدار .

وكان " الستر الرفيع " أكثر ورودا لا سيما فى النقوش .

(٣) الحجاب فى اللغة الستر، وهو من ألقاب النساء، وكان يوصف بالمناعة فيقال " الحجاب المنيع " .

انظر : حسن الباشا : الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٧ م، ص٣١٧، ٣١٨، ٢٥٦ .

(٤) Ahmad Abd Ar- Raziq : Les Peignes Egyptiens dans I 'Art de I"Islam, P . 400, PL . I

بمتحف الفن الإسلامى برقم ١٥٩٨٢) من الخارج سطر كتابة نسـخية بتوقيـع شـرف الأبوانى .

كما نجد توقيع الخزاف المملوكى الشهير " غيبى " على قطعة من قـاع إنـاء مـن الخزف المرسوم تحت الطلاء بمتحف كلية الآثار رقم ١٥٧٠ (لوحة ٦٧) كما نجد كتابـة تضم توقيع الصانع وهو " بدر الدين ابن أبى يعلا " على ثريا من النحاس المخرم مؤرخـة بسنة ٧٣٠هـ/ ١٣٣٠، محفوظة بمتحف الفن الإسلامى .

* * *

(ب) الزخارف الهندسية :

يقصد بالزخارف الهندسية استخدام الأشكال الهندسية المستوية، أو المجسمة المرسومة بالمقاسات عناصر ووحدات زخرفية على التحف والمباني أيضا . وقد تمزج الزخارف الهندسية بالزخارف النباتية أو الحيوانية أو الكتابية مبالغة في زينتها وإظهار جمالها على الوجه الأكمل ([1]).

ويذكر د . زكى محمد حسن أنه من المستبعد أن يكون لدى المسلمين كتب فيها نماذج للزخارف الهندسية الإسلامية الذائعة، ولكن يرجح أن هذه الزخارف كانت سرا من أسرار الصناعة، يتلقاه الصبيان عن معلميهم فى الفن والمهنة . فكانت تتعلم بالمران، كما كانت تصنع لها قوالب ونماذج يستعملها الصناع والفنانون فى بعض الأحيان ([2]).

ومن الملاحظ أن كل المحاولات التى بذلت من قبل الرحالة الأجانب أو دارسى الفنون العربية الإسلامية فى نهاية القرنين الماضيين لجمعها بشكل أطالس أو تقليد أشكالها بالمرسومات والمصورات ([3]) فإنها لن تصل إلى جوهرها أو أصول رسمها وكشف

---

(١) د . كاظم الجنابى : حول الزخارف الهندسية الإسلامية، مجلة سومر المؤسسة العامة للآثار والتراث، بغداد، الجزء الأول والثانى، المجلد ٣٤، ١٩٧٨م، ص ١٤٣ .

(٢) د . زكى محمد حسن . فنون الإسلام، ص ٢٤٨، ٢٤٩ .

(٣) انظر عن هذه الأطالس والدراسات ما قام به العالم الفرنسى بورجوان بتحرير هذه الزخارف المعقدة إلى أبسط أشكالها واتضح من دراسته أن براعة الفنان المسلم فى الزخارف الهندسية قامت على علم وافر بالهندسة العلمية وليست على الموهبة الطبيعية فقط .

Bourgoin, J . : Arabic Geometrical Pattern, New York 1973 .

كما يرى العالم الفرنسى جاييه أن تخطيط هذه الزخارف منقول من علم الهندسة وليس له صلة بالفن وأن علماء الحساب قاموا بتوضيحها فى جمع كبير من المسائل وقد قام Wroick بتحليل هذه القواعد ولم يترك لمن أتوا بعده إلا تلخيصا لما عمله . كما يذكر جاييه استنادا للعديد من القواعد الحسابية والهندسية طريقة تقسيم محيط الدائرة لرسم طبق نجمى .

Gayet, A. : Les Art Arabe , Paris 1893 , PP . 93 - 98 , Fig . 2G .

وقام أيضا دافيد وايد يعمل تحليلات للزخارف الهندسية بصفة عامة ومنها تلك الزخارف النجمية البسيطة والمعقدة .

Wade,D . : Pattern in Islamic Art, London 1976 .

ومن الأطالس ما قام بعمله بريس دافين .

Prisse . D. Avennes : Arabic Art IN Color 141 Designs and Motifs on 50 Plates , PP . 5,6,21 .

مصطلحاتها وإنما كانت مجرد مستنسخات لها طبق الأصل لا نشك فى قيمتها الفنية لأنـــها قدمت فى الماضى صورا جميلة للعالم الأوروبى، عن فنون هذه الزخرفة التـــى مارســـها العرب المسلمون فى عز نهضتهم .

أما فكرة الزخارف الهندسية كما يهدى الظـــن فإنـــها تشـــبه المنظومـــة الشمســـية وتوزيعها فى قبة السماء كالقمر والنجوم، وبعض العوارض الجوية ومـــن بـــاب التشـــبيه يطلق عليها باحثوا الفنون فى مصر " الأطباق النجمية "(1) ومهما يكـــن مـــن أمـــر فـــإن تصوير النجمة يعتمد على تصوير الدائرة، ومن هنا كان رسم الفرجار أساسا لرسم النجـــوم بجميع أنواعها . وتأويل ذلك أن الكواكب بمعانيها المختلفة إنما انبثقت عن الكون أو عـــن الإله الأكبر الذى يرمز له بشكل دائرة .

ولذلك فإن الدائرة تبقى أحيانا محيطة بالنجمـــة أو هـــى تتصـــدر مركـــز النجمـــة ثم هى تصبح زهرة . وللدائـــرة معنـــى ســـحرى عنـــد المســـيحيين، وعنـــد المســـلمين العرب الذين ابتكروا الصفر على شكل الدائـــرة، للدلالـــة علـــى دورهـــا التوليـــدى فـــى حساب الأرقـــام .(2)

أن أهميـــة معنى النجمة عند العرب والمسلمين دفعـــهم إلـــى اعتبارهـــا العنصـــر الأساسى فى الرقـــش العربى الهندسى ، الذى ينطلق من شكل نجمى خماسى أو سداســـى أو ثمانى أو من مضـــاعفات ذلك . ولقد أسعفهم فى ذلك اســـتعمال الفرجـــار فـــى رســـم الدائرة وتقسيم محيطها إلى أقواس متساوية، ثم متابعة استعمال الفرجـــار لتوليـــد أشـــكال جزئية أو فرعيـــة تتشابك فيمـــا بينها لكى تقيم زخرفـــة رائعـــة تحمـــل دلالات قدســـية وفلسفية وفنية هامة (3) .

---

(1) كاظم الجنابى : المرجع السابق، ص١٤٤ .

(2) عفيف البهنسى : الفن الإسلامى، الطبعة الأولى، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر بدمشق، ١٩٨٦م، ص ١٠٣ .

(3) المرجع نفسه ، نفس الصفحة.

هذا وقد احتلت الزخارف الهندسية القسم الأكبر من زخارف منتجات العصر المملوكي التي تدخل ضمن جهاز العروس . فيزخرف خارج الصدرية النحاسية رقم ٤١٢٠ بمتحف الفن الإسلامي شريط علوي به زخرفة عبارة عن معينات ودوائر صغيرة متبادلة، ونجد زخرفة هندسية عبارة عن شريط دائري مقسم إلى مثلثات متعاكسة بداخل سلطانية، ضخمة كأسية الشكل من الفخار المطلي بالمينا محفوظة برقم ٢٣٨٣٢ بمتحف الفن الإسلامي وفي الوجه الخارجي لقاع إناء من البرونز المكفت بالذهب والفضة باسم السلطان المملوكي أبو النصر قايتباي - ترجع إلى مصر في القرن ٩هـ / ١٥م ومحفوظة بمتحف استانبول (١) - زخرفة هندسية عبارة عن طبق نجمي ١٢ فص يحيط به دائر القاع ٦ أنصاف أطباق نجمية ١٢ والجزء ما بين أنصاف الأطباق وبين الطبق به زخارف من المعروفة ببيت غراب .

ونجد طبق نجمي من ١٢ فص يزخرف بعض جوانب كرسي منشوري (الخاص بحمل الصينية) من النحاس المكفت بالفضة، مصر ق ٨ هـ / ١٤ م والمحفوظة بمتحف الفن الإسلامي برقم سجل ١٣٨ .

كما نجد أطباق نجمية من ١٢ فص أيضا - منفذة بالتخريم - تزخرف صفين من الثريا النحاسية التي تحمل توقيع " بدر ابن أبي يعلا " .

كما نجد أطباق نجمية من ١٢ فص - منفذة بالتطعيم - تزخرف صندوق خشبي محفوظ بمتحف أندرسون (لوحة ٢٥) .

ويزخرف وجهي المرآة رقم ١٥٣٣٧ بمتحف الفن الإسلامي دوائر متحدة المركز . وبالنسبة لزخارف المرآة المعدنية رقم ٧٥٣٤٥ بمتحف الفن الإسلامي - مصر ق ٧ هـ / ١٣ م - فمحيطها عبارة عن دائرة مفصصة مقسمة إلى أنصاف دوائر عددها ١٢ وفي الظهر حفر عليها دائرتان متحدتان المركز والجزء المتكون بين الدائرتين به كتابة وأربع دوائر أخرى متعامدة على الدائرة الصغرى .

---

(١) زكي محمد حسن : أطلس الفنون، ص ١٦٩، شكل ٥١٥، ٥١٦ .

ويعلو زخرفة الطائرين فى السطح العلوى من قبقاب رقم ٤٩١٥ بمتحف الفن الإسلامى أيضا بقية زخرفة من أشكال هندسية مستوحاة من الرنوك المملوكية، عبارة عن معينات أو مثلثات صغيرة وفى أسفل الطائرين بقية شريطين، بالعلوى منهما دائرتان من سن وبالسفلى دائرة تكتنفها لوزتان .

والقبقاب رقم ١٥٦٦ بمتحف كلية الآثار مطعم بصدف يأخذ أشكال مثلثات متساوية الأضلاع ومتساوية الساقين وقائمة الزوايا تضمها حشوات بسيطة محفورة حفر بسيط على شكل خط منكسر، وتأخذ هذه الحشوات شكل معينات ومثلثات ومتوازيات مستطيلات (لوحة ٢٤٩) (شكل ٤٠) .

وفى كرسى الحمام رقم ٢٥٦٧٤ بمتحف الفن الإسلامى نلاحظ أن الصدف المستخدم فى التطعيم مقطع إلى مربعات ومثلثات (لوحة ١٨٧) واحتوى الكثير من أمشاط عصر المماليك على زخارف هندسية متنوعة، فيزخرف الجزء الأوسط من مشط رقم ٤٩٤٣ بمتحف الفن الإسلامى زخارف هندسية مختلفة مفرغة شغل المنشار عبارة عن دوائر ومعينات ومثلثات ويزخرف المشط رقم ١ / ١٨٧٦٥ - يرجع إلى مصر فى ق٩هـ/١٥م - زخارف هندسية محفورة حفرا بارزا وهى عبارة عن خطوط متداخلة مكونة فى الوسط معينات متجاورة يحيط بها من أعلى وأسفل خطان ينتهيان من اليمين واليسار بشكل قلب، ويحيط بهذه الزخرفة إطار به زخرفة متكررة عبارة عن معينات متساوية متجاورة محفورة حفرا بسيطا فى الخشب . ونجد هذه الزخرفة نفسها تحيط بالجزء الأوسط فى المشط رقم ٩٠١٥، ويحدد الجزء الأوسط فى مشط رقم ٤٩٣٢ - مصر ق ٩ هـ / ١٥ م - من أعلى ومن أسفل ١٤، ٥ خطوط، وهذا الجزء مقسم (فى جزء منه ربما بعد منتصفه لأن المشط غير مكتمل) بخطوط أيضا إلى مستويين علوى وسفلى يزخرفهما دوائر مفرغة فى ثلاث صفوف .

وفى المشط رقم ١ / ٧٠٩٠ - يرجع إلى مصر ق ٩ هـ / ١٥م ، وهو مزدوج بمفصلات من الخشب - على الجزء الأوسط والمفصلات المتشابكة خطوط منكسرة . (لوحة ١٦١، ١٦٢) .

ويزخرف الجزء الأوسط من مشط رقم ٥ / ٣٤ (بمتحف كلية الآثار) أربع دوائر بالحفر اثنتين منهما متباعدتين بداخل كل منهما خمس دوائر متحدة المركز، واثنتين أصغر من السابقتين وهما في وضع رأسي بالنسبة للسابقتين متماستين، وبداخل كل منهما دائرتين متحدتين المركز .

ويزخرف الجزء الأوسط من مشط رقم ٥ / ٢٥ من هذه المجموعة أشكال هندسية مفرغة منها ٦ دوائر تكون شكل سداسي ودائرة في مركز هذا الشكل بالإضافة لأشكال أخرى من مثلثات ومعينات وأشكال قلبية (لوحة ١٤٣) .

وبالنسبة للمكحلة العاج المطعمة ذات الشكل المسدس - محفوظة بمتحف الفن الإسلامي برقم ٤٠٥٠ - فكل زخارفها هندسية بديعة ففي أعلى البدن دوائر تحيط به في إطار علوي وفي بعض أجزاء من البدن تزخرفه ٦ أشكال مسدسة متلاصقة (لونها أسود وبني) تزخرفها ٦ نجوم سداسية بداخل كل شكل مسدس نجمة وأسفل البدن جزء يستدق عن البدن بانحناء به أشكال دوائر لونها بني كالعلوي وينتهي الجزء المنحني إلى رقبة ثم ينخفض إلى أسفل فينقسم إلى ٦ أجزاء مدببة بين كل جزء وجزء دائرة لونها بني أيضا .

وبالنسبة للزخارف الهندسية على بعض قطع الحلي فنجد القرط (لوحة ٢٠٣) الذهبي ورقم ١٤٩٩١ بمتحف الفن الإسلامي - يأخذ شكل دائرة يتوسطها شريط مستطيل مقسم إلى أشرطة أصغر الشريط العلوي به أنصاف دوائر عددها ١٠، أسفله شريط به خطوط متقاطعة وأسفل هذا الشريط شريط آخر به دوائر متجاورة عددها ١١ أسفلها صف من دوائر صغيرة عددها ٣٢ دائرة .

أسفل ذلك شريط مثل الشريط الثاني مكون من خطوط متقاطعة أسفل الشريط الأوسط حلية مكونة من ٣ أجزاء الجزء الأوسط عبارة عن دائرة كبيرة يحيطها شريط عريض به زخارف هندسية مفرغة عبارة عن خطوط متقاطعة تضم هذه الدائرة بداخلها ٧ دوائر صغيرة في ٣ صفوف ٢، ٣، ٢ - الجزء الأيمن والأيسر من الحلية يأخذ شكل واحد عبارة عن مثلث بداخله دائرة وبأركان المثلث الثلاث من الداخل دوائر صغيرة ينتهي المثلث من أسفل بشكل ورقة ثلاثية محورة .

وعلى يمين ويسار الدائرة شكل عبارة عن مثلث رأسه لأسفل وقاعدته لأعلى بداخله دائرة وبأطرافه الثلاثة ثلاثة دوائر صغيرة ويخرج من رأس المثلث دائرة صغيرة.

وبالنسبة للسوار الذهبى رقم ١٦٤٣٥ (لوحة ٢٠٧، ٢٠٨) فهو مشغول على هيئة زخرفة مجدولة وعلى المحبس المستدير شكل نجمة مسدسة هذا ويزخرف اللحاف المحفوظ بمتحف الفن الإسلامى برقم ٢٣٩٠٥ زخارف هندسية فيتوسطه زخرفة عبارة عن شكل معين داخله أشكال هندسية ويحد المعين من الجانبين القصيرين أشرطة متوازية بها تقسيمات هندسية .

كما اشتهر السجاد فى عصر المماليك بزخارفه الهندسية التى تشابهت مع زخارف جلود الكتب القاهرية والنافورات الرخامية والتحف المعدنية المملوكية فكان تصميم السجادة مكون – فى الغالب – من تصميم هندسى لا تخطئه العين فيعرفه الرائى بمجرد النظر إليه أنه من صناعة مصر فى عصر المماليك هذا التصميم يتكون من مربع فى وسط السجادة يتوازى أضلاعه مع أضلاع السجادة يتقاطع مع هذا المربع معين، ويتخلق من هذا التقاطع فى الأطراف مثلثات بداخل كل مثلث مثلث آخر وبداخل الأخير مثلثان بينهما زخرفة نباتية ويتخلق من هذا التقاطع فى الداخل شكل مثمن بداخله مثمنان بداخله مربع وداخل هذا المربع مثمن صغير ويتناثر فى ساحة السجادة خارج هذا التصميم أشكال هندسية تتشابه مع هذا التصميم .

ويحيط بالسجادة إطار مزخرف بجامات مفصصة جامة صغيرة شبه دائرية وجامة مستطيلة كبيرة (خرطوش) بالتبادل وبداخل الجامة الصغيرة مثمن بداخله مربع ويتوسط الجامة الكبيرة مربع بداخله معين ، ونجد زخارف هندسية، عبارة عن خطوط متجاورة أو دوائر صغيرة أو مثلثات وغيرها على الأساور الزجاجية الملونة التى كانت تتحلى بها عروس الطبقة الشعبية البسيطة (لوحة ٢٠٥، ٢٠٦) ونجد زخارف هندسية عبارة عن دوائر صغيرة محفورة فى العاج فى سكينة رقم ٤١٨٠ بمتحف الفن الإسلامى (لوحة ٧٧) .

كما نجد زخارف عبارة عن خطوط منكسرة متكررة فى النصف العلوى من حامل صينية من الفخار المطلى بالمينا (لوحة ١٢٣)، وزخارف عبارة عن مثلثات متكررة فى

صفوف (صف من مثلثات معدولة وصف من مثلثات مقلوبة) فى النصف السفلى من هذا الحامل ونجد زخرفة عبارة عن نجمة من خمس فصوص تزخرف قاع صحن من الزجاج (لوحة ٧٢) .

كما نجد زخارف هندسية أخرى منها ما هو على هيئة حرف "Y" وتعرف عند أهل الصنعة باسم زخرفة دقماق وتوجد دائما متكررة فى صفوف فوق بعضها، ومنها ما هو على هيئة حرف "Z" وتعرف هذه الزخرفة باسم المفتاح . وتوجد دائما داخل دائرة تشع بعض خطوطها من مركزها والخطوط الأخرى تسير مع محيطها .

وقد شاع وجود هذين العنصرين الزخرفيين على الأوانى المعدنية المملوكية ونذكر مثال لذلك الزخرفة الموجودة على يد مصفاة معدنية من مصر فى عصر المماليك . (لوحة ٧٩، ٨٠) .

* * *

(جـ) الزخارف النباتية :

وجدت الزخارف النباتية على القطع المكونة لجهاز العروس فى عصر المماليك وعلى أدوات تجميلها وحليها بشقيها المحور عن الطبيعة والمحاكى للطبيعة وبالنسبة للزخارف المحورة فتتألف من فروع وعروق وأوراق نباتية متداخلة ومتشابكة وأوراق محورة، هى فى الواقع رسوم نباتية مورقة من ذلك النوع الذى يطلق عليه بعض الكتاب العرب " الرقش العربى " (١) أو" التوشيح العربى " (٢) وتعرف فى المصطلح الأفرنجى باسم " الأرابيسك " نسبة 'إلى العرب (٣) – والأرابيسك هى الزخارف المكونة من فروع نباتية وجذوع منثنية ومتشابكة ومتتابعة (٤) وأوراق نباتية ذات فصين تتداخل وتتشابك معا بطريقة زخرفية منسقة تدعوا إلى الإغراق فى التخيل(٥)، ويطلق لفظ الأرابيسك أيضا على الزخارف الإسلامية الأصيلة مثل الزخارف الهندسية المتشابكة(٦) والزخارف الخطية وحتى الشخصية (٧).

والأرابيسك ابتكار إسلامى أصيل، اتخذ شكله الأصلى فى القرن التاسع فى ظل حكم العباسيين وفى أسبانيا الإسلامية وظهر بكامل تطوره فى القرن الحادى عشر فى ظل الحكم السلجوقى والفاطمى والمغربى ومنذ ذلك الحين طرأت على زخارف الأرابيسك فى العالم الإسلامى تغييرات لا حصر لها وعلى ذلك فمن الصعب جدا ترتيب هذه الأشكال المختلفة طبقا للترتيب التاريخى أو للترتيب المحلى أو الأسرى .

---

(١) عفيف البهنسى : دراسات نظرية فى الفن العربى، القاهرة، ١٩٧٤م، ص ١٩، ٢٠ .

(٢) أحمد فكرى : مساجد القاهرة ومدارسها – الجزء الأول، العصر الفاطمى، دار المعارف بمصر ١٩٦٥ م، ص ١٨٢ حاشية (٢)، ص ١٩٠ .

(٣) حسن الباشا : مقدمة فى القاهرة بين الفنون الإسلامية (بحث بكتاب القاهرة تاريخها، فنونها، آثارها – الأهرام ١٩٧٠ م، ص ٢١٤ .

(٤) زكى محمد حسن : فنون الإسلام ص ٢٥٠ .

(٥) حسن الباشا : مقدمة فن القاهرة، ص ٢١٤ .

(٦) Purkherdt, T., Art of Islam Lenguage and meaning, World of Islam Festival, First Published 1976. P. 66.

(٧) Kuhnel, E. : Aarabesque, in the Encyclopedia of Islam, VOI . I, New Edition, Leiden - London, 1960, P. 558 .Kuhnel, E. : Op. Cit., p. 561 .

وعلى أية حال فقد تطورت هذه الزخارف في مصر، ووصلت إلى قمة نضجها في العصر المملوكي . وساد استعمالها في ذلك العصر على معظم تحفه المنقولة . فنجد زخرفة نباتية عبارة عن فروع نباتية متموجة داخل مناطق رأسية تزخرف خارج زهرية من الخزف تحمل على حافتها من الداخل والخارج توقيع الخزاف " أبو العز " - ترجع إلى مصر في ق ٩ هـ / ١٥ م - ومحفوظة بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة برقم سجل ٤٥٧٧، وبنفس المتحف زهرية من النحاس المكفت بالذهب والفضة برقم ١٥١٢٥ - مصر ق ٨ هـ / ١٤م- عليها زخارف نباتية دقيقة .

ويزخرف ظهر المرآة المعدنية المحفوظة بمتحف الفن الإسلامي برقم ١٥٣٤٩ ثلاث دوائر متحدة المركز الدائرة الوسطى مملؤة بزخارف نباتية محورة متشابكة . كما يزخرف ظهر المرآة رقم ١٥٣٣٧ بنفس المتحف زخارف نباتية محورة، عبارة عن أنصاف مراوح نخيلية متبادلة مع وريدات من ثلاث بتلات في إطار يحيط بدائرة أصغر مملؤة بزخارف نباتية محورة عبارة عن فروع وأوراق نباتية متداخلة، كما توجد زخرفة نباتية مرسومة بالألوان داخل قاع علبة من العاج رقم ١٢٦٣٣ بمتحف الفن الإسلامي .

ويزخرف الجزء الأوسط من المشط رقم ٩٠١٥ بالمتحف نفسه زخرفة نباتية محورة عن الطبيعة عبارة عن أوراق شجر مكررة . كما يزخرف الجزء الأوسط من المشط رقم ٤٨٣٣ بنفس المتحف فرع نباتي ينتهي بوريدة ويتفرع منه وريقات نباتية أخرى . كما توجد زخارف نباتية مفرغة بالمستطيل الذي يتوسط القرط الذهبي الذي يأخذ شكل دائرة والمحفوظ بالمتحف الإسلامي بالقاهرة برقم ٤٩٩١ (لوحة ٢٠٣) .

ويزخرف العقد الذهبي المحفوظ بالمتحف نفسه برقم ١٣٧٤٩ زخارف نباتية متشابكة مكررة في كل سملك من سمالكة الواحد والعشرين (لوحة ١٩٧، ١٩٨) وبالمتحف نفسه خرزة من الذهب كروية الشكل مجوفة برقم ١٦٤٥٨ ترجع إلى مصر في القرن ٨ هـ / ١٤ م وزنها ٧,٣ جرام - عليها زخارف نباتية بارزة .

ومن الزخارف المحورة أيضا، ما نجده بظهر المرآة المعدنية المحفوظة بالمتحف نفسه برقم ١٥٣٤٥ حيث يزخرفه أربع دوائر تتعامد على الدائرة الوسطى بكل منها زهرة ربما تكون زهرة اللوتس المتفتحة المعروفة في عصر المماليك ولكنها هنا بشكل محور .

أما بالنسبة للزخارف النباتية المحاكية للطبيعة فنجد منها بعض الزهـور كـاللوتس المتفتح(1) وعود الصليب(2) ، فيزخرف بدن الزهرية النحاسية المحفوظة بمتحـف كليـة الآثار جامعة القاهرة برقم ١٤٦٧ من الخارج ثلاث جامات موزعة بانتظام علـى أبعـاد متساوية على الشريط الكتابى بداخل كل جامة زهرة لوتس متفتحة، ونجـد هـذه الزهـرة تزخرف الكثير من التحف المعدنية المملوكية فنجدها تزخرف - بالإضافة إلى زهور مـن خمس بتلات - مبخرة من النحاس محفوظة بمتحف الفن الإسلامى برقم ٤٠٢٤ .

ونجد زهرة عود الصليب تزخرف الشريطين اللذين بأعلى وأسفل الشريط الكتـابى الموجود بصندوق العمامة المحفوظ بمتحف كلية الآثار (لوحة ٢٣١ - ٢٣٦) .

* * *

(١) نلاحظ من خلال مشاهدتنا لرسوم زهرة اللوتس على المنتجات الفنية المملوكية أنها كانت ترسم دائما بخطوط مرنة حية تجعلها قريبة من الطبيعة إلى حد كبير، وقد عرفت زهرة اللوتس المرسومة بهذا الشكل باسم " اللوتس " الصينية " لكونها ضمن التأثيرات التي ظهرت نتيجة للعلاقات السياسية الطيبة بين المماليك والمغول .

وقد شاع استخدام زهرة اللوتس في زخرفة المنتجات الفنية فى مصر المملوكية منذ بداية القرن ٨ هـ / ١٤ م فنراها على سبيل المثال تزخرف مقلمة من النحاس المكفت بالفضة والذهب باسم السلطان المنصور قلاوون وبشكل زهرة عبارة عن ورقتين متقاطعتين كالمقص .

انظر Shafi, I, F.: Simple calyx ornament En Islamic Art, P..

فريد الشافعى : العمارة فى مصر الإسلامية عصر الولاة، المجلد الأول، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧٠، ص ٢٧٩ .

Safadi, Y.H.: Islamic Calligraphyo, London, 1958, P. 89. N. 98 .

(٢) يرجع أصل زهرة عود الصليب إلى الصين حيث تنمو شجيراتها التى تتميز بطول ازدهارها وتباين ألوانها بين الأحمر الوردى والأبيض ومن المحتمل أن تسميتها بعود الصليب جاءت من شكل توزيع بتلاتها الثلاث والأربع بهيئة متعامدة كالصليب . ويطلق عليها أيضا اسم عود الريح أو Peony " بيونى " وهو اسمها العلمى . وقد نقل الفنانون المسلمون هذه الزهرة من التحف الواردة من الشرق الأقصى فوجدت على بعض التحف المملوكية كالصوانى والشماعد والمباخر والمشكاوات الزجاجية وصناديق المصاحف المصفحة .

انظر :

Bedevian, A.K.: Polyglotic Dictionary of , Plant Names Cairo 1936, P. 435,No. 2516, The Wise Garden Encyclopedia, New York 1936, pp. 918-200 .

(د) زخارف الكائنات الحية :

حفلت التحف المملوكية التى تدخل فى جهاز العروس بالكثير من زخارف الكائنات الحية كما صممت أرجل أو نهايات بعض هذه التحف على شكل حيوان معين .

ومن الجدير بالذكر أن رسوم الحيوان مما ورثته فنون الإسلام عن الفنون التى سبقتها فى بلاد الشرق الإسلامى . وقد أقبل المسلمون على استخدام رسوم الحيوان فى زخارفهم . ولعلهم لم يتمسكوا فى شأنها بالأحاديث التى تحرم تصوير الكائنات الحية . واستعمل المسلمون فى زخارفهم رسوم الأسد والفهد والفيل والغزال والأرنب والطيور الصغيرة بأنواعها وأخذ المسلمون عن فنون الشرق الأقصى رسوم حيوانات خرافية ومركبة . وطبيعى أنها لقيت منهم ترحيبا كبيرا لأنها كانت تتفق فى تركيبها مع البعد عن الحقيقة والطبيعة، ومع التجريد الذى نعرفه فى الفنون الإسلامية، على أن المسلمين، حين أخذوا تلك الحيوانات الخرافية عن الصين، لم يحتفظوا بمعانيها الرمزية بل أصبحت عندهم رسوما زخرفية فحسب.

فالتنين مثلا كان من شارات الملك فى الصين، ولكنه فى الفن الإسلامى لا يرمز إلى شئ بل هو زخرفى فحسب .

كما رسموا الأفاعى والحيات والحيوانات والطيور المجنحة ([1]). وقد استعملت عناصر الكائنات الحية فى زخارف الخشب والجص والنحاس والنسيج والبلور والخزف . ويغلب أن توضع هذه العناصر داخل أشكال ومناطق .

وتوجد صور الأشخاص ، ورسوم الطير والحيوان، على التحف الإسلامية منذ البداية، فى جميع العصور، وكل البلاد([2]) ، ولم يذكر فى القرآن الكريم أى شئ عن تحريم صور الكائنات الحية على المسلمين ولكن الفن الإسلامى ليس بالفن الدينى، ولذلك فإننا لا نجد فى المساجد أى صور وتماثيل لتوضيح القصص الدينية، فى حين نرى الصور الآدمية ورسوم الطير والحيوان، تزخرف جدران قصور الخلفاء وبيوت الناس

---

(١) د . زكى حسن : فنون الإسلام، ص ٢٥٣ .

(٢) أبو صالح الألفى : الفن الإسلامى، ص ١١٧، ١١٨ .

وتزين ما يتداولونه من تحف، ومن الطبيعى أن يكـون رسـمها تبعـا للأسـلوب الفنـى المعاصر، ووفقا لرغبة الفنانين ([1]).

ومن هذه الزخارف نجد زخرفة تمثل طائرين متدابرين بالجسم متواجهين بـالرأس – وهذه الزخرفة مطعمة بالسن على السطح العلوى لقبقاب يرجع إلى مصر فى ق ٩هـ/ ١٥م محفوظ بمتحف الفن الإسلامى برقم ٤٩١٥، ونلاحظ أن هذا التقويم الزخرفـى كـان منتشرا فى زخارف التحف المملوكية . فنجد أيضا رسم طائرين بالألوان على داخل قـاع علبة من العاج برقم سجل ١٢٦٣٣ بمتحف الفن الإسلامى أيضا، ونجد زخـارف طيـور متقابلة فى صفين فوق بعضهما فى كل صف ٦ أزواج وذلك فى شـراب رقـم ١٥٦٠٩ بنفس المتحف (لوحة ٢٥٦).

ونجد زخرفة البط الطائر اثنتين متقابلتين واثنتين متدابرتين فى شكل شـبه معيـن متكررة فى أشرطة تزخرف القمقم النحاسى المكفت بالذهب والفضة – محفـوظ بمتحـف الفن الإسلامى برقم ١٥١١١ – هذا غير ما يوجد به من بطة منفردة بيمين ويسار كتابـة وذلك يتكرر أيضا فى أشرطة على بدن القمقم (لوحة ١٨٢) .

وبنفس المتحف علبة اسطوانية الشكل من النحاس برقم ٣٩٨٥ تحمل كتابة نسـخية باسم الأمير طغيتمر الساقى على بدنها، وعلى السطح العلوى للغطاء شريط من حيوانـات تجرى خلف بعضها مصر ق٨ هـ / ١٤ م .

وبهذا المتحف أيضا صدرية من النحاس الأصفر مضلعة عليها كتابة نسخية باسـم خوند زوجة السلطان المملوكى قايتباى رقم ١٥٠٨٦ – مزخرفة بصور طيور وحيوانات.

كما توجد رسوم البط الطائر ضمن زخارف كرسى من نحاس مخـرم منشـورى الشكل باسم السلطان الناصر محمد بن قلاوون – الذى كان من استخداماته حمل الصينيـة وقت العشاء – وهذا الكرسى بمتحف الفن الإسلامى برقم ١٣٩ . ونجـد صـورة غـزال يرفع رأسه كأنه يقتطف من النبات المحيط به فى قطعة من الخزف المزخرف بزخـارف

---

(١) محمد مصطفى : مناظر دينية على التحف الإسلامية، مجلة المجلة العدد ٤٨ ديسمبر ١٩٦٠ م ص ٣٩ .

ملونة تحت الطلاء الزجاجى محفوظة بمتحف الفن الإسلامى برقم ٥٧٠٧، ونجد صورة أوزة طائرة فى قطعة خزف مرسومة تحت الطلاء برقم ٤ / ٥٣٥٤ .

كما تزخرف أزواج من البط الطائر المتقابل صندوق العمامة النحاسى المكفت المحفوظ بمتحف كلية الآثار رقم ١٧٧١ .

وتحتفظ حجرة الأوسمة بالمكتبة الأهلية بباريس بمشط مزين بسمكتين متقابلتين بينهما سمكة رأسية .

وتعود الزخرفة بالسمك إلى جذور عميقة فى القدم إذا استخدمت فى العصور الفرعونية والقبطية ووجدت منذ القرن الأول الهجرى على حشوة من الخشب محفوظة بمتحف الفن الإسلامى ووجدت أيضا على التحف الفاطمية والأيوبية كما وجدت على الأدوات النحاسية والفخار المطلى فى عصر المماليك ([1]).

ومن الجدير بالذكر أن الزخرفة بالسمك استخدمت فى مشط آخر يرجع إلى مصر فى ق ٣ / ٤ هـ ٩ / ١٠ م([2]) محفوظ بمتحف الفن الإسلامى برقم ٧٨٩٢، فقد زخرف كل وجه بسمكة حفرت حفرا بارزا .

هذا ونجد زخرفة عبارة عن سمكة فى قاع إناء من الفخار المطلى بالمينا فى المتحف البريطانى يرجع إلى مصر فى عصر المماليك ما بين القرنين الثالث عشر والخامس عشر([3]).

وبالإضافة إلى ذلك فقد تمثلت صور الكائنات الحية على التحف المعدنية المكفتة بالفضة والذهب أيضا بطريقة أخرى فريدة فى نوعها : وهى تشكيل حروف الكتابات التى تزخرفها على هيئة كائنات حية آدمية وحيوانية ومن المرجح أن هذا الأسلوب من الزخرفة على التحف المعدنية المكفتة جاء إلى مصر من إيران .

غير أنه من الملاحظ أن فكرة تشكيل الحروف الهجائية على هيئة كائنات حية نبعت فى مصر . ولن نذهب بعيدا إلى اللغة الهيروغليفية، ولكن يكفى أن نشير إلى

---

(١) Ahmed Abd - Ar - Raziq : Les Peignes Egyptiens P . 402,403,407 PL .XXII .

(٢) أنظر لوحة رقم ١٧ بمعدات التجميل لأحمد ممدوح حمدى .

(٣) زكى محمد حسن : أطلس الفنون، ص ٦٣، شكل ١٩٤ .

المخطوطات المصرية المكتوبة باللغة القبطية على الرق التى سبقت الإشارة إليها والتى ترجع إلى القرون الإسلامية التى زخرفت فيها بعض الحروف الأولى بصور مختلفة من بينها رسوم نباتية عربية ورسوم حيوانية وآدمية . ومن المعتقد أن هذا الأسلوب فى زخرفة الحروف الهجائية قد انتقل على يد المصريين إلى الأيرلنديين والأرمن .

وليس من المستبعد أن يكون صناع المعادن المسلمون قد تأثروا بالكتابة الأرمنية التى كانت تشكل أحيانا على هيئة كائنات حية، ومهما يكن من شئ فقد بلغ هذا الأسلوب من الزخرفة على التحف المعدنية المكفتة أوج ازهاره وتطوره فى مصر فى عصر المماليك . إذ كانت الصور التى تمثل الحروف الهجائية فى العادة من قبل يسودها الجمود ويقتصر فيها غالبا على تشكيل رءوس المستقيمات فقط على هيئة رءوس آدمية، أما فى مصر فقد تطورت الزخارف بحيث صارت الكتابة بأجمعها تتألف من صور كائنات حية، فصارت الألفات واللامات تأخذ شكل صور آدمية كاملة فى حين كانت باقى الحروف تشكل على هيئة طيور وحيوانات وآدميين .

ويتمثل هذا النوع من الزخارف على رقبة شمعدان من النحاس المكفت بالفضة بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة برقم ٤٤٦٣ عمل برسم طشت خاناه المقر العالى المولوى الزينى زين الدين كتبغا المنصورى الأشرفى فى سنة ٦٩٣ هـ / ١٢٩٣ م ويزخرف هذه التحفة شريطان من الكتابة المكفتة بالفضة . أحدهما بالخط النسخ المملوكى ويلف حول جسم الفوهة والآخر بالحروف المشكلة على هيئة كائنات حية ويلف حول الرقبة .

وفى حين تفيد الكتابة النسخية فى نسبة الشمعدان إلى كتبغا فإن الكتابة المشكلة على هيئة كائنات حية تساعد على تأريخ التحفة، وفى الوقت نفسه تبهرنا بجمالها وغرابتها . ويتألف هذا النص من حروف شكلت على هيئة آدميين وحيوانات وطيور . وتمثل الأشكال الآدمية جنودا محاربين تحيط برءوسهم هالات، وقد تسلحوا بمختلف الأسلحة من سيوف ورماح ودروع وأقواس وسهام، وفى حركات وأوضاع مختلفة كالهجوم والدفاع والضرب(١).

---

(١) حسن الباشا : فنون التصوير الإسلامى فى مصر، دار النهضة العربية١٩٧٠ م ص١٣٨، ١٤٠، ١٤٢ .

ونجد الرسوم الآدمية أيضا على صينية من النحاس المكفت بالفضة ترجع إلى مصر فى عصر المماليك ق ٨ هـ / ١٤ م - ومحفوظة بالمتحف الإسلامى برقم ١٥١٤٧ فيتوسطها سبعة دوائر بها رسوم أشخاص يحيط بها سطر كتابة نسخية تتخللها أربع دوائر بها صور فرسان وذلك بين شريطين من مناظر طرب . هذا وقد صممت أرجل بعض التحف المملوكية على شكل أرجل حيوان أو رأس ثعبان، ومثال ذلك الحامل المعدنى المثمن الشكل المحفوظ بمتحف كلية الآثار جامعة القاهرة برقم ١٥١٥ فأرجله الثمانية بشكل أرجل حصان (لوحة ١٢١) ويشبهه فى ذلك الحامل المماثل له والمحفوظ بالمتحف القبطى . (لوحة ١٢٢).

وبالنسبة للتحف التى تأخذ أرجلها شكل رأس ثعبان مبخرة من النحاس محفوظة بمتحف فيكتوريا وألبرت وهى تحمل اسم السلطان محمد بن قلاوون - ق ٧ هـ / ١٣ م - وتشبهها فى الأرجل والتصميم مبخرة أخرى محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ترجع إلى حوالى القرن ٨ هـ / ١٤ م .

وبالنسبة للتحف التى ينتهى طرفاها برأس حيوان نجدها ممثلة فى أربع أساور من الذهب والفضة محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة فالسوار الذهبى رقم ١٥٤٤٦ ينتهى برأس أسد، والسوار الفضة رقم ١٥٤٩٥ ينتهى طرفاه على شكل رأس ثعبان .

والسوار الذهبى رقم ١٥٤٧١ - مصر ق ٨ هـ / ١٤ م - ينتهى طرفاه برأس تنين على المحبس، كما أن السوار الذهبى رقم ١٤٨٠٢ ينتهى طرفاه برأس تنين .

* * *

(هـ) الرنوك :

زخرفت العديد من التحف المنزلية المملوكية وأدوات التجميل وحتى الحلى برنوك[1] مرسومة .

وكان من المعتاد أن توضع هذه الرسوم فى تروس مستديرة الشكل أو تروس مدببة عند قاعدتها أو مربعة، ولكن أكثر هذه الأشكال انتشارا هو الذى يتكون من دائرة يقسمها خطان متوازيان إلى ثلاثة أقسام يسمى القسم الأوسط منها " الشطب " .

وكانت هذه الرنوك تلون بألوان زاهية حسب رغبة صاحبها، إذا سمحت بذلك المادة المصنوعة منها، لأن ألوان الزنك كانت جزءا هاما منه[2] .

وقد قسمت الرنوك إلى نوعين : رنوك بسيطة ورنوك مركبة . فالرنوك البسيطة هى التى تحوى علامة أو أكثر على الشطب، أو على الرنك مباشرة إذا لم يكن بوسطه شطب، وهى رنوك شخصية تدل على الوظيفة التى كان يشغلها حاملها قبل ترقيته إلى درجات الأمراء . أما الرنوك المركبة فيرى عليها علامات متعددة على أقسام الرنك الثلاثة، وهى ليست شخصية كما هى الحال فى الرنوك البسيطة، بل هى رنوك جماعات

---

(١) مفردها رنك وهى كلمة فارسية بكاف معقودة كالجيم المصرية بمعنى لون . وقد استعمل المماليك هذه الكلمة فى مصر وسوريا منذ القرن ٥ هـ / ١١ م للدلالة على الشارة، أو الشعار أو العلامة التى يتخذها الشخص لنفسه وينفرد بها دون غيره وذلك عند تأمير السلطان له .

د . أحمد عبدالرازق أحمد : الرنوك على عصر سلاطين المماليك – مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية – المجلد ٢١ – سنة ١٩٧٤ م، ص ٦٧ .

وقد عرفت الرنوك فى الإسلام فى عهد الأتابكة والأيوبيين ولكنها انتشرت فى عصر المماليك، وأصبح الرنك تقليدا رسميا يحافظ عليه صاحبه ويعتز به، ثم صار فى هذا العصر امتيازا خاصا للسلطان والأمراء فقط . ويبدوا أن هيئة الرنك كانت ذات صلة بالوظيفة التى كان يشغلها صاحبه عند تأميره ومنحه الرنك .

د . حسن الباشا : المشكاة فى الفن الإسلامى (مقالة بمجلة منبر الإسلام، العدد ٣، السنة ٢٥ ربيع الأول سنة ١٣٨٧ هـ) ص ١٢٧ .

(٢) كرستى وأرنولد وبريجز : المرجع السابق، ص ٥٩ .

د . محمد مصطفى : الرنوك (مقالة بمجلة الرسالة، ص ٢٧٠) .

المماليك تنتسب كل جماعة منهم السلاطين أو أحد كبار الأمراء كالمماليك المؤيدية والأشرفية مثلا(1).

وقد شاع وجود هذه الرنوك فى زخارف أدوات المطبخ المصنوعة من الفخار المطلى بالمينا فى عصر المماليك، فنجد رنك السيف يزخرف قاع طبق من الفخار المطلى برقم سجل ١٥٤٧٠ بالمتحف الإسلامى، ورنك عصاتا البولو على سلطانية من الفخار المطلى برقم ٥١٨٥ بنفس المتحف، ونجد نفس الرنك على جزء من إناء ربما يكون سلطانية محفوظ بمتحف كلية الآثار برقم ٩٥، ورنك الجوقندار الناصرى يزخرف آنية مستديرة الشكل ذات حافة مصنوعة من الفخار الأحمر ارتفاعها ٥،٠ر، قطر فوهتها ١٠ر، محفوظة بمتحف الفن الإسلامى برقم سجل ٣٦٣٠، ورنك زهرة الزنبق يزخرف قاع سلطانية من الفخار المطلى بالمينا الصفراء برقم ٣٧٤٣، كما يحتفظ نفس المتحف بسلطانية من الفخار المطلى برقم ٢٣٨٣٢ فى مركز دائرة صغيرة يتوسطها شريط مستطيل به هيئة شارة البوق .

ويحتفظ متحف برلين بكأس من الفخار المطلى بالمينا يرجع إلى مصر فى عصر المماليك مزخرف برنك البقجة .

وقد امتدت الزخرفة بالرنوك إلى شبابيك القلل فيحتفظ متحف الفن الإسلامى بالقاهرة ببعض هذه الشبابيك منها شباك مزخرف برنك الهدف وشباك مزخرف برنك الزهرة، وآخر برنك البقجة على شطب والثلاثة برقم سجل ٦١٠٥ .

ويزخرف رنك الكأس إبريق من النحاس المكفت بمتحف الفن الإسلامى برقم ٢٤٠٨٤ (لوحة ٣٨)، يزخرف طشت نحاس مكفت برقم (لوحة ٣٧) وبنفس المتحف طشت نحاس برقم سجل ١٥٠٣٨ عليه من الداخل والخارج سطر كتابة نسخية باسم (قشتمر) تتخلله جامات بها رنك النسر وصدرية من النحاس برقم ٣٤٠٢ (طول ٢٤ر، عرض ١٢ر) مزخرفة من الخارج بكتابة يتخللها ست دوائر داخل ثلاثة منها رنك زهرة الزنبق، وطاس نحاس برقم سجل ١٥١٠٣ عليها سطر كتابة نسخية تتخللها ست دوائر بكل منها رنك به شارة الدواة .

---

(1) La Mayer : Apropos du blason sous Les Mamluks Circassiens, Syria, 1937, p. 390 , F.

ويزخرف الصينية الزجاج المموهة بالمينا الملونة - التـــى ترجـــع إلـــى عصـــر المماليك والمحفوظة بالمتحف القبطى برقم ٣٢٥٢ - دوائر يتوســـط ثلاثـــة منـــهم رنـــك السيف. (لوحة ١١٩، ١٢٠) .

كذلك انتشرت الرنوك على الأمشاط الخشبية التى ترجع إلى عصر المماليك، فنجـد رنك البقجة على مشط يرجع إلى مصر فى ق ٩ هـ / ١٥ م - محفوظة بمتحـف الفـن الإسلامى برقم ٤٩٣٢، ورنك زهرة الزنبق على مشط رقم ٣٩٠٧، ورنك القبق يزخـرف نصف مشط (مقاسه ٩٥ طول x ٦سم عرض) بمتحف الفن الإسلامى أيضا رقـم ٤٩٢٤ . بالمتحف نصف مشط (طوله ٩سم x ٤ سم عرضه) برقم ٤٩٢٦ بوسطه نصف رنـــك السيف، وبالمشط رقم ٤٩٢٨ عبارة (عز دائم) بينها رنك عبارة عن دائرة وشـــريطين، بوسط مشط من ضمن ٤ أمشاط برقم ٣٩٥٧ توجد زخرفة عبارة عن رنك زهرة الزنبـق. (لوحة ١٥١) .

وتحتفظ حجرة الأوسمة بالمكتبة الأهلية بباريس بمشط مزخرف برنـــك مملوكـــى، يتكون من ٧ أشرطة بشكل حواجز، كما يوجد على نهايتى الجزء الأوســـط للمشـــط فـــى الحرفين المتعامدين على الجزء الأوسط ترس آخر مستدير بخمسة تقسيمات الواحدة جنـب الأخرى، ويطلق على هذا الرنك رنك الشطف أو البريدى وهو من الرموز الغامضة (1).

هذا ومن الطريف حقـا أن يزخرف الصـائغ قطع الحلى بـالرنوك فنجـد رنـك البقجة - بالبـارز - على محيط خاتـم رقم ١٦٣٥٥ بمتحف الفـن الإسـلامى ورنـك السيف على محبس السوار الذهبى رقـم ١٥٤٧١ بنفس المتحف هـذا ويوجد نوع آخـر من الرنوك خاص بسلاطين المماليك فقط، ويسمى فى الاصطلاح العرفـى - نقـلا عـن الغربيين - (خرطوشا) .

وهذا النوع على شكل دائرة مقسمة إلى شطب فى الوسط وقسمين آخرين أحدهمـا أعلاه والآخر أسفله ولا توجد عليه علامات كما فى الرنوك الأخرى، بـل عليـه كتابـات باسم السلطان(2).

---

(١) Ahmed Abd Ar-Raziq : Les Peignes, P. 403 Fig . 4 .

أحمد عبدالرازق : الرنوك، ص ٨٠ شكل ٦ .

(٢) محمد مصطفى : الرنوك، ص ٢٧١ .

أثاث منزلى

لوحة : (٧)

التحفة : سرير منخفض

المتحف : متحف جاير أندرسون

رقم السجل : ٦٢٧٠ (غرفة الحريم)

التاريخ : ق ١٢ هـ / ١٨ م

المادة : خشب وصدف وخيرزان

الشكل : ملة مستطيلة الشكل مقامة على أربع أرجل مخروطة

المقاسات : الطول ٢٠٢ سم، العرض ٥ر٧٨ سم، ارتفاعه ٢ر٥١ سم

الزخارف وطريقة تنفيذها :

معظمها هندسية عبارة عن معينان ودوائر منتشرة فى الأرجل والأربع ألواح المحيطة بالملة .

وتوجد زخرفة نباتية عبارة عن وريقات تخرج من فرع صغير وجميع الزخارف منفذة بالتطعيم بالصدف فى الخشب .

– ينشر لأول مرة .

لوحة : (٨)

التحفة : سرير

المتحف : متحف جاير أندرسون

رقم السجل : ٩٨٥ (الغرفة الفارسية)

المادة : خشب

الشكل : يأخذ شكل نقالة بأربع أرجل تشبه أرجل الحيوانات ذات الحوافر

المقاسات : ٣٢ x ٩٥ x٢٠٠

السرير خال من الزخارف

- ينشر لأول مرة .

لوحة : (٩)

التحفة : سرير

المتحف : متحف جاير أندرسون

رقم السجل : ١٠٠٤ (الغرفة الفارسية)

التاريخ : ق ١٢ هـ / ١٨ م

المادة : خشب

الشكل : مستطيل الشكل قائم على أربعة قوائم ، له سور شغل خرط من ٣ جهات (أى بظهر وجانبين) ، وبأعلاه تركيبة من خشب للناموسية على خمسة قوائم شغل خرط وله ملة من حديد .

المقاس : ٢٥٨ x ١٣٢ x ٢٣٠

الزخارف وطريقة تنفيذها :

زخارفه هندسية عبارة عن مثلثات ومربعات مخلقة من الخرط الميموني المائل والعدل الموجود بسور السرير .

- ينشر لأول مرة .

لوحة : (١٠)

التحفة : سرير

المتحف : متحف جاير أندرسون

رقم السجل : ١٨١١

التاريخ : ق ١٢ هـ / ١٨ م

المادة : خشب

الشكل : مستطيل الشكل قائم على أربعة قوائم مربعة ومثبت بأعلاه عشرة أعمدة مستديرة، ورفيعة من الخشب الخرط .

المقاس : الطول ٢٠٠سم، العرض ٦ر١٣١ سم، ارتفاعه عن الأرض ٥ر ٢٤ سم، ارتفاعه الكلى ١٧٤ سم .

الزخارف وطريقة تنفيذها :

السرير مطعم بنقوش على شكل وريدات من العظم، كما أنه مزين بالمرآيا المحكمة الصنع من الأمام والخلف .

- ينشر لأول مرة .

اللوحة : (٢٥)

التحفة : صندوق

المتحف : متحف جاير أندرسون

رقم السجل : ١٦٤

التاريخ : ق ١٠ - ١١ هـ / ١٦ - ١٧ م

المادة : خشب أبنوس وعاج

الشكل : يتكون الصندوق من أربعة ألواح من الخشب كل اثنين متقابلين متساويين

المقاس : الطول ١٠١ سم - العرض ٥٠ سم - الارتفاع ٤٧ سم

الزخارف وطريقة تنفيذها :

زخارفه هندسية منفذة بتطعيم خشب الأبنوس المصنوع منه الصندوق بالعاج الأبيض وذلك فى الواجهة والغطاء وهذه الزخرفة عبارة عن طبقين نجميين كل منهما يتكون من ١٢ كندة و ١٢ لوزة يتوسطهم ترس ويحيط بكل طبق ١٢ بيت

غــراب يتوسط المسافة بين الطبقين شكل زهرية أو قلة مزخرفة بأشـــكال مسدسات ومثلثات .

ويحيط بكل طبق من ٤ جوانب ٤ وريدات من ٨ بتلات ويضم هذه الزخارف كلــها إطار مستطيل تزخرفه وريدة من ٤ بتلات متكررة .

- ينشر لأول مرة .

لوحة : (٣٥)

التحفة : لحاف

المتحف : متحف الفن الإسلامى

رقم السجل : ٢٣٩٠٥

التاريخ : عصر المماليك

المادة : نسيج وقطن

الشكل : مستطيل

المقاس : الطول ١٨٠ سم، العرض ١٤٠ سم

الزخارف وطريقة تنفيذها :

أحد أوجه اللحاف لونه أحمر غامق وعليه زخارف مطبوعة تتكون من شكل معيــن فى الوسط داخله أشكال هندسية وحوله أشكال مستديرة شبه زهــرات أو لوزيــة بداخلــها زخارف نباتية وعلى الجانبين الطويلين أشكال مستديرة شبه زهرات كبيرة ويحد المعيـــن من الجانبين القصيرين أشرطة متوازية بها تقسيمات هندسية (تتشابه بزخارف الســجادة) وأزهار وشبه كتابة وذلك باللونين الأبيض والبنى الغامق .

- ينشر لأول مرة .

أدوات مطبخ

لوحة : (٤٥)

التحفة : صدرية

المتحف : متحف الفن الإسلامى

رقم السجل : ٤١٢٠

التاريخ : مصر ق ٩ هـ / ١٥ م

المادة : نحاس

المقاس : القطر ٤٤ سم – الارتفاع ٢٠ سم

الزخارف وطريقة تنفيذها :

يزخرف الصدرية كتابة فوق أرضية من زخارف نباتية تقطعها أربع دوائر مسننة، باثنين منها كتابة، وبالآخرين زخرفة والكتابة نصها : (مما عمل برسم الست المحجبة ذات الستر الرفيع والحجاب المنيع خوند الكبرى جهة المقام الشريف الملكى الأشرف أبو النصر قايتباى سلطان الإسلام) .

– سبق نشرها أحمد ممدوح حمدى معدات التجميل ص ٤٩ لوحة ٥ .

لوحة : (٧٧)

التحفة : سكينة

المتحف : متحف الفن الإسلامى بالقاهرة

رقم السجل : ٤١٨٠

التاريخ : ق ٧ / ٨ هـ - ١٣ / ١٤ م مصر فى عصر المماليك

المادة : نصل السكينة من العاج واليد من خشب وهما مثبتان معاً بواسطة مسامير نحاسية صفراء وحمراء

الزخارف وطريقة تنفيذها :

الزخارف عبارة عن دوائر صغيرة، وخط واحد منكسر .

- تنشر لأول مرة .

اللوحة : (١٠٣)

التحفة : شق رحى (الجزء العلوى)

المتحف : المتحف الزراعى بالدقى

رقم السجل : ١٦٤٦

التاريخ : (العصر المملوكى) ق ٨ / ٩ هـ - ١٤ / ١٥ م

المادة : حجر خال من الزخرف

الشكل : مستدير

المقاس : القطر ٣٤ سم

- تنشر لأول مرة .

اللوحة : (١٠٧)

التحفة : هاون ويده

المتحف : متحف الفن الإسلامى بالقاهرة

رقم السجل : ١٩٣٧٧ / ١، ٢

التاريخ : عصر المماليك

المادة : حجر الجرانيت الأسود

الشكل : مخروط مسطح من القاعدة - فاقد من فوهته ومن القاع أجزاء

الزخارف : خال من الزخارف

- ينشر لأول مرة .

اللوحة : (١١٩، ١٢٠)

التحفة : صينية

المتحف : المتحف القبطى

رقم السجل : ٣٢٥٢

التاريخ : مصر فى عصر المماليك ق ٩ هـ / ١٥ م

المادة : زجاج

الشكل : دائرى

المقاس : القطر ٣١ سم – الارتفاع ٨ر٣ سم

الزخارف وطريقة تنفيذها :

يزخرف الصينية ٣ دوائر متساوية تفتح على دائرة وسطى فى مركز الصينية بداخلها دائرة . وبكل دائرة من الدوائر الثلاث دائرة تتحد معها فى المركز ويتوسطها رنك السيف وبين الدوائر ٣ جامات مرسومة بخطوط بنية، وفى الخلفية خطوط غير منتظمة .

والزخارف مموهة بالمينا الملونة البيضاء والبنية والزرقاء والحمراء .

- تنشر لأول مرة .

مفارش الأرض

اللوحة : (١٢٩)

التحفة : جزء من سجادة

المتحف : متحف كلية الآثار

رقم السجل : ١٧٥٢

التاريخ : عصر المماليك

الشكل : مستطيل

المقاس : القطر ١٨٦ سم – العرض ٥٨ سم

الزخارف : هندسية ونباتية محورة، وألوان السجادة خضراء وزرقاء وحمراء .

اللوحة : (١٣٤)

التحفة : حصيرة

المتحف : المتحف الزراعى بالدقى

رقم السجل : 1706 A

التاريخ : مصر فى العصور الوسطى

المادة : خصل من القش الغليظ منسوجة على النول بطريقة النسيج العادى

الشكل : مستطيل

المقاس : الطول ١٢٦ سم – العرض ٨٣ سم

– تنشر لأول مرة .

أدوات الإضاءة

اللوحة : (١٤٠)

التحفة : شمعدان

المتحف : متحف جاير أندرسون

رقم السجل : ٢٨٤

التاريخ : عصر المماليك

المادة : نحاس

الشكل : مخروط ناقص

الزخارف وطريقة تنفيذها :

زخارف نباتية وكتابية منفذة بالحفر، الزخارف النباتية من بينها زهرة اللوتس المتفتحة، والزخارف الكتابية شريط بخط الثلث باسم السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون.

- ينشر لأول مرة .

أدوات التجميل

اللوحة : (١٤٦)

التحفة : مشط

المتحف : متحف الفن الإسلامى

رقم السجل : ٣ / ٣٩٥٧

المادة : خشب

الشكل : مستطيل (يشبه الفلاية المعروفة فى الأوساط الشعبية الآن) له صفين من الأسنان صف رفيع وصف واسع يتوسطهما حشوة بها زخارف .

الزخارف وطريقة تنفيذها :

يحتوى الشريط الأوسط بالمشط على زخارف هندسية وكتابية، الزخارف الهندسية دوائر كبيرة بداخلها دوائر صغيرة منفذة بالحفر والتخريم، والزخارف الكتابية منفذة بالحفر بخط النسخ نصها " الستر الرفيع " وذلك على كلا الوجهين .

- ينشر لأول مرة .

اللوحة : (١٤٩)

التحفة : جزء من مشط

المتحف : متحف الفن الإسلامى

رقم السجل : ٤٩٥٨

التاريخ : مصر فى عصر المماليك

المادة : خشب

المقاس : ١٠ X ٥ سم

الشكل : على كلا وجهيه زخرفة عبارة عن طائرين ملتصقين الجسد

- ينشر لأول مرة

اللوحة : (١٥٩ - ١٦٠)

التحفة : مشط

المتحف : متحف الفن الإسلامى

رقم السجل : ٤٩١٩

التاريخ : مصر القرن ٨ هـ / ١٤ م

المادة : خشب

الشكل : مستطيل، يتكون من صفين من الأسنان - صف أسنان رفيعة والمسافة بينها ضيقة وصف أسنان كبيرة المسافة بين كل سن وسن واسعة - وبينهما جزء مستطيل .

الزخارف وطريقة تنفيذها :

يتوسط الجزء الأوسط من المشط مستطيل يخرج من طرفيه وريقة من ثلاث بتلات، حفر بداخله كتابة نسخية نصها بالوجه الأول للمشط (أنا مشط عملت للتسريح) وبالوجه الثانى (لا أسرح إلا لكل مليح) . والزخارف منفذة بطريقة حفر الأويمة .

- ينشر لأول مرة .

اللوحة : (١٧٩)

التحفة : قنينتان للعطر ومكيال لتحديد كمية العطر

المتحف : متحف الفن الإسلامى

رقم السجل : ٢٤٢٣٤ - ٢٤٢٣٥ - ٢٤٢٣٦

التاريخ : عصر المماليك ق ٨ هـ / ١٤ م

المادة : زجاج

الشكل : القنينتان ذات بدن متسع والرقبة ضيقة . والمكيال مخروطى الشكل .

- تنشر لأول مرة .

اللوحة : (١٨٠)

التحفة : ٣ قنينات للعطر ومكيال لصب الزيت العطرى

المتحف : متحف الفن الإسلامى

رقم السجل : ٢٤٢٣٩ /٣٢ - ٢٤٢١٤ - ٢٤٢٣٨ / ٣١ - ٢٤٢١٥

التاريخ : عصر المماليك ق ٨ هـ / ١٤ م

المادة : زجاج

الشكل : القنينة رقم ٢٤٢٣٩ / ٣٢ صغيرة تأخذ قاعدتها شكل الدرس، القنينة رقم ٢٤٢٣٨ / ٣١ بدنها مستطيل وفوهتها مخروطية، القنينة رقم ٢٤٢١٤ بدنها كروى وفوهتها اسطوانية . المكيال مخروطى الشكل له مجرى لصب الزيت .

- تنشر لأول مرة .

اللوحة : (١٧٢)

التحفة : مكحلة ومرود

المتحف : متحف الفن الإسلامى بالقاهرة

رقم السجل : ١١ / ٦٨٨٢، ٢٢٥٩

التاريخ : مصر ق ٧ - ٨ هـ/ ١٣ - ١٤ م

المادة : خشب

الشكل : تأخذ المكحلة فى شكلها العام شكل زير الفخار المستخدم فى حفظ الماء فى ريفنا المصرى حتى الآن – فهى ذات فوهة شبه دائرية ثم تمتد إلى أسفل برقبة اسطوانية وتنتهى الرقبة بشريط بارز يحيط بها تخلق من حفر ما حوله ثم يتسع بدن المكحلة فى أعلاه ثم يستدق كلما اتجهنا إلى أسفل وفى وسط البدن تقريباً ثلاث خطوط بارزة محيطة به ويتوسط المسافة بين هذه الخطوط والقاعدة خط بارز آخر وتنتهى القاعدة المستدقة بجزء مسطح أفقى ثم جزء صغير يتسع إلى أسفل .

– سبق نشرها :

أحمد ممدوح حمدى : معدات التجميل لوحة ٥٢ .

اللوحة : (١٨٥)

التحفة : حجر خفاف أو حمام

المتحف : مجموعة د . هنرى أمين عوض

المصدر : من مخلفات الفسطاط

التاريخ : مصر فى العصور الوسطى

المادة : حجر

الشكل : بيضاوى

الزخارف : زخارفه محفورة وهى عبارة عن أشكال مستطيلة

– ينشر لأول مرة .

الحلى

اللوحة : (١٩٧ - ١٩٨)

التحفة : عقد

المتحف : متحف الفن الإسلامى

رقم السجل : ١٣٧٤٩

التاريخ : مصر عصر المماليك

المادة : ذهب مطعم بالمينا وبالأحجار الكريمة

النوع : حلية صدر

المقاس : ٠ر٢٤٠ م طول

الوصف والزخارف :

عقد من الذهب مكون من عشرين سملك شغل شفتشى شكلها بيضاوى بأعلى كل منها لؤلؤة صغيرة يتدلى منها ثلاثة دلايات مستديرة من ذهب شغل شفتشى بوسط كل منها حجر مستدير والأوسط منها مثبت فى شكل هلال صغير مطعم بالمينا ومكتوب به " عز دائم " بخط النسخ .

اللوحة : (٢٠٩)

التحفة : سوار

المتحف : متحف الفن الإسلامى

رقم السجل : ١٥٤٧١

التاريخ : مصر - ق ٨ هـ / ١٤ م

المادة : ذهب

النوع : حلية لليدين

المقاس : القطر ٣ر٦ سم

الوصف والزخارف :

السوار مشكل من الأسلاك المجدولة ينتهى طرفاه برأسى تنين يقبضان على محبس عليه رنك به شارة السيف، وهذا يوضح التأثير الصينى فى صناعة عصر المماليك .

اللوحة : (٢١٣)

التحفة : عروسة برقع

المتحف : متحف الفن الإسلامى

رقم السجل : ٧٨٠٦

التاريخ : مصر فى عصر المماليك

المادة : نحاس مطلى بالفضة

الشكل : تأخذ شكل اسطوانة بخارجها ثلاث عجلات مسننة

النوع : حلية ملابس

المقاس : ٠٤٧ر٠ سم

- تنشر لأول مرة

ملابس

اللوحة : (٢٢٥)

التحفة : متك (مدك)

المتحف : متحف الفن الإسلامى

رقم السجل : ٥٩٦٥

التاريخ : ق ٨ - ٩ هـ / ١٤ - ١٥ م

المادة : نحاس

الشكل : يأخذ شكل قلم ، وله حلقة

المقاس : ١٤٥ر٠ طول - ١٧٠ر٠ عرض .

الزخارف : بسيطة عبارة عن خطوط .

- ينشر لأول مرة .

اللوحة : (٢٢٦)

التحفة : متك (مدك)

المتحف : متحف الفن الإسلامى

رقم السجل : ٥٠٤١

التاريخ : مصر فى عصر المماليك

المادة : خشب

الشكل : اسطوانى

الزخارف : يضم من طرفيه زخارف كتابية وزخارف هندسية عبارة عن دوائر صغـيرة بها ثقب من مركزها .

- ينشر لأول مرة .

اللوحة : (٢٢٩)

التحفة : طاقية

المتحف : متحف الفن الإسلامى

رقم السجل : ٤٤٣٠

التاريخ : مصر فى عصر المماليك

المادة : خيوط حريرية ملونة

الشكل : نصف دائرى

الزخارف : نباتية وهندسية - الزخارف النباتية عبارة عن وريدات من ثمـــان بتــلات، والهندسية دوائر ومثلثات ومعينات وخطوط .

اللوحة : (٢٣١ - ٢٣٦)

التحفة : صندوق عمامة

المتحف : متحف كلية الآثار

رقم السجل : الصندوق ١٧٧١ / ١، الغطاء ١٧٧١ /٢

التاريخ : مصر فى عصر المماليك

المادة : نحاس مكفت بالذهب والفضة

الشكل : له ١٢ ضلع وغطاء

- ينشر لأول مرة .

اللوحة : (٢٤٧)

التحفة : قبقاب

نص العقد :

- **السطر الأول** : بسم الله الرحمن الرحيم
- **السطر الثانى** : ... ملك بن عامر المس عحلوه ... فصاهر عبدالله
- **السطر الثالث** : ... عوف بن نصر الدان فصاهر أباه فى سنة أحد وتســعين وسهد
- **السطر الرابع** : ... إلى عبادة
- **السطر الخامس** : ... المنصور عباس وكتب .
- ينشر لأول مرة .

اللوحة : (٢٦٤)

عقد زواج

مكان الحفظ : متحف اللوفر

التاريخ : ٢٥٢ هـ / ٨٦٦ م

المادة : بردى

الشكل : مستطيل

المقاس : ٢٤ x ١٤ سم

وجه البردية :

- عدد الأسطر المتبقية : ١٧ سطر مشوهة - والحبر ممسوح
- نوع الخط : خط سريع اعتيادى .

ظهر البردية :

- الألياف أفقية ، والخط ممسوح حتى أنه يصعب قراءته وفى الغالب بيد أبـــى هريرة

– سبق نشره .

Yusuf Ragib: Contrat de Mariage (252 / 866) supplement aux Annales Islamalogiques No . 2

Marchands d, etoffes du Fayyoum Au III[E] / IX [E] Siecle pp. 33-35.

نص العقد :

١ – (بسم الله الرحمـــ) ن الرحيم

٢ – زكـــ) ريا بنى يونس البزاز أصدق امرأته محمدية ابنت

٣ – ستة الدنانير نقدها قبل (اصابته بها ودخوله عليها)

٤ – عـــ ند عقدة نكاحه اياها دينارين ...

٥ –) به واخرت عنه دينارين الى

٦ – ربيع الأول سنة اثنتين وخمسين ومايتين فالذى

٧ – .. (اربـــ)ـــعة الدنانير دينارين معجل ودينارين

٨ – هذا الكتاب وولى عقدة نكاح محمدية

٩ – جعفر بن أحمد بن عبد الـــ) مومن بعد أن اشهدت له شاهدين

١٠ –) زكريا بن يونس و ... (...)

١١ –) ـــها جعفر بن أحمد بن عبد المومن

١٢ – وقبل زكريا بن يو) نس هذا النكاح ورضيه وعرفه

١٣ – سنة اثنتين) وخمسين ومايتين

١٤ – مـــ) ـــهرها المعجل وهو دينارين

١٥ – ... شهد على ذلك

١٦ –) ... عبد الله

١٧ –) ....

اللوحة : (٢٦٨)

التحفة : عقد زواج

المتحف : متحف الفن الإسلامى بالقاهرة

رقم السجل : ٤٢٢٥

المادة : مكتوب على قطعة من القطن المنشى

المصدر : الشراء (اشتراه المتحف من سعيد خشبة)

مقاس قطعة القطن : ٢٦ x ٢٧ سم

التاريخ : كتب فى جمادى الأولى سنة ٧٤٤ هـ / ١٣٤٣ م

الخط : مكتوب بالخط الأيوبى اللين (المستدير)

قيمة الصداق به : مائة وخمسين درهم

عدد الأسطر : ٨ أسطر + توقيعات الشهود

خطبة النكاح : لا يحتوى العقد على خطبة للنكاح

نص العقد :

١ – بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

٢ – هذا ما أصدق حسن تشكر بن عبدالله النوبى مملوك الأمير عز الدين هبة الله بن الأمير تاج الدين متوج ابن الكنز

٣ – لمخطوبته المرآة الكامل مليحة ابنة أيلم مملوكة أم الخير ابنة الأمير ركن الدين بن الكنز وبه تزوجها

٤ – اصدقها على بركة الله سبحانه وحسن توفيقه وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً صداقاً جملته .

٥ – من الدراهم النقرة المسكوكة مائة درهم وخمسون درهماً الحال من ذلك خمسون درهماً مقبوضة .

٦ – بيد سيدتها المذكورة والباقى مقسطاً سلخ كل سنة عشرة دراهم متوالية ؟ ... السيدة المذكورة .

٧ – ما خص السيدية (كذا) ام الخير " له " فى حله بشهادة شهود بعد وضوح خلوها من جميع الموانع الشرعية .

٨ – قبل لنفسه النكاح باذن سيده له فى ذلك بتاريخ العاشر من شهر جمادى الأولى سنة أربع وأربعين وسبعمائة .

– **الشاهد الأول** : حضرت العقد المذكور وشهدت على من سمى فيه بما نسب إليهم فيه فى تاريخه عبد الحليم بن حامد بن طه .

– **الشاهد الثانى** : حضرت العقد المذكور وشهدت على من سمى فيه بما نسب إليهم فيه فى تاريخه الشريف طاها (كذا) القرشى .

– سبق نشره – انظر :

Ahmad Abd Ar-Raziq, Un ducument Concernant Le mariage des esclaves au temps des Mamluks, Jesho III / 3 (1970), pp. 309-314.

اللوحة : (٢٦٥ – ٢٧٦)

التحفة : أوراق من مخطوط تشريف الأيام والعصور بسيرة الملك المنصور قلاوون الأجزاء ١، ٢ عن نسخة حزانة باريس .

مكان الحفظ : (تاريخ تيمور ٢٢٢٦) (خط ١٣٤٥ هـ) .

مضمون الأوراق ذكر صداق الملك الصالح والاهتمام بكتب كتاب الملك الأشرف ولدى السلطان الملك المنصور على بنتى الأمير سيف الدين نوكيه.

أرقام الأوراق ٣٧، ٣٨، ٨٨

نص الأوراق

ص ٣٧ يمين   ذكر صداق مولانا السلطان

ص ٣٧ يسار   الملك الصالح

وفى هذه السنة اهتم مولانا السلطان الملك

المنصور بزواج مولانا السلطان الملك الصالح

ولما كان التاسع عشر من شهر رجب سنة

احدى وثمانين وستماية عقد العقد على بنت

الأمير سيف الدين نوكيه بن ببان بن قطوغان

أحد الأمر المغل فى خدمة السلطان * وحضر

٨٨ يمين :

- جميع الناس على اختلاف طبقاتهم * من

- أصحاب السيوف والأقلام والعلوم

- والأعلام واحتفل الاحتفال العظيم بالشموع

- والغوالى والبخورات وغير ذلك من المطعومات

- التى جرت العادة بها فى مثل ذلك وكان

- الوكيل عن مولانا السلطان الملك الصالح الأمير

- حسام الدين طرنطاى نائب السلطة المعظمة

٨٨ يسار :

- والوكيل عن الزوجة الأمير سيف الدين محمد بن

- أيدمر استاذ الدار الشريفة وكان

- الصداق خمسة الاف دينار قدم منها

- ألفا دينار وحضر مولانا السلطان العقد

- وعقد بين يديه * وانفصل هذا اليوم عل

سرور تام ودخل بيته مكتماً من عير

رهج ولا اشاعة ولا تكليف أحد تقدمة ولا شيا

٨٨ يمين ذكر الاهتمام بكتب كتاب مولانا

الملك الأشرف ولد مولانا السلطان

وفى هذه المدة حصل الاهتمام بزواج مولانا

الملك الاشرف صلاح الدنيا والدين خليل على

٨٨ يسار بنت الأمير سيف الدين نوكيه صهر أخيه

فلما كان السادس عشر شوال اجتمع الناس

كاجتماعهم فى عقد أخيه المولى السلطان

الملك الصالح علاء الدنيا والدين * واحتفل

بالأمور والشموع والغوالى والبخورات

والمطاعم والسكرج، كما احتفل فى ذلك

وعقد العقد بحضور مولانا السلطان .

* * *

الخاتمة

تمخضت فصول هذه الدراسة عن بعض النتائج الهامة وهى :

١ – مغالاة المماليك فى قيمة المهور .

٢ – المباهاة والتعالى فى تجهيز بنات السلاطين والأمراء بمبالغ طائلة تزيد أضعافاً مضاعفة عن قيمة المهر المقبوض .

٣ – تنوع جهاز العروس فى عصر المماليك من ناحية مواد الصناعة والصناع ومن ناحية الوظيفة فمن ناحية المواد الصناعية فقد صنع الجهاز ومستلزمات العروس من معظم المواد الخام المعروفة من خشب وعاج ونحاس وبرونز وفضة وذهب وزجاج وبللور وفخار وخزف وأحجار كريمة ونسيج وقطن وصوف وكتان ونباتات عطرية وغيرها .

ومن ناحية الصناعة فقد دخلت فى صناعة الجهاز معظم الصناعات المعروفة فى ذلك الوقت من صناعة النجارة وما يرتبط بها من طرق زخرفة صناعية وصناعة الفخار والخزف والنسيج والسجاد والمعادن والحلى والزجاج والبللوْر والحصير والغرابيل والكحل والعطور وغيرها .

ومن ناحية الوظيفة اشتمل الجهاز على أثاث للمنزل تنوع بين أسرّة ومفارش وناموسيات ومخاد ومراتب وداير للأسرة ودكك وأرائك وشلت ومفارش بالإضافة إلى سلالم للصعود إلى الدكك وكراسى للجلوس وكراسى للعمامة وصناديق لحفظ الملابس وحاجيات المنزل، بالإضافة إلى الحشايا والمساور والنمارق والمدوزات والمتكآت التى تنتشر فى أرجاء المنزل فوق مفارش الأرض وعلى الدكك . وأدوات المطبخ من طشوت وأباريق وصحون وسلاطين وملاعق ومغارف ومصافى وطاسات وأكواب وكؤوس وقدور وسكاكين وأنخاخ وأنطاع وحصير وأدوات إضاءة من سرج ومناير وشماعد وتنانير .

بالإضافة إلى ما يخص استعمال العروس الشخصى من أدوات تجميل وحلى وملابس وشملت أدوات تجميلها الأمشاط بأشكال مختلفة منها نوع ذو أسنان جهة واحدة وبه ثقب فى أعلاه ليسهل تعليقه فى رقبتها أو فى مكان ما فيسهل استخدامه، ونوع له أسنان فى صفين فى جهتين صف به أسنان صغيرة والمسافة بينها ضيقة . وصف به أسنان كبيرة والمسافة بينها واسعة وبين الصفين حشوة وسطى كانت هى مجال الزخرفة فى المشط، ونوع ذو مفصلات خشبية يشبه فى طريقة صناعته طريقة صناعة كرسى المصحف (الرحل) .

ومن أدوات التجميل المكاحل ومراودها وتأخذ المكاحل شكلاً بيضاوياً أو مستطيلاً، ومن الأدوات أيضاً المرآيا المعدنية المستديرة الشكل ذات الأوجه المصقولة والظهور المزخرفة، وقنينات العطر وقماقم ماء الورد المعدنية المكفتة بالفضة والذهب والزجاجية المموهة بالمينا والزجاجية الخالية من الزخرف وأحقاق أدهان خشبية وبللورية ومعدنية وأحقاق أشنان من النحاس المكفت، وحجر الخفاف الذى يستخدم فى تنعيم الجلد الخشن، بالإضافة إلى بعض الأدوات المستخدمة فى التجميل ككرسى الحمام الذى تجلى عليه السيدة فى الحمام أثناء حك رجليها بالحجر ونتف الشعر منها بالحفوف .

ومن أدوات الزينة أيضاً المبخرة التى كانت تقتنيها النساء لاعتقادهن فى أن البخور يبعد الحسد ويجلب الخير بالإضافة إلى رائحة البخور المعطرة اللاتى كن يرغبن فى أن تعلق فى ملابسهن .

ومن الأدوات أيضاً إناء الزهور الذى كان يوضع به الزهور الطبيعية النضرة التى ينتشر شذاها فى أرجاء الحجرات .

والحلى من حلى للرقبة والأذن والشعر والأيدى والأرجل بالإضافة إلى الحلى التى تضاف إلى أغطية الرأس والملابس بصفة عامة .

والملابس وهى تنقسم إلى ملابس تلبس داخل المنزل وملابس تلبس خارجه وأغطية الرأس والحجب، وملابس القدم :

- الإسراف فى تزيين المفارش والناموسيات البشاخين والملابس بالذهب والأحجار الكريمة .

- استخدام قطع العنبر فى تزيين الستائر والمخاد .

- استخدمت النساء – من كل الطبقات – قلائد العنبر للتزيين .

- نقل الجهاز من منزل والد العروس إلى منزل العريس نهاراً فى زفة يسير فيها الأمراء بالشاش والقماش فى حالة بنت السلطان والأمير .

- ينقل الجهاز على البغال وعلى أكتاف الحمالين .

- نقل العروس فى نهاية الاحتفال بليلة العرس إلى منزل الزوجية فى محفة (هودج)

- الإسراف فى إقامة حفلات العرس واستخدام آلاف الشموع وكميات هائلة من السكر وذبح الأعداد الضخمة من الطيور والحيوانات ومنها الحصان .

- كان عقد النكاح يتم فى أغلب الأحيان فى المساجد .

- كان المهر يدفع من خزانة الخاص فى حالة أبناء السلاطين كمهر آنوك ابن السلطان الناصر محمد .

- كان العصر المملوكى عصراً مزدهراً فى كافة الفنون وتشهد التحف المتبقية بدقة الصناعة وإتقان طرق الزخرفة الصناعية .

- وجود سجاد متميز بزخارفه الهندسية يعرفه الرائى من أول وهلة أنه من صناعة مصر المملوكية .

- أن تجهيز العروس بالأطقم من أوانى وأدوات المطبخ لم يكن وليد العصر الحديث فقد سبقتها فى ذلك عروس مصر المملوكية التى كانت تجهز بطاقم (دست) طاسات وطاقم أطباق . وكانت العروس من بنات الأمراء أو الوزراء أو الأعيان الكتاب أو أماثل التجار تجهز بطاقم دكك من فضة وكفت ونحاس أبيض وخشب مدهون وصينى وبللور وكداهى . وكان عدد الطاقم فى ذلك الوقت (٧) قطع .

- إلقاء الضوء فى المقدمة على أن جهاز العروس فى بداية العصر الإسلامى فى عصر الرسول وأثاث منزل الرسول وجهاز ابنته الزهراء كان غاية فى البساطة مما يوضح زهدهم وتقشفهم وبعدهم عن زينة الحياة وزخرفتها .

- كلما بعد العهد عن بداية الإسلام كلما قرب المسلمين من الأبهة والمغالاة فى أثاث منازلهم وملابس النساء وحليها مثلما كان فى العصر الأموى ووصل ذلك إلى غايته فى العصر العباسى فى قصر الخلافة والطولونى والأخشيدى فى مصر .



لوحة (١) صورة توضح شكل السرير في العصر المملوكي

عن : Haldane, D. : Mamluk Painting, Pl. 28.



لوحة (٢) صورة توضح استخدام السرير وقت الأكل ٧ هـ/١٣ م

ثروت عكاشة : فن الواسطي لوحة وجه الورقة (١٦٦)



لوحة (٣) تصويرة توضح شكل السرير والمسند وكرسي المصحف في القرن ٧هـ/١٣م

Schulz. W. Die persisch-Islamische Miniaturmalerei, Leipzig. 1914.



لوحة (٤) تصويرة توضح شكل السرير ومفارشه والمدورة في ق ٧ هـ/١٣ م .

عن : ثروت عكاشة : المرجع السابق لوحة (ظهر الورقة ١٦٢) .



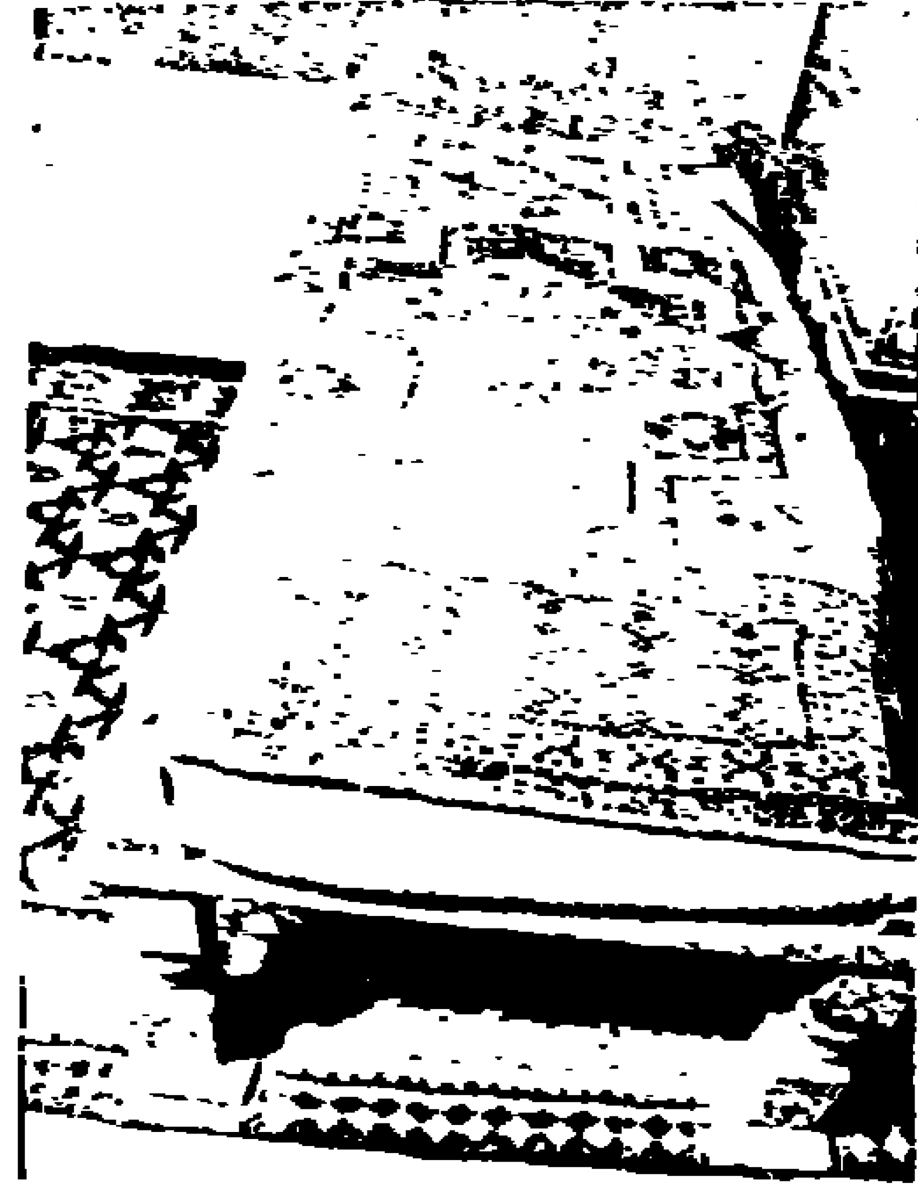
لوحة (٥) تصويرة يظهر بها إناء لوضع المياه كالزير مرفوعا على حامل ، بالإضافة إلى شخصين يجلسان على وسادتين كل منهما تأخذ شكل نصف بيضاوي (من التصوير المملوكي)

عن : Haldane, D. : Op. Cit., Pl. 48.



لوحة (٦) تصوير من العصر المملوكي يظهر بها كرسي ذو أربع أرجل بدون مسند ولا متكأ.

عن : Haldane. D. : Op. Cit., P. 69.



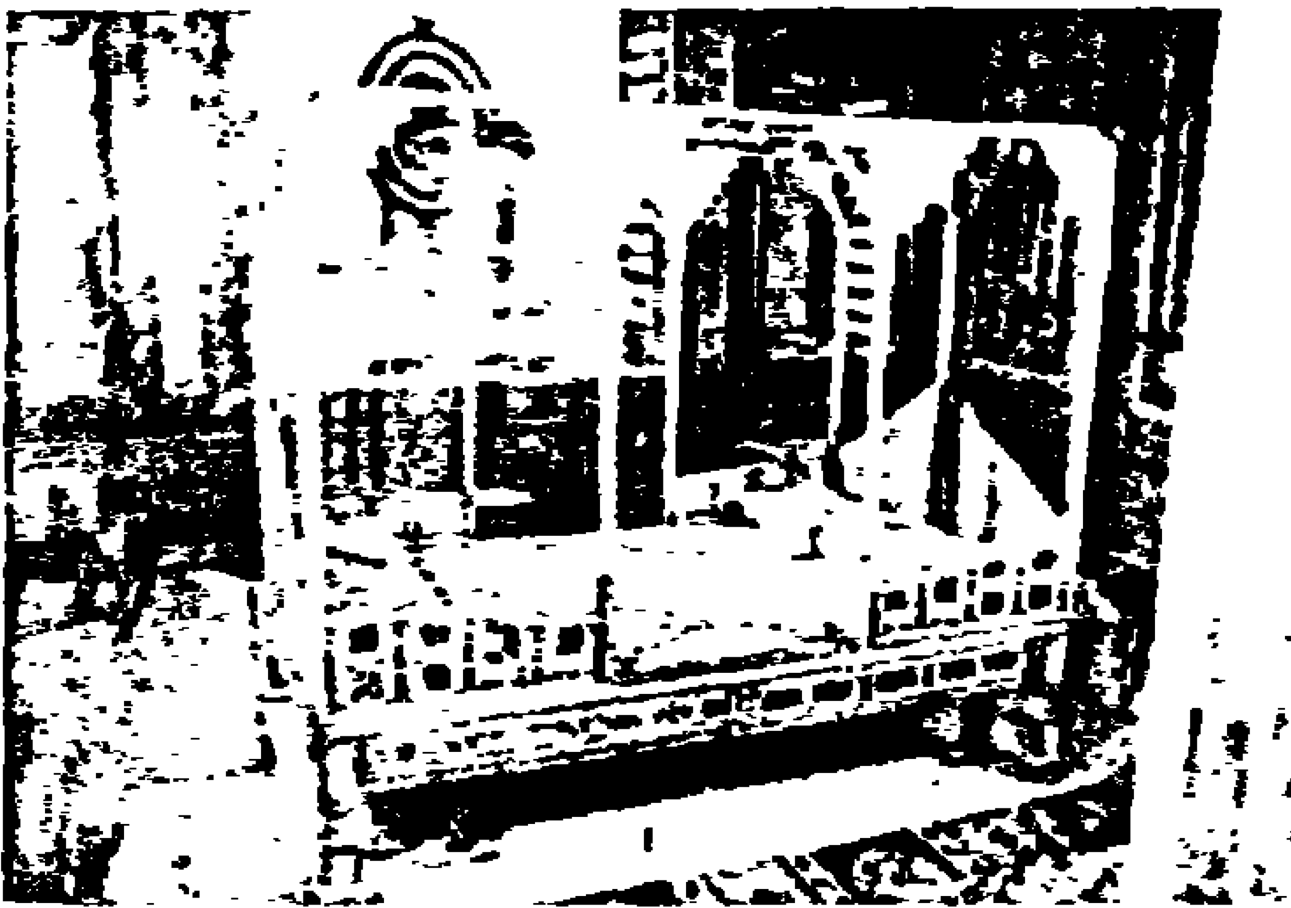
لوحة (٧) سرير من الخشب بأربع أرجل وإطار من الخشب المطعم بالعاج والعظم
محفوظ بمتحف أندرسون برقم ٦٢٧ ينشر لأول مرة .



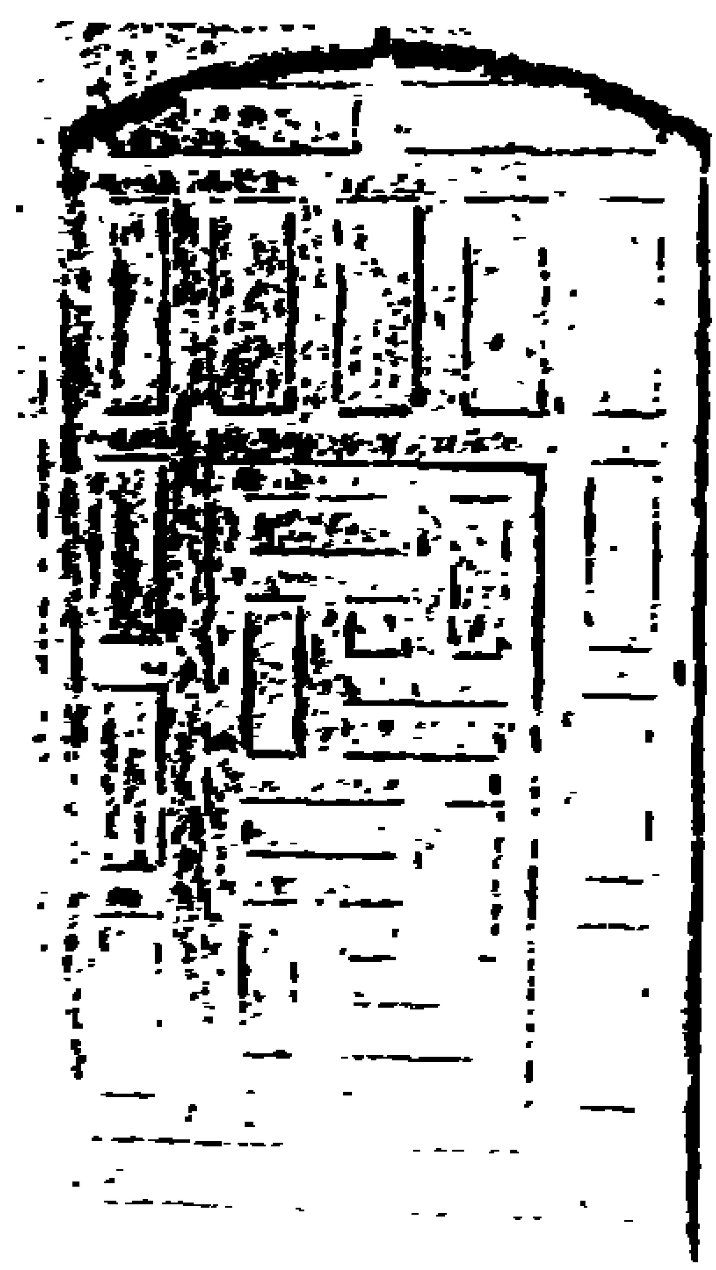
لوحة (٨) سرير من الخشب على شكل نقالة بأربع أرجل تشبه أرجل الحيوانات ذات الحوافر
محفوظ بمتحف أندرسون برقم ٩٨٥ ينشر لأول مرة .



لوحة (٩) سرير من الخشب شغل خرط بالهر وجانبين مشربية وبأعلاه تركيبة خشب للناموسية
محفوظ بمتحف أندرسون برقم ١٠٠٤ .



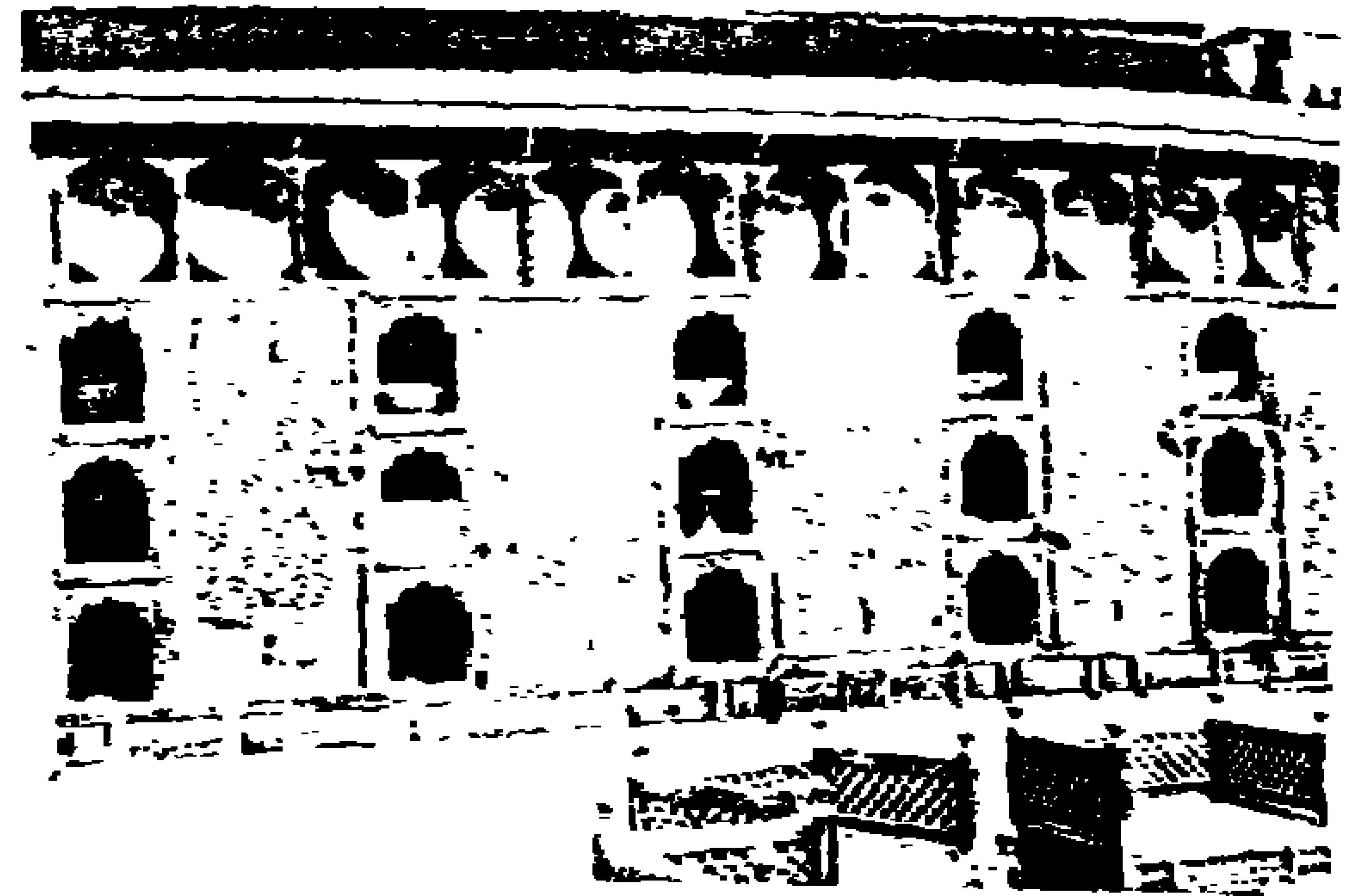
لوحة (١٠) سرير من الخشب المطعم بالعظم والمزين بالمرايا
محفوظ بمتحف أندرسون برقم ١٨١١.



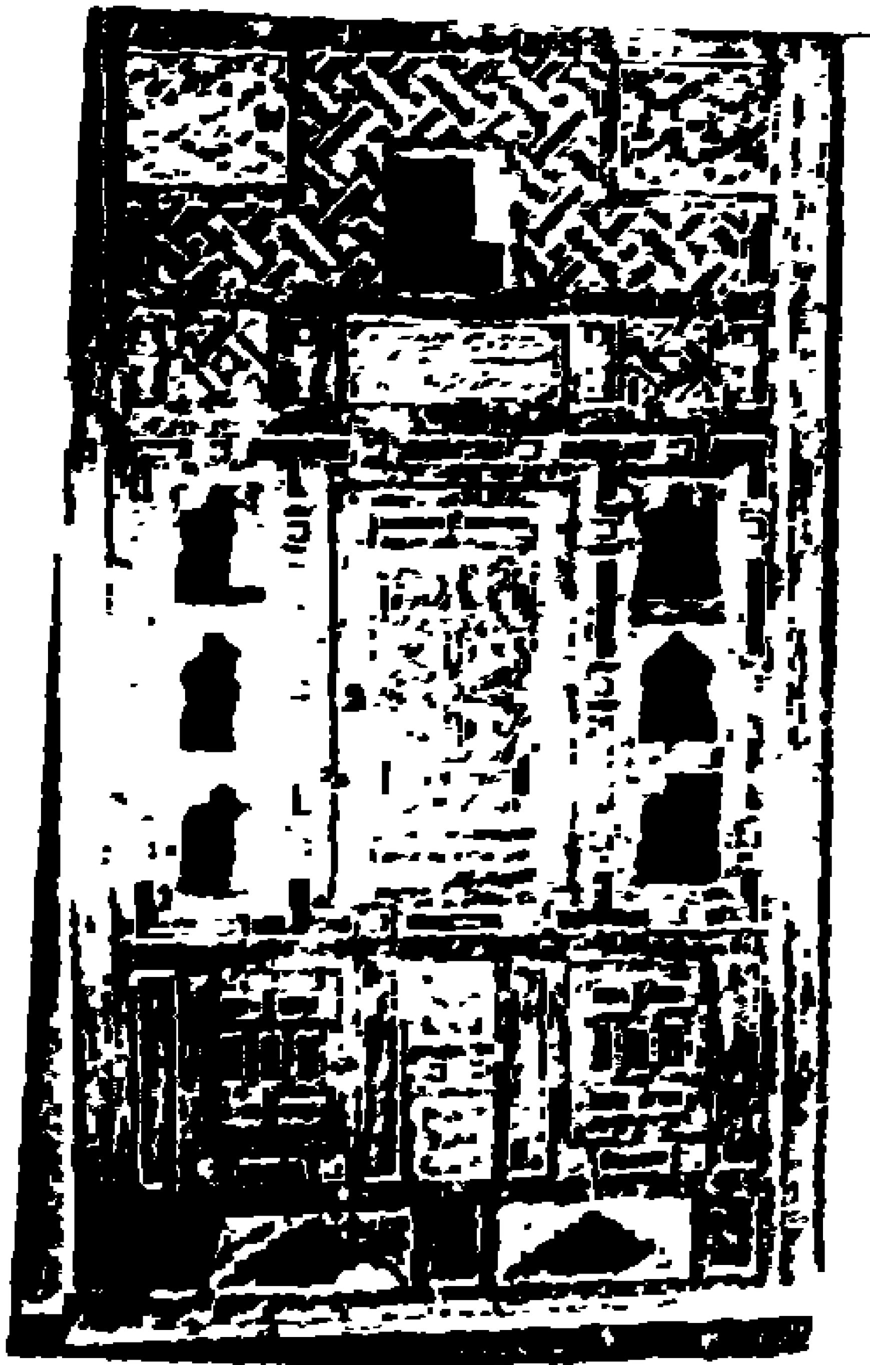
لوحة (١١) دولاب حائطي ذو واجهة خشبية من منزل السحيمي



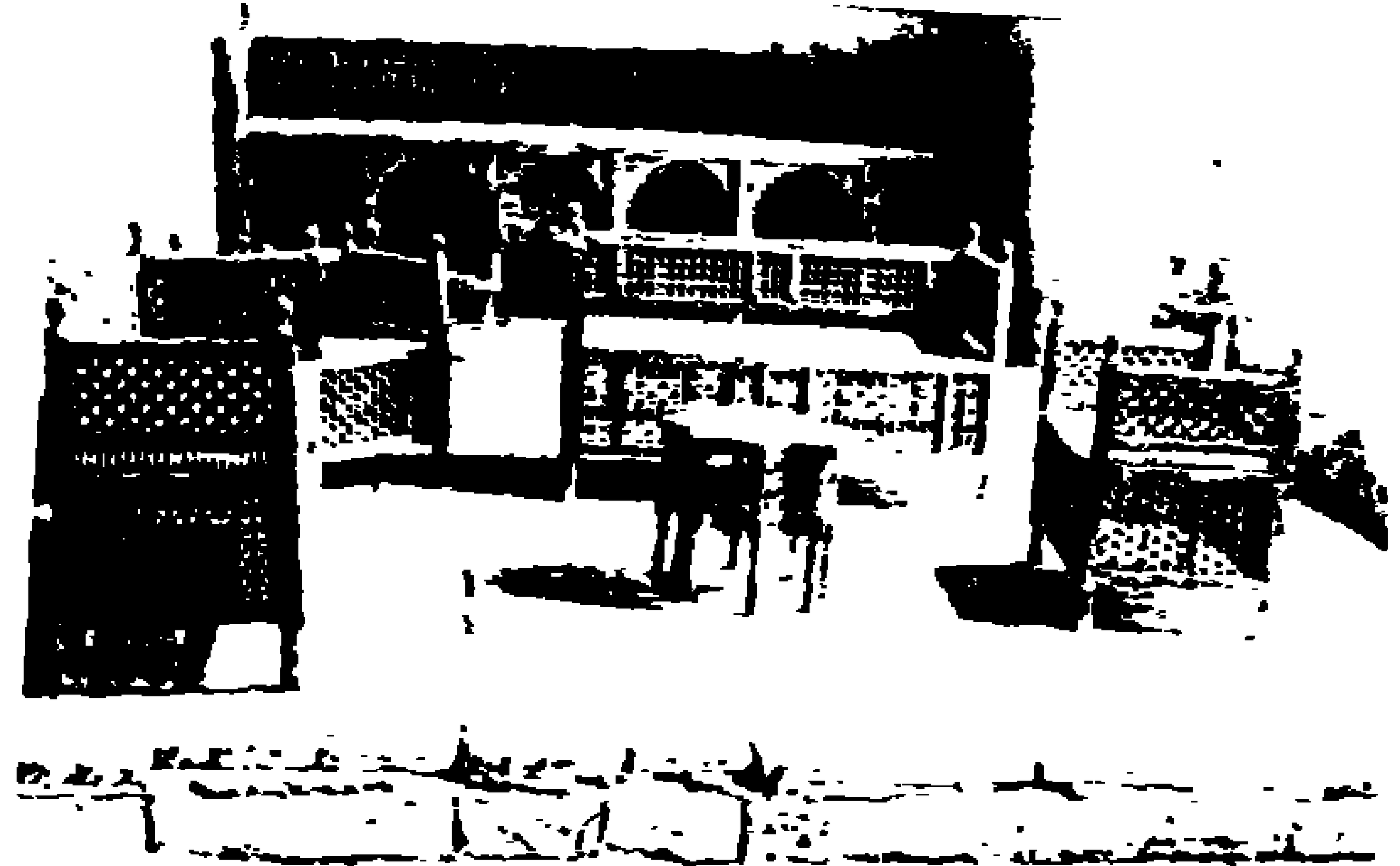
لوحة (١٢) دولاب حائطي ذو واجهة خشبية من منزل جمال الدين الذهبي



لوحة (١٣) دولاب حائطى ذو واجهة خشبية مقسمة إلى أبواب وخورنقات من منزل السحيمى



لوحة (١٤) واجهة خشبية لدولاب حائطى من العصر العثماني محفوظة بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة

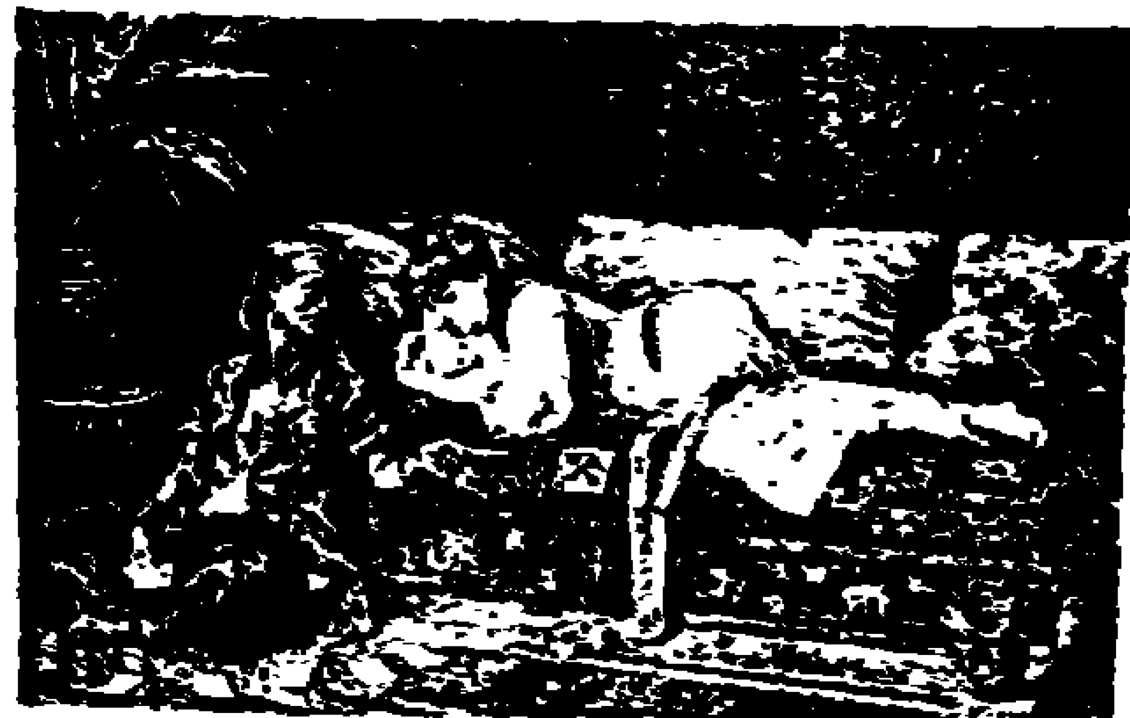


لوحة (١٥) دكة خشبية مزخرفة بأنواع مختلفة من الخرط بمنزل السحيمى



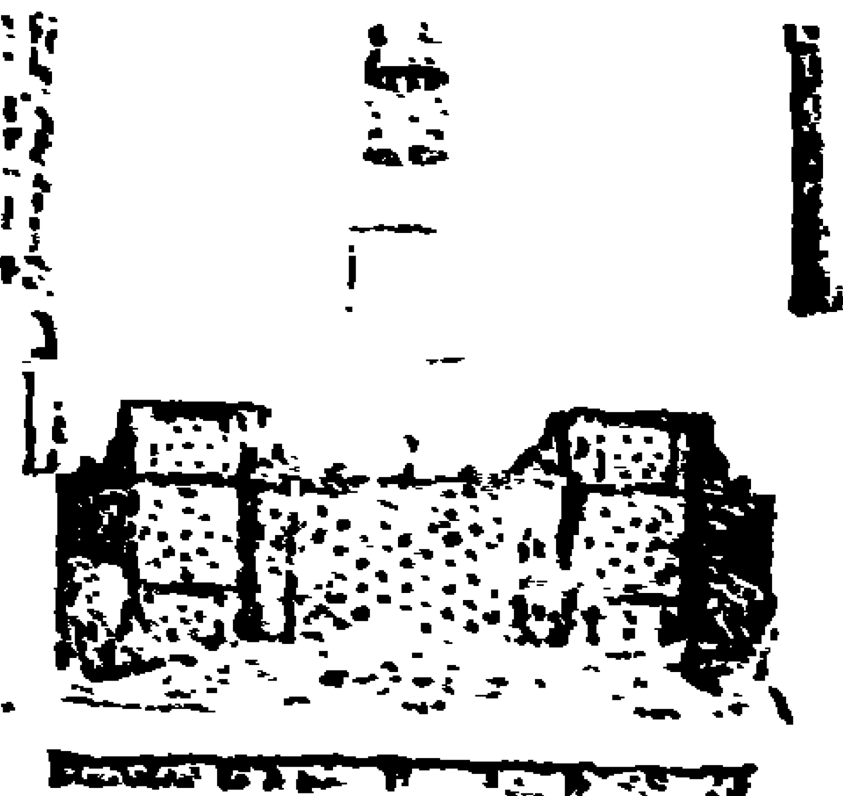
لوحة (١٦) منظر يمثل جناح الحريم وما به من دواليب حائطية ودكة مبنية فى جدار المبنى عليها الحشايا والمساند .

عن : Ebers : L'Egypte du Caire, T.II, P. 95



لوحة (١٧) سيدة متكأة على أريكة وحولها الحشايا والمساند .

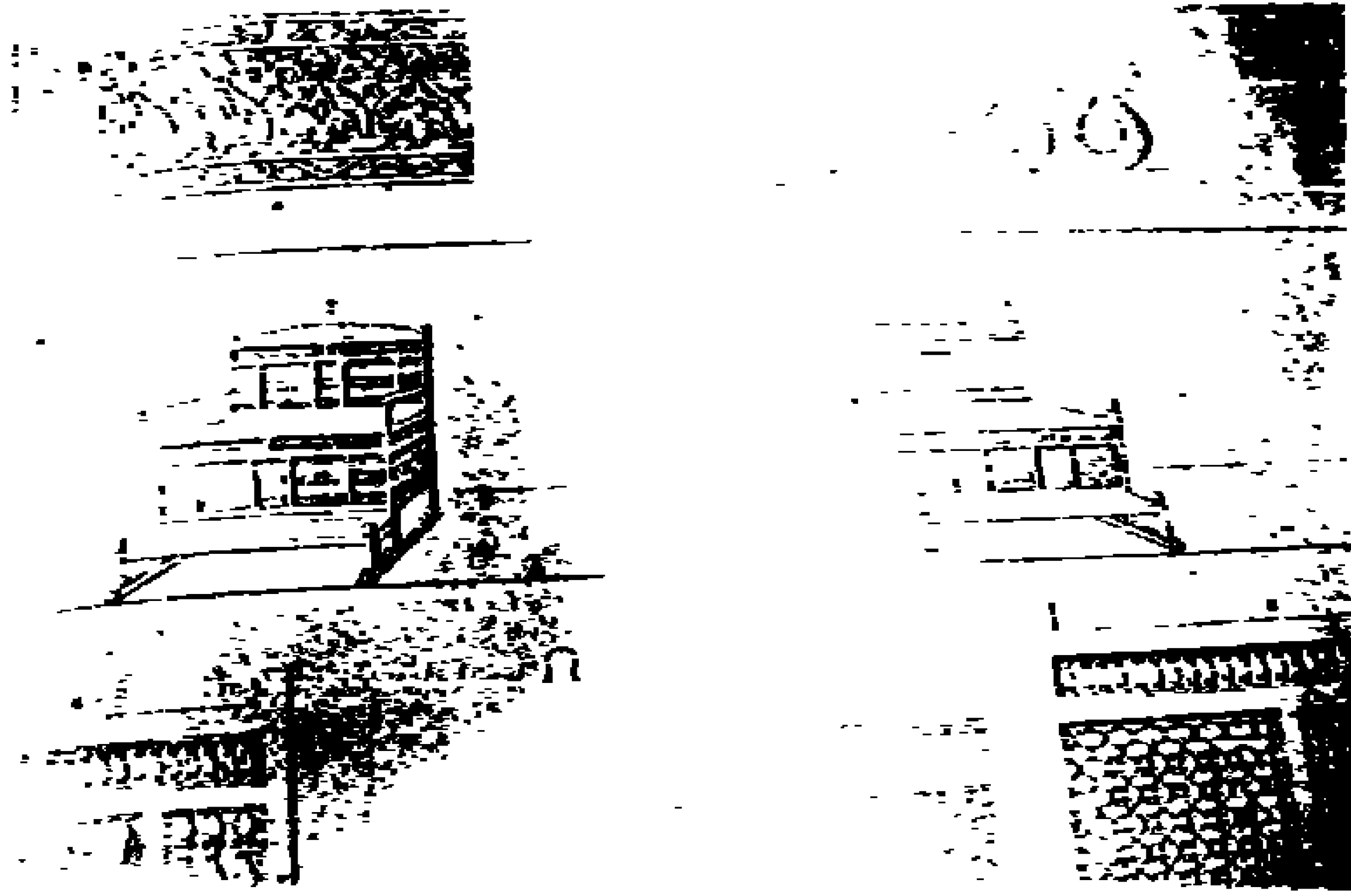
عن : Ebers : Op. Cit. T. 101



لوحة (١٨) دكة مبنية فى جدار المبنى ذات مسند خشبى بمتحف جاير اندرسون

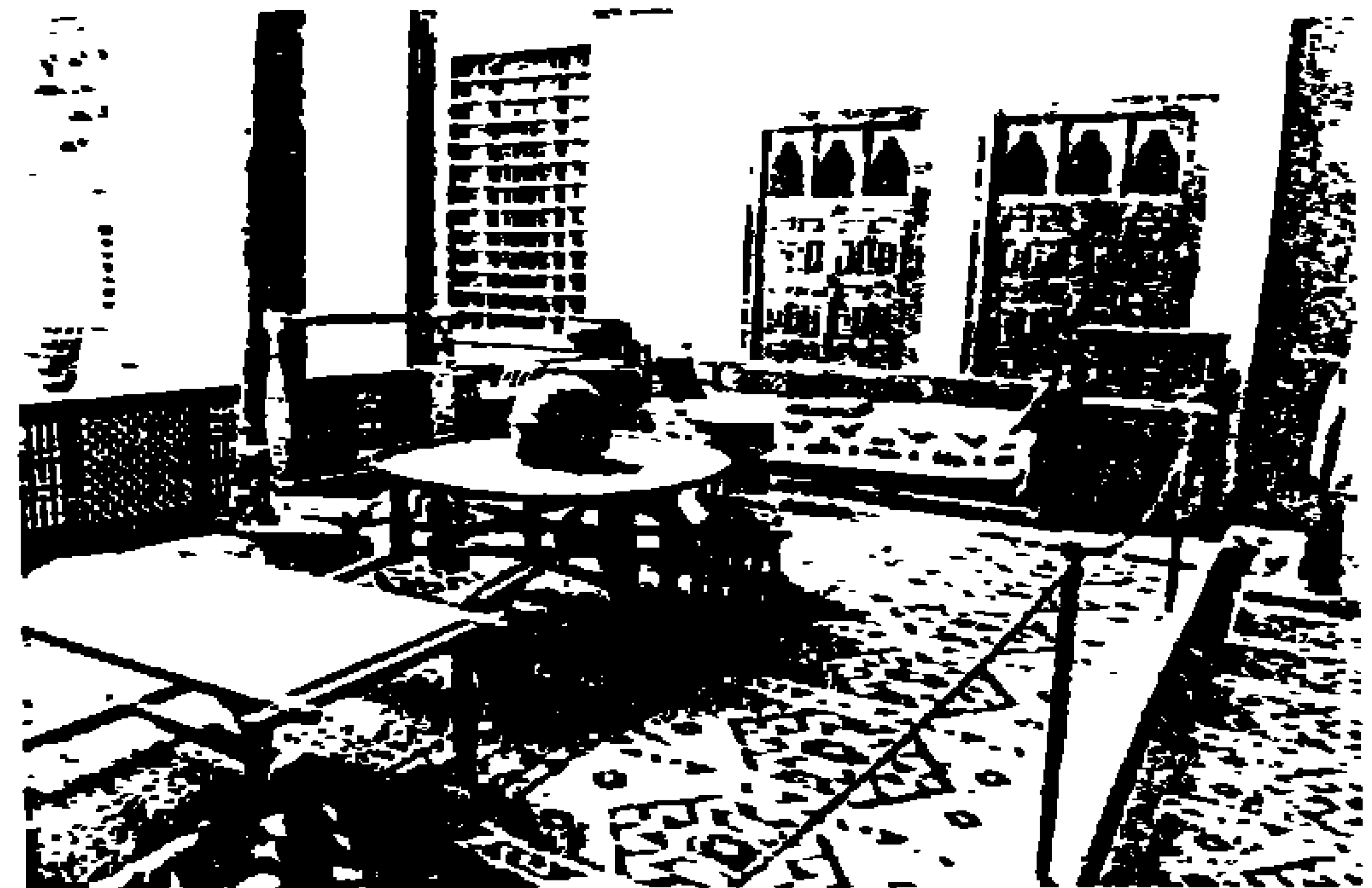


١٩ حجرة الحريم بمتحف جاير اندرسون



٢١ دكك مزخرفة بالخرط

عن Prisse D'Avennes : L'Art Arabe T.3

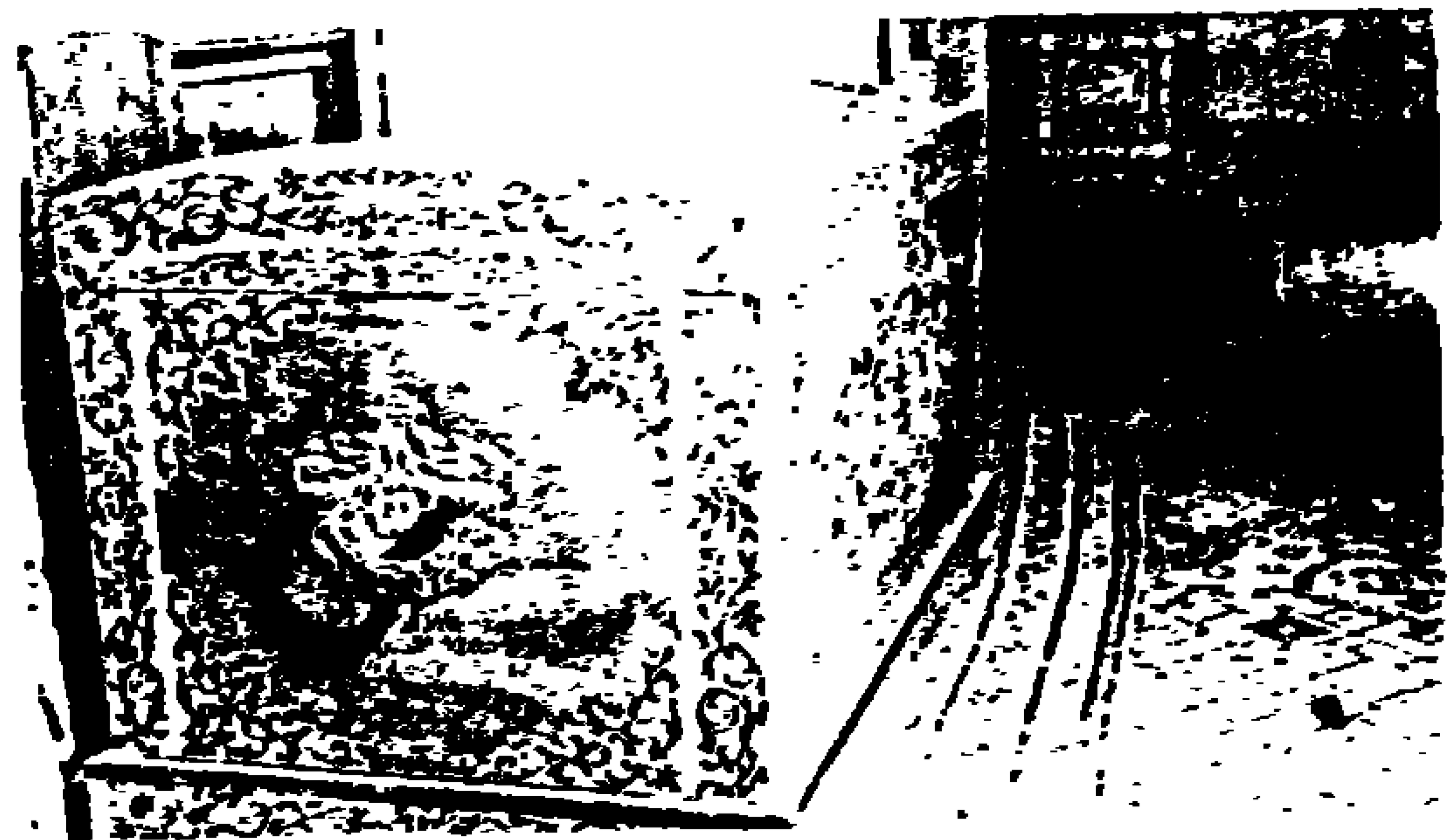


٢٠ المقعد ومائدة من دكك ودواليب حائطية بمتحف جاير اندرسون



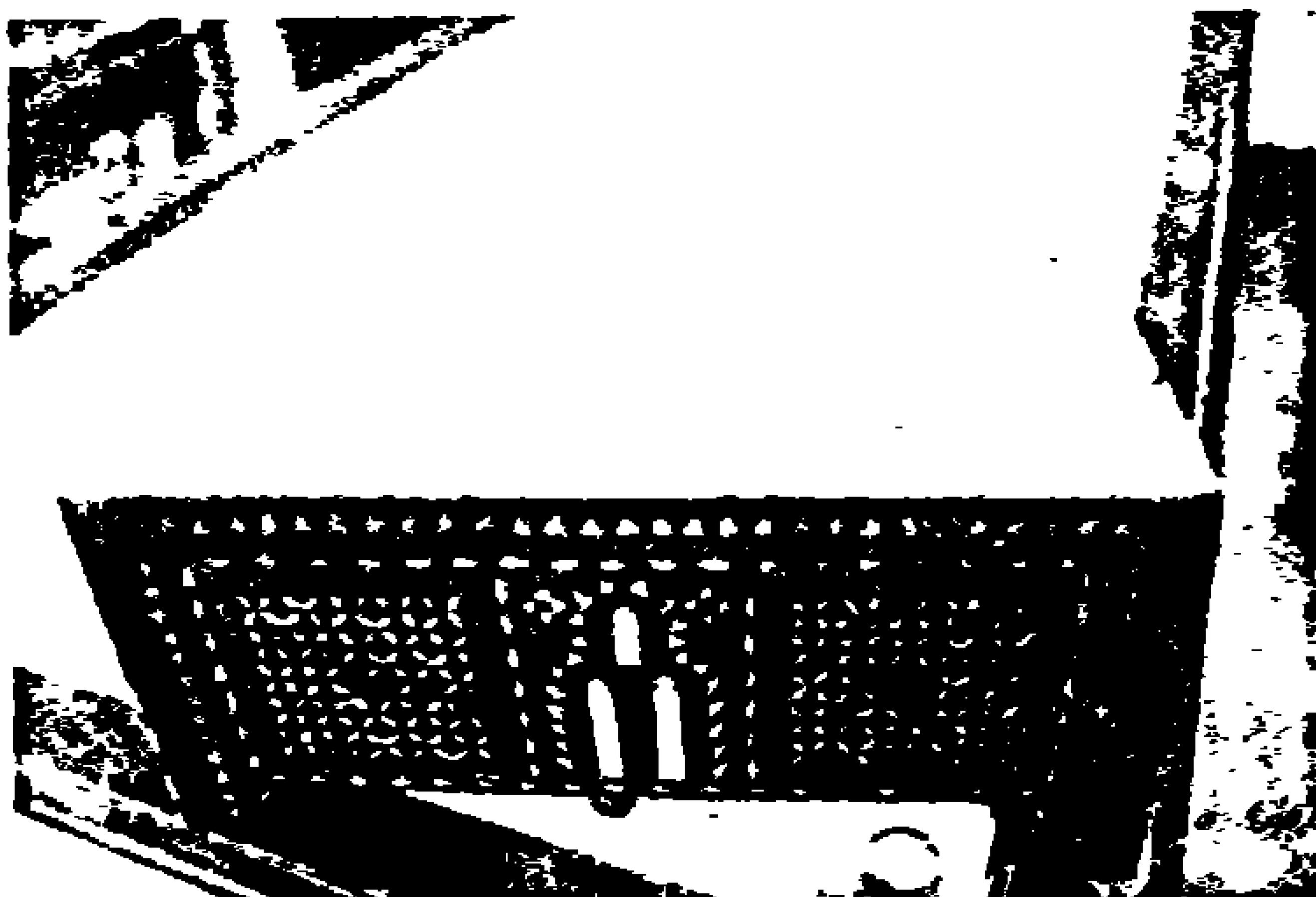
٢٢ صندوق من النحاس المكفت بالذهب والفضة

(عصر المماليك) .



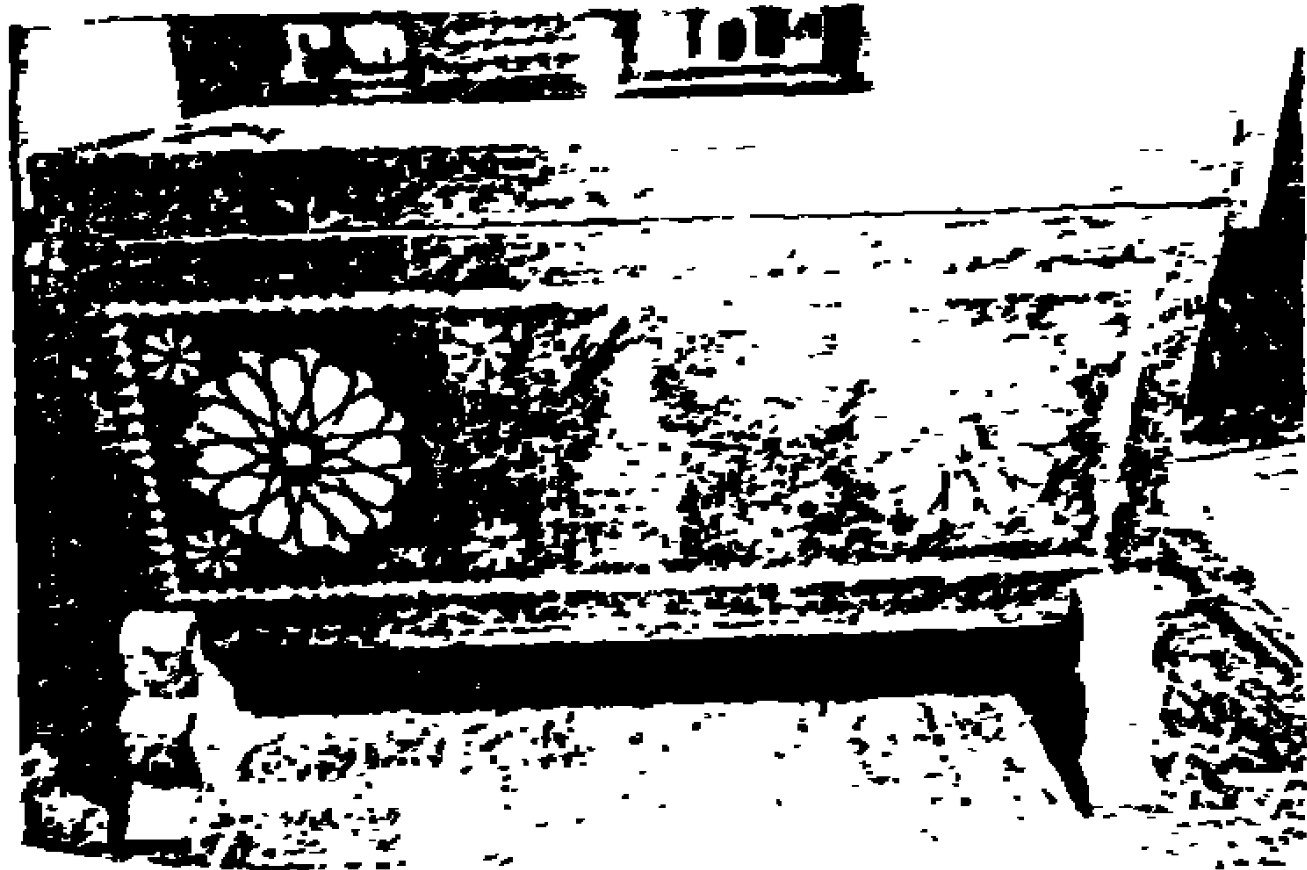
٢٣ صندوق من الخشب المزخرف بالألوان (صندوق العروسة) محفوظ بمتحف قصر المنيل

(ق ١١ – ١٢ هـ – ١٧ – ١٨ م)

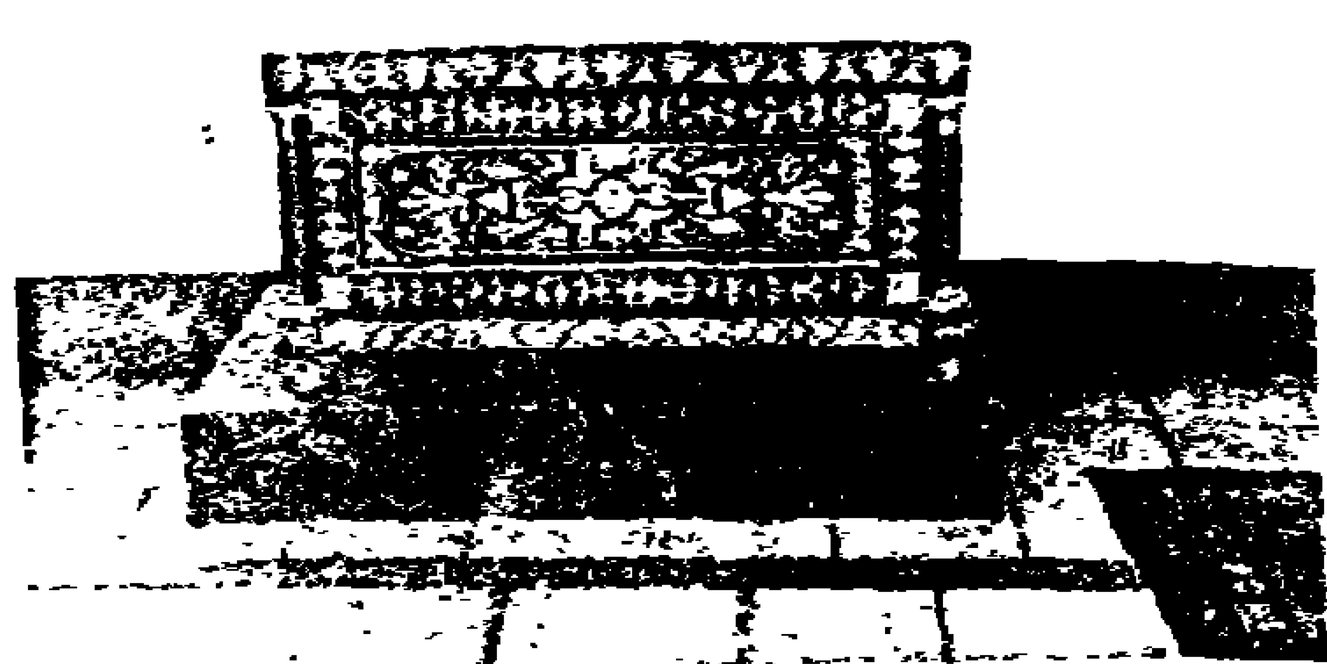


٢٤ صندوق من الخشب المطعم بالعاج ، المتحف الاثنوجرافي بالقاهرة .

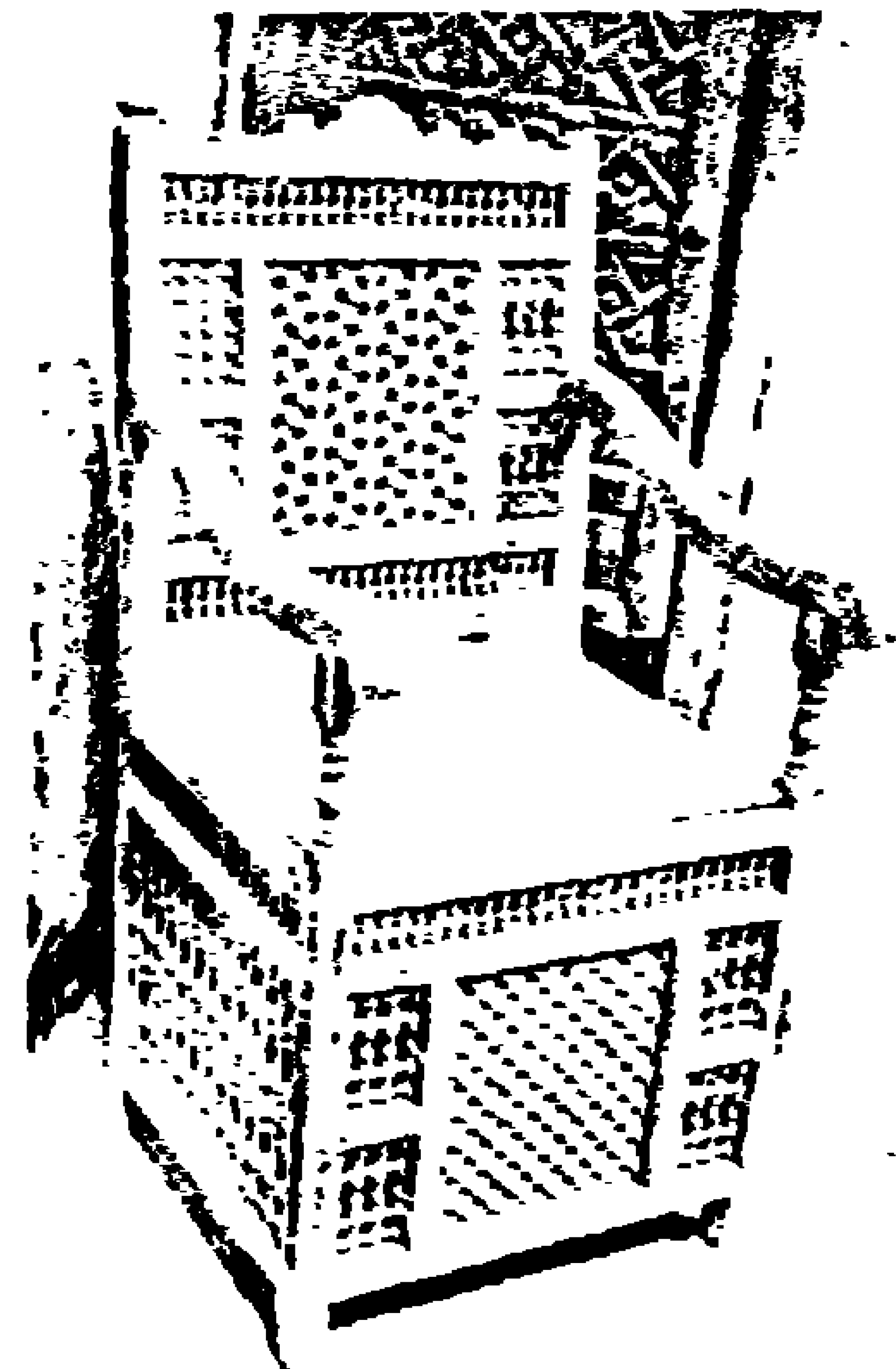
(ق ١٢ – ١٣ هـ – ١٨ – ١٩م)



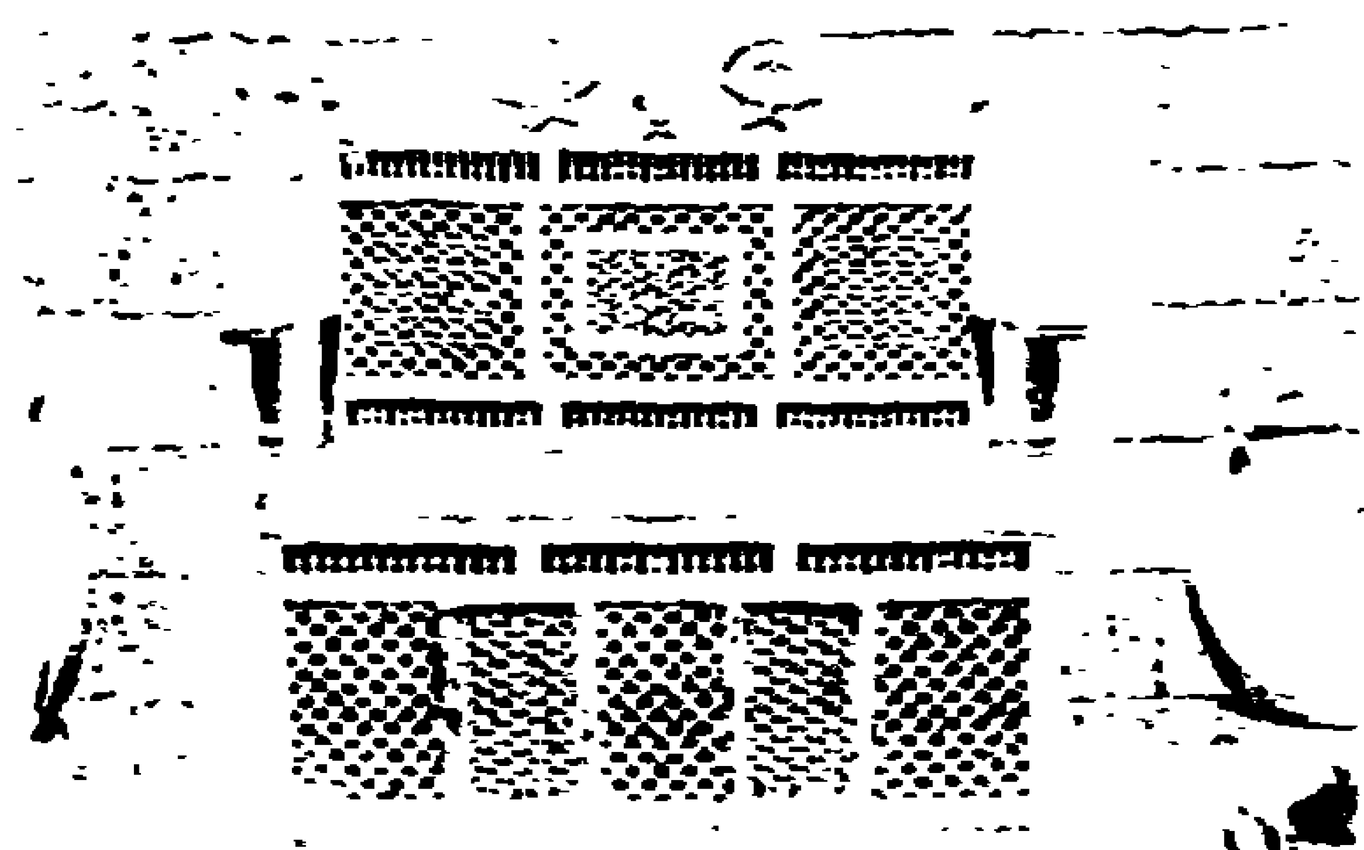
٢٥ صندوق من الخشب المطعم بالعاج الأبيض بشكل
أطباق نجمية اثنى عشرية يتوسطها شكل عشرة
من النوع المستخدم في حفظ الملابس والمعروف
بصندوق العروس
محفوظ بمتحف اندرسون برقم ١٦٤



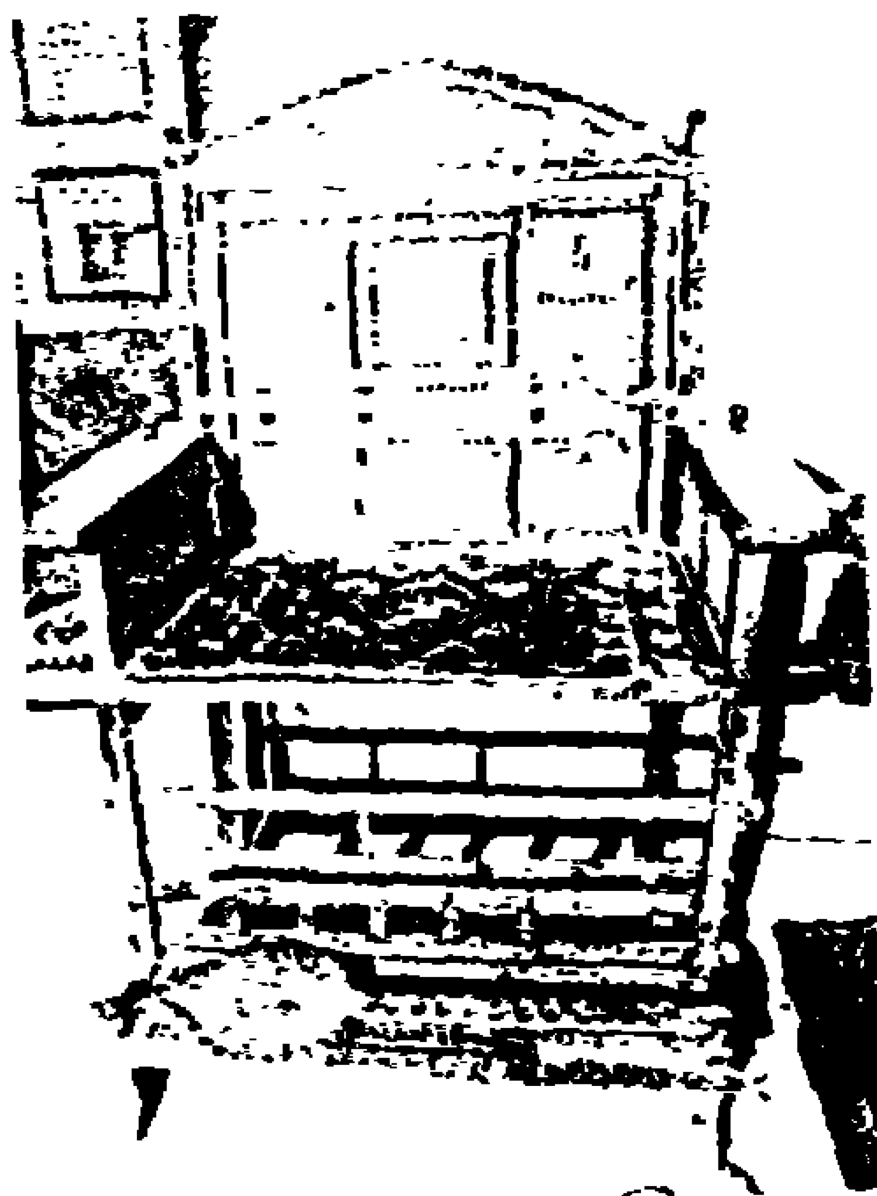
٢٦ صندوق من الخشب المزخرف بالألوان ق ١١/١٢ هـ -
١٧/١٨ م بمتحف قصر المنيل بالقاهرة



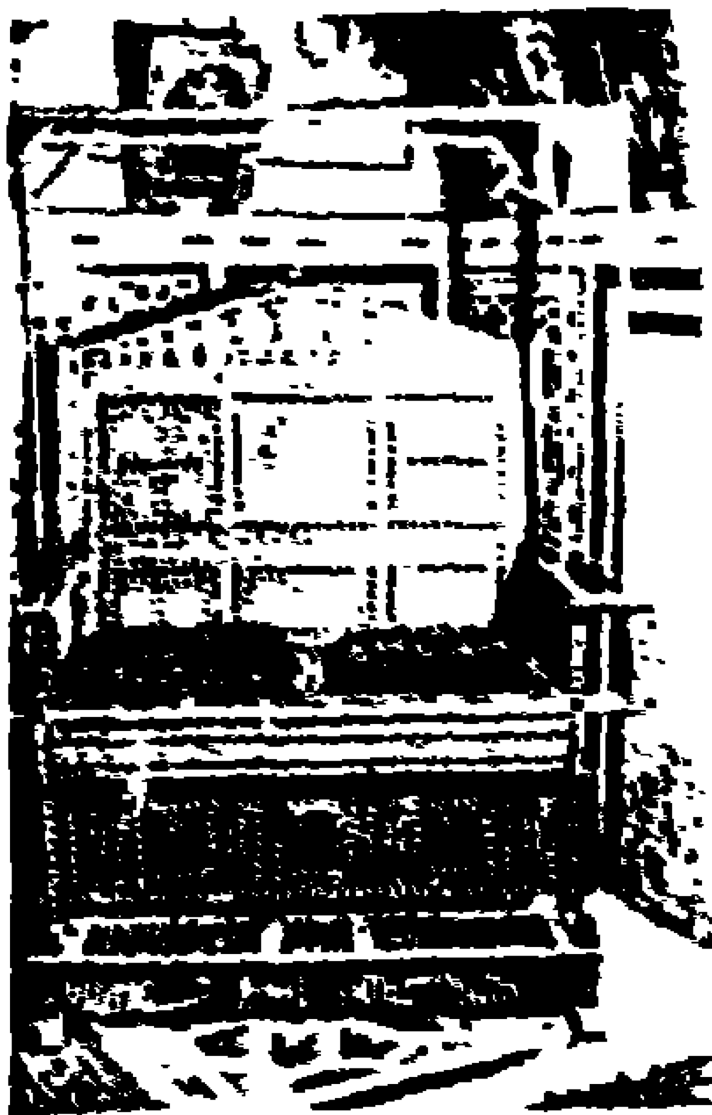
٢٧ كرسي من الخشب المزخرف بالخرط العدني والعرباني
له مسند ظهر ومتكأين بمنزل السحيمي



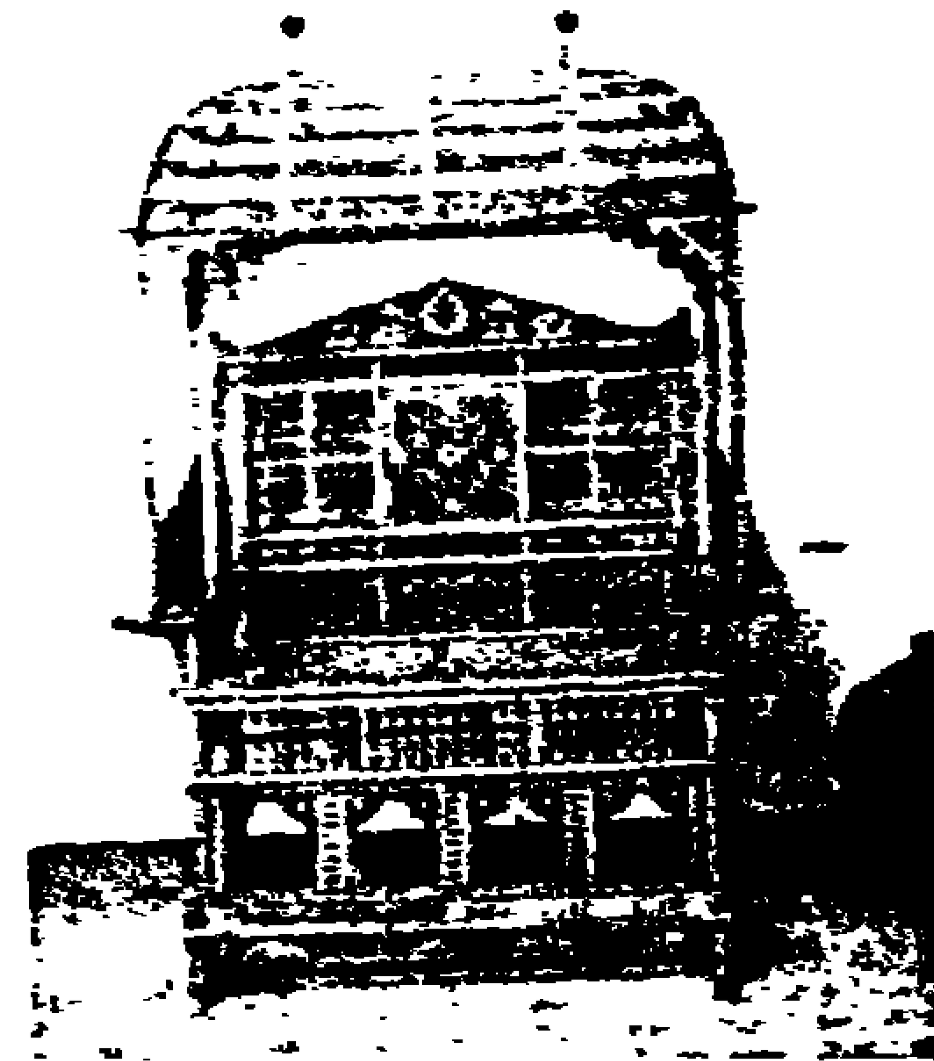
لوحة (٢٨) دكة من الخشب المزخرف بالخرط بمنزل السحيمي



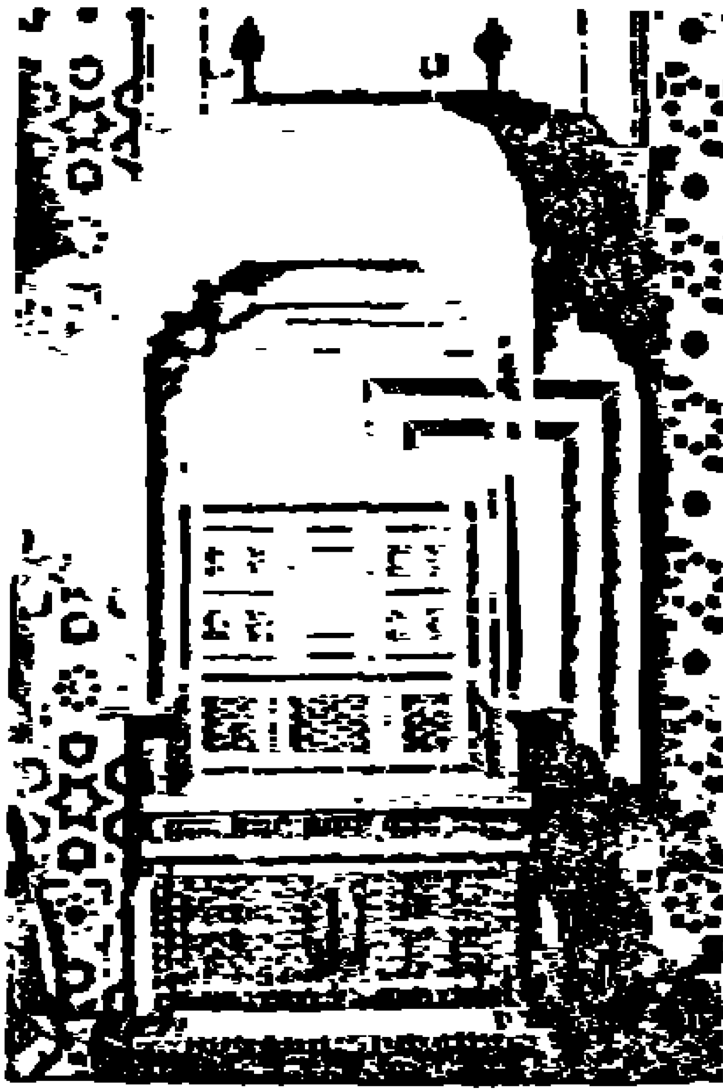
لوحة (٢٩) كرسي من الخشب المطعم بالعاج والمزين بالمرايا (النوع المعروف بكرسي الزينة أو كرسي العمامة أو منصة العروس) ق١١هـ/١٦م محفوظ بمتحف اندرسون



لوحة (٣٠) كرسي من الخشب المطعم بالعاج كالسابق بمتحف قصر المنيل



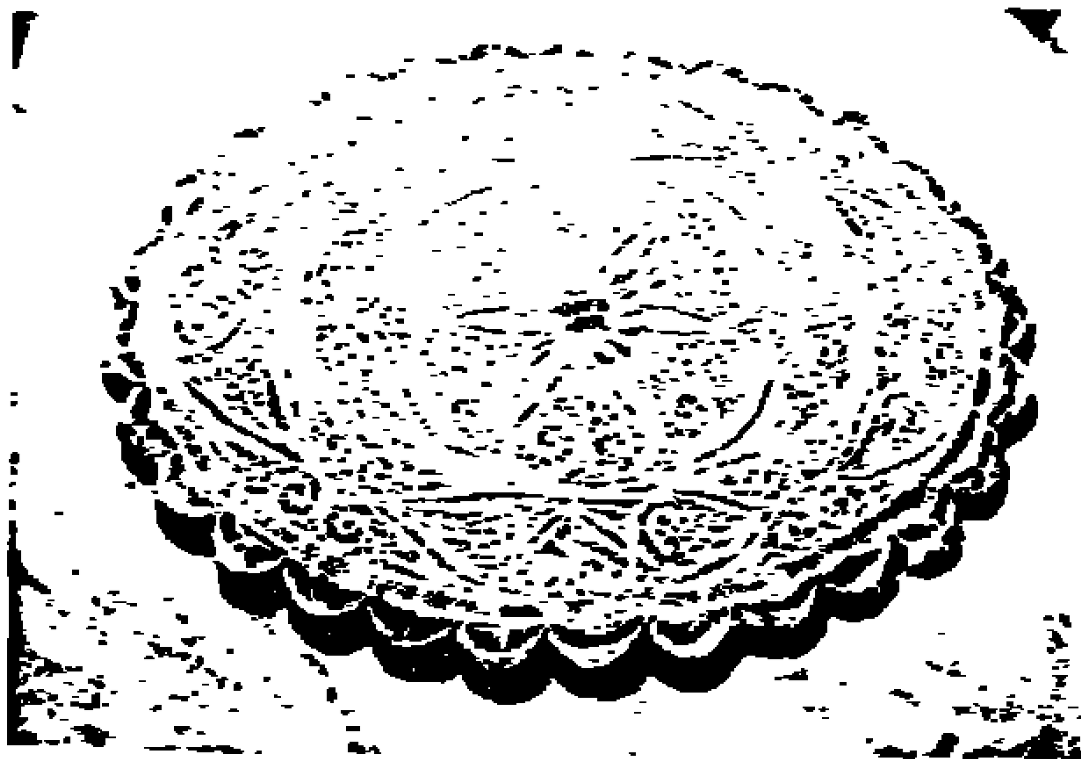
لوحة (٣١) كرسي من الخشب المطعم بالعاج كالسابق بالمتحف الاثنوغرافي بالقاهرة



لوحة (٣٢) كرسي من الخشب المطعم بالعاج كالسابق بمتحف قصر المنيل



لوحة (٣٣) مفرش من الحرير المزين بالتطريز (ق١٢هـ/١٨م) محفوظ بمتحف الفن الإسلامي



لوحة (٣٤) مفرش من الحرير المطرز (ق١٢-١٣هـ/١٨-١٩م) محفوظ بمتحف قصر ال



لوحة (٢٥) لحاف بوجه من النسيج القطني ذو الألوان الأحمر والأصفر والبني المزخرف
بزخارف هندسية ونباتية (عصر المماليك) محفوظ بمتحف الفن الإسلامي برقم ٢٣٩٠٥



لوحة (٣٦) مخدة بوجه من النسيج القطني محفوظة بمتحف الفن الإسلامي(مصر في العصور الو-



لوحة (٣٧) طشت من النحاس المكفت يحمل كتابة نسخية باسم الأمير طبطق محفوظ بمتحف الفن الإسلامي برقم ٢٤٠٨٥



لوحة (٣٨) أبريق بيد وصنبور من النحاس المكفت يحمل كتابة نسخية باسم الأمير طبطق محفوظ بمتحف الفن الإسلامي برقم ٨٤٠٨٤



لوحة (٣٩) أبريق بيد وصنبور من النحاس المموه بالمينا الملونة يرجع إلى ق ٩-١ هـ/١٤-١٥م محفوظ بالمتحف القبطي



لوحة (٤٠) تفصيل للزخارف النباتية الموجودة على بدن الأبريق السابق



لوحة (٤١) إناء من الزجاج يحمل كتابة نسخية ترجع إلى عصر المماليك ، محفوظ بمتحف كلية الآثار جامعة القاهرة



لوحة (٤٢) إناءان من الخزف المرسوم تحت الطلاء يرجعان إلى (مصر في عصر المماليك) ، محفوظ بمتحف الفن الإسلامي



مدرية من النحاس المكفت ، ترجع الى عصر المماليك .
Prisse D'Avennes: L'Art Arabe, 3, Pl. 167.

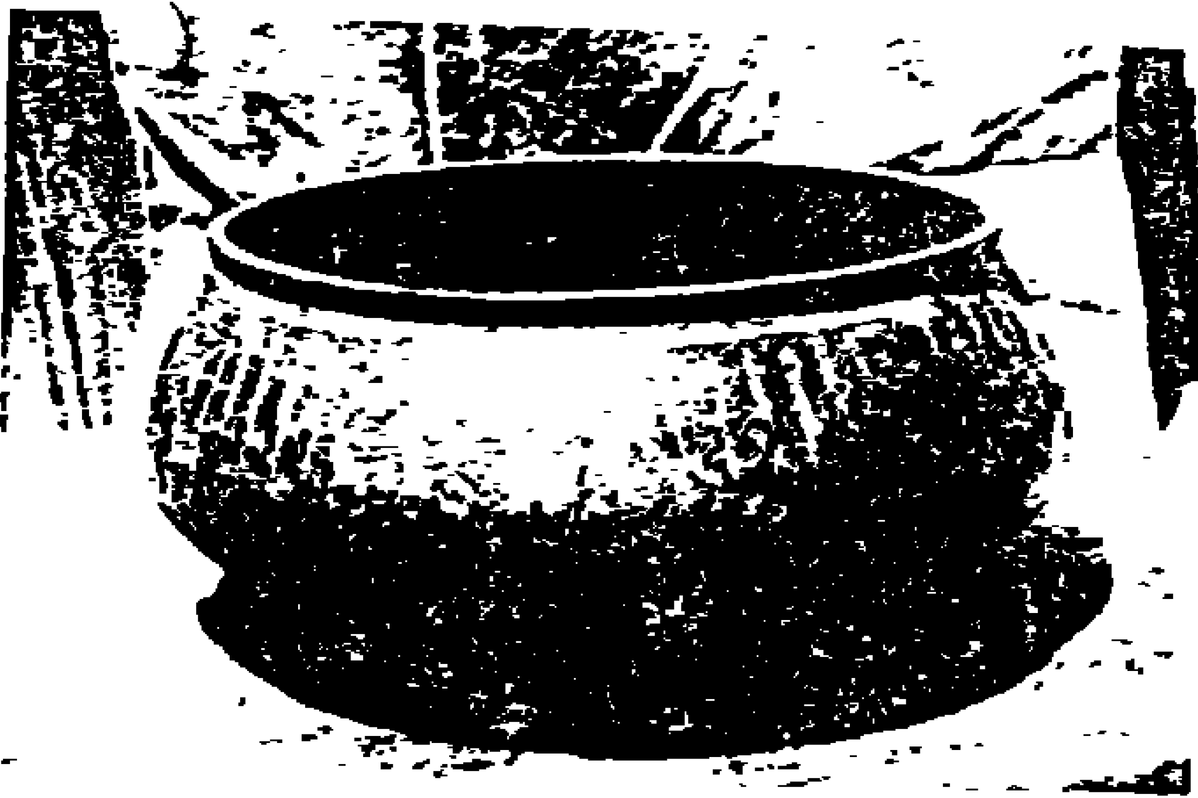


٤٣ ابريق مذهب مزين بزخارف من النحاس المكفت يرجع الى مصر في عصر المماليك ، محفوظ بمتحف الفن الاسلامي

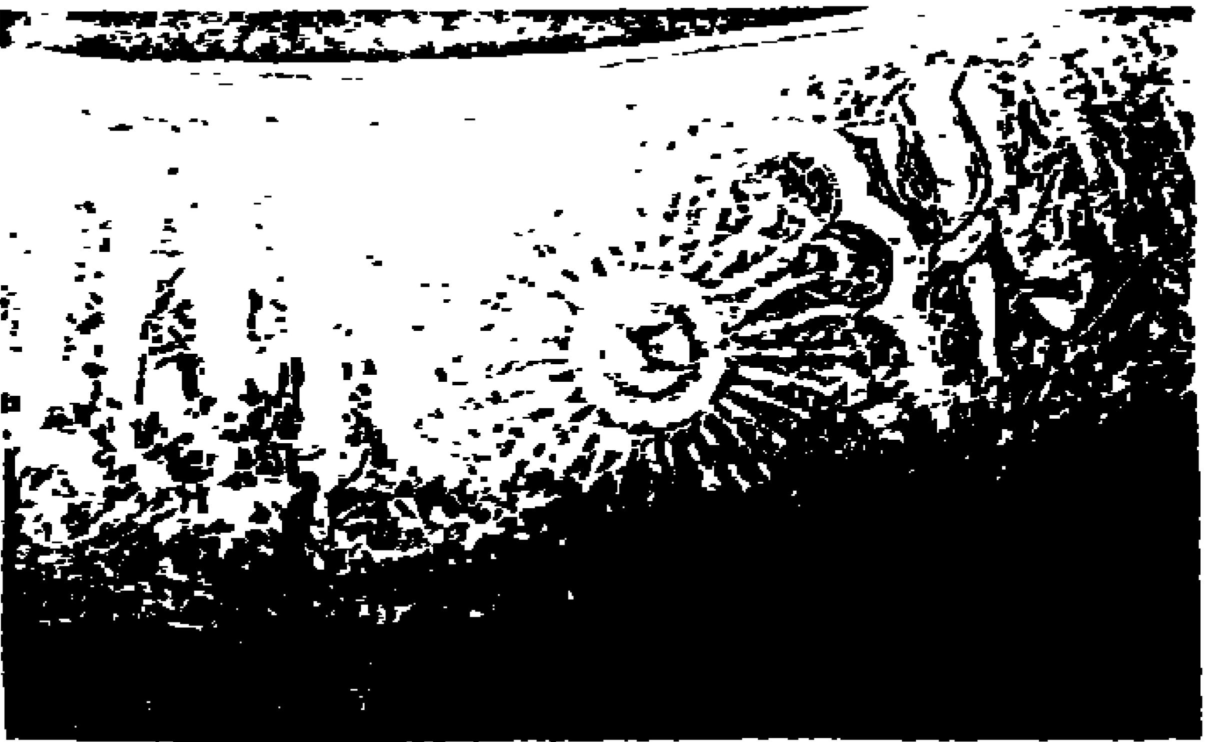




٤٥ مدرية من النحاس ، منقوش عليها زخارف نباتية وكتابة نسخية نصها (مما عمل برسم الست المحجبة ذات الستر الرفيع والحجاب المنيع خوند الكبرى جهة المقام الشريف الملكي الاشرف أبو النصر قايتباى سلطان الاسلام) ، محفوظة بمتحف الفن الاسلامي برقم ٤١٢٠ .



٤٦ مدرية من النحاس ، تحمل زخارف كتابية ونباتية ورنك شكلها مفقود بالحفر ، محفوظة بمتحف الفن الاسلامي.



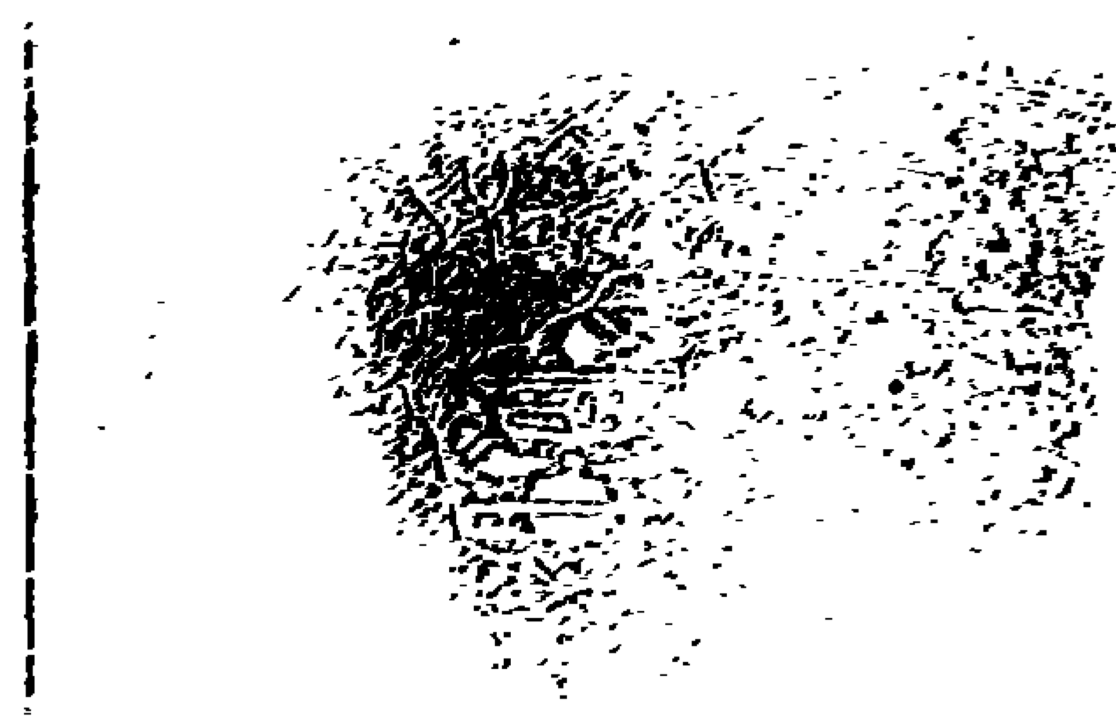
٤٧ تفصيل لجامة مفصصة بالمدرية السابقة ـ تضم كتابة نسخية نصها السلطان الملك العالم العامل... ومركز الجامة دائرة بها رنك الكأس .



٤٨ مدرية بمداد من النحاس الاحمر بالحفر تحمل رسم رنك مركب (يضم الصفحة والدواة والكأس) وكتابة نسخية باسم الامير (...) محفوظة بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة ـ تنشر لاول مرة .



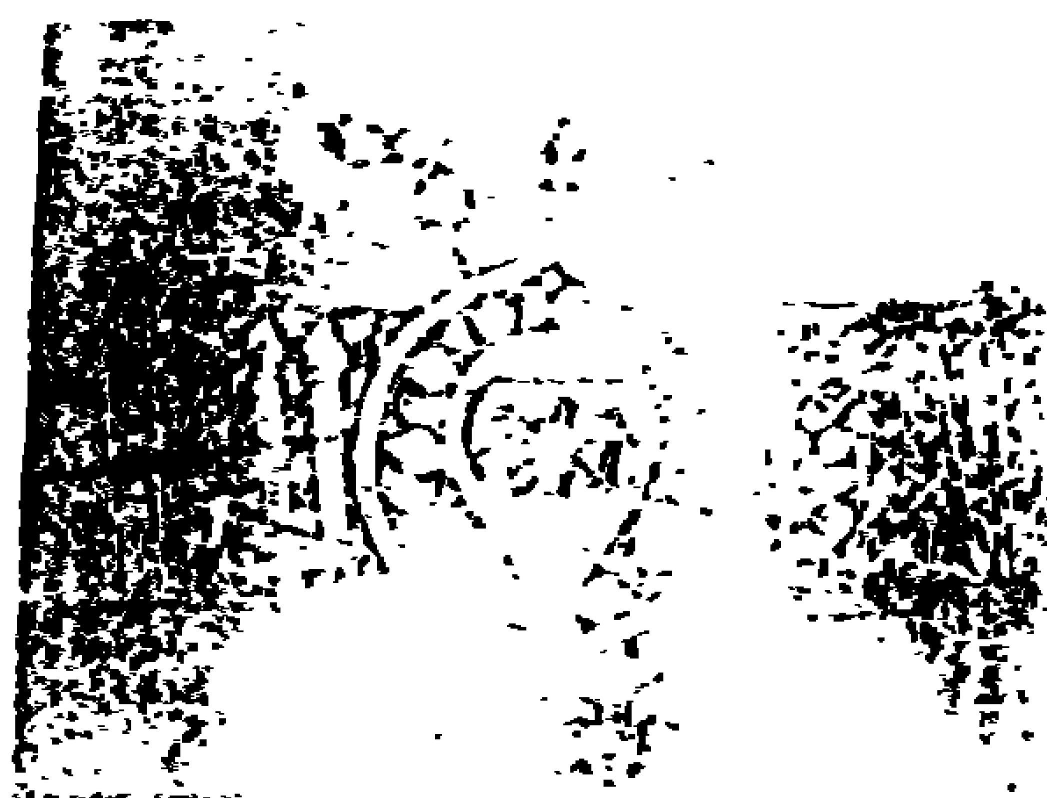
٤٩ الرنك المركب الموجود بالطشت السابق (انظر لوحة رقم [illegible] السابق) .



[illegible] جزء من النحاس المزخرف بالتخريم محفوظ [illegible]
محفوظ بمتحف الفن الإسلامي .



٥٠ كتابة بخط النسخ على الطشت السابقة .



[illegible]



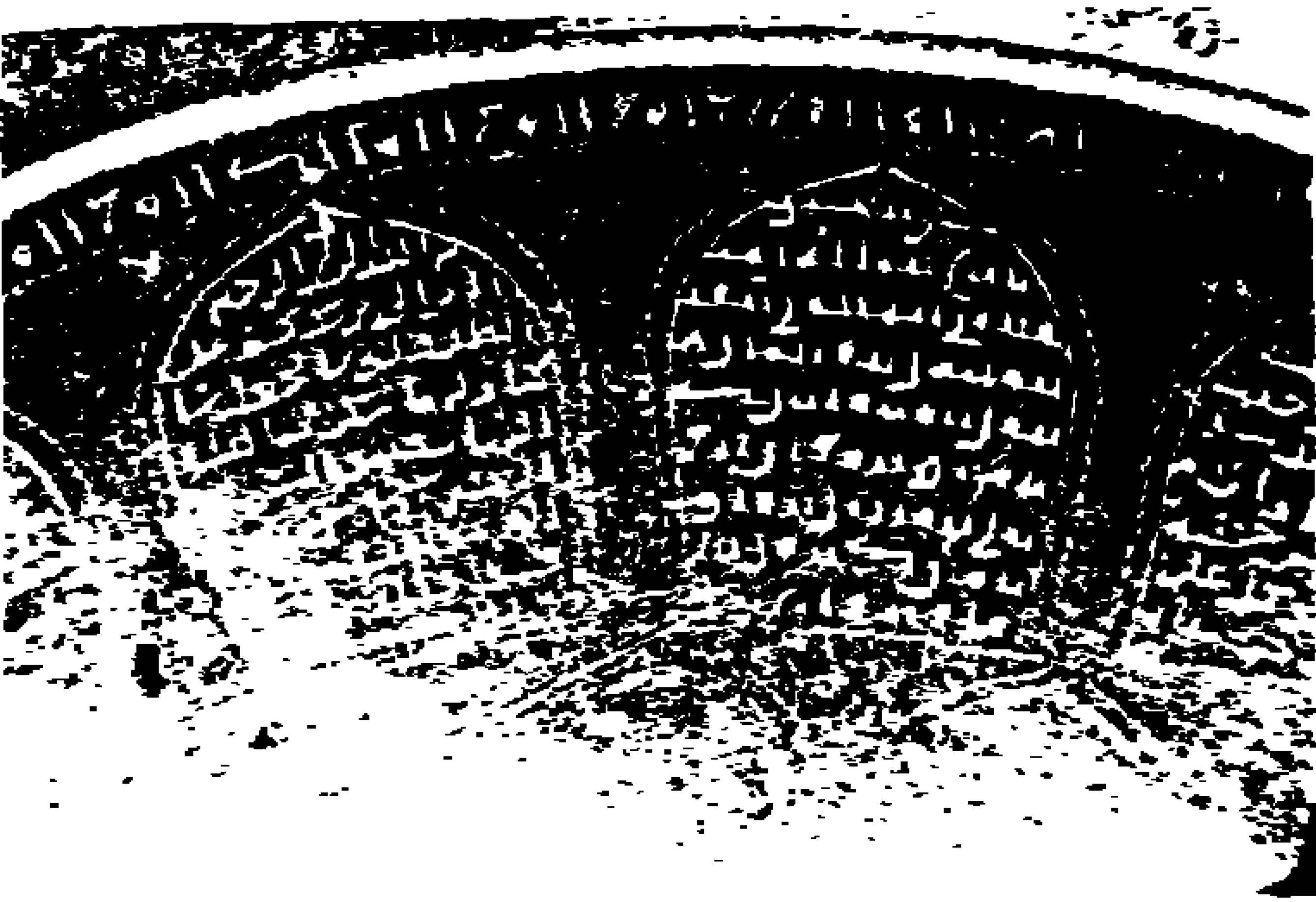
٥٣ طاسة خفة من النحاس المزخرف بالحفر مكفتة بالفضة
والأشكال الفروع . محفوظة بمتحف الفن الإسلامي . و ٧ ق ١٣ م



٥٤ تفصيل أجزاء من الطاسة السابقة تضم كتابات نسخية وزخرفية
والأشكال الفروع .



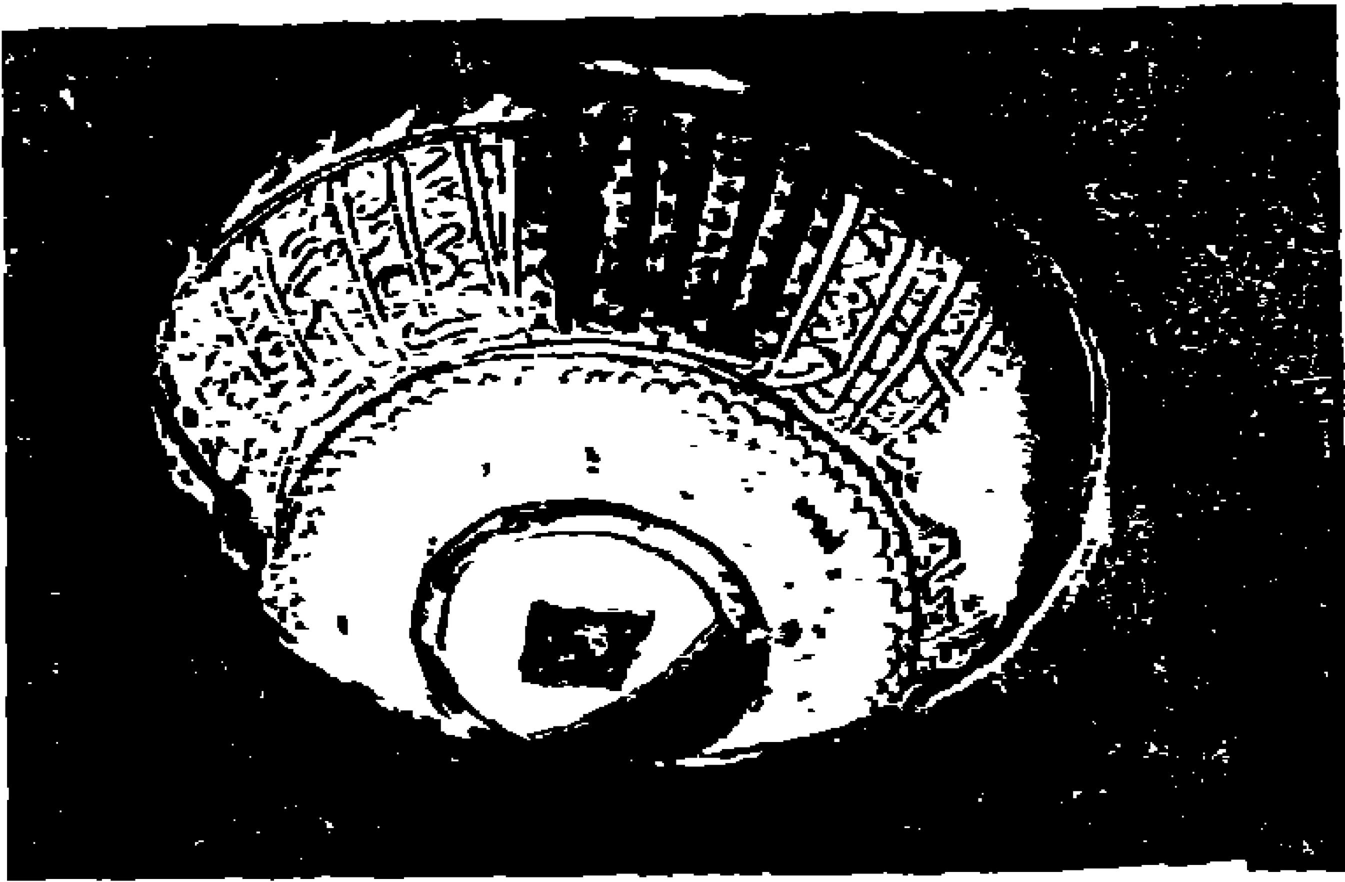
لوحة (٥٥) طاسة ضخمة من النحاس وزخرفها بالحفر صفوف من عقود مدببة متجاورة تضم كتابات نسخية وسحرية .



لوحة (٥٦) جزء من الكتابات على الطاسة السابقة .



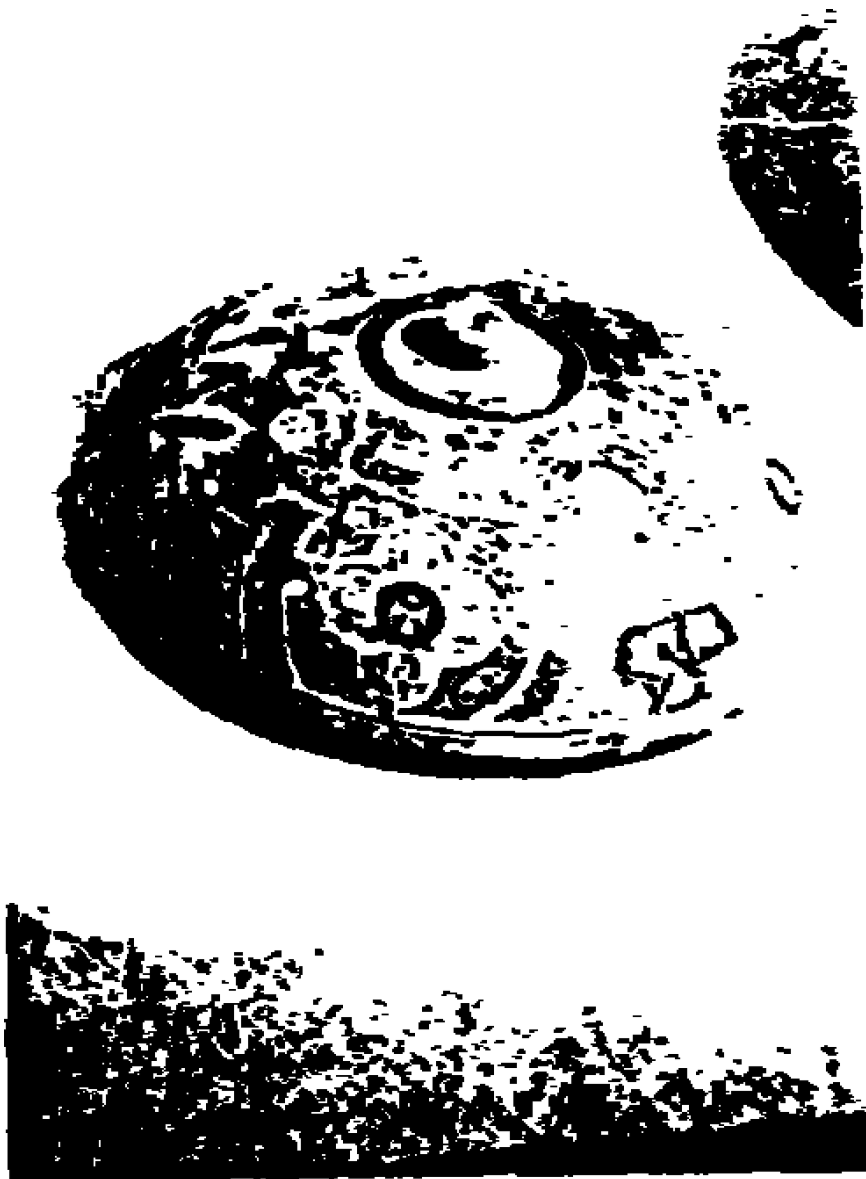
لوحة (٥٧) سلطانية من الفخار المطلي بالمينا الملونة ترجع إلى مصر في العصر المملوكي . (من الخارج) محفوظ بمتحف الفن الإسلامي برقم ١٥٩٨٢ .



لوحة (٥٨) السلطانية السابقة من الداخل يظهر بها رنك البقجة



لوحة (٥٩) سلطانية من الخشب المزخرف بالألوان المختلفة ترجع إلى مصر في العصر المملوكي . محفوظ بمتحف الفن الإسلامي .



لوحة (٦٠) غطاء السلطانية السابقة .



لوحة (٦١) خمس قطع من خمس أواني من الفخار المطلي بالمينا بزخرفة بالرنوك ، محفوظة بمتحف كلية الآثار بأرقام ١٤٤٢-٩٥-٢٠٢-١٧١-١٤٩.



لوحة (٦٢) قطعة من سلطانية من الفخار المطلي بالمينا عليها رسم سمكتين . محفوظة بالمتحف القبطي برقم ٣٣٠١ .



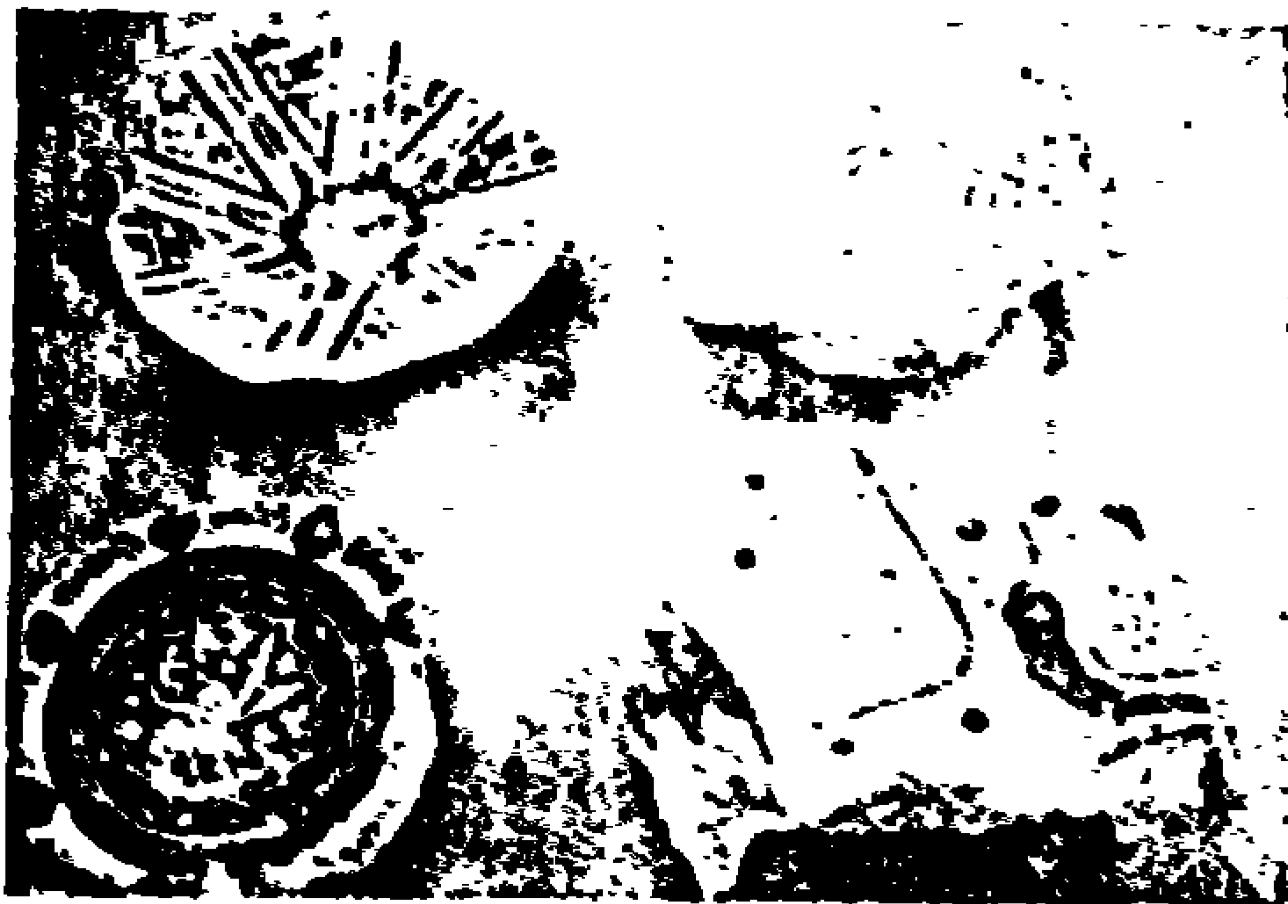
لوحة (٦٣) جزء من صحن من الفخار المطلي بالمينا مزخرف برنك محفوظ بمتحف الفن الإسلامي برقم ١٥٤٧٠ (الواجهة) .



لوحة (٦٤) ظهر الصحن السابق يتوسطه دائرة بداخلها رنك السيف .



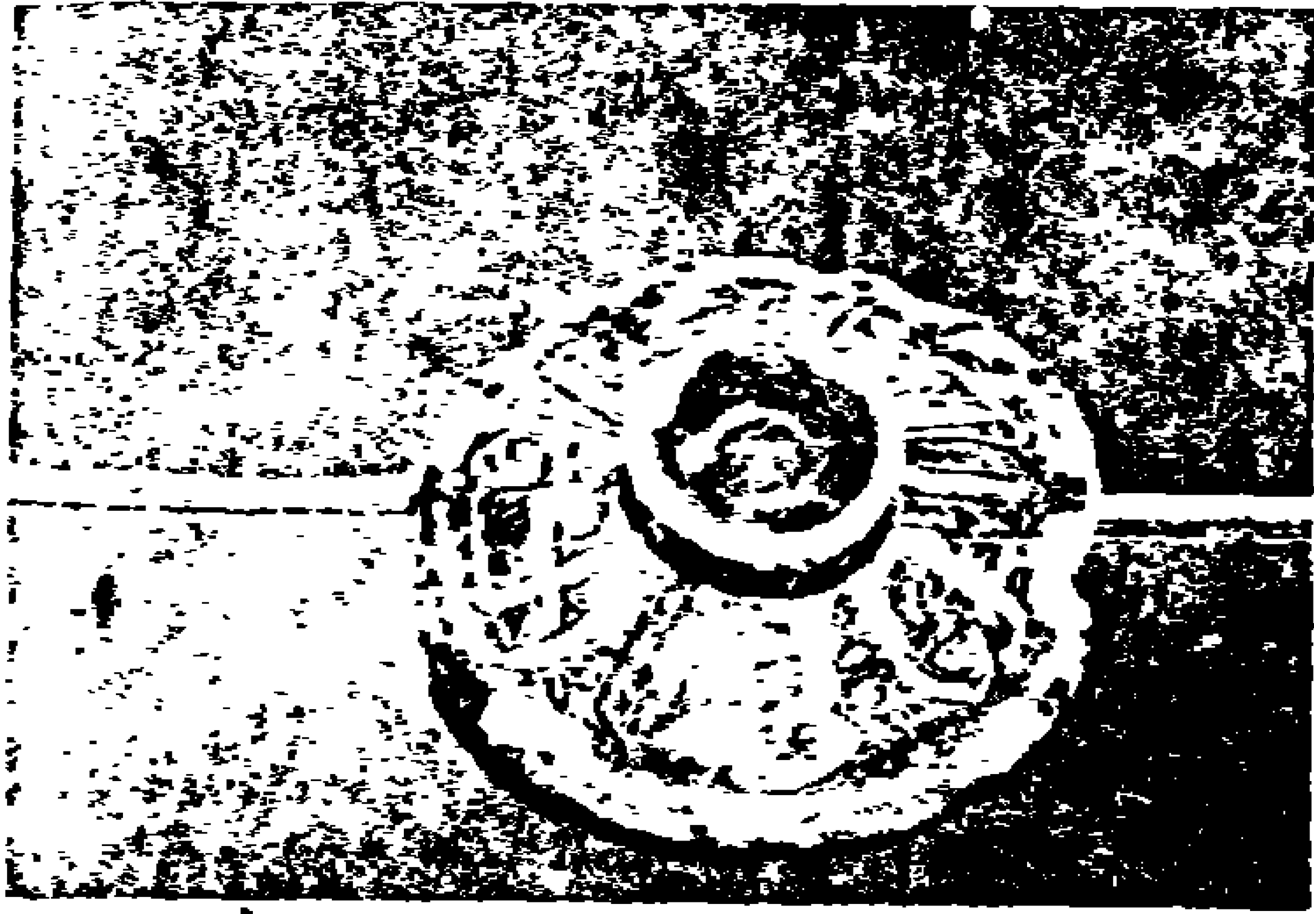
لوحة (٦٥) كأس وصحن من السولاكون-مصر في عصر المماليك-محفوظ بمتحف الفن الإسلامي.



لوحة (٦٦) : أجزاء من ٥ أطباق من الخزف المرسوم تحت الطلاء من مصر في عصر المماليك محفوظة بمتحف كلية الآثار بأرقام سجل : ١٣٦٦ ، ٤٤٨ ، ٤٧٩ ، ٤٤٤ .



٦٧ قطعتان من الخزف المملوكي الأولى تحمل توقيع حرفي عصر المماليك الشهير "عمل غيبي" والثانية تحمل زخرفة هندسية نجمة سداسية بمتحف كلية الآثار .



٦٨ غطاء إناء من الفخار المطلي بالمينا محفوظ بمتحف الفن الإسلامي برقم ٦٨٨٣ .



٦٩ طبق من حجر العقيق محفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة برقم ١٠٤٥ — ينشر لأول مرة .



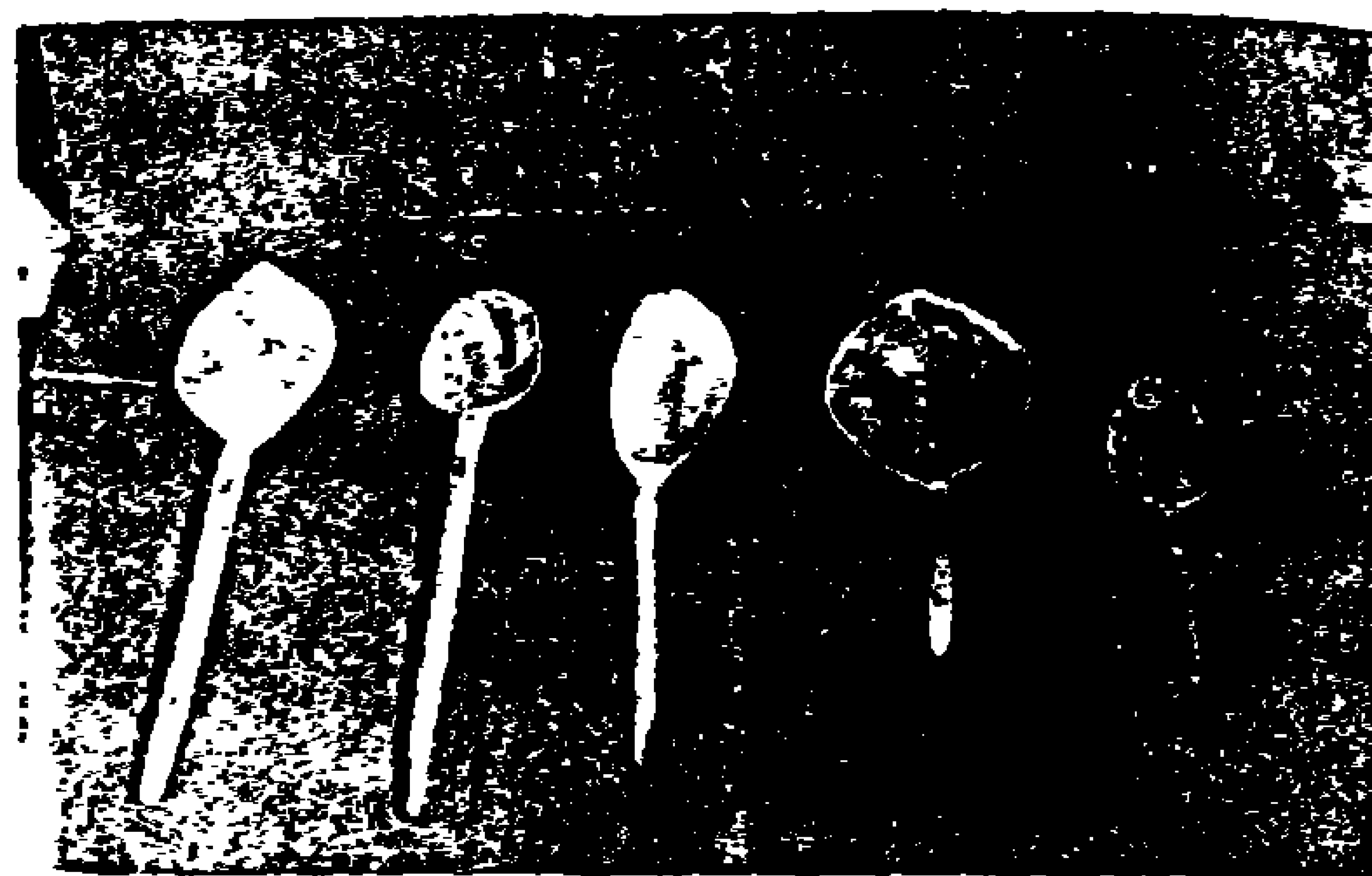
٧٠ [illegible] من الخزف المرسوم تحت [illegible] ق ٨ هـ / ١٤ م محفوظة بمتحف الفن الإسلامي .



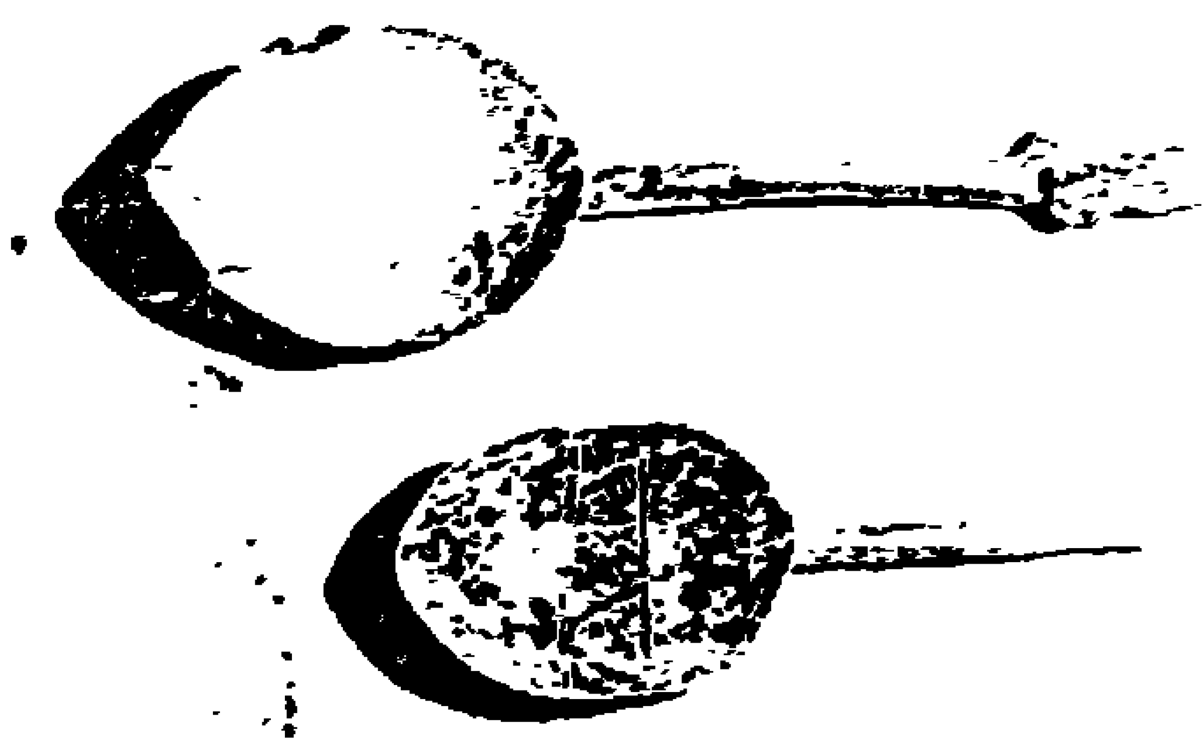
٧١ صحن من الزجاج — مصر ق ٧ هـ / ١٣ م بمتحف كلية الآثار .



٧٢ صحن من الزجاج بزخرفة قاعة دائرية بداخلها نجمة خماسية — من عصر المماليك بمتحف كلية الآثار



٧٣ ملاعق من الخشب على بعضها بقايا زخرفة بالالوان – مصر ق ٧/٨ هـ ١٤/١٢ م . محفوظة بمتحف كلية الآثار – تنشر لاول مرة .



٧٤ صحنان من الخشب المزخرف بالالوان – مصر في عصر المماليك بمتحف الفن الاسلامي – الكبيرة برقم ٤/٦٨٨١ [illegible] بها شكل ورقة [illegible] [illegible] . والصغيرة برقم ٢/٦٨٨٠ [illegible] وزخارف [illegible] ملونة بالالوان – تنشر لاول مرة .



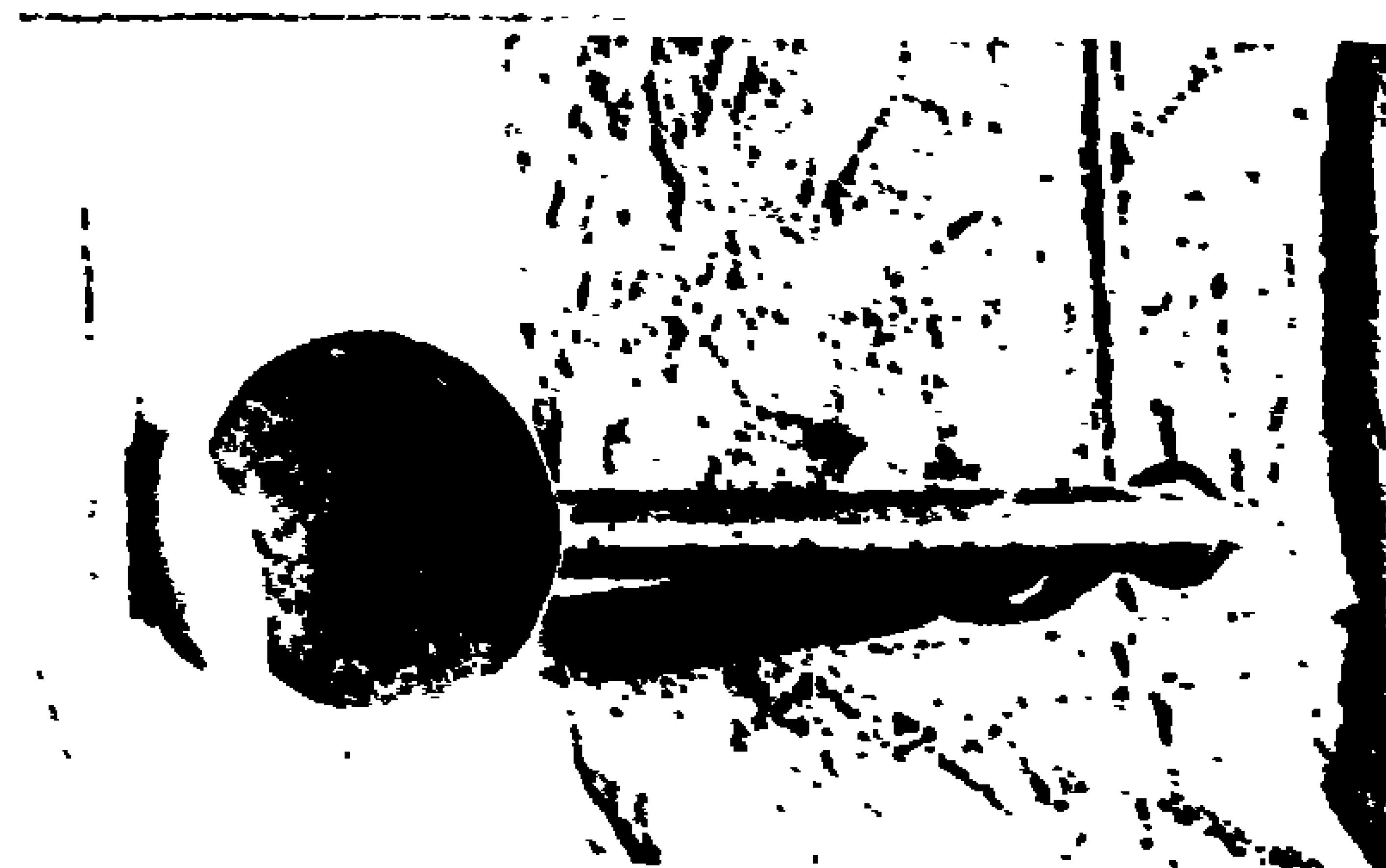
٧٥ ملعقة من الخشب بها تجويف بشكل ورقة خماسية الفصوص – مصر في عصر المماليك – بمتحف الفن الاسلامي برقم ٧٥ . تنشر لاول مرة .



٧٦ [illegible] من الخشب [illegible] [illegible] عليهما بقايا زخرفة بالالوان – مصر في عصر المماليك – محفوظة بمتحف الفن الاسلامي – تنشر لاول مرة .



٧٧ سكينة عاج بيد خشب محفوظة بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة برقم ٤١٨٠ – تنشر لاول مرة .



٧٨ مغرفة (كبشة) من المعدن لها حلقة في نهاية اليد محفوظة بمتحف الفن الاسلامي برقم ٢٤٤٢ .



لوحة (٧٩) مصفاة من النحاس – ترجع إلى مصر في عصر المماليك محفوظة بمتحف الفن الإسلامي برقم ٦٥٧٣ .



لوحة (٨٠) يد المصفاة يظهر بها زخارف كتابية وهندسية منفذة بالحفر .



لوحة (٨١) كأس من الخزف المرسوم تحت الطلاء – مصر في عصر المماليك – بمتحف الفن الإسلامي .



لوحة (٨٢) ثلاثة أقداح صغيرة من الخزف – ترجع إلى مصر في العصور الوسطى – بقسم الزراعة بالمتحف الزراعي بالدقي برقم ١٦٦٢–١٦٦١–١٦٥٧ . تنشر لأول مرة .



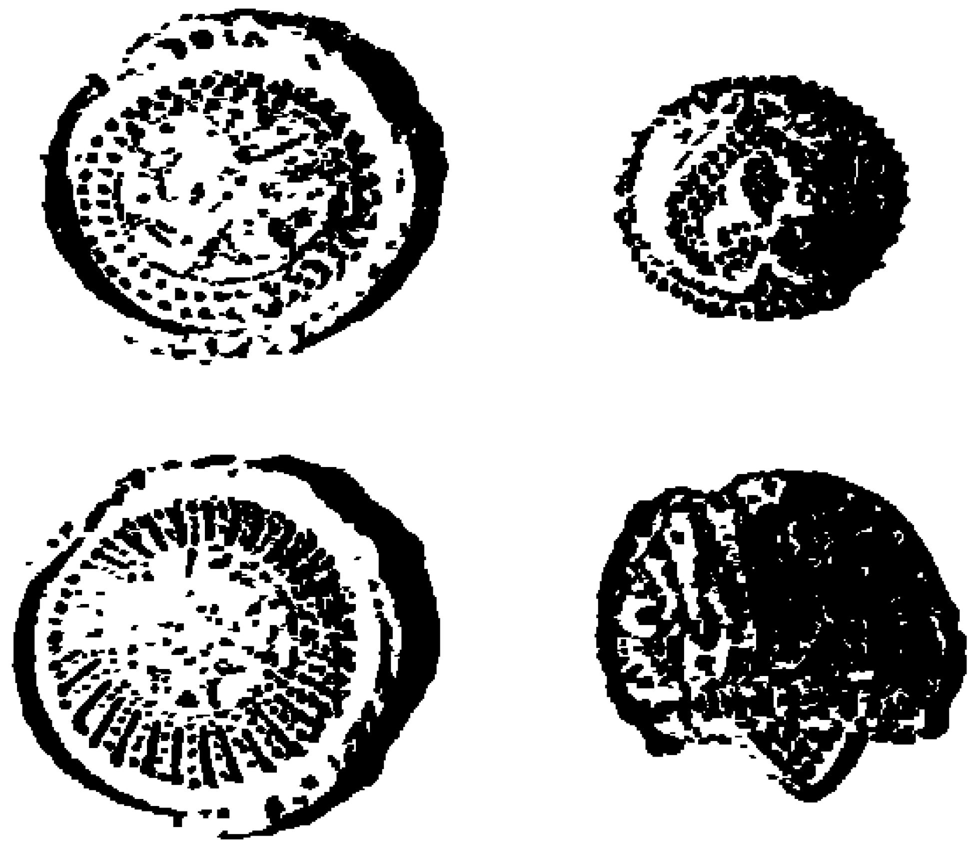
لوحة (٨٣) قلة من الفخار تحمل رنك السيف والكأس – مصر في عصر المماليك محفوظة بمتحف الفن الإسلامي – تنشر لأول مرة .



لوحة (٨٤) مجموعة من شبابيك القلل – ترجع إلى مصر في العصور الوسطى – محفوظة بالمتحف القبطي .



٨٧ صورة لبائعة جرار نقلا عن :
Ebers: L'Egypte du Caire, P. 245



٨٥ مجموعة من شبابيك القلل تزخرفها رنوك ـ مصر في عصر المماليك ـ محفوظة بمتحف الفن الاسلامي .



٨٨ نساء يحملن الجرار لملئها من السبيل عن :
Pascal Cost: Architecture Arabe, Pl. III



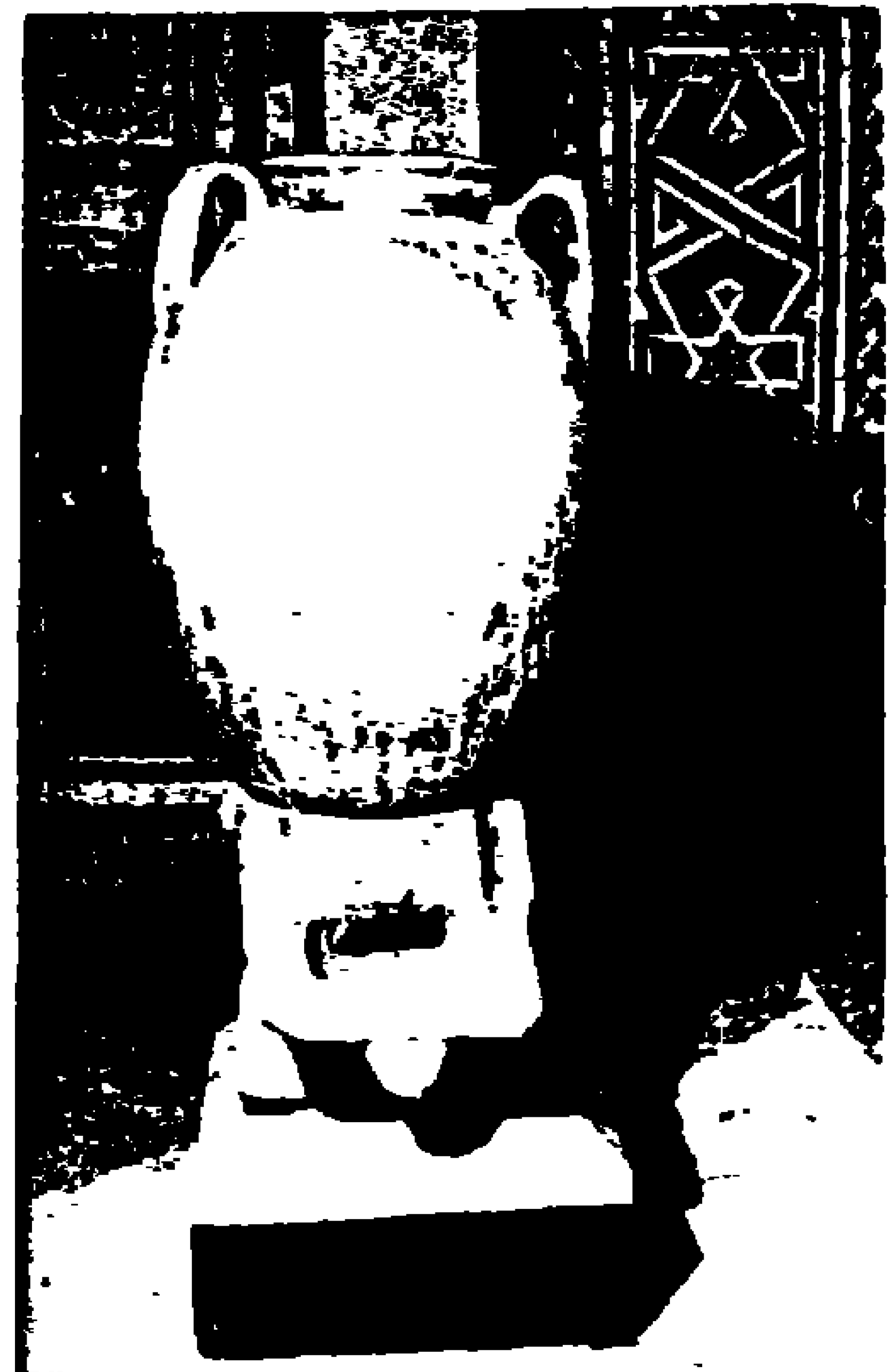
٨٦ مجموعة من شبابيك القلل مزخرف معظمها بكتابات منحوتة ـ مصر في عصر المماليك ـ محفوظة بالمتحف الحسني ـ تنشر لأول مرة .



٨٩ سيدتان يحملان الجرار .



٩٠ صورة لسيدة تحمل جرة ـ نقلا عن :



٩١ زير من الرخام يرجع الى مصر فى عصر المماليك محفوظة بمتحـــف
الفن الاسلامى برقم يحمل كتابات فى شريط .



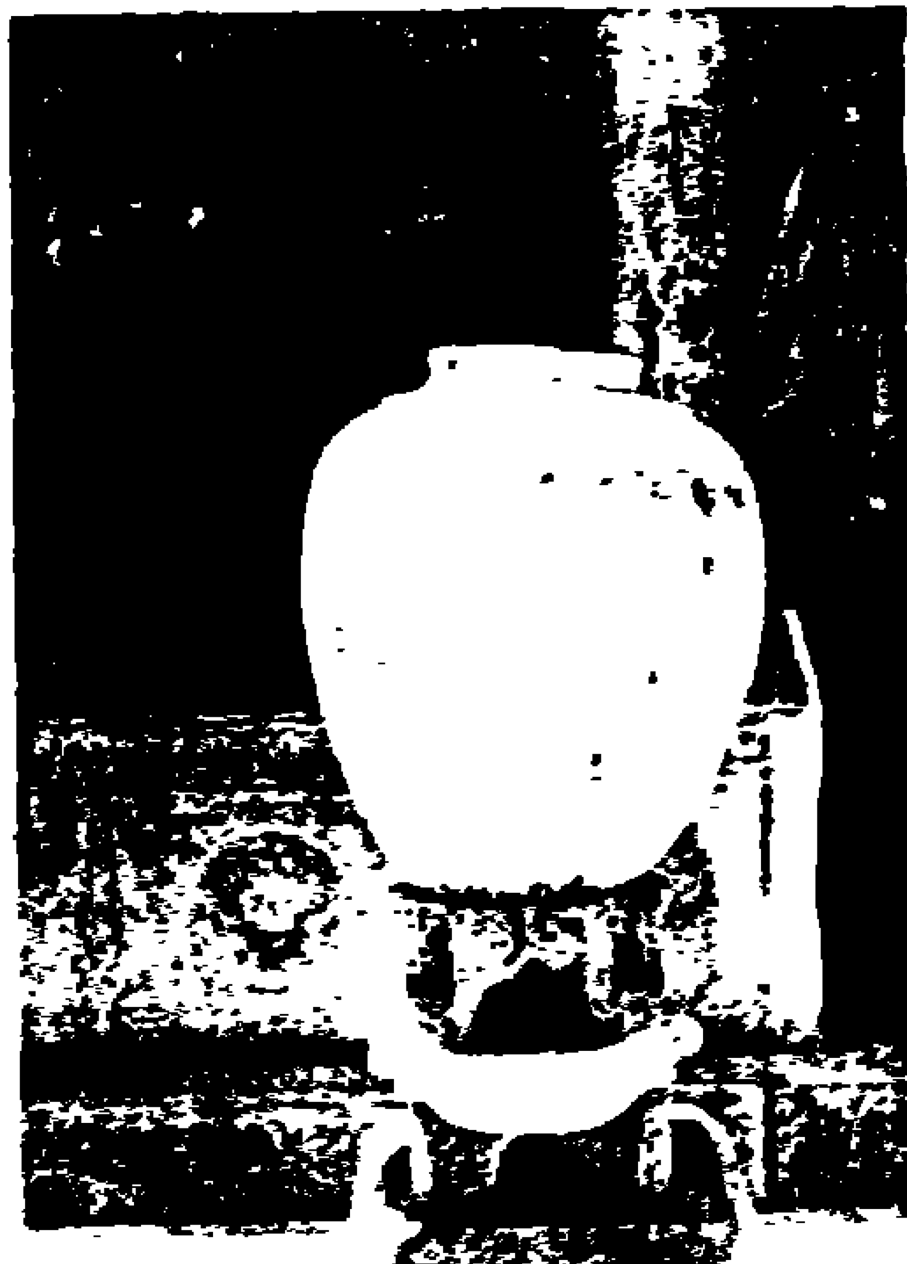
٩٢ شريط كتابى بخط بالحبر ا العلوى من الزير أعل اللوحة نصـــه
"أوقف هذا الزير على هذا السبيل المبارك" .



٩٣ باقى الشريط الكتابى نصه "مولانا السلطان الملك الأشـــرف"



٩٤ سكتند الســـــى "آبو النصر قا ـــــــى عر ستوة ـــمـ
و"ـــه .



٩٥ زير من الرخام يرجع الى مصر فى عصر المماليك محفوظ بمتحـــف
الفن الاسلامى .



٩٦ اناء من الخشب للمياه ـ مصر فى العصر الوسطى ـ محفوظ من حفائر
الفسطاط محفوظ بقسم الزراعة القديم بالمتحف الزراعى برقم ١٧٣٢
ينشر لاول مرة .



٩٧ قدر كبير لحفظ الغلال من الفخار المطلى – مصر ق ١٠ هـ / ١٦ م
محفوظ بمتحف الفن الاسلامى – تنشر لاول مرة .



لوحة (٩٨) مكيالان من الخشب المصفح بالمعدن – مصر ق ١٠هـ/١٦م – بمتحف جاير
اندرسون برقم ٢٥٥٧/١ ، ٢٥٥٧/٢ – تنشر لأول مرة .



١٠٠ غربال مصنوع يرجع الى عصر [illegible] الدولة [illegible]
١٤٠٠ ق م) محفوظ بالمتحف الزراعى [illegible] – تنشر [illegible]



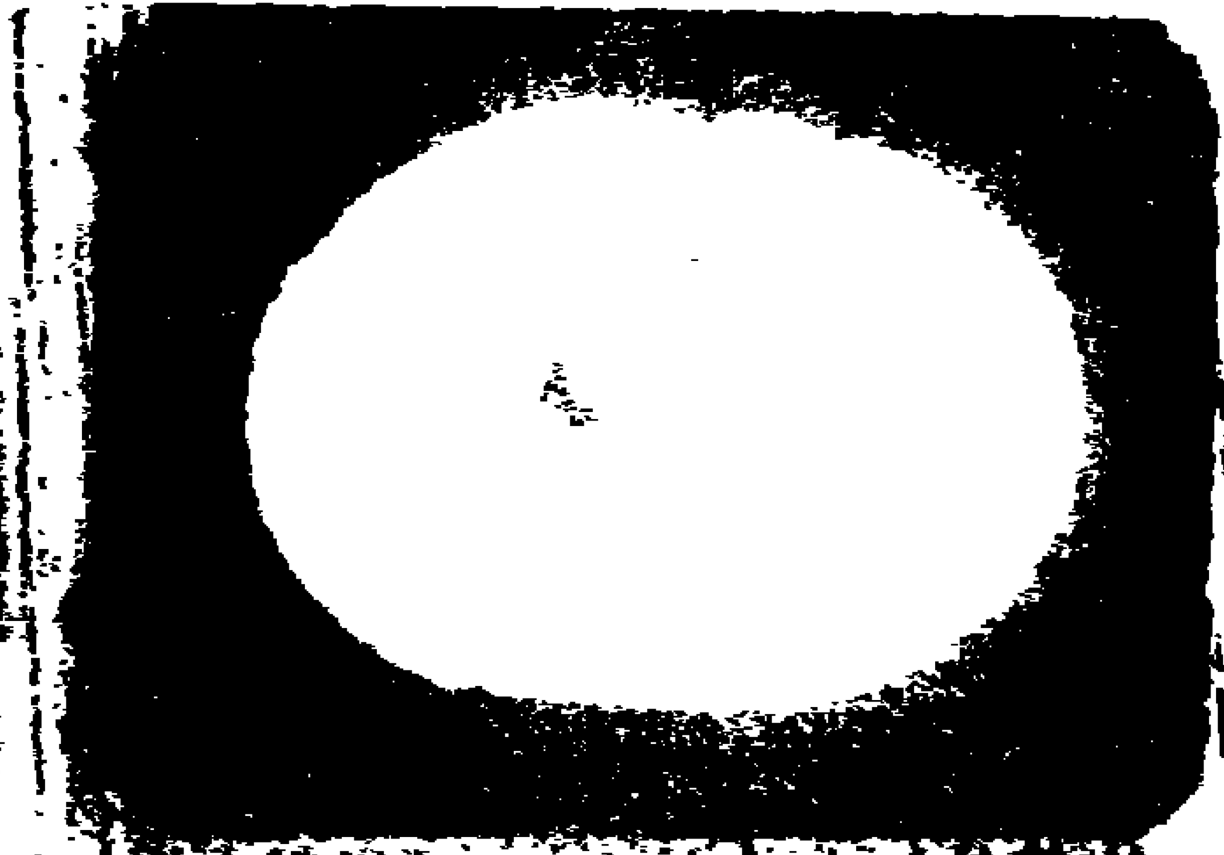
لوحة (٩٩) إناء من الفخار للمكيال – مصر فى العصور الوسطى بالمتحف الزراعى بالدقى
برقم سجل ١٧٢٩ .



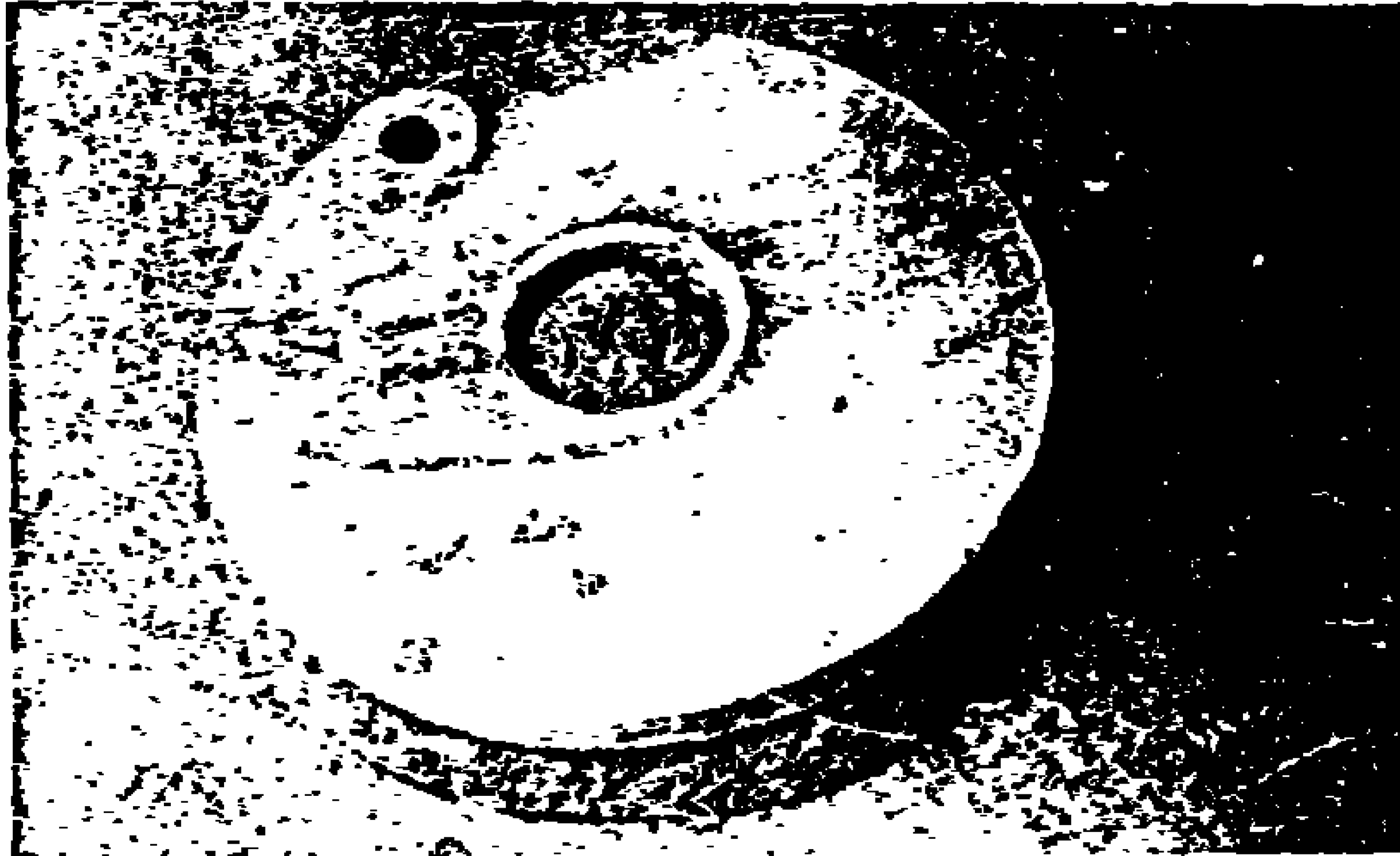
١٠٢ أختام فخارية للكعك – مصر فى عصر المماليك – محفوظة بمتحف
الفن الاسلامى بأرقام سجل ٢٢٣٧ – ٧٩٤٢/١ ، ١٨٧٢٢ .



١٠١ أختام فخارية لنقش الكعك – مصر ق ٧ هـ / ١٣ م – محفوظة بالمتحف
الزراعى بالدقى – تنشر لاول مرة .



١٠٣ شق رحى من الحجر (الجزء العلوي) ترجع الى مصر في العصور الوسطى محفوظة بالمتحف الزراعي بالدقي برقم ١٦٤٦ ـ تنشر لاول مرة .



١٠٤ رحى شقيها العلوي من الرخام والسفلي من الحجر ترجع الى مصر في القرن ١٠/١١ هـ ـ ١٦ ـ ١٧ م محفوظة بمتحف اندرسون برقم ٢٣٨٨/١ ، ٢٣٨٨/٢ ـ تنشر لاول مرة .

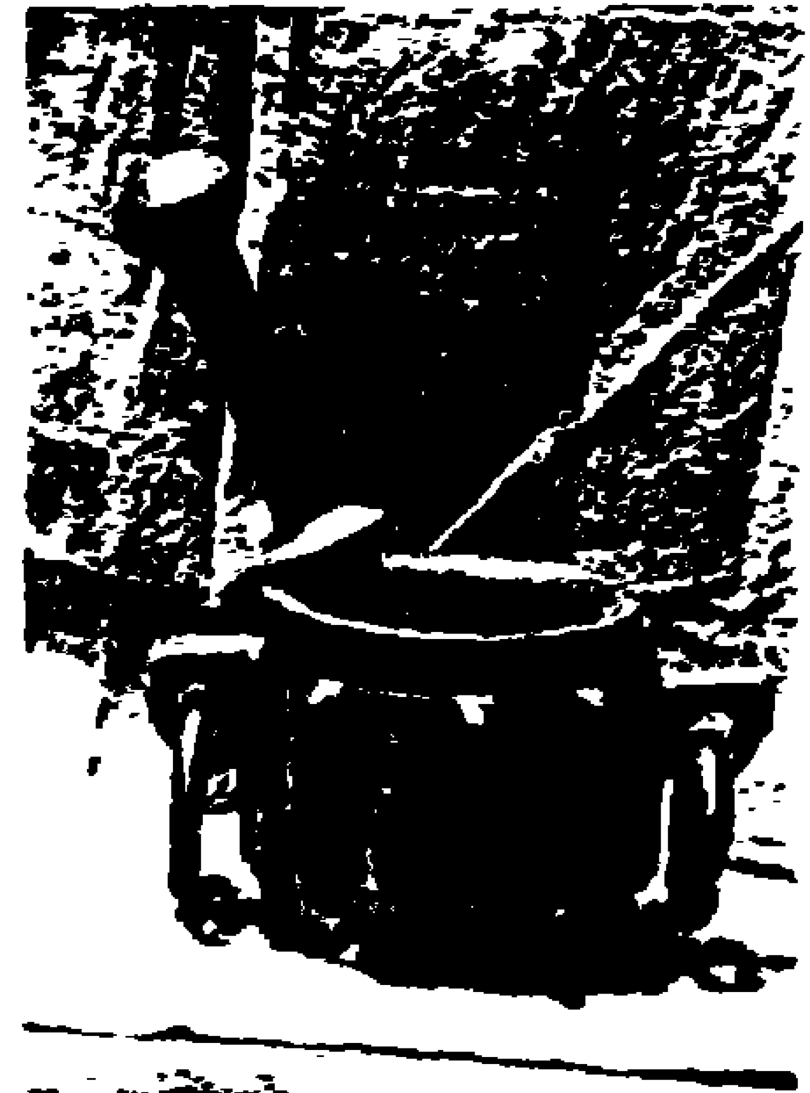


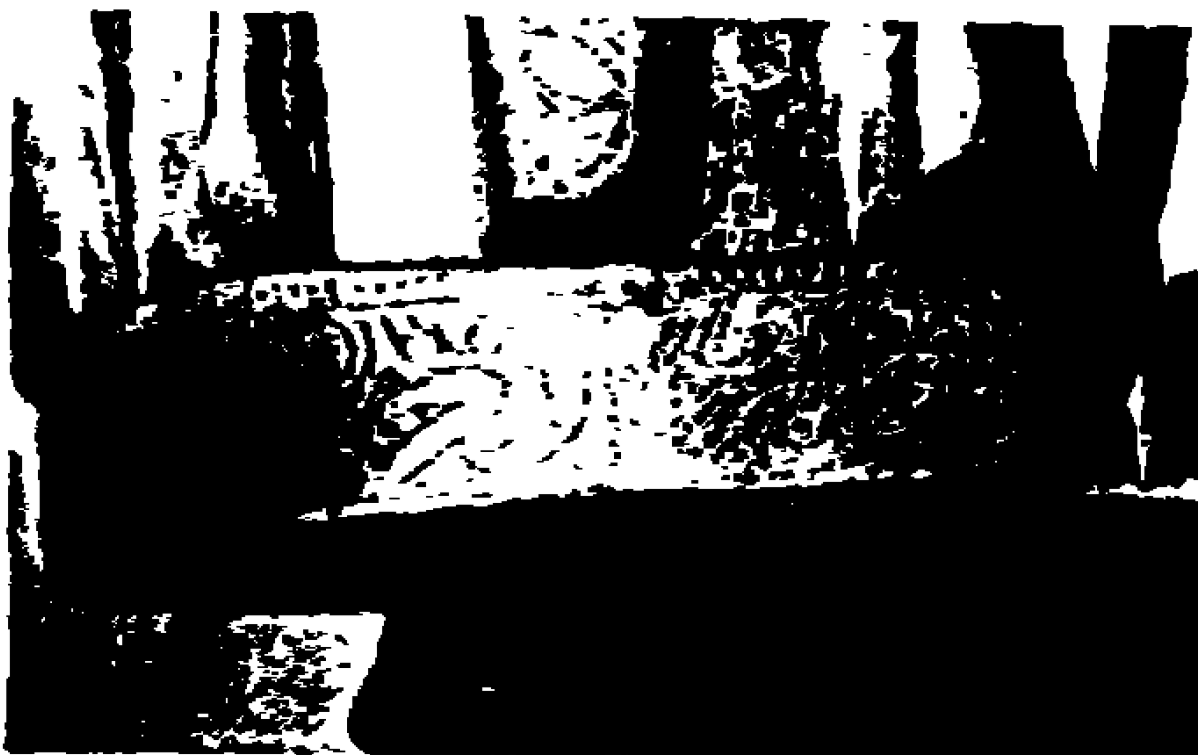
١٠٥ هاون ويده من حجر الجرانيت ـ مصر في عصر المماليك ـ محفوظة بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة برقم سجل ١/١٩٢٧٧ ، ٢ ـ ينشر لاول مرة .



١٠٦ يد هاون من البرونز ـ مصر في عصر المماليك ـ المتحف الشخصي برقم ٤٨٧٥ ـ تنشر لاول مرة .

١٠٧ هاون ويده من البرونز (مصر في عصر المماليك) محفوظ بمتحف الفن الاسلامي برقمي سجل ٢٤٠٦٩/١ ، ٢٤٠٦٩/٢ .





١٠٨ شريط دائري يحمل كتابة نسخية بأسفل الهاون السابق .





١٠٩ هاون من الخشب – مصر في عصر المماليك – محفوظ بمتحف الفن الاسلامي برقم ٨/٢ ٦٨٦ – ينشر لاول مرة .

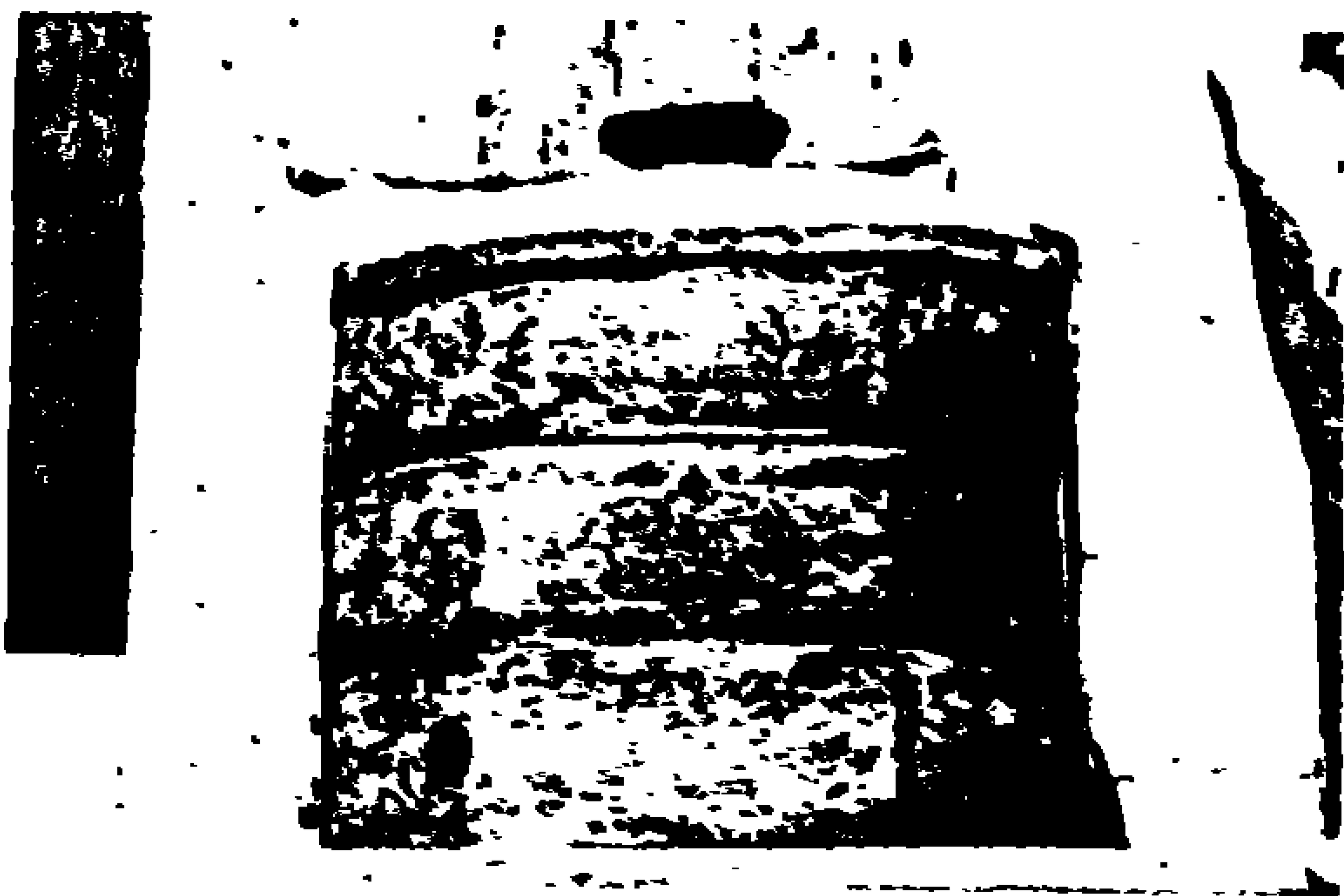
١١٠ هاون من الخشب – مصر من عصر المماليك – محفوظ بمتحف الفن الاسلامي برقم ٤٨٦٢ .

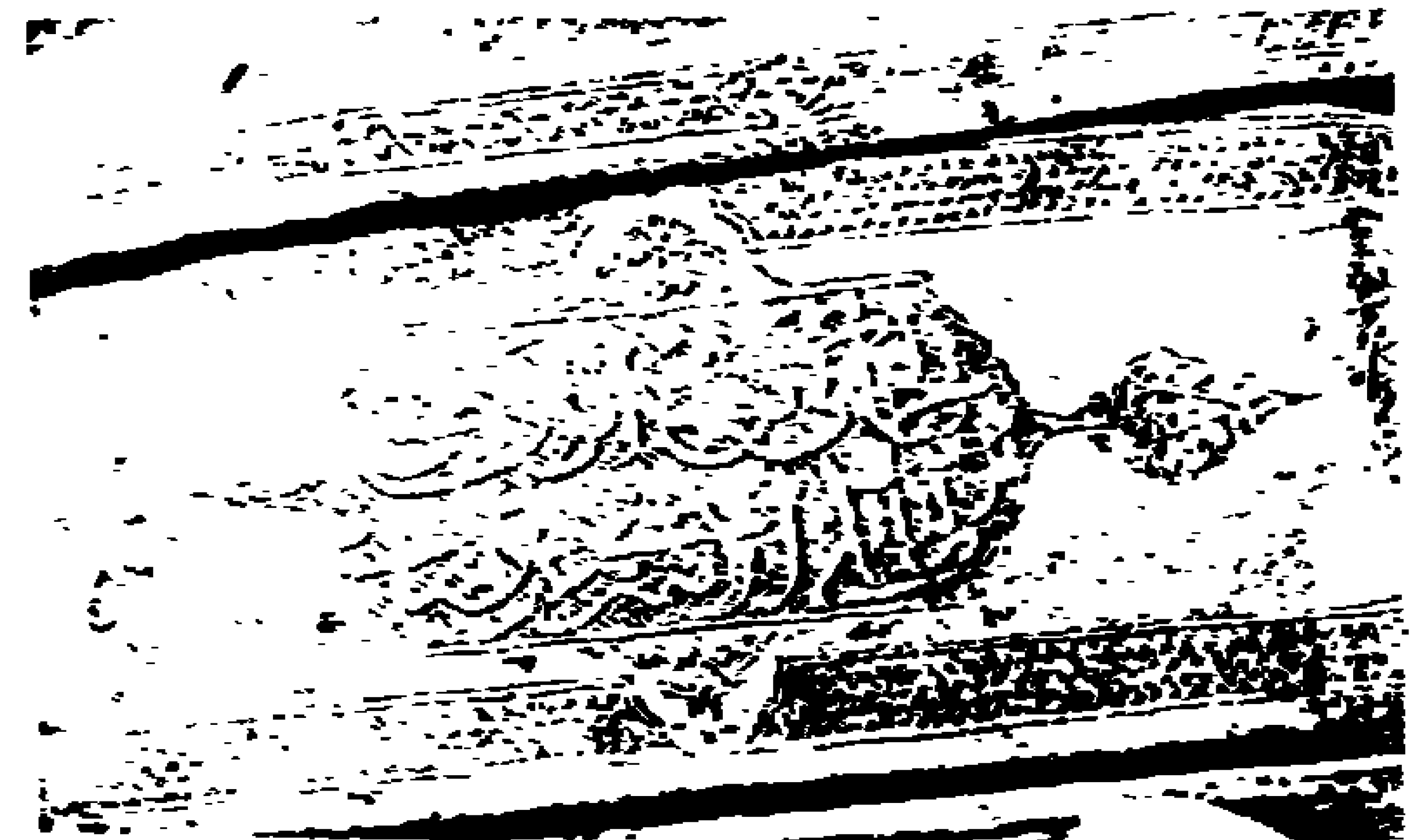




١١١ هاون رقم ١٠٩ .

لوحة (١١٢) هاون من الخشب - مصر في عصر المماليك - محفوظ بمتحف الفن الإسلامي .



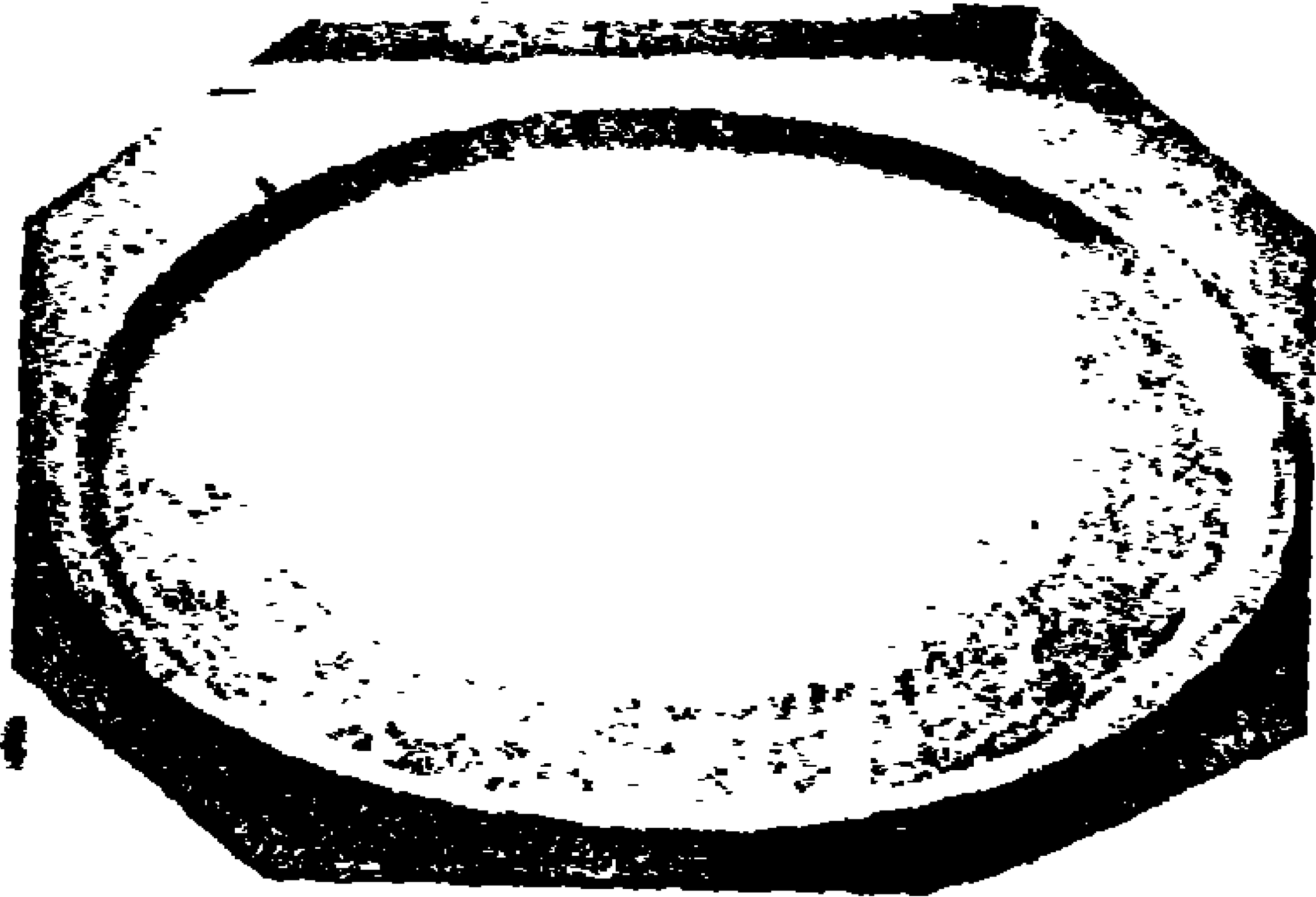


لوحة (١١٣) عمود علم من النحاس المزخرف بالحفر يحمل على جوانبه زخارف كتابية بخط الثلث المملوكي في أشرطة . محفوظ بمتحف الفن الإسلامي برقم ١٥٠٦١ .

لوحة (١١٤) تفصيل زخرفي .



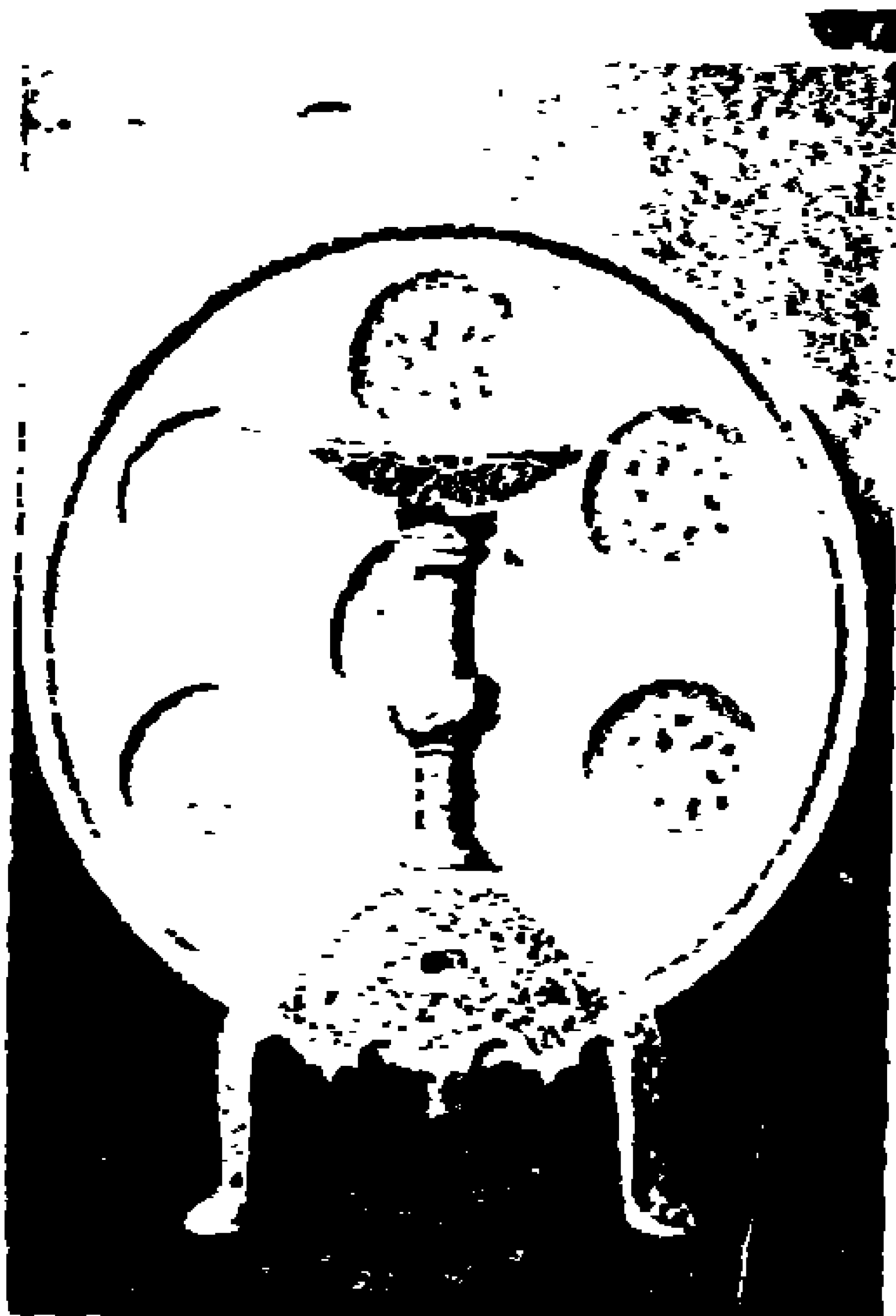
لوحة (١١٥)



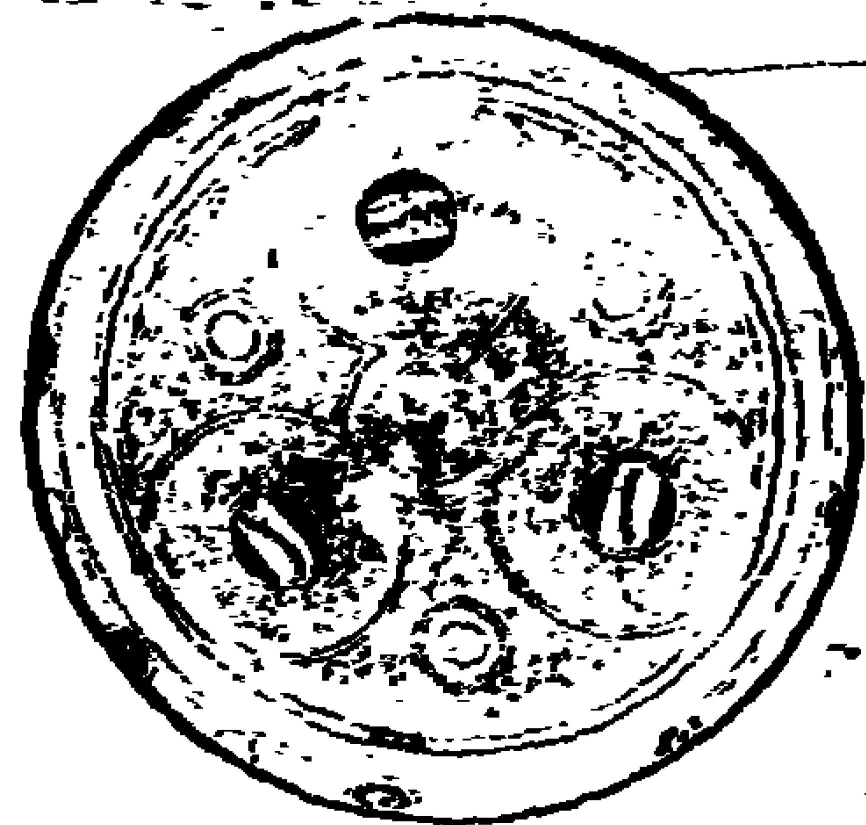
١١٧ صينية من النحاس المزخرف بكتابات نسخية وزخارف نباتية مطعمة بالحفر - مصر عصر المماليك - بمتحف كلية الآثار برقم ١٢١١.



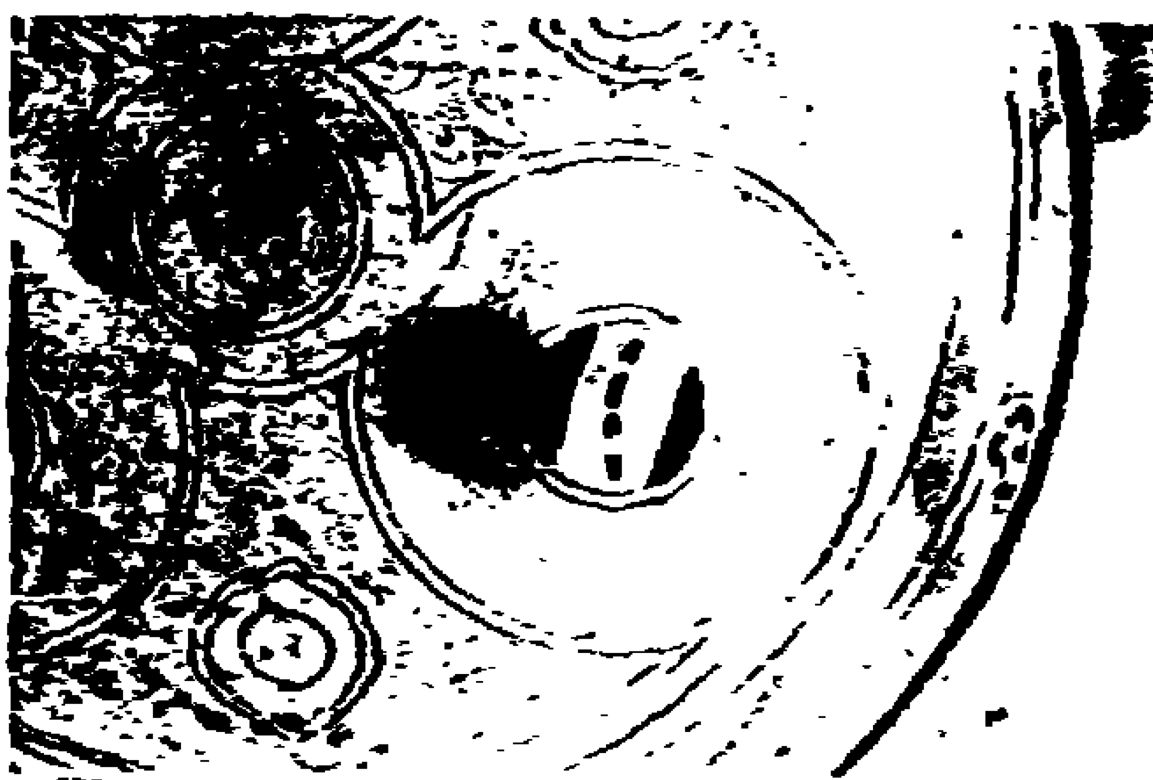
لوحة (١١٦)



١١٨ صينية وحاملها من النحاس المكفت - عصر المماليك عن:
Prisse D'Avennes: Op.Cit., T.3, p. ..



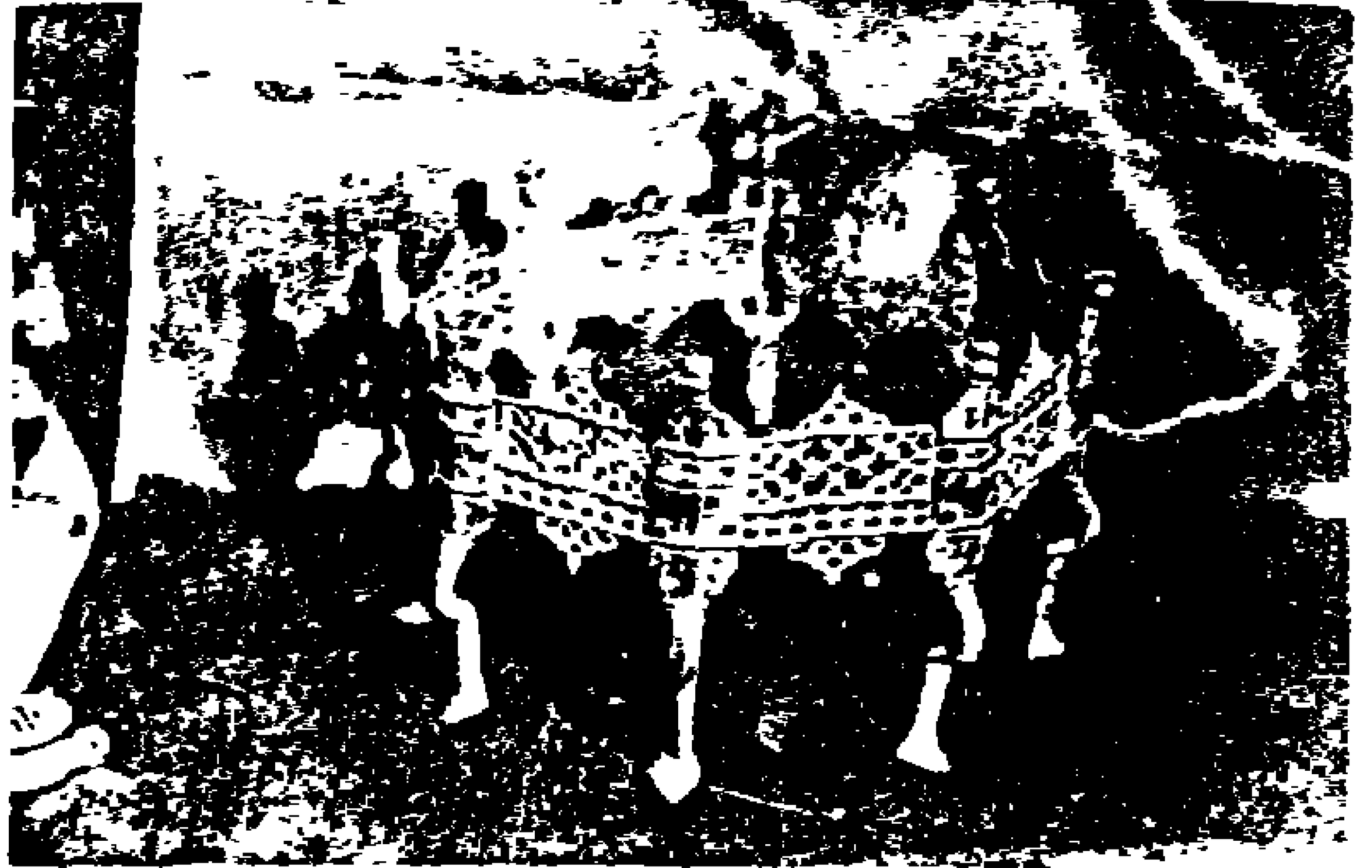
١١٩- صينية من الزجاج المموه بالمينا ، الملونة - مصر عصر المماليك -
١٢٠ محفوظة بالمتحف القبطي برقم ٣٢٥٢ - تنشر لأول مرة .



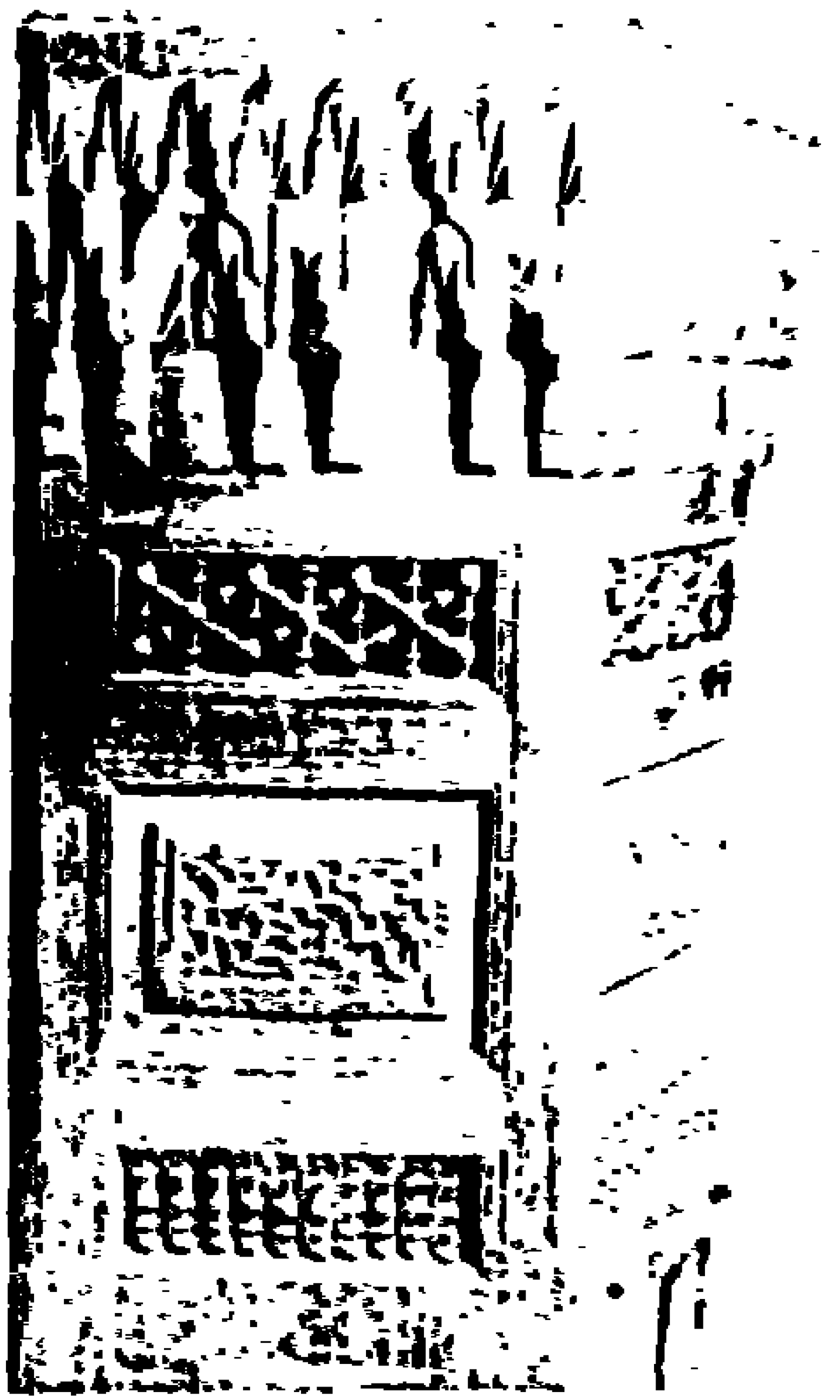
لوحة (١٢٠)



١٢٢ [illegible]



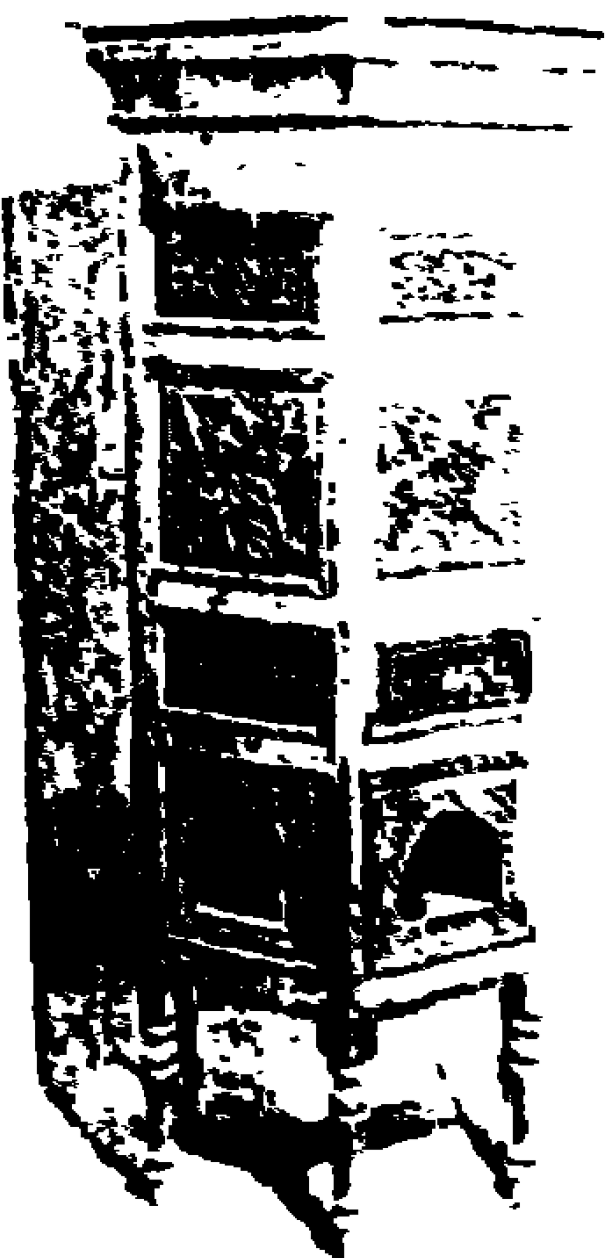
حامل من البرونز مثمن الشكل ذو ثمانية أرجل مزخرف بالتخريم ، محفوظ بمخزن كلية الآثار جامعة القاهرة يرجع الى عصر المماليك ـ ينشر لأول مرة .



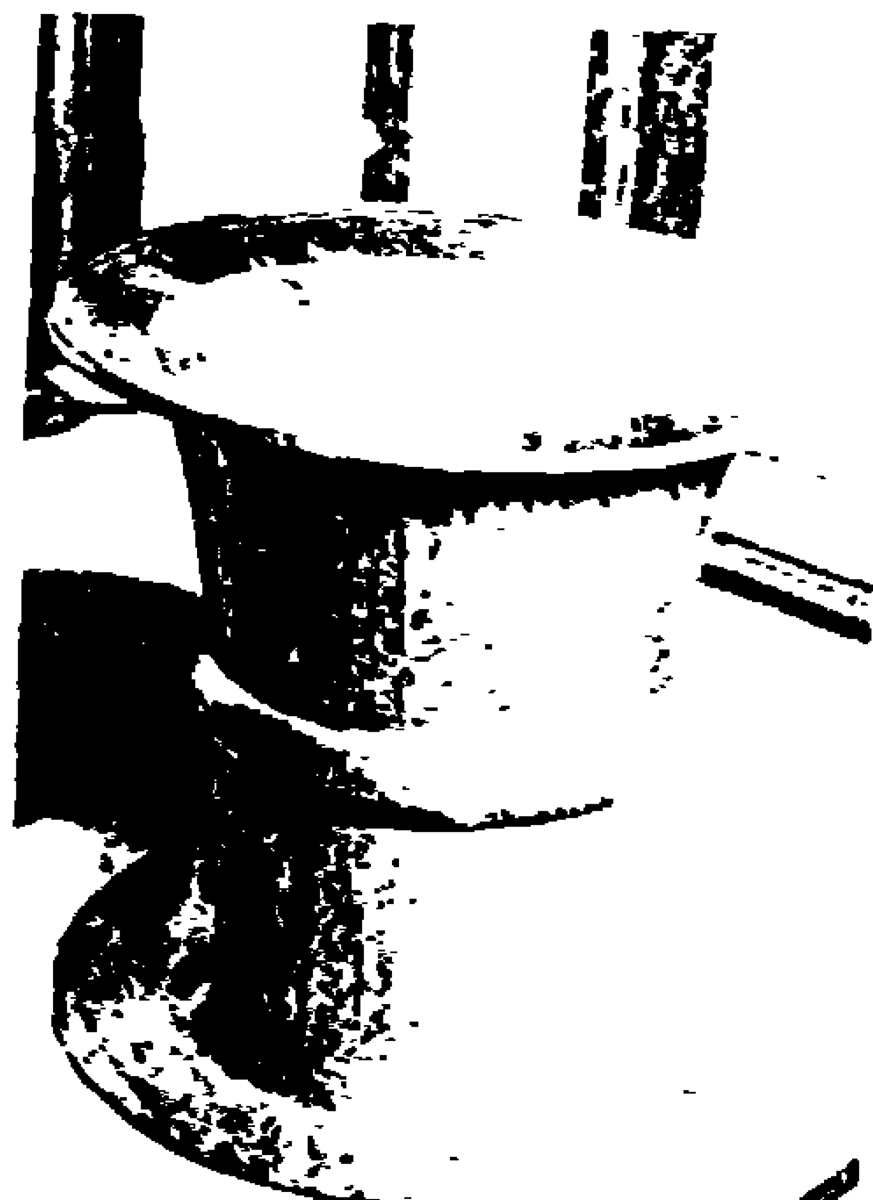
١٢٥ كرسي [illegible]



١٢٣ حامل من الفخار المطلي بالمينا ـ عصر [illegible] الفن الاسلامي .



لوحة (١٢٦) كرسي صينية (كرسي عشا) من الخشب المزخرف بالأويمة ـ يرجع إلى مصر في عصر المماليك ـ محفوظ بمتحف الفن الإسلامي برقم ٤٤٣.

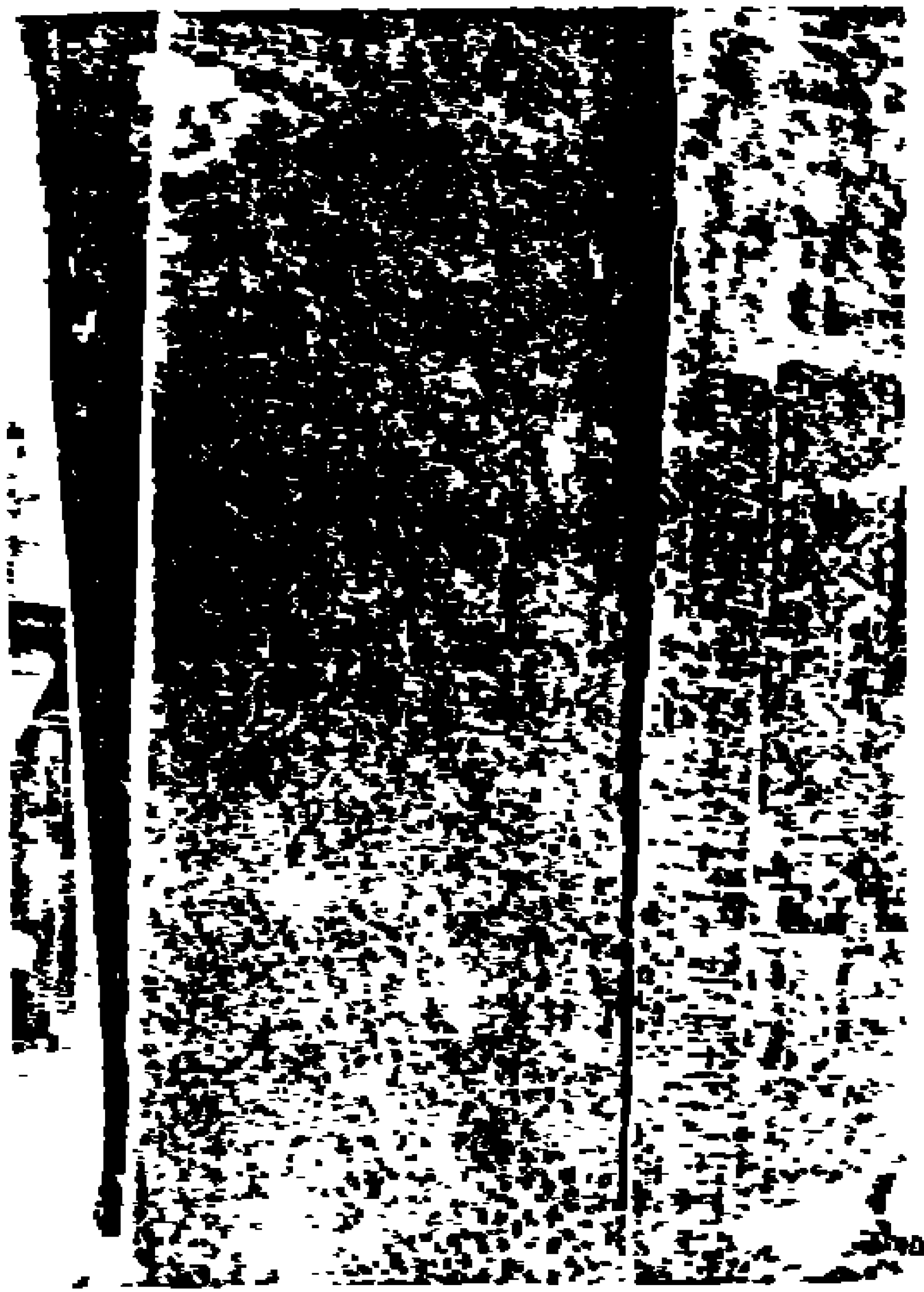


١٢٤ حامل [illegible]



١٢٧ صورة توضح بعض أدوات المطبخ والمائدة فى عصر المماليك عن:

Haldane, D. Op.Cit., Pl. 39

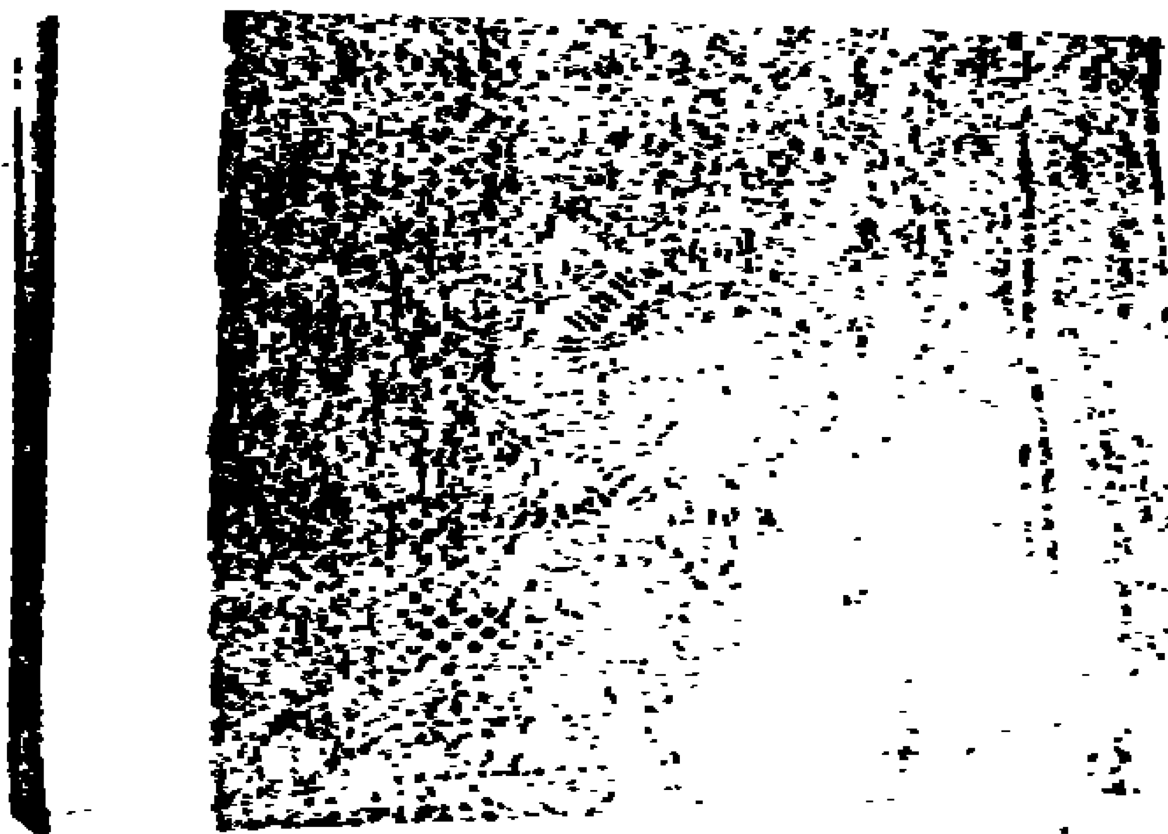


١٢٩ جزء من مخدة ترجع الى مصر فى عصر المماليك محفوظة بمتحف كلية الآثار جامعة القاهرة برقم سجل ١٧٥٢ ـ تنشر لأول مرة.



١٢٨ صورة توضح البعض من أدوات المطبخ والمائدة فى عصر المماليك عن:

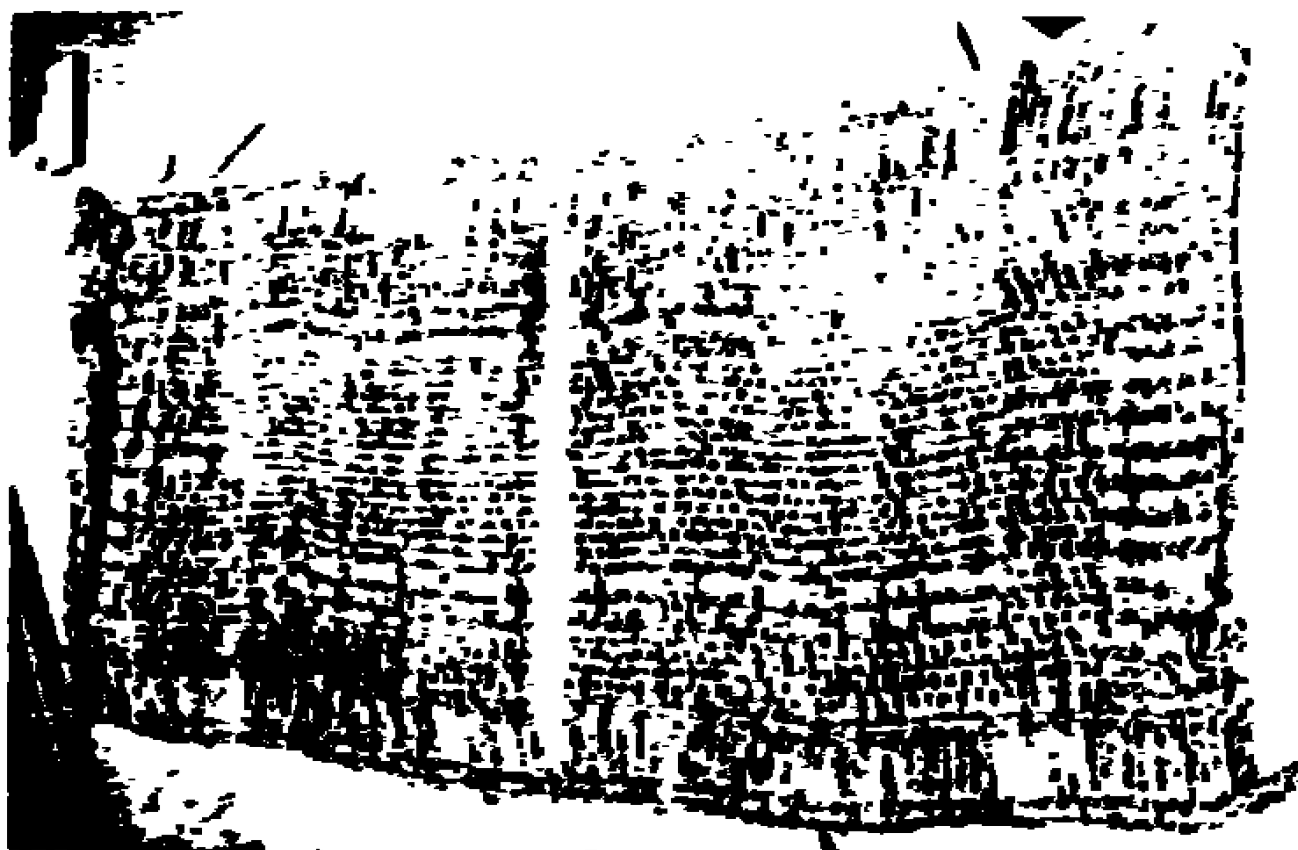
Haldane, D. Op.Cit., Pl. 39.



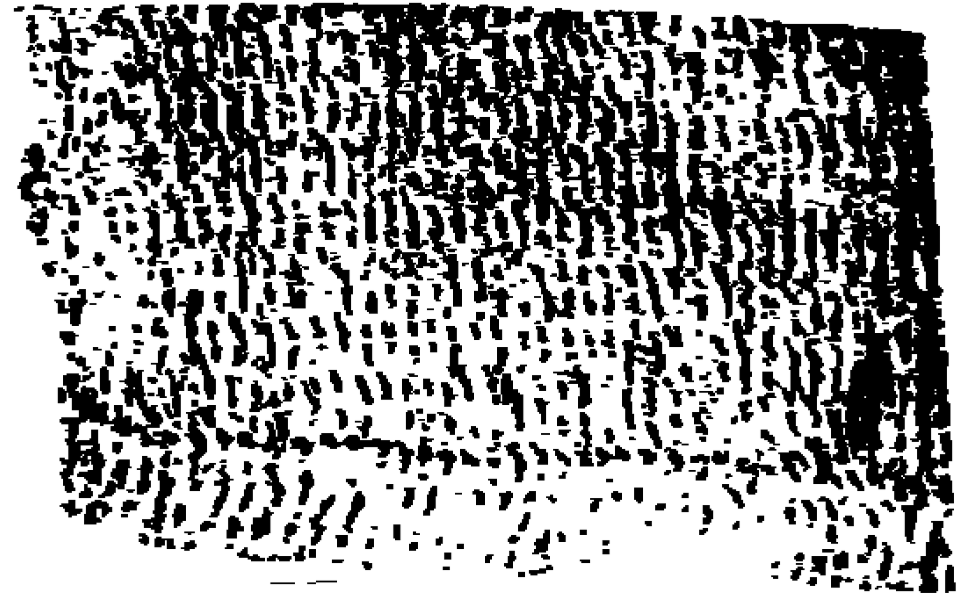
١٣٠ مخدة مملوكية (مساحتها ٩٨ x ٢١ سم) محفوظة فى مجموعة [illegible]



١٣١ سجادة ترجع الى مصر فى عصر المماليك بمتحف الفن الإسلامى



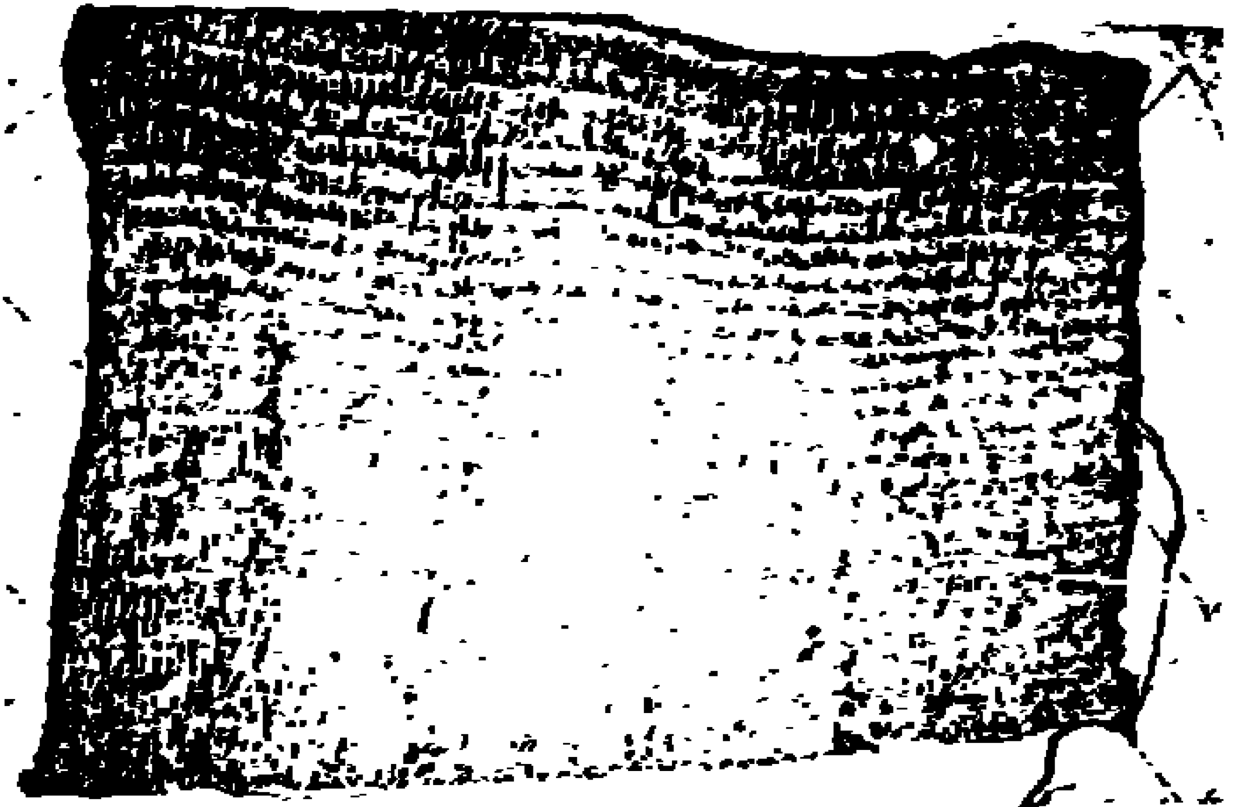
١٣٢ حصيرة ـ من مصر فى العصور الوسطى ـ متحف الفن الإسلامى.



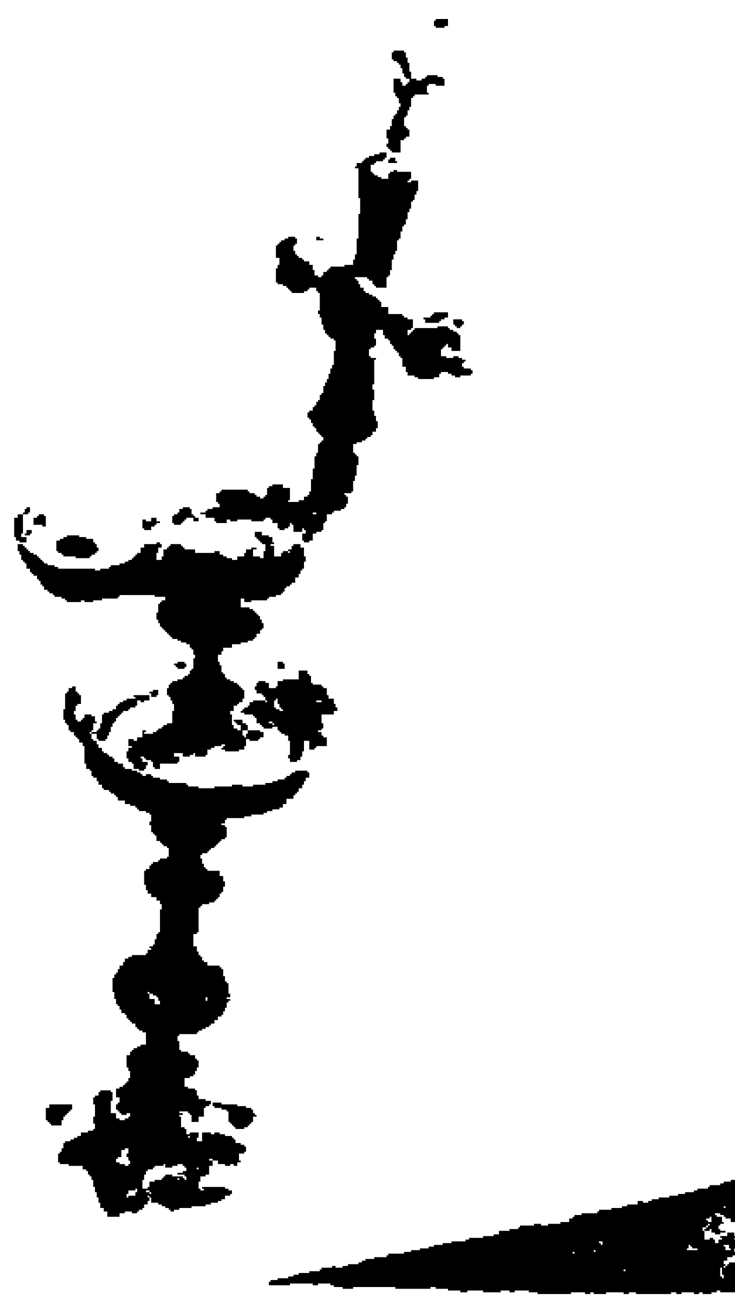
١١ جزء من حصيرة من الخيش المغلظ – من مصر من ق ١ هـ حتى نهاية العصر الفاطمي – بمتحف الفن الإسلامي برقم ٨٤٤٢ عن
د . سعاد ماهر : الحصر – لوحة ١٢



١٣٥ مسارج من الفخار والخزف – مصر العصور الوسطى – محفوظة بالمتحف القبطي .



١٣٤ حصيرة – ترجع الى مصر في العصور الوسطى – محفوظة بالمتحف البريطاني برقم ١٣٠٦ – تنشر لأول مرة .



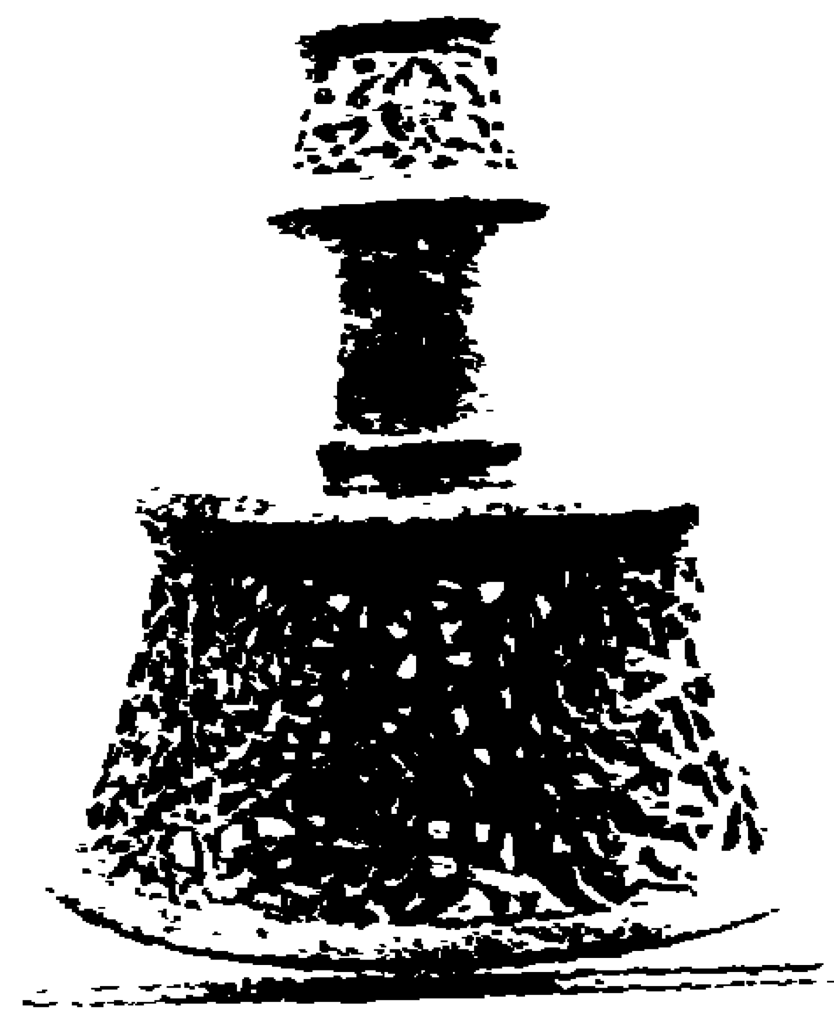
١٣٦ مسرجة وحاملها ، مسارج ، زخرفتها مقصص من النحاس مصر في العصور الوسطى ، محفوظة بالمتحف القبطي .

١٣٨ العصور الوسطى – محفوظة بمتحف الفن الإسلامي .

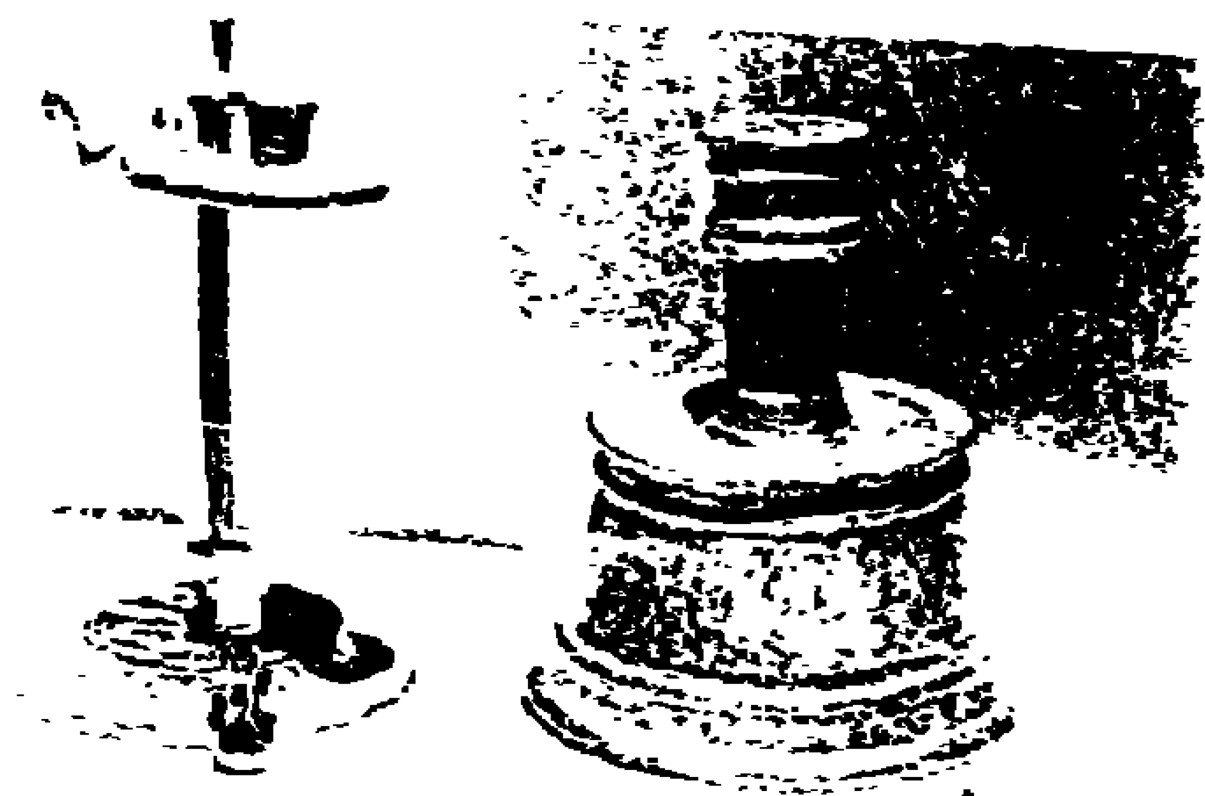




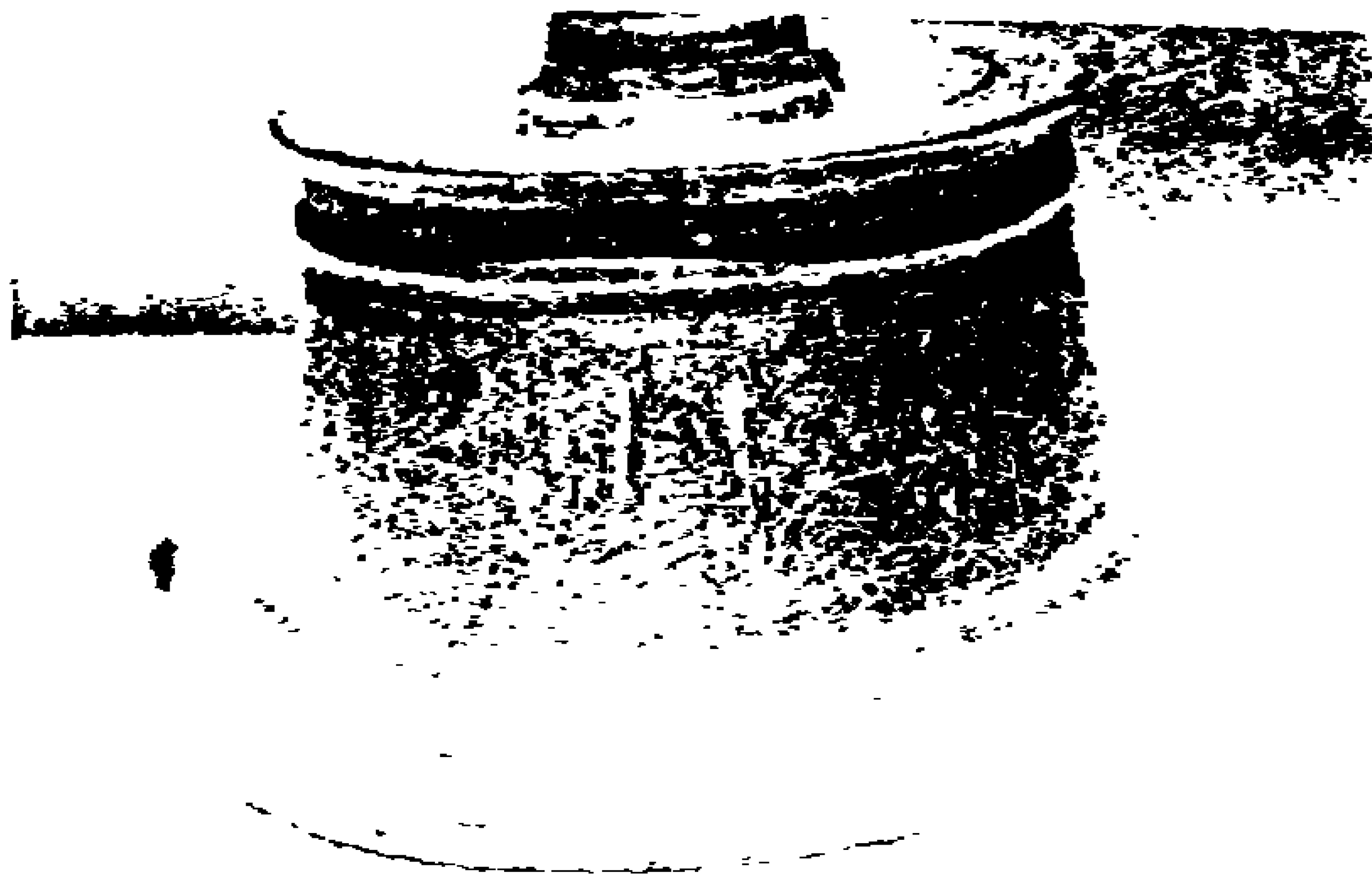
١٣٧ – مسارج خزفية وفخارية بأشكال مجسمة – ترجع الى مصر في



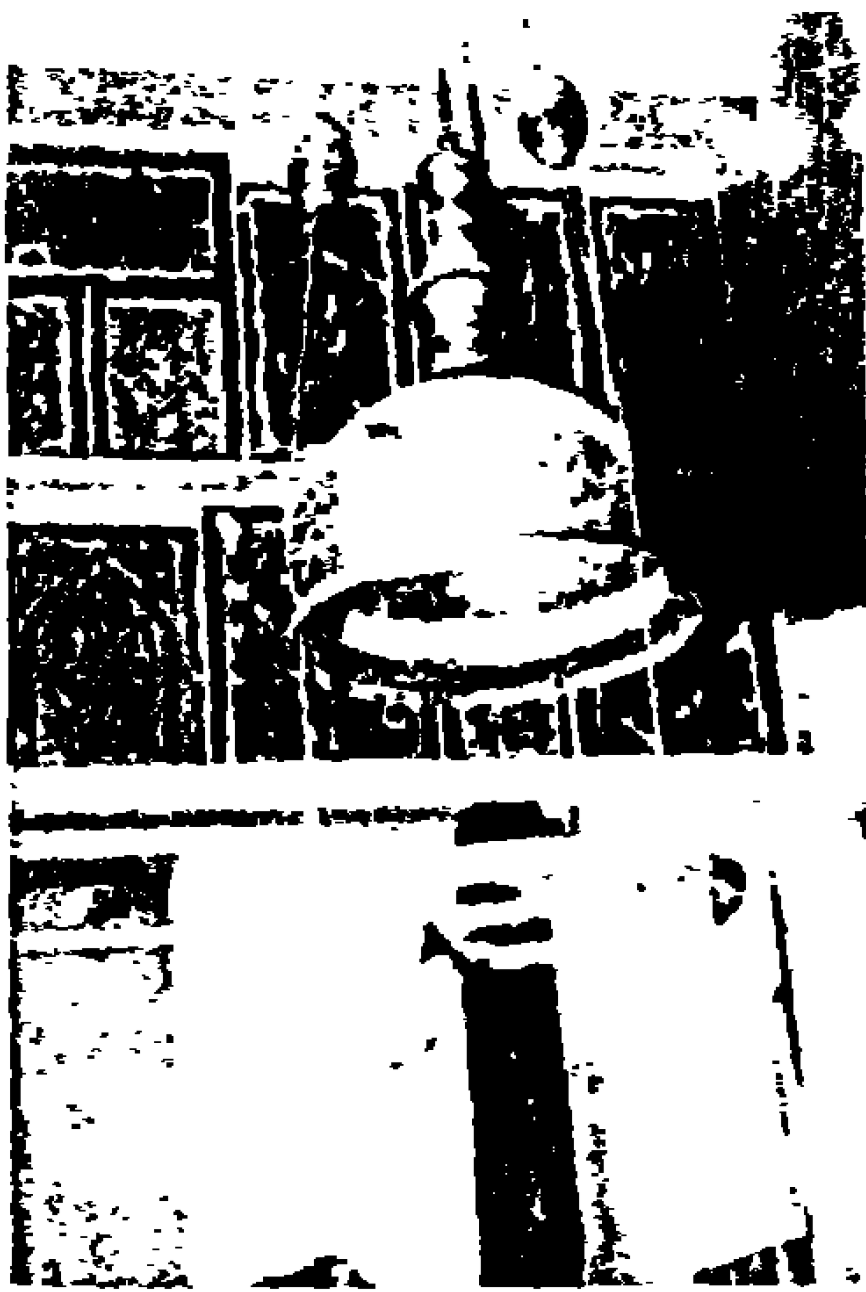
لوحة (١٣٩) شمعدان من النحاس المزخرف بالتخريم – مصر في عصر المماليك – محفوظ بالمتحف القبطي .



لوحة (١٤٠) شمعدان من النحاس يحمل زخارف منفذة بالحفر – يرجع إلى مصر في عصر المماليك – محفوظ بمتحف أندرسون برقم ٢٨٤ ، شمعدان أو حامل سراج (منارة) من النحاس يرجع إلى مصر في القرن ١٠هـ/١٦م محفوظ بمتحف أندرسون – ينشر لأول مرة .



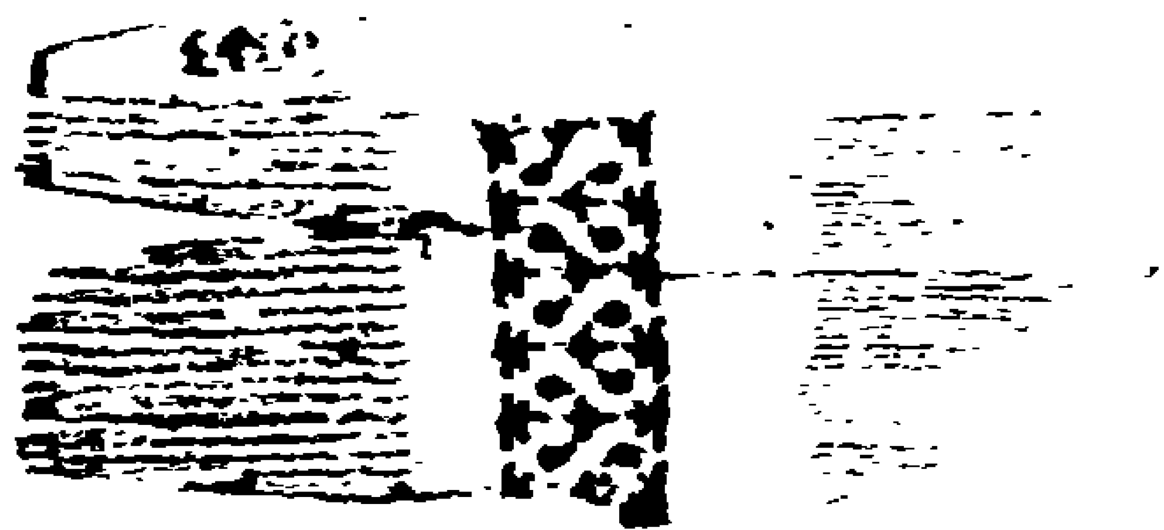
١٤١ بدن الشمعدان رقم ٢٨٤ يحمل شريط كتابي بخط الثلث المملوكي باسم السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون .



١٤٢ ثريا (تنور) من النحاس – مصر في عصر المماليك – محفوظ بمتحف الفن الإسلامي .



١٤٣ جزء من مشط من الخشب (من النوع المزدوج) بالجزء الأوسط مجموعة زخارف هندسية مفرغة بالتخريم – مصر ق ٨/٧ هـ – ١٢/١٤ م – محفوظ بمتحف كلية الآثار – ينشر لأول مرة .



١٤٤ جزء من مشط من الخشب (من النوع المزدوج) بالجزء الأوسط مجموعة زخارف مفرغة بالتخريم – مصر ق ٨/٧ هـ – ١٣ – ١٤ م – محفوظ بالمتحف القبطي برقم ٤٩٤٥ – ينشر لأول مرة .

١٤٥ - مشط من الخشب من النوع المزدوج بزخرف الجزء الأوسط منه زخارف هندسية منفذة بالتحريم بالاضافة الى كتابة نسخية نصها "النصر الربيع" وذلك بكلا وجهية – مصر عصر المماليك – محفوظ بمتحف الفن الاسلامي برقم ٣٩٥٧ .

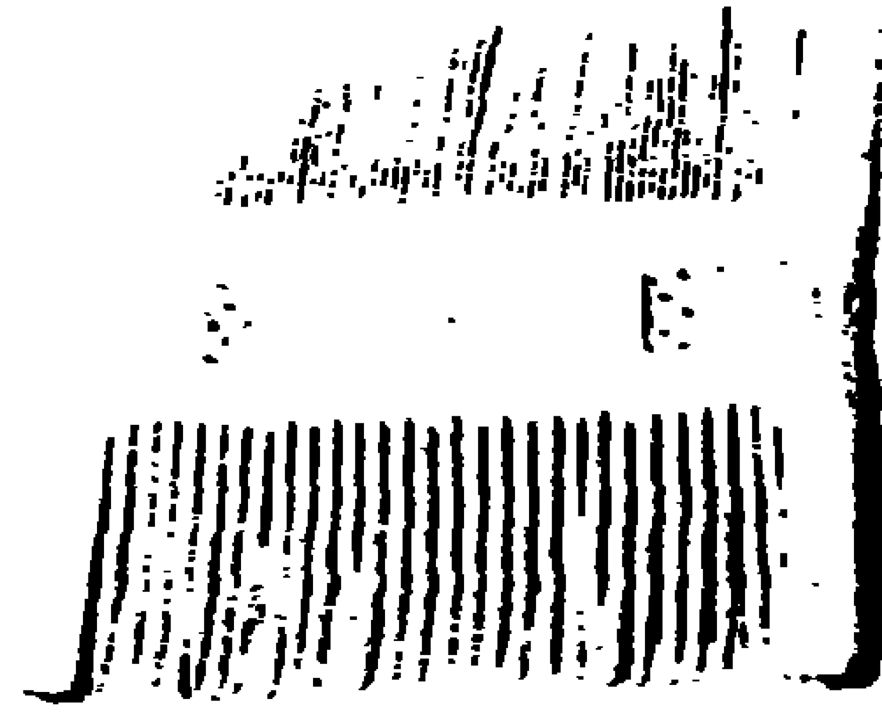
١٤٧ جزء من مشط من الخشب من النوع المزدوج بزخرف الجزء الاوسط منه شكل مكسر في وضع آدمي يمسك ... رأسه - ق ٨ هـ/ ١٤ م محفوظة بمجموعة الاوقاف ... بباريس – عن :

Fad Accinala, A.: Les peignes ... dans l'art de l'Islam, Syria, XXIX (1952).

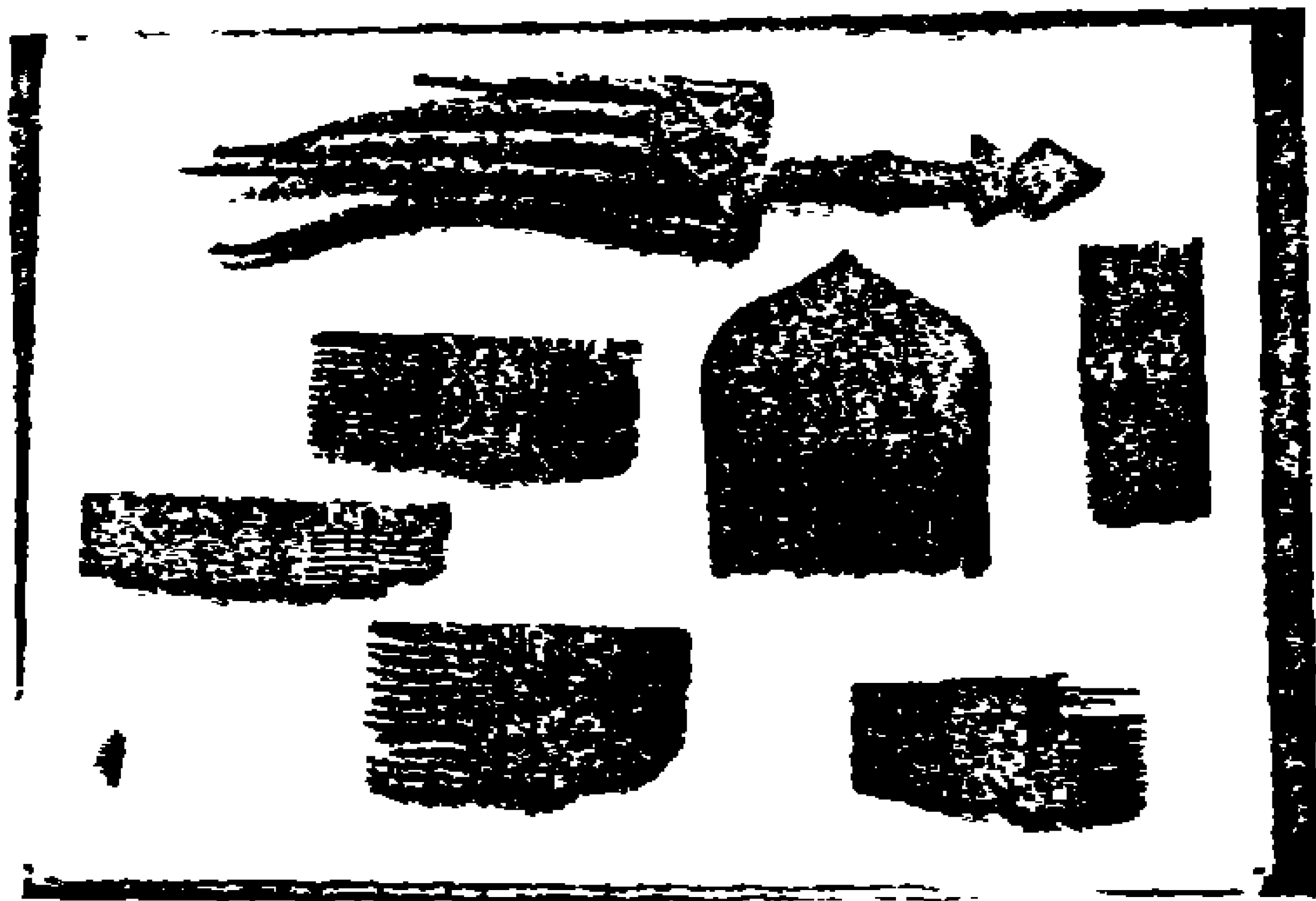
١٤٨ مشط من الخشب من النوع المزدوج بزخرف الجزء الاوسط منه مكسر مصر عصر المماليك – محفوظ بمتحف الفن الاسلامي برقم ٤٩٥٤ – نشر لأول مرة .

جزء من مشط من الخشب من النوع المزدوج بزخرف الجزء الأوسط منه شكل طائرين – مصر عصر المماليك – محفوظ بمتحف الفن الاسلامي برقم ٤٩٥٨ .

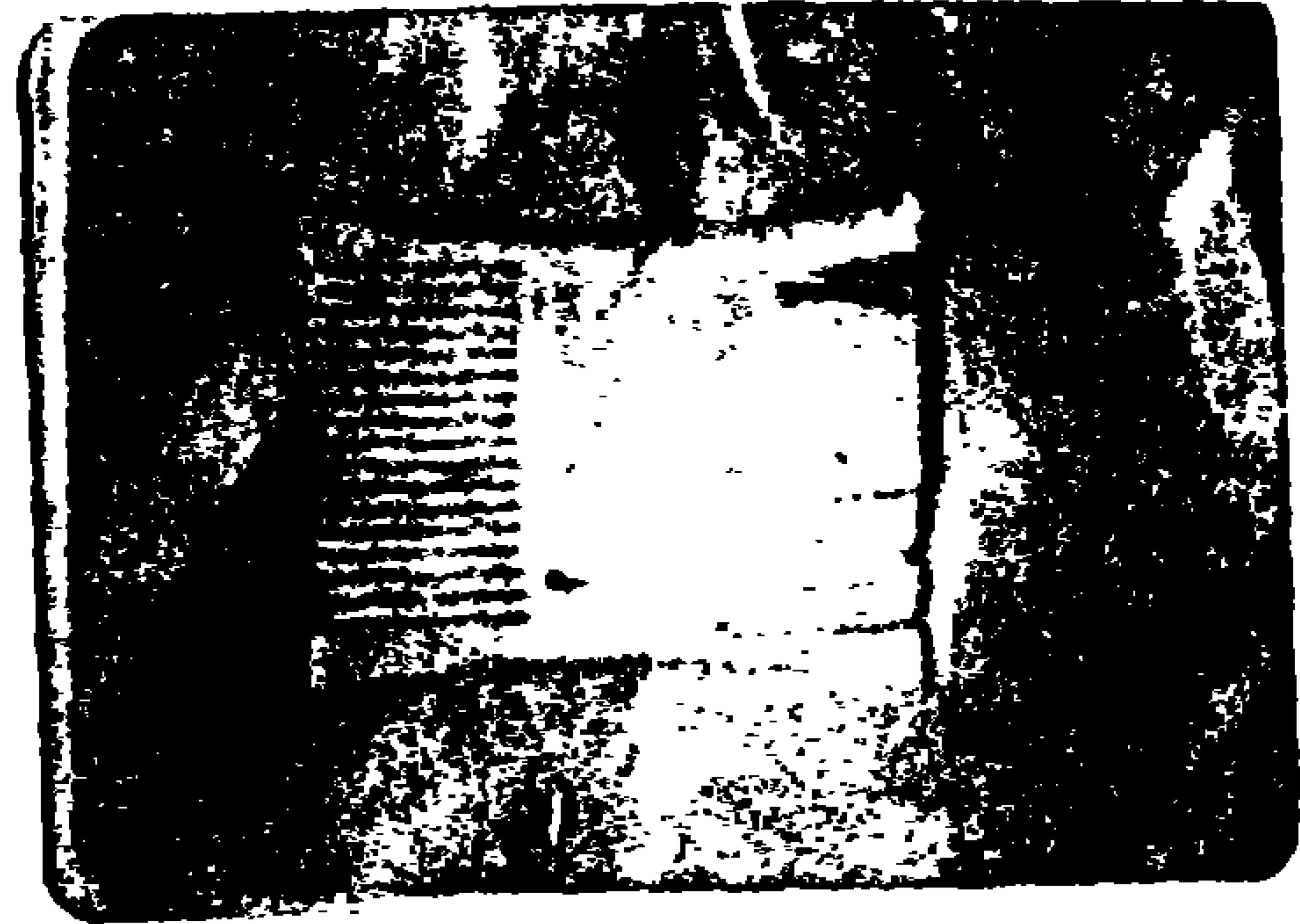
١٥٠ جزء من مشط من الخشب – بزخرف الجزء الأوسط منه دوائر محروسة الى شكل شبه منحرف من ٤ زوايا – مصر من العصور الوسطى – محفوظ بمتحف كلية الآثار برقم ٧٤٠٣ .



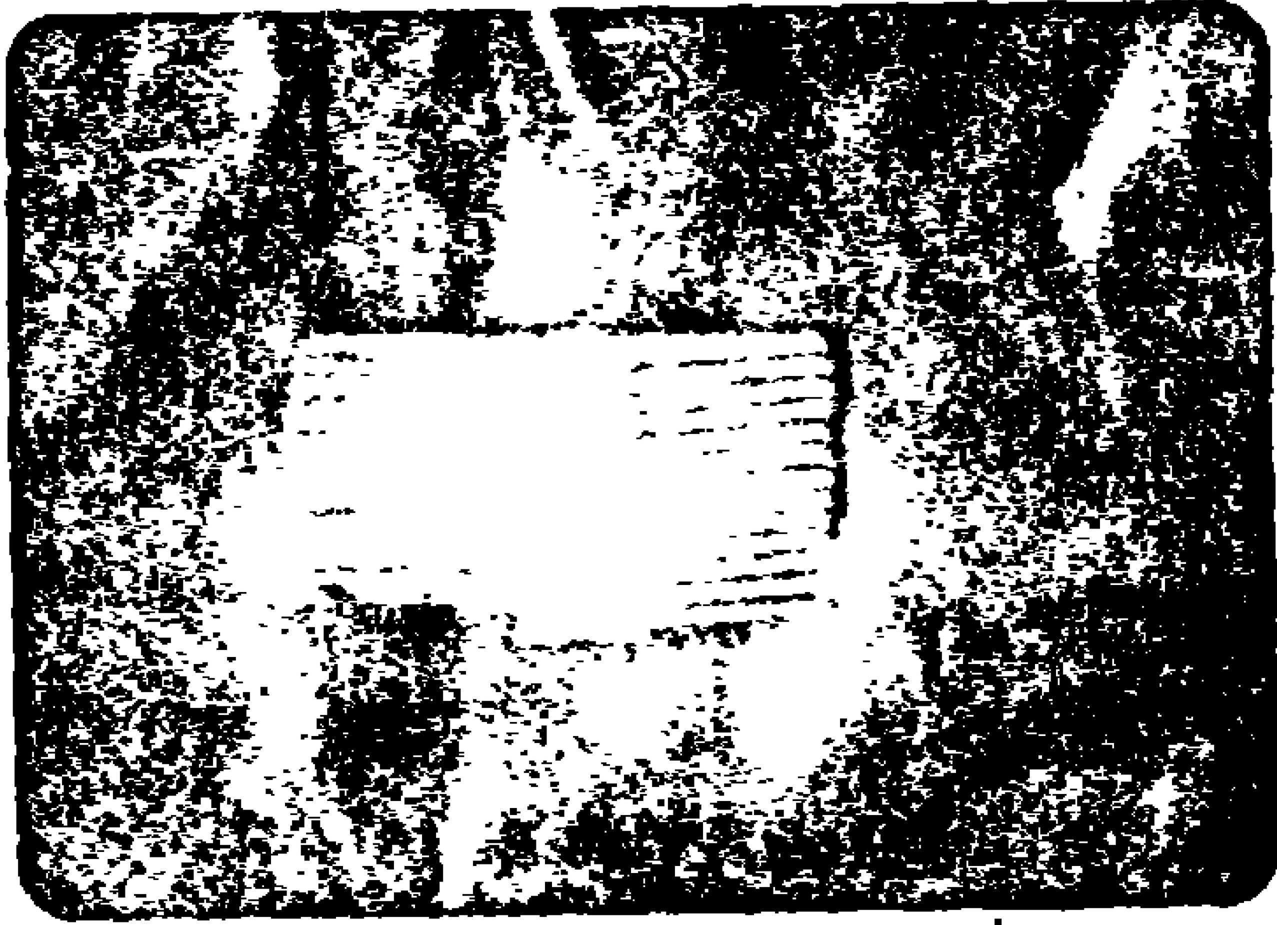
١٥١ مشط من الخشب من النوع المزدوج يزخرف الجزء الأوسط منه رنـــــك زهرة الزنبق – مصر عصر المماليك محفوظ بمتحف الفن الاسلامي .



١٥٣ مجموعة من الأمشاط الخشبية بعضها من النوع المزدوج والأخـــرى ذات أسنان من جهة واحدة يضم بعضها زخارف هندسية وكتابـــية ونباتية – مصر عصر المماليك – محفوظ بالمتحف البريطـــاني – تنشر لأول مرة .



١٥٢ مشط من الخشب من النوع المزدوج – مصر ق ٧ هـ / ١٣ م – متحف كلية الآثار – ينشر لأول مرة .

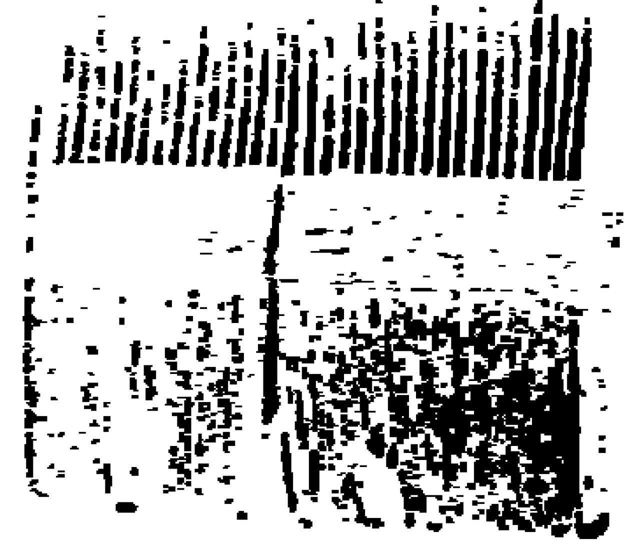


١٥٤ جزء من مشط خشبي (مزدوج) – مصر ق ٧ هـ / ١٣ م – متحف كلية الآثار – ينشر لأول مرة .





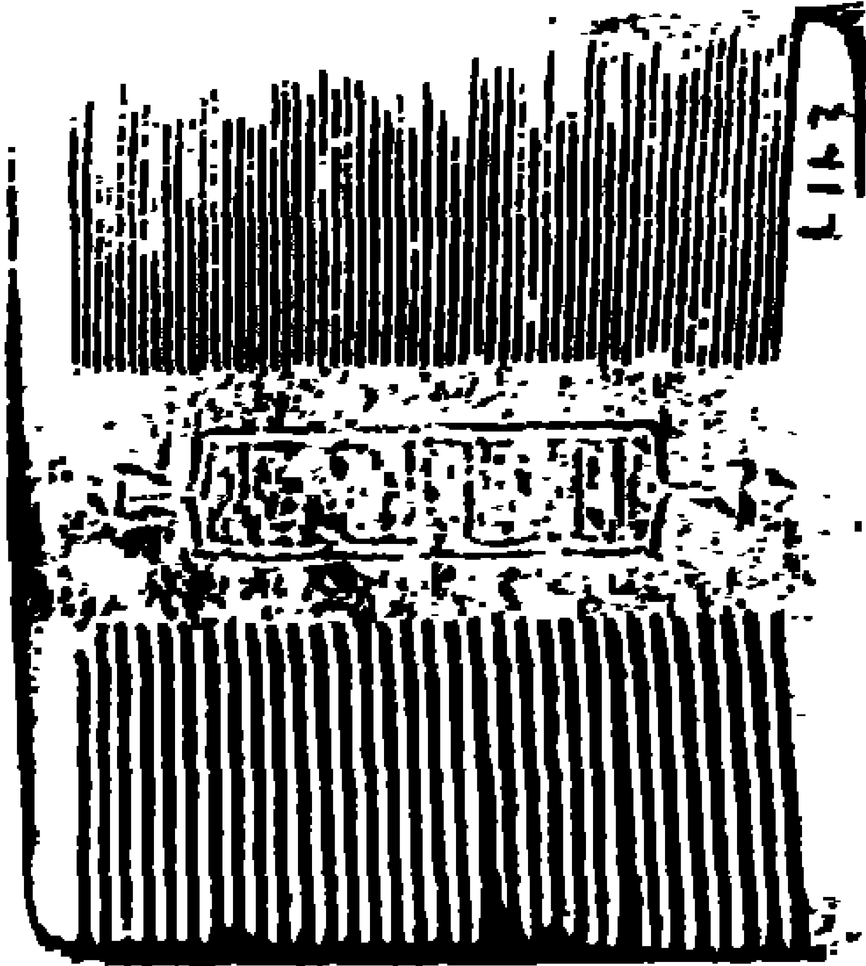
لوحة (١٥٥ – ١٥٦) جزء من مشط خشبي (مزدوج) يضم الجزء الأوسط منه زخارف منها رنك – مصر عصر المماليك – بمتحف الفن الإسلامي برقم ٤٩٢٤ – ينشر لأول مرة .
لوحة (١٥٦) الوجه الثاني



لوحة (١٥٧ - ١٥٨) مشط خشب مزدوج يضم الجزء الأوسط منها زخارف منها رنك الشطب - مصر ق٨هـ/١٤م - محفوظ بمتحف الفن الإسلامي برقم ٤٩٢٨-مقاسه٨,٢ سم×٧,٢سم - ينشر لأول مرة .

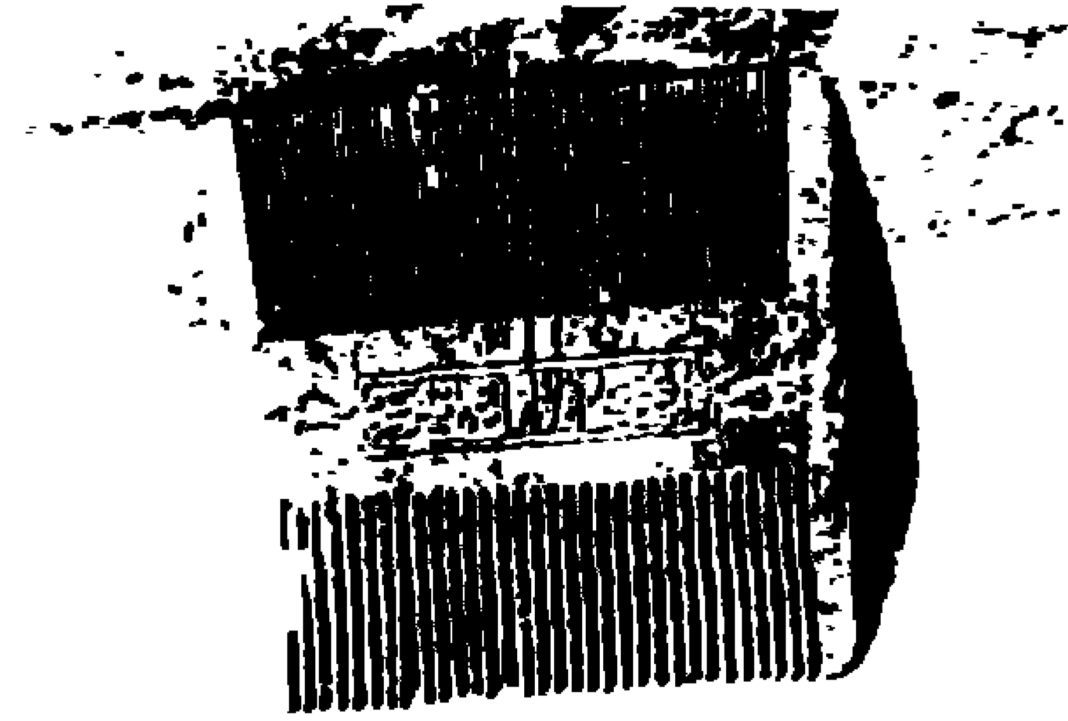
لوحة (١٥٨) الوجه الثاني





لوحة (١٥٩ - ١٦٠) مشط خشب مزدوج يضم الجزء الأوسط منه كتابة نسخية بالوجه الأول (أنا مشط عملت للتسريح) وبالوجه الثاني (لا أسرح إلا لكل مليح) - مصر ق٨هـ/١٤م - محفوظ بمتحف الفن الإسلامي - برقم ٤٩١٩ - ينشر لأول مرة .

لوحة (١٦٠) الوجه الثاني

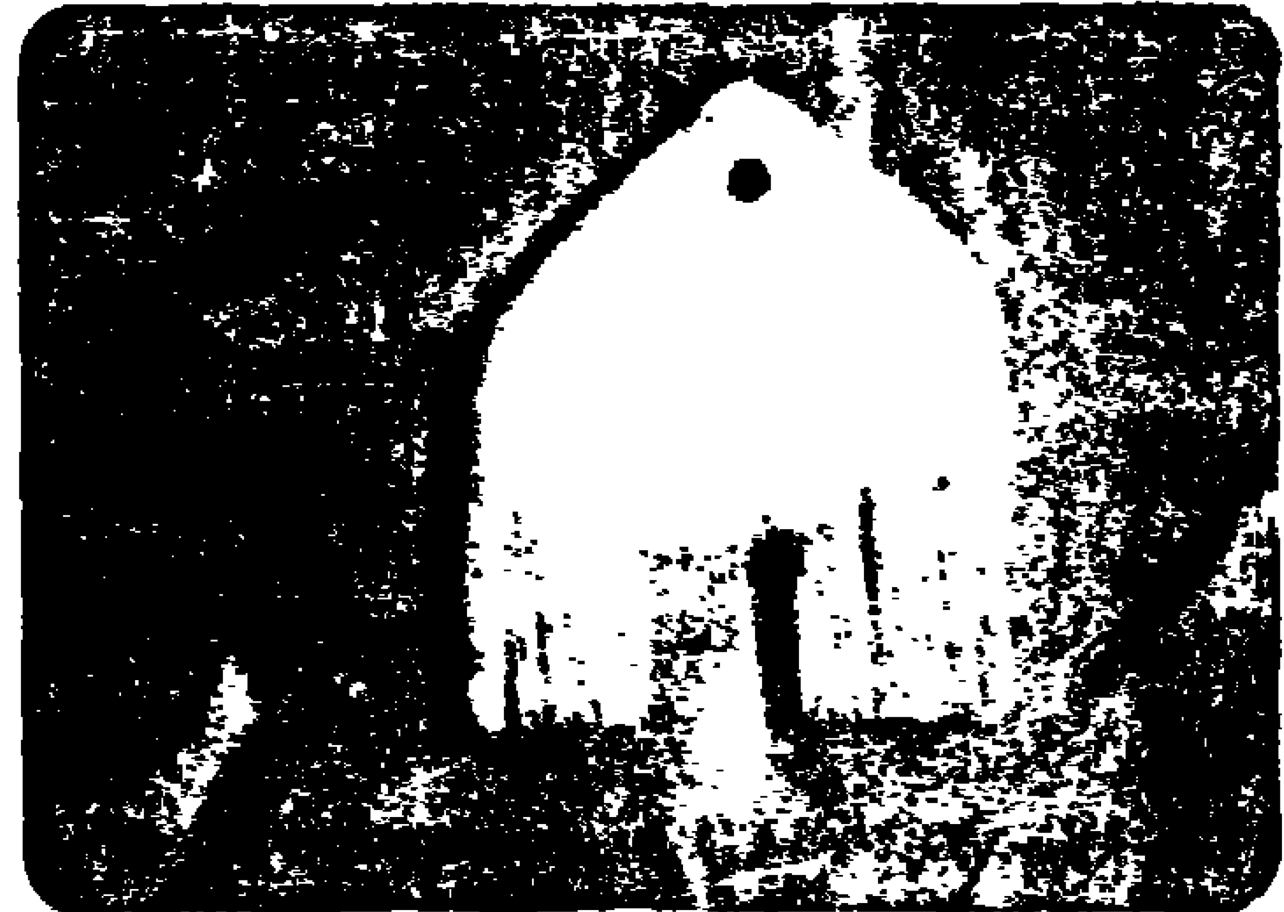


لوحة (١٦١ - ١٦٢) مشط للشعر مزدوج بملصقات من الخشب مصر ق٩هـ/١٥م - محفوظ بمتحف الفن الإسلامي برقم ١/٧٠٩٠ .

لوحة (١٦٢) الوجه الثاني







١٦٤ مشط كتابه متحف كلية الآثار – جامعة القاهرة برقم وهما يرجعان الى مصر فى عصر المماليك .



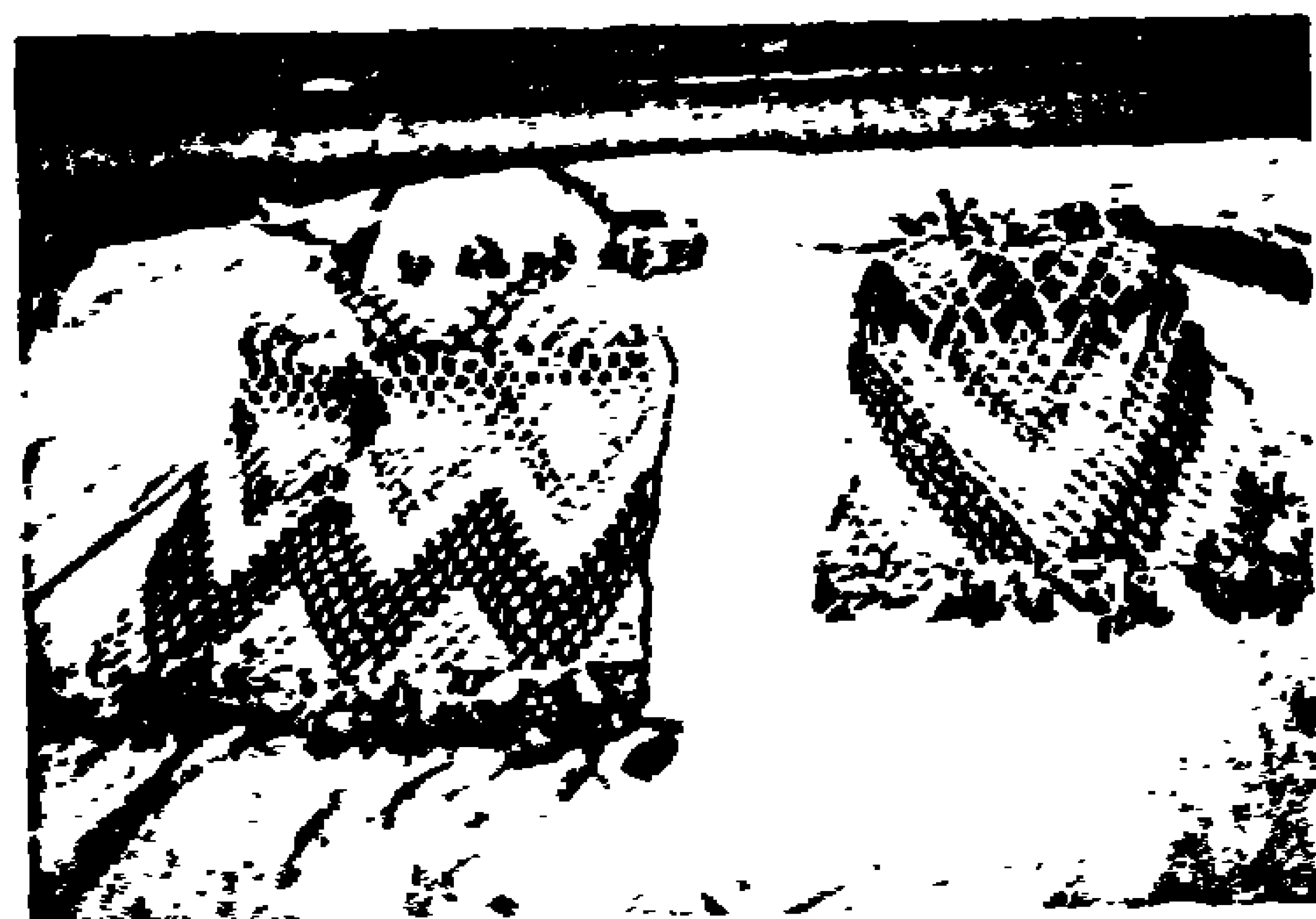
١٦٣ مشط بأسنان من جهة واحدة وبه ثقب يعلق به وربما لتعلقه المرأة فى رقبتها أو فى الحائط بمتحف الفن الاسلامى



١٦٦ مكحلة زجاجية ذات بدن بيضاوى – مصر فى العصور الوسطى – مجموعة د. هنرى عوض .



١٦٥ مكحلة زجاجية يستدق بدنها كلما اتجه الى الرقبة – مصر – العصور الوسطى – مجموعة د. هنرى أمين عوض .



١٦٨ مكاحل زجاجية بداخل أكياس من الخرز بالمتحف الجغرافى ق ١٢ – ١٣ هـ / ١٨ – ١٩ م – تنشر لأول مرة .

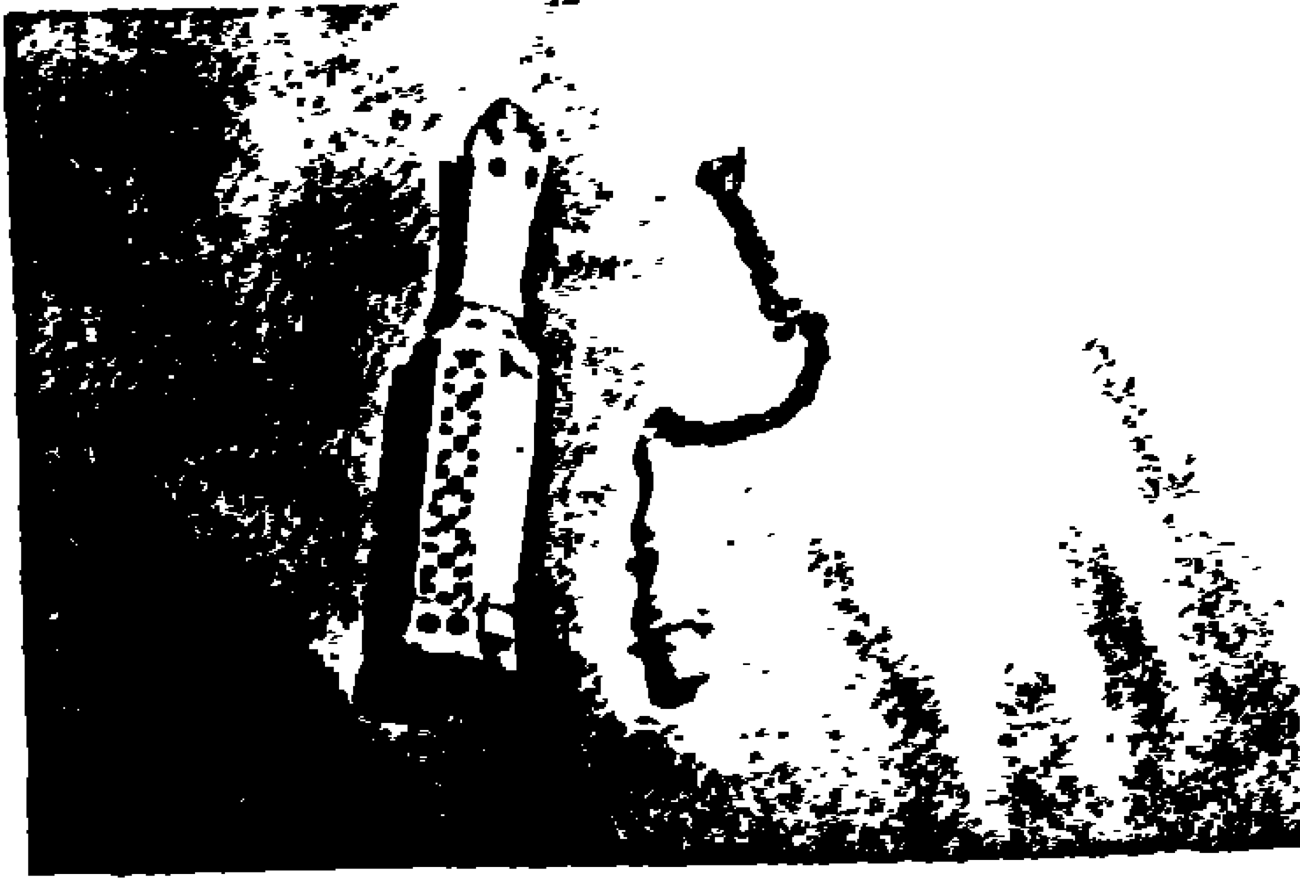




١٦٧ ثلاث قنينات زجاجية صغيرة احداهم بداخلها كحل محفوظة بمتحف الفن الاسلامى برقم ١٤٩٧٥/١٠ والاثنان الآخران للعطر رقم ١٤٩٧٧/٢٨ ، ١٤٩٧٧/١ ترجع الى مصر فى عصر المماليك – تنشر لأول مرة .



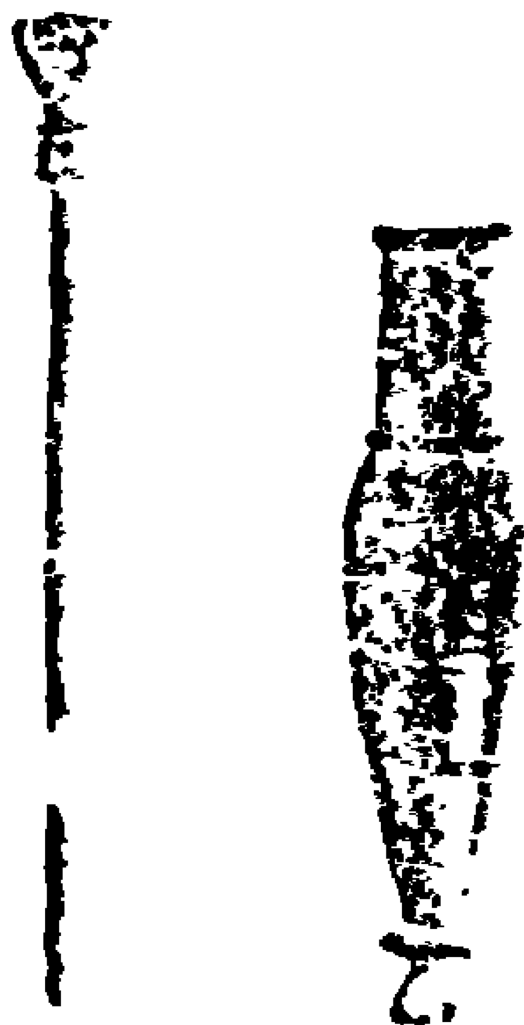
١٦٩ آنية من البللور الصخري لحفظ العطور والادهان النفيسة – مصر
ق ٣ – ٤ هـ / ٩ – ١٠ م – مجموعة د. هنري عوض – تنشر لأول مرة .



١٧١ مكحلة من العاج المزخرف بالمقصص – مصر ق ٩ هـ / ١٥ م – محفوظة
بمتحف الفن الاسلامي برقم ٤٠٥٠ .



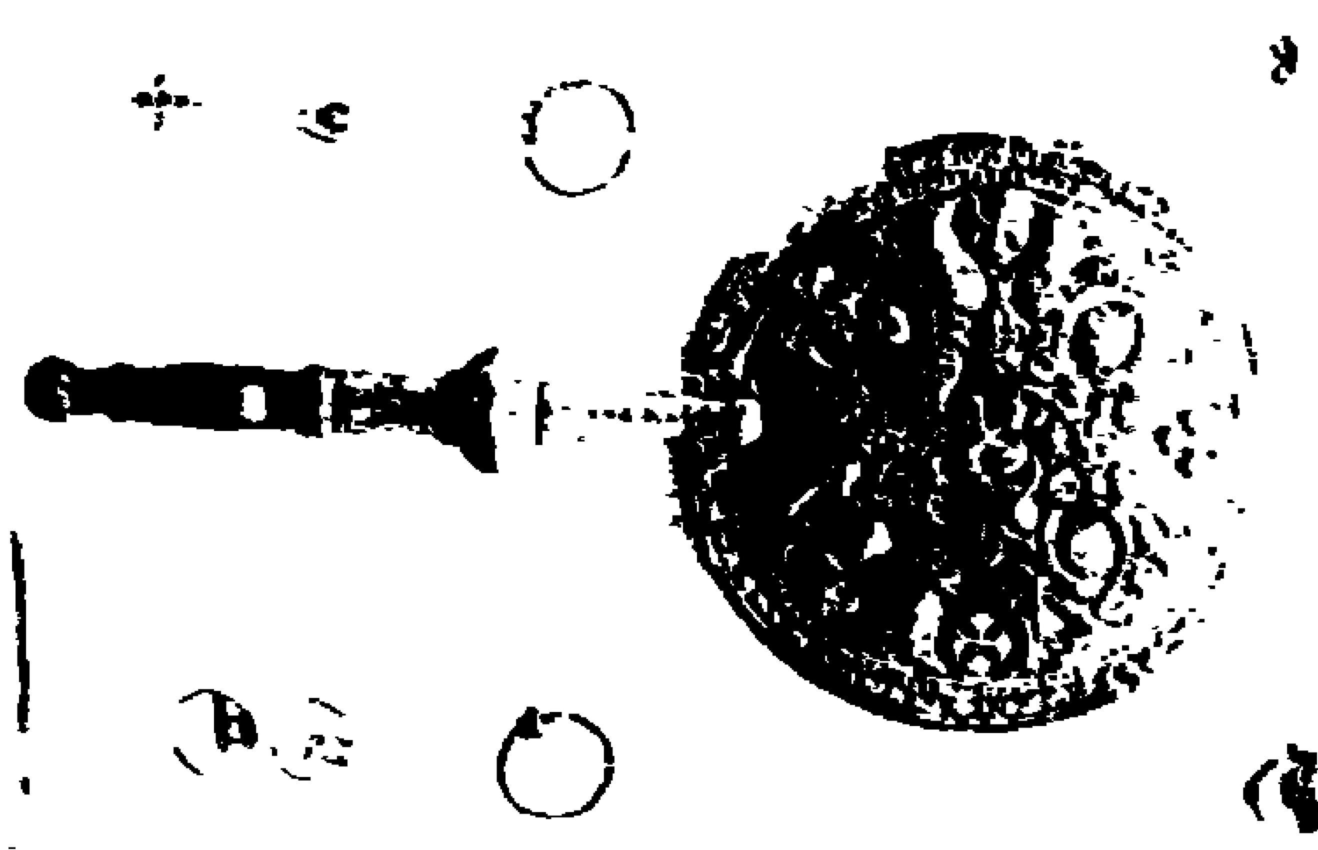
لوحة (١٧٠) مرود خشبي وثلاثة مراود نحاسية الأخير متوج من أعلاه بشكل قلبي أعلاه
طائر – مجموعة د. هنري عوض – تنشر لأول مرة .



لوحة (١٧٢) مكحلة ومرود من الخشب – مصر ق٧هـ/١٣م – بمتحف الفن الإسلامي برقمي
سجل ١١/٦٨٨٢ ، ٢٢٥٩ .



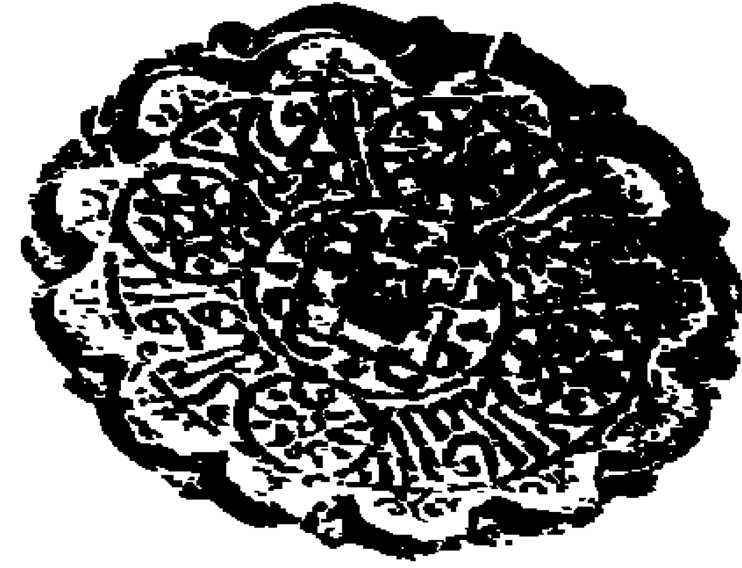
١٧٣ مرآة زجاجية مستديرة الشكل
بإطار خشبي مربع يتوسطه من أسفل
يد خشبية للامساك بالمرآة
وهي أقدم مرآة زجاجية معروفة
محفوظة بالمتحف القبطي برقم ٨٧٣٥ .



١٧٤ مرآة معدنية بيد
محفوظة بالمتحف القبطي .



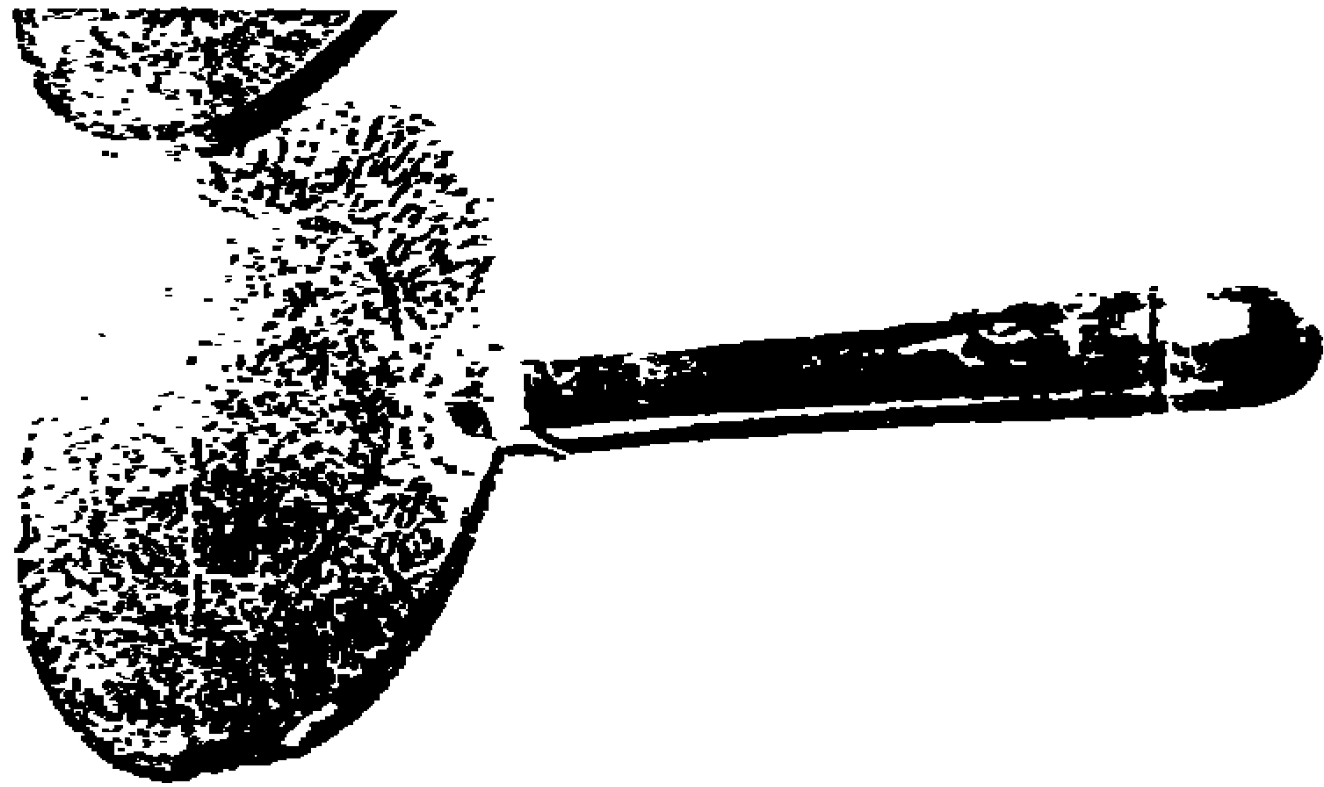
١٧٥ مرآة من البرونز (الظهر) – مصر ق ٧ هـ / ١٣ م – محفوظ بمتحف الفن الاسلامى برقم ١٥٣٤٩ .



١٧٦ مرآة من البرونز (الظهر) – مصر ق ٧ هـ / ١٣ م – بالمتحف الاسلامى برقم ١٥٣٤٥ .



١٧٧ مرآة من البرونز لها يد – مصر عصر المماليك –



١٧٨ مرآة من البرونز لها يد – مصر عصر المماليك – بمتحف الفن الاسلامى برقم

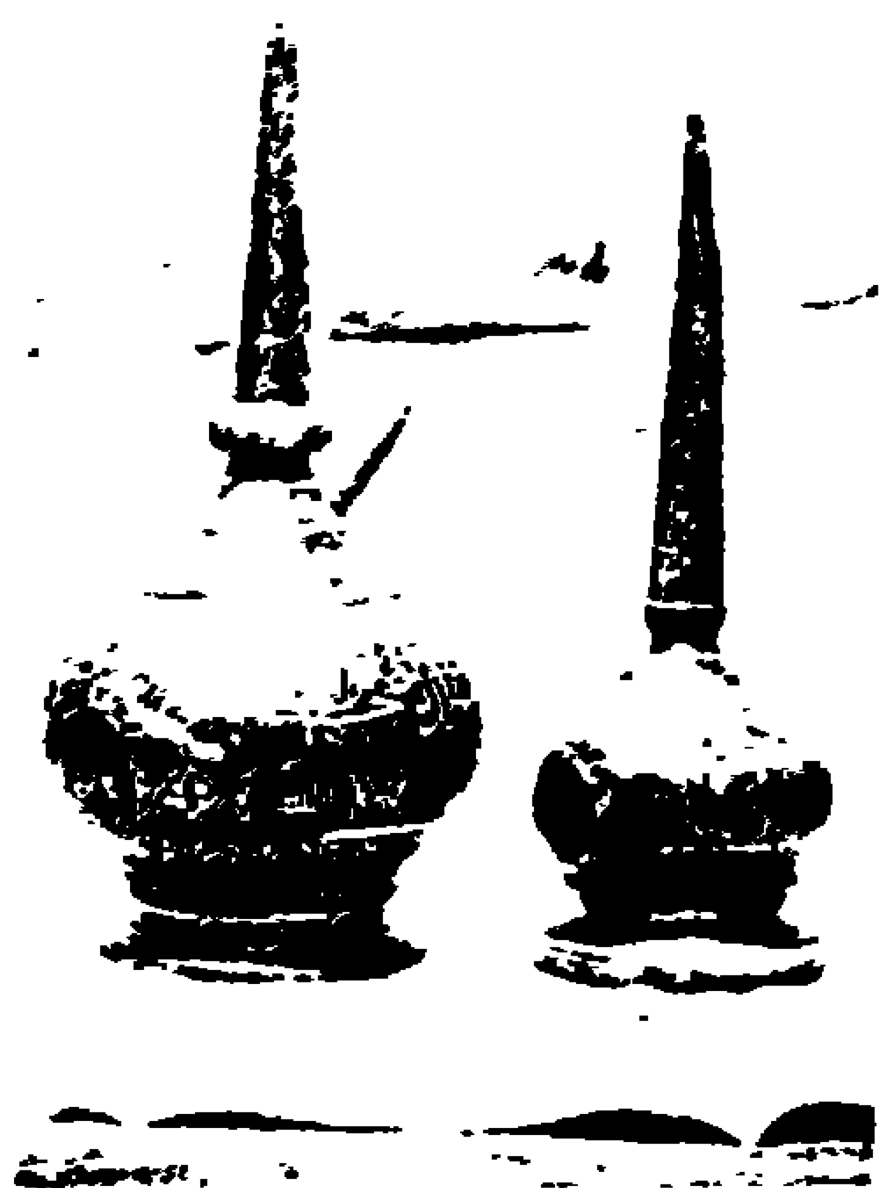


١٧٩ قنينتان للعطر ومكيال لتحديد كمية العطر من الزجاج بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة برقم ٢٤٢٣٤ – ٢٤٢٣٥ – ٢٤٢٣٦ – مصر فى العصور الوسطى – تنشر لأول مرة .



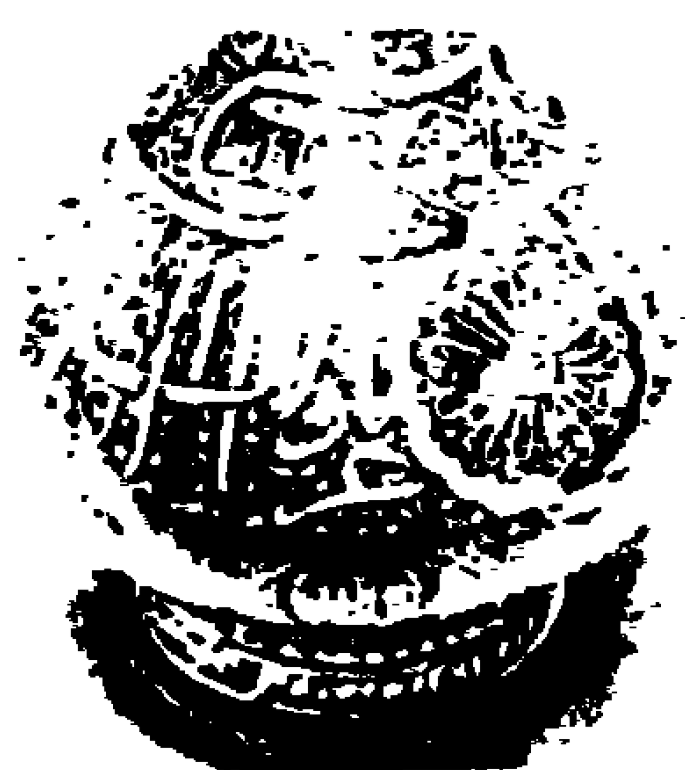
١٨٠ ٣ قنينات للعطر والكحل ومكحال من الزجاج بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة بأرقام ٢٤٢٢٩ – ٢٤٢١٤ – ٢٤٢٣٨ – ٢٤٢١٥ – مصر العصور الوسطى – تنشر لأول مرة .

١٨٣ علبة خشبية مستديرة الشكل – مصر عصر المماليك – ربما استخدمت في حفظ بعض أدوات التجميل أو الحلي – متحف الفن الإسلامي برقم – تنشر لأول مرة .





١٨٤ ... لحفظ بعض مساحيق التجميل – مصر عصر المماليك ... متحف الفن الإسلامي برقم ٢٣٨١ – تنشر لأول مرة .



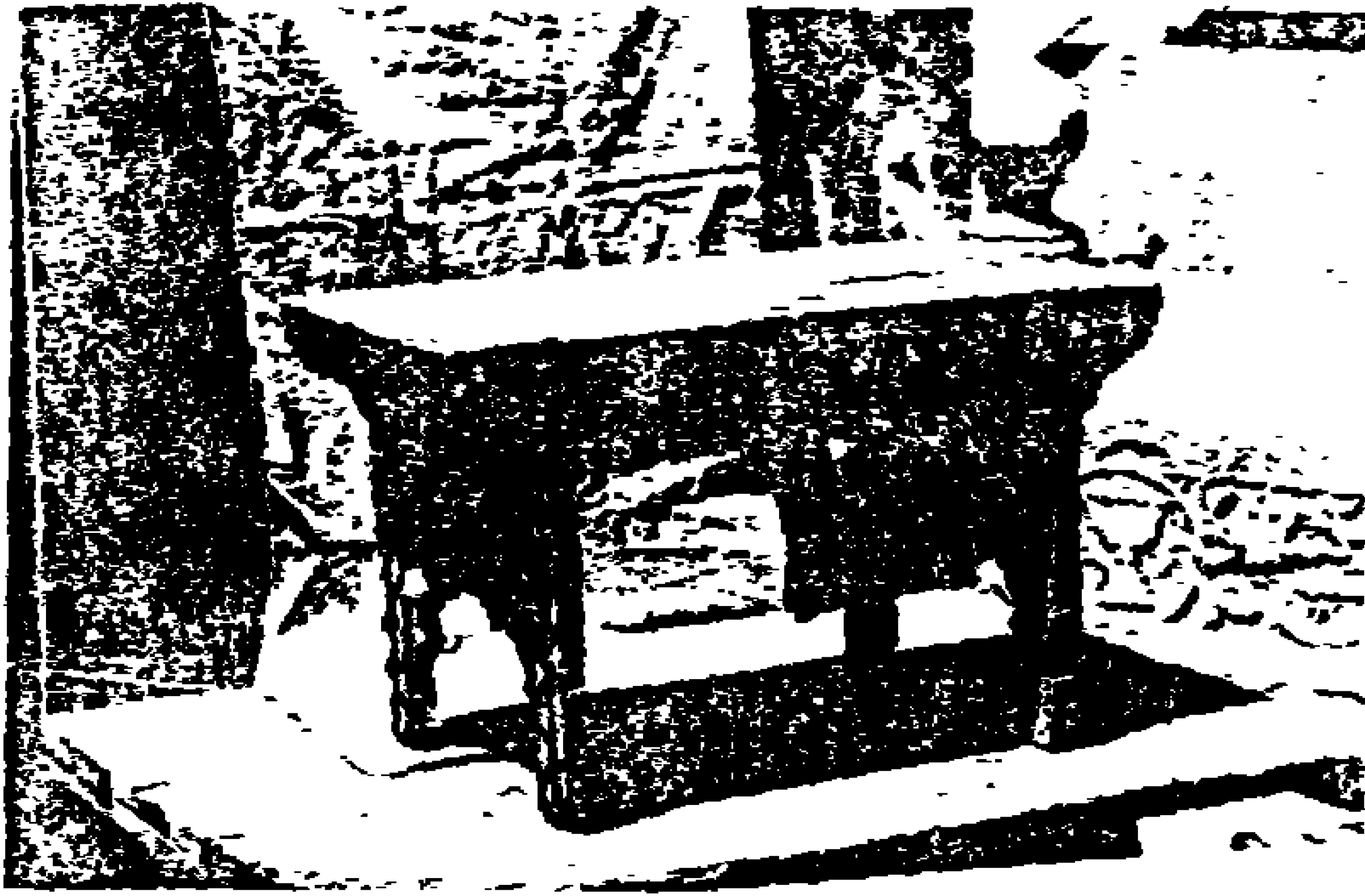
... الورد من النحاس المكفت بالفضة والذهب ... تنسب الى ... محل ... عصر المماليك ... متحف الفن الإسلامي . ... الناصر محمد ...



١٨٦ ... متحف الفن الإسلامي برقم ١٥٣٦٢ .



١٨٥ حجر ... من ... الفسطاط – يرجع الى العصر ... – مجموعة د. ... – ينشر لأول مرة .

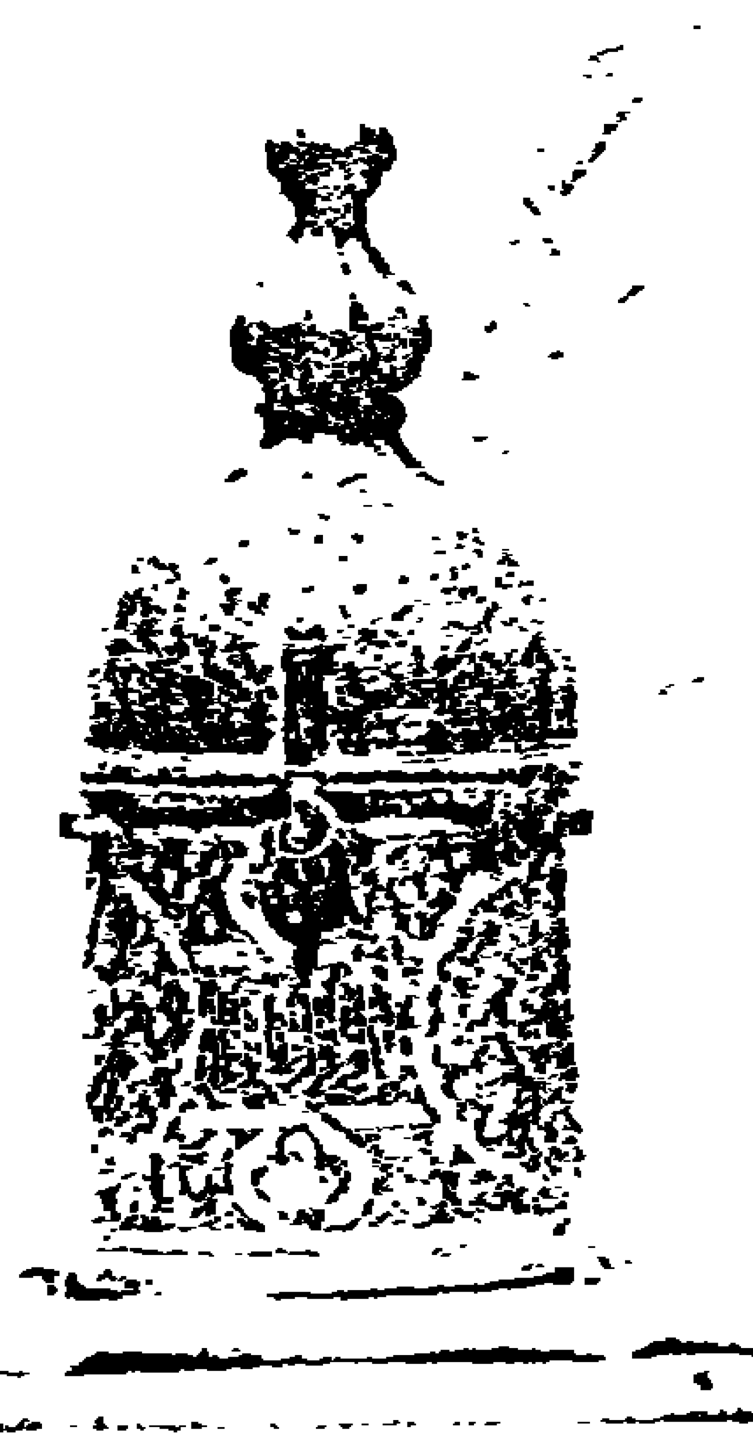


١٨٧ كرسي حمام من الخشب المطعم بالصدف – عصر ق ٩ – ١٠ هـ / ١٥ – ١٦ م – محفوظ بمتحف الفن الإسلامي – ينشر لأول مرة .



١٨٨ كرسي حمام من الخشب خال من الزخرفة – عصر ق ٨ – ٩ هـ / ١٤ – ١٥ م – محفوظ بمتحف الفن الإسلامي – ينشر لأول مرة .

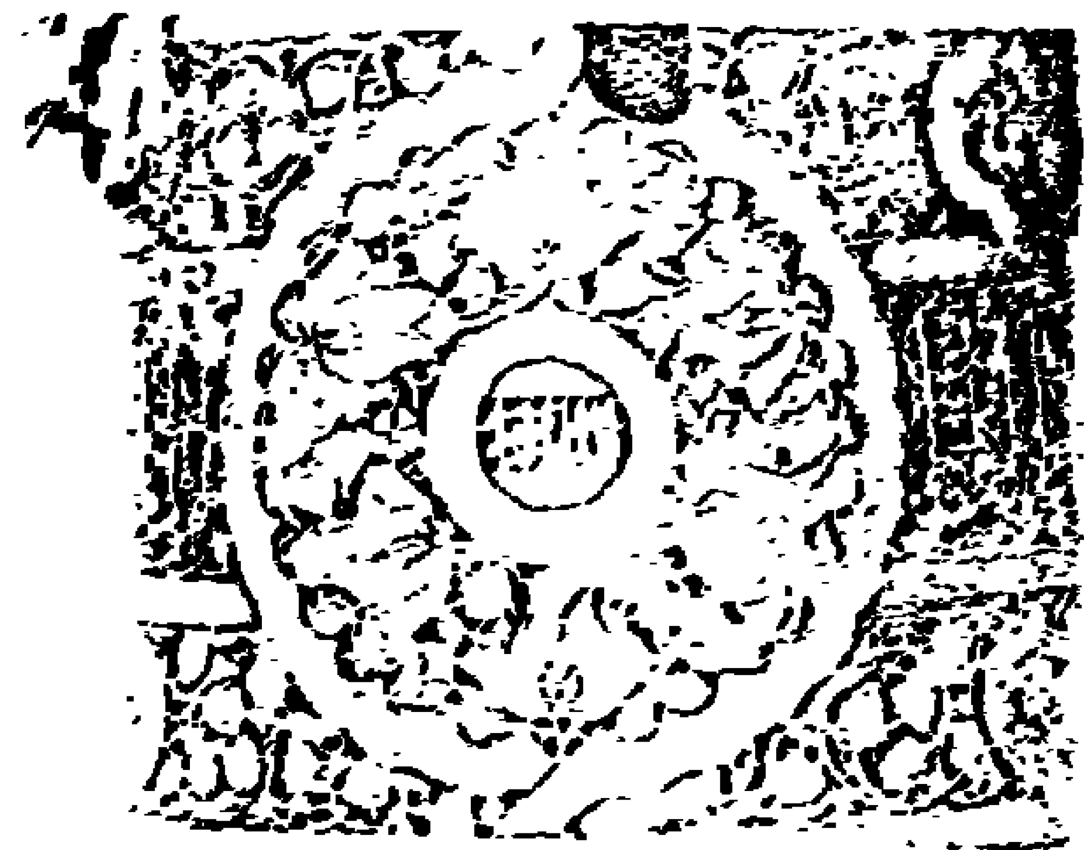
لوحة (١٨٩ – ١٩٠) مبخرة من النحاس الأصفر المزخرف بالحفر – مصر عصر المماليك – محفوظة بمتحف الفن الإسلامي – برقم ٤٠٢٤ – تنشر لأول مرة .





لوحة (١٩١)





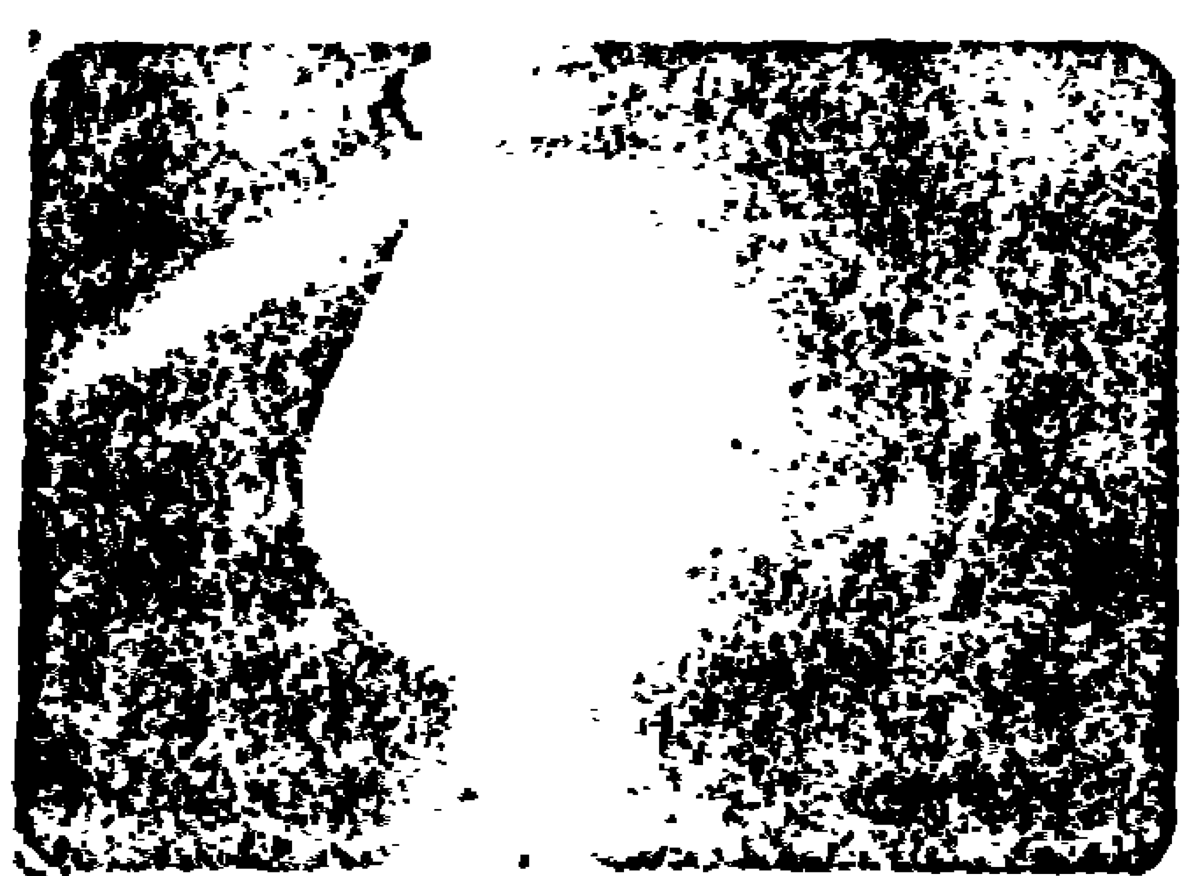
لوحة (١٩٢)



١٩٣. زهرية من الزجاج المكفت بالمينا – مصر عصر المماليك – محفوظة بمتحف كلية الآثار برقم ١٤٦٢ .



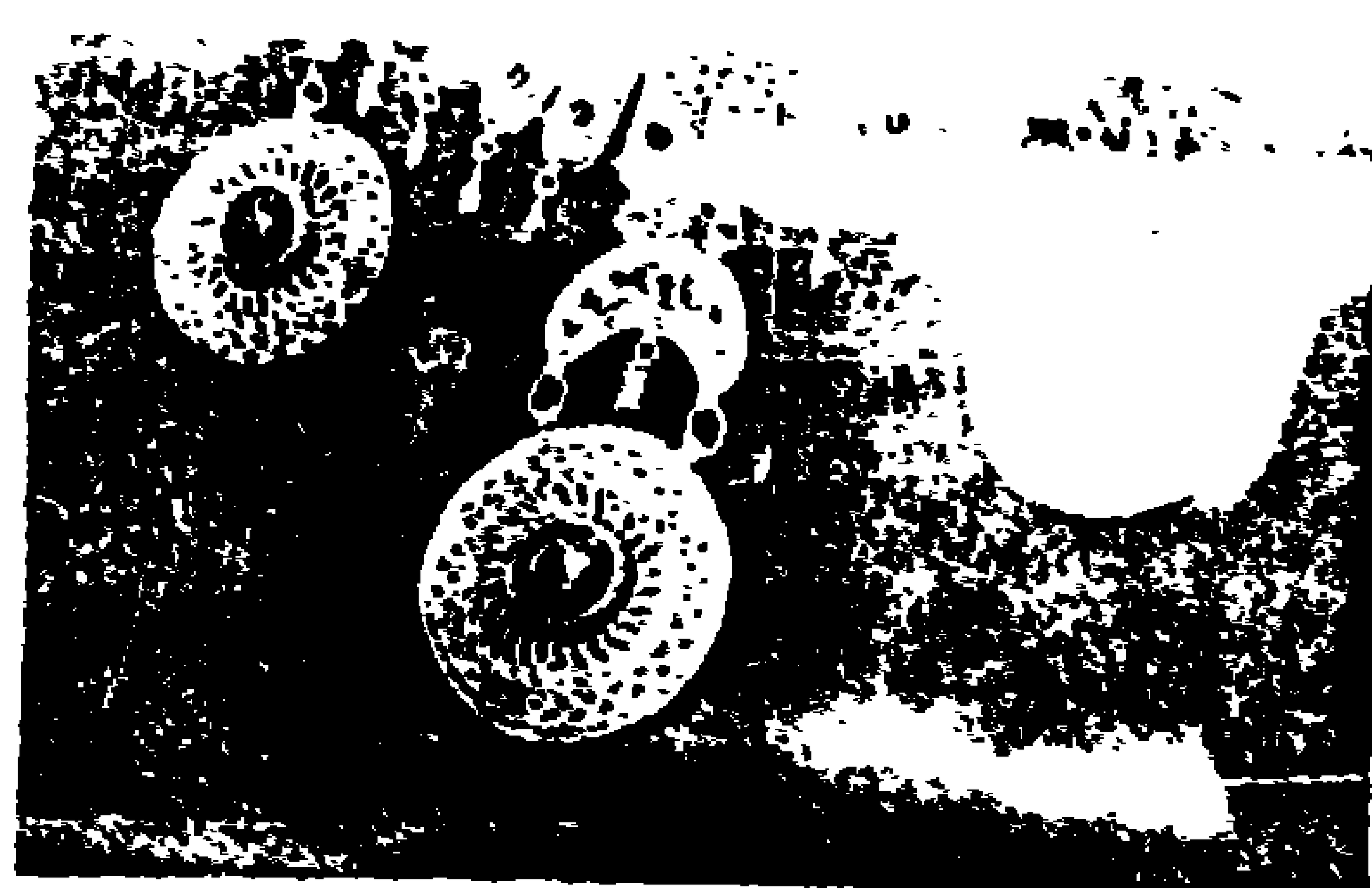
١٩٥ قاعدة الزهرية .



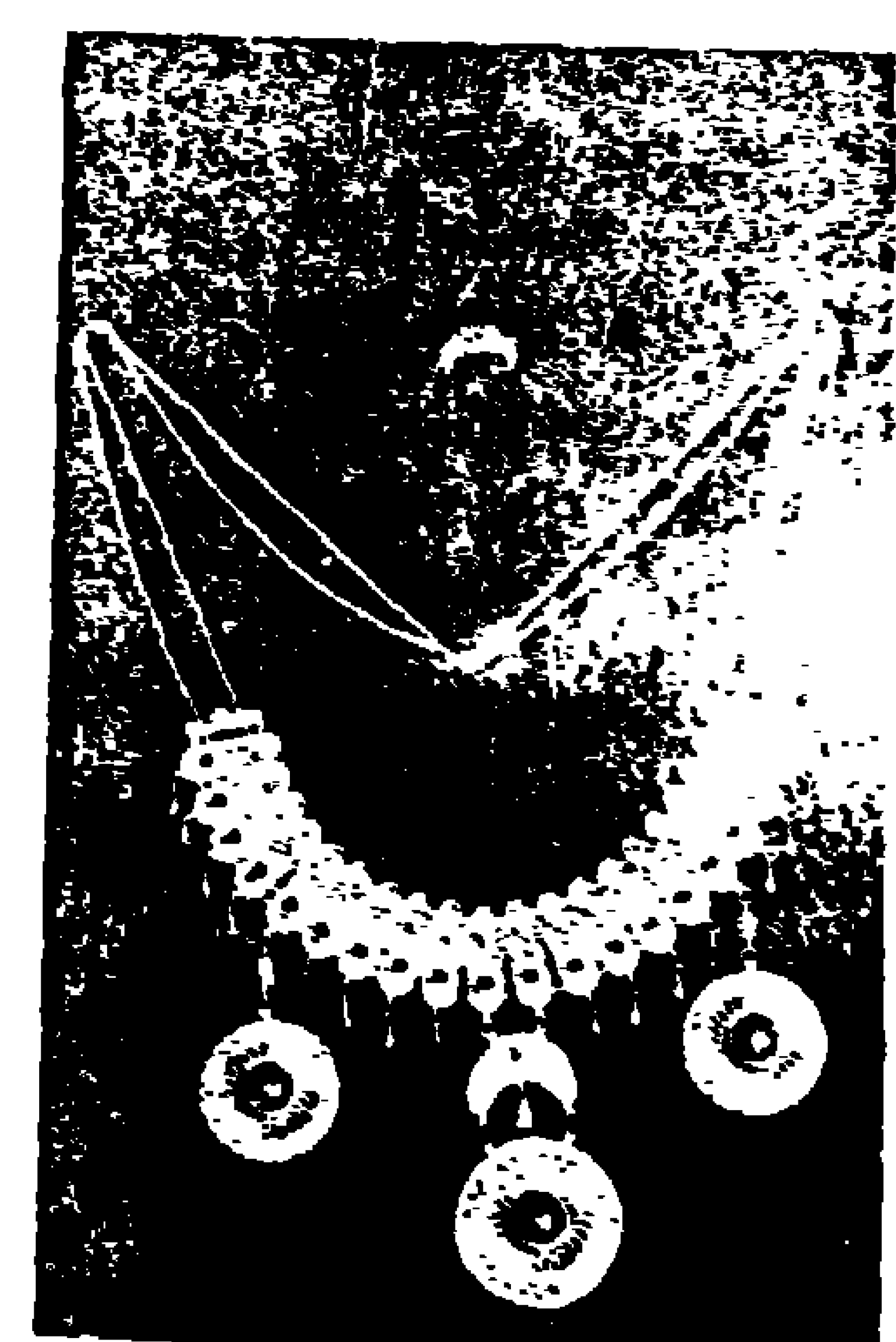
١٩٤ بدن الزهرية .



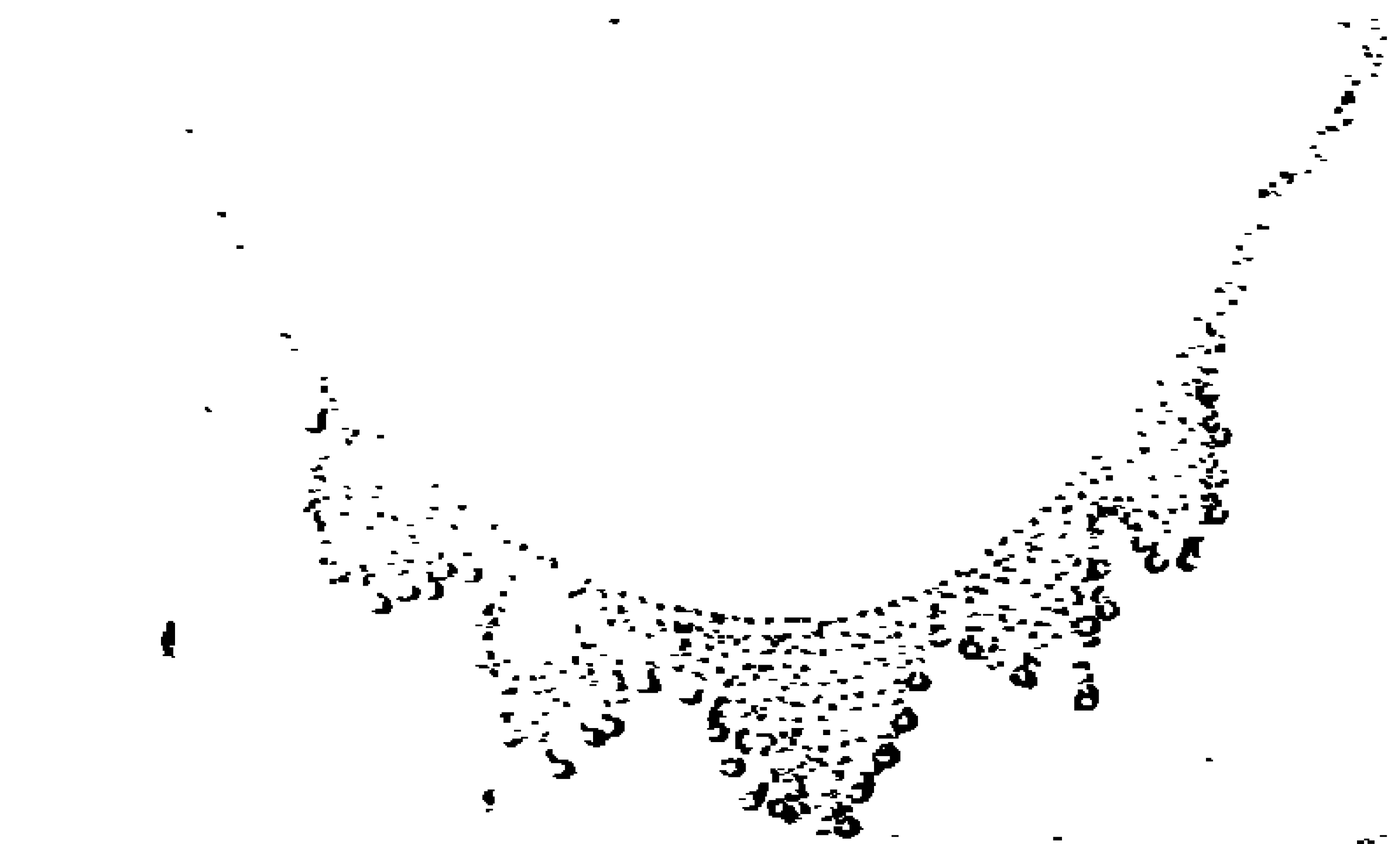
١٩٦ زهرية من الزجاج المموه بالمينا – مصر عصر المماليك – محفوظة



لوحة (١٩٨)



١٩٧–١٩٨ عقد من الذهب ، مطعم بالمينا المتعددة الألوان وبالأحجار الكريمة به حلية على شكل هلال كتب عليها بالمينا السوداء " عز دائم " محفوظ بمتحف الفن الإسلامي برقم سجل ١٤٧٤٩ – أعلى العقد حلية مزخرفة بالمينا ، كتب عليها " عز دائم " حشوة النسيج المملوكي تأخذ شكل هلال يبدو أنها كانت جزءا من قلادة أخرى .



١٩٩ لبة من الفضة – مصر ق ١٠ هـ ١١ هـ / ١٦ – ١٧ م – محفوظة بمتحف الفن الإسلامي برقم ٧٥٥١ – تنشر لأول مرة .



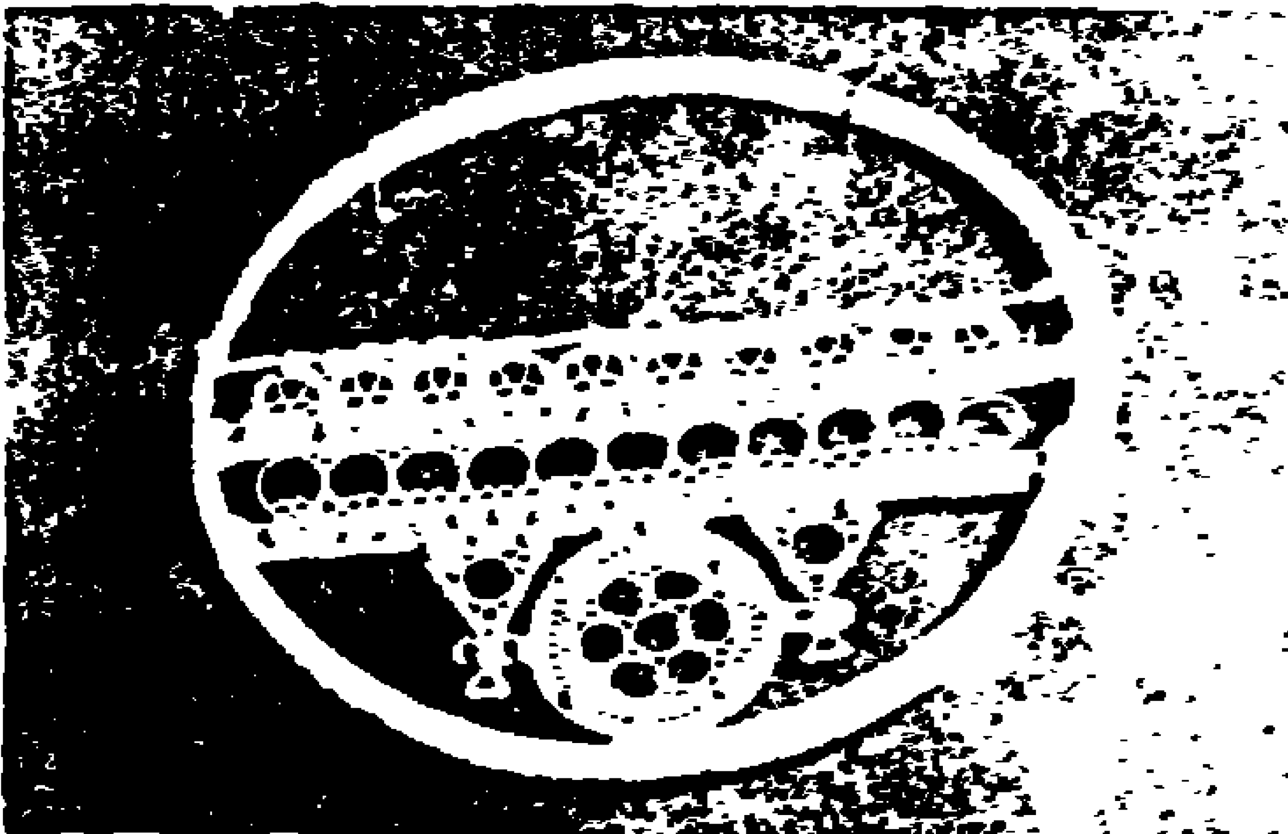
٢٠١ سيدة تتحلى بمجموعة من الحلي – عقود من الخرز وأسورة وقرط وخاتم بالإضافة إلى قطع من الحلي تزين بها شعرها .



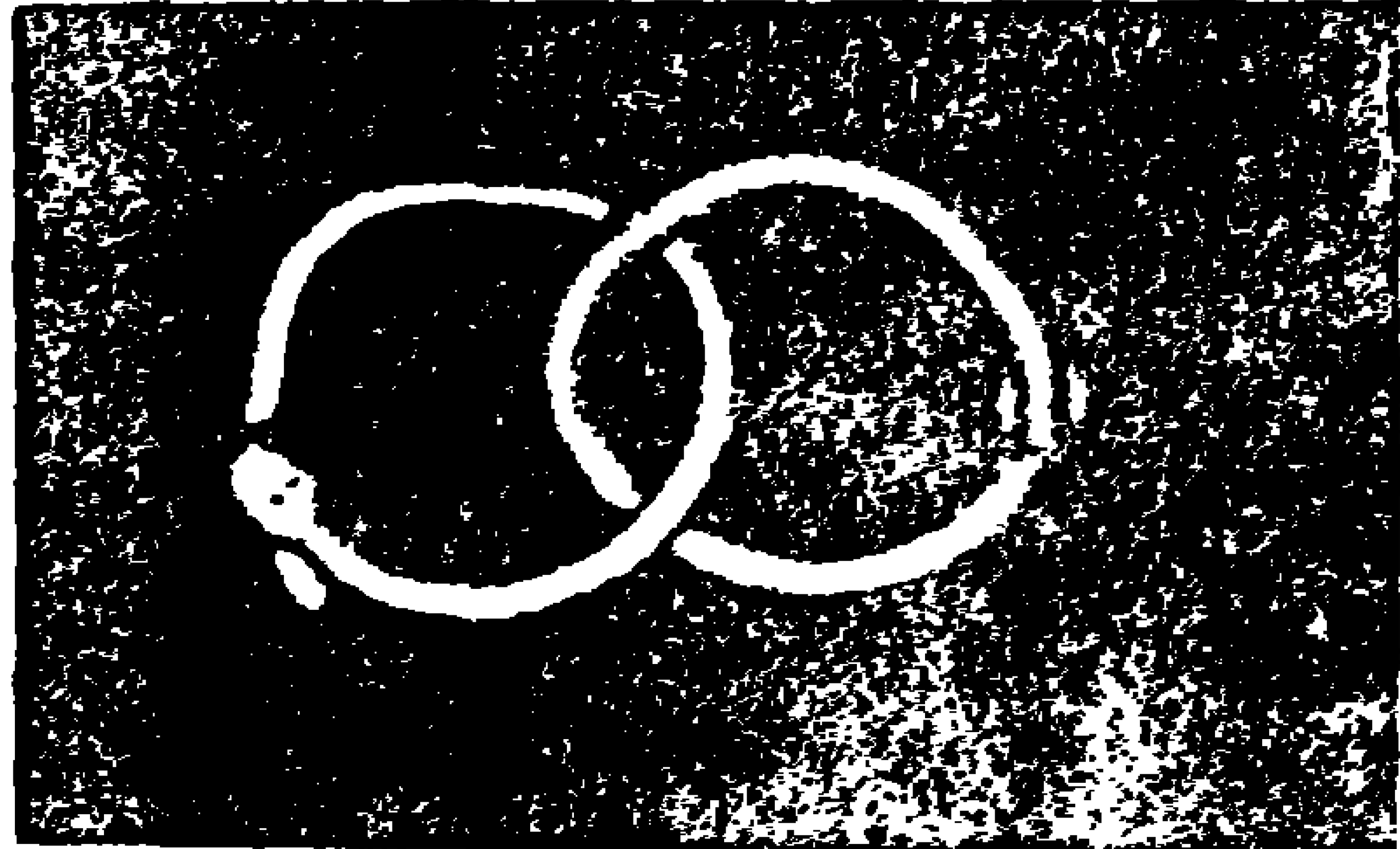
٢٠٠ عقد من خرز مختلف الأشكال والألوان – من العقيق الأحمر – و[illegible] [illegible] – محفوظ [illegible] – ينشر لأول مرة .



٢٠٢ فتاة تتحلى بقرط شعبي كبير .



٢٠٣ فردة قرط من الذهب المشغول بالأسلاك المشبكة المفتوحة والحبيبات – مصر ق ٨ هـ / ١٤ م محفوظ بمتحف الفن الإسلامي برقم ١٤٩٩١/١ .



٢٠٤ زوج خلاخيل من فضة عبارة عن قضيب أسطواني مفتوح ينتهي طرفاه بجزء مصنوع [illegible] – مصر [illegible] – بمتحف الفن الإسلامي برقم [illegible] – ينشر لأول مرة .

٢٠٥ قطع من غوايش زجاجية متعددة الألوان – لاستعمال الـ[illegible] من عامة الشعب والطبقات [illegible] – مصر في العصور الوسطى – مجموعة كلية الآثار – تنشر لأول مرة .

٢٠٦ قطع من [illegible] متعددة الألوان – [illegible] الإسلامي [illegible] ١٢ [illegible] ١٤ [illegible] ٣٥ [illegible] – تنشر لأول مرة .

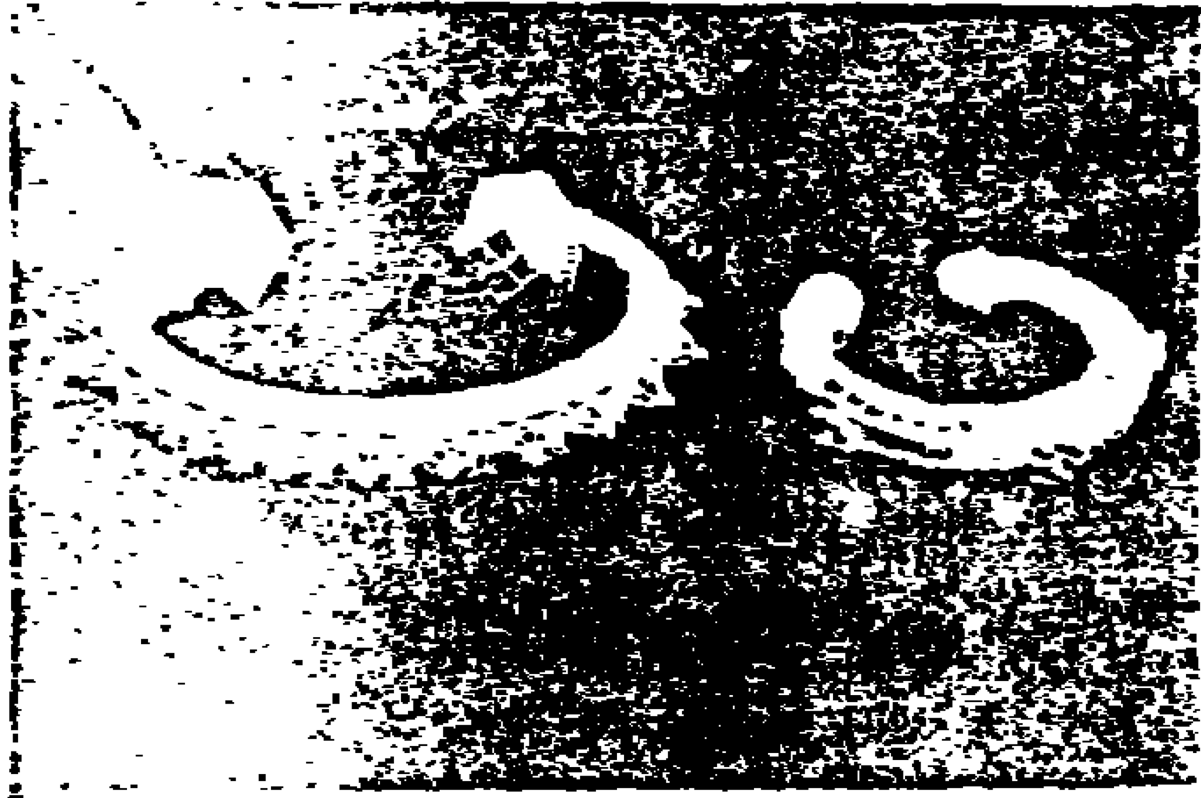
٢٠٧ سوار من الذهب مشكل من أسلاك مجدولة على محيطه المستدير تتوسطه حلية [illegible] مرصعة بالعقيق الأسود [illegible] – مصر ق ٨ هـ / ١٤ م – محفوظ بمتحف الفن الإسلامي سجل رقم ١٦٤٣٥ .

[illegible] سوار من [illegible] من الأسلاك المجدولة [illegible] – مصر ق ٨ هـ / ١٤ م – محفوظ بمتحف الفن الإسلامي سجل رقم [illegible] .

[illegible] أربع [illegible] – تنشر لأول مرة .

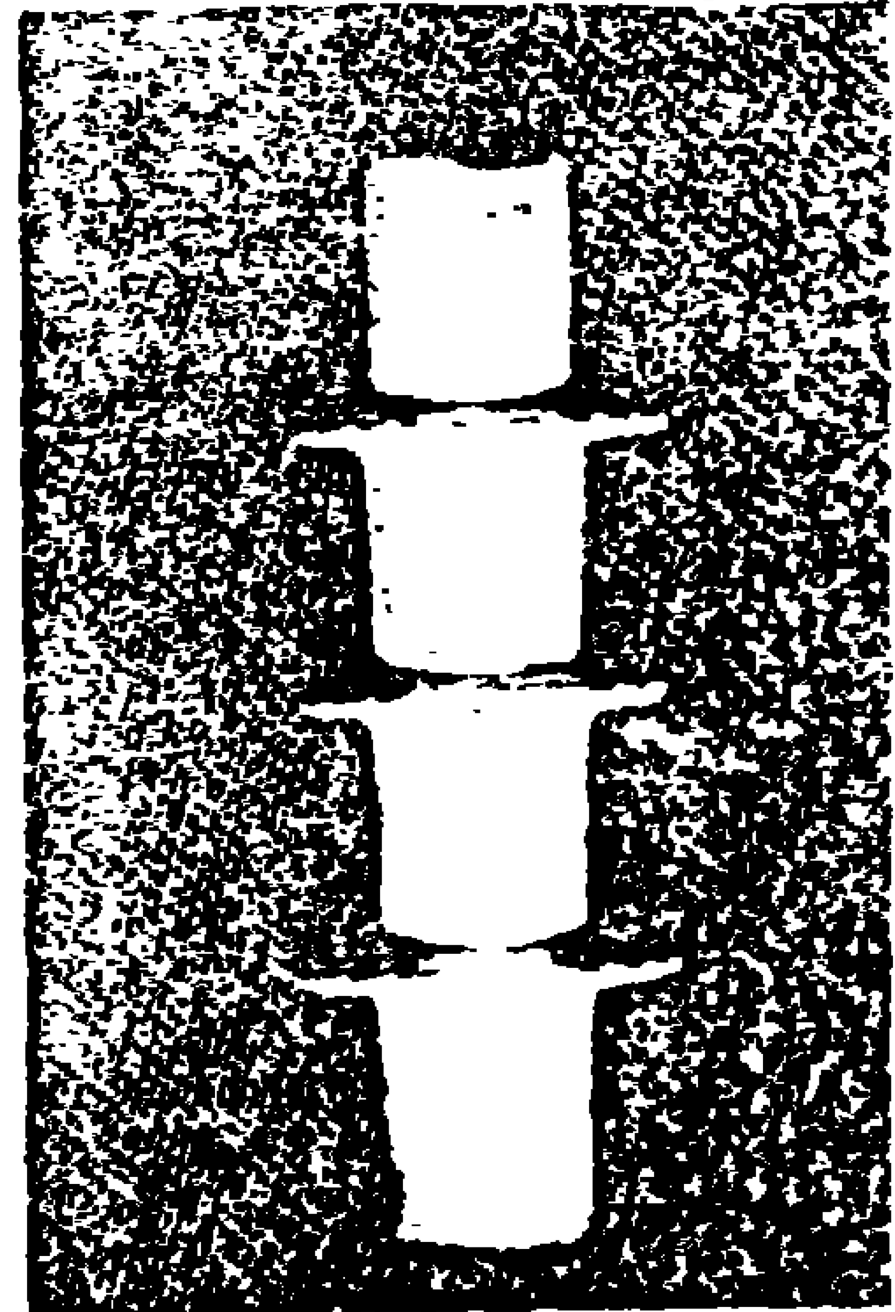


٢١١ فتاة تلبس دملج فى كتفها – عن :

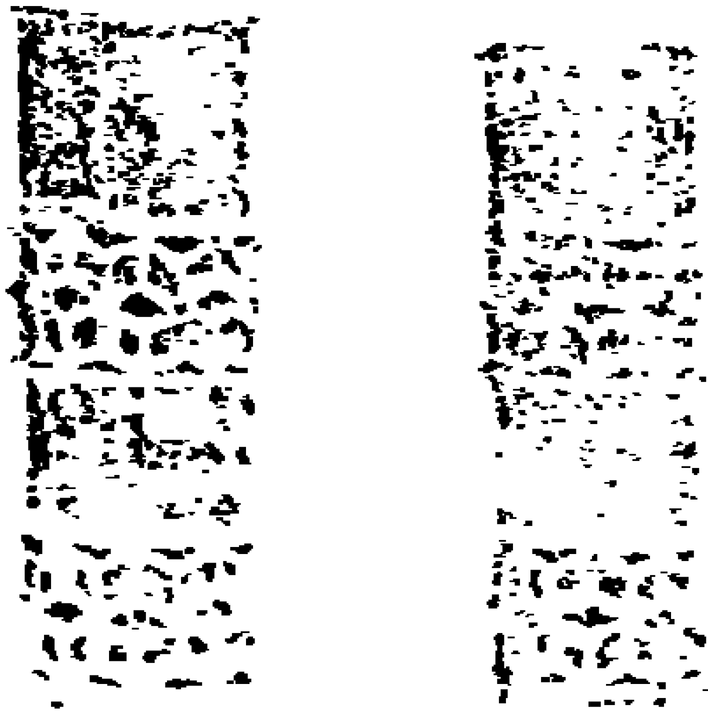


٢١٢ فردتا خلخال من الفضة – مصر ق ١٢ – ١٣ هـ / ١٨ – ١٩ م محفوظة متحف الفن الاسلامى – تنشر لأول مرة

٢١٣ [illegible] من [illegible] – عصر المماليك – محفوظة متحف الفن الاسلامى سجل ٧٨٠٦ – تنشر لأول مرة .



٢١٤ عروستان للبرقع – عن :
Jenkins, M. and Keene. M. Islamic Jewelry In the Metropolitan Museum of Art, New York, 1982.





٢١٥ حلقتان كل منهما على شكل وردة من ذهب ذات ستة أوراق مكونة من [illegible] خرزة ذهبية وبينهما من [illegible] من [illegible] أنحا مصر ق ٧ – ٨ هـ / ١٣ – ١٤ م – محفوظتان متحف الفن الاسلامى برقمى سجل ٩٤٤٦ ، ٩٤٤٨ – تنشر لأول مرة .

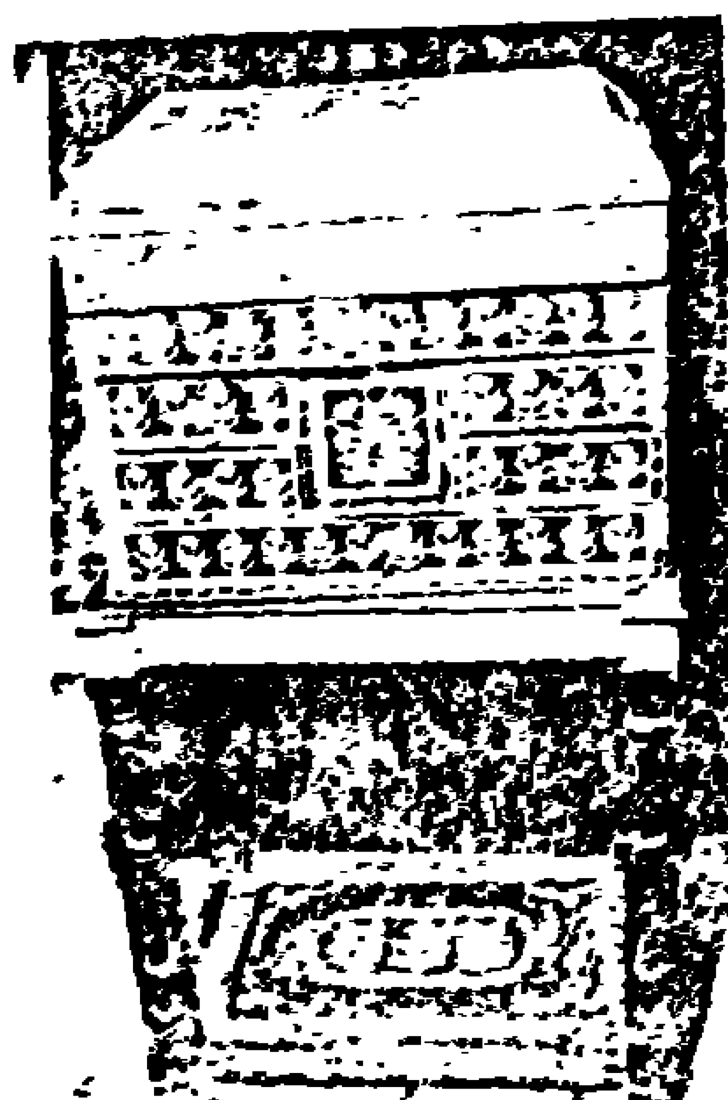


٢١٦ حلية رأس محدبة [illegible] من [illegible] أحمر اللون مصر ق ١٢ – ١٣ هـ / ١٨ – ١٩ م – محفوظة متحف الفن الاسلامى – تنشر لأول مرة .



٢١٧ سيدة تتحلى بالحلى وتتكئ على مكحلة ، عن [illegible]

[illegible]: Op.Cit., T.I. P.59.



٢١٨ [illegible]



٢٢١ سيدة مصرية بملابس الخروج ق ١٩ هـ / ١٥ م عن:

[illegible], A: Die [illegible], Coln, 1860, P. 106.



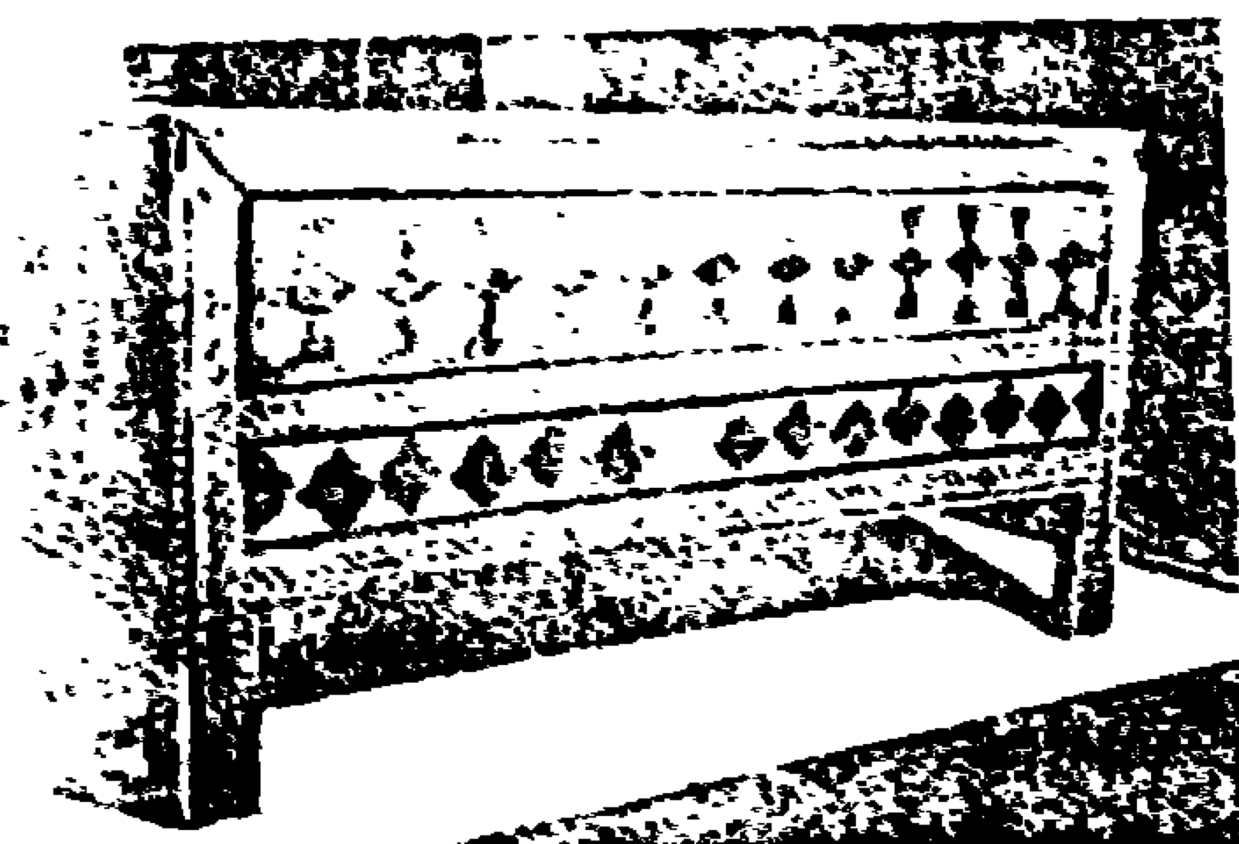
٢١٩ [illegible]

[illegible]

[illegible] ٦٧١ [illegible]



٢٢٢ [illegible]



٢٢٠ [illegible] ١٢ هـ / ١٨ م [illegible]

[illegible] .



٢٢٣ سيدة مصرية من عامة الشعب ترتدي السبلة .

Description de L'Egypte , T.2 PL. 5 II.

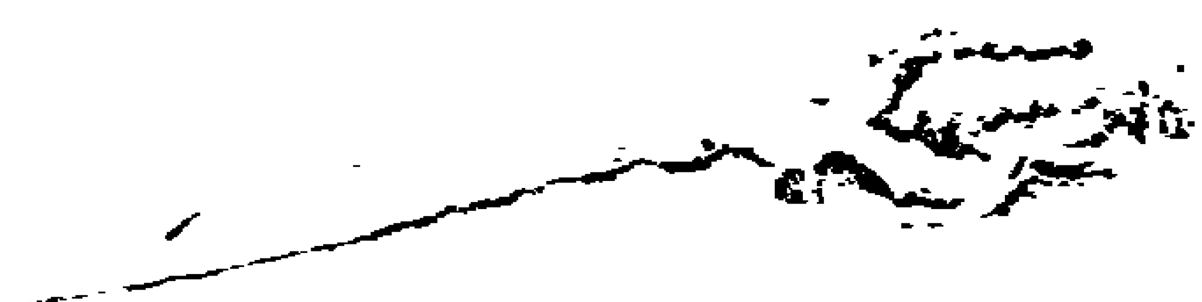


٢٢٤ سروال [illegible] من الحرير الازرق [illegible] عصر أواخر القرن ١٢ هـ/١٩ م
محفوظ بمتحف الفن الإسلامي برقم [illegible] .

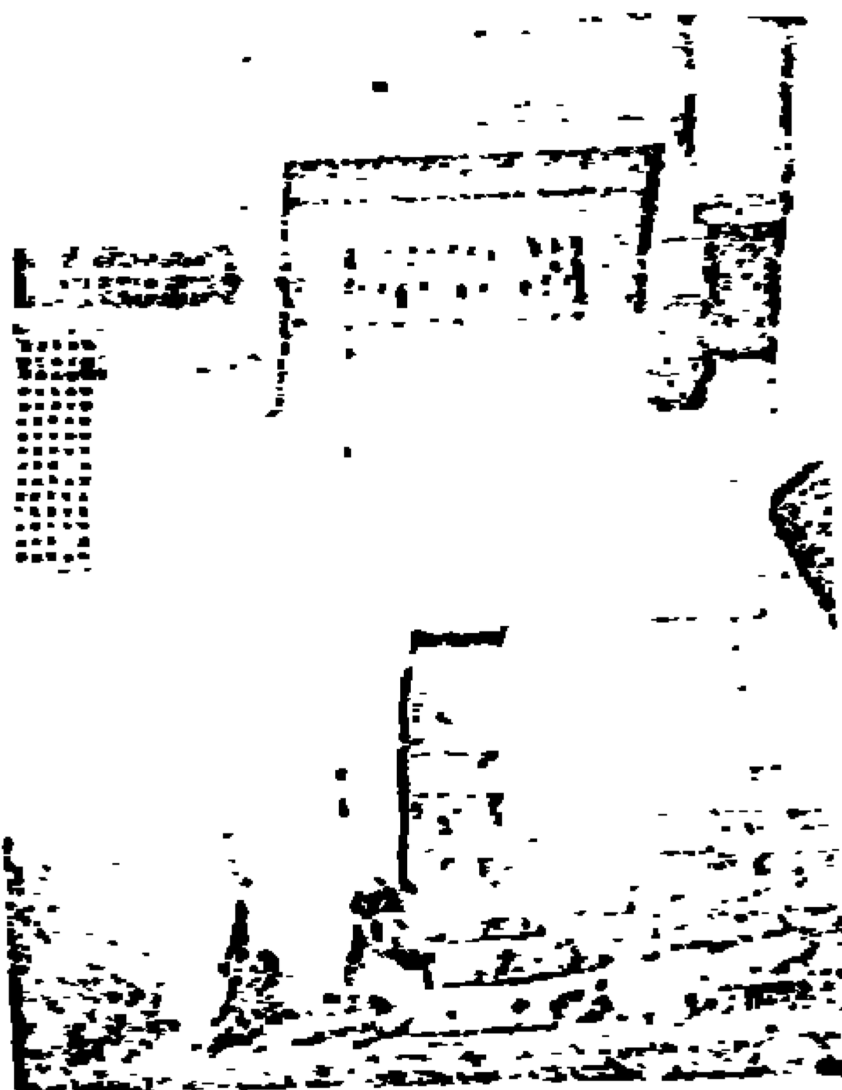


٢٢٧ سيدة بملابس المنزل – تلاحظ أنها ترتدي طربوش [illegible] رأسها
وحزام من وسطها وتزين شعرها بالعقد – [illegible]

Prisse D'Avennes: L'Art Arabe, T.3, PL. 140.



٢٢٥ [illegible] من [illegible] وبه زخرفة [illegible] طوله ١٤٥ و [illegible] عرض
١٧٠ م – مصر عصر العثمانيين – محفوظ بمتحف الفن الإسلامي برقم
٥٩١٥ – لم يسبق نشره .

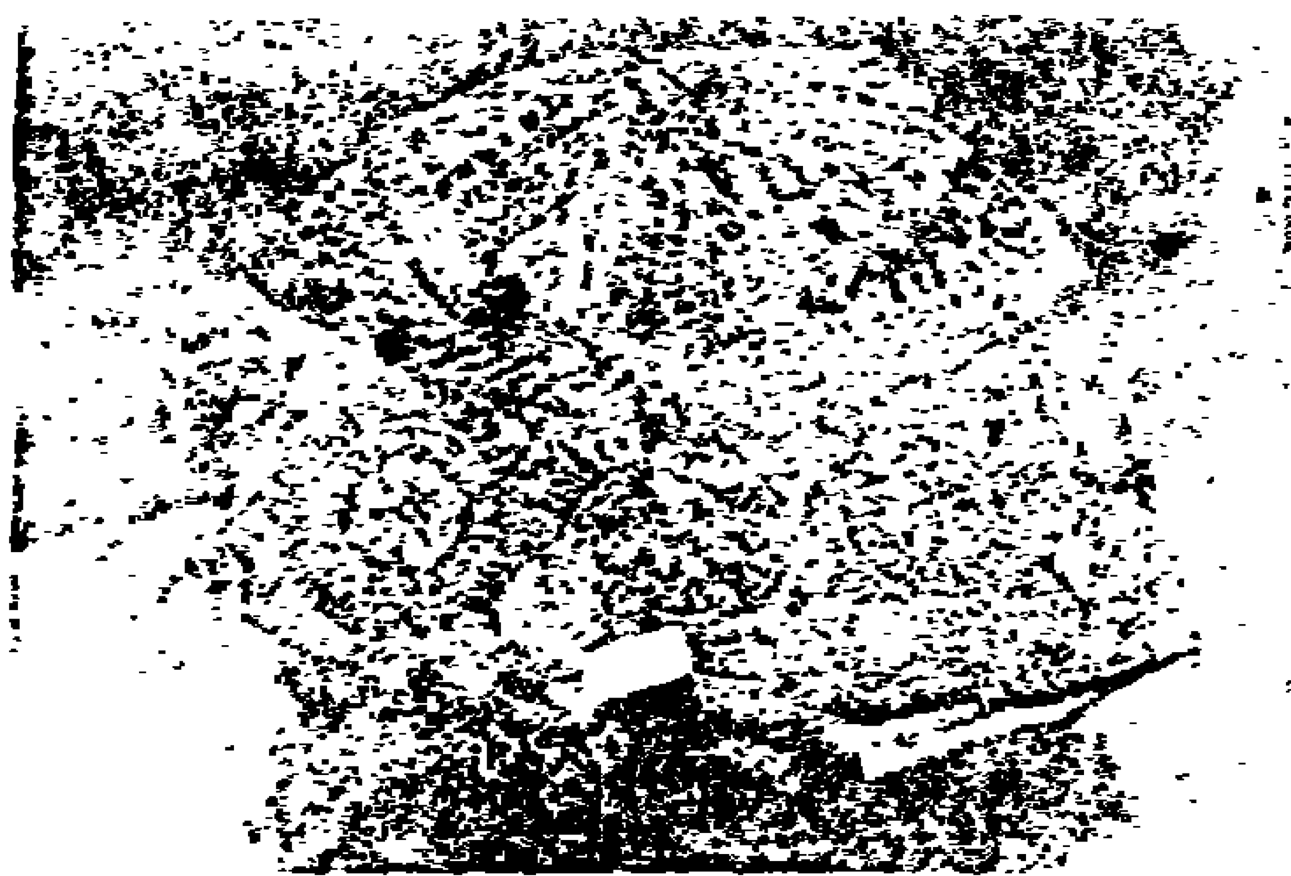


٢٢٨ [illegible]

[illegible]



٢٢٦ [illegible] – مصر عصر العثمانيين –
محفوظ بمتحف الفن الإسلامي برقم [illegible] .



٢٣٠ ـ طاقية ذات قمة نصف دائرية منسوجة من خيوط [illegible]
[illegible] وهندسية ـ محتمل من [illegible]
عصر المماليك بمتحف الفن الإسلامي برقم ٤٤٣٠ .



٢٣١ ـ صندوق [illegible] من النحاس [illegible] بالذهب والفضة [illegible] على ١٢ [illegible]
وله غطاء ـ محفوظ بمتحف [illegible] الآثار برقم ١/١٧٧١ ، [illegible]
٢/١٧٧١ ينشر لأول مرة .

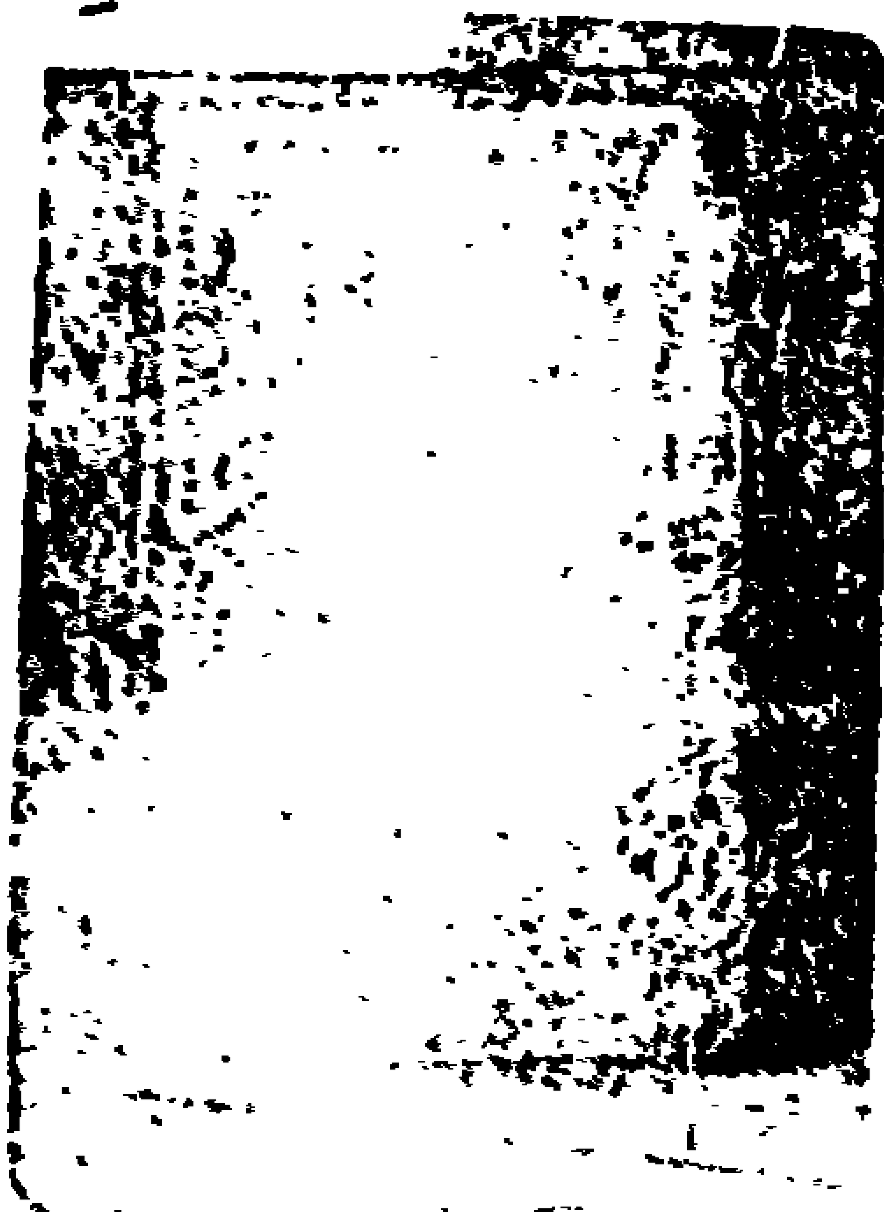


٢٣٢ ـ طاقية من [illegible] ـ [illegible]
[illegible] الإسلامي .



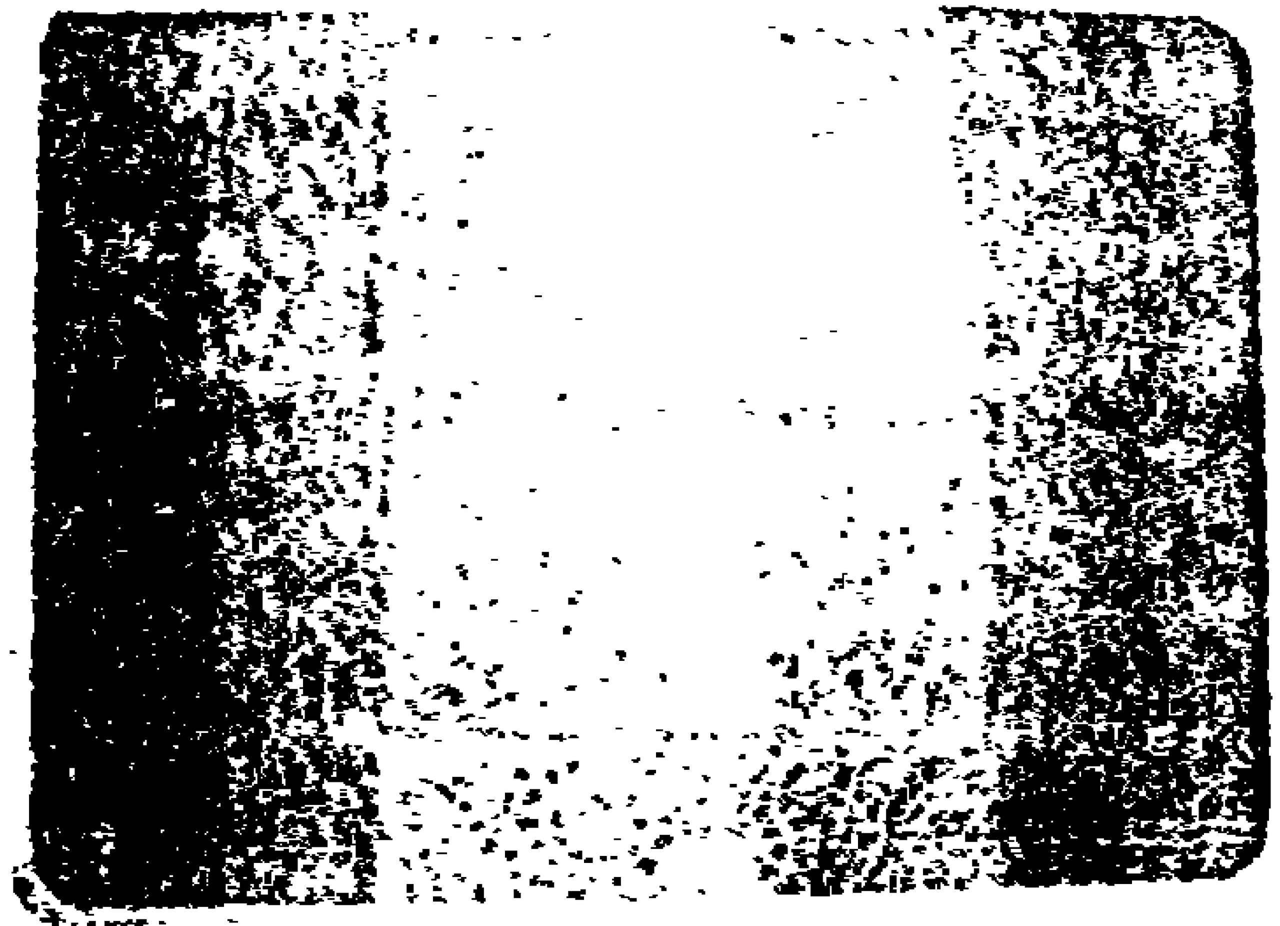
٢٣٣ ـ غطاء الصندوق .

لوحة (٢٣٤)





٢٣٥ ـ أجزاء من [illegible] الصندوق [illegible]
٢٣٦ [illegible] .

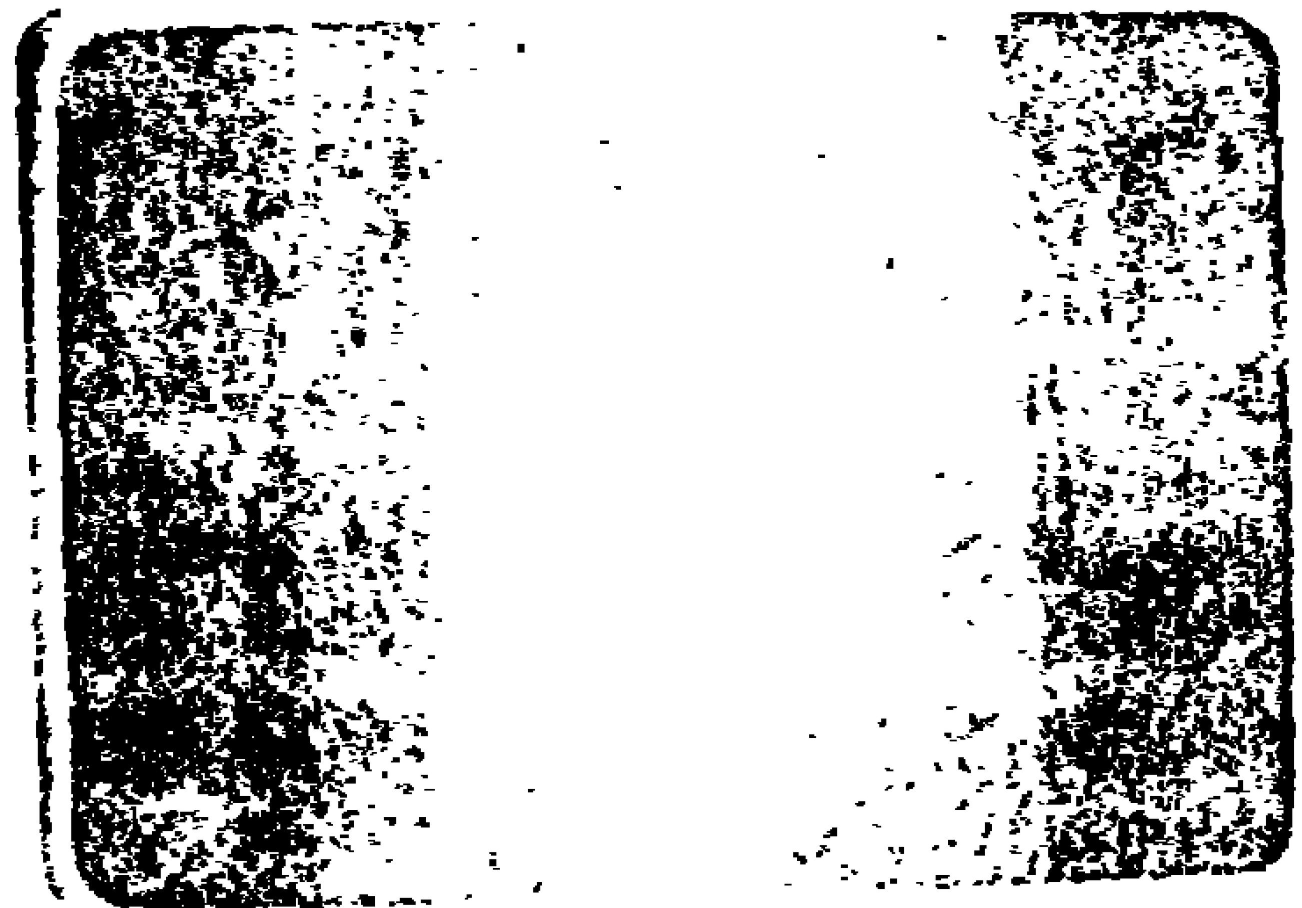


لوحة (٢٣٥)

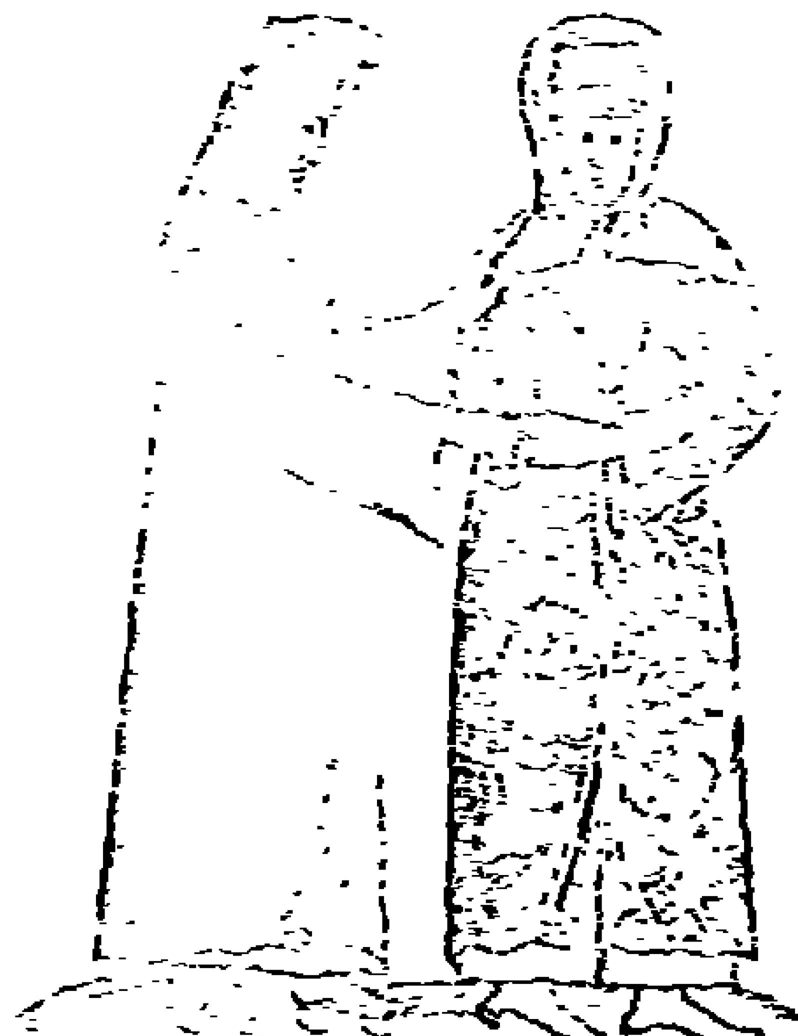


٢٣٧ سيدة ترتدي غطاء رأس محلى بالقطع الذهبية ـ مصر ق ١٣ هـ/١٩ م

عن : Ebers: Op.Cit. [illegible]



لوحة (٢٣٦)



٢٣٨ صورة توضح سيدتان مصريتان بملابس الخروج [illegible]

[illegible] المرصعة ـ مصر النصف الأول من القرن ١٠ هـ/١٦ م [illegible] عن :

[illegible] Pierre [illegible] Maia [illegible]



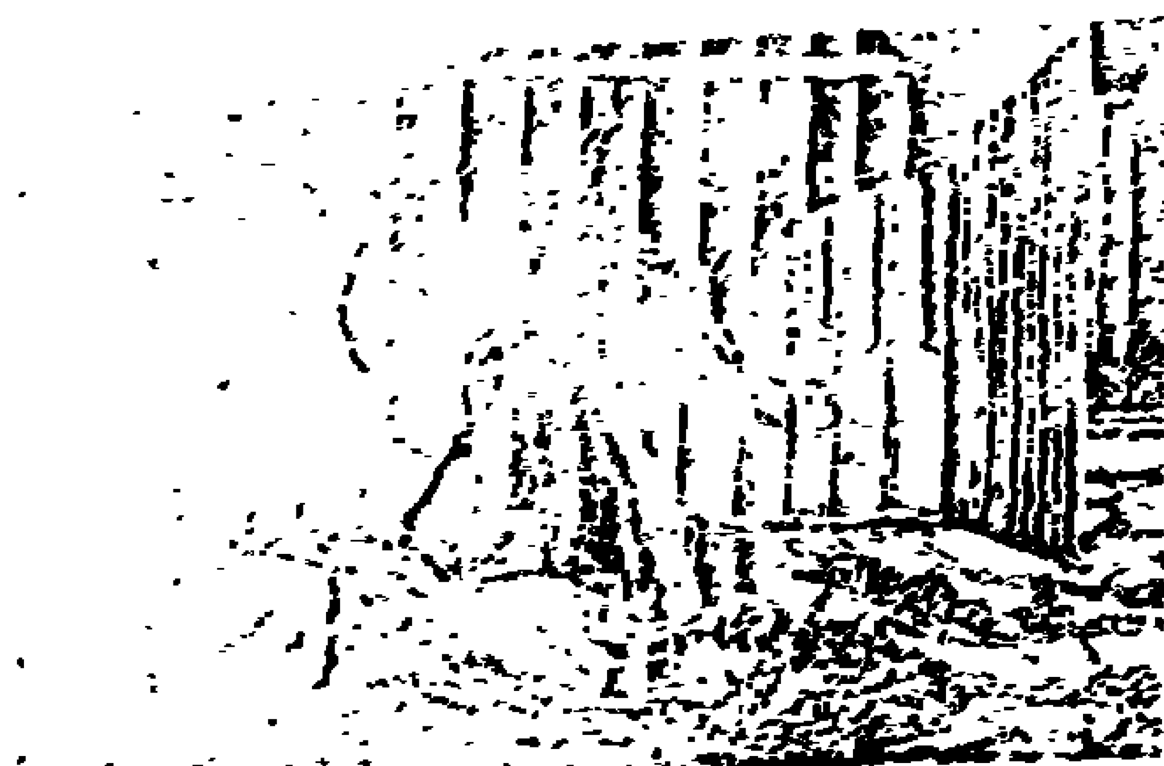
٢٣٩ سيدة من عامة الشعب بملابس الخروج عن :

Ebers: L'Egypte Du Caire A Philae, P. 157.



٢٤٠ فلاحة بملابس الخروج عن :

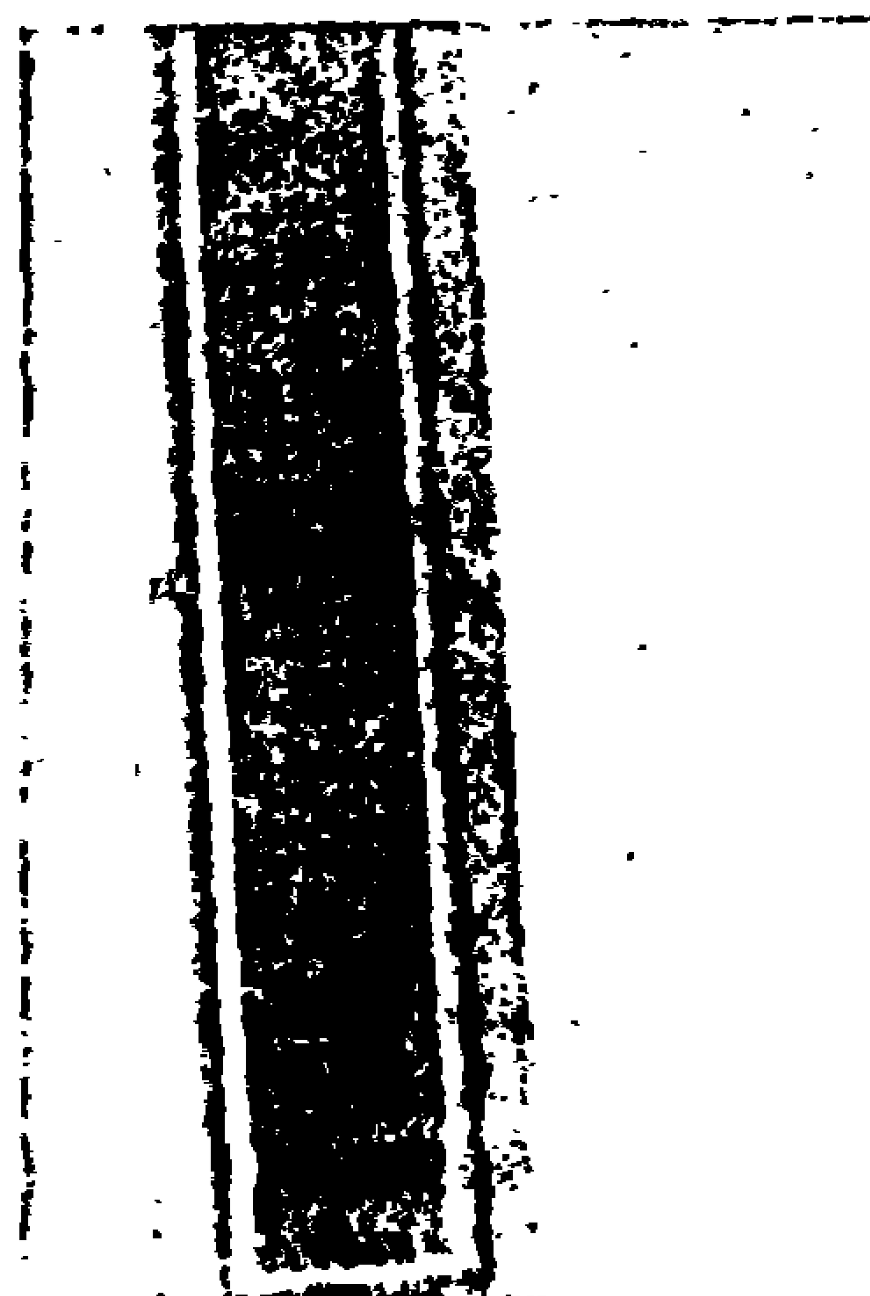
[illegible]



٢٤٣

New York, 1973





٢٤٤

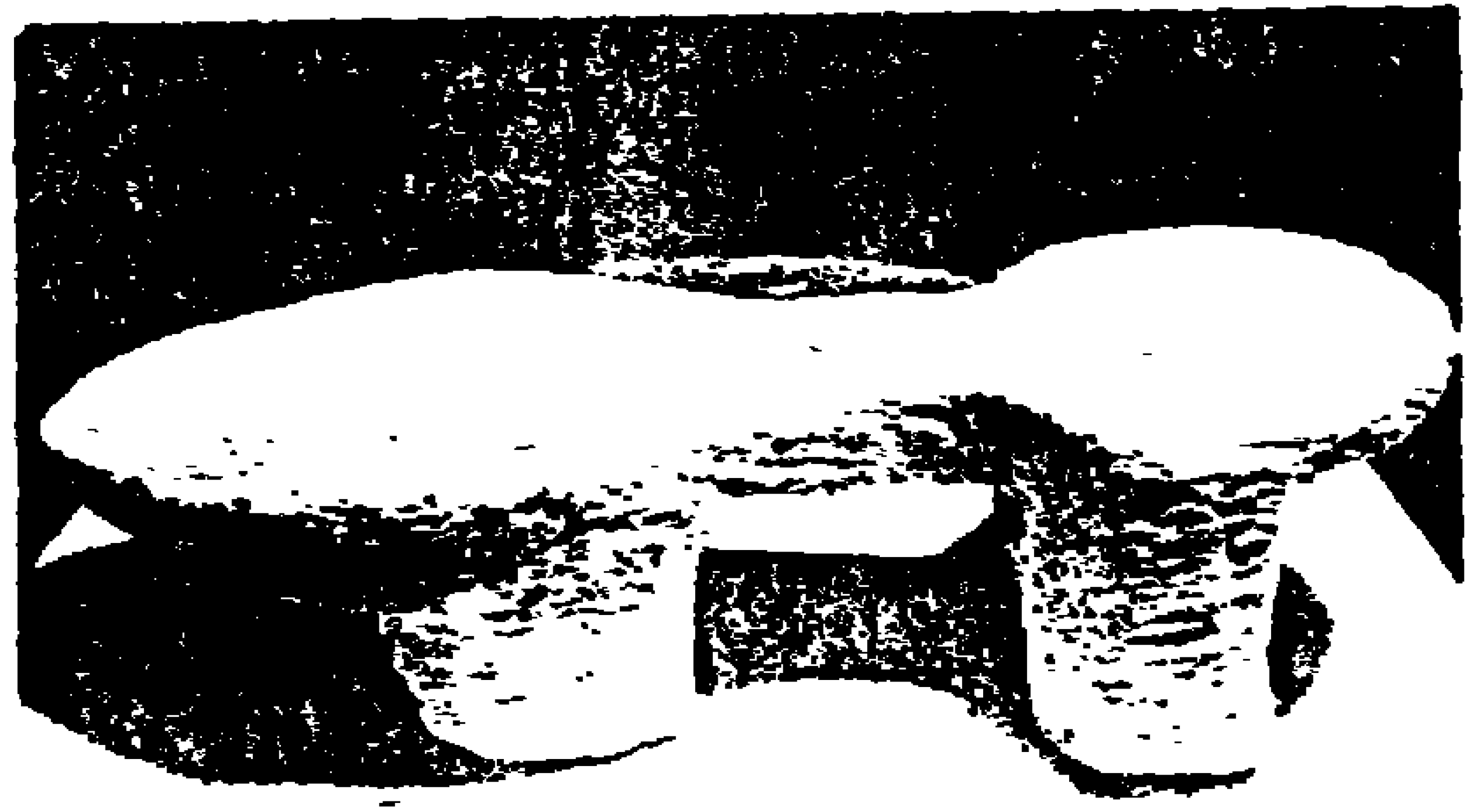




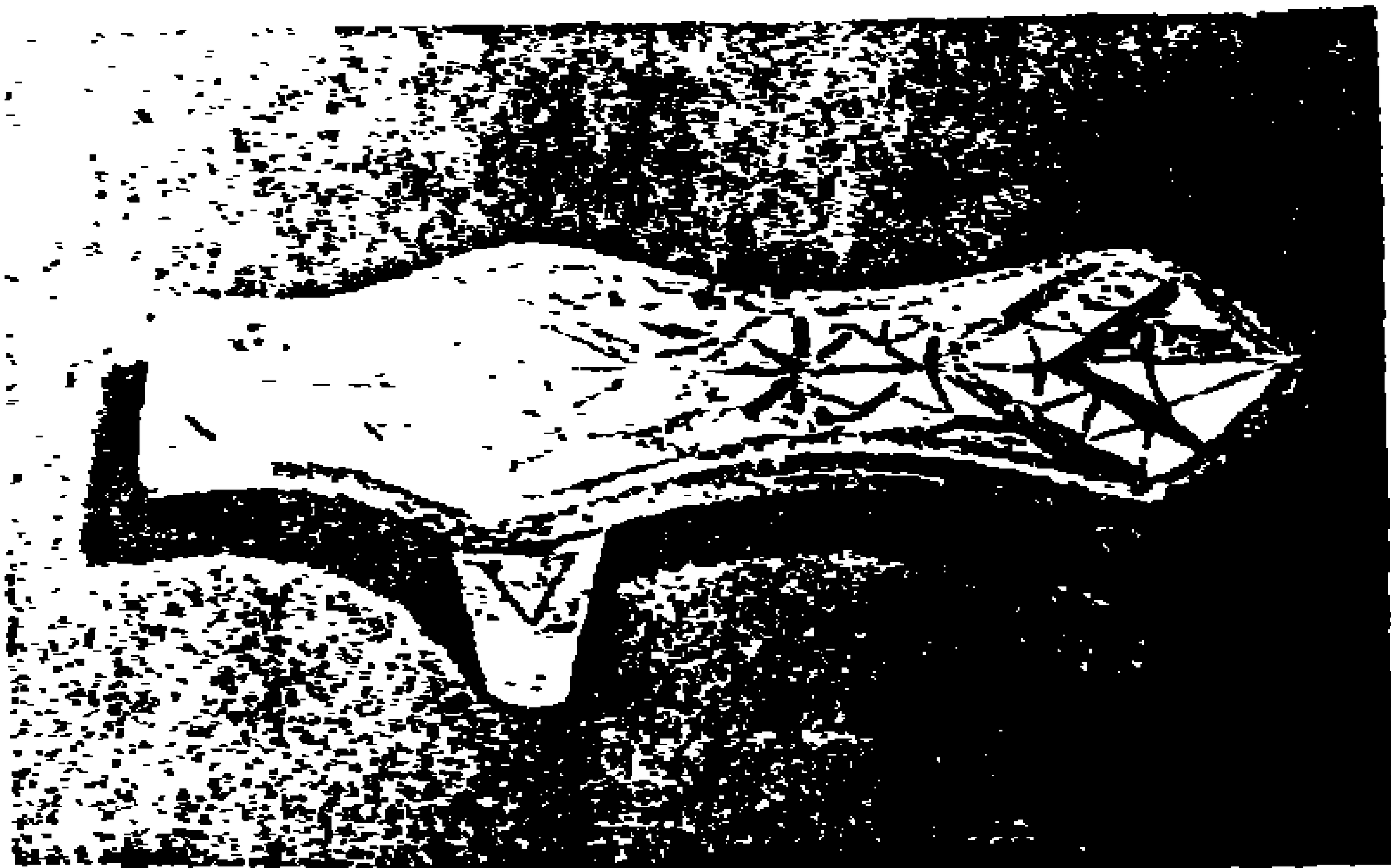
٢٤٥



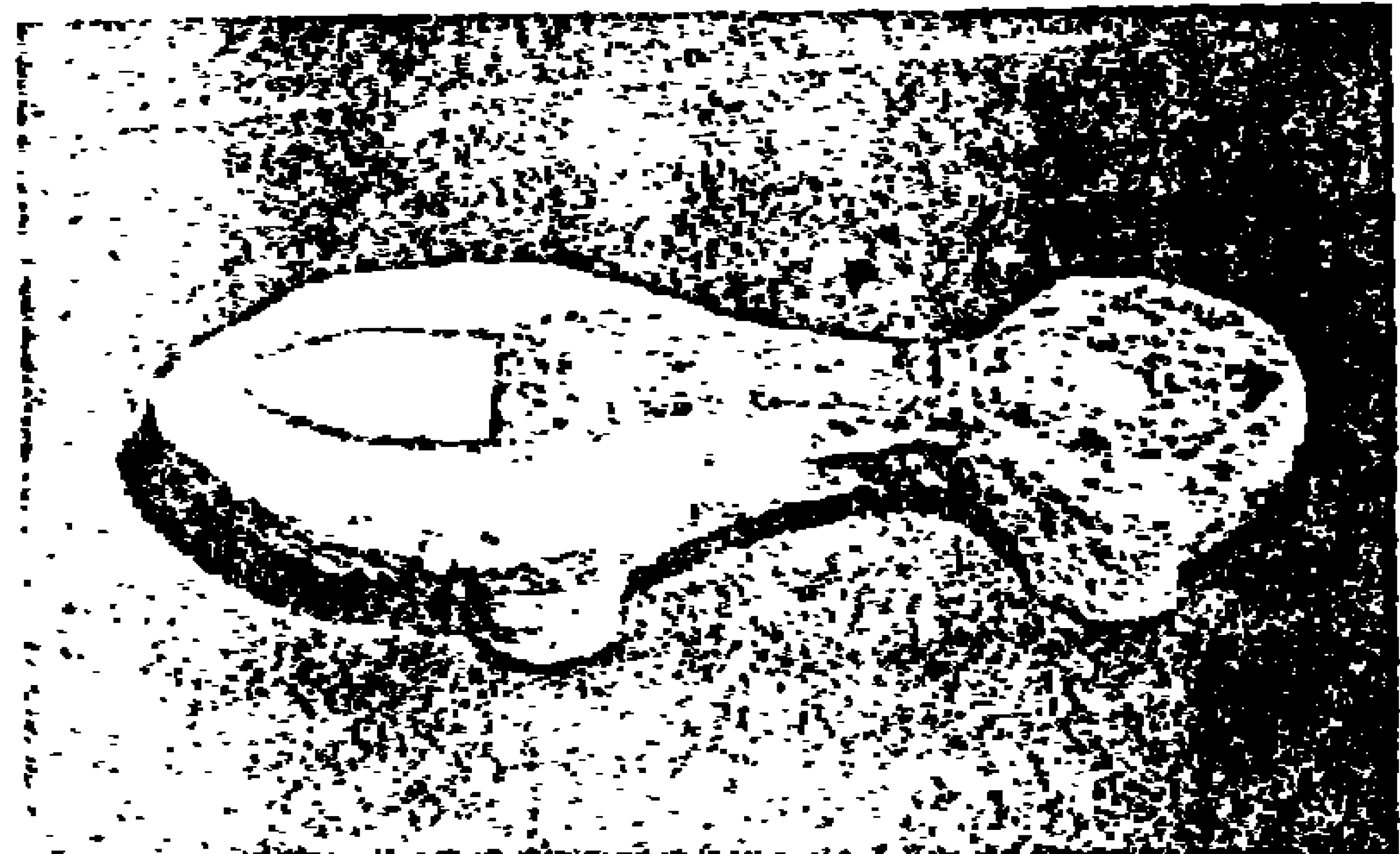
٢٤٦



٢٤٧ فرد قبقاب من خشب الجميز أو التوت – من حفائر الفسطاط – يرجع الى عصر ق ٧ – ٨ هـ / ١٣ – ١٤ م محفوظ بالمتحف الزراعي بالدقي برقم ١٧٣٤ ينشر لاول مرة .



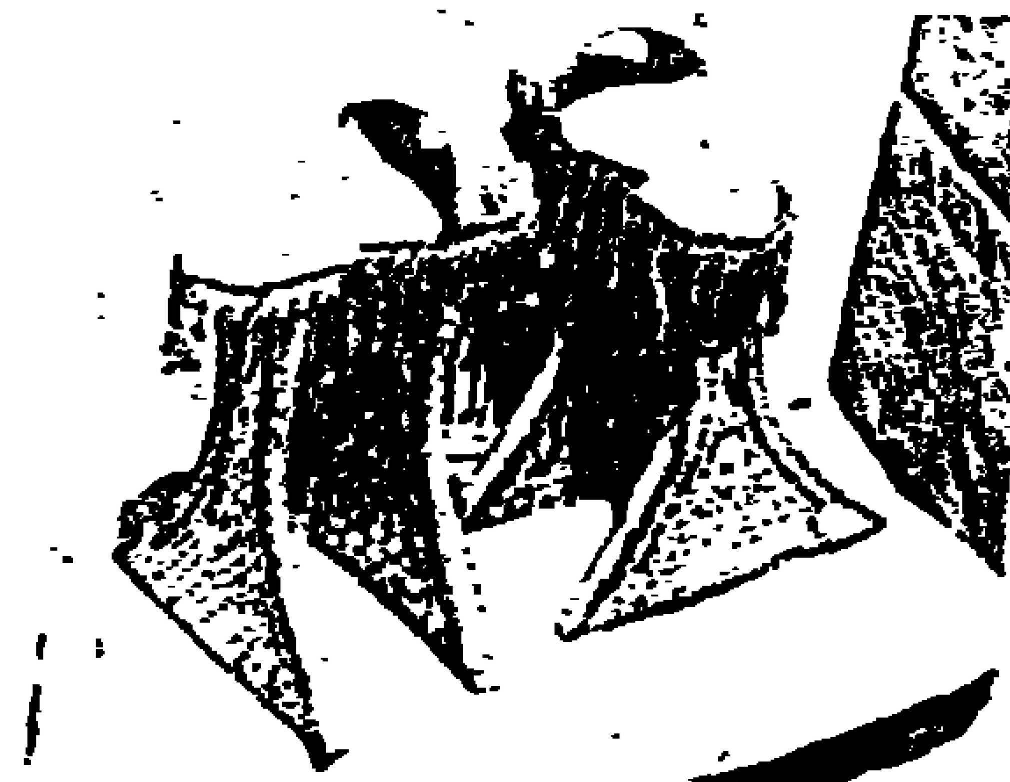
٢٤٩ فردقبقاب من الخشب المطعم بالصدف – متوسط الارتفاع – [illegible] عصر المماليك محفوظ بمتحف كلية الآثار برقم سجل ١٥٦٦ ينشر لاول مرة.



٢٤٨ فرد قبقاب قليل الارتفاع – من الخشب المطعم بالعاج – [illegible] العصر التركي – محفوظ بمتحف [illegible] برقم ١/٩٥ – ينشر لاول مرة .



٢٥٠ زخارف هندسية على كعب القبقاب .



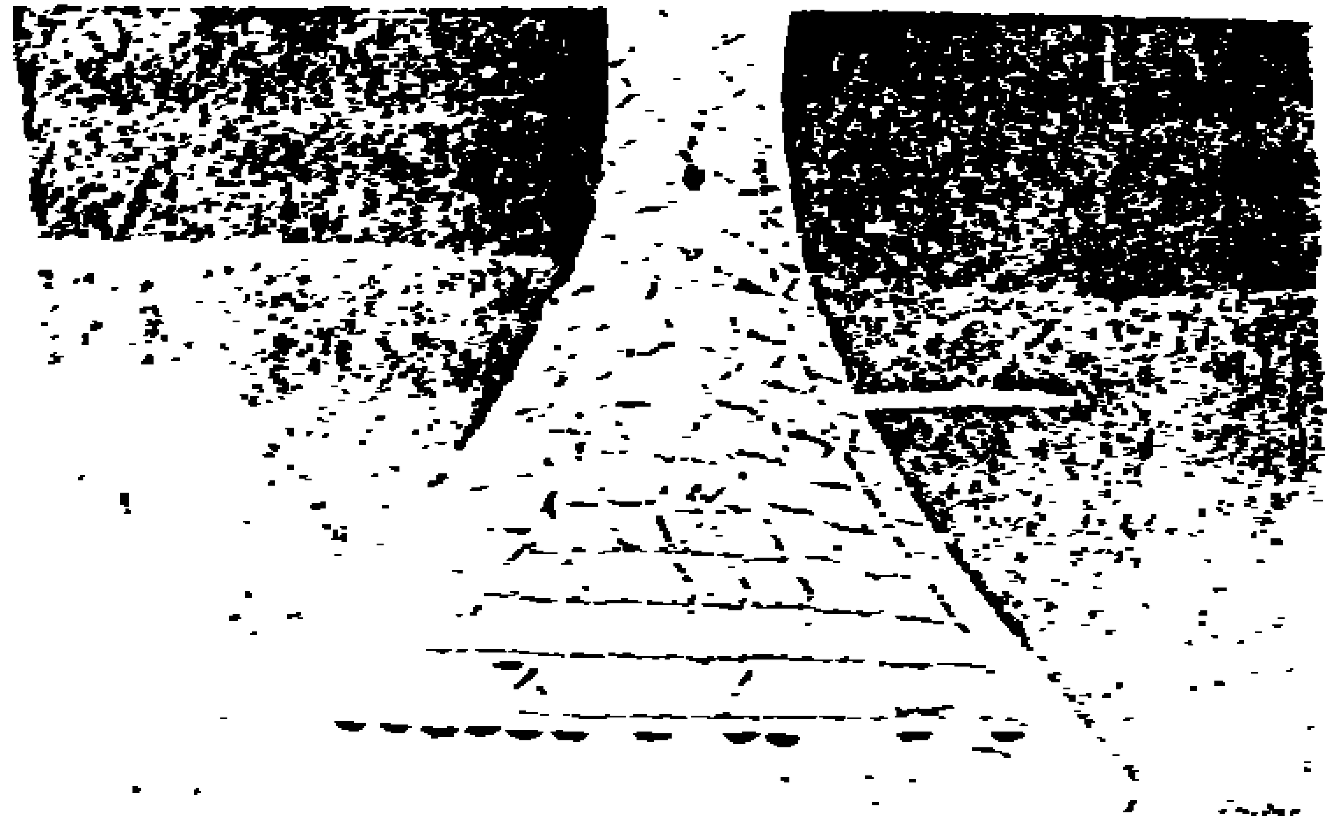
٢٥١ قبقاب من الخشب المطعم بالصدف ومكسو بالنحاس [illegible] [illegible] – من النوع المرتفع [illegible] محفوظ بمتحف الفن الاسلامي برقم ١٤٥١ .



٢٥٢ [illegible]



٢٥٣ [illegible]



[illegible] محفوظ [illegible] ينشر لأول مرة .



٢٥٥ [illegible]

محفوظ [illegible]



قالب من الفخار [illegible] محفوظ بمتحف الفن الإسلامي برقم ٥٧٨٦ — ينشر لأول مرة .



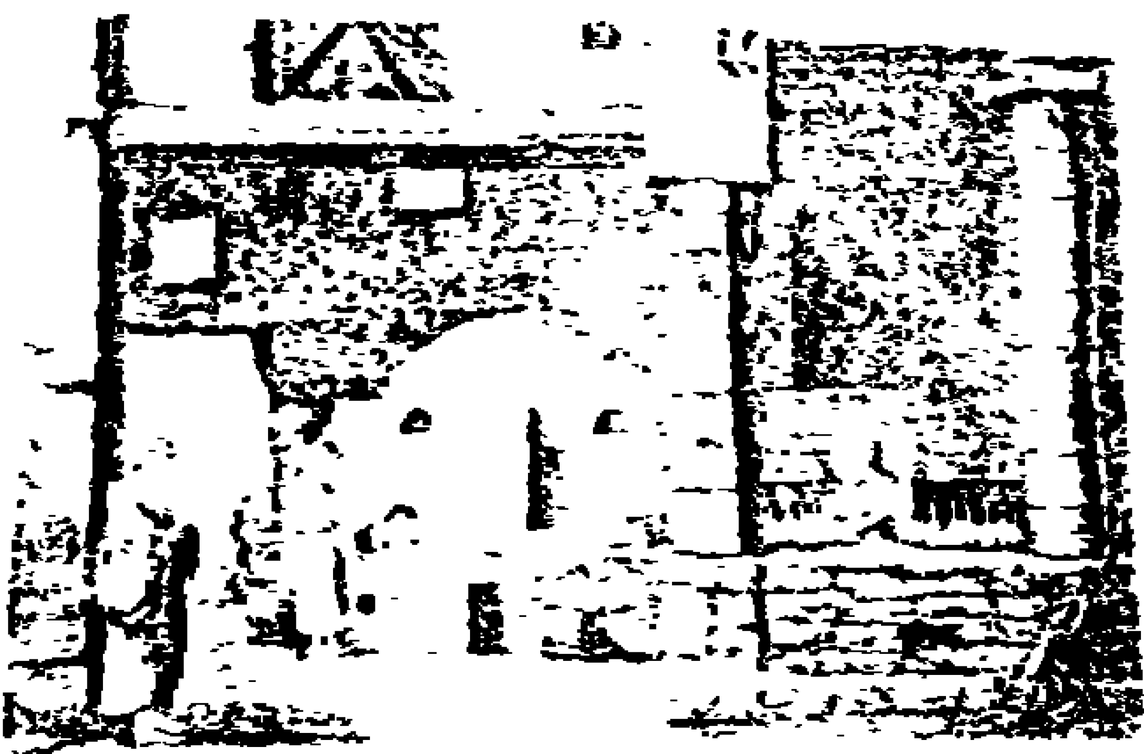


٢٥٦ [illegible]

[illegible] محفوظ [illegible]

[illegible] الإسلامي برقم [illegible] — ينشر لأول مرة .

٢٥٨ [illegible] — ينشر لأول مرة .



٢٥٩ صناعة الزجاج فى مصر القرن الثامن عشر عن :

Description De L'Egypte. Op.Cit., PL. XX.



٢٦١ صبغ [illegible] عن :

Description De L'Egypte. Op.Cit., PL. XX.



٢٦٠ صناعة الحصر

Description De L'Egypte. Op.Cit., PL. [illegible]

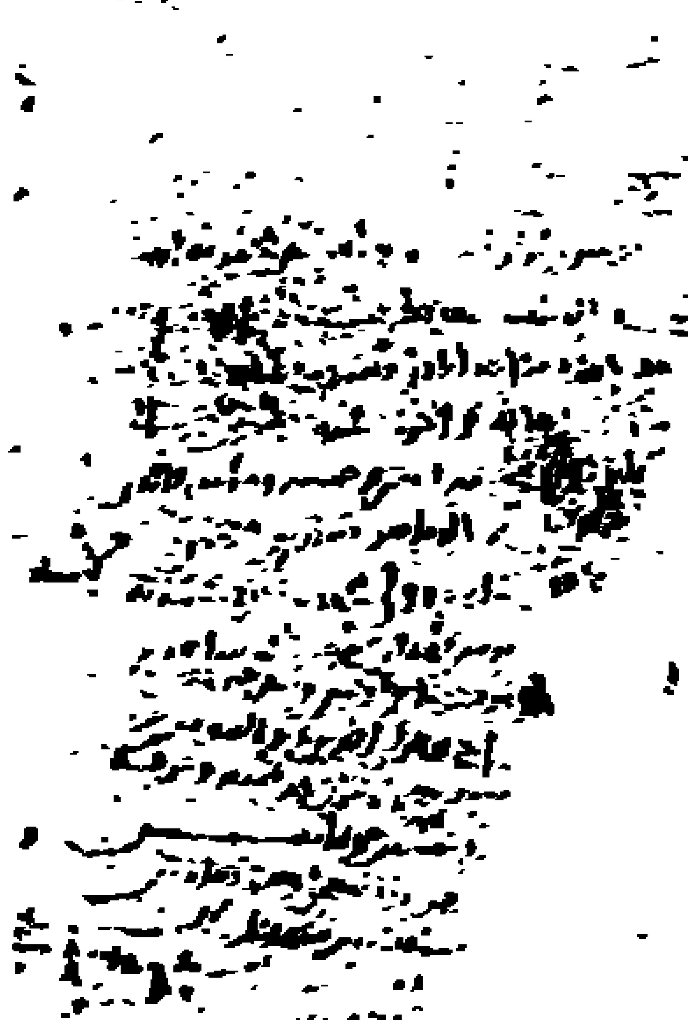


٢٦٢ صبغ الحرير عن

[illegible] Op.Cit. PL. [illegible]



٢٦٣ بردية تحمل عقد زواج يرجع الى سنة وات وتسعين للهجرة وهو يعتبر اقدم عقد زواج اسلامى عثر عليه . محفوظة بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة برقم ٢٥٢٩٥ وهى ضمن مجموعة د. عنرى أمين عوض بالمتحف الاسلامى . ينشر لأول مرة .

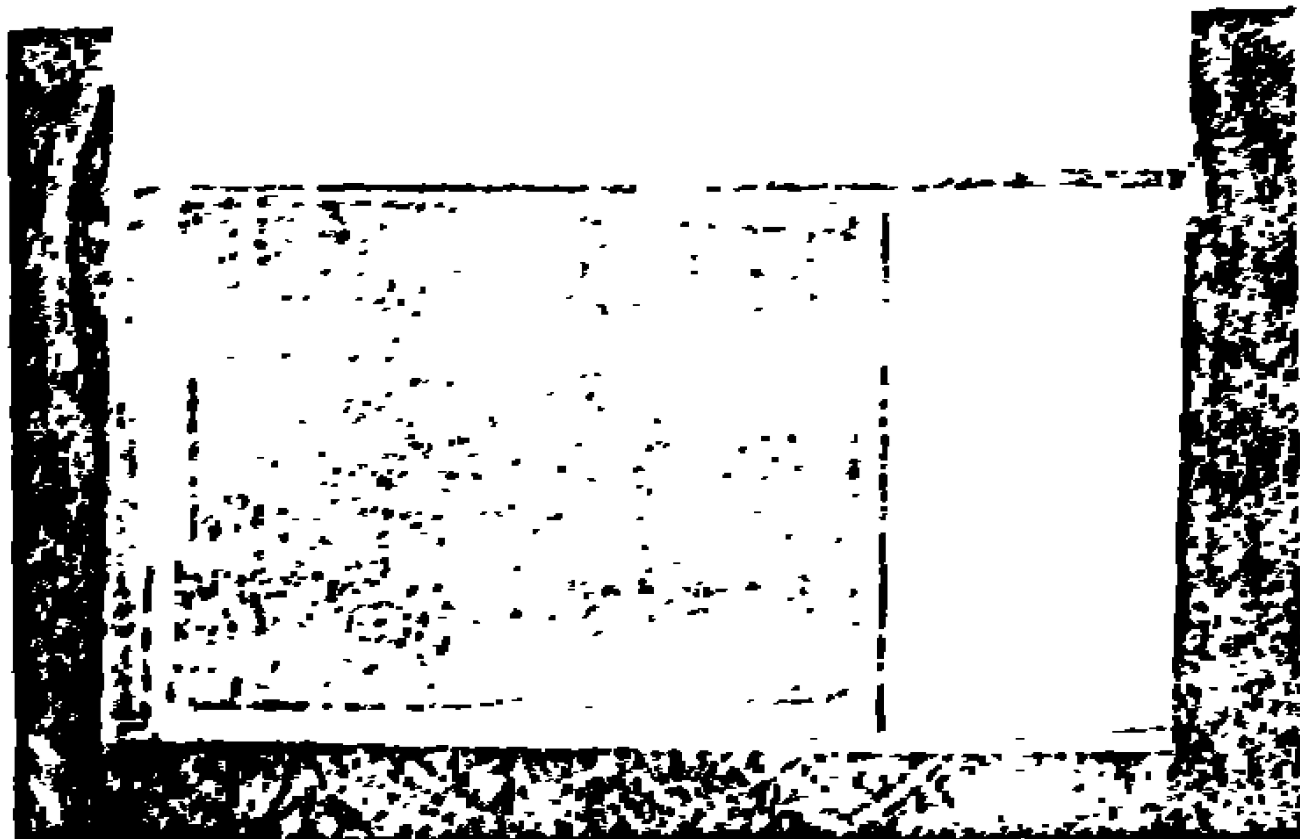


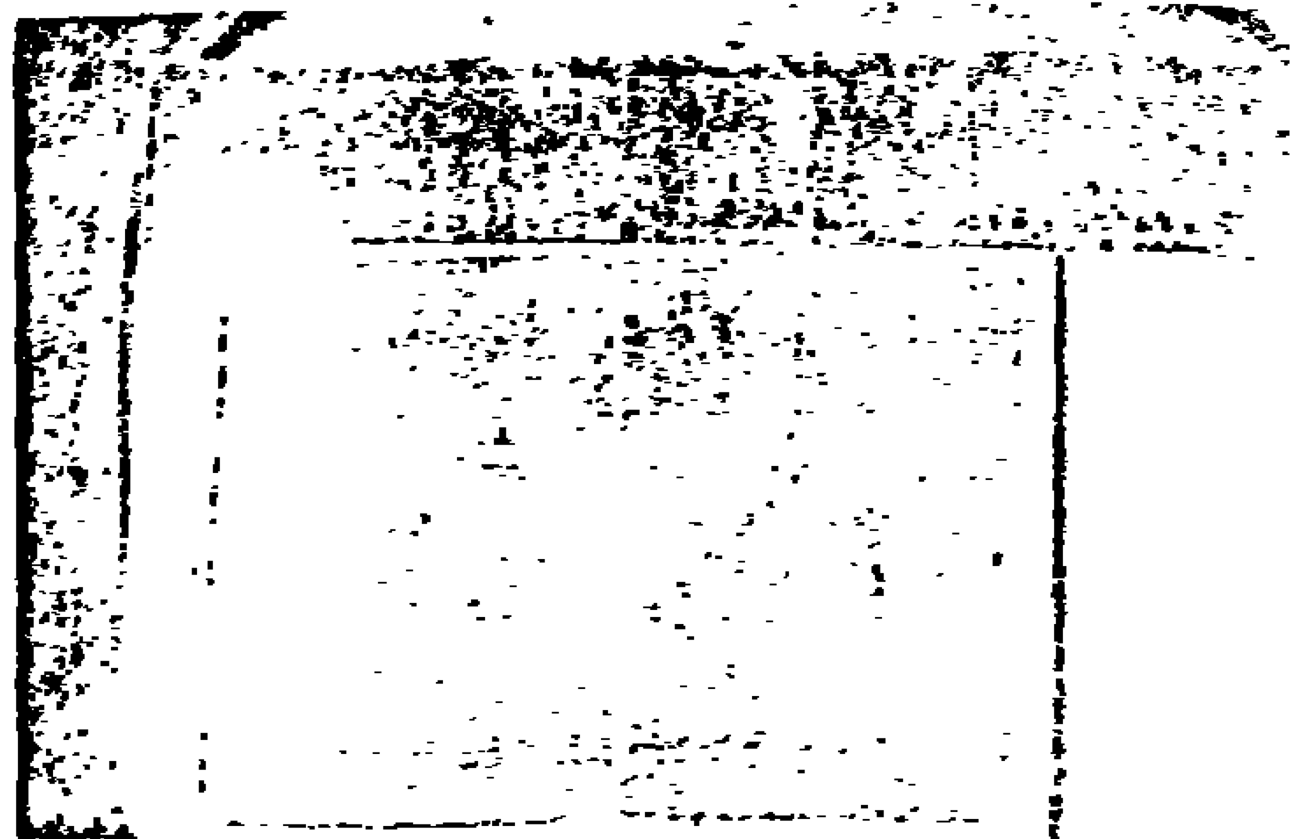
٢٦٤ قطعة بردى مستطيلة الشكل مكتوب عليها عقد زواج مؤرخ ٢٥٣ هـ ، ٨٦٦ م . عن :

Yusuf Ragheb: Contrat de Mariage (253-866)

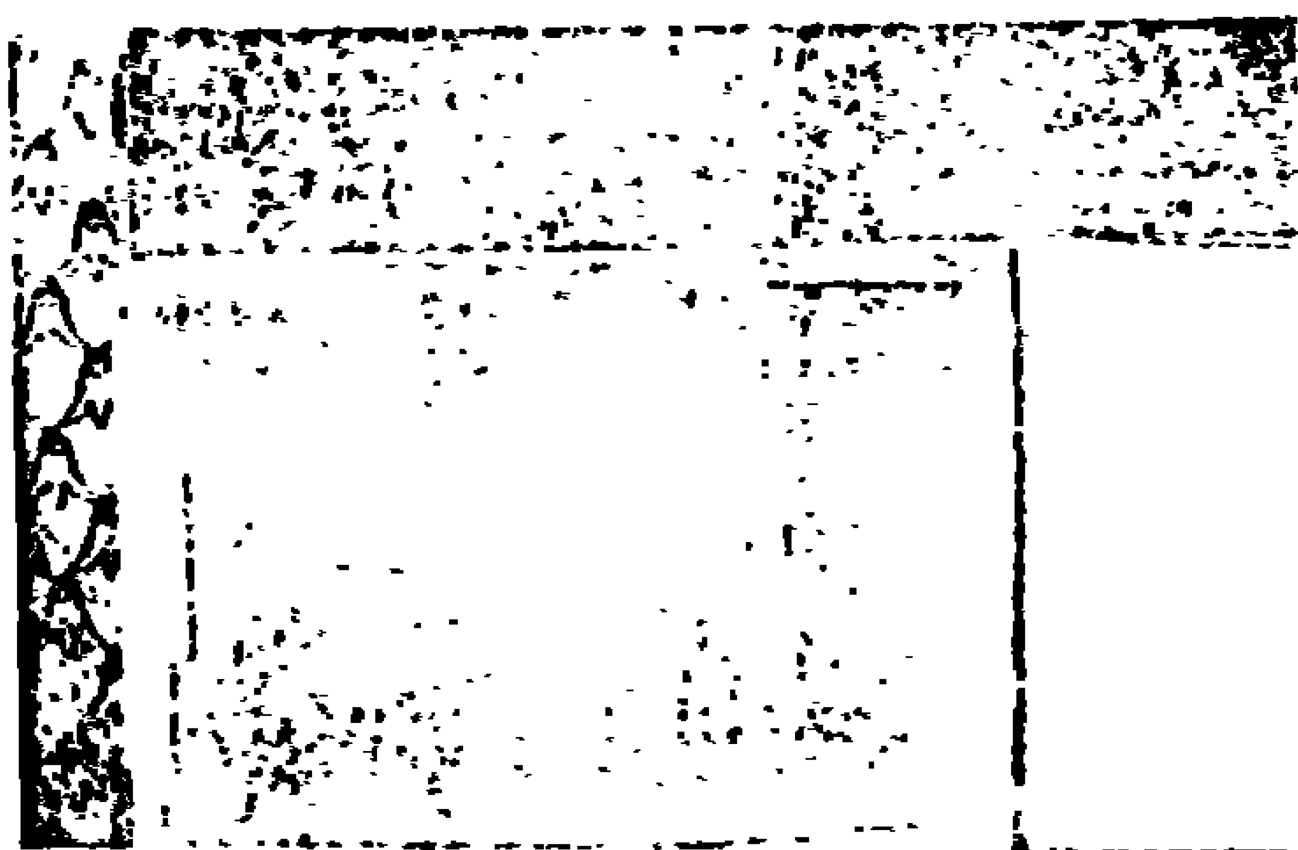
Supplement aux Annales Islamologiques Cahiers

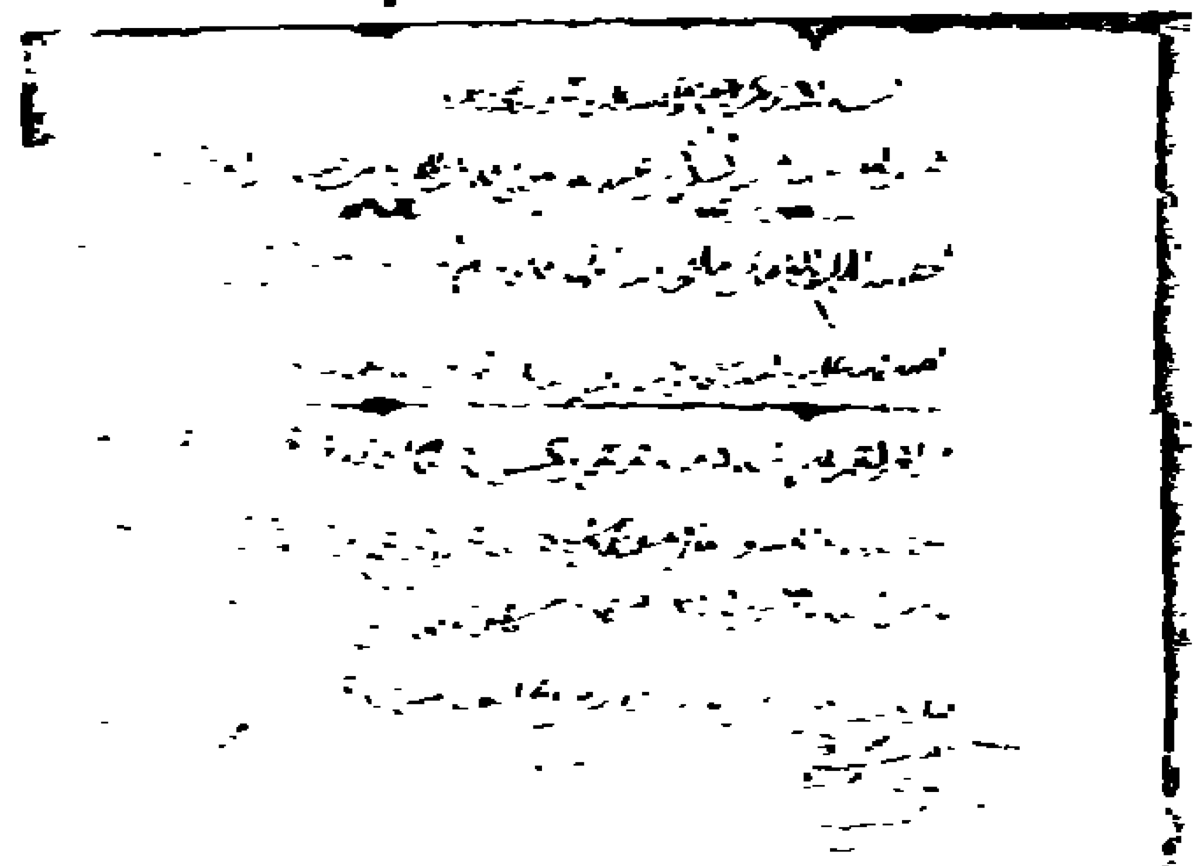
[illegible] Fayyoum [illegible]





لوحة (٢٦٧)





لوحة (٢٦٦)



٢٧٠ [illegible]



٢٦٩ صورة توضح عروس تسير في شارع بين القصرين (ق ١٣ هـ / ١٩ م)

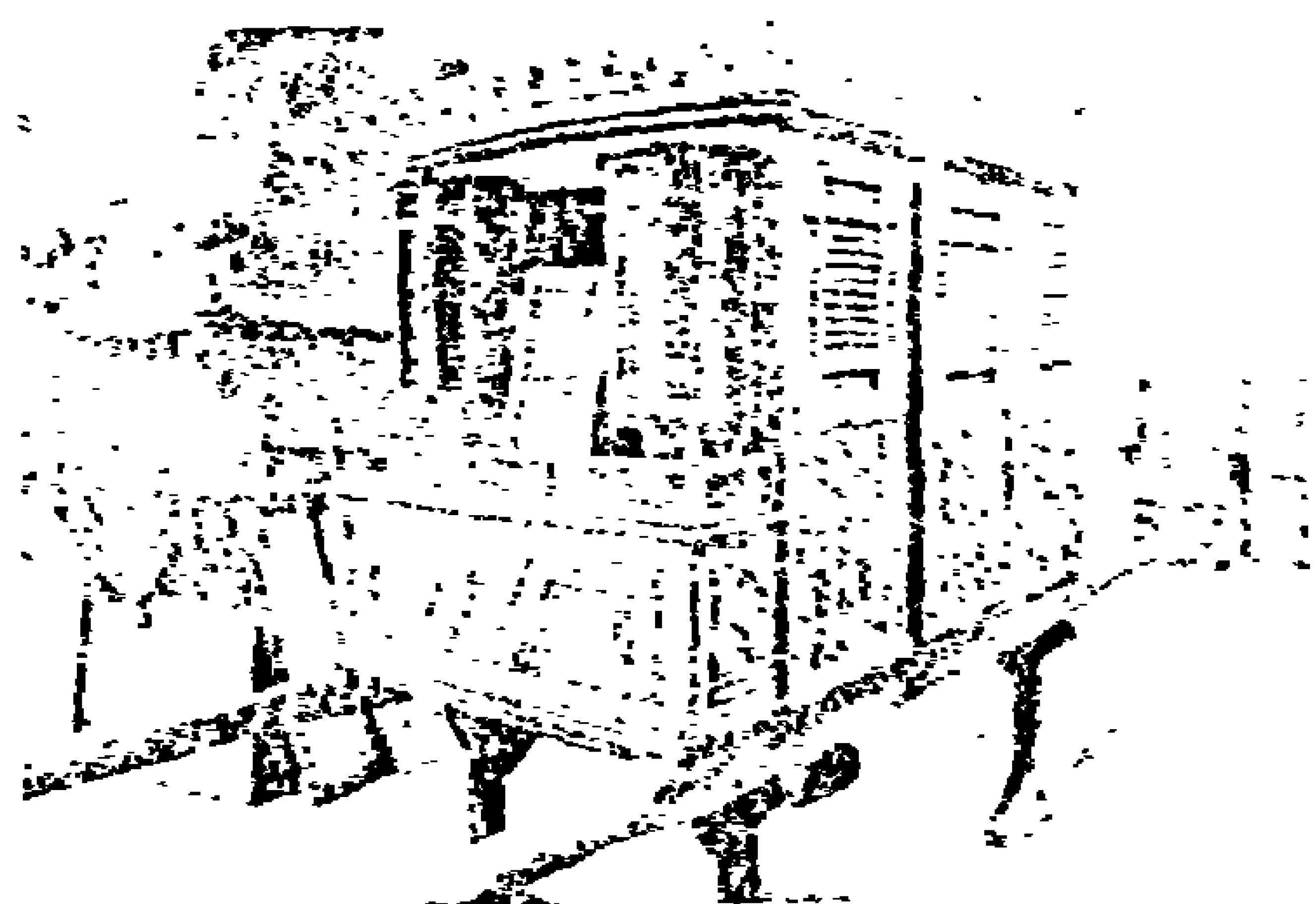
Hay R.: Illustrations of Cairo, London 1840,
[illegible]



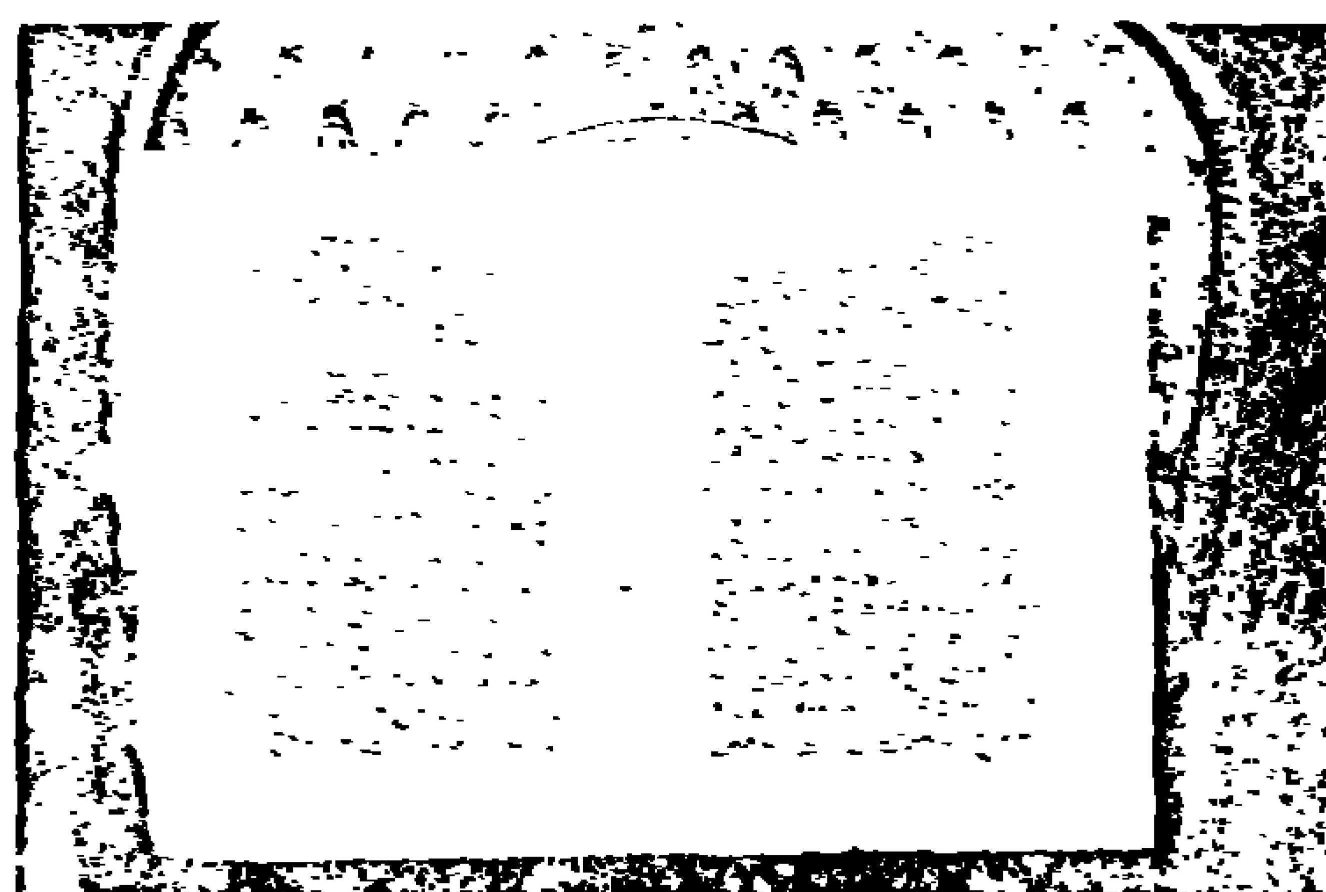
لوحة (٢٧١) منظر يمثل زواج في القاهرة . عن :
Ebers: L'Egypte du Caire Aphilae, T. II, P. 103.



لوحة (٢٧٢) زفة عروس . عن :
Lane-Poole: Op. Cit., P. 161.

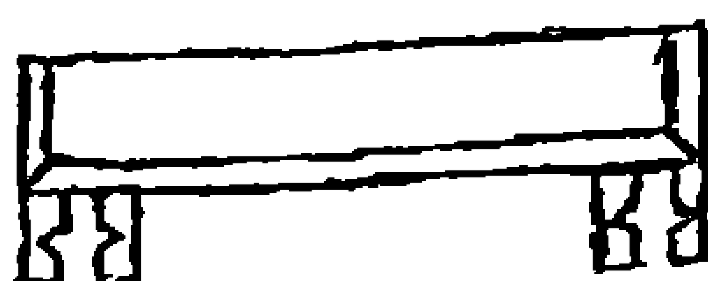


٢٧٣ هودج من الخشب [illegible] خاص بزفة العروس ق ١٢–١٣هـ [illegible]
المتحف الإسلامي في القاهرة - ينشر لأول مرة .

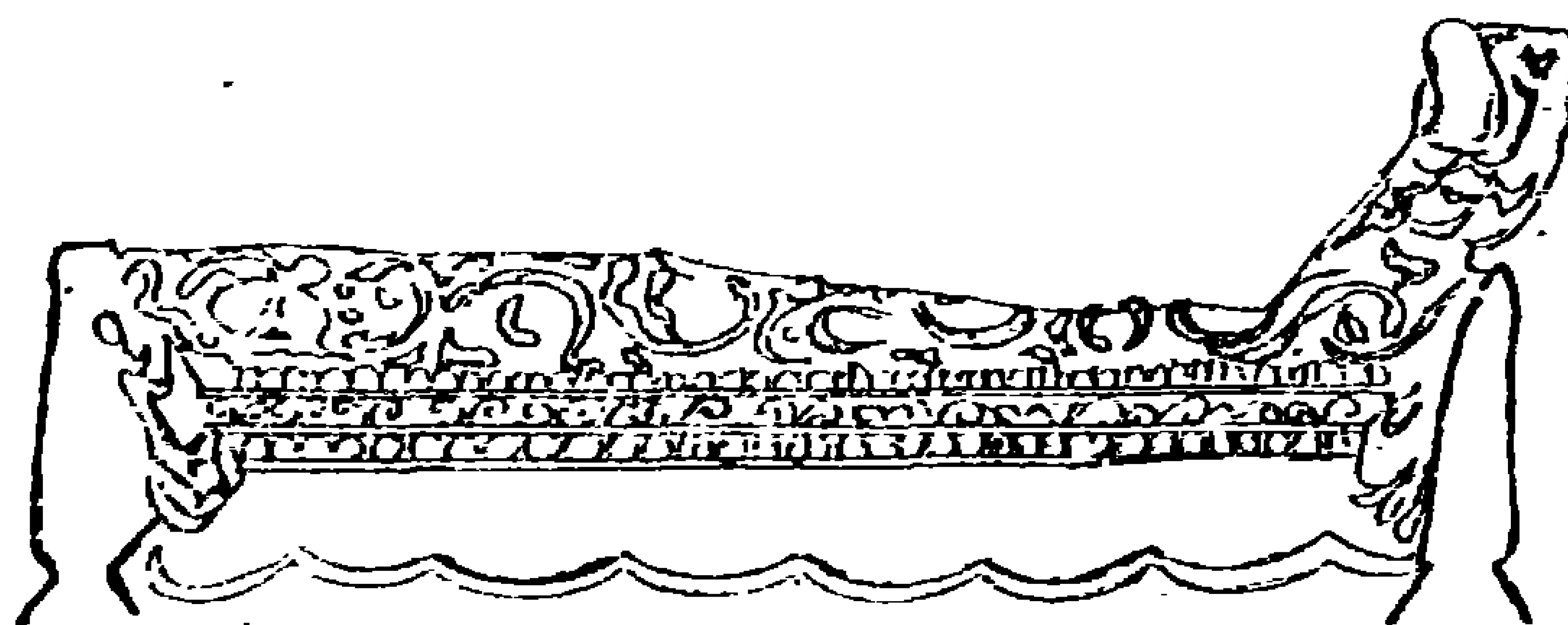


٢٧٤ ورقة حجة شرعية صياغة التزويج [illegible]
مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٦٠٧٩ ل .

(عمل الباحثة)



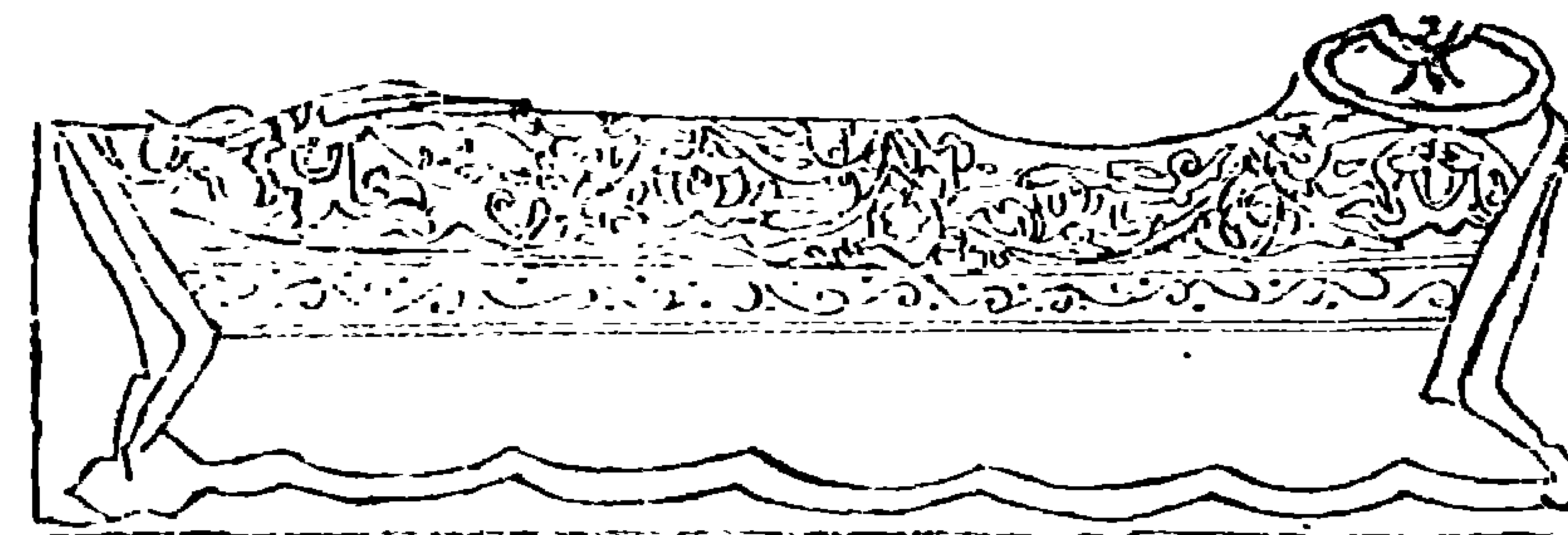
١ تخطيط لشكل سرير من عصر المماليك عن لوحة (١) .



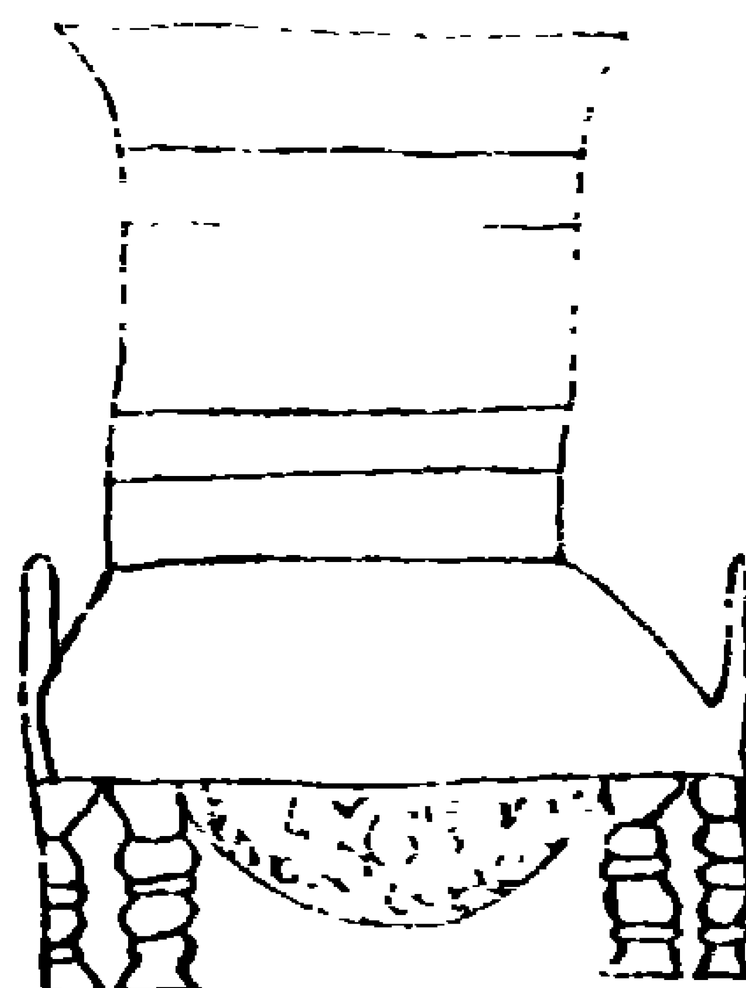
(٢) سرير عليه مفرش ومسند مخطوط يرجع الى ق ٧ هـ / ١٣ م عن : ثـــروت عكاشة : فن الواسطي من خلال مقامات الحريري ثيمر الورقة ١٦٠ .

٣ وسادة تأخذ شكل نصف دائري من مخطوطة ترجع الى عصر المماليك عـــن لوحة (٥) .





٤ سرير عليه مفرش ومخدة مدورة ـ ق ٧ هـ / ١٣ م عن لوحة (٤) .

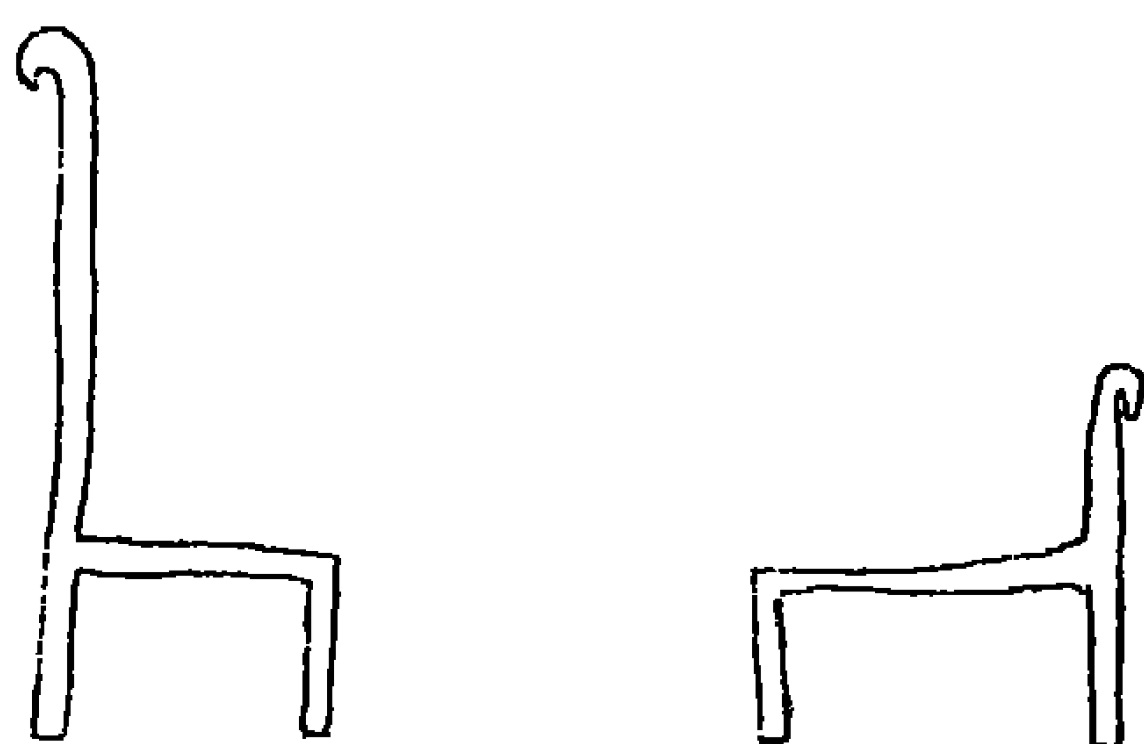


عمل الباحثة

كرسي مخير ومسند من مخطوطة ترجع الى عصر المماليك من مخطـــوط مقامات الحريري ـ ٧٣٤ هـ , ١٣٣٤ م عن :

Ettinghausen: Arab Painting, New York, [illegible].

(عمل الباحثة)



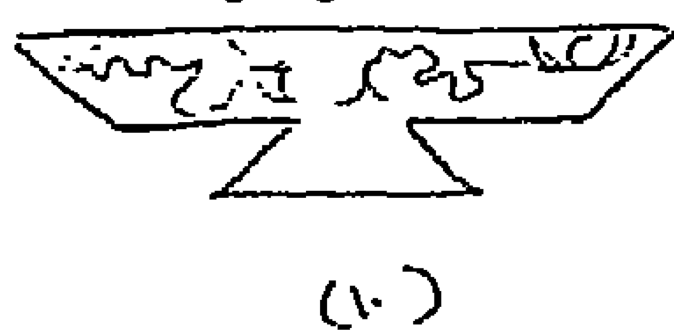
٦ كرسيان [illegible] من مخطوط يرجع الى ق ٧ هـ / ١٣ م . عن: [illegible]
[illegible] والسابع .





٨ ، ٩ كوسان ودورق موضوعة على صينية ، مائدة لحمل الطعام وقت الاكل
عن لوحة (١٢٧) .

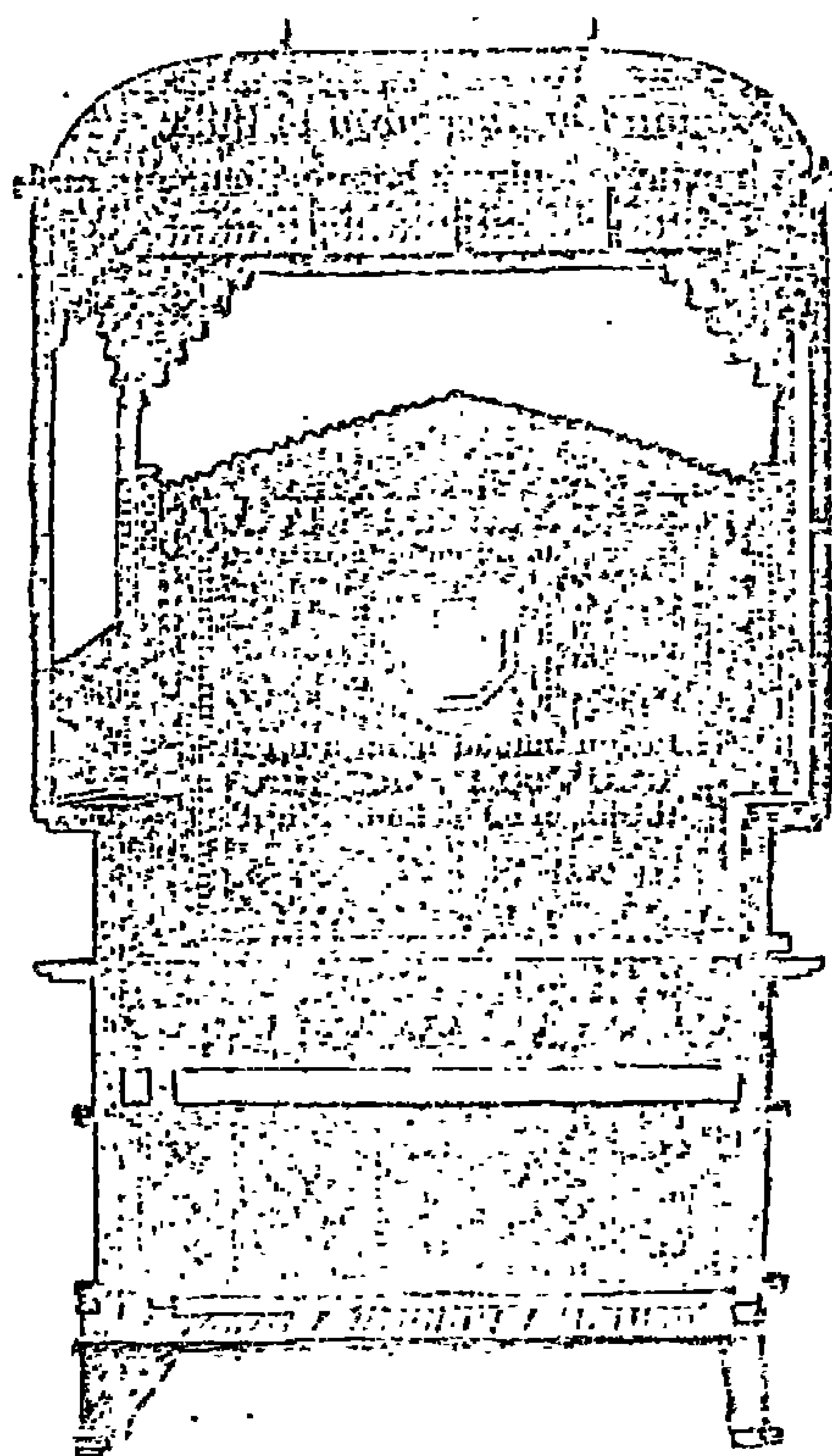
١٠ ، ١١ اناء لحمل الطعام أثناء الاكل في مخطوط مقامات الحريري ١٣٣٤ م
بالمكتبة الوطنية بفيينا . عن : عفيف البهنسي: الفن الاسلامي
لوحة رقم ٧٤ .



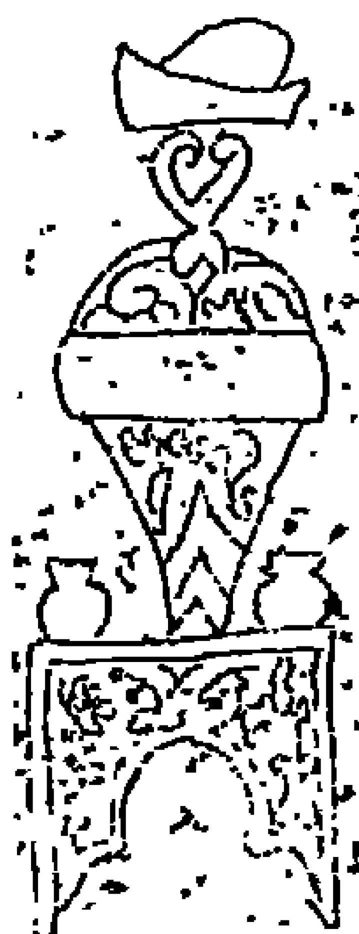
(١٠)



(١١)



كرسي المصاحف [illegible] عن :

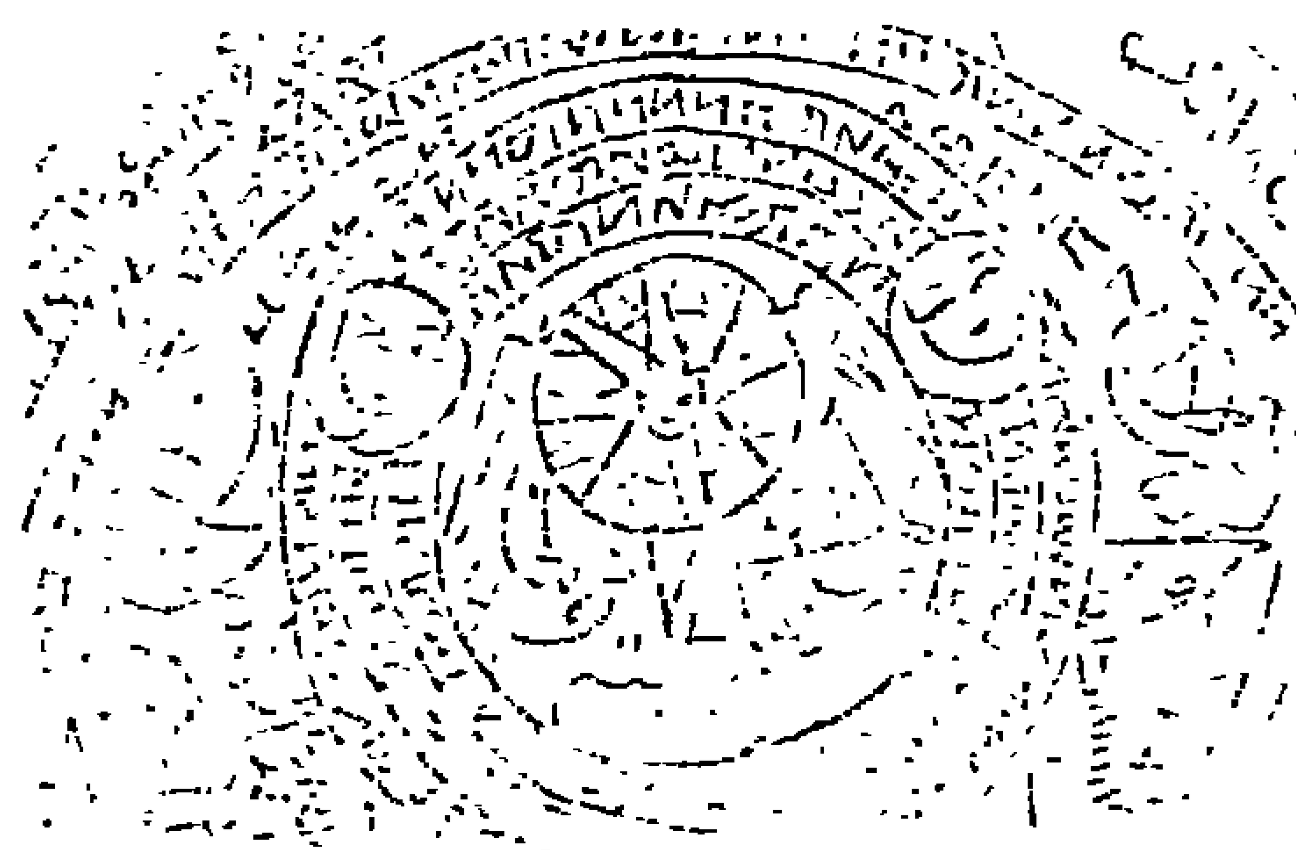


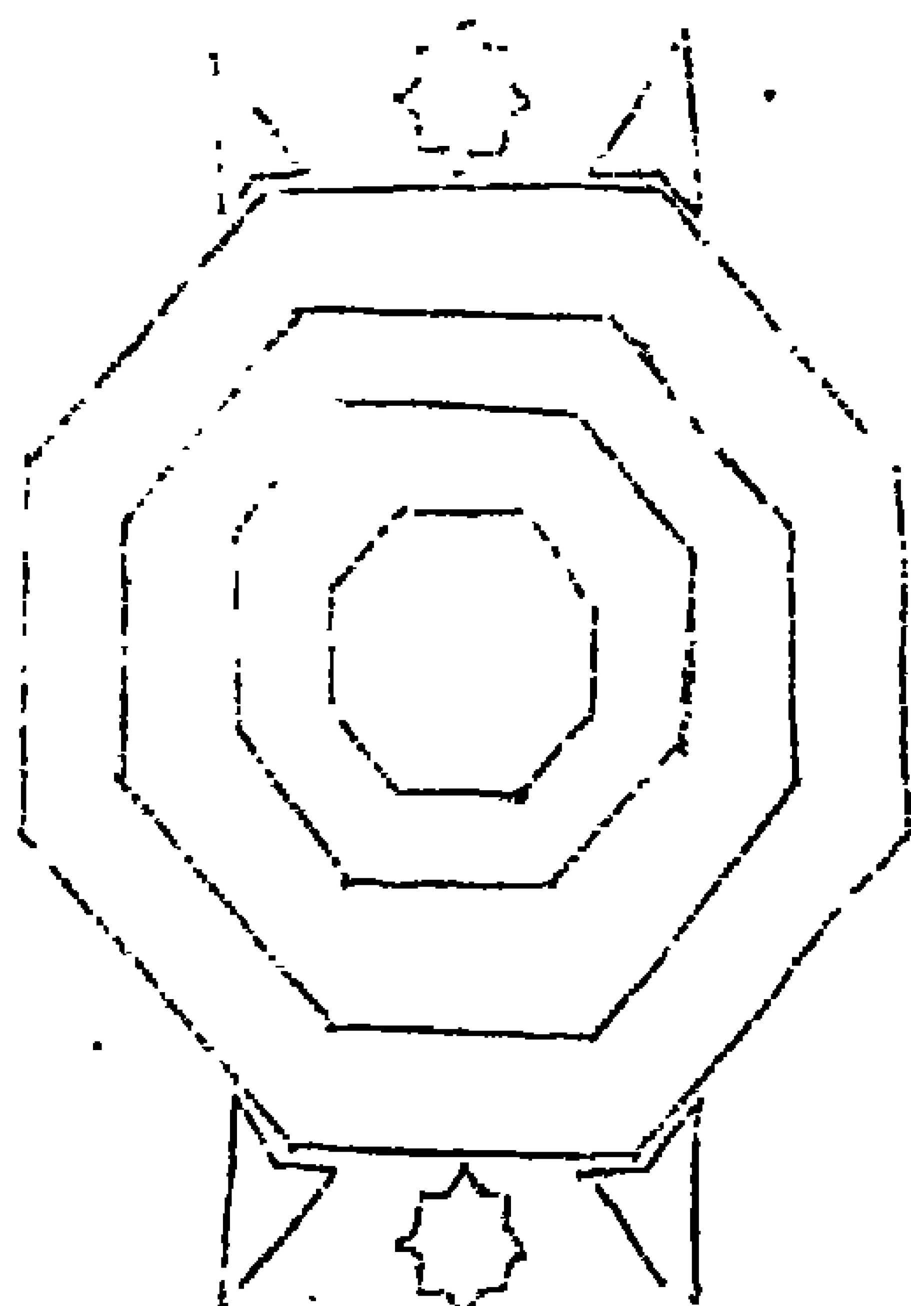
١٢ اناء لحمل [illegible] على [illegible] عن لوحة (١٥) .

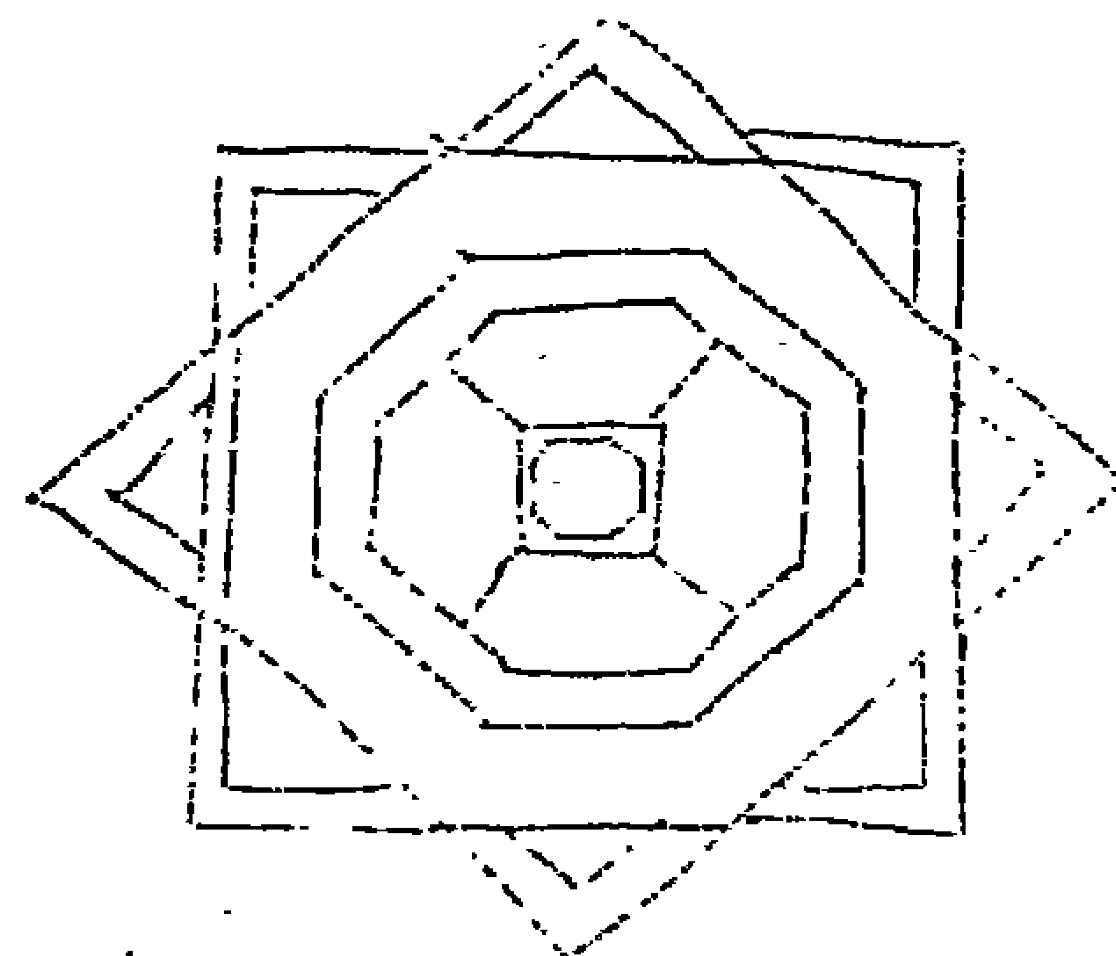
(عمل الباحثة)



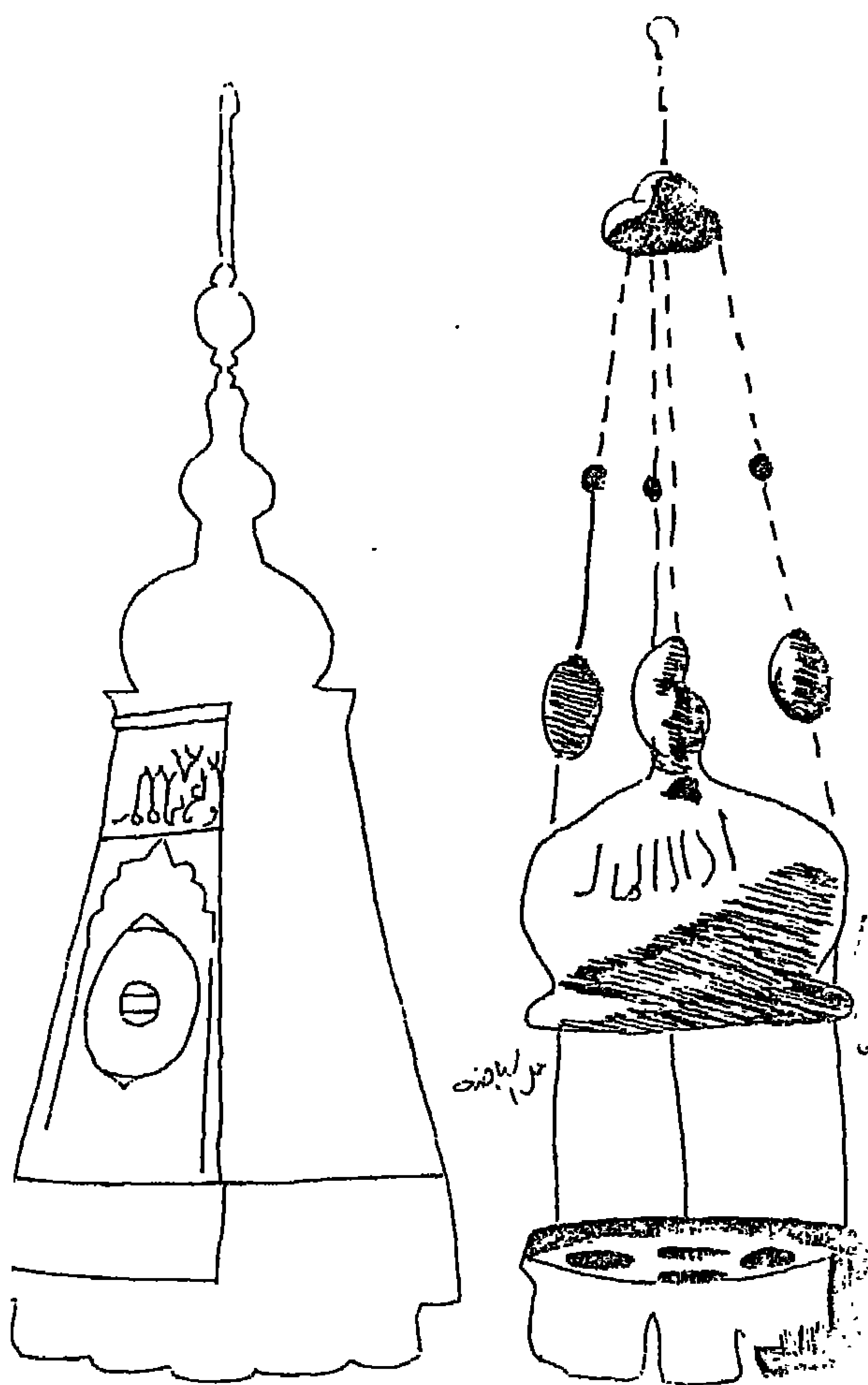
١٣ كتابات محززة ورسوم للأبراج على لوحة



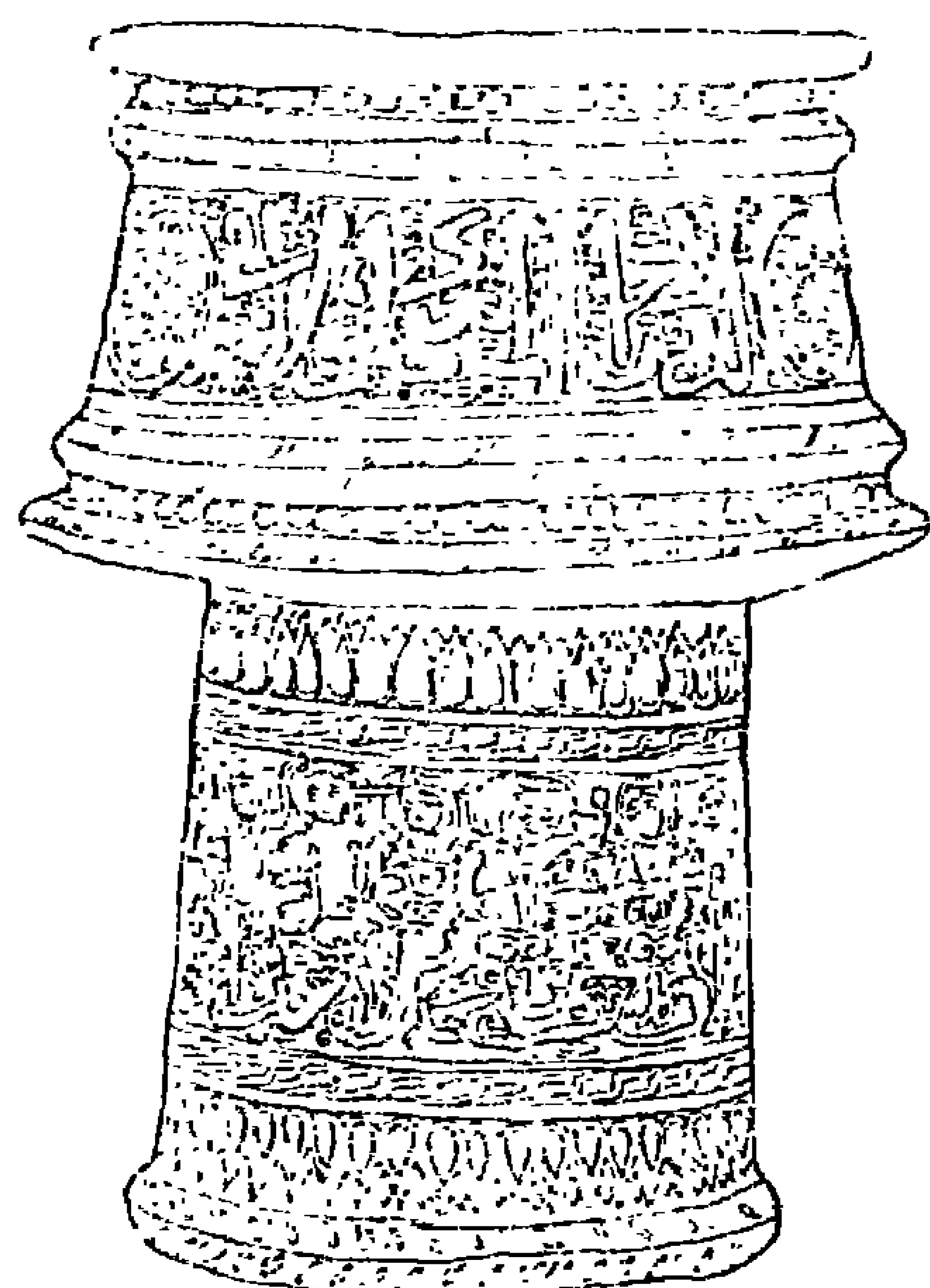




(عمل الباحثة)

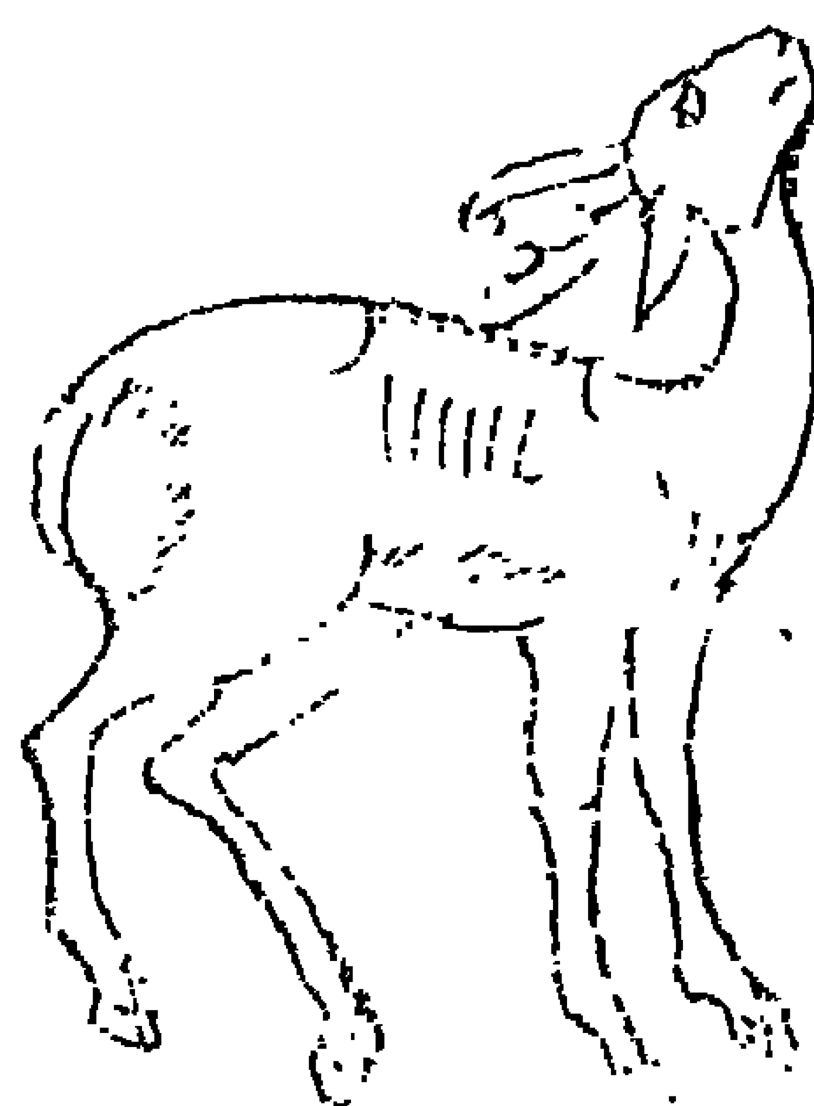


شكل (١٦) تفريغ لشكل تنوران من عصر المماليك ، الأول عن لوحة (١٤٢) .

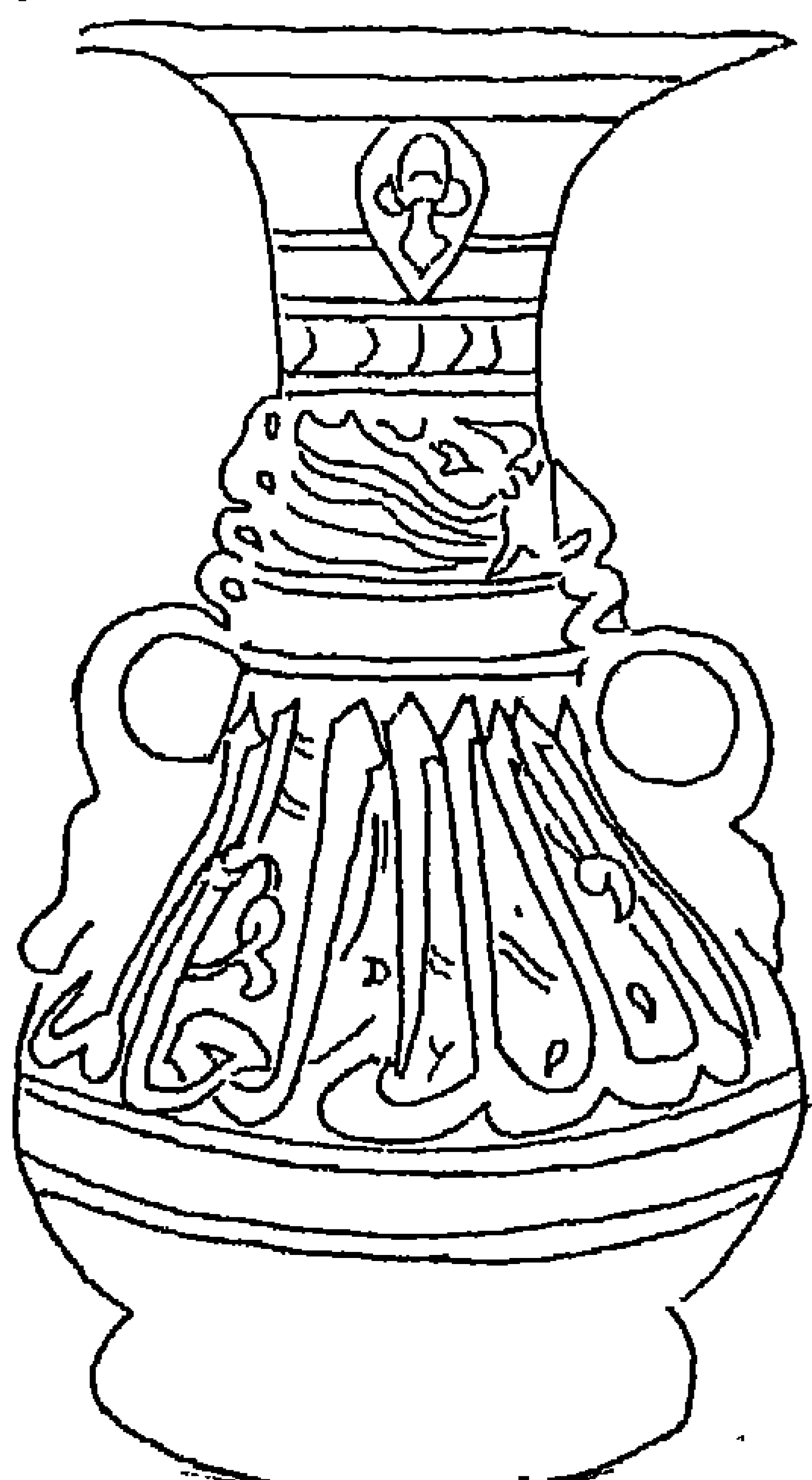


١٧ -

زخارف آدمية مرئية بشمعدان كتبغا محفوظ بمتحف الفن الاسلامي



شكل (١٨) غزال يزخرف قطعة من طبق من الخزف المرسوم تحت الطلاء المملوكي بمتحف الفن الإسلامي .

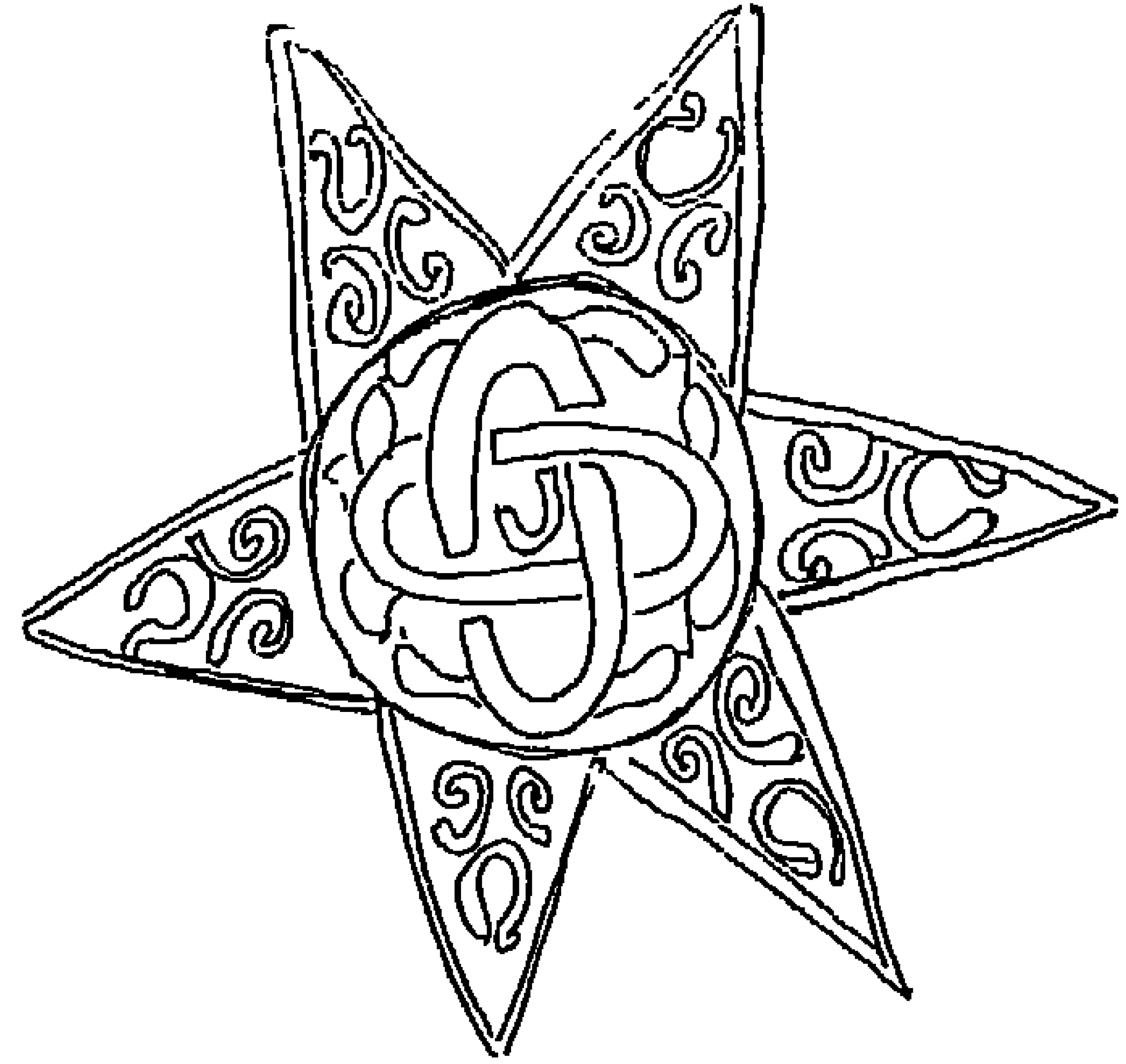


شكل (١٩) زهرية من الزجاج المموه بالمينا – عصر المماليك – عن : غادة قدومي : التنوع في الوحدة ، الكويت ١٩٨٧ ، ص١١٦ .

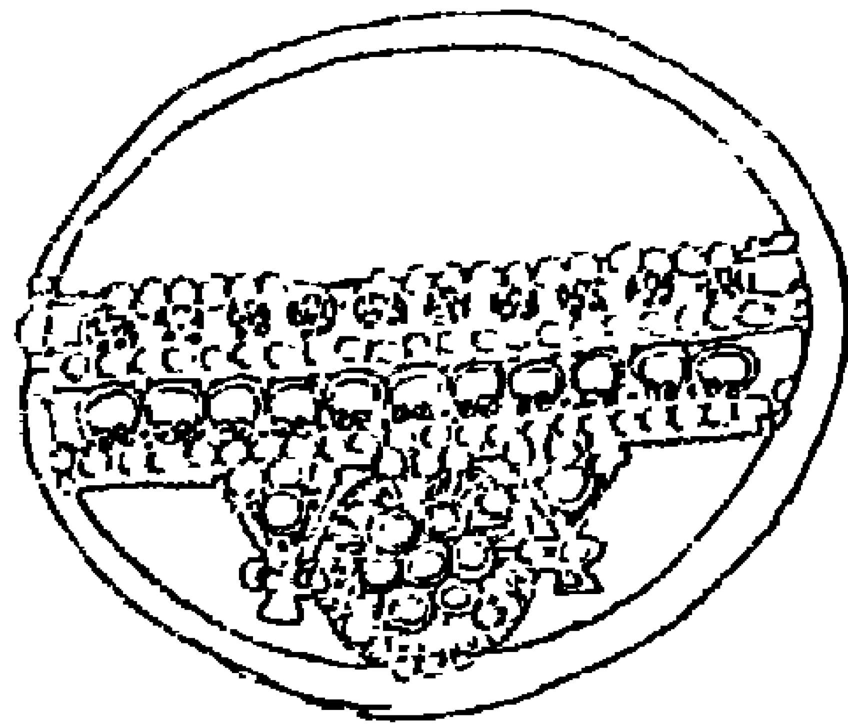


شكل (٢٠) زهرية من مخطوط يرجع إلى عصر المماليك عن : عفيفي البهنسي : المرجع السابق عن لوحة (٧٣) .

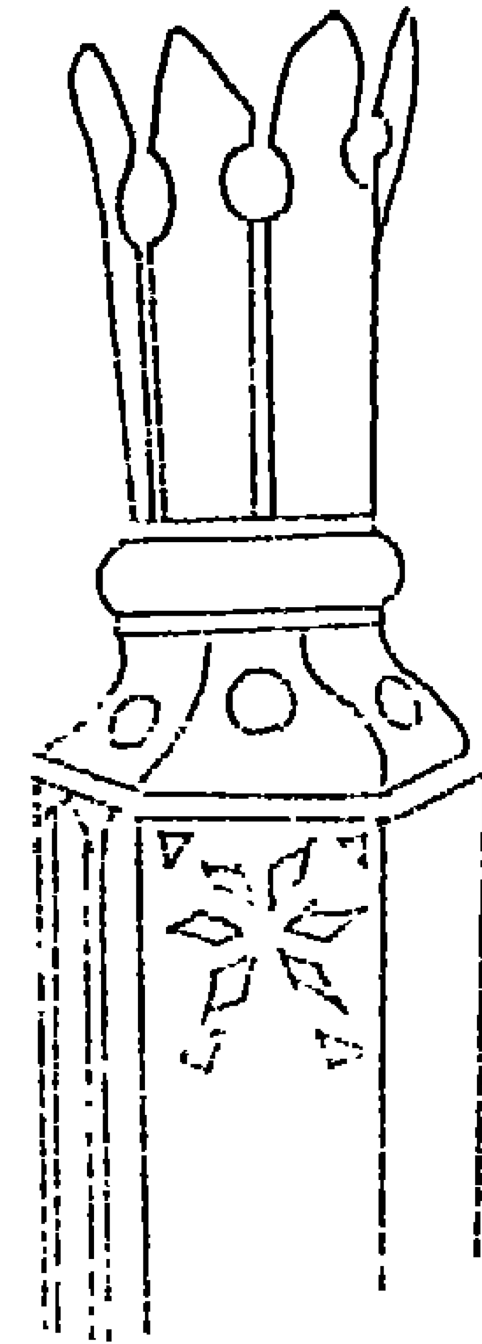
(عمل الباحثة)



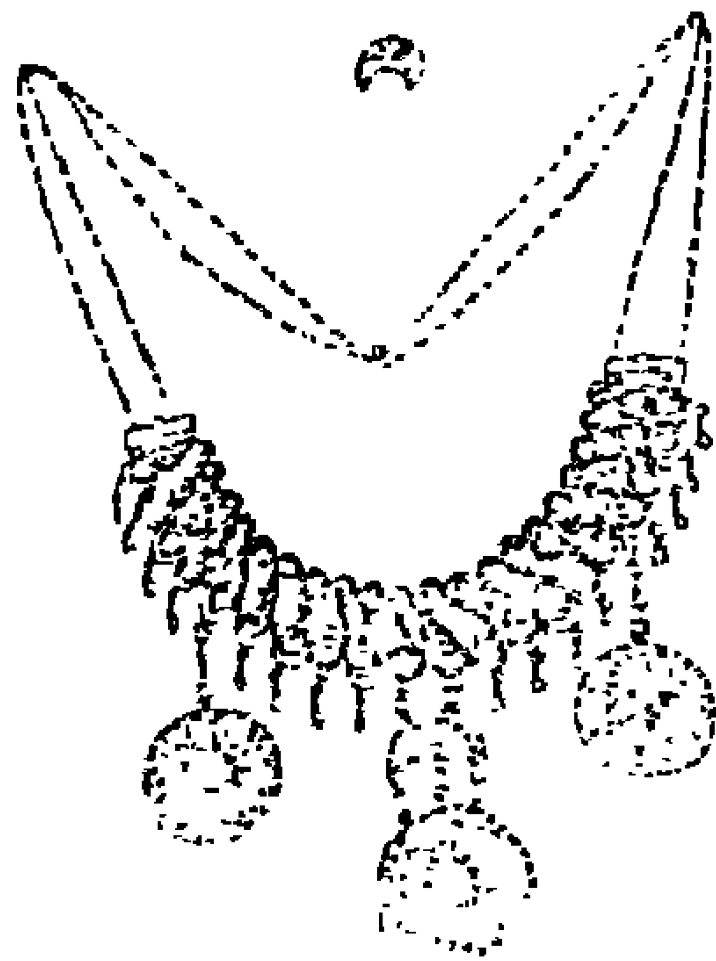
٢١ تفريغ الزخارف هندسة على حلية (لوحة ٢١٠) .



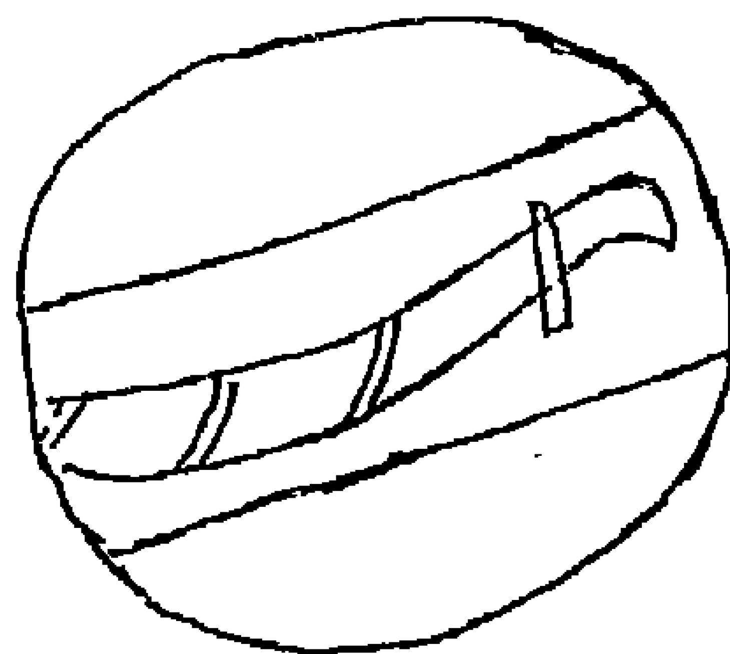
٢٣ زخارف هندسة على قرط (لوحة ٢٠٣) .



شكل (٢٢) تفريغ الزخارف هندسية على حلية عن لوحة (١٧١) .

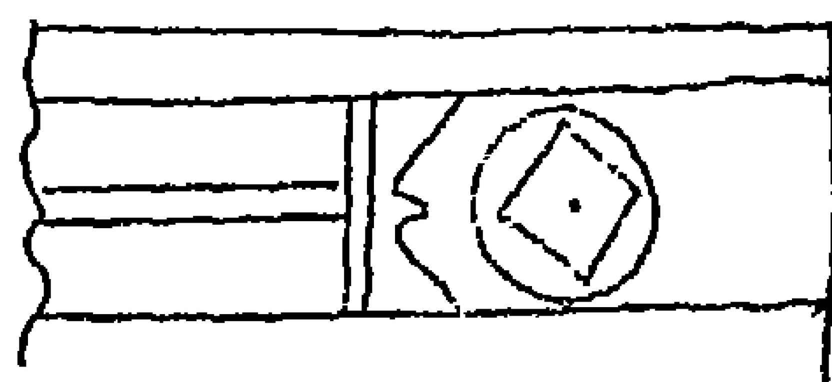


٢٤ [illegible]



٢٥ رنك السيف على صينية عن لوحة (١١٩ ، ١٢٠) .

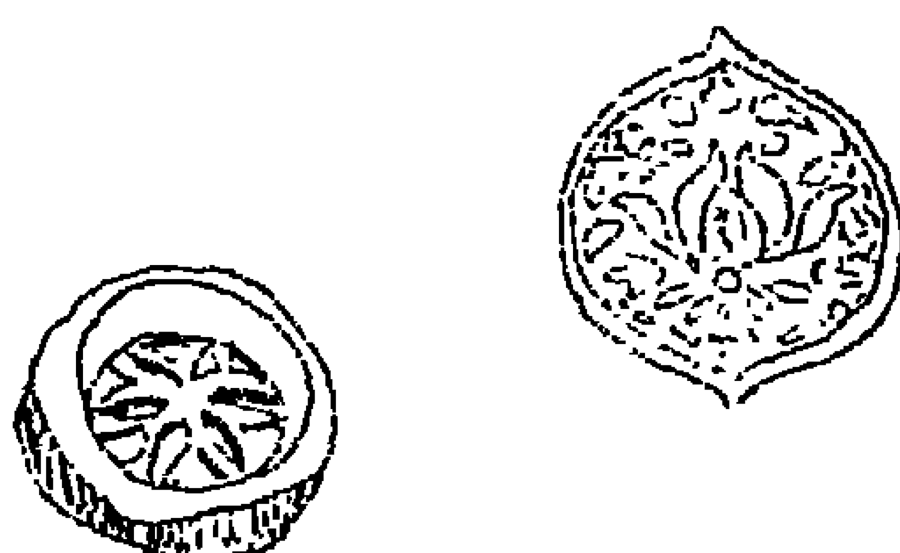
(عمل الباحثة)



٢٦ رنك به شارة السنجة في الجزء الأوسط من صحن - ق ٩ هـ / ١٥ م بمتحف الفن الإسلامي برقم ٤٩٣٢ .



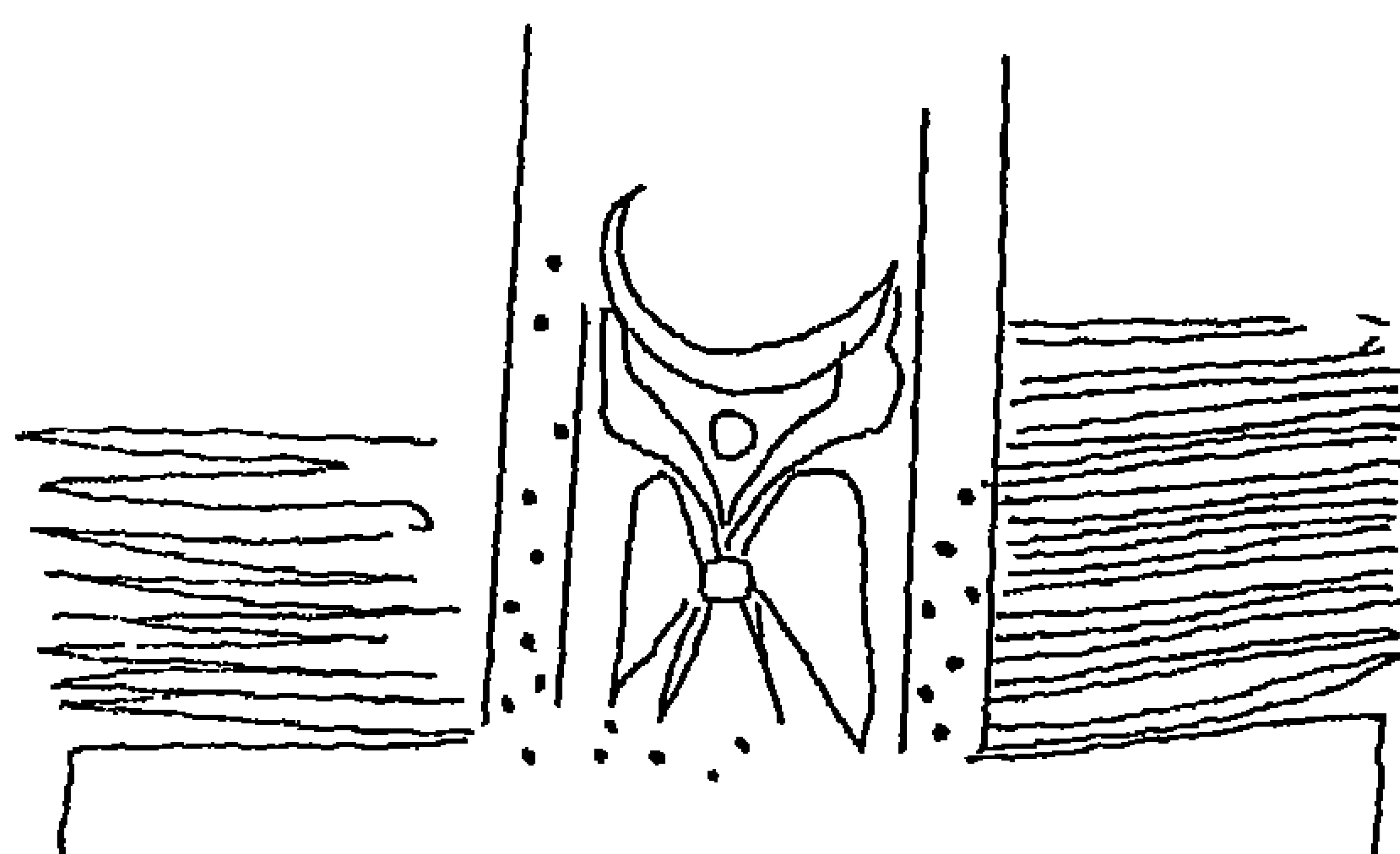
٢٧ زخارف نباتية على صحن - مصري ق ٨ هـ / ١٥ م بمتحف الفن الإسلامي برقم ٩٠١٥ .



٢٨ زخارف نباتية تزخرف أساسك تطل على لوحة ٨٤ .

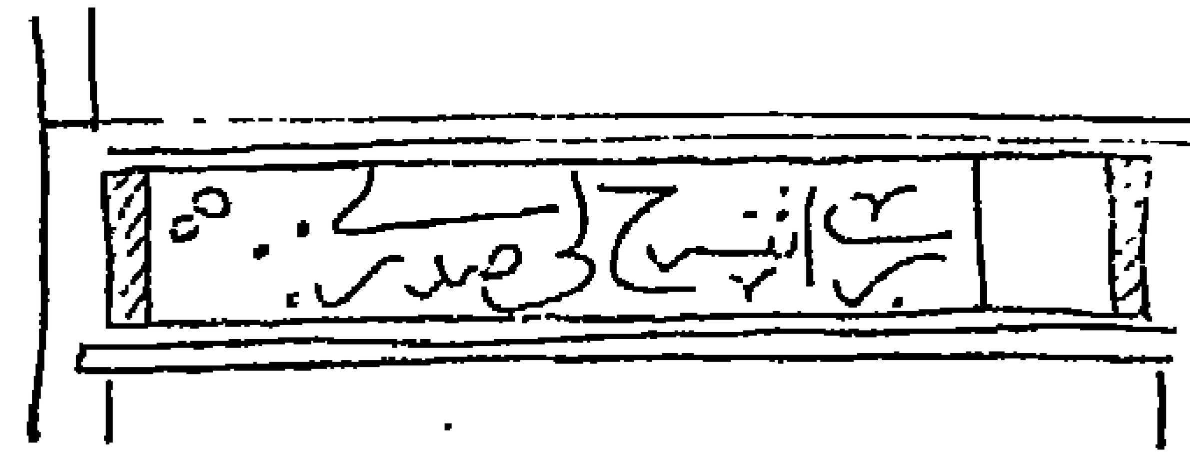


٢٩ زخارف طيور تزخرف جزء من طبق مرسوم تحت الطلاء من عصر المماليك محفوظة بمتحف كلية الآثار .

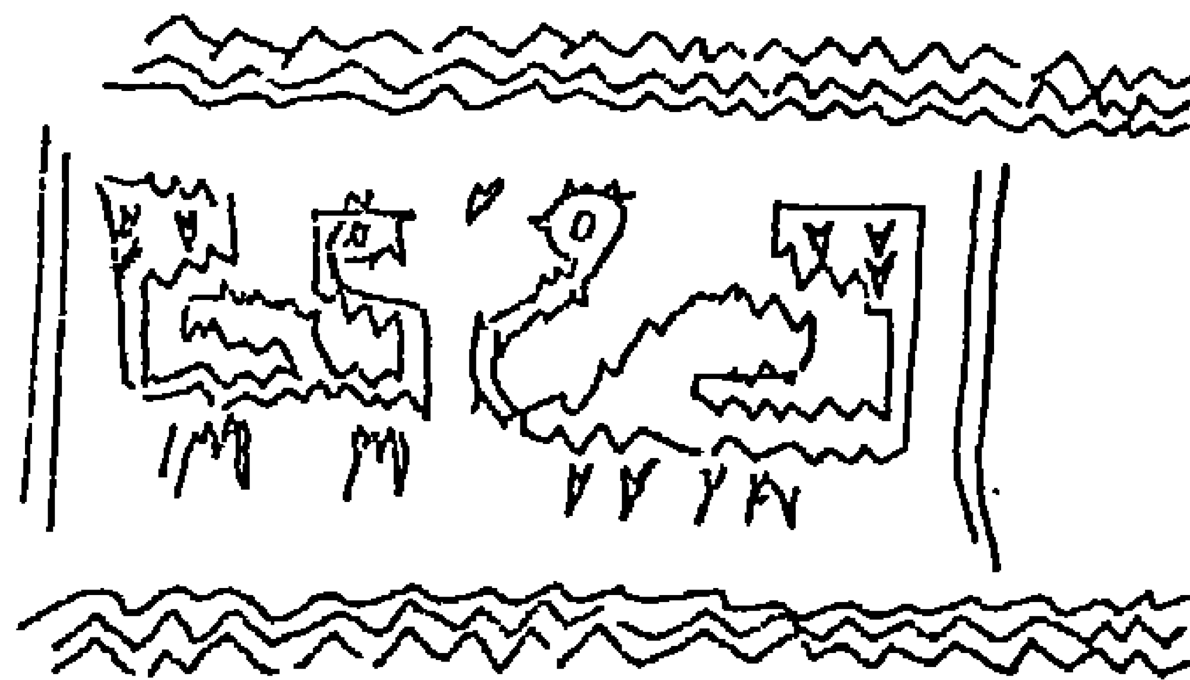


٣٠ زخرفة لطائرين متقابلين من عند الرقبة في لوحة (١٤٩) .

(عمل الباحثة)

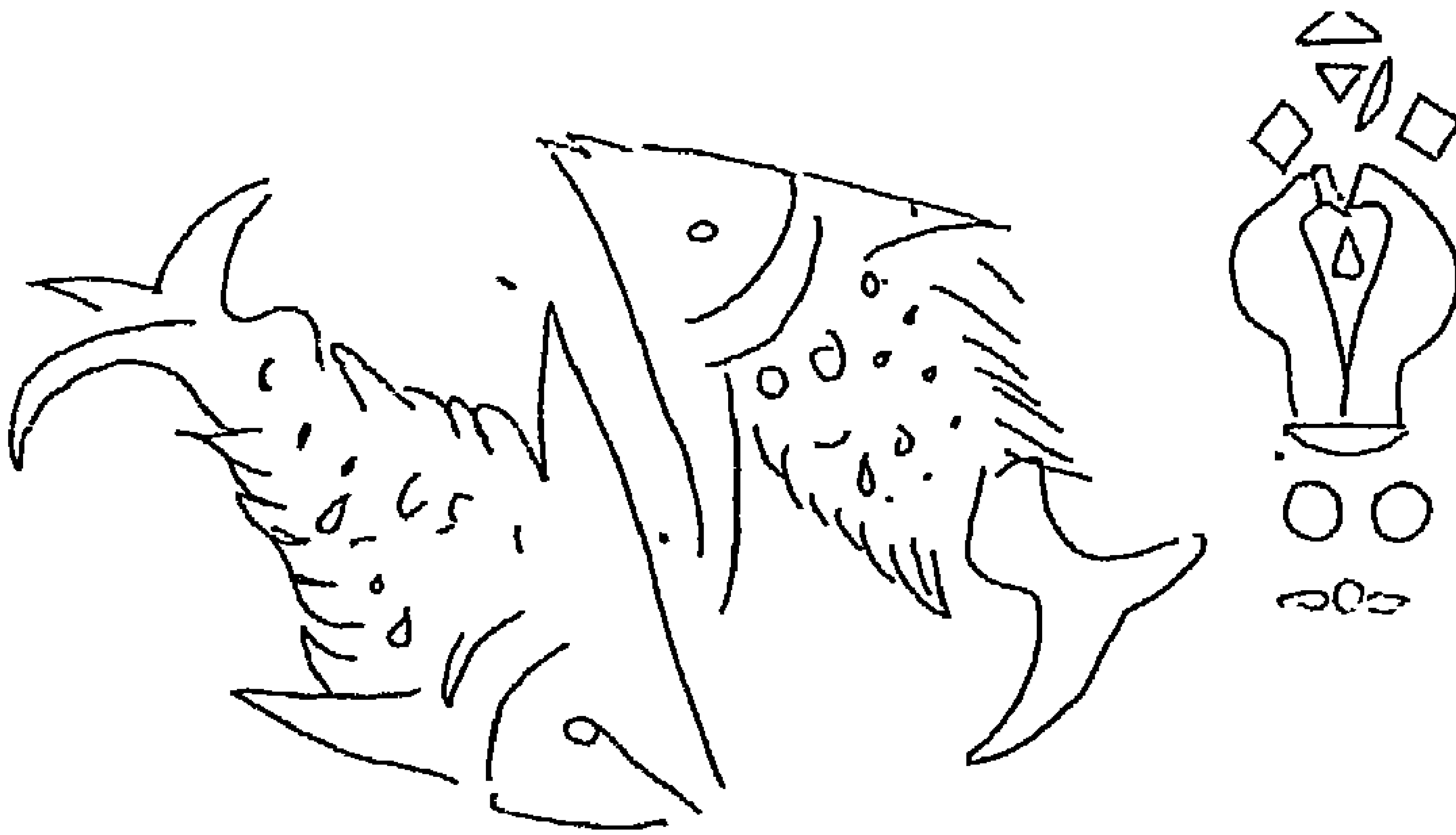


٣١ زخرفة كتابية نرخرف مشط - مصر ق ٩هـ/١٥م محفوظ بمتحف الفن الاسلامي برقم ٢٦١٤ .

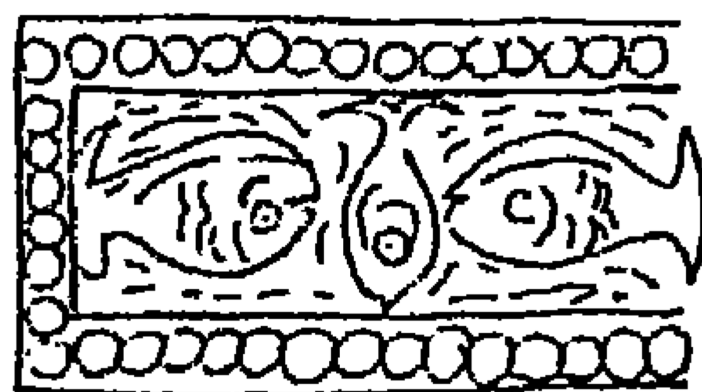


٣٢ زخرفة عمارة عن طائرين متقابلين عن لوحة (١٥٦) .

٣٣ زخرفة طائرين متقابلين بالرأس متدابرين بالجسد ترجرد بفرد قبقاب من خشب مطعم بالبني - مصر ق ٩ هـ/١٥م بمتحف الفن الاسلامي رقم ٤٩١٥ .

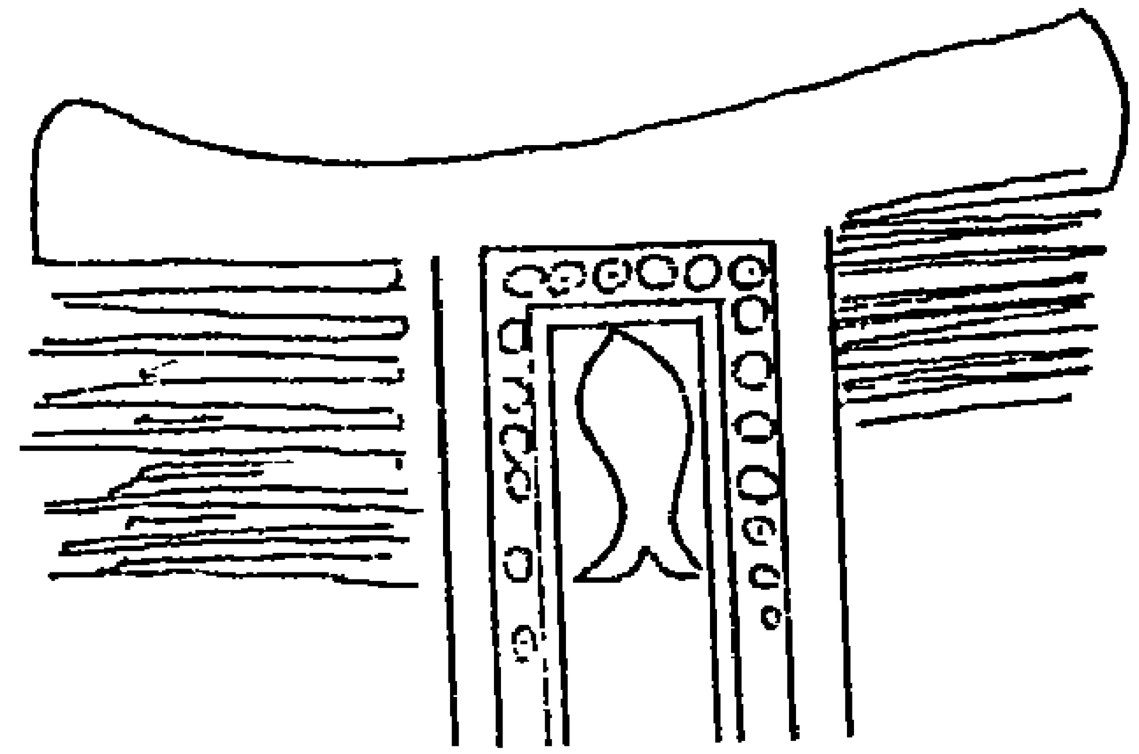


٣٤ - زخرفة سمكتين كل منهما في اتجاه مخالف للأخرى (لوحة ٦٢)



٣٥ سمكتان في وضع أفقي بينهما سمكة في وضع رأسي (عن لوحة ١٤٧).

(عمل الباحثة)



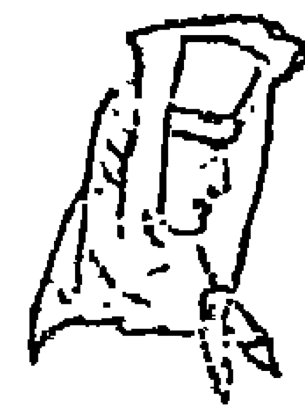
شكل (٣٦) زخرفة عبارة عن سمكة عن زخارف لوحة (١٤٨) .



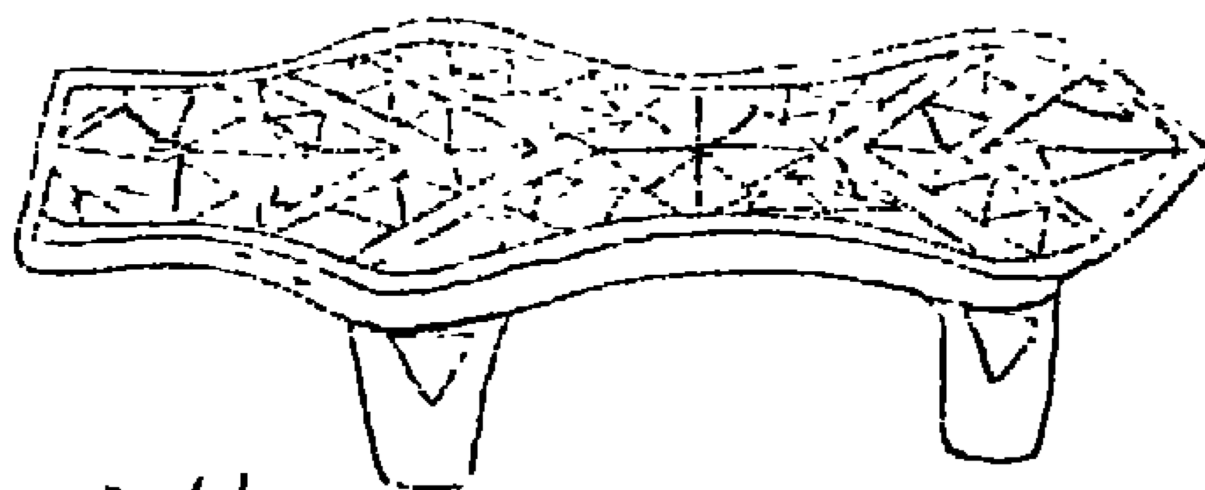
٣٧ سيدة بملابس الخروج عن لوحة (٢٢١) .



٣٨ سيدة بملابس الخروج عن لوحة (٢٢٢) .

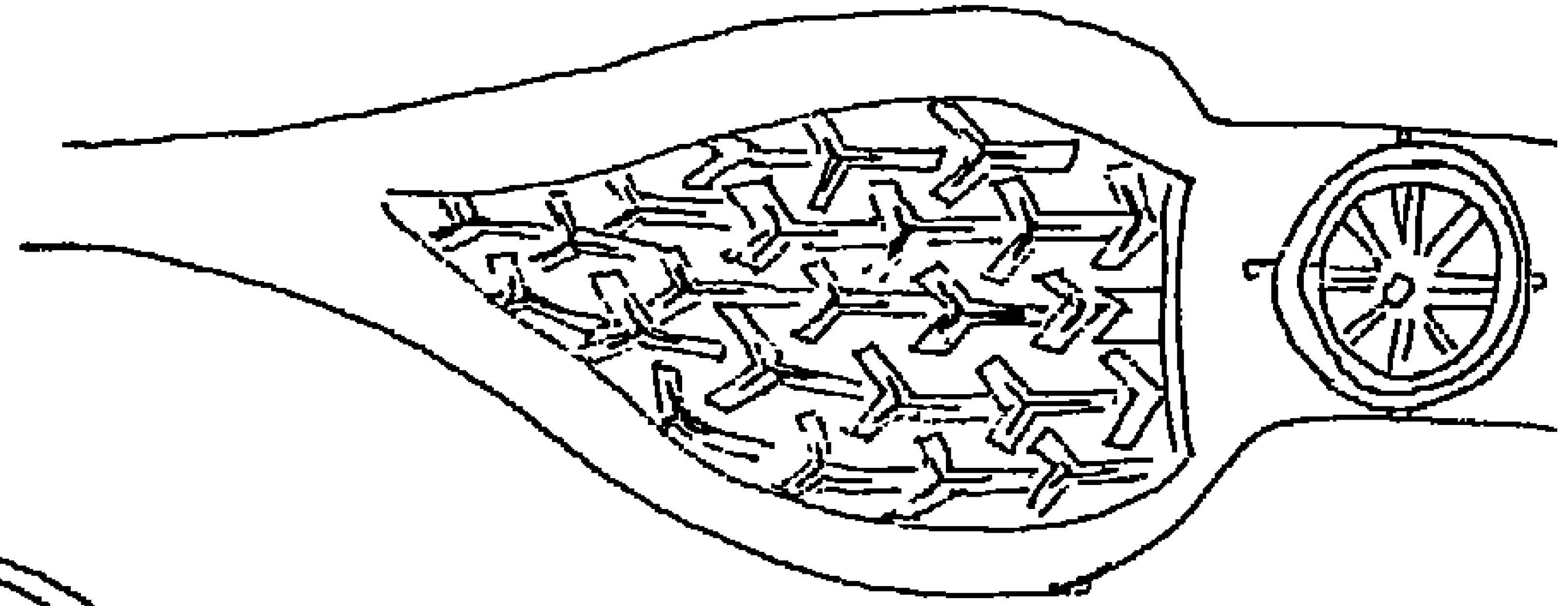


٣٩ غطاء رأس سيدة مرصع عن لوحة (٢٣٨) .

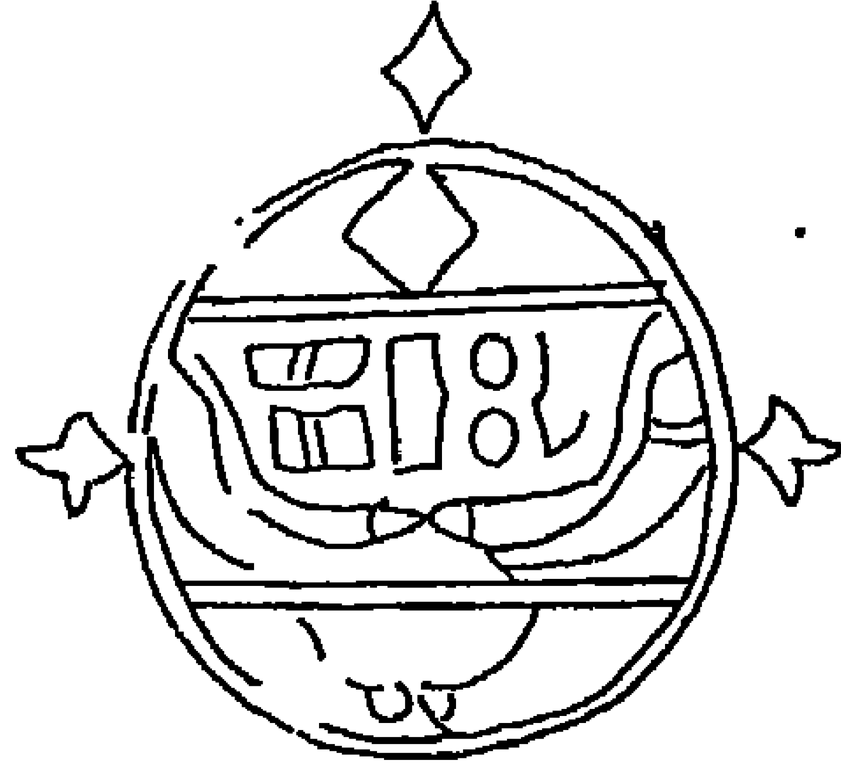


٤٠ زخارف هندسية على قبقاب لوحة (١٤٩ ، ٢٥٠) .

(عمل الباحثة)



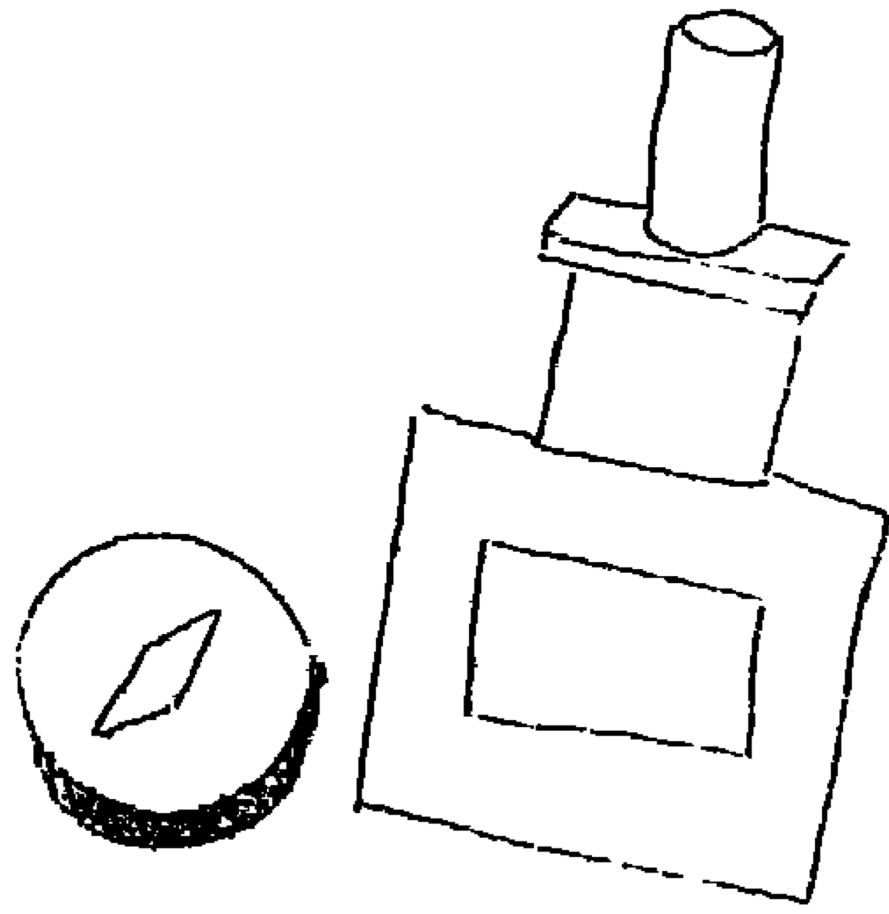
٤١ زخارف هندسية على بد متفاة (لوحة ٧٩ ، ٨٠) .

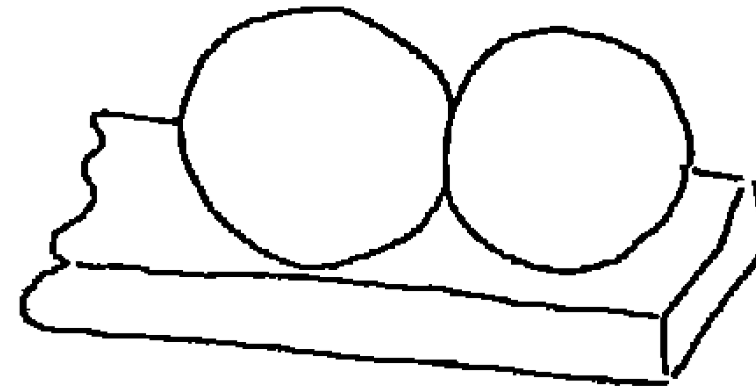


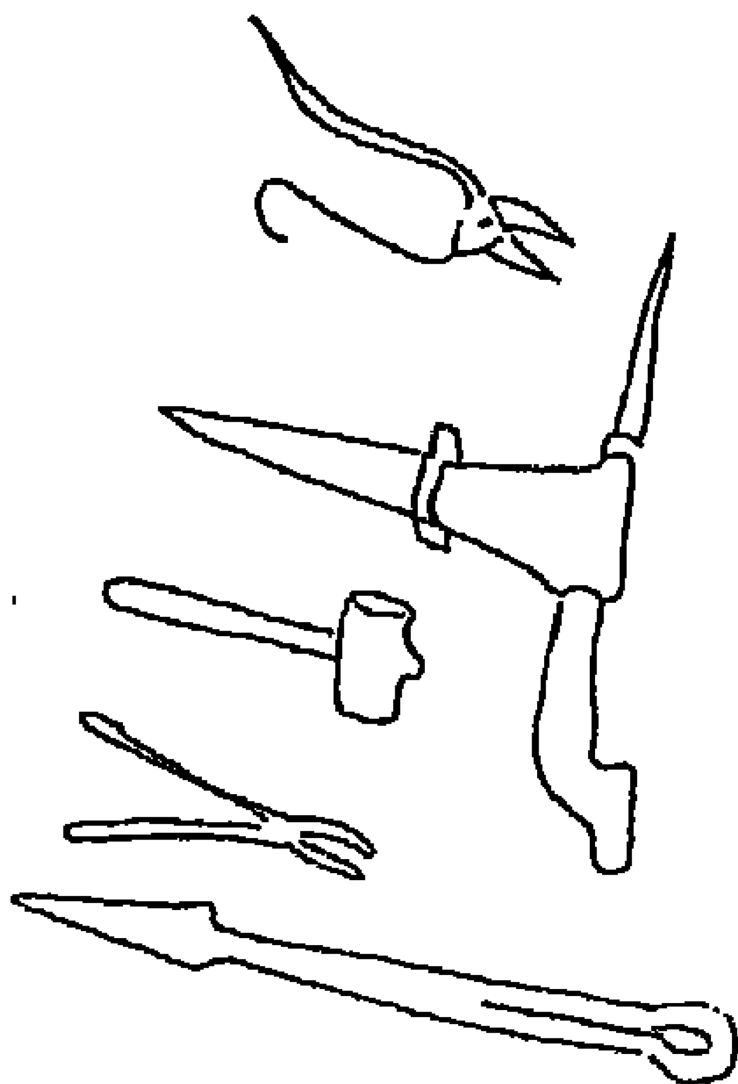
٤٢ شارة تضم ثلاث رنوك (البقجة والدواة والكأس) لوحة (٤٩) .

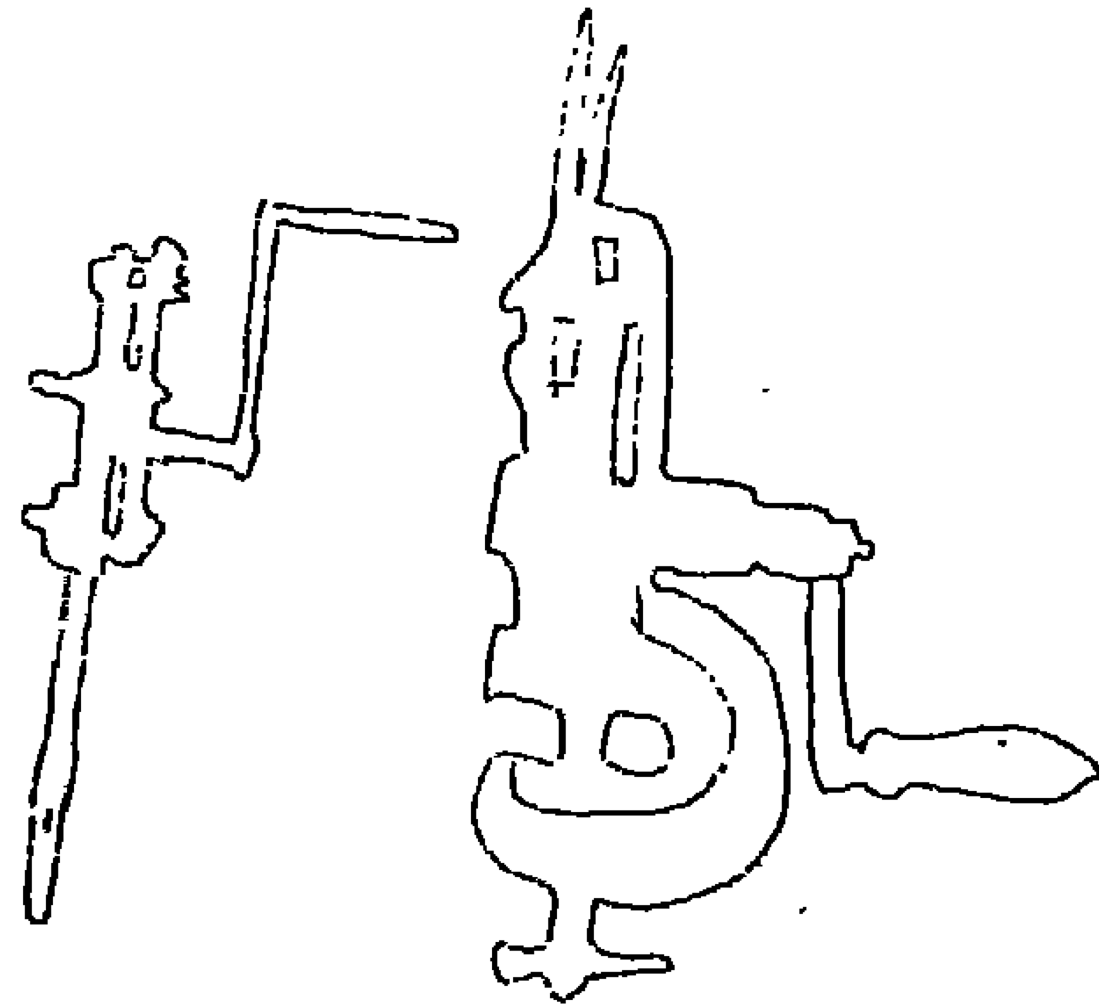


٤٣ تفريغ الزخارف مدببة (لوحه ٥٢)









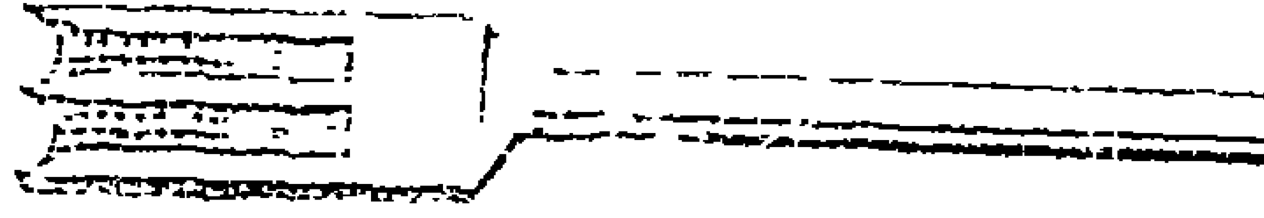
٤٤ بعض أدوات صناعة التحلي عن : علي رس العامدي: المتاع الشعبي .

(عمل الباحثة)



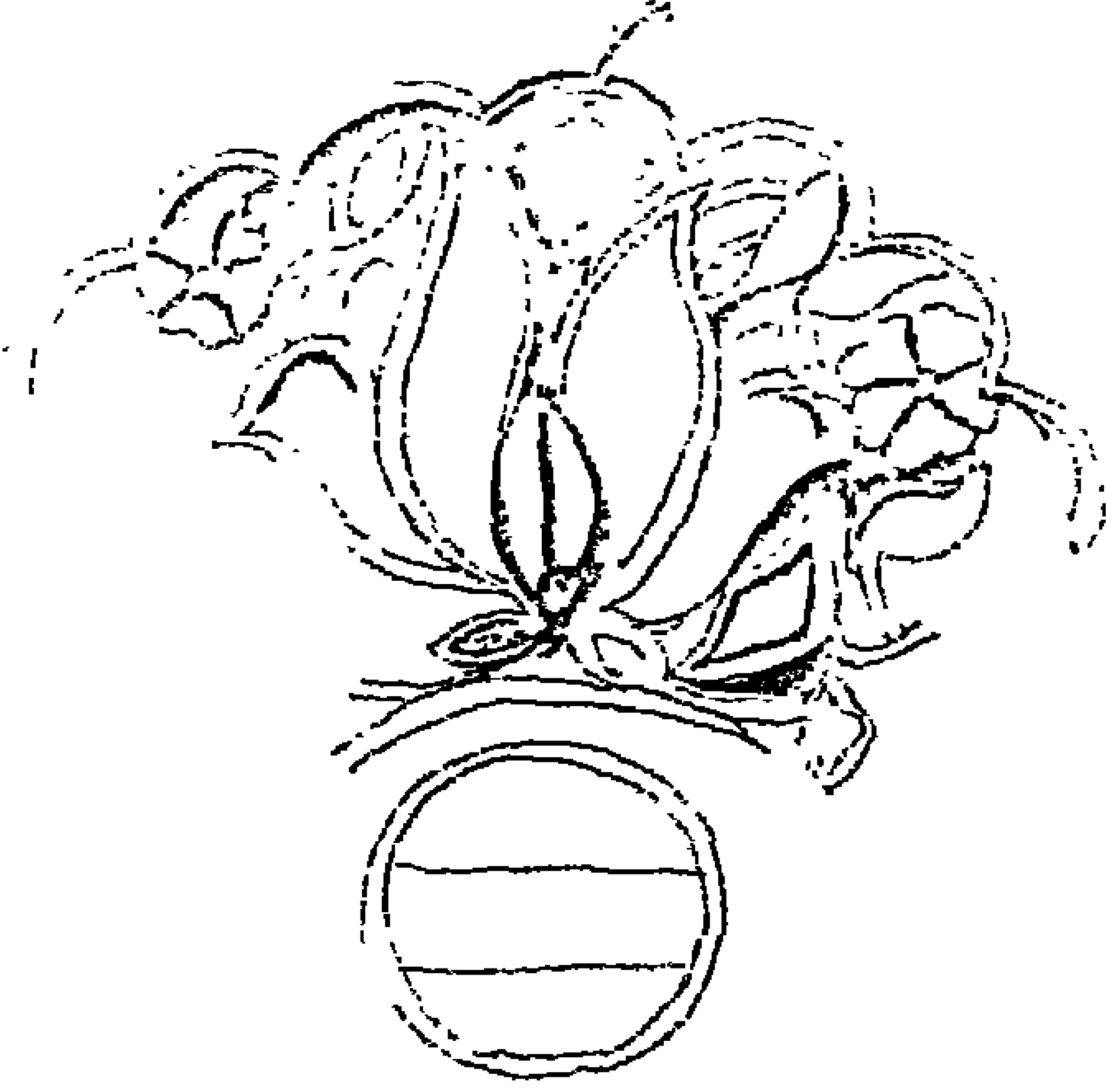
شكل (٤٤) بعض أدوات صناعة الحلى عن : على زين العابدين : المصاغ الشعبى .

شكل (٤٥)

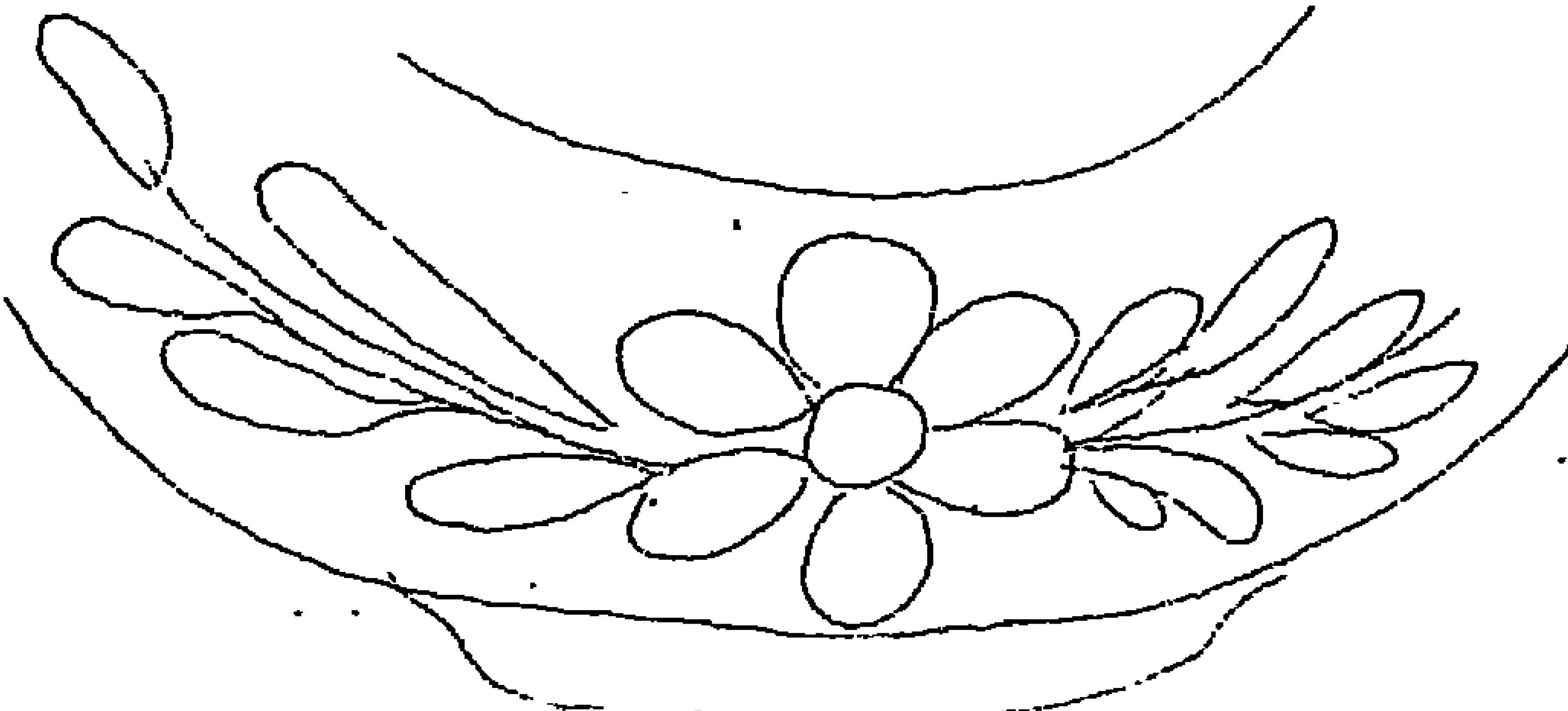


شكل ٤٦ – ٤٨ بعض أدوات النجارة : دقاميق .





شكل (٤٩) زخرفة عبارة عن زهرة لوتس متفتحة عن لوحة (١٩٢) .



شكل (٥٠) زخرفة نباتية من وريدة من ٦ بتلات يخرج منها فرع نباتى به أوراق من جهتيها اليمنى واليسرى عن لوحة (٤٠) .

المصادر والمراجع

العربيـة والأجنبيـة

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر العربية المخطوطة :

- ابن دانيال الموصلى (شمس الدين محمد) :

طيف الخيال – مخطوط فى مجلد بدار الكتب المصرية بالقاهرة – الخزانة التيمورية رقم ١٦ ألعاب .

- ابن رسول (الملك المظفر يوسف بن عمر بن على – ت ٦٩٤ هـ)

كتاب المخترع فى فنون من صنع، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٦٠٧٩ ل .

- ابن ساعد الأنصارى (محمد ابن إبراهيم) :

نخب الذخائر فى أحوال الجواهر، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٨٦ طبيعيات تيمور.

- ابن عبيد الإسكندرانى (عطا الله) :

الأربعون حديثاً فى فضل الحناء، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٢١٦٣١ ب .

- ابن وصيف شاه (إبراهيم) :

- كتاب تاريخ أخبار الديار المصرية وما فى ذلك من جواهر البحور ووقايع الأمور وعجايب الدهور، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٥٧ الخزانة الزكية .

- تشريف الأيام والعصور بسيرة الملك المنصور قلاوون ، مخطوط بدار الكتب المصرية – لم يعلم مؤلفه – برقم ٢٢٢٦ تاريخ تيمور، الأجزاء ١، ٢ عن نسخة خزانة باريس .

- الوصلة إلى الحبيب فى وصف الطيبات والطيب :

- مخطوط فى مجلد يرجع إلى القرن الثامن الهجرى – بدار الكتب المصرية برقم ٦١ صناعة تيمور (مصور من خزانة باريس) .

ثانيا : المصادر العربية المطبوعة :

- القرآن الكريم .

- ابن الأثير (مجد الدين أبى السعادات المبارك محمد بن محمد الجزرى) :

النهاية فى غريب الحديث والأثر، الجزء الأول والثانى طبع القاهرة .

- ابن الأخوة (محمد بن محمد بن أحمد القرشى - ت ٧٢٩ هـ / ١٣٢٩ م) :

معالم القربة فى أحكام الحسبة، تحقيق د . محمد محمود شعبان وصديق أحمد عيسى، القاهرة ١٩٧٦ م .

- ابن إياس (أبو البركات محمد بن أحمد الحنفى ت ٩٣٠ هـ / ١٥٢٤ م) :

بدائع الزهور فى وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى (خمسة أجزاء فى ستة مجلدات . الطبعة الثانية - الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٢ م) .

- ابن ايبك الدوادارى (أبو بكر عبد الله ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م) :

كنز الدرر وجامع الغرر، الجزء التاسع (الدر الفاخر فى سيرة الملك الناصر) تحقيق هانس روبرت رويمر القاهرة ١٩٦٠ م .

- ابن بسام :

نهاية الرتبة فى طلب الحسبة، حققه وعلق عليه حسام الدين السامرائى، مطبعة المعارف بغداد ١٩٦٨ م .

- ابن بطوطة (محمد بن عبدالله اللواتى الطنجى ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م)

رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (بدأت رحلته ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م - ٧٥٤ هـ / ١٣٥٣ م) جزآن، دار الكتاب المصرى بالقاهرة، ١٩٦٦ م .

- ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف ت ٨٧٤ هـ / ١٤٧٠ م) :

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، ١٦ جزء (الأجزاء من ١ - ١٢) طبع دار الكتب القاهرة ١٩٢٩ - ١٩٥٦ م (والأجزاء من ١٣ - ١٦) تراثنا - القاهرة سنة ١٩٧٠ - ١٩٧٢ م .

المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى - ٤ أجزاء فى ٤ مجلدات ١، ٢، ٤ تحقيق د. محمد محمد أمين، ٣ تحقيق د . نبيل محمد عبد العزيز، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤ - ١٩٨٦ م .

- ابن الجوزى (أبو الفرج عبد الرحمن بن على) :

- صفة الصفوة ، حيدر آباد (الدكن - الهند) ، ١٣٥٥هـ
- المنتظم (حيدر آباد الدكن، ١٣٥٧ هـ) .

- ابن الحاج (أبو عبد الله محمد بن محمد العبدرى الفاسى الملكى ت ٧٣٧ هـ / ١٣٣٦م):

المدخل، ٣ أجزاء فى ٣ مجلدات، القاهرة، ١٣٢٠ هـ .

- ابن حبيب (الحسن بن عمر ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م) :

تذكرة التنبيه فى أيام المنصور وبنيه، الجزء الثامن، تحقيق د . محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢ م .

- ابن حجر (الحافظ شهاب الدين ابن حجر العسقلانى ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م):

- أنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق د . حسن حبشى ٣ أجزاء، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة ١٩٦٩ - ١٩٧٢ م .

- فتح البارى بشرح صحيح البخارى - إخراج وتبويب محمد فؤاد عبد الباقى ومحب الدين الخطيب - دار الريان للتراث الجزء العاشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٧ م.

- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م) :

مقدمة ابن خلدون، ٣ أجزاء، تحقيق د . على عبد الواحد وافى، مطبعة لجنة البيان العربى، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٦٠ م .

- ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) :

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار الثقافة ببيروت لبنان، المجلد السادس، تحقيق إحسان عباس .

- ابن دقماق (صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائى) ت ٨٠٩ هـ/ ١٤٠٦م):

الانتصار لواسطة عقد الأمصار، الطبعة الأولى - بولاق ١٣٠٩ هـ .

- ابن الزبير (القاضى الرشيد) :

كتاب الذخائر والتحف (ق ٥ هـ)

تحقيق د . محمد حميد الله، تقديم ومراجعة د . صلاح الدين المنجد، الكويت ١٩٥٩ م.

- ابن شاهين (غرس الدين خليل الظاهرى ت ٨٧٢ هـ / ١٤٦٨ م)

زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك - نشر بولس راويس - باريس ١٨٩٩م.

- ابن طولون :

مفاكهة الخلان فى حوادث الزمان، القسم الأول - القاهرة ١٩٦٢ م .

- ابن ظهيرة :

الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة (القرن العاشر) تحقيق مصطفى السقا وكامل المهندس - دار الكتب المصرية ١٩٦٩ م .

- ابن العماد (أبو الفلاح عبد الحى ت ١٠٨٩ هـ):

شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، تحقيق لجنة إحياء التراث العربى من دار الآفاق الجديدة، الجزءان الخامس والسادس فى مجلد، ببيروت .

- ابن الفرات (ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم ت ٨٠٧ هـ / ١٤٠٥ م) :

تاريخ ابن الفرات ، المجلدان السابع والتاسع، تحقيق وضبط د . قسطنطين رزيق، بيروت ١٩٣٦ - ١٩٤٢م .

- ابن قتيبة الدينورى (أبو محمد عبد الله بن مسلم ت ٢٧٦ هـ) :

عيون الأخبار، المجلد الرابع، الطبعة الأولى، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٠م .

كتاب الأشربة، تحقيق محمد كرد على، دمشق ١٩٤٧ م .

- ابن قيم الجوزية (الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن بكر الزرعى الدمشقى الحنبلى، ولد ٦٩١ - ب ٧٥١ هـ)

أخبار النساء، الطبعة الأولى، مطبعة التقدم العلمية بمصر ١٣١٩ هـ .

- ابن ماجه : سنن ابن ماجه ، بيروت ١٩٥٤ م .

- ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم الأنصارى ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م)

مختار الأغانى فى الأخبار والتهانى، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، جزءان فى مجلدان، القاهرة ١٩٦٥ م .

- أبو الفداء (عماد الدين إسماعيل بن على الملك المؤيد ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م):

تاريخ أبى الفداء، ٤ أجزاء، طبع القسطنطينية ١٢٨٦ هـ .

- البخارى (محمد بن إسماعيل) :

صحيح البخارى، طبع دار الطباعة بالقاهرة ١٢٨٦ هـ جـ ٤ .

كتاب الأدب المفرد يرويه عنه أحمد بن محمد بن الجليل البزار، طبع معارف نظارات جليلة سنك رخصيتله طبع أولنشدر ١٣٠٩ هـ . طبعت بإذن وزارة المعارف الجليلة - طبعة ١٣٠٩ هـ ويفهم من العبارة أنها طبعت فى وزارة المعارف بتركيا .

- البلوى (أبو الحجاج يوسف بن محمد)

ألف باء، طبع المطبعة الوهبية بالقاهرة، الجزء الأول والثانى، ١٢٨٧ هـ .

- البلاذرى (أحمد بن يحيى) :

أنساب الأشراف، الجزء الأول،تحقيق د . محمد حميـــد الله،، دار المعــارف بمصـــر ١٩٥٩م.

- الثعالبى (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل) (٣٥٠ - ٤٢٩ هـ):

ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نهضة مصـــر ١٩٦٥ م .

- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر) :

- البيان والتبيين - الطبعة الأولى - المطبعة العلمية .
- الحيوان - القاهرة ١٩٠٧م .
- البخلاء - بيروت ١٩٥٧ م .

- الحلوانى (أحمد بن أحمد بن إسماعيل) :

كتاب الوشم فى الوشم، طبع بالمطبعة الميمنية بمصر، ١٣٢٣ هـ .

- الخالديان (أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد إبنا هاشم) :

كتاب التحف والهدايا، تحقيق سامى الدهان - دار المعارف بمصر ١٩٦٥ م .

- الذهبى (الحافظ شمس الدين ٦٧٣ - ٧٤٨ هـ) :

- العبر فى خبر من غبر، الجزء الأول، تحقيـــق د . صـــلاح الديـــن، المنجـــد، الكويت ١٩٦٠م.
- كتاب دول الإسلام، الجزء الأول، تحقيق فهيم محمد شلتوت، محمد مصطفـــى إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤ م .

- السبكى (عبد الوهاب بن على ت ٧٧١ هـ / ١٣٧٠ م) :

معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق وتعليق محمد على النجار وآخرون، الطبعة الأولى، طبـــع بدار الكتاب العربى بمصر ١٩٤٨ م .

- السخاوى (الحافظ محمد بن عبد الرحمن بن أبى بكر بن عثمان السخاوى ت ٩٠٢ هـ / ١٤٩٦ م) :

التبر المسبوك فى ذيل السلوك، المطبعة الأميرية ببولاق ١٩٨٦ م .

- السيوطى (جلال الدين السيوطى) :

- حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة، الجزء الثانى، مطبعة إدارة الوطن بمصر، ١٢٩٩ هـ .
- الدر النثير تلخيص نهاية ابن الأثير، الجزء الأول .

- السيوطى (عبد الرحمن بن أبى بكر ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م) :

الأرج فى الفرج – الطبعة الثانية – دمشق ١٣٥٠ هـ

- الشابشتى (أبو الحسن على بن محمد ت ٣٨٨ هـ : ٩٩٨ م) :

الديارات، بغداد، ١٩٦٦ م .

- الشبلنجى (الشيخ الشبلنجى المدعو بمؤمن) :

- كتاب إسعاف الراغبين فى سيرة المصطفى وفضائل أهل بيته الطاهرين (بهامش) كتاب نور الأبصار فىمناقب آل بيت النبى المختار،الطبعة الأولى-المطبعة المليحية١٣٢٣هـ.

- الشربينى (يوسف بن محمد بن عبد الجواد بن خضر) :

- هز القحوف فى شرح قصيدة أبى شادوف، الطبعة الثانية، المطبعة الأميرية ببولاق، ١٣٠٨ هـ .

- الشيزرى (عبد الرحمن بن نصر ت حوالى ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م) :

- نهاية الرتبة فى طلب الحسبة – نشره السيد الباز العرينى بإشراف محمد مصطفى زيادة – القاهرة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٦ م .

- عبد اللطيف البغدادى (الشيخ موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف المعـــروف بـــابن اللباد، ت ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م) :
- عبد اللطيف البغدادى فى مصر المسمى الإفادة والاعتبـــار فـــى الأمـــور المشـــاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، نشر سلامة موســـى، مطبعـــة ومجلـــة المصـــرى القاهرة، الطبعة الأولى، ١٢٨٦ هـ .
- العمرى (شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٩ م) :
- مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار، تحقيق أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمى الفرنســـى للآثار الشرقية بالقاهرة ١٩٨٥ م .
- العينى (بدر الدين محمود بن أحمد ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م) :
- السيف المهند فى سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودى، تحقيق فهيم محمد شـلتوت، دار الكاتب العربى ١٩٦٧ م .
- عمدة القارئ، شرح صحيح البخارى .
- الغزولى (علاء الدين على بن عباد الله البهائى) :
- مطالع البدور فى منازل السرور - جزءان - الطبعة الأولى - مطبعة إدارة الوطـن، ١٢٩٩ - ١٣٠٠ هـ .
- القسطلانى (أحمد بن محمد ١٤٤٨ - ١٥١٧ م) :
- إرشاد السارى إلى شرح صحيح البخارى وبهامشه صحيح الإمام مسلم وشرح الإمـام النووى، الجزء الأول والثامن، المطبعة المصرية، بولاق، ١٨٧٦ م .
- القلقشندى (أبو العباس أحمد بن على بن أحمد ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) :
- صبح الأعشى فى صناعة الانشا ١٤ جزء، القاهرة ١٩١٩ - ١٩٢٢ م .
- المسبحى (محمد بن عبيد الله ت ٣٦٦ - ٤٢٠ هـ/ ٩٧ - ١٠٢٩ م) :

- أخبار مصر فى سنتين (٤١٤ - ٤١٥ هـ) تحقيق وليم ج ميلورد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠ م .
- المسعودى .
- مروج الذهب ومعادن الجوهر فى التاريخ، القاهرة ١٣٤٦ هـ .
- المقريزى (تقى الدين أحمد بن على ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢ م) :
- كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، الجزءان الأول والثانى (٦ أقسام) تحقيق د . محمد مصطفى زيادة، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، دار الكتب المصرية . (١٩٣٦ - ١٩٥٨) .
- إغاثة الأمة بكشف الغمة، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٠م .
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار جزءان فى مجلدان، مكتبة الثقافة الدينية الطبعة الثانية، ١٩٨٧ م .
- النواجى (شمس الدين محمد بن الحسن ت ٨٥٩ هـ) :
- حلبة الكميت فى الأدب والنوادر المتعلقة بالخمريات .
- الوشاء (أبو الطيب محمد بن اسحق) :
- الموشى أو الظرف والظرفاء - تحقيق كمال مصطفى .
- الناشر : مكتبة الخانجى، مطبعة الاعتماد ١٩٥٣ م .
- ياقوت : (شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحمى الرومى البغدادى ت ٦٢٦هـ / ١٢٩ م) :
- معجم البلدان، بيروت ١٩٨٤ م، المجلد الخامس .

ثالثا : المراجع العربية الحديثة :

- أبو صالح الألفى : دكتور :
- الفن الإسلامى، أصوله، فلسفته، مدارسه، الطبعة الثانية - دار المعارف بمصر ١٩٧٤م .

- أحمد إبراهيم :
- الأحكام الشرعية للأحوال الشخصية – الطبعة الثالثة – القاهرة، ١٩٣٨ م .
- أحمد أمين :
- قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية – الطبعة الأولى – القاهرة ١٩٥٣ م .
- أحمد تيمور :
- التصوير عند العرب، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة ١٩٤٢ م .
- الموسوعة التيمورية من كنوز العرب، القاهرة ١٩٦١ م .
- أحمد سعيد الدمرداش :
- فن السجاد، مجلة منبر الإسلام، العدد ١١، السنة٢٢، ذو القعدة ١٣٨٤ هـ – مارس ١٩٦٥ .
- أحمد الشامى : دكتور
- التطور التاريخى لعقود الزواج فى الإسلام سلسلة تاريخ العرب، القاهرة ١٩٨٢ م .
- أحمد شلبى : دكتور
- موسوعة التاريخ الإسلامى، الجزء الأول، الطبعة العاشرة، مكتبة النهضة العربية، ١٩٨١م .
- أحمد عبد الرازق : دكتور
- الرنوك على عصر سلاطين المماليك، المجلة التاريخية المصرية، المجلد ٢١، السنة ١٩٧٤ م، ص ٦٧ – ١١٦ .
- المرأة فى عصر سلاطين المماليك، دار الجيل للطباعة ١٩٧٤ م .
- أحمد عطية الله :

- القاموس الإسلامي، المجلدان الثاني والثالث، دار النهضة العربيـــة، مــايو ١٩٦٦ - نوفمبر ١٩٧٠ م .

- أحمد ممدوح حمدى :

- معدات التجميل بمتحف الفن الإسلامى، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٥٩ م .

- الفن الإسلامى فى مصر، دليل معرض بمناسبة العيد الألفى للقاهرة - إبريل - مــايو سنة ١٩٦٩ م .

- بدران أبو العينين :

- الزواج والطلاق فى الإسلام، الطبعة الأولى - دار التأليف - ١٩٥٧ م .

- بدرى محمد فهد :

- القاضى التنوخى وكتاب النشوار، بغداد ١٩٤٦ م .

- بشر فارس :

- كيف زوقت العرب كتب الفلسفة والفقه - مستخرج من منشورات المعهد الفرنسى فــى دمشق - المطبعة الكاثوليكية - بيروت ١٩٥٧ م .

- بنت الشاطئ : دكتورة

- بنات النبى عليه الصلاة والسلام - الطبعة الثانية - القاهرة ١٩٥٩ م .

- ثروت عكاشة : دكتور

- فن الواسطى من خلال مقامات الحريرى (أثر إســـلامى مصـــور) دار المعــارف بمصر، ١٩٧٤ م .

- ثريا سيد أحمد نصر :

- تاريخ النسيج وأنواعه فى العصر الإسلامى، مجلة منبر الإسلام، العــدد ١٢، الســنة ٣٢، ذو الحجة ١٣٩٤ هـ .

- جمال محرز : دكتور

- المرايا المعدنية الإسلامية – فصلة من مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة – مجلد ١٥، الجزء الأول مايو ١٩٥٣ م، مطبعة جامعة القاهرة ١٩٥٣ م .
- حسن الباشا : دكتور
- الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار – مكتبة النهضة العربية، القاهرة ١٩٥٧ م .
- الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية – ٣ أجزاء – دار النهضة العربية بالقاهرة ١٩٦٥ / ١٩٦٦ م .
- أثر المرأة فى فنون القاهرة، بحث بكتاب القاهرة تاريخها، فنونها، آثارها، مؤسسة الأهرام، ١٩٧٠ م .
- قانصوة الغورى، بحث بمكتبة القاهرة، تاريخها، فنونها، آثارها، الأهرام، ١٩٧٠م .
- المبخرة، بحث بكتاب القاهرة، تاريخها، فنونها، آثارها، الأهرام، ١٩٧٠ م .
- فنون التصوير الإسلامى فى مصر، دار النهضة العربية ١٩٧٣ م .
- حسن عبد الرحمن خطاب :
- الزراعة والمجتمع الريفى فى مصر الإسلامية، القاهرة ١٩٨١ م .
- حسن محمد الهوارى :
- عقد زواج قديم مضى عليه ٦١٨ سنة، مجلة الهلال، السنة ٤١ – مارس ١٩٣٣م .
- أثر المرأة فى الفن الإسلامى – مجلة الهندسة – العدد ١١، ١٢ ديسمبر ١٩٣٤ السنة ١٤ .
- حسن محمود الشافعى :
- العملة وتاريخها – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠ م.
- حمده محمد الغرباوى :
- التطريز فى النسيج – مطبعة مصر ١٩٥٠ م .

- التطريز فى النسيج والزخرفة - الطبعة الأولى - مكتبة الأنجلو ١٩٦٥ م .
- حياة ناصر الحجى :
- الأمير تنكز الحسامى نائب الشام فى الفترة ٧١٢ - ٧٤١ هـ / ١٣١٢ - ١٣٤٠م - حوليات كلية الآداب - جامعة الكويت - الحولية الأولى ١٩٨٠ م / ١٣٩٩ هـ .
- خليل حامد حمودى الأعظمى :
- خزف سامراء الإسلامى - مجلة سومر ج ١، ج ٢ فى مجلد المجلد الثلاثون - بغداد ١٩٧٤ م .
- رءوف حبيب :
- الزينة والتجميل عند المرأة فى العصر القبطى - مكتبة المحبة .
- رجب عزت :
- تاريخ الأثاث من أقدم العصور - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٧٨ م .
- زكى مبارك : دكتور
- التصوف الإسلامى فى الأدب والأخلاق، الجزء الأول، الطبعة الأولى - مطبعة الرسالة ١٩٣٨ م .
- زكى محمد حسن : دكتور
- كنوز الفاطميين - القاهرة ١٩٣٧ م .
- الفنون الإيرانية فى العصر الإسلامى، الطبعة الثانية، مطبعة دار الكتب المصرية- القاهرة ١٩٤٦ م .
- زكى محمد حسن : دكتور
- فنون الإسلام، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٤٨ م .
- أطلس الفنون والتصاوير الإسلامية، القاهرة ١٩٥٦ م .

- زكية عمر العلى :
- حلى إسلامية اقتناها المتحف العراقى - سومر - ج ١، ج ٢ فى مجلد - المجلد الثلاثون - بغداد ١٩٧٤ م .
- التزيق والحلى عند المرأة فى العصر العباسى، منشورات وزارة الإعلام " سلسلة الكتب الحديثة رقم ٩٩ " الجمهورية العراقية، ١٩٧٦ م .
- سعاد ماهر : دكتورة
- محافظات الجمهورية العربية المتحدة وآثارها الباقية فى العصر الإسلامى، القاهرة ١٩٦٦ م .
- مشهد الإمام على فى النجف وما به من الهدايا والتحف، دار المعارف بمصر، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٢ م .
- مساجد مصر وأولياؤها الصالحين، الجزء الأول، مطابع الأهرام التجارية، ١٩٧٣م.
- عقود الزواج على المنسوجات الأثرية، بحث بمجلة كلية الآثار جامعة القاهرة، الجزء الأول ١٩٧٨ م .
- سعد الخادم :
- الصناعات الشعبية فى مصر، دار المعارف بمصر ١٩٥٧ م .
- الأزياء الشعبية - المكتبة الثقافية (٤٩) دار القلم١٩٦١ م .
- الفنون الشعبية فى النوبة - الدار المصرية للتأليف والترجمة - المكتبة الثقافية١٥٥.
- سعيد عبد الفتاح عاشور : دكتور
- المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك، طراز دار النهضة ١٩٦٢ م .
- الأيوبيون والمماليك فى مصر والشام - دار النهضة العربية، ١٩٦٩ م .

- نساء القاهرة فى عصر المماليك - أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة - مارس، إبريل ١٩٦٩ م، الجزء الثانى مطبعة دار الكتب ١٩٧١ م .
- العصر المماليكى فى مصر والشام - الطبعة الثانية، دار النهضة العربية، ١٩٧٦م .
- سعيد هارون عاشور :
- فقه سيرة نساء النبى صلى الله عليه وسلم، مطبعة القاهرة الحديثة .
- سميحة محمد الجبالى :
- صناعة المعادن وزخرفتها فى العصور الإسلامية - منبر الإسلام - العدد ٢، السنة ٣٤، صفر ١٣٩٦ هـ / فبراير ١٩٧٦ م .
- سيد أمير على :
- مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامى، ترجمة رياض رأفت، القاهرة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٨ م .
- صلاح الدين سيد البحيرى : دكتور
- نص هام عن أحوال دار الطراز المصرية فى أوائل عصر الدولة الأيوبية، بحث بالمجلة العربية للعلوم الإنسانية - جامعة الكويت - العدد ١٣، المجلد ٤ - ١٩٨٤م.
- عبد المجيد يونس : دكتور
- خيال الظل، المكتبة الثقافية - ١٣٨ - الدار المصرية للتأليف والترجمة - أغسطس ١٩٦٥ م .
- عبد الرءوف على يوسف :
- خزافون من العصر الفاطمى وأساليبهم الفنية، بحث بمجلة كلية الآداب جامعة القاهرة - مجلد ٢٠، ج ٢، ديسمبر ١٩٥٨ م، مطبعة جامعة القاهرة ١٩٦٢ م .
- تحف من الفن الشعبى فى مصر - مجلة العدد ٥، السنة ٢٠ جمادى الأولى ١٣٨٢هـ .
- غيبى التوريزى - بحث بكتاب القاهرة، تاريخها، فنونها، آثارها، الأهرام، ١٩٧٠م.
- عبد الرحمن زكى : دكتور

- الأحجار الكريمة فى الفن والتاريخ – المكتبة الثقافية ١٠٨ – دار القلم ١٩٦٤ م.
- الحلى فى التاريخ والفن – المكتبة الثقافية ١٢٦ دار القلم ١٩٦٥ م .
- القاهرة، تاريخها، آثارها (٩٦٩ – ١٨٢٥ م) من جوهر القائد إلى الجبرتى المؤرخ، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦ م .
- عبد الرحمن عمار :
- تاريخ فى النسيج المصرى، دار نهضة مصر للطبع والنشر ١٩٧٤ م .
- عبد الرحمن فهمى : دكتور
  - أقدم السجاجيد الإسلامية فى مصر ، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ، عدد ٢٠ ، سنة ١٩٦٠ م .
  - السجاد ، القاهرة ، تاريخها ، فنونها ، آثارها ، الأهرام ١٩٧٠م
  - النسيج ، القاهرة ، تاريخها ، فنونها ، آثارها ، الأهرام ، ١٩٧٠م .
  - خاتمة رائعة لفنون المماليك ، منبر الإسلام ، العدد ١ ، السنة ٣١ – محرم ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م .
- عبد العزيز سليمان نوار : دكتور
- تاريخ مصر الاجتماعى، مكتبة سعيد رأفت – جامعة عين شمس، الطبعة الرابعة، ١٩٨٥ م .
- عبد اللطيف إبراهيم : دكتور
- وثيقة الأمير أخور كبير قراقجا الحسنى، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة – المجلد ١٨ – الجزء ٢ – ديسمبر ١٩٥٦م، مطبعة جامعة القاهرة ١٩٥٩ م .
- من وثائق دير سانت كاترين، ثلاث وثائق فقهية مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة، مجلد ٢٥، الجزء الأول، مايو ١٩٦٣ م، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٦٧م.
- نصان جديدان من وثيقة الأمير صرغتمش، حوليات كلية الآداب – جامعة القاهرة – مجلد ٢٨، ١٩٦٦ م مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٧١ م .

- عبد الله عفيفي : دكتور .
- المرأة العربية فى جاهليتها وإسلامها، ط١، جـ١، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٢١ م ، جـ٢ ، ط ١، المطبعة الرحمانية بالخرنفش بمصر، ١٩٢٢ م، جـ ٣، (ضمن مجلد يشمل ٣ أجزاء) مطبعة المعارف ١٩٣٠ م .
- عبد الله المراغى: دكتور
الزواج والطلاق فى جميع الأديان - الكتاب الرابع والعشرون ١٩٦٦ م .
- عبد المنعم سلطان : دكتور
المجتمع المصرى فى العصر الفاطمى - دار المعارف ١٩٨٥ م .
- عبد المنعم ماجد : دكتور
• تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى - الطبعة الرابعة - الأنجلو ١٩٧٨م .
• طومان باى آخر سلاطين المماليك فى مصر - مكتبة الأنجلو المصرية - ١٩٧٨م .
• نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم فى مصر - الجزء الأول والثانى الطبعة الثانية، الأنجلو ١٩٧٩ م - ١٩٨٢ م .
- عبد المنعم المليجى :
مجمع البدائع فى الفنون والصنائع - الجزء الأول، الطبعة الأولى، المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٨٩٦ م .
- عزيز مرقس منصور :
أمجاد من تراثنا - الألف كتاب - مكتبة الشرق .
- عصمت عزيز عوض :
صناعة العطور ومستحضرات التجميل، مطبعة العالم العربى، القاهرة ١٩٦٣ م .
- عفيفى البهنسى : دكتور
الفن الإسلامى - الطبعة الأولى - دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر - ١٩٨٦م.
- على إبراهيم حسن : دكتور
نساء لهن فى التاريخ الإسلامى نصيب - النهضة ١٩٥٠ م .

- علي حسب الله :
الزواج في الشريعة الإسلامية - دار الفكر العربي .
- علي زين العابدين : دكتور
- بحث عن ملامح بعض مصاغنا الشعبى خلال العصور، مجلة الفنون الشعبية - العدد ١٧ - السنة الخامسة - يونيو ١٩٧١ م .
- المصاغ الشعبي في مصر - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٧٤ م .
- فن صياغة الحلي الشعبية النوبية - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٨١م.
- علي السيد علي : دكتور
- القدس في العصر المملوكي - الطبعة الأولى - دار الفكر للدراسات والنشر بالقاهرة - ١٩٨٦ م .
- علي مبارك :
الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة - الجزء الثاني - الطبعة الثانية - مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٦٩ م .
- عيسى سلمان :
الواسطي (يحيى بن محمود بن يحيى - رسام وخطاط ومذهب ومزخرف) مطبعة التايمس وزارة الإعلام-السلسلة الفنيةالخاصة التي صدرت بمناسبة مهرجان الواسطي .
- غادة حجازى قدومي :
التنوع في الوحدة (دار الآثار العربية بالكويت) الطبعة الأولى، مؤسسة فهد المرزوق للطباعة، الكويت ١٩٨٧ م .
- فريد شافعي : دكتور
- الأخشاب المزخرفة في الطراز الأموي، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مجلد ١٤، الجزء ٢، ديسمبر ١٩٥٢ م .
- فؤاد حسنين علي : دكتور
- قصصنا الشعبي، الناشر : دار الفكر العربي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٧ م .
- فؤاد سعودي :
- صناعة الزجاج قديما وحديثا - القاهرة ١٩٥٦ م .

- قاسم عبده قاسم : دكتور
- النيل والمجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك الطبعة الأولى - دار المعارف ١٩٧٨ م .
- أهل الذمة فى مصر فى العصور الوسطى (دراسة وثائقية) الطبعة الثانية - دار المعارف ١٩٧٩ م .
- دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى عصر سلاطين المماليك، الطبعة الثانية - دار المعارف ١٩٨٣ م .

- قدرية حسين :

شهيرات النساء فى العالم الإسلامى - دار الكاتب العربى - لا يوجد به تاريخ طبع - تعريب عبد العزيز أمين الخانجى .

- محمد أحمد حماده :

مستحضرات التجميل والروائح العطرية، الناشر مكتبة الهلال، المطبعة التجارية الحديثة .

- محمد أمين صالح : دكتور

دراسات اقتصادية فى تاريخ مصر الإسلامية، عصر الولاة، الطبعة الثانية، نهضة الشرق، ١٩٨٠ م .

- محمد جمال الدين سرور : دكتور
- دولة بنى قلاوون فى مصر - الناشر : دار الفكر العربى - مطبعة الاعتماد بمصر ١٩٤٧ م .

- محمد سعيد :

كنوز الإسلام فى قلب أوروبا (مجلة الدوحة، العدد ١٢٤ إبريل ١٩٨٦ م) .

- محمد شفيق غربال وآخرون :

الموسوعة العربية الميسرة، دار الشعب، صورة طبق الأصل عن طبعة ١٩٦٥ م .

- محمد عبد الجواد الأصمعى : دكتور

تصوير وتجميل الكتب العربية فى الإسلام، دار المعارف بمصر، ١٩٦٢ م .

- محمد عبد الحليم حسن :

الخشب والنجارة والنجار - الطبعة الأولى- القاهرة مطبعة السماح - ١٩٢٨ م .

- محمد عبد العزيز مرزوق : دكتور
- حذاؤنا فى العصر الإسلامى - مقالة فى عدد المصور الخاص بمشروع مكافحة الحفاء والفقر - إبريل ١٩٤١ م .
- الناصر محمد بن قلاون - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر - أعلام العرب ٢٨ .
- طنافس مصر فى العصور الوسطى - مستخرج من مطبوعات جمعية الآثار بالإسكندرية - عدد رقم ٥ - ١٩٧٤ م .
- الفنون الزخرفية الإسلامية فى العصر العثمانى - الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤ م.

- محمد عبده الحجاجى : الأقصر فى العصر الإسلامى .
- محمد عيسى صالحية : دكتور

من وثائق الحرم القدسى الشريف المملوكية من حوليات كلية الآداب جامعة الكويت - الحولية السادسة - الرسالة السادسة والعشرون - ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

- محمد قنديل :

الطرب فى العصر المملوكى - المكتبة الثقافية - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٨٤ م.

- محمد مصطفى : دكتور
- الرنوك المملوكية، مجلة الرسالة، مارس ١٩٤١ م .
- الكتابة العربية عنصر زخرفى، مجلة عالم الفكر، الجزء ١٠ - العدد ٣ - الكويت - أكتوبر / ديسمبر ١٩٧٩ م .
- الوحدة فى الفن الإسلامى .
- مناظر دينية على التحف الإسلامية - مجلة المجلة - العدد ٤٨ ديسمبر ١٩٦٠م.

- محمود أحمد الحفنى :

ثلاثة أعراس أودت بالخزانة إلى الإفلاس - مطابع دار الكتاب العربى - المكتبة الثقافية، العدد ١٩٩ .

- محمود رزق سليم :
الأشرف قانصوة الغورى – الدار المصرية للتأليف والترجمة .
- محمود السرجانى :
فى الصاغة، طبع القاهرة، لا يوجد تاريخ للطبع .
- محمود صابر :
الخزف – صناعة وفن وتاريخ – الطبعة الثانية – مطبعة مصر – ١٩٥٠ م .
- محمود محمد الحويرى : دكتور
أسوان فى العصور الوسطى – الطبعة الأولى – دار المعارف ١٩٨٠ م .
- مصطفى جواد :
سيدات البلاط العباسى – بيروت ١٩٥٠ م.
- مصطفى طه بدر :
مصر الإسلامية، الجزء الأول، النهضة المصرية ١٩٥٤ م .
- ميخائيل عواد :
صناعة الصفر، سلسلة الثقافة الشعبية ٣٨، بغداد ١٩٦٢ م .
- ناهده عبد الفتاح النعيمى :
- المرأة فى تصاوير الواسطى – مطبعة تايمس – وزارة الإعلام – العراق – السلسة الفنية الخاصة التى صدرت بمناسبة مهرجان الواسطى .
- نجلاء العزى :
الإنسان والعطور، بحث بمجلة الدوحة – العدد ١٢٤ – إبريل ١٩٨٦ م .
- نعمت إسماعيل علام :
فنون الشرق الأوسط فى العصور الإسلامية – الطبعة الثانية – دار المعارف بمصر.
- هبة عنايت :
دار الآثار الإسلامية – بمتحف الكويت الوطنى – مجلة العربى – مايو ١٩٨٣ م .
- وزارة المعارف العمومية :
دليل متحف الفن الإسلامى – القاهرة – مطبعة دار الكتب المصرية – ١٩٥٢ م .
- وليم نظير :
الثروة النباتية عند قدماء المصريين– الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر – ١٩٧٠م.

رابعا : الرسائل العلمية :

- أحمد محمد توفيق الزيات :
الأزياء الإيرانية فى مدرسة التصوير الصفوية علـــى التحــف التطبيقيـــة، رســـالة ماجستير مخطوطة بكلية الآثار جامعة القاهرة، ١٨٠ رقم ١٣/١٨ .
- زينات طاحون :
اللباس فى العصر المملوكى، رسالة دكتوراة مخطوطة بكليـــة الاقتصــــاد المـــنزلى، جامعة حلوان، ١٩٧٧ م، برقم ٢١٨٤١ .
- سعيد محمد مصيلحى :
أدوات وأوانى المطبخ المعدنية فى العصر المملوكى، رسالة دكتوراة مخطوطة بكليـــة الآثار جامعة القاهرة، ١٩٨٣ م برقم ١٢/٢١ .
- فايزه محمود الوكيل :
أثاث المصحف فى مصر فى عصر المماليك - رسالة ماجستير مخطوطـــــة بكليـــة الآثار - جامعة القاهرة ١٩٨١ م .
- محمود كامل السيد :
القيم الفنية فى الصندوق الشعبى فى مصر وتطبيقاتها فى أشغال الخشـــب - رســـالة ماجستير مخطوطة بكلية التربية الفنية ١٩٧٢ م، رقم ٤٧٨ .

خامسا : المعاجم اللغوية :

- إبراهيم مصطفى وآخرون :
المعجم الوسيط، مطبعة مصر، ١٩٦١ م .
- ابن زكريا (أبو الحسين أحمد بن فارس) :
• معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، الأجزاء مـــن ١ - ٣، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة، ١٣٦٨ هـــ .
- ابن سيده (أبو الحسن على بن إسماعيل الأندلسى) :
• المخصص - تحقيق لجنة إحياء التراث العربـــى فـــى دار الآفـــاق الجديـــدة - بيروت .
• ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم الأنصارى (٦٣٠ - ٧١١ هـــ) :
لسان العرب، طبعة مصورة من طبعة دار الكتـــب المصريـــة - الـــدار المصريـــة للتأليف والترجمة .

- أحمد رضا :

معجم متن اللغة، مجلد ٣، بيروت ١٩٥٩ م .

- إمام شوشترى :

فرهنك وازه هاى فارسى درزبان عربى - طهران ١٣٤٧ هـ . ش .

- بطرس البستانى :

قطر المحيط، الجزء الأول والثانى، بيروت، نقلا عن طبعة ١٨٦٩ م .

- الجواليقى :

المعرب من الكلام الأعجمى على حروف المعجم، تحقيق أحمد محمد شاكر - مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٦١ هـ .

- الجوهرى (إسماعيل بن حماد) :

• الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية - تحقيق أحمد عبد الغفور عطا، الجزء الرابع - دار الكتاب العربى بمصر . الجزء الثانى، طبع مطبعة بولاق ١٢٨٢ هـ.

- الراغب الأصفهانى :

مفردات فى غريب القرآن - فى الجزء الثانى لنهاية ابن الأثير (هامش أيسر) .

- رشيد عطية اللبنانى :

الدليل إلى مرادف العامى والدخيل - بيروت ١٨٩٨ م .

- سعيد الخورى الشرنوتى اللبنانى :

أقرب الموارد فى فصح العربية والشوارد، بيروت ١٨٨٩ م .

- عبد النعيم محمد حسنين : دكتور

قاموس الفارسية - الطبعة الأولى - دار الكتاب المصرى القاهرة، دار الكتاب اللبنانى- بيروت ١٩٨٢ م .

- الفيروز ابادى (مجد الدين محمد بن يعقوب) ٧٢٩ / ٨١٧ هـ .

القاموس المحيط - ٤ أجزاء - الطبعة الثالثة - المطبعة الأميرية ببولاق ١٣٠١ - ١٣٠٢ هـ .

- كرم البستانى وآخرون :
المنجد فى اللغة والأعلام، الطبعة السابعة والعشرون - دار المشرق، بيروت ١٩٨٤م.
- مرتضى الحسينى الواسطى (محب الدين أبو الفيض السيد محمد) :
- شرح القاموس المسمى تاج العروس من جواهر القاموس، الجزء الثانى .
- محمد التونجى :
فرهنك طلائى، دار العلم للملايين بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٦ م .
- محمد معين :
فرهنك فارسى ، تهران ١٣٤٤ هـ . ش .
- المقرى (أحمد بن محمد بن على ت ٧٧٠ هـ) :
المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير، الجزءان الأول والثانى فى المجلد الأول، المكتبة العلمية ببيروت .

سادسا : المراجع المترجمة :

- آدم متز :
الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى، الطبعة الثالثة - الجزء الثانى، ترجمة إلى العربية محمد عبد الهادى أبو ريده، القاهرة ١٩٤٧ م .
- ارنست كونل :
الفن الإسلامى - ترجمة د . أحمد موسى - مراجعة محمود إبراهيم الدسوقى - مطبعة أطلس ١٩٦١ م .
- ألفريد لوكاس :
المواد والصناعات عند قدماء المصريين، ترجمة د . زكى إسكندر، محمد زكريا غنيم، مراجعة عبد الحميد أحمد، القاهرة ١٩٤٥ م .
- أولج فولكف :
القاهرة مدينة ألف ليلة وليلة (٩٦٩ - ١٩٦٩ م) ترجمة أحمد صليحة - الألف كتاب (الثانى) - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦ م .
- بيرو طافور :
رحلة طافور فى عالم القرن الخامس عشر الميلادى، ترجمة د . حسن حبشى - دار المعارف بمصر ١٩٦٨ م .

- تامارا رايس :
السلاجقة، ترجمة لطفى الخورى، إبراهيم الداقوقى، مراجعة عبد الحميد العلوجـى – مطبعة الإرشاد، بغداد ١٩٦٨ م .
- جاستون فييت :
القاهرة مدينة الفن والتجارة – ترجمة د . مصطفى العبادى - بيروت ، نيويـورك ١٩٦٨ م .
- جيمس دبليو الان :
التحف المعدنية (كتاب كنوز الفن الإسلامى) جنيف ١٩٨٥ م .
- دوروثى دريج :
عمل السجاد – ترجمة محمود النبوى الشال – دار نهضة مصر .
- دى شابرول :
دراسة فى عادات وتقاليد سكان مصر المحدثين، ترجمة زهـير الشـايب (وصـف مصر الدولة الحديثة) الطبعة الأولى، ١٩٧٦ م .
- ديماند :
الفنون الإسلامية، ترجمة أحمد محمد عيسى، الطبعة الثالثة، دار المعارف ١٩٨٢ م.
- ستانلى لينبول :
سيرة القاهرة، ترجمة د . حسن إبراهيم حسن وآخرون، مكتبة النهضـة المصريـة، ١٩٥٠ م .
- غوستاف لوبون :
حضارة العرب، ترجمة محمد عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٤٥ م .
- كارل بروكلمان :
تاريخ الشعوب الإسلامية – الإمبراطورية الإسلامية وانحلالها – نقله إلى العربيـة د. نبيّه أمين فارس ومنير البعلبكى، ١ ، الطبعة الثالثة دار العلم للملاييـن، بـيروت ١٩٦١م.
- كرستى، أرنولد، بريجز :
تراث الإسلام، ترجمة وشرح تعليق د . زكى محمد حسن، مطبعـة لجنـة التـأليف والترجمة والنشر، الجزء الثانى، ١٩٣٦ م .

- كريسى هـ . جرونمان :
النجارة العامة، ترجمة عباس عبد القادر، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٩٧٩ م .
- كلوت بك :
لمحة عامة إلى مصر - تعريب محمد مسعود، الجزء الأول، مطبعة أبو الهول .
- ماير :
الملابس المملوكية - ترجمة صالح الشيتى - مراجعة وتقديم د . عبد الرحمن فهمى - الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢ م .
- ماتيو :
أشغال النجارة المنزلية - الألف كتاب (١٢٥) مكتبة نهضة مصر - القاهرة ١٩٧٥م.
- ناصر خسرو :
سفر نامة (رحلة ناصر وخسرو إلى لبنان وفلسطين ومصر والجزيرة العربية فى القرن الخامس الهجرى) مصر (من ٤٣٩ - ٤٤٢) (١٠٤٧ - ١٠٥٠) ترجمة د. يحيى الخشاب، الطبعة الأولى - القاهرة - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٥م .
- وصف مصر :
الحياة الاقتصادية فى مصر فى القرن الثامن عشر، المجلد الرابع، الجزء الأول - الزراعة والصناعات والحرف والتجارة، ترجمة زهير الشايب، مكتبة الخانجى بمصر، ط ١، ١٩٧٨ م .
- وصف مصر :
اللوحات، ترجمة زهير الشايب، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولى، ١٩٨٦ م .
- وليم لين :
المصريون المحدثون، شمائلهم وعاداتهم، ترجمة عدلى طاهر نور - الطبعة الثانية - القاهرة ١٩٧٥ م .

ثانيًا : المراجع الأجنبية :

Abd Ar - Râziq , A .: 1 - Un document concernat le mariage des esclaves au temps Mamluks , JESHO . III / 3 (1970) , PP . 309 - 314 .

- Les Peignes Egyptiens dans L, art de I,Islam, Syria, XLIX (1972)

-La Femme au temps des Mamlouk en Egypte, Le Caire, 1973 .

Abdel-Ai, S.: The Make- up Kits of Ancient Egypte (prism- (7-1984) January / March .

Ackerman, p.: Jewelry In Islamic period A survey of persian Art- Oxford University press, and New York, VOL . 3, chapter 64, pp . 1319- 12 .

Aldred, C.: Jewels of the pharaohs, Italy, 1978 .

Ashtor : L, Evolution des prix dans le proche - orient a la basse - epoque, JESHO . IV (1961) .

Atil, E.: Renaissance of Islam Art of the Mamlouks , Washington, 1981 .

Bahgat, A.: Les Fouilles de Foustât Decouverte d'un four de potier arabe datant du XIV[e] - sielce - Exirait du Bulletin de L'Institut Egyptien, 5[e] serie, T. VII.

Bedevian, .A.K.: Illustrated Polyglottic Dictionary of plant Names, Argus and popazian press , Cairo, 1936 .

Belon,p.: Voyage en Egypte du Mans 15A ete Imprime En 1970, L'Institut Francais D Archeologie Orientale Du Caire .

Bourgoin, J.: Arabic Geometrical pattern Design, New York 1973 .

Burkhardt, T.: Art of Islam Language and meaning, World of Islam Festival, First publish, 1976 .

Chirine, a .: Musee d'Art Islamique, egypt .

Combe, Et . Sauvaget , J. et wiet, G .: Repertoire Chronalogique d'Epigraphie Arabe, Le Caire, 1931 - 1950 .

D'Avennes, p . L Art Arabe D'Apres Les Monuments Du Kaire depuis Le VIIeme siecle jusqu'a la fin du XVIIe me siecle III. Tome Albume & Tome Texte (Paris, 1869 - 1877) .

- Arabic Art In color - New York, 1978 .

Devonohire, R.L.: L Egypte Musulmane, Paris, 1926 .

Dopp, P.H.* Le Cire vu por les voyogeurs occidentaux du Moyen Age. (Et Extrait Du Bulletin de la Societe Royale Du Geographie D'Egypte T.XXlll) Le Caire Juin 1950 & T . XXVll, Speteembre , 1945 .

Dozy, R.P.A : Dictionnaire Détaille des noms des vetements chez les Arabs, Amstrdam, 1854 .

Supplément aux dictonaires Arabes, 2 Vols .

Du Ry, C.J.: Die Welt Des Islam, Germany 1970 .

Ebers, G .: Egypt Descriptive, Historical and pigturesque, 2 Vols, London, 1880 - 1883 .

El Beheiry, S .: Les Institutions de I Egypte Au Temps des Ayyubides, lille, France, 1977 .

Gible, H.A.R. and Kramers, J.H.: Shorter Encyclopadia of Islam, Leiden 1953, Leiden, London, 1961 .

Ettinghausen, R.: Arab painting, New York, 1977.

Goitein, S.D.: -A Mediterranean Society, London 1967, Vol. I .

- Studies in Islamic History and Institutions, Leiden, 1968 .

Haldane, D.: Mamluk painting, England 1978 .

Hanotaux, G.: Histoire de la Nation Egyptienne, Tome I, Paris 1931 .

Harff, A.V.: Die pilgerfahrt des durch Italian Syrian, Aegyptien, Arabien, Aethiopien, Nubien, Palastina, die Turkei, Frankreich und Spanien, Coln, 1860 .

Hay, R.: Illustrations of Cairo . London, 1840 .

Herz, M.: Descriptive Catalogue of the objects exhibited IN The National Museum of Arab, Second Edition, Cairo, 1907 .

Huart, CL .: Histoire des Arabes, 1913 .

Jankins, M. and keene, M.: Islamic Jewelry in the Metropolitan Museum of Art, The Metropolitan Museum of Art, New York, 1982

Knauer, E.R.: Marble Jar - Stands from Egypt the Metropolitan Museum of Art, 1980 .

Kuhnel, E.: Arabesque, in the Encyclopaedia of Islam, Vol. I, New Edition, Leiden, 1960 .

- Islamic Arts, London 1970 .

- Islamische schrift kunst, Berlin, 1971 .

Lane - Pool, S.: - The Art of the Saracens, In Egypt, London, 1886 .

- Cairo, Sketches of its History , Monuments and Social life, New York , 1973 .

L Islam dans les collections nationales, Paris, 1977 .

Le tapis d'orient dans les collections Francaises est an supplement special publie par Hali, 1982 .

Marcais, G.: L,Art L, Islam, Paris, 1946 .

Maryon, H.: A History of Technology, Vol. I, London, 1954 .

Mayer, L.a.: Saracenic Heraldy - Oxford .

Mazahéri, A.: La vie Quatidienne des Musulmans Au Moyen Age X[e] Au XIII Siecle, Paris, 1951 .

Migeon, G.: - Les Arts Musulmans, Paris et Beruxelles, 1926 .

- Manuel D'Art Musluman, Paris, 1927 .

Musess Royaux D, Art Et D'Histoire Guide du visteurs, Cornelia Montgomery - Wyaux, Islamiques - Bruxelles, 1978 .

Papadopoulo, A.: L'Islam et L'Art Musulman, Paris, 1979 .

Quotremere, M. Histoire des Sultans . Mamluks de L, Egypte . Tom I, II, Paris, 1844 - 1854 .

Rashed, H., " Sendouk El Aroussa ou Le Coffre à Trousseau, Egypt Travel Magazine, Juin 1957, No . 34 .

- Mediaeval Egyptian coats of Arms, Egypt Travel Magazine, December 1958, No. 52 .

Raymond, A. et weit, G.: Les Marches Du Carie, Instit Francais D,Archeologie Oriental .

Rice, d.T .: Islamic Art, London 1957 .

Roche Products on the Market, November 1980 .

Sadan, J.: Meubles et Acculturation sous les premiers Califis (Annales Économic Societés civilisations 25 Annee - No 5 - Sptember - October, 1970 .

- Le Mobilier Au proche Orient Medieval, Leiden, 1976 .

Schefer, C.: Le Voyage d'outremer de Jean thenaud, Paris, 1864 .

- Voyage du magnifique et très illustre chevalier Domenico Trevisan, Paris, 1864 .

Shafi, I, F.: Simple Calyx ornament in Islamic Art, Cairo University press, 1956 .

Singer, C. and others : A History of Technology, Vol . 2 . Oxford University, New York, 1955 .

Thompson, J.: The sarre Mamluk and 12 other classical Rugs from the same private collection, :London, 1980 .

Wiet, G.: Inscriptions Mobilieres de I, Egypte Muslumane Journal asitatiqe, 1958, No . CCXLVI .

- Objects en Cuivre, Cataloge General du Musee Arabe du Carie - Le Caire, 1932 .

Youssef, A.A.: Mamluk Woods vessels (prism - Quarterly of Egyptian Culture) 2, 1982 - Cairo, October, Nov. Dec .

فهرس الموضوعات

الفصل الثالث

